Stu
dies
in
Am
eric
an
Cult
ure

دراسات
في الثقافة الأمريكية

محمد علي صالح





بطاقة فهرسة



مكتبة جزيرة الورد

اســم الكتاب : دراسات في الثقافة الأمريكية

المـــــؤلف : محمد علي صالح

رقــم الإيداع :

مكتبة جزيرة الورد

القاهرة : ٤ ميدان حليم خلف بنك فيصل

ش ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا ت : ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦ ـ ٢٧٨٧٧٥٧٤

Tokoboko 5@vahoo.com

St

udi

es



A

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

جئت إلى الولايات المتحدة في ثلاث مراحل:

لثلاثة شهور في سنة 1972، عندما كنت مسؤولا عن قسم الأخبار الخارجية في صحيفة "الصحافة" اليومية السودانية في الخرطوم. جئت مع حوالي عشرين صحفيا من مختلف دول العالم، دعتهم وزارة الخارجية الأمريكية حسب برنامج التبادل الثقافي (لا يزال البرنامج مستمرا حتى الآن). جئنا لتغطية الانتخابات الرئاسية في تلك السنة (تنافس فيها رتشارد نيكسون الجمهوري وجورج ماكقفورن الديمقراطي، وفاز نيكسون).

حسب البرنامج، تقسمت الثلاثة شهور إلى: شهر جولة في عدد من الولايات الأمريكية. وشهر عمل وتدريب مع صحف أمريكية. وشهر دراسة في كلية الصحافة في جامعة أنديانا (بلومنقتون، ولاية أنديانا).

عندما كنت في أنديانا، قدمت طلبا لدراسات عليا في كلية الصحافة. واجتزت الامتحانات المطلوبة، وقبلت. ولكن، كان لابد أن أعود إلى السودان.

في سنة 1973، السنة التالية، عدت إلى جامعة أنديانا لدراسات عليا في الصحافة لثلاث سنوات. وكنت محظوظا، وبتوفيق من الله، لأن صحيفة "الصحافة"، عن طريق وزارة الإعلام السودانية، أوفدتني في بعثة دراسية حكومية. وبعد نهاية دراستي، في سنة 1976، كان لابد أن أعود إلى السودان.

قضيت في السودان سنتين مع صحيفة "الصحافة". ثم سافرت إلى السعودية، وعملت سنتين مع صحيفة "المدينة."

في سنة 1980، جئت إلى واشنطن في وظيفتي الحالية مراسلا لصحف ومجلات عربية. بداية بمراسلة صحيفة "المدينة" (عشر سنوات)، ثم مجلة "المجلة" التي تصدر عن الشركة السعودية للأبحاث والتسويق (عشر سنوات)، ثم صحيفة "الشرق الأوسط" التي تصدر عن نفس الشركة (ثلاث عشرة سنة، وحتى الآن).

خلال ثلاث وثلاثين سنة في واشنطن، وبتوفيق من الله، حققت أكبر حلمين في حياتي:

أولا: أعمل صحفيا (أعتبرها المهنة الأولى في الحرية والنزاهة).

ثانيا: أعيش في الولايات المتحدة (أعتبرها البلد الأول في الحرية والعدل).

زرت كل الولايات الأمريكية تقريبا. وكتبت في كل جوانب الحياة الأمريكية تقريبا. وفي مفكرة سنوية، دونت ملاحظات أخرى (33 مفكرة حتى الآن).

كتاباتي في السياسة الأمريكية، الداخلية والخارجية، خلال هذه السنوات يمكن أن تملأ كتبا كثيرة. لكني فضلت أن اكتب هذا الكتاب عن الثقافة الأمريكية، من سبب:

أولا: الكتابات السياسية تتأثر بالزمن. ويمكن أن تكون مكررة، ومملة. وفي عصر الإنترنت، يستطيع أي شخص، في أي مكان في العالم، أن يكتب عن السياسة الأمريكية، ويحللها، ويتفلسف فيها.

ثانيا: الكتابات الثقافية فيها عمق وجدية. وتحتاج إلى دراسات، ومقابلات، وإحصائيات. والثقافة تشمل السياسة وغير السياسة. تشمل الفن، والأدب، والاقتصاد، والرياضة، والاجتماع، والعادات، والتقاليد، والمكتوب وغير المكتوب، والمعلن وغير المعلن، والظاهر والباطن، إلخ ...

ثالثا: بسبب جولاتي الصحفية الكثيرة، وبسبب طبيعة العمل الصحفي الذي يركز على سؤال الناس، ودراستهم، استطعت أن أخلط بين النظريات الثقافية والممارسات الثقافية. ووجدت أن كل جانب يكمل الثاني.

لهذا، في كل موضوع من هذه المائة موضوع في هذا الكتاب، جزء عن تجربة شخصية، وجزء عن خلفية تاريخية، وجزء مقتطفات من كتب ودراسات عن الموضوع.

ولابد أن أشير إلى أن عوامل شخصية ساعدتني، ليس فقط في الكتابة عن الثقافة الأمريكية، ولكن، أيضا، في التعود عليها، والانخراط فيها:

أولا: في سنة 1974، عندما كنت طالب دراسات عليا في جامعة أنديانا، قابلت طالبة وأمريكية وشقراء وجميلة وراقية وهادئة. وبعد سنة، صرنا زوجا وزوجة. ولا نزال (بعد قرابة أربعين سنة). وصرت جزءا من عائلتها، وساعدني هذا على تعلم مزيد من الثقافة الأمريكية، خاصة الثقافة البيضاء.

ثانيا: أنجبنا ولدا وبنتين. ومنذ البداية، حرصت على تربيتهم تربية تربط الثقافة الإسلامية العربية بالثقافة الأميركية. وساعدني هذا على تعلم مزيد من الثقافة الأمريكية، خاصة في مجالات الدين، والعرق، والهوية.

شكرا لفن الكتابة الصحفية الأمريكية الذي تعلمته في أمريكا، لا تميل المائة موضوع في هذا الكتاب نحو رأي على حساب رأي آخر. وتحاول تقديم مختلف وجهات النظر. ليست إدانة لأمريكا، ولا مديحا لها (وليست شتيمة، ولا تطبيلا).

هذه هي أمريكا، بمحاسنها ومساوئها. واعتقد أن الأمريكي (لأنه أكثر الناس في العالم حرية، وانفتاحا) هو أول من يعترف بأن وطنه ليس مثاليا، لكنه أحسن من أوطان أخرى كثيرا، وكثيرا جدا.

فلتتجنب الشعوب الأخرى مساوئ أميركا، ولتستفد من محاسنها.

وليقدر الشعب الأمريكي على الاستفادة من محاسنة لإصلاح مساوئه.

في نهاية الكتاب، وبعد المائة حلقة عن المائة موضوع، توجد مجموعة آراء كتبتها في صحف أمريكية رئيسية (مثل "واشنطن بوست" و "نيويورك تايمز" و "إنترناشونال هيرالد تربيون" و "يو اس ايه توداي" و "لوس انجلوس تايمز").

لأكثر من عشرين سنة في واشنطن، لم اكتب لصحف أمريكية، وذلك بسبب ضعف لغتي الإنجليزية، وبسبب عدم حماسي لموضوع معين أكتب فيه للأمريكيين.

لكن، بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، وبعد أن أعلن الرئيس السابق بوش الابن ما تسمى "الحرب ضد الإرهاب"، وبعد غزو أفغانستان والعراق، اقتنعت بأن هذه الحرب ليست إلا حربا غير مباشرة، وضمنية، ضد المسلمين، إن لم تكن ضد الإسلام.

وبسبب الغضب، والتوتر، والقلق، والإحباط الذي أصابني (وأيضا، القرآن الكريم الذي عدت إليه، وزاد ثقتي في نفسي)، بدأت أكتب في الصحف الأمريكية عن هذه المواضيع.

في نهاية كثير من المواضيع "تحديث"، عن تطورات في الموضوع حدثت بعد كتابة الجزء الرئيسي فيه. وفي بداية كل موضوع، صورة لها صلة به، بدون تفاصيل، فقط لتزيين الكتاب بمائة صورة للمائة موضوع.

هذا هو الجزء الأول من "دراسات في الثقافة الأمريكية"، لأني أواصل الدراسات، وأواصل جمع المعلومات (وأيضا، أواصل الكتابة في الصحف الأمريكية). وكل ذلك بتوفيق من الله.

محمد علي صالح

واشنطن، مارس 2013

في بتسبيرج (ولاية بنسلفانيا) : أعمدة الثقافة الأمريكية



جئت إلى هنا (في سنة 2004)، إلى قسم الدراسات الثقافية في جامعة بتسبيرج، لحضور المؤتمر السنوي لاتحاد الدراسات الثقافية. مركزة هنا، لكن، أعضاءه منتشرون في الجامعات الأمريكية التي فيها دراسات ثقافية. وكل سنة، يعقدون مؤتمرا في جامعة لمناقشة مختلف المواضيع الثقافية الأمريكية.

كنت، منذ سنوات، بدأت أكتب مواضيع عن الثقافة الأمريكية، لكن بدون تنسيق، وبدون تركيز. كانت مواضيع متفرقة عن الفن والأدب والرياضة وغيرها من مشاهداتي في الولايات المتحدة. لكن، بعد حضور مؤتمر اتحاد الدراسات الثقافية، عرفت أن الموضوع ليس مشاهدات عابرة. لكن، تتخصص فيه معاهد جامعية، وتهمتم جامعات عريقة، وتصدر عنه دوريات محترمة.

لهذا، بعد المؤتمر، بدأت أركز على الثقافة الأمريكية كمادة جادة، لا مجرد مشاهدة مسرحية، أو فيلم، أو مباراة. وكموضوع هام يصور هوية الأمريكي، وجوانبها، والتغييرات

فيها، ومستقبلها، وتأثيراتها العالمية عليها.

هذا بالإضافة إلى أنه خلال ثمانييات وتسعينيات القرن الماضي، بدأ مثقفون أمريكيون يناقشون مواضيع ثقافية سموها "الحروب الثقافية". هذا اسم محترم لما يراه الأمريكيون، مثقفون وغير مثقفين، تأثيرات أجنبية سلبية على الثقافة الأمريكية. منهم من يراها مفيدة، لكن أغلبيتهم تراها ضارة. بصورة عامة، ظهر قلق عام كان مخفيا أو متفرقا. لكن، هذا قلق طبيعي. تنظر كل الشعوب نظرة قلق نحو كل ما هو أجنبي، رغم أنها مثل الشعب الأميركي، تناقش محاسن ومساوئ هذا التأثير الأجنبي.

الحروب الثقافية:

من مواد "الحروب الثقافية" في الوقت الحاضر:

أولا: المهاجرون الأجانب. وخاصة من المكسيك. وخاصة الذين دخلوا الولايات المتحدة بطرق غير قانونية (يعتقد أن عددهم يزيد عن عشرة ملايين شخص). يدور النقاش عن مدي تأثير ثقافتهم الأجنبية على الثقافة الأمريكية. لأنهم مسيحيون، ليس الدين (أهم العوامل الثقافية) مشكلة كبيرة.

لكنها مشكلة فرعية لأنهم كلهم تقريبا مسيحيون كاثوليك، بينما أغلبية الأمريكيين مسيحية بروتستانتينية. لكن اللغة (ثاني أهم العوامل الثقافية) مشكلة كبيرة، لأنهم يحرصون على المحافظة على لغتهم الإسبانية. بل اجبروا كثيرا من المؤسسات الحكومية والخاصة على استعمال اللغة الإسبانية، بالاضافة إلى الإنجليزية.

ثانيا: المسلمون، خاصة بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001. يدور النقاش عن "غزو إسلامي" و "بدائية المسلمين" و "حكم الشريعة"، وعن تأثير ذلك على الثقافة الأمريكية. وليس القلق فقط بسبب المسلمين داخل أمريكا، ولكن، أيضا، بسبب المسلمين خارج الولايات المتحدة، بل بسبب الإسلام نفسه، والذي يظل ينشر، ليس فقط في أمريكا، ولكن في كل العالم تقريبا. وزاد النقاش عن هذه "الحرب الثقافية" خاصة بعد ما تسمى "الحرب ضد الإرهاب" التي أعلنها، بعد الهجوم، الرئيس السابق بوش الابن.

ثالثا: القيم الأخلاقية، خاصة التعري والإباحية. وخاصة في الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية. ويقول مثقفون أن هذا يهدد القيم التقليدية والتاريخية. يؤيد هؤلاء التطور الكبير للمرأة الأمريكية (مثلا: قبل مائة سنة تقريبا، كانت لا تصوت في الانتخابات، ولا تكشف على غير وجهها وشعر رأسها. وصارت الآن وزيرة، وترتدي المايوه في البلاج). لكن، يحذر هؤلاء من ما يسمونه "التعري المتطرف" و "الإباحية المتطرفة."

رابعا: يشمل النقاش الثقافي، أيضا، قلقاً على التغيير الكبير الذى تشهد المائدة الأمريكية، والتي تسببت (وتتسبب) في زيادة السمنة وسط الأميركيين والأميركيات. يشير القلقون إلى الإغراءات اليومية (خاصة إعلانات التلفزيون) التي تقدمها الشركات العملاقة التي تبيع المأكولات والمشروبات، وتدير المطاعم والمقاهي. وكتب برنت كاننغهام، رئيس تحرير دورية "كولمبيا جورناليزم ريفيو" (تصدر عن كلية الصحافة في جامعة كولمبيا): "يجب تشجيع بيع وشراء وأكل الأطعمة الطازجة والمحلية، بدلا عن المعلبة التي تأتي من أماكن بعيدة. الأولى أكثر صحية، وأحسن مذاقا، وأفضل أخلاقيا. نعم، للموضوع جانب أخلاقي، وهو أن أرباح الشركات والأغنياء يجب إلا تدمر الشعب والوطن."

جذور الثقافة الأمريكية:

آخر كتاب صدر عن الموضوع هو كتاب "أميركان وييز" (طرق أميركية). كتب فيه مؤلفه غاري الثين: "مثل ثقافات أخرى، لا تتغير أعمدة الثقافة الأميركية، لكن يتغير محتواها مع تغير الزمن." هذه طبعة جديدة من الكتاب. وكانت الطبعة الأولى صدرت قبل عشر سنوات. ويعرف مؤلفه كثيرا ليس فقط عن الثقافة الأمريكية، ولكن، أيضا، عن شرحها لغير الأمريكيين. وذلك لأنه كان، لثلاثين سنة، مستشار الطلاب الأجانب في جامعة أيوا. قال إن للثقافة الأمريكية جذورا، منها:

أولا: الأوروبية، وخاصة البريطانية، وخاصة اللغة والأدب والتقاليد.

ثانيا: الأميركية، وخاصة الديمقراطية والرأسمالية وحب العمل.

ولخص الكتاب الثقافة الأمريكية في خمس كلمات:

أول كلمة هي "فريدوم" (الحرية)، وتأثيراتها الفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية.

ثاني كلمة هي "إنديفيديواليزم" (الفردية). كل إنسان ملك، وكل منزل قلعة. بعد ذلك، تأتي مرحلة التواصل، والتعاون، وتأسيس الهياكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية. لكنها، كلها، من منطلق فردي.

ثالث كلمة هي "براكتيكاليتي" (العملية). ويعتبر بنجامين فرانكلين، أبا الاختراعات، وأبو الإبداع، أبوها أيضا. ركز على أن العمل فضيلة دينية. وإن الكسل والعطالة والفساد أشياء غير أخلاقية، قبل أن تكون مؤذية للتطور الاقتصادي.

رابع كلمة هي "باتريوتيزم" (الوطنية). يمكن القول أن الأمريكيين من أكثر الشعوب وطنية. لكن، تنتقدهم شعوب أخرى بأنهم يبالغون في وطنيتهم. ربما لأنهم الأقوى والأغنى والأكثر حرية في العالم، وليس لأنهم أكثر حبا لوطنهم من حب غيرهم لأوطانهم.

خامس كلمة هي "دايفيرسيتي" (التنوع). وسبب ذلك هو وجود الهنود الحمر منذ قبل مجيء الرجل الأبيض. ثم وجود الأفارقة السود منذ قبل استقلال أميركا. لكن، لم تصير الكلمة هامة إلا مؤخرا، بعد أن نال الهنود الحمر والسود كثيرا من الحقوق. ثم بعد زيادة موجات المهاجرين، وتعدد الأعراق والأديان والثقافات والجذور الوطنية.

اللغة والثقافة:

كتب بن بلاونت، أستاذ علم الاجتماع في جامعة جورجيا، في كتابه "اللغة والثقافة والمجتمع" أن اللغة هي أساس الثقافة (لكن يبدو أنه يجهل أو تجاهل أن الدين هو أساس الثقافة). رغم أن أميركا ليست عندها لغة رسمية، ظلت الإنجليزية هي لغتها.

لكن، مع زيادة موجات المهاجرين، وخاصة عشرات الملايين الذين يتكلمون اللغة الاسبانية، ظهرت "هسبانيفوبيا" (الخوف منها). ومؤخرا، أجازت أكثر من ثلاثين ولاية قوانين تجعل الإنجليزية لغة رسمية.

وفي "حرب اللغات" في الثقافة الأميركية، يوجد فريقان:

الأول: المتشائمون الخائفون من اللغة الاسبانية (مع عدم ارتياح للمهاجرين اللاتينيين).

الثاني: المتفائلون الذين يقولون أن اللغة الإنجليزية أكبر وأقوي. وأن المستقبل معها. ويشير هؤلاء إلى ما حدث خلال ربع القرن الماضي، عندما انتشرت الإنجليزية بفضل التلفزيونات الفضائية، والأفلام السينمائية، والمسلسلات التلفزيونية والإنترنت.

وكتب مؤخرا إدوارد كودي، مراسل صحيفة "واشنطن بوست" في باريس، أنه زار مصر مؤخرا، ولاحظ شيئين:

أولا: الجيل الجديد من المصريين يجيد اللغة الإنجليزية (انتهى عهد الترجمان الذي كان رمز التفاهم مع السواح الأجانب).

ثانيا: يتكلمونها بلكنة أميركية (بسبب تأثير الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية).

الأدب والثقافة:

بعد الدين واللغة، الأدب ركن هام من أركان الثقافة الأمريكية (واي ثقافة). مثلما طور الأمريكيون جوانب مختلفة للثقافة الأوربية، وخاصة البريطانية، طورا الأدب الأوربي.

ومن عمالقة الأدب الأمريكي: ناثانيال هوثورن، إدجار الان بو، هنرى ثورو، مارك توين، والت ويتمان، إيميلي ديكسون، فرجينيا وولف، سكوتز فتزجيرالد، أرنست همنغواي، تي إس اليوت، وليام فولكنار، توني موريسون.

طور الأميركيون الأدب البريطاني، ثم تفوقوا عليه.

وأشار كتاب "اللغة والثقافة والمجتمع" إلى أن اثني عشر أميركيا وأميركية فازوا بجائزة نوبل في الأدب (بالمقارنة مع ثلاثة بريطانيين). آخرهم هي السوداء توني موريسون، أول سوداء حازت على الجائزة.

واستفادت الثقافة الأدبية الأمريكية من التنوع والخلطة العرقية الأمريكية. بداية برواية مارك توين "هيكيلبيري فين" (عن أسود رقيق)، ونهاية برواية توني موريسون "أغنية النبي سليمان" (عن أسود حر).

واستفاد الأدب الأمريكي من الاكتشافات والتوسعات لنشر "سبيريت اوف أميركا" (روح أميركا). وظهر ذلك في كتب مثل كتاب جون سولوفان "مانفيست ديستيني" (وثيقة القدر)، في القرن التاسع عشر، عن التوسعات التي قضت على حضارة الهنود الحمر.

واستفاد الأدب الأمريكي من أفكار الحرية والديمقراطية. وظهر ذلك في روايات رالف هنرى ثورو (الذي ركز على الفردية والاستقلالية). وفي روايات رالف اميرسون (الذي ركز على التحرر من تفسيرات رجال الدين المتشددة).

في الوقت الحاضر، يستفيد الأدباء الأمريكيون مما تسمى "الحرب ضد الإرهاب" (بما في ذلك غزو واحتلال كل من أفغانستان والعراق). ويكتبون، خيرا وشرا، عن العرب والإسلام والمسلمين: روايات، وأشعارا، وسيناريوهات أفلام ومسلسلات تلفزيونية.

الدين والثقافة:

لا يمكن تقليل أهمية الدين في الثقافة الأميركية. ويمكن القول أنه أهم ركن فيها.

قبل ثلاث سنوات، أصدر مركز "بيو" للأبحاث والاستفتاءات، ورئاسته في واشنطن العاصمة، تقرير "نحن الأكثر (وسط الغربيين) في حب الدين." وجاء في التقرير أن الأميركيين أكثر الشعوب الغربية تدينا.

وللموضوع صلة باكتشاف الدنيا الجديدة بواسطة مسيحيين هربوا من سيطرة رجال الدين والأباطرة والملوك في أوربا القديمة. قبل ذلك، عندما اكتشف كريستوفر كولمبس الدنيا الجديدة، كان جاء لينشر المسيحية (وليس فقط بحثا عن طريق بهارات بحري قصير من الهند وجنوب آسيا إلى أوربا)

ولم تكن صدفة أن سفينته كان اسمها "سنت ماريا" (القديسة مريم). وكان اسم الثانية "سنت كلارا "(القديسة كلارا).

لكن، بقدرما يؤثر الدين على الثقافة الأمريكية، ينص الدستور الأمريكي على فصله عن السياسة.

عكس ما يقول البعض، يفصل الدستور الدين عن الحكومة، ولا يفصله عن الدولة. وذلك لأن الدولة الأمريكية تشمل الحكومة، والاقتصاد، والمجتمع، والثقافة. هذا بالإضافة إلى أن الدستور نفسه أشار إلى "الخالق" الذي خلق الأميركيين الذين كتبوا الدستور. وكتب أن "الخالق" يدعو، أول ما يدعو، للحرية.

في نفس الوقت، كتب الدستور، في التعديل الأول، أن الكونقرس "يجب إلا يصدر أي قانون عن تأسيس الدين."

لهذا، تشمل الحرية الدينية عدم الاعتراف بالدين، بل ونقده (لأن الكتب الدينية، أساسا، هي آراء، سواء بشرية أو ربانية).

ولهذا، في سنة 1966، سالت مجلة "تايم" على غلافها: "هل الله مات؟" ودل العنوان على شيئين على الأقل: أولا: حرية نقد الله. ثانيا: انخفاض أهمية الدين في المجتمع الأميركي.

ولهذا، في سنة 2007، أصدر الصحافي البريطاني الأميركي كريستوفر هيتشين كتاب "الله ليس أكبر". وشرح فيه الحادة. ولم يتظاهر أميركيون ضده، ولم يحلوا دمه، رغم أن كثيرا منهم انتقدوه.

الأعياد في الثقافة الأمريكية:

أولا: "ثانكزقيفنق" (عيد الشكر). أساسه وصول المهاجرين الأوائل إلى السواحل الأميركية. وطبخهم وليمة شكرا لله على سلامة وصولهم. ويعتبر عيد الشكر مناسبة ليجتمع أفراد العائلة. ويشهد سفرا بالطائرات مثلما لا يشهده أي يوم آخر. وفيه تركز البرامج والمسلسلات التلفزيونية وبقية الأجهزة الإعلامية على العلاقات العائلية.

ثانيا: "فورث أوف جولاي" (الرابع من يوليو) عيد الاستقلال. وبسبب الوطنية الأمريكية (ربما المبالغ فيها) ترفع الإعلام الأمريكية في كل مكان تقريبا. وتتنافس شركات أمريكية في رفع أكبر علم، أو أعلى علم (في بالونات عملاقة عالية). ويرتدي أمريكيون وأمريكيات ملابس عليها العلم. حتى ملابس داخلية، وحتى مايوهات سباحة. (وطبعا، أيضا يرتدون هذه الملابس في أيام أخرى).

ثالثا: "بريزيدنتس داي" (يوم الرؤساء). في الماضي، كان هناك يوم لذكرى أهم الرؤساء، مثل: جورج واشنطن وإبراهام لتكون. لكن، مؤخرا، تقرر جمعهم كلهم في يوم واحد. وتركز المقررات المدرسية عليهم. وبداية من سنة 1983، صار هناك يوم تذكاري لمارتن لوثر كينغ، الزعيم الأسود الذي قاد حركة الحقوق المدنية في خمسينات وستينات القرن الماضي. ويوضح اليوم التذكاري رغبة الأمريكيين في نسيان ماضي تجارة الرقيق واستغلال الزنوج.

رابعا: "فيتيرانز داي" (يوم المحاربين القدماء). ويخلد فيه الأمريكيون ذكرى ضحايا الحرب الأهلية، والحربين العالميتين الأولى والثانية وحرب كوريا وحرب فيتنام وحرب العراق وحرب أفغانستان. لهذا، يمكن القول أن الحروب صارت جزءا من الثقافة الأمريكية. بسبب أفلامها، ورواياتها، وكتبها، ومسرحياتها، ومسلسلاتها التلفزيونية. ولأن الأمريكيين لم ينتصروا في حرب فيتنام، يحاولون نسيانها. لكنهم يرون أن الجنود الأميركيين الذين قتلوا فيها، على أي حال، ضحوا في سبيل وطنهم.

الآن، يفعل الأميركيون نفس الشيء بالنسبة لحروب الإرهاب، والعراق، وأفغانستان.

خامسا: يوم كريستوفر كولمبس، مكتشف الدنيا الجديدة. في الماضي، كان عيدا للمهاجرين من إيطاليا (وطن كريستوفر الأصلي). لكن في وقت لاحق، صار يوما للمهاجرين من كل مكان. ويظهر ذلك في احتفال نيويورك السنوي حيث تسير مواكب جاليات مختلفة (أكثر من نصف سكان نيويورك مهاجرون).

الطعام والرياضة:

مثلما صار الأمريكيون أمة من المهاجرين، صار طعامهم خليطا من أطعمة شعوب أخرى، ثم صاروا يصدرونه إلى الخارج أمركوا "بتزا" إيطاليا، وينشرونها في العالم. وأمركوا "تاكو" المكسيك، وينشرونها في العالم. وأمركوا "فرنش فرايز" (بطاطس فرنسية مقلية)، وينشرونها في العالم. ومنذ تسعينيات القرن الماضي، أمركت شركة "ستارباك" المقاهي الشعبية، وتنشرها في العالم. حتى في اليمن، حيث بدأت القهوة.

وفي مجال الألعاب الرياضية، أخذ الأمريكيون بعضها من أوربا، وخاصة بريطانيا، مثل كرة القدم. لكن طور الأمريكيون رياضيات خاصة بهم. مثل:

اولا: "فوتبول" (كرة القدم. لكنها كرة يد أكثر منها كرة قدم).

ثانيا: "بيسبول" (كرة القواعد. رغم أن الفرنسيين في القرن الرابع عشر كانوا يلعبون لعبة مماثلة).

ثالثا: "باسكبتول" (كرة السلة. في سنة 1891، اكتشفها مدرس رياضة أميركي. لاحظ أن تلاميذه سئموا الألعاب الرياضية التي كانوا يلعبونها، ووضع حلقة على الحائط ليحاول التلاميذ رمي الكرة داخلها من مسافات متفاوتة).

وأخيرا:

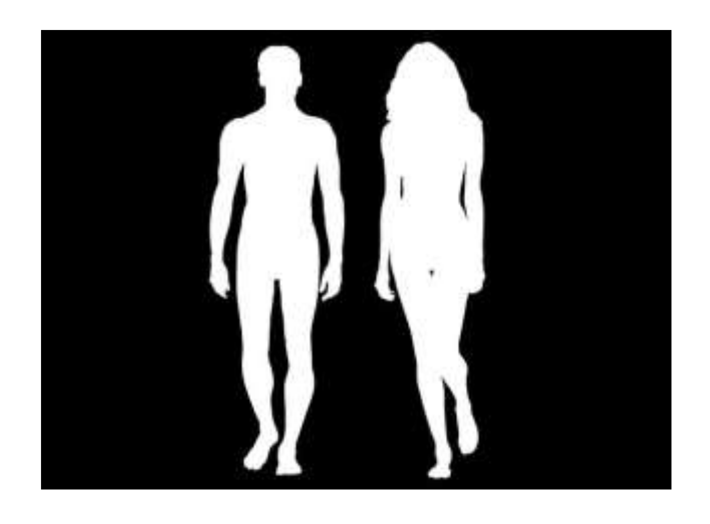
بعد سنوات من زيارتي لجامعة بتسبيرج (ولاية بنسلفانيا)، وحضور مؤتمر أعمدة الثقافة الأمريكية، تابعت تطور التكنولوجيا الأمريكية، وتظل تبهرني. واستطيع أن اختم هذا الموضوع بملاحظة أن التكنولوجيا الأمريكية هي نفسها جزء من الثقافة الأمريكية، لأنها:

أولا: من ثمار هذه الثقافة التي تشجع الحرية والإبداع.

ثانيا: تقوى الهوية والوطنية الأمريكية.

ثالثا: تنشر الثقافة الأميركية حول العالم.

في ناشيونال مول (الميدان الوطني) ، واشنطن: التعري : فن أو جنس؟



في أول يوم عملى في واشنطن، في سبتمبر سنة 1979، زرت مبنى الكونجرس لحضور جلسة لمجلس الشيوخ. قبل ذلك، كنت زرت الكونجرس زيارتين عابرتين:

أولا: في سنة 1972، عندما زرت الولايات المتحدة مع عشرين صحافيا أجنبيا بدعوة من وزارة الخارجية الأميركية، وكنت وقتها مديرا للقسم الخارجي في صحيفة "الصحافة" السودانية في الخرطوم.

ثانيا: في سنة 1976، عندما كنت طالب دراسات عليا في كلية الصحافة في جامعة إنديانا، وجئت إلى واشنطن في زيارة نصفها سياحة ونصفها صحافة.

في اليوم الذي زرت فيه الكونقرس سنة 1979، حضرت جلسة كاملة لمجلس الشيوخ، جعتني أنبهر أكثر بالحرية الأمريكية. وجعلتني أؤمن إيمانا (سيزيد خلال السنوات التالية) بان الأمريكيين هم أكثر شعب حر في تاريخ العالم.

خرجت من مبنى الكونقرس (على الشارع الأول) ومشيت نحو مكتبي في مبنى الصحافة الوطني (على الشارع الرابع عشر) الذي يقع على مسافة شارعين من البيت الأبيض (على الشارع السادس عشر).

مشيت عبر "ناشونال مول" (الميدان الوطني) الذي يمتد من الكونقرش شرقا إلى تمثال الرئيس إبراهام لتكون غربا، مارا بالبيت الأبيض وبالنصب التذكاري للرئيس جورج واشنطن.

في الميدان، شاهد نوعا آخرا من الحرية الأمريكية. ليست حرية الكلام، ولكن حرية اللبس. منذ أول يوم في واشنطن، بدأت أكتب مذكرات يومية مختصرة. لم تكن صفحات وصفحات. في بداية كل سنة، اشترى مفكرة جيب صغيرة، وأدون فيها مواعيدي وبرامجي، وأيضا انطباعات قصيرة. في ذلك اليوم كتبت: "صدمة حضارية في الكونقرس، حيث أهم مكان نقاش في تاريخ العالم. وصدمة حضارية في ميدان "المول"، حيث أجمل بنات العالم."

كان اليوم ربيعيا ساطع الشمس. وأثارني منظر البنات الجميلات، ليس فقط لكثرة عددهن، ولكن، أيضا، لكشف عدد كثير منهن لأجزاء كبيرة من أجسادهن. بعد شهور الشتاء القاسية، والملابس الثقيلة، بدأ بعضهن يلبس "شورت أند شيرت". يكشف "الشورت" الفخذين، ويكشف "الشيرت" (القميص الخفيف) أعلى النهدين. بنات يمشين، ويجرين، ويلعبن، ويرقصن، ويضحكن، ولا يبدو أبدا أنهن مهتمات بنظرات الناس إليهم، ناهيك عن رأي الناس في ملابسهن.

لهذا، حيرني شيئان: أولا: شبه تعريهن. ثانيا: عدم اهتمامهن بذلك.

بعد الإثارة، الحيرة. وبعد الحيرة، التأمل.

صور وتماثيل عارية:

في طريقى إلى مكتبي، مررت أمام "ناشونال قالاري اوف ارت" (معرض الفن الوطني). هذا واحد من مجموعة متاحف "سميثونيان" العملاقة، المتراصة، واحدة بعد الأخرى، على طول "ناشونال مول". منها: "سبيس ميوزيام" (متحف الفضاء) و"ناشونال هيستوري ميوزيام" (متحف التاريخ الطبيعي) و "ميوزيام أوف اميركان هيستوري" (متحف التاريخ الأميركي).

كنت زرت هذه المتاحف الثلاثة في زيارات سابقة إلى واشنطن. وهذه المرة، دخلت متحف الفنون، وقضيت ساعتين تقريبا. وكأني أبحث إجابات على السؤال الذي ظل يؤرقني لعشرات السنين في أمريكا: هل التعري جنس أو فن؟

توجد في المتحف لوحات وتماثيل أروبية وأميركية. يعود بعضها إلى أكثر من أربعمائة سنة. وركزت أنا على تماثيل وصور نساء عاريات، وشبه عاريات. وحاولت الربط بين التعرى وشبه التعري داخل المتحف والتعري وشبه التعرى خارجه.

ومن المفارقات أن نساء شبه عاريات دخلن المتحف ليتفرجن على صور وتماثيل نساء عاريات أو شبه عاريات. وسألت نفسي: "ما هو التعري؟" هل هو كشف المرأة لرجليها؟ لفخذيها؟ لنهديها؟ وهل تمثال امرأة تكشف عن فخذيها هو مثل واحدة من الأميركيات حولى تكشف فخذيها؟

طبعا، لست وحدي.

يرى الرجل المرأة الجميلة، فتثيره. لكن، ينظر هذا المتحف إلى الموضوع نظرة مختلفة. هذا ليس متحف جنس، ولا حتى متحف فن جنسي، ولكنه متحف فن من أجل الفن.

فيما بعد، وخلال سنوات كثيرة، تطورت نظرتي إلى التعرى (او شبه التعري) وسط الأمريكيات، أنا ابن القرية المحافظة جدا (قرية "وادي حاج"، قرب ارقو، على نهر النيل، في شمال السودان، جنوب الحدود مع مصر). هناك، لا تكشف المرأة غير وجهها وقدميها ويديها.

خلفية تاريخية:

استفدت من أكثر من كتاب لزيادة معلوماتي عن هذا الموضوع. وأهم كتاب هو "سكوشال بيهيفيار" (التصرف الجنسي) الذي أصدره معهد كينزي في جامعة إنديانا. لم يكن هذا المعهد غريبا على لأني درست الصحافة في نفس الجامعة (خلال النصف الأول من السبعينات). وحقيقة، مرات كثيرة زرت المتحف التابع للمركز. وكانت تلك أول مرة أعرف فيها أن الجنس موضوع أكاديمي أيضا.

يعرف القاموس "نوديتي" (التعري) بأنه "عدم لبس ملابس." ويربط بينه وبين "سكشواليتي" (الجنس).

وتعتمد نظرة الناس إلى التعري، وإلى علاقته بالجنس، على ثقافاتاتهم، وعاداتهم.

ويوجد فرق بين التعري الذي يستر الأعضاء التناسلية، والذي لا يسترها. ويوجد فرق بين التعري المتعمد للإثارة الجنسية (مثل بائعات الهوى) والتعري بدون هدف جنسي (مثل تعري موديلات الرسامين، وتعري نساء في مظاهرات احتجاجية).

لكن، ليس سهلا إثبات أن هدف الرسام ليس جنسيا، وان المظاهرة خالية من أي محتوى جنسي.

وليس سهلا إثبات أن هدف التعري يمكن أن يكون عملا خيريا، وليس جنسيا (مثل بيع تقويم سنوي عليه صور نساء عاريات، أو شبه عاريات، بهدف جمع تبرعات لجمعية خيرية).

وليس سهلا إنكار الإثارة الجنسية في إعلانات الصحف والتلفزيون التي تستخدم نساء عاريات أو شبه عاريات (مثل إعلانات السيارات، والعطور والملابس النسائية).

أول لوحات عاريات:

أول لوحات لنساء عاريات، أو شبه عاريات، رسمها الإنسان كانت لها صلة بالعقائد والأديان.

وطبعا، كان الإنسان الأول (في إفريقيا، قبل 20000 سنة) عاريا. وربما كل رسومات آدم وحواء في الجنة جعلتهما عاريين. من أوائل لوحات الغربيين لهما لا تزال موجودة في متحف في ألمانيا. رسمها الفنان الألماني هانز بيهام سنة 1452. وكتب: "لم يكن التعري هو الخطيئة الأولى. كان أكل التفاحة (إغراء الشيطان) هو الخطيئة الأولى."

وتتحدث الكتب السماوية عن التعري:

في التوراة (العهد القديم)، فصل "نشيد الإنشاد"، وفيه وصف مثير لامرأة عارية تماما، تدعو حبيبها ل "يستكشف حديقتي." وربط "سفر ازايا" التعري بالعيب والفضيحة. وقال: "قاد ملك الاشيوريون سجناء مصر، وأسري إثيوبيا، كبارا وصغار، عرايا وحفايا، ومؤخراتهم مكشوفة، عارا على مصر." وحسب طقوس يهودية، يجب أن يتعرى الرجل، أو المرأة، في "ميكفا" (حمام الاعتناق الرسمي لليهودية).

وفي الإنجيل (العهد الجديد،) تركيز على وصايا عيسى المسيح بالتستر، والتأدب، والتحشم، والتعفف. وحسب طقوس مسيحية قديمة، يجب أن يتعرى الرجل، أو المرأة، في "بابتيزم" (الاعتناق الرسمي للمسيحية). وبعد النهضة الفنية التي صاحبت "ريناسانس" (عصر النهضة في أرويا)، شجعت كنائس فنانين لرسم لوحات دينية في داخلها، منها لوحات عن ناس عند خلق العالم، وفي يوم القيامة، يقفون أمام الله (وفيها نساء عاريات او شبه عاريات).

وطبعا، جاء القرآن الكريم، وحسم الموضوع، ووضع قوانين صارمة للتعري والتزين.

وفي القرآن آيات كثيرة عن هذا الموضوع. منها:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ و ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ﴾

اليونانيون والمصريون:

كان قدماء اليونانيين يمارسون الرياضة وهم عرايا. واصل كلمة "جمنازيوم" (ملعب) هو مكان "تدريب العرايا". لكنهم منعوا النساء ليس فقط من التعري، ولكن حتى من مشاهدة تدريبات الرجال العرايا. وتوضح بقايا رسوم أول العاب أولمبية، قبل ثلاثة آلاف سنة، مصارعين وملاكمين يتنافسون وهم عرايا.

وكان تعرى قدماء اليونانيين جزءا من عباداتهم. مثل أن يقول العريان: "ها أنذا كما خلقنى الإله". وكانوا يقدمون جوائز الألعاب الاولمبية داخل معابد دينية، وهم عرايا.

وفي مصر، توجد تماثيل ورسومات من عهد الفراعنة لبنات عاريات. مثل التي في معبد في طيبه عن طقوس تعود إلى قرابة ألفي سنة قبل ميلاد المسيح، وفيها بنات عاريات يرقصن. ويقال إن "عروس النيل" التي كان يلقيها الفراعنة في نهر النيل، تبركا، كانت عارية.

الرومان:

نشر الرومان الحمامات العامة. لكنهم فصلوا الرجال عن النساء. وعاقبوا الذين تعروا خارج الحمامات.

لكنهم لم يحرصوا على تطبيق هذه العفة على الخدم، والرقيق، والأجانب. كان السجناء عرايا، وكان المصارعون (غلاديتورز) عرايا، وكان الذين يصارعون الأسود والنمور (وتأكلهم) عرايا.

ومثلما نحت اليونانيون "افروديت"، آلهة الحب، عارية، نحت الرومان "فينوس"، آلهة الحب، عارية. وكان الرومان يؤمنون بأن التعري يدل على الجمال الروحي النقي.

وكان النحات الايطالي مايكل انجلو (توفى سنة 1564) من أشهر الذين ربطوا بين التعري والروحانيات. قال إنه يريد أن يبرهن على "تقديس النقاء والصفاء." وأكد ذلك في رسوماته:

أولا: رسم النبي داوود عاريا (يوجد التمثال الآن في فلورنسا في ايطاليا).

ثانيا: رسم سقف كنيسة في سيستين، في إيطاليا (لا يزال باقيا)، وفيه 400 شخصية من التوراة والإنجيل، بعضهم عرايا، وبعضهم شبه عرايا.

ثالثا: رسم آدم وحواء، وجنات عدن، وعرايا في فيضان نوح، وعرايا خرجوا مع موسى من مصر إلى فلسطين.

وفعل زميله النحات الإيطالي رفائيل (توفي سنة 1520) نفس الشيء، وربط بين التعري والتدين. وكتب أن البابوات يعمدون مسيحيين بإغراقهم في الماء وهم عرايا، ولهذا، لابد أن هناك صلة بين التعري والنقاء الديني. لكنه، أحيانا، تجاهل التدين، وركز على جمال الأنثى، مثل عندما رسم "لافورنايرا" ذات النهدين المكشوفين.

الإسكندنافيون:

وخلال مئات السنين، قل التعري في جنوب أروبا، وزاد في شمالها (بسبب انخفاض نفوذ الكنيسة الكاثوليكية).

وخلال العصر الفكتوري، أعلنت بريطانيا أن التعري خطيئة. حتى تعرى الرجل، وكشف سرته، وثدييه (ناهيك عن كشف سرة المرأة وثدييها).

لكن، مع نظريات النقاء العرقي في القرن التاسع عشر، ومع تمجيد (بل تقديس) اللون الأبيض، عاد تعري الرجال والنساء إلى ألمانيا ودول في شمال أوربا. وكان الهدف هو إثبات أن الجسم الأبيض الرياضي الرشيق والأنيق (رجالا ونساء) هو الأحسن.

ثم شجعت النازية "ثقافة الجسد" لإثبات نقاء الجنس الآري.

في الجانب الآخر، كان التعري طبيعيا في إفريقيا. وحتى اليوم، يوجد رجال ونساء يسيرون عرايا. وحتى وسط الذين يلبسون ملابس، توجد طقوس واحتفالات تظهر فيها النساء عاريات، خاصة الفتيات عندما يصلن سن الزواج.

وفي البرازيل، من بقايا عادات أفريقية، وعادات من الهنود الحمر، تظهر في احتفالات الزواج فتيات في سن الزواج وهن عاريات بهدف عرضن على الرجال ليتزوجوهن.

ابن فضلان:

في القرن العاشر الميلادي، كتب أحمد بن فضلان عن رحلاته إلى روسيا وشمال أوربا. وأشارت إلى نساء "طوال مثل أشجار النخيل"، شعورهن شقراء، وتنبعث منهن روائح كريهة، ويتبولن أمام الرجال، ويمشين عاريات.

وكتب ابن بطوطة (توفي سنة 1369) عن زيارته إلى بلاد السودان (مالي): "من عاداتهم القبيحة، أن النساء الخادمات، والنساء الرقيق، والفتيات صغيرات السن، يمشين أمام كل واحد عاريات. بدون أي قطعة ملابس عليهن. وتدخل النساء قاعة السلطان وهن عاريات، بدون أي غطاء. وحتى بنات السلطان، يمشين أمامه عاريات."

وفي سنة 1912، بعد أن أحيا الأوربيون منافسات الألعاب الاولمبية، استضافت السويد المنافسات، ووزعت ملصقات عليها صور رجال عرايا يحملون أعلام بلادهم. وقال السويديون أن قدماء اليونانيين هم الذين ربطوا بين التعري والرياضة.

وفي سنة 1948، فعل البريطانيون نفس الشيء عندما استضافوا الدورة الأولمبية. لكن، كانت تلك آخر مرة توزع فيها ملصقات فيها صور عارية عن الألعاب الأولمبية.

وقاد الأمريكيون الحملة ضدها في ذلك الوقت.

التعري الأمريكي:

في الوقت الحاضر، يكثر الأمريكيون الحديث عن "التعري الاجتماعي"، وكأنهم يريدون فصله عن التعري الجنسي. يقولون إن جسد المرأة يمكن أن يكون فنا، أو علما، أو أدبا، ولكن ليس بالضرورة لهدف جنسي. يمكن أن يكون عقلانيا، وواقعيا (وليس عاطفيا، ومثيرا). كأنهم يقولون: "انظر إلى جسد المرأة كشيء جميل، لا شيء مثير. كفن، لا كجنس."

وقسم الأمريكيون التعري إلى:

أولا، تعري الجماعة: مثلما في معسكرات العراة. يقول أصحابها إن الهدف هو العودة إلى الطبيعة. واثبات أن شبه التعري أكثر إثارة جنسية من التعري الكامل. وان تعود الرجل على تعري المرأة يقلل من إثارته جنسيا.

ثانيا: تعري الأفراد. مثل أندرو مارتنيز. كان طالبا في جامعة كليفورنيا (في بيركلي)عندما قرر أن يعيش عاريا، ويذهب إلى المحاضرات عاريا، وهو يحمل حقيبة كتبه، ويلبس حذاءه، ويضع نظارته فوق عينيه. اعتقلته الشرطة أول مرة، لكن القاضي قال: "لا يخالف التعري، في حد ذاته، القانون. لكن، يخالف السلوك المشين القانون."

وفرح مارتينيز، وقال مؤكدا: "الجسد العاري لوحة فنية مقدسة."

وأيدته ناعومي وولف. وسألت: "إذا كان جسد الرجل العاري لوحة فنية مقدسة، لماذا، اذن، لا ينظر الرجل إلى جسد المرأة العارية كلوحة فنية مقدسة؟ لماذا ينظر إليه كشيء مثير جنسيا؟" نعومي وولف كاتبة أنثوية تقدمية، وكتبت كتاب "بيوتي ميث" (خرافة الجمال: كيف يستغل الرجل مقاييس الجمال لاضطهاد المرأة).

وقالت إن الرجال، وشركات الإعلانات، وناشري الصحف والمجلات يسيئون إلى جسد المرأة بالتركيز عليه في إعلاناتهم، وصورهم، ودعاياتهم. ونصحت النساء في الكتاب: "يجب أن نسيطر على أجسادنا بدون رقيب أو حسيب، وبدون وضع اعتبار للضغوط الاجتماعية والسياسية، وبدون اضطهاد في مكان العمل، وبيت العبادة، وسرير النوم."

"ستريبتيز":

وأشار كتاب "خرافة الجمال" إلى أنه، قبل أكثر من خمسين سنة، ظهر "ستريبتيز" كفن، وليس كإثارة جنسية.

لكن، ربما لم يكن ذلك صحيحا، لأن كلمة "ستريبتيز" تتكون من جزئين: "ستريب" ومعناها "خلع الملابس"، و"تيز" ومعناها "إغراء". أي إنه، حتى إذا كان فنا بالنسبة للمرأة التي تقوم به، فهو إغراء جنسي (أو ربما) بالنسبة للرجل الذي يشاهده.

ودافع قادة الحركة النسائية الأمريكية عن "تعري اجتماعي" آخر. وهو كشف الأم نهديها عندما ترضع طفلها في مكان عام (حافلة، أو طائرة). ومؤخرا، زادت الظاهرة، ربما إيمانا بها، وربما لتحدي المعارضين، وربما حتى مع غمزات جنسية.

يعتبر القانون الأميركي، عكس قوانين دول أوربية، كشف النهدين جريمة.

لكن، قالت محكمة في كندا، أن كشف النهدين لا يعارض القانون.

وأشار كتاب "خرافة الجمال" إلى تعري قبائل في إفريقيا، وقال: إنهم لا ينظرون إلى أجسام بعضهم البعض نظرة جنسية. واعتبر الكتاب ذلك "قمة التحضر وسط الأحراش."

مجلات رياضية:

الآن، لا تنشر الصحف والمجلات المحترمة صور بنات عاريات. لكن، تنشر مجلة "سبورتز اليستريتد" الرياضية المحترمة، كل سنة، صور بنات بالمايوهات (بمناسبة بداية فصل الربيع).

ومرة، نشرت صورهن بدون "براسيرز" (حمالة نهدين). ثم مرة، نشرت صورهن عاريات، لكنهن ملطخات ببوهية ملونة، وكأنهن يرتدين مايوهات. واحتج كثير من الناس. لكن، ليس سرا أن كل قراء المجلة، تقريبا، من الرجال.

ومنذ مظاهرات تحرر المرأة والحقوق المدنية (في ستينات القرن الماضي) صار عدم لبس حمالة النهدين من علامات تحرر المرأة الأمريكية

وأشار كتاب "خرافة الجمال" إلى نقطتين:

أولا، يوجد "تعري" أكثر في قلة الملابس عنه في عدمها. وأن بنتا تلبس مايوها قرب حوض سباحة، أو على بلاج، تثير الرجل أكثر من بنت في معسكر عرايا.

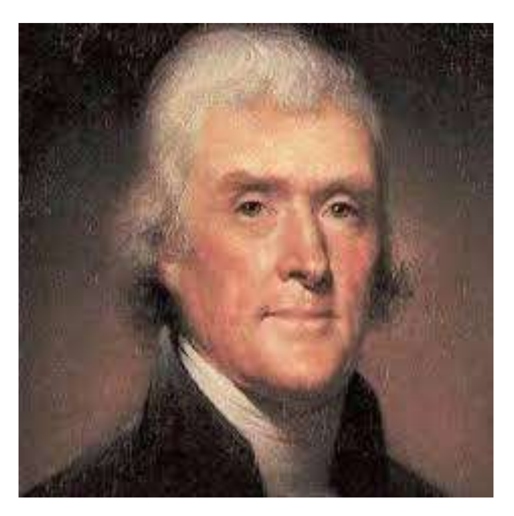
ثانيا، كلما زاد التعري حول الرجل، كلما تعود عليه. نعم، يمكن أن يفسر تعري المرأة كدعوة جنسية للرجل، لكن ربما لا يكون هذا هو قصد المرأة.

وأخيرا:

قال الكتاب، وكأنه يجيب على عواطفي الهائجة ثم حيرتي القاتلة، وانا أتجول في "ناشونال مول" في سنة 1979: "ربما قصد البنت من التعري، او شبه التعري، هو أن تثبت أنها حرة في أن تفعل ما تريد. وإنها تتعمد التمرد على التقاليد (والأديان) التي جعلت جسد المرأة عيبا، أو حراما. "

عند قبر جون وينثروب (ولاية ماساجوستس):

دولة مسيحية



جئت إلى هنا سنة 1985 لزيارة قبر جون وينثروب، أبو نظرية "أمريكان اكسبشيناليزم" (الاستثنائية الأمريكية).

زرت مدينة بوسطن (عاصمة ولاية ماساجوستس) وأنا في طريقى إلى جامعة هارفارد، لحضور مؤتمر خريجي الجامعات الأمريكيين العرب.

وكنت أقرأ دليلا سياحيا لمدينة بوسطن. وعرفت أن فيها مقابر"كنقز شابل" (كنيسة الملك). هذه واحدة من أوائل المقابر في أمريكا. وفيها دفن مشاهير من المهاجرين، وحكام المستعمرات، والمتمردون على الاستعمار البريطاني، وقادة الحركة الوطنية. ومنهم جون وينثروب.

في نفس المقبرة، دفن جون وينثروب الصغير، الذي صار حاكما لمستعمرة كونيتيكات (الآن ولاية كونيتيكات)، وآخرون من عائلة وينثروب.

***

ما هي الاستثنائية الأمريكية؟:

ملخصها نقطتان:

أولا: الولايات المتحدة هي أكثر دولة حرة، ليس فقط في كل العالم، ولكن، أيضا، في تاريخ العالم. ولهذا، يجب عليها أن تنشر الحرية في العالم مثلما لا يجب على أي دولة أخرى. وهي في هذا مستثناة عن بقية دول العالم.

ثانيا: الولايات المتحدة ليست دولة مسيحية، لأن الدستور يفصل بين الدين والدولة. لكنها تأسست على قواعد مسيحية. لهذا، حتى اليوم، لا يقول مسؤول أمريكي أن نشر الحرية في العالم مطابق لنشر المسيحية. لكنه يمكن أن يقول ما معناه ذلك.

لماذا زرت قبر جون وينثروب؟

جئت إلى واشنطن سنة 1980 في وظيفتي الحالية صحفيا متفرغا. وبعد خمس سنوات، بدأت أحس بأني انشغلت بجمع الأخبار وإجراء المقابلات، ولم اهتم أكثر بأسس الحضارة الأميركية التي وجدت نفسي في قلبها. وبدأت أسأل نفسي: ما هو سر أمريكا؟ ما هو سر الحرية، والتفوق، والإبداع؟ ما هو سر العمل الدؤوب؟ وما هو سر الفردية والخصوصية؟

لاحظت:

أولا: يستعمل الأمريكيون عبارة "سبيريت أوف اميركا" (روح أمريكا) لوصف القوة الخفية التي تدفعهم، وتدفع بلدهم. ثانيا: تشير هذه العبارة، بصورة غير مباشرة، إلى مسيحيتهم. ليس إلى المؤسسة المسيحية المتملثة في الكنائس والقادة المسيحيين، ولكن إلى روح المسيحية.

واقتنعت بأنه، مثلما أن الإيمان هو أساس هوية الشخص (إيمان بالنفس، أو بالله، أو بخالق،أو ببقرة، أو بصنم)، لابد أن يكون الإيمان هو أساس هوية الشعب.

ورغم أن الأمريكيين فصلوا الدين عن الحكومة، لم يفصلوه عن الدولة. والدولة الأمريكية كانت وتظل دولة مسيحية في الأساس.

وتظهر مسيحية أمريكا في إعلان الاستقلال. وفي الصلاة التي يبدأ بها الكونقرس جلساته. وفي دعاء "ليحفظ الله أمريكا" الذي يختم به الرؤساء خطبهم الرسمية. وفي كتابة اسم "الله" على العملات المعدنية والورقية،

وتظهر مسيحية أمريكا، أيضا، في تاريخها. في أول مستعمرة في الدنيا الجديدة: بلايموث (قرب بوسطن، في ولاية ماساجوستس). وفي ثاني مستعمرة: ماساجوستس (التي سميت الولاية باسمها في وقت لاحق).

جون وينثروب:

أسس المستعمرة الثانية جون وينثروب، وصار أول حاكم لها سنة 1630 (بعد أقل من نصف قرن من اكتشاف الدنيا الجديدة). وكان جاء مع مهاجرين آخرين من بريطانيا، هروبا من ملوك بريطانيا، ومن تحالفهم غير المقدس مع رجال الدين.

لم يكن رجل دين، لكنه كان متدينا. كان محاميا غنيا، ومن عائلة غنية. وقاد مظاهرات في بريطانيا، وبعد أن اعتقل مرات، أعلن أنه سوف يمول أول هجرة إلى الدنيا الجديدة، "هروبا من طغيان الملوك، ومن نفاق رجال الدين."

وما كان وينثروب يشتهر لولا عبارة استعملها صارت رمز وأساس الهوية المسيحية للولايات المتحدة. هذه هي عبارة "سيتي أبون هيل" (مدينة على تل). أخذها من الإنجيل. من آخر خطبة ألقاها عيسى المسيح على حواريه قبل صلبه. وفيها قال: "أنتم نور العالم. لا يمكن إخفاء المدينة التي تقع على تل. "

قال وينثروب هذه العبارة في سنة 1630، عندما وصلت "اربيلا"، سفينة المهاجرين، إلى ساحل ولاية ماساجوستس الحالية. عندما رست السفينة، ألقى خطبة عنوانها: "نموذج العمل الخيري المسيحي." وقال أن اول مستعمرة سيبنونها ستكون "مدينة على تل"، على خطا عيسى المسيح. وستكون رائدة لمدن أخرى حول العالم.

فصل الدين عن الحكومة:

عندما فصل الدستور الأمريكي بين الدين والحكومة، ولم يفصل بين الدين والدولة، استعمل كلمة "ستيت". هذ تعني الحكومة أكثر مما تعنى الدولة (الكيان الحضاري والشخصية الكاملة). رغم أنها يمكن أن تعني دولة، مثل "تيروريست ستيت" (دولة إرهابية). ويمكن أن تعني ولاية، مثل "يونايتد ستيتز" (الولايات المتحدة).

لكن، يوضح الدستور الأمريكي أن الحكومة (لا الدولة) مقسمة إلى ثلاث سلطات: الكونقرس (المشرع) والرئيس (المنفذ) والقضاة (المستقل).

في الجانب الآخر، الدولة هي كل الكيان الأميركي: دين، وثقافة، وتاريخ، وجغرافيا، وسياسة، واقتصاد، وعلوم وآداب.

بسبب فصل الدين عن الحكومة، يتحاشى الحكام والسياسيون الإشارة إلى أن الولايات المتحدة دولة مسيحية. لكنهم يشيرون إلى ذلك بطرق غير مباشرة. ويستعملون عبارات معينة صارت جزءا من التاريخ الأمريكي، مثل:

أولا: "أميركان اكسبشيناليزم" (الاستثنائية الأمريكية).

ثانيا: "سيتي أون ذا هيل" (مدينة على التل).

وأشار إليها بعض الرؤساء:

في سنة 1961، قال الرئيس جون كنيدي، في خطاب جماهيري: "أنا أسترشد بخطاب جون وينثروب في السفينة "اربيلا"، عندما قال: "يجب دائما أن نكون مدينة على تل. عيون كل الناس تنظر إلينا." اليوم، نعم، عيون كل الناس تنظر إلينا. رحلتنا في هذه السنة، سنة 1961 لا تقل أهمية وصعوبة من رحلة السفينة "أربيلا" سنة 1630. يجب أن تكون الحكومة الفدرالية، وحكومات الولايات والمقاطعات والمدن كلها مدينة على تل."

وفي سنة 1984، ألقى الرئيس رونالد ريقان خطابا أمام المؤتمر الوطني للحزب الجمهوري قال فيه: "كل حياتي، ظللت أدعو إلى مدينة على التل. أراها مدينة فخورة وعملاقة، بنيت على حجارة أقوى من المحيطات، وأقوى من الأعاصير، ويرعاها الله."

وفي سنة 1997، كتب مايكل ريقان، ابن الرئيس ريقان كتاب ذكريات عن والده اسمه: "مدينة على التل: تنفيذ حلم رونالد ريقان لأميركا."

الدين والدستور:

في إعلان الاستقلال (سنة 1776)، تقول المادة الثانية: "نحن نؤمن بحقائق نراها تبرهن على نفسها، وهي أن كل الناس خلقوا متساوين، وأن خالقهم منحهم حقوقا لا تنزع منهم، منها حقوق الحياة، والحرية، والبحث عن السعادة."

وهذه الجملة الأخيرة من وثيقة الحقوق الأميركية التي أضيفت إلى الدستور الأمريكي سنة 1791 (بعد خمس وعشرين سنة من استقلال الولايات المتحدة). والوثيقة تتكون من عشرة تعديلات أضيفت إلى الدستور. منها التعديل الأول الذي فصل الدين عن الحكومة، والذي يقول: "لا يسن الكونقرس أي قانون عن تأسيس دين، أو يمنع الممارسة الحرة له." وهكذا، نلاحظ أن إعلان الاستقلال يؤمن بالدين. والدستور يفصل الدين عن الحكومة. ربما يبدو هذا تناقضا. لكنه، في الحقيقة، وحسب ما قال توماس جفرسون (كاتب إعلان الاستقلال)، ليس كذلك. قال: "سبب الفصل هو اختلاف تفسير الناس للدين. (كأنه يقول أن الفصل سينتهي عندما يتفق الناس على تفسير معين للدين. ربما بعد ألف سنة، وربما بعد عشرة آلاف سنة، وربما بعد مليون سنة).

خلال فترة الغموض الدستوري، من إعلان الدستور وحتى وضع التعديل الأول فيه، قاد رجال دين دعوة قوية لإعلان الولايات المتحدة دولة مسيحية. وأعلنت بعض الولايات في دساتيرها أنها، فعلا، مسيحية. لكن، قاد توماس جفرسون (كاتب إعلان الاستقلال)، وجيمس ماديسون (كاتب وثيقة الحقوق، واشترك كتابة الدستور) حملة مضادة، وانتصرا على معارضيهما. وفرضا الدستور الفدرالي على دساتير الولايات.

حتى اليوم، توجد في دستور ولاية ماساجوستس مادة (رغم أنها لا تنفذ) تقول: "يأذن المجلس التشريعي بتأسيس مؤسسات عامة لعبادة الله، ولدعم الذين يدرسون المسيحية البروتستانتية لنشر التقوى، والدين، والأخلاق."

وفي دساتير ثماني ولايات مواد تمنع تولى ملحد لأي منصب رسمي (غير أن المحكمة العليا قالت أن هذا لا يمكن أن ينفذ بسبب صعوبة تحديد ما هو الإلحاد، ومن هو الملحد.

وعند انضمام ولاية هاواي للولايات المتحدة، فصلت حكومتها عن كنيسة الولاية التي كانت رسمية (مثل الكنيسة في بريطانيا).

حتى اليوم، يظل الأمريكيون يتناقشون حول حدود فصل الدين عن الحكومة. ومن وقت لآخر، يصل النقاش إلى المحكمة العليا (التي تفسر الدستور). ورغم أن منع المقررات الدينية في المدارس الحكومية صار مؤكدا، يستمر النقاش حول إقامة صلاة، او دعاء في المدارس الحكومية (مثلا، قبل بداية مباراة، أو احتفال تخرج).

تحديث:

بعد قرابة ثلاثين سنة من زيارتي قبر وينثروب، عاد النقاش مكثفا حول "الاستثنائية الأمريكية". أول مرة، في الثمانينات، ثار النقاش لأن الرئيس ريقان، من قادة الجناح اليميني في الحزب الجمهوري، كان يكثر من الحديث عن خلفية أمريكا المسيحية، ومسيحية المجتمع الأمريكي (بدون أن يخرق الدستور ويربط بين الدين والحكومة).

وهذه المرة، بعد فوز الرئيس أوباما، ثار النقاش بسبب زيادة قوة حزب الشاي (الجناح المحافظ في الحزب الجمهوري). وزاد تدخل رجال الدين في السياسة، وخاصة اليمين المسيحي المتمثل في الأصوليين، والمبشرين، ومؤيدي إسرائيل، اعتمادا على الكتاب المقدس.

في الوقت الحاضر، يرفع شعار الاستثنائية خليط من مثقفين وسياسيين يمينيين. ولها انعكاسات عالمية، سياسية وثقافية. لأن فكرتها، كما قالت صحيفة "واشنطن بوست"، هي: "الولايات المتحدة الأرفع عن بقية شعوب العالم. وهذا شيء طبيعي".

وصدرت مؤخرا كتب عن هذا الموضوع، منها:

الأول: كتاب حاكم سابق لولاية ماساشوسيتس، ومرشح الحزب الجمهوري لرئاسة الجمهورية، ميت رومني: "نو ابولوجي" (لا اعتذار: دفاع عن العظمة الأميركية). وقال في المقدمة: "كل من يحاول تغيير الاستثنائية الأمريكية مضلل ومفلس".

الثاني: كتاب مايك بانس، عضو الكونقرس من ولاية انديانا: "ريتيك أميركان إكسبشيناليزم" (استعادة الاستثنائية الأميركية: الطريق نحو نمو اقتصادي وازدهار).

الثالث: كتاب سارة بالين، حاكمة سابقة لولاية ألاسكا، وكانت ترشحت نائبة لرئيس الجمهورية: "أميركان فرم هارت" (أميركية من القلب). وفيه فصل عنوانه: "أمريكا الاستثنائية".

الرابع: كتاب نيوت قنقرتش، زعيم سابق لمجلس النواب : "ريال جينج" (التغيير الحقيقي: قتال من أجل مستقبل أميركا). وفيه فصل عن "الاستثنائية في ماضي أميركيا".

وأخيرا:

مع زيادة قوة المحافظين في الولايات المتحدة، وخاصة داخل الحزب الجمهوري، حتى كادوا يسيطرون عليه، يبدو أن "الاستثنائية الأمريكية" شعار سيزيد في المستقبل، لكنه، كلما زاد، كلما زاد عدم رضا الشعوب الأخرى التي تري، ربما كلها، أنها "استثنائية" أيضا.

عند قبر جون أوسولوفان (ولاية نيوجيرسي):

«ديفاين ديستني» (القدر المقدس)



جئت إلى هنا سنة 1987، ليس صدفة، ولكن لأني ضللت الطريق.

كنت أقود سيارة استأجرتها من مدينة نيوارك (ولاية نيوجيرسي) في طريقى إلى نيويورك. ليست نيويورك بعيدة. لكني أخطأت في الطريق البرى رقم 95 (الذي يربط الولايات الشرقية، من ولاية مين إلى ولاية فلوريدا). بدلا من أن اتجه شمالا نحو نيويورك، اتجهت جنوبا. وعندما خرجت من الطريق البري، وسألت صاحب متجر،

قال لي: "أنت بعيد جدا من نيويورك. بدلا من العودة على الطريق 95 شمالا، خذ الطريق 278 شرقا، واذهب إلى ستين ايلاند، ثم بروكلين، ثم إلى نيويورك."

هذا مثل طريق دائري يأخذني شرقا، ثم شمالا، ثم غربا، حتى نيويورك.

***

كنت تركت نيوأرك في الصباح الباكر، وصار الوقت ظهرا. وقررت أن أخرج من الطريق البرى لأتناول الغداء. ومن طريق جانبي إلى طريق جانبي، ومن مزارع إلى مزارع، وجدت نفسي أمام مطعم قروي بسيط، وبالقرب منه كنيسة قديمة. وأنا آكل، قرأت نشرات أخذتها من عند باب المطعم. وفيها إنني في مدينة مورافيان الصغيرة، وأن هذه كنيسة "مورافيان"، واحدة من أقدم الكنائس في الولاية، بدأت سنة 1740، ودفن فيها مشاهير.

في القائمة، وجدت الاسم الآتي: "جون أوسولوفان، صحافي، عمل مع صحيفة "نيويورك نيوز". أول من كتب عبارة " ديفاين ديستني" (القدر المقدس) وعبارة "مانفست ديستني" (القدر الحق).

"القدر الحق":

كنت سمعت عن "القدر الحق" وأنا أحاول معرفة المزيد عن التاريخ الأمريكي.

في وقت لاحق، قرأت كتاب "مانفيست ديستني" (القدر الحق: التوسعات الأمريكية وإمبراطورية الحق). وهو عن تاريخ هزيمة الرجل الأبيض للهنود الحمر. كتب الكتاب د. أندرز ستيفانسون، أستاذ التاريخ في جامعة كولمبيا (في نيويورك).

رغم أن الكتاب أكاديمي، لكنه يجذب الشخص منذ أول نظرة بسبب صورة مثيرة (وذات معانٍ عميقة وكثيرة) على غلافه. في الصورة بنت جميلة شقراء، تلبس فستانا أبيض خفيفا يكشف ساقها اليسرى، وجزءا من فخذها الأيسر وجزءا من نهدها الأيسر. وتحمل كتابا في يدها اليمنى. وتطير في الهواء، وكأنها من الملائكة. من شرق الولايات المتحدة إلى غربها، وفستانها وشعرها الطويل يرفرفان وراءها.

هذه لوحة رسمها، قبل منتصف القرن التاسع عشر، الفنان الأمريكي جون غاست. سمي البنت "كولمبيا" (أشارة إلى اسم أميركا الأول، منسوبا إلى كريستوفر كولمبس). وسمي اللوحة "أميركان بروقريس" (تقدم أميركا) إشارة إلى أن البنت تحمل الحرية والحضارة، وتطير نحو الغرب الذي كان يسكنه الهنود الحمر).

قال بعض المؤرخين أن الكتاب الذي تحمله البنت هو الكتاب المسيحي المقدس (التوراة والإنجيل). وقال آخرون انه كتاب مدرسي لنشر العلم. وفي اللوحة، بينما تطير "البنت الملاك" في الهواء نحو الغرب، فوق الجبال والوديان والمراعي، يهرب أمامها الهنود الحمر وحيواناتهم. ويتقدم خلفها رجال بيض يحملون كتبا ويغرسون أعمدة التلغراف، ويشيدون خطوطا حديدية لقطارات بخارية، ويحققون "تقدم أمريكا".

الصحفي أوسولوفان:

في الكتاب إشارة إلى أن الصحفي اوسولوفان هو أول من استعمل عبارة "ديستني مانفستو" (القدر الحق). لم يكتب الصحفي كتابا عن الموضوع، لكنه كتب رأيا في سنة 1839 عن "ديفاين ديستني" (القدر المقدس). في وقت لاحق، استعمل عبارة "القدر الحق" لتخفيف المعني الديني للشعار، رغم أن كلمة "الحق" فيها مغزي مقدس.

قال إن الله (القدر) خص أميركا بالآتي:

أولا: تكون حاملة شعار "القدر الحق" القائم على الحرية، والمساواة، واحترام الفرد.

ثانيا: "تنشر على وجه الأرض كرامة الإنسان، وخلاصه من أي سيطرة".

ثالثا: لا يجب أن يكون الانتشار "جغرافيا"، أي بالتوسعات والغزوات. ويمكن أن يكون "اتحاد الجمهوريات" التي تتقاسم هذه المبادئ الأخلاقية.

لكن، بعد سنوات قليلة، غير الصحفي رأيه عن كيفية نشر الحرية والديمقراطية. وقال: إنه "أحيانا" يمكن استعمال القوة. ودعا إلى احتلال منطقة تكساس (التي كانت تابعة للمكسيك)، وضمها إلى الولايات المتحدة. وقال إن هناك سببين:

أولا: "يريد التكساسيون التخلص من الحكم الدكتاتوري المكسيكي، والانضمام إلى الحكم الحر."

ثانيا: "القدر الحق هو نشر مبادئ العناية الإلهية في كل القارة الأمريكية".

وفي وقت لاحق، دعا إلى احتلال ولاية أوريقون الحالية، التي كانت منطقة للهنود الحمر. وكانت تشرف عليها بريطانيا (التي، رغم منحها الاستقلال للولايات المتحدة سنة 1776، استمرت تتدخل، وتحتل مناطق هنا وهناك). ثم دعا إلى ضم ولاية كليفورنيا الحالية، وكانت تتبع للمكسيك.

الرئيس الغوغائي جاكسون:

رغم أن الصحفي كان "علمانيا" في البداية، تحول إلى "قدر إرضاء العناية الإلهية". وصار من مؤيدى الرئيس الأمريكي أندرو جاكسون (1837-1829) الذي كان رفع شعار "القدر الحق" في أكبر حملة لهزيمة الهنود الحمر.

في ذلك الوقت، كان الحزبان الديمقراطي والجمهوري في بداية تأسيسهما. كان الرئيس جاكسون من قادة الحزب الديمقراطي. وهو رائد سيطرة الحزب الديمقراطي على الولايات الجنوبية التي صارت معقلا لتجارة الرقيق. بل كان جاكسون نفسه أكثر رئيس أمريكي يملك الرقيق. حتى أكثر من الرئيس الأول الجنرال واشنطن، والرئيس الثالث الليبرالي جفرسون.

كان جاكسون رئيسا غوغائيا. وكانت شخصيته خشنة ومناكفة. وفي عهده تمت أكبر عملية تهجير، وإبادة، للهنود الحمر. ولم يكن جديدا على ذلك، لأنه، قبل أن يصير سياسيا، كان عسكريا. وكان يسمى اسمه "الجنرال جاكسون" إشارة إلى "الجنرال واشنطن". وقاد حملات عسكرية ضد الهنود الحمر، خاصة قبيلة "سيمينول" (في ولاية فلوريدا حاليا). وألقى خطبة قال فيها: "ضم فلوريدا للولايات المتحدة شيء طيب. وأنا سأنفذه خلال ستين يوما".

حسب تعابير اليوم، كانت حروبه ضد الهنود الحمر "تنظيفا عرقيا" على نطاق الدولة كلها، وبقيادة رئيسها. طبعا، كان هناك أميركيون أكثر غوغائية منه. ومنهم من سمى الهنود الحمر "متوحشين"، ودعا إلى قتلهم. لكن "معتدلين" طلبوا تجميعهم في مستوطنات، خاصة في ولاية اوكلاهوما الحالية.

كانت تلك سنوات "تريل أوف تيرز" (درب الدموع) إشارة إلى ترحيل مئات الآلاف من الهنود من شرق الولايات المتحدة. وفعلا، أجبرت على الرحيل قبائل رئيسية هي: "سيمينول" و "شيركوي" و "شيكاساو" و"شوكتاو" و "ماسكوقي". (كانت تسمى نفسها: القبائل الخمسة المتحضرة").

في الحقيقة، كتب كتاب "تريل أوف تيرز" (درب الدموع) أن مبدا "إنديانز ريموفال" (نقل الهنود) بدا أيام الرئيس الأول واشنطن. وواصل تنفيذه الرؤساء الستة بعده. حتى الرئيس الثالث، جفرسون، أبو الليبرالية وكاتب إعلان الاستقلال، قال أن الهنود الحمر أحسن من الزنوج، لكنهم أقل من البيض. وكتب: "إذا لم يسيروا على الطريق القويم مثلنا، ننقلهم إلى مناطق خاصة بهم ليحكموا أنفسهم."

ثم جاء الرئيس السابع جاكسون، وتفوق عليهم كلهم.

صحافي آخر:

قبل مائة سنة تقريبا، بعد نهاية الحروب ضد الهنود الحمر، وبعد عتق الرقيق الزنوج، وبعد انفتاح الولايات المتحدة على العالم الخارجي، انتقل النقاش عن نشر الحرية بالقوة في الداخل إلى نشرها بالقوة في الخارج.

مثلما قاد صحافي حملة نشر الحرية بالقوة داخل أمريكا، قاد صحفي حملة نشر الحرية بالقوة خارج أمريكا.

كان هذا هو وليام هيرست، صاحب جريدة "نيويورك جورنال" التي نشرت، في سنة 1895، صور جنود الاحتلال الإسباني يقتلون ويعذبون سكان كوبا. وكتب: "كيف نقدر على أن ننام بالليل وجيراننا يعذبون ويقتلون؟ كيف يسمح لنا ضميرنا بذلك؟" ودق هيرست طبول الحرب في إثارة بالغة (استفاد من "تكنولوجيا جديدة" هي نشر صور في الصحف، وبدأ ما أصبح يعرف ب "الصحافة الصفراء").

وفعلا، نزلت القوات الأمريكية في كوبا، وحررتها من الاحتلال الإسباني. لكنها بقيت هناك لخمسين سنة أخرى. ولم تخرج إلا بعد ثورة كوبا، بقيادة فيدل كاسترو سنة 1959. ولا تزال آثار بقائها في وجودها في قاعدة "غوانتنامو".

تحديث:

كانت تدخلات بداية القرن العشرين بداية لتدخلات أميركية في الشرق والغرب والشمال والجنوب. آخرها هي التدخلات في العالم الإسلامي.

في سنة 2012، وبعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001 على أمريكا، وبعد إعلان الرئيس الأمريكي بوش الابن ما سماه "الحرب ضد الإرهاب" وغزو أفغانستان والعراق، عاد النقاش حول نشر الحرية والديمقراطية بالقوة. بعد مائتي سنة من نشرها بالقوة وسط الهنود الحمر. وبعد مائة سنة من نشرها بالقوة في الدول الخارجية.

لكن، بدون الإشارة إلى "القدر الحق" و "درب الدموع". يتحاشي الأمريكيون، خلال النقاش الحالي، كلمات عنيفة، مثل: "غزو" و "احتلال" و "تورط". ويستعملون كلمات ودية مثل: "مهمة" و "وجود" و "خيارات".

استعمل الرئيس بوش الابن كلمة "ميشان" (عملية) كثيرا. وللكلمة رمز ديني مسيحي، إشارة إلى قول النبي عيسي للحواريين بأن "ميشن" (مهمة) نشر المسيحية تقع على عاتقهم. وتستعلمها الكنائس في نشر المسيحية. وكان واحد من الحواريين، بطرس الذي سافر من بيت لحم إلى روما، أول "المبشرين.".

في الوقت الحاضر، دخل التناقض بين الحرية والقوة إلى البنتاقون، حيث يريد العسكريون تحقيق هدفين في نفس الوقت:

أولا، هزيمة العدو.

ثانيا، تعليمه الحرية.

وذكر كتاب "عملية شارع ماديسون" أن هناك خبراء في البنتاقون متخصصون في اختيار أسماء للعمليات العسكرية، وأنهم لا يقلون كفاءة عن خبراء الإعلانات والموضات في شارع ماديسون (في نيويورك) في اختيار الكلمات والجمل التي تجذب الناس.

وتعمد العسكريون أن يسموا حروبهم أسماء لها صلة بالحرية، حتى يتحاشوا استعمال كلمات مثل "تدخل" و "غزو".

كان التدخل في فيتنام "شعلة الحرية". وغزو بنما "قضية عادلة". وتدبير انقلاب قواتيمالا "النجاح". وتدبير انقلاب السلفادور "الحظ". وغزو قرينادا "الغضب السريع". وار سال قوات إلى هايتي "الأفق الجديد."

وفي الشرق الأوسط، كانت محاولة إنقاذ الرهائن الأمريكيين في إيران "مخلب الصقر". وضرب ليبيا في عهد الرئيس ريقان "الدورادو" (مدينة الذهب، تعبير مسيحي). وتحرير الكويت "عاصفة الصحراء". وغزو أفغانستان "نشر الحرية". وغزو العراق "حرية العراق."

وربما سيرا على نظرية "ديستني مانفستو" (القدر الحق)، أو تأثرا بها، اعتبر العسكريون الأمريكيون أن كل من يعارض نشر الحرية عدوا. ولهذا سموا عملياتهم ضد المقاتلين في العراق أسماء قاسية وخشنة، مثل: "السيف الحديدي" و "العدالة الحديدية" و "الوعد الحديدي".

وأخيرا:

بعد كل هذه السنوات منذ زيارة قبر الصحفي سليفان، صاحب عبارة "ديفاين ديستني" (القدر المقدس) يبدو لى أنه يظل الدافع وراء السياسة الأمريكية، في الداخل والخارج. ليس دافعا علنيا، لكنه دافع مبطن.

شارلوتفيل (ولاية فرجينيا) : أبو الفكر الليبرالي



(اقرأ: أبو الفكر المحافظ)

جئت إلى شارلوتفيل (ولاية فرجينيا) حيث جامعة فرجينيا سنة 2004 أول مرة. وبعد ذلك جئت مرات كثيرة لسبب معين. في تلك السنة دخل ابني جامعة فرجينيا لنيل الماجستير. بعد أن أكمل أربع سنوات في جامعة جيمس ماديسون (أيضا في ولاية فرجينيا). في أول زيارة، مع ابني وبقية أفراد عائلتي، قضينا نصف يوم تقريبا نتجول في أنحاء الجامعة وفي المدينة.

هذه مدينة جامعية كبيرة، لأن جامعة فرجينيا من أكبر وأشهر الجامعات الأمريكية. أسسها سنة 1819 توماس جفرسون، من "فاوندنق فاثرز" (الآباء المؤسسين)، وكاتب إعلان الاستقلال الأمريكي، وثالث رئيس أمريكي.

زرنا المنزل الذي ولد فيه (سنة 1743) في ضاحية "شادويل"، من ضواحي المدينة. وزرنا منزله العملاق، والمزرعة الشاسعة التي تحيط به في ضاحية "مونتشيلو" (الآن المنزل متحف). وزرنا

قبره بالقرب من المنزل (توفى سنة 1826). وكتب عليه، حسب وصيته: "هنا دفن توماس جفرسون. كاتب إعلان الاستقلال، وكاتب ميثاق فرجينيا عن حرية الدين، ومؤسس جامعة فرجينيا."

جفرسون هو أبو الفكر الليبرالي الأمريكي. لكن، لم تخلو حياته من نقاط سوداء. في جانب، كان مزارعا ناجحا، ودبلوماسيا، ومفكرا، وسياسيا، ومخترعا. وفي الجانب الآخر، كان يملك مئات من الرقيق الزنوج، ولم يخف رغبته، وساهم، في القضاء على الهنود الحمر.

كان جفرسون مزارعا أرستقراطيا في ريف ولاية فرجينيا عندما انضم إلى جورج واشنطن (أول رئيس، في وقت لاحق) في الحرب ضد الاستعمار البريطاني. ثم كتب إعلان الاستقلال. ثم صار سفيرا لأمريكا في فرنسا. ثم وزيرا للخارجية في إدارة واشنطن. ثم نائبا للرئيس جون ادامز (ثاني رئيس). ثم رئيسا للجمهورية، مرتين.

غير أن الإسهام الفكري الليبرالي لجفرسون هو الذي ميزه عن بقية الرؤساء. وكتب جفرسون نفسه عن التأثيرات الأوربية عليه:

أولا: تأثر بالفيلسوف البريطاني جون لوك (ولد قبل مائة سنة تقريبا من ميلاد جفرسون، وتوفى سنة 1704) ويعتبر أبا الفكر الليبرالي الغربي كله.

ثانيا: تأثر بفلاسفة فرنسيين، مثل فرانسوا فولتير، وجين جاك روسو، والذين أيضا تأثرا بالبريطاني لوك. وكان جفرسون سفير لأمريكا في فرنسا عندما وقعت الثورة الفرنسية (سنة 1789). وكان فولتير وروسو توفيا قبل الثورة الفرنسية بأحد عشرة سنة، وبعد الثورة الأميركية (سنة 1776) بسنتين.

أفكار لوك:

ما هي أفكار لوك التي أثرت على جفرسون؟

كان لوك أبا الميثاق الاجتماعي. عكس الفيلسوف البريطاني توماس هوبز (ولد قبل لوك بمائة وخمسين سنة تقريبا) صاحب نظرية "شريعة الغابة"، حيث العواطف السلبية والعدائية. اعترف لوك بأن الإنسان يمكن أن يكون عاطفيا عدائيا، يمكن أن يكون أنانيا وظالما، لكنه يمكن أن يكون، أيضا، عقلانيا ومنطقيا. وأنه، حسب القانون الطبيعي، افضل للإنسان أن يتعايش مع غيره، لان سلامته وأمنه في سلامة وأمن غيره. وفي نفس الوقت، يملك الإنسان حق الدفاع عن حياته، وحريته، وممتلكاته.

وكان لوك أبو الفردية. قال: أن الشخص يولد بدون أفكار مسبقة. ثم يستعمل ضميره وعقله ليختار بين الصواب والخطأ:

أولا: يستعمل الضمير في المواضيع الأخلاقية.

ثانيا: يستعمل العقل في المواضيع المنطقية.

وسمى لوك نظريته "نظرية العقل" (كان طبيبا). وقال: إنها أساس هوية الإنسان. وبهذا، تمرد لوك على الفكر المسيحي (أيضا، اليهودي والإسلامي) الذي يقول بان الله يخلق الإنسان، ثم يخيره بين الصواب والخطأ، ثم يحاسبه. وطبعا، يضيف القرآن بأن الإنسان يولد مسلما بالله.

وكان لوك أبو التسامح. وكتب في كتابه: "خطابات حول التسامح" أنه سئم الحروب بين الكاثوليك والبروتستانت في اروبا. وسئم التفسيرات الدينية المتعارضة. وكتب:

أولا: لا يقدر أي شخص على تفسير الأديان تفسيرات صحيحة.

ثانيا: حتى إذا يقدر، يجب ألا يفرض تفسيراته على غيره.

ثالثا: يسود الاستقرار عندما تتعايش الأديان، وليس عندما يفرض دين نفسه على غيره.

وكان لوك أبا التمرد الأوربي على التثليث (الله، الابن، الروح القدس). وكتب بأنه لا يؤمن بأن المسيح كان جزءا من الله، وكان مع الله قبل ولادته. وعارض التثليث كما جاء في "عقيدة نيسين" (وضعت العقيدة سنة 325، قبل ثلاثمائة سنة تقريبا من نزول القرآن).

وكان لوك رجلا متناقضا. رغم أفكاره الليبرالية، استثمر في شركات بريطانية لنقل الرقيق الزنوج من إفريقيا إلى أمريكا. وسافر إلى أمريكا، واشترك في كتابة دستور "دولة كارولينا الكبرى"، لتأسيس دولة إرستقراطيين يملكون مواطنيهم، ويملكون رقيقهم (قبل استقلال أمريكا بمائة سنة تقريبا).

أفكار جفرسون:

في كل النقاط السابقة، تأثر الأمريكي جفرسون بالبريطاني لوك. وتفوق عليه بأنه نفذ أفكاره، خاصة عندما كتب إعلان الاستقلال الأمريكي. ولاحظ جفرسون أن أساتذته (لوك، روسو، فولتير) لم يعيشوا ليشهدوا أفكارهم وقد تحققت.

تقول الفقرة الأولى في إعلان الاستقلال الأمريكي الذي كتبه جفرسون: "خلال التطورات الإنسانية، يصير ضروريا أن يتخلص شعب (الأمريكي) من علاقاته مع شعب آخر (البريطاني)، إذا كانت هذه العلاقة تجلب له الظلم. ويصير ضروريا أن يؤسس الشعب (الأمريكي) مكانة متساوية لنفسه مع شعوب الأرض، حسب قوانين الطبيعة، وحسب قوانين الله".

وتقول الفقرة الثانية: "نؤمن بأن هذه الحقائق بديهية. وهي أن جميع الناس خلقوا متساوين. وأن خالقهم منحهم حقوقا معينة لا تتجزأ. وأن من بينها: الحياة، والحرية، والسعي نحو السعادة".

وحسب كتاب "اعادة النظر في جفرسون: وقته، ووقتنا"، هذه الفقرة الثانية هي ابلغ ما كتب إنسان عن حقوق الإنسان.

وهناك الفقرة التي تعكس رأي لوك (أستاذ جفرسون) عن "حق الثورة"، الذي لا يقل عن حقوق الحياة، والحرية، والسعادة. وهو أن الإنسان، عندما تتعدي حكومته على حقوقه، يملك حق الثورة على حكومته، وتغييرها، بل إزالتها.

تقول الفقرة: "لضمان حقوق الحياة والحرية والسعادة، يؤسس الشعب حكومة يديرها رجال يستعملون سلطات عادلة أساسها موافقة المحكومين. لكن، عندما يتأكد المحكومون من أن حكومتهم لا تنفذ المبادئ التي فوضوها لتنفيذها، يملكون حق تبديل الحكومة، أو إلغاءها، وتأسيس حكومة جديدة. لقد أثبتت كل التجارب البشرية بأن الإنسان يمكن أن يتعرض للظلم، وأن الشر يمكن أن يعيش وسط الناس. لكن، عندما يرى الإنسان أن الوضع صار لا يطاق، وأن الظلم قد خيم، يملك حقًا، بل واجبًا،وهو أن يثور على الظالمين. وأن يختار حكاما يحترمون، وينفذون، حقوقه".

الفكر الاقتصادي:

في السياسة الداخلية، ورغم أن جفرسون ركز على حقوق الحياة، والحرية، وتحقيق السعادة، شك شكوكا كثيرة في رجال الأعمال. وكتب بأنهم، عكس الحكام الذين يجب أن ينفذوا رغبات المحكومين، يريدون تنفيذ رغباتهم الخاصة، والتي تتركز على جمع المال، ومزيد من المال.

هذا الرأي هام في الوقت الحاضر الذي يعاني فيه العالم من مشكلة اقتصادية كبيرة، واهم أسبابها هو فساد وطمع البنوك والشركات الاستثمارية العالمية.

قبل مائتي سنة، كتب جفرسون الأتي: "أفضل لو أن الإنسان عمل عملا شاقا، وجمع المال بعرق جبينه وصرفه على نفسه، من أن يذهب إلى بنك، ويوقع أوراقا، ويتعهد تعهدات، ليصرف على نفسه من مال البنك. ثم لا يقدر على أن يوفي بالتعهدات، ولا يقدر على أن يحقق كل أهدافه".

وعن ديون البنوك على الحكومة، وكانت حكومته استدانت من البنوك لبناء مشاريع التنمية والتعمير، كتب: "كل عشرين سنة يأتي جيل جديد. لهذا، كل عشرين سنة يجب أن تتخلص الحكومة من ديون البنوك عليها، حتى لا يرثها جيل ليس مسؤولا عنها".

وفي سنة 1790، عارض جفرسون تأسيس البنك المركزي الأمريكي. وفي سنة 1812، عارض تمويل الحرب الأميركية البريطانية بقروض من البنوك. وفي خطاب الوداع في البيت الأبيض، قال: "تظل البنوك الحالية نقطة سوداء في حياتنا، وإذا لم نحل مشكلتها، ستدمرنا. وهي تعتمد على المغامرة، والفساد. وبينما هي تكبر، تقلل قيمنا الأخلاقية".

السياسة الخارجية:

كان جفرسون ينظر إلى السياسة الخارجية من منطلق"دبلوماسية جديدة"، أساسها:

أولا: "الثقة بالشعب الأميركي كشعب حر وفاضل".

ثانيا: "تحقيق الأهداف اعتمادا على الحقوق الطبيعية والعالمية للإنسان".

ثالثا: "نبذ الحروب والفساد".

وقال الكتاب أن جفرسون "هجر هجرا لا عودة بعده فلسفة "عقلانية الدولة" الأوربية التقليدية. والتي تبرر أي سياسة تتخذها الدولة، وتدعو الشعب لتأييد دولته ما دامت تنافس دولا أخرى".

في سنة 1809، في آخر خطاب له وهو رئيس، قال: "أريد للولايات المتحدة أن تكون إمبراطورية الحرية. أريدها أن تكون نصبا تذكاريا لحقوق الإنسان. أريدها أن تكون شعلة توقد شعلات غيرها في كل مناطق العالم".

تناقضات جفرسون:

مثلما دعا الفيلسوف البريطاني لوك للعدل والحرية، لكنه دافع عن تجارة الرقيق الزنوج، سار على خطاه تلميذه الأمريكي الليبرالي جفرسون. غير أن مسؤولية جفرسون أكبر لأنه كان سياسيا، وكان رئيسا للولايات المتحدة لثماني سنوات.

ورغم أن جفرسون، في خطاب الوداع في البيت الأبيض سنة 1809، قال "اريد للولايات المتحدة أن تكون إمبراطورية الحرية"، رفض أن يعترف بثورة هايتي (ثاني ثورة في الدنيا الجديدة، وضد الاستعمار الفرنسي، وقادها الرقيق الزنوج). وقال جفرسون إنه يخشى أن الاعتراف بثورة زنوج هايتي سيشجع زنوج أميركا ليثوروا.

غير أن عنصرية جفرسون كانت أكبر (وأخطر) من موضوع هايتي. وذلك لأنه كان يملك مئات الرقيق الذين كانوا يعملون في مزرعته (وهو المزارع الارستقراطي) التي كانت تزيد مساحتها عن عشرة آلاف فدان. وحسب كتاب "إعادة النظر في جفرسون"، أثرت عليه العوامل الآتية:

أولا: "طمع رأسمالي بحت تغلب على آراء ومبادئ مثالية".

ثانيا: "خوف من الزنوج: وهم عبيد، وإذا صاروا أحرارا".

ثالثا: "خوف السياسي من غضب لوبي تجار الرقيق، وكان أقوى لوبي في أميركا".

ثالثا: "إيمان شبه ديني بأن الزنجي أقل مكانة من الأبيض، ولهذا، يحتاج إلى الرعاية والمراقبة".

في سنة 1807، وقع الرئيس جفرسون على قانون دولي (برعاية بريطانيا التي سبقت أمريكا، مستعمرتها السابقة، في هذا الموضوع) بمنع استيراد الرقيق. لكن، كان واضحا أنه فعل ذلك، وبتأييد لوبي تجار الرقيق الأمريكيين، لأن منع استيراد الرقيق يزيد أسعارهم داخل أمريكا.

وحسب الكتاب السابق الذكر: "على أسوأ الفروض، إذا لم يغير جفرسون نظرته إلى الزنجي كل حياته، كان يقدر على أن يعتق رقيقه وهو على سرير الموت. كانت هذه عادة فيها خليط من السلبية والإيجابية. لكن، لم يفعلها جفرسون".

العشيقة السوداء:

لا يذكر رقيق جفرسون ألا وتذكر سالي هيمنقز، عشيقته السوداء التي أنجب منها أربعة أطفال. في الحقيقة، كانت هي الوحيدة التي عتقها (وأولادها الأربعة) في وصية موته التي كتبها سنة 1826. ولم يعتق 130 عبدا وعبدة (بعد وفاته، باعهم إخوانه، ليس عطفا عليهم، ولكن لتسديد ديون كثيرة كان تركها جفرسون).

في بداية القرن الحادي والعشرين، رفع أحفاد العبدة السوداء، سالي هيمنقز، قضايا ضد أحفاد جفرسون، طالبوا فيها الاعتراف بهم. وقبولهم في "مؤسسة توماس جفرسون" (شبه الارستقراطية). في البداية، رفض هؤلاء. لكن، في وقت لاحق، وبسبب قضايا في المحاكم، وافقوا على اختبار "حمضياتهم"، والتي أثبتت أبوة جدهم الأكبر لأطفال العبدة السوداء.

وأثار الموضوع نقاشات كثيرة. وأنتج تلفزيون "سي بي اس" مسلسلا من حلقات كثيرة تحت اسم: "سالي هيمنغز: فضيحة أمريكية". وأنتج تلفزيون "بي بي إس" برنامجا تحت اسم: "دم جفرسون: أبيض وأسود"

لماذا تناقضات جفرسون؟

أكثر تفسير لتناقضات جفرسون هو أنه، كما جاء في مسلسل "فضيحة أمريكية" هي انه "ابن بيئته". يقول أصحاب هذا التفسير أنه لو عاش جفرسون بعد زمانه بمائة سنة، سيكون مثل الرئيس إبراهام لنكولن (محرر العبيد). ولو عاش بعد زمانه بمائتي سنة، سيكون مثل الرئيس بيل كلنتون (أكثر رئيس أبيض أيده السود). وطبعا، لو عاش أكثر من ذلك بعشرين سنة، كان سيرى، وسيقبل، الرئيس الأسود باراك أوباما.

يقول أصحاب نظرية "الإنسان ابن بيئته" أن تلفزيون "سي بي اس" الذي قدم المسلسل عن عشيقة جفرسون سنة 2000، كان رفض ذلك سنة 1990. وإن مؤرخين محترمين أيدوا، في سنة 2000 ، أن أولاد العشيقة أولاد جفرسون. لكنهم كانوا عارضوا ذلك سنة 1990.

يقول أصحاب نظرية "الإنسان ابن بئته" أن الزمن يغير كل شيء.

لكن، في الجانب الآخر، أليس الحق حقًا، ولا يتأثر بزمان أو مكان؟

تحديث:

في سنة 2012، في احتفالات مرور 270 على ميلاد جفرسون، عدت إلى مدينة "شارلوتفيل" بعد غياب ست سنوات (منذ حفل تخرج ابني). كان المنزل المتحف في "مونتشيلو" هو مركز الاحتفالات. وأيضا، جامعة فرجينيا. وأشاد كل واحد بأبي الفكر الليبرالي الأمريكي.

وبعد أن عدت إلى واشنطن، زرت المعرض الذي اعدته "مؤسسة توماس جفرسون" (التي صارت الآن تجمع بيضا وسودا) مع متاحف "سميثونيان" في واشنطن (أكبر مجموعة متاحف في العالم). اسم المعرض: "تناقضات الحرية: الرقيق في منزل توماس جفرسون".

في جزيرة نيفيس (البحر الكاريبي) : أبو الفكر المحافظ



(اقرأ: أبو الفكر الاشتراكي)

في صيف سنة 2005، جئت إلى جزيرة نيفيس (في البحر الكاريبي) مع العائلة في رحلة على سفينة نزهة محيطية عملاقة (كروز شيب). منذ سنة 2003، بدأنا رحلات سنوية إلى مختلف جزر البحر الكاريبي من ميناء فورت لوترديل (ولاية فلوريدا). يوجد الميناء قريبا من مدينة هوليوود الصغيرة، حيث منزل والديي زوجتي. وتوجد في نفس المنقطة منازل شقيقها وأقرباء آخرين. وكل سنة، نستمتع كلنا، أو بعضنا، بهذه الرحلات المحيطية في هذه السفن العملاقة. تسع السفينة متوسط ثلاثة آلاف مسافر (يخدمهم طاقم ضخم من ألف شخص تقريبا). ويوجد في كل سفينة أحدث أنواع الترفية، وأرقى التقاليد، وقمة الحضارة الغربية.

في البحر الكاريبي، توجد ثلاثون جزيرة رئيسية تقريبا (كل جزيرة دولة قائمة بذاتها. لكن، لا تزال بعض مستعمرات بريطانية، أو فرنسية، أو هولندية، أو غيرها).

أشهر الجزر هي كوبا (لكنها مقفولة أمام السواح الأميركيين منذ المقاطعة الأمريكية التي بدأت بعد ثورتها سنة 1959 بقيادة الثوري الشيوعي فيدل كاسترو). ثم هناك جزر أصغر: جمايكا، بهاما، قرينادا، ترينداد، أروبا، نيفيس، إلخ ...

حسب جداول إبحار ورسو منسقة ومنظمة لكل سفينة عملاقة، في الصباح ترسو السفينة في جزيرة، ويخرج السواح ويتجولون أثناء اليوم، وفي المساء يعودون. ثم تبحر السفينة أثناء الليل، وفي صباح اليوم التالي ترسو في جزيرة أخرى، وهكذا.

جزيرة "نيفيس" طولها مائة ميل تقريبا، وعرضها عشرة أميال تقريبا. أثناء جولتنا فيها، شاهدنا منزلا صغيرا، ولافتة تقول إنه حيث ولد الكسندر هاملتون، من "فاوندينق فاذرز" (الأباء الأمريكيين المؤسسين)، وأول وزير خزانة في وزارة الرئيس الأمريكي الأول جورج واشنطن، ومؤسس البنك المركزي الأمريكي، ومؤسس "وول ستريت" (شارع المال في نيويورك)، وأبو الفكر المحافظ الأمريكي.

ما كنت أعرف كثيرا عن الرجل، ووجدت معلومات قليلة عنه في المنزل. وبعد أن عدت إلى مكتبي في واشنطن، اشتريت كتاب "تراث هاملتون".

خلفية تاريخية:

لا يذكر أبو الفكر الأمريكي المحافظ، الا ويذكر أبو الفكر الأمريكي الليبرالي: توماس جفرسون، أيضا من "الآباء المؤسسين"، وكاتب إعلان الاستقلال الأمريكي، وأول وزير خارجية (في عهد الرئيس الأول جورج واشنطن)، ونائب الرئيس الثاني جون أدامز. والرئيس الثالث، لفترتين.

تعمق الرجلان في فلسفتيهما، وتأثرا بآراء فلاسفة أروبيين. وكانا أحسن حظا من أولئك لأنهما وصلا إلى الحكم، واستطاعا تطبيق كثير من فلسفتيهما.

تأثر أبو الليبرالية جفرسون بالفيلسوف البريطاني جون لوك (ولد قبله بمائة سنة تقريبا، وتوفى سنة 1704) والذي يعتبر أبا الفكر الليبرالي الغربي. وتأثر ايضا بفلاسفة فرنسيين، مثل فرانسوا فولتير، وجين جاك روسو، والذين ايضا تأثرا بالبريطاني لوك. تأثر جفرسون بأفكار لوك، مثل: "سوشيال كونتراكت" (الميثاق الاجتماعي) و"انديفيديواليزم" (الفردية) و"تولارانس" (التسامح) و "ديازم" (المسيحية التي تعارض التثليث وعبادة عيسى ابن مريم).

لكن، مثل لوك، كان جفرسون متناقضا (وربما "منافقا") لأنه، رغم أفكاره الليبرالية، كان يملك عددا كبيرا من الرقيق.

***

إلكسندر هاملتون:

في الجانب الآخر، حتى ظروف ميلاد هاملتون اختلفت عن ظروف ميلاد جفرسون (جفرسون اكبر من هاملتون بعشر سنوات تقريبا).

ولد جفرسون في مجتمع ارستقراطي (أو شبه أرستقراطي) في ريف ولاية فرجينيا الزراعية. وعاش كذلك حتى وفاته في نفس المكان. وولد هاملتون في منزل بائس في جزيرة "نيفيس" (من جزر البحر الكاريبي) التي كانت تستعمرها بريطانيا.

حتى وفاته، لم يعرف تاريخ ميلاده الحقيقي. وولد نتيجة علاقة جنسية غير قانونية بين والده ووالدته. خانت والدته زوجها، وعاشرت والده الذي لم يكن متزوجا. وبعد أن حملت، طلقها زوجها، وهجرها عشيقها. وانتقلت وهي حامل إلى جزيرة أخرى في البحر الكاريبي، حيث وضعت ابنها.

فيما بعد، تزوجها جيمس هاملتون (ومنح الصبي اسم "هاملتون"). لكنه طلقها عندما اكتشف أنها كانت عشيقة والد الصبي، وان الصبي ليس شرعيا (لكنه لم ينزع من الصبي اسم "هاملتون"). عندما توفيت الأم، صار الصبي بدون والدين. وعندما بحث عن ثروة والدته، وجد أن زوجها السابق كان سجلها باسمه.

قبل ذلك، عندما أخذ إلى مدرسة كنيسة الجزيرة، لم يقبل لأن الكنيسة قالت انه غير شرعي. واضطر لان يدرس في مدرسة خاصة. وكان واحدا من مدرسيه يهوديا، درسه التجارة والاقتصاد. وأثر على أفكاره الاقتصادية.

وهناك خلفية يهودية أخرى في حياة هاملتون، وهي أن والدته، عندما كانت عشيقة والده، كانت متزوجة من جوهان لافين، نصف يهودي. لكنه طلقها بعد أن اكتشف خيانتها له. وعندما كبر هاملتون، وبدأ البحث عن ثروة والدته، وصل إلى لافين الذي أنكر أي ثروة عنده تابعة لزوجته السابقة.

الهجرة إلى امريكا:

عندما كان عمر هاملتون اثنتين وعشرين سنة، هاجر إلى الولايات المتحدة (كانت مستعمرة بريطانية). ودرس الاقتصاد في كلية كولمبيا (فيما بعد: جامعة كولمبيا) في نيويورك. ومال نحو نظريات السوق المفتوحة. وانضم إلى "الآباء المؤسسين" في الحرب ضد الاستعمار البريطاني. غير أنه كان "معتدلا". وارتفعت أسهمه بعد أن تزوج بنت ثرى إقطاعي في نيويورك.

بعد استقلال الولايات المتحدة (سنة 1776)، وتشكيل حكومة الرئيس الأول جورج واشنطن، صار أول وزير للخزانة. قبل ذلك، كانت الثورة ضد بريطانيا تعتمد على تبرعات قادتها (أغلبيتهم كانوا أثرياء)، وعلى تبرعات من فرنسا (التي أيدت الثورة الأمريكية نكاية في بريطانيا).

وكوزير للخزانة:

أولا: وضع أول ميزانية أمريكية.

ثانيا: اقر أول ضريبة، على الواردات والمنتجات المحلية، وعلى إنتاج الخمور.

ثالثا: عندما تمرد جنود كانوا اشتركوا في حرب الاستقلال احتجاجا على عدم صرف رواتبهم لشهور، وضع هاملتون أول قانون لتنظيم الرواتب والمعاشات.

رابعا: أسس أول بنك مركزي، وسماه "فيرست بانك" (البنك الأول).

في الوقت الحاضر، اسم البنك المركزي "فيدرال ريسيرف بورد" (مجلس الاحتياط الاتحادي). وقرر هاملتون أن إلا يكون البنك المركزي حكوميا مستقلا، وأن تساهم فيه البنوك الخاصة والمستثمرون. وأن يكون البنك المركزي حلقة الاتصال بين المستثمرين والحكومة.

ديون الحكومة على البنوك:

عندما كان هاملتون وزيرا للخزانة، كانت ديون الحكومة الاتحادية خمسين مليون دولار. (في سنة 2012، بلغت ستة عشر ترليون دولار). وداخل الوزارة، انتقده كثيرا خصمه التقليدي جفرسون، وزير للخارجية. وعارض جفرسون محاولات هاملتون تطبيق فلسفته المحافظة على الاقتصاد الأميركي. وعارض جفرسون حتى تأسيس البنك المركزي. لأنه سيساعد على:

أولا: تراكم ديون الحكومة على البنوك.

ثانيا: تساهل الحكومة مع مغامرات البنوك.

ثالثا: لهذا، تصير الحكومة رهينة البنوك.

وفي حملته الانتخابية لرئاسة الجمهورية سنة 1800، انتقد جفرسون خصمه هاملتون، وحمله مسؤولية الكارثة الاقتصادية في ذلك الوقت (كان سببها الرئيسي هو نفس سبب الأزمة الاقتصادية الحالية: مغامرات خطيرة من جانب البنوك في تقديم قروض سكنية وعقارية. ومثل اليوم، حوكم مسئولون في البنوك بالسجن).

لجنة الدستور:

خلال مناقشات كتابة الدستور (أعلن بعد عشرة سنوات تقريبا من الاستقلال)، ظهرت واضحة نظريات هاملتون المحافظة. وكتبتها في حلقات، تعرف الآن باسم "فيدرالست بيبرز" (الأوراق الفدرالية) عن العلاقة بين حكومات الولايات والحكومة الاتحادية. وخلال مناقشات لجنة الدستور، قدم هاملتون اقتراحات كثيرة، منها:

أولا: يبقى الرئيس الأمريكي وأعضاء الكونقرس مدى الحياة، بعد انتخابهم أول مرة. (رفض الاقتراح).

ثانيا: تكون لحكومات الولايات أدوار في وضع الميزانية الاتحادية والسياسات الداخلية والخارجية. (رفض الاقتراح).

ثانيا: "يضاف إلى عدد كل الأحرار ثلاثة أخماس عدد غيرهم" (أجيز الاقتراح).

هذه هي المادة في الدستور الأمريكي التي تقول أن الزنجي يساوى ثلاثة أخماس الأبيض. فقط عند إحصاء عدد السكان ودفع الضرائب. وليس عن التصويت، وذلك لأن الزنوج كانوا ممنوعين من التصويت أساسا. لا تزال هذه المادة موجودة في الدستور، مع التعديل الذي ألغاها فيما بعد.

مناقشات لجنة الدستور:

خلال مناقشات كتابة الدستور، قاد هاملتون جناحا، وقاد توماس جفرسون جناحا.

ورغم اتفاقهما على دستورية وقانونية تجارة الرقيق، كانت الاختلافات واضحة جدا بين أبي الفكر المحافظ وأبي الفكر الليبرالي. وهدد هاملتون مرات كثيرة بالانسحاب من لجنة كتابة الدستور. وعندما وقع على النسخة النهائية، قال إنه فعل ذلك مضطرا. وانسحب بعض أعضاء اللجنة المحافظين، حتى قبل كتابة النسخة النهائية. وقالوا أن الدستور "اجتماعي" أكثر منه "إنمائيًا" (وكأنهم يقولون انه "إنساني" أكثر منه "رأسماليًا")

ربما أهم أكاديمي أمريكي معاصر كتب عن هاملتون هو جون غوردون. ومن كتبه: "تراث هاملتون: ديون الحكومة الأمريكية" و "إمبراطورية الثروة: تاريخ القوة الاقتصادية الأمريكية" و "وول ستريت كقوة عالمية". ومن ما كتب:

أولا: تصور اختلافات جفرسون وهاملتون انقساما تاريخيا بين فكرتين مختلفتين (لم يقل متناقضتين): الجفرسونية الليبرالية والهاملتونية المحافظة.

ثانيا: نجح جفرسون في كتابة دستور "ليبرالي أكثر من محافظًا".

ثالثا: من انجازات الفكر الليبرالي: عتق الرقيق، مساندة الديمقراطيات الأوروبية، قوانين روزفلت الاجتماعية، الحقوق المدنية، تقليل التدخلات العسكرية الأميركية في الخارج.

رابعا: لن ينسى المحافظون، ربما إلى الأبد، هزيمتهم في لجنة كتابة الدستور (قبل مائتين وثلاثين سنة).

خامسا: لا الرئيس ريجان (الجمهوري المحافظ)، ولا حزب الشاي (الجناح اليميني في الحزب الجمهوري) هما نجما الحملة ضد الليبراليين. هاملتون بدأ ذلك عندما تأسست الولايات المتحدة.

الحزبان: ليبرالي ومحافظ

عندما تأسست الولايات المتحدة، كان هناك حزبان رئيسيان:

الأول: "الفدرالي" (الآن: الجمهوري. إشارة إلى تركيزه على حكومات الولايات أكثر من الحكومة الفدرالية). بقيادة جون أدامز (الرئيس الثاني بعد جورج واشنطن) وهاملتون.

الثاني: "الديمقراطي الجمهوري" (الآن: الحزب الديمقراطي). بقيادة جفرسون (في سنة 1800، فاز على الرئيس أدامز، الذي أعاد ترشيح نفسه، وصار الرئيس الثالث).

ومثل الأمريكيين المحافظين والجمهوريين في الوقت الحاضر، مال هاملتون ميلا كثيرا نحو تدخل الدين في السياسة. وفي سنة 1802، انشق من الحزب الفدرالي (الجمهوري)، وأسس "الحزب المسيحي" (ربما مثل "حزب الشاي" في الوقت الحاضر). وكان شعاره: "قبل تقديس الدستور، تقديس المسيحية".

أبو الرأسمالية:

حسب كتاب "إعادة النظر في جفرسون: وقته ووقتنا"، ركز جفرسون على حقوق الحياة، والحرية، وتحقيق السعادة. لكنه شك شكوكا كثيرة في رجال الأعمال. وكتب بأنهم، عكس الحكام الذين يجب أن ينفذوا رغبات المحكومين، يريدون تنفيذ رغباتهم الخاصة، والتي تتركز على الربح.

في الجانب الآخر، تأثر هاملتون بالفلسفة البريطانية التجارية "ميركانتاليزم" التي تقول أن على الحكومة، ليس فقط أن تسمح للشركات بالتجارة الخارجية الحرة، ولكن، أيضا، مساعدتها، بهدف حماية مصالح الدولة (حتى إذا كان لابد من استعمال القوة). وكانت هذه الفلسفة (التي بدأت بعد الثورة الصناعية) من أهم أسباب صراعات وحروب استمرت مئات السنين بين الدول الأوروبية، ولزيادة المستعمرات الأوروبية في أسيا وإفريقيا.

وظهرت فلسفة "ميركانتاليزم" في نفس وقت ظهور فلسفة "فري تريد" (التجارة الحرة) التي قادها أدامز سميت (أبو الرأسمالية) في كتابه "ويلث أوف نيشنز"(ثروة الشعوب).

لم يختلف كثيرا جفرسون (أبو الفكر الليبرالي) وهاملتون (أبو الفكر المحافظ) حول سميث (أبو الفكر الرأسمالي). لكن، بينما ركز جفرسون على دور الحكومة في مراقبة نشاط البنوك والأغنياء، ركز هاملتون على مزيد من الحرية لهؤلاء.

وأشار جفرسون أن سميث، بالإضافة إلى أنه كتب كتاب "ثروة الشعوب"، كتب أيضا كتاب "نظرية العواطف الأخلاقية". وركز فيه على الجانب الإنساني للرأسمالية. وكتب فيه: "نعم، تميل النفس البشرية نحو مصلحتها (الطمع، والحسد). لكنها تميل أيضا نحو القيم الأخلاقية التي تقوم على أساس العلاقات الاجتماعية (وليست الفردية)، وهي التي تحدد ضمير الشخص".

بل ذهب سميت إلى أبعد من ذلك، ودعا إلى "ثقافة العطف"، اي أن الإنسان، عندما يركز على الذين حوله، "ينقى نفسه أخلاقيا"، وعندما يركز على نفسه، "ينغلق على نفسه".

في الوقت الحاضر، لا يختلف الوضع كثيرا عما كان عليه قبل مائتي سنة تقريبا:

أولا: تشبه الأزمة الاقتصادية الأزمة الاقتصادية في ذلك الوقت.

ثانيا: بينما يريد الديمقراطيون مزيدا من رقابة الحكومة على البنوك والشركات، يريد الجمهوريون مزيدا من الحرية لهؤلاء.

تحديث:

بعد أن زرت المنزل الذي ولد فيه هاملتون في جزيرة "نيميس"، وعندما كنت امشي أمام وزارة الخزانة في واشنطن (إلى جانب البيت الأبيض)، وقفت لفترة طويلة أمام تمثال هاملتون.

كنت مشيت أمام التمثال مئات المرات خلال ثلاثين سنة تقريبا في واشنطن. لكني هذه المرة لاحظت الأتي مكتوبا على التمثال: "ألكسندر هاملتون، 1757-1804، أول وزير خزانة، جندي، خطيب، رجل دولة، بطل الدولة الدستورية، والحكومة الديمقراطية، وأمن الوطن. لمس صخرة الموارد البشرية، ففاضت سيول الثروات. ولمس جثة قروض الحكومة، فعادت إليها الحياة".

لكني لاحظت أنه لا توجد على التمثال ثلاث حقائق هامة عن هاملتون:

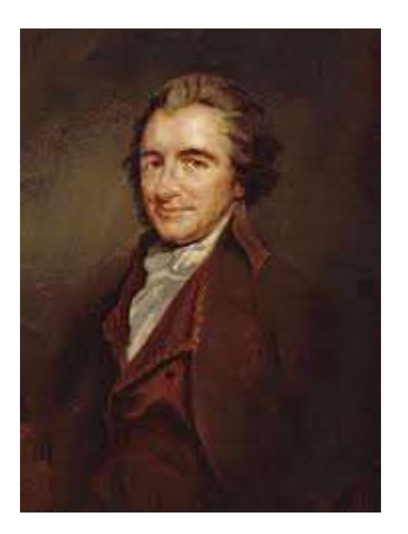
أولا: ترك هاملتون وزارة الخزانة بعد فضيحة علاقات جنسية مع زوجة وزير.

ثانيا: مات مقتولا، بعد مبارزة مع أرون بور، نائب الرئيس جفرسون، بعد نقاش ساخن جدا حول الفكر الليبرالي والفكر المحافظ.

ثالثا: دفن في كنيسة بالقرب من "وول ستريت" (شارع المال في نيويورك) الذي كان صاحب فكرته.



في حي قرينتش (نيويورك) : أبو الاشتراكيين



(اقرأ: أبو الفكر المحافظ).

في سنة 1985، جئت إلى نيويورك لحضور جلسة أخرى من جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة. كنت أتجول في حي "قرينتش" الشعبي. وصدفة، وجدت نفسي أمام لوحة تذكارية أمام المنزل الذي توفي فيه توماس بين.

بدا لي الاسم غير غريب، لكنى لم أكن متأكدا منه. عندما كنت صحافيا في السودان، وقبل أن أتي، سنة 1980، إلى واشنطن في وظيفتي مراسلا صحفيا، كنت اعرف عن شخصيات أميركية تاريخية، مثل: جورج واشنطن (الرئيس المؤسس)

وتوماس جفرسون (كاتب الدستور) وأبراهام لتكون (محرر العبيد). أعتقد أن اسم توماس بين (أبى الاشتراكيين الأميركيين) مر علي خلال قراءة معلومات عن الاشتراكية. كانت تلك سنوات الستينات، سنوات القومية العربية، والوحدة العربية، والاشتراكية العربية، والاشتراكية الإسلامية، والشيوعية، والاشتراكية الديمقراطية (في دول أروبية)، والاشتراكية الأمريكية (في الحقيقة، عدم وجودها، في ظل أكبر نظام رأسمالي في تاريخ العالم).

وفي سنة 1985، وقفت أمام المنزل الذي توفي فيه توماس بين (سنة 1809). المنزل رقم 59، في شارع قروف، في حي قرينتش، في نيويورك. وقرأت اللافتة الآتية: "العالم وطني. ناس العالم إخواني. عمل الخير ديني. الله الواحد هو الهي، ولا إله غيره."

خفق قلبي، وقلت لنفسي: "ربما هو أبو الاشتراكيين الأميركيين، لكنه كان مسيحيا يؤمن بالله الواحد الأحد."

ومنذ ذلك الوقت، بدأت أجمع معلومات أكثر عن توماس بين، وعن الاشتراكية في أمريكا.

الفكر الاشتراكي في أمريكا:

حتى قبل النظرية الماركسية (التي تقول أن مرحلة الاشتراكية تسبق مرحلة الشيوعية)، وصلت إلى الولايات المتحدة النظرية الاشتراكية الأوروبية (التي تقول أن الاشتراكية هي سيطرة الحكومة على وسائل الإنتاج. وذلك لمواجهة ظروف الثورة الصناعية: زيادة قوة الرأسماليين، وقروض البنوك، وارتفاع أسعار الفائدة، واستغلال الناس).

رغم أن كلمة "سوشياليزم" تترجم إلى "اشتراكية"، يمكن أن تترجم إلى "اجتماعية" (مصلحة المجتمع في مواجهة مصلحة الرأسماليين).

أول من استعمل الكلمة هو الفيلسوف الفرنسي هنري سيمون (توفي سنة 1825) من فلاسفة الثورة الفرنسية. ويقال انه أستاذ توماس بين (أبى الاشتراكيين الأمريكيين) رغم أنه كان أصغر منه سنا.

وكان بين، وهو بريطاني، جاء إلى أمريكا للاشتراك في الثورة الأمريكية (سنة 1776). ثم سافر إلى فرنسا للاشتراك في الثورة الفرنسية (سنة 1789).

خلال القرن التاسع عشر، انتشرت الاشتراكية في أوربا. لكن في أميركا:

أولا: عارضها الأمريكيون الذين كانوا يمارسونو تجارة الرقيق والتفرقة العنصريه ضد الزنوج (بل وضوعها في الدستور الأميركى).

ثانيا: عارضها "بارونات" الثورة الصناعية (عملاقة الراسمالية الأمريكية، مثل: فورد، روكفلر، كارنقي، ميلون).

لكن، مع بداية القرن العشرين، زادت الاشتراكية في أمريكا. وفي انتخابات سنة 1912، رشح الحزب الاشتراكي الأمريكي، تحت شعار "يا عمال العالم اتحدوا"، أيوجين دبس لرئاسة الجمهورية، ونال مليون صوت تقريبا (وكأنه نال ربع الأصوات بمقاييس الوقت الحاضر). وكان هناك اشتراكيان في الكونقرس، ومئات العمد وحكام المقاطعات الاشتراكيين.

لكن، ومن تناقضات التاريخ، كانت الثورة الشيوعية في روسيا (سنة 1917) بداية نهاية الاشتراكيين في أمريكا. لم يؤيدوها، لكنهم لم يعارضوها. وعارضوا تدخل أمريكا في الحرب العالمية الأولى (لمواجهة الإمبراطوريات الدكتاتورية في أروبا). وعارضوا نقاط الرئيس وودرو ويلسون الاثنتي عشرة (حق تقرير المصير للشعوب). اعتبروها كلها "مؤامرات رأسمالية." وبالغوا في الخوف من "بارونات" الرأسمالية الأمريكية.

ثم جاء الرئيس فرانكلين روزفلت (سنة 1932)، وأضاف إصلاحات اجتماعية (اشتراكية) إلى النظام الرأسمالي الأميركي. وسيطر روزفلت على البنوك والشركات العملاقة. وتحالفت مع روزفلت نقابات العمال، التي كان يمكن أن تكون حليفة للاشتراكيين.

على أي حال، لا يزال الحزب الاشتراكي الأمريكي موجودا حتى اليوم. لكن، يعتقد أن عدد أعضائه الرسميين لا يزيد عن مائة ألف شخص (أعضاء الحزب الشيوعي الأمريكي أقل).

أبو الاشتراكيين:

ربما لهذا السبب، ليس غريبا أن أبا الاشتراكيين الأمريكيين كأن اوربيا: البريطاني توماس بين. ولد في ريف نورفولك في بريطانيا سنة 1737، وهاجر إلى الولايات المتحدة عندما كان عمره 37 سنة.

ولد في ظروف بائسة، ومات في ظروف بائسة.

لم يدرس في ثانوية أيتون، ولا في جامعة أكسفورد. وترك الدراسة عندما كان عمره عشر سنوات ليساعد والده الذي كان يحيك الملابس. ثم، عندما كبر، فتح محلا خاصا به لحياكة الملابس. ثم تزوج، لكن، ماتت زوجته وهي تضع ولدا، ففقد الزوجة والولد. ثم أفلس مكان الحياكة، واضطر لإغلاقه.

ثم عمل في قسم الجمارك، وكان في بداية الثلاثينات من عمره، وهناك ظهرت ميوله "الاشتراكية." صار نشطا في مجال اتحادات ونقابات العمال. واشترك في كتابة وتوزيع خطاب من 21 صفحة إلى أعضاء البرلمان لزيادة أجور عمال الجمارك. ثم طبع أربعة آلاف نسخة من الخطاب، ووزعها على سياسيين، وصحافيين، ورجال أعمال.

وبسبب نشاطاته النقابية، طرد من إدارة الجمارك (بتهمة "الغياب عن العمل بدون إذن." كان ذهب لحضور اجتماع نقابي).

لحسن حظه، في تلك السنة، سنة 1774، قابل في لندن بنجامين فرانكلين (من الآباء المؤسسيين للولايات المتحدة. كان ذلك قبل استقلال الولايات المتحدة بسنتين. وكان فرانكلين يزور بريطانيا، وهو بريطاني الأصل.)

أعجب بين فرانكلين لأكثر من سبب:

أولا: والداهما بريطانيان.

ثانيا: كان والد بين حياكا، وكان والد فرانكلين جزارا، ينتميان إلى الطبقة الفقيرة.

ثالثا: كان بين يكتب في بريطانيا دفاعا علن نقابات العمال، وكان فرانكلين يصدر صحيفة في أمريكا تطالب بالاستقلال من بريطانيا).

في نفس سنة 1774 (قبل سنتين من استقلال الولايات المتحدة) هاجر بين إلى أمريكا. وبمساعدة فرانكلين، صار رئيس تحرير صحيفة أسبوعية تقدمية في فلادلفيا (ولاية بنسلفانيا).

كتاب "كومون سينس":

في سنة 1776، نفس سنة استقلال الولايات المتحدة، أصدر بين كتاب "كومون سنس" (الإحساس البديهي). ولأنه كان أجنبيا يعيش في الولايات المتحدة، وخشى من النقد، والأبعاد، لم يكتب اسمه على غلاف الكتاب، وكتب "بريطاني".

لكن، اشتهر الكتاب، وصار أكثر الكتب توزيعا في تاريخ أمريكا حتى ذلك الوقت. (خلال سنة واحدة، وزع نصف مليون نسخة، ما يعادل عشرة ملايين نسخة اليوم).

وصار أول كتاب عن الفكر السياسي الأمريكي الجديد. وبذلك، سبق بعشر سنوات تقريبا "فيدراليست بيبرز" (الأوراق الفدرالية)، إشارة إلى سلسلة مناقشات وسط الآباء المؤسسين، سبقت كتابة الدستور الأمريكي. (أخيرا، كتب الدستور سنة 1788، بعد 12 سنة من الاستقلال).

وكتبت صوفيا روزنفيلت، مؤلفة كتاب "بديهية توماس بين وبديهياتنا"، أن بعض الناس يسمونه: "فازر أوف ذا فازرز" (أبا الآباء المؤسسين).

واليوم، يعتبر كتاب "كومون سنيس" (الإحساس البديهي) من أهم مائة كتاب في التاريخ. يأتي ترتيبه، طبعا، بعد الكتب المقدسة لمختلف الأديان، وبعد كتب أفلاطون، وأرسطو. لكن، قبل كتاب ادأم سميت "ثروة الشعوب"، و "اعترافات" جان جاك روسو، و كارل ماركس "المانفستو الشيوعي"، وجون ستيوارت ميل "في الحرية"، و البرت اينشتاين "النسبية"، وجان بول سارتر "الوجود واللاشئ"، و "سيمون دي بيفوار "الجنس الثاني". طبعا، نظريات العدالة والحرية التي ركز عليها كتاب بين ليست جديدا. لكن، وضعها بين في قالب شعبي، وأسلوب سهل، وتفاؤل كثير. ركز على حلول المستقبل، وتحاشى مشاكل الماضي.

لم يركز على الاستقلال والحرية بقدر ما ركز على ما بعدهما. وكتب: "ليس الاستقلال غاية. انه وسيلة نحو الرخاء والنمو. وليست الحرية غاية. إنها وسيلة نحو الكرامة والعزة والفخر".

وربط بين الحرية والعدل كالآتي:

أولا:"الحرية التي ليس فيها العدل ليست حرية كاملة" (مثل دولة حرة تمارس التفرقة بين مواطنيها).

ثانيا:"العدل الذي ليست فيه الحرية ليس عدلا (مثل دولة تقول: إنها عادلة بدون أن تعطي الحرية لمواطنيها).

وحتى بعد تحقيق الحرية والديمقراطية، عارض بين التفرقة بين الأغنياء والفقراء، وبين الصفوة الحكمة وعامة المواطنين. وكتب:

أولا: "يجب ألا يقتصر التصويت في الانتخابات وحكم البلاد على الذين يملكون أملاكا، ويدفعون ضرائب عليها." (عدم التفرقة بين الأغنياء والفقراء).

ثانيا: "يقدر المواطن العادي على إصدار أحكام عقلانية في مواضيع السياسة والحكم. نعم، يوجد شيء اسمه الحكمة الشعبية" (عدم التفرقة بين الصفوة وعامة المواطنين).

ومن هنا جاء اسم الكتاب "كومون سينس" (الإحساس البديهي).

اشتراكية بين:

مثل اسم الكتاب، تعتمد اشتراكية بين على بديهيات، لا على نظريات. على "فلسفة شعبية" تبسط موضوع العدل (عدل؟ أو لا عدل؟)، لا على جدليات معقدة (ما هو العدل؟).

واعتمد على نظرية "ناتشورال جستيس" (العدل الطبيعي)، التي تعتمد على نظرية "ناتشورال لو" (القانون الطبيعي) بإن الأخلاق السامية طبيعة بشرية. وبالتالي، على نظرية "ناتشورال رايتز" (الحقوق الطبيعية) بان هذه الحقوق عالمية أبدية، ولا تعتمد على زمان معين، أو مكان معين، أو شخص معين.

ولهذا، كما قال، يجب أن يكون العدل المكتوب (الدساتير والقوانين) على هدى العدل الطبيعي.

ورغم أن بين لم يكن متدينا، اعتمد على التوراة والإنجيل فى أرائه. وكتب أن عيسي المسيح "قبل أن يكون رسول الحب والسلام، كان رسول العدل." وسأل: "كيف يكون هناك حب وسلام بدون عدل؟"

بعد الكتاب بعشر سنوات، وكان بين في فرنسا (ذهب إلى هناك لتاييد الثورة الفرنسية، مثلما كان جاء إلى أمريكا لتأييد الثورة الأمريكية)، أصدر كتاب أيدج أوف ريسون" (عصر المنطق).

* يتلخص الكتاب في نقطتين هامتين:

أولا: شن هجوما عنيفا على "أستابليشد ريليجان" (الدين المؤسس). يشير هذا إلى سيطرة الكنيسة ورجال الدين، واحتكارهم تفسير الدين. وقال بين أن كل شخص يجب أن يؤسس علاقته الخاصة والمباشرة مع الله، بدون وسيط.

ثانيا: شن هجوما عنيفا على الإنجيل. وقال أنه حرف رسالة عيسي المسيح. وانتقد نظرية التثليث (الأب، الابن، الروح القدس). وقال أنه يؤمن بنظرية "دايزم" (الخالق) أي أن هناك رباً واحداً، وخالقاً واحد، والهاً واحدً.

وكتب: "القول أن عيسي المسيح هو ابن الله، وانه مات ليفدى البشرية، وأنه الخلاص، ليس إلا قولا باطلا. وليس إلا إساءة إلى الله تعالي. أنا أؤمن بدين "ديزم"، أن الله واحد. وان الذين يؤمنون به يحاولون تقليد قيمه الأخلاقية. فقط يحاولون. هذا ما أقول، وليعينني الله."

قبل اي من الآباء المؤسسين للولايات المتحدة، عارض بين تجارة الرقيق. وكتب: "ليس غريبا، ولكن مؤسف أن رجالا متحضرين، رجالا مسيحيين، يمارسون هذه الظاهرة المتوحشة، التي هي عكس القانون الطبيعي بأن الناس خلقوا أحرارا، ويريدون أن يكونوا أحرار."

كان ذلك في سنة 1775، قبل سنة من استقلال الولايات المتحدة، وأسس أول جمعية أمريكية ضد الرقيق (رفض كل الآباء المؤسسين الانضمام إليها). وعكسهم كلهم تقريبا، لم يكن يملك رقيقا. في الحقيقة، لم تلغ تجارة الرقيق إلا بعد وفاة كل الآباء المؤسسين. في عهد الرئيس أبراهام لتكون (سنة 1862).

وكتب جون نيكولاس، صحافي في مجلة "نيشن" (الأمة) الليبرالية: "يمكن القول أن توماس بين كان الأب الفكري والأب النزيه للآباء المؤسسين. على الأقل، لم يكن يملك رقيقا، وعلى الأقل، لم يحصل على وظيفة بعد الاستقلال."

نهاية مؤسفة:

إذا لازم سوء الطالع توماس بين خلال سنواته الأولى في بريطانيا، لازمة خلال سنواته الأخيرة في الولايات المتحدة. وبدأت مشاكله عندما اختلف مع الآباء المؤسسين. وخاصة مع جورج واشنطن (الرئيس الأول) الذي كان يملك جيشا من الرقيق. وأيضا، توماس جفرسون (أبي الليبراليين).

وقال أعداء بين: أنه ليس من "الآباء المؤسسين" لأنه:

أولا: أجنبي.

ثانيا: لم يحارب في حرب الاستقلال.

ثالثا: لم يوقع على إعلان الاستقلال.

رابعا: لم يشترك في كتابة الدستور.

خامسا: متطرف ("اشتراكي"؟) سادسا: سُجن في بريطانيا وفرنسا.

في الحقيقة، سجن في فرنسا لأنه، بعد أن اشترك في الثورة الأميركية (سنة 1776)، سافر إلى هناك للاشتراك في الثورة الفرنسية (سنة 1789). وكتب هو بان بعض "الآباء المؤسسين" (قصد واشنطن وجفرسون وآخرين) أوعزوا إلى الفرنسيين بسجنه.

وعندما عاد إلى الولايات المتحدة سنة 1802، كان جفرسون رئيسا. ومرة أخرى، اختلف معه بسبب جيش الرقيق الذي كان يملكه. وعاداه جفرسون. وعاداه، أيضا، رجال الدين بسبب هجومه على الإنجيل في كتابه "عصر المنطق."

وقضى بقية حياته شبه منبوذ، ولا يملك غير مزرعة بالقرب من نيويورك. وعندما توفي سنة 1809، رفضت الكنيسة التي ينتمي إليها دفنه في مقابرها (لأنه كان انتقدها)، وأعلنت أنه "ملحد".

فاضطروا لأن يدفنوه في مزرعته. وحضر الدفن ستة رجال فقط، منهم اثنان من الزنوج.
وبعد عشر سنوات من وفاته، جاء إلى أمريكا مثقفون بريطانيون يؤيدون فكر بين الاشتراكي. وانتقدوا الأميركيين لأنهم عارضوه، وعادوه، ونبذوه. وقرر المثقفون نقل عظامه إلى بريطانيا "ليدفن بطلا." قادهم وليام كوبيت، صحافي بريطاني اشتراكي، وفعلا، نقل العظام إلى بريطانيا. لكن، قبل دفنها، وفي ظروف غامضة، اختفت.
وبعد وفاة الصحافي، قيل أن ابنه باع العظام، عظمة عظمة. وقال بريطانيون أنهم يملكون بعض العظام (قال واحد أنه يملك الجمجمة). وحتى اليوم، ليست هناك مقبرة لأبي الاشتراكيين الأمريكيين.
ربما هذا رمز آخر لمصير الاشتراكية في الولايات المتحدة.
تحديث:
سنة 2012، خلال الحملة الانتخابية الأخيرة التي فاز فيها الرئيس باراك أوباما على منافسه الجمهوري ميت رومني، كثرت اتهامات للرئيس أوباما بأنه "اشتراكي." كرر الاتهامات قادة "حزب الشاي" (الجناح المحافظ في الحزب الجمهوري). لم يستعمل رومني كلمة "اشتراكي"، لكنه استعمل كلمات صارت رمزا للكلمة، مثل: "إعادة تقسيم الثورة" و "عداء الأثرياء" و "حرب الطبقات."

من أسباب هذه الاتهامات:

أولا: وضع أوباما برنامج "أوباماكير" (لتأمين الصحي لكل الأميركيين) ووافق عليه الكونغرس، رغم معارضة الجمهوريين.

ثانيا: يريد أوباما زيادة الضرائب على الأغنياء. (عرف أوباما الغني بالذي يزيد دخله الشهري على عشرين ألف دولار تقريبا).

ثالثا: يريد أوباما زيادة الرقابة الحكومية على البنوك والشركات، وحماية المستهلكين منهم. ويريد منع مغامراتهم الاستثمارية لمضاعفة أرباحهم. (كانت هذه السبب الرئيسي للكارثة الاقتصادية الحالية التي بدأت سنة 2008).

لم يستعمل أوباما كلمة "اشتراكية" أبدا. ولن يجرؤ وحتى لو تجرأ، لن يكن اشتراكيا بالمعني العالمي والتاريخي للفكر الاشتراكي.

لكن، يعتبر معارضوه أي سيطرة حكومية على الرأسمالية "اشتراكية". وأوباما نفسه أول من يقول: إنه يؤيد النظام الرأسمالي. ويتفق في هذا مع كل الأميركيين تقريبا الذين يرون الرأسمالية حرية فردية اقتصادية. مثلها مثل الحرية الفردية السياسية، والإجتماعية، وحتى الجنسية.

لكن، تريد اغلبية الأمريكيين دورا كبيرا للحكومة لتقدم خدمات للمواطنين، خاصة في مجالات التعليم، والصحة، والمواصلات. (وإلى حد ما، مساعدة الفقراء والأطفال، وكبار السن). وحسب استفتاء في الأسبوع الماضي، تؤيد أغلبية كبيرة من الأمريكيين (65 في المائة) زيادة الضرائب على الأغنياء. وفي هذا تتفق مع أوباما؟

هل كل هؤلاء "اشتراكيون"؟

وبعد أن فشل الحزب الجمهوري في هزيمة أوباما، ظل، وخاصة "حزب الشاي" (الجناح المحافظ في الحزب)، يتهم أوباما بأنه "اشتراكي". ولهذا، يحذرون من أن أوباما، لأنه لن يقدر على أن يترشح مرة أخرى للرئاسة، سيفعل ما يشاء خلال الأربع سنوات في البيت الأبيض. وان هذه السنوات ستكون "أول عصر اشتراكي في تاريخ الولايات المتحدة."

وهناك من قال أكثر من ذلك. مثل رش ليمبو، جمهوري متطرف، ومقدم برنامج إذاعي يومي يستمع إليه كل يوم عشرين مليون شخص تقريبا.

حتى من قبل أن يترشح أوباما للرئاسة أول مرة سنة 2008، بدا ليمبو حملة شخصية ضده. وغمز، وهمز، ولمز، حول لون أوباما الأسود. ونشر أغنية تقول: "أوباما، الزنجي الساحر."

ثم أضاف أن أوباما "مسلم سري".

ثم أضاف أنه "اشتراكي."

وبعد أن فاز أوباما بالرئاسة مرة ثانية، لا يحذر ليمبو فقط من "أول عصر اشتراكي في تاريخ الولايات المتحدة"، ولكن، أيضا، بان أوباما، بعد أن يترك البيت الأبيض بعد أربع سنوات، سيعلن أنه مسلم، وسيعلن انه اشتراكي.

وفي برامجه الإذاعي، وهو يقهقه بصوت عالٍ، في استهزاء، يكرر ليمبو عبارة "مسلم سوشياليست" (مسلم اشتراكي).

يبدو أنه انتشى من أن يقول "نيقرو مسلم سوشياليست" (زنجي مسلم إشتراكي).

في معهد أيان راند (ولاية كاليفورنيا) :أم الفكر الأناني



(اقرأ: أبو الفكر الاشتراكي)

في سنة 1989، جئت إلى معهد "أيان راند" في جامعة جنوب كاليفورنيا (فرع إيرفينق، جنوب لوس انجلوس). ما كنت أعرف عن أيان راند كثيرا في ذلك الوقت. لكن في وقت لاحق، عرفت عنها ما جعلني أسميها "أم الأنانيين"، إذا توماس جفرسون، الرئيس الأمريكي الثالث، هو "أبو الليبراليين"،وإذا الكسندر هاملتون، أول وزير خزانة، هو "أبو المحافظين".

ربما هذه ليست مقارنة عادلة بالنسبة للرجلين، حتى إذا كانت المرأة أنانية وانتهازية. لأنها ليست من "فاوندنق فاذرز" (الآباء المؤسسين) الذين أسسوا الولايات المتحدة (سنة 1776).

ولأن هؤلاء لم يكن بينهم من دعا إلى الأنانية والمادية. كان هؤلاء وطنيين، ومقاتلين، وديمقراطيين، وإنسانيين، ومسيحيين مؤمنين. وكانت الاختلافات فقط في التفاصيل، مثل التي بين جفرسون وهاملتون.

لكن، أيان راند يهودية روسية ملحدة. هاجرت إلى الولايات المتحدة في بداية القرن العشرين. وصارت أستاذة جامعية، وفيلسوفة تنشر الأفكار الشيوعية والاشتراكية. ثم تحولت إلى "اوبجيكتيفيتي" (الفكر الموضوعي) الذي يمكن أن يسمى الفكر الأناني، لأن أساسه هو أن الإنسان لا يهتم بغير مصلحته.

مع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، اشتهرت هذه الفلسفة اكثر، وذلك بسبب الموجة المحافظة، والتحول نحو اليمين في السياسة الأمريكية. كانت هناك "الثورة الريقانية" (الرئيس الجمهوري رونالد ريقان خلال السنوات 1980-1988). وفي سنة 2010، ظهر "حزب الشاي" على خطأ ريقان، ويكاد يسيطر على الحزب الجمهوري.

لهذا:

أولا: صارت الاختلافات حادة بين الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري. بين فكر جفرسون الليبرالي وفكر هاملتون المحافظ. بين "رأسمالية إنسانية" و "رأسمالية فردية". بين حكومة تسيطر على البنوك والشركات (وتفرض عليهم ضرائب عالية لمصلحة الدولة والمجتمع) وحكومة ضعيفة تشرف على "السوق الحر" (مع ضرائب أقل على الأغنياء).

ثانيا: قلت الاختلافات بين "الرأسمالية الفردية" و "الرأسمالية الموضوعية (الأنانية)". وباسم حرية الإنسان في أن يستثمر كما يريد، ويغنى كما يريد، ظهرت حرية الإنسان في أن يكون أنانيا. هؤلاء هم "الرأسماليون الأنانيون"، وأمهم هي أيان راند.

خلفية تاريخية:

من هم نجوم الرأسمالية الأمريكية؟

أولا: أدام سميث، البريطاني مؤلف كتاب "ثروة الشعوب" (توفي سنة 1790).

ثانيا: ماكس ويبر، الألماني مؤلف كتاب "الأخلاق البروتستانتينة وروح الرأسمالية" (توفي سنة 1920).

ثالثا: ايان راند، الأميركية الروسية اليهودية، ومؤلفة كتاب "أطلس شرقد" (توفيت سنة 1982).

الأول هو المؤسس، ورأسماليته فيها جوانب إنسانية.

والثاني هو المصلح، ورأسماليته مسيحية فيها جوانب ودية.

والثالثة هي الملحدة، ورأسماليتها أنانية.

ورغم أن كتاب "ثروة الشعوب" الذي كتبه آدام سميث، يعتبر أهم كتبه، قال سميث نفسه أن كتاب "نظرية العواطف الأخلاقية"، الذي كتبه أولا، هو الكتاب المفضل له.

ركز سميث في هذا الكتاب الأخير على الجانب الإنساني للرأسمالية. وكتب: "نعم، تميل النفس البشرية نحو مصلحتها (الطمع، والحسد). لكنها تميل أيضا نحو القيم الاخلاقية التي تقوم على أساس العلاقات الاجتماعية (وليست الفردية)، وهي التي تحدد ضمير الشخص."

بل ذهب سميت إلى أبعد من ذلك، ودعا إلى "ثقافة العطف"، أي أن الكانسان، عندما يركز على الذين حوله، "ينقى نفسه أخلاقيا"، وعندما يركز على نفسه، "ينغلق على نفسه."

يدان، يمنى ويسرى:

من المثقفين الأمريكيين المعاصرين الذين كتبوا عن سميث، مايكل ميريل، أستاذ اقتصاد في جامعة راتجرز (ولاية نيوجيرسي). كتب في كتاب "وضع الرأسمالية في مكانها": "مثلنا كلنا، أدام سميث كانت عنده يدان. اليسرى ركزت على أخلاقية الإنسان، واليمني ركزت على طمع الإنسان."

وقال"وضع الرأسمالية في مكانها". كتبوذين ناقشواراند.د، إلية الأنانية". مجتمع والدولة، وبين حكومة ضعيفة يسيطر عليها "السوق الحر". ميريل أن سميث كان مثل من فلاسفة أوربا في ذلك الوقت الذين أثرت عليهم تعاليم المسيحية (لا الكنائس، والبابوات، والقساوسة) لكنهم لم يكتبوا مباشرة عن المسيحية. كانت أغلبيتهم علمانية، وتفضل "فصل الدين عن الدولة".

لهذا، ركز سميث على "النفس البشرية" وكأنه يريد منها أن تبحث، في فردية واستقلالية، عن القيم الأخلاقية المثلى. أينما كانت هذه القيم.

وكتب سميث: "يجب ألا نتوقع من الجزار، والخباز، وصانع البيرة أن يكونوا أخلاقيين. يجب أن نتوقع منهم أن يخدموا مصالحهم الشخصية". وكتب: "أحذركم من رجال الأعمال. أنهم دائما يتأمرون ضد الناس بهدف زيادة أرباحهم".

ماكس ويبر:

بعد الفيلسوف البريطاني أدام سميث بمائة سنة تقريبا، جاء الفيلسوف الألماني ماكس ويبر. وحسم الجدل عن أخلاقيات الرأسمالية بان ربط مباشرة الرأسمالية بالمسيحية في كتابه: "الأخلاق البروتستانتينية وروح الرأسمالية". ويمكن تلخيص الكتاب في الآتي:

أولا: يدعو الله الناس إلى العمل المثمر. ويخلص الذي يخاف الله في عمله (ولا بأس إذا جمع المال أيضا).

ثانيا: يواجه الإنسان، في كل مكان وزمان، تحدي أن يرضى الله، وفي نفس الوقت، يكدس المال.

ثالثا: ليست الرأسمالية نظرية اقتصادية بقدر ما هي فلسفة اجتماعية تقوم على إثراء المجتمع، وليس فقط إثراء الشخص.

رابعا: يوجد شرط لفصل الدين عن الدولة: تكون الدولة أخلاقية. وإذا صار الحاكم غير أخلاقي، يجب أن يتمرد عليه الناس.

من المثقفين الأميركيين المعاصرين الذين كتبوا عن هذه النظرية، رتشارد سويدبيرغ، أستاذ علم الاجتماع في جامعة كورنيل (ولاية نيويورك). كتب سائلا: "ماذا عن رأسمالية اليابان والصين؟ هل يمكن أن يكون الدين الشينتوي والدين الكونفوشيوسي من الدوافع الروحية للإنسان ليعمل، وليجمع المال، وليشارك الآخرين ثرواتهم بما يفيد الجميع؟"

وأضاف: "نعم، توجد صله بين روح الرأسمالية وروح المسيحية. لكن، ماذا عن الأديان الأخرى التي تدعو إلى السلام والعدالة؟ هل الغرب المسيحي هو الوحيد الذي يحتكر هذا الإلهام الروحي؟"

على أي حال، قال سويدبيرغ أن سميث وويبر، بربطان روح الرأسمالية بروح المسيحية. كالآتي:

أولا: اتفقا على أهمية منع تدخل رجال الدين في السياسة. (طبعا، منذ الإصلاح الديني في أوروبا، في القرن السادس عشر، تمرد المسيحيون الأوربيون على سيطرة القساوسة والكاردينالات. واتهموهم باحتكار الله. وقالوا أن أي شخص يقدر على أن يتصل بالله، ويدعو له، ويطلب عونه. بدون واسطة من طرف آخر).

ثانيا: اتفقا على أن رجل الأعمال يمكن أن يكون مسيحيا مخلصا أكثر من رجل الدين. وأنه لا يوجد تناقض بين عبادة الله وجمع المال.

ثالثا: اتفقا على أن روح الرأسمالية (وليست بالضرورة الرأسمالية نفسها) يمكن أن تكون بديلا عن الكنائس والكاتدرائيات (ولكن ليست بديلة عن روح المسيحية).

رابعًا: اتفقا على أنه، مع انخفاض ممارسة الغربيين للمسيحية (وانخفاض التزامهم بها)، صارت ممارسة الرأسمالية (التجارة) مثل دين آخر. صارت جزءا من الحياة اليومية. ولهذا، انشغل الناس بالعمل، والراتب، والصرف، والمعاش. صار كل إنسان في صراع يومي بين الطمع والقناعة، بين الباطل والحق، بين الشيطان والله.

أيان راند:

بعد الفيلسوف البريطاني سميث بمائة وخمسين سنة تقريبا، وبعد الفيلسوف الألماني ويبار بخمسين سنة تقريبا، كن،لينة ين.يحيون مؤمنين. بالله.بين جفرسون وهاملتون) الذين أسسوا الولايات المتحدة سنة 1776أبو الليبراليين"وإلكسندر هاملتون " أب جاءت الفيلسوفة الأمريكية الروسية اليهودية الملحدة أيان أرند.

كان اسمها الأصلي في روسيا هو: أليسا روزنبوم. وصار اسم فلسفتها التي كتبتها بعد أن هاجرت إلى أمريكا، وصارت أستاذة جامعية هو: "أوبجيكتيفيتي" (الموضوعية).

لكن، ربما يجب أن تسمى "صبجيكتيفيتي" (الذاتية). وملخصها هو الآتي:

أولا: الإنسان، بطبيعته، أناني، وينظر كل شيء نظرة منفعة ذاتية.

ثانيا: ينطبق هذا على المجتمع والحياة: اقتصاديا، وسياسيا، واجتماعيا.

ثالثا: لا تلعب العواطف، وخاصة الدين، دور هنا. (وهي الملحدة)

.

صورت راند فلسفتها في رواية "أطلس شرقد" (أطلس يهز كتفيه). وقصدت أطلس، إله المخلوقات عند الرومان القدماء (يصوره تمثاله وهو يحمل الكرة الأرضية على كتفيه، وينحنى قليلا، بسبب ثقل الكرة الأرضية).

وقالت: إن أطلس "يمكنه أن يهز كتفيه"، حتى تسقط الكرة الأرضية. ويقف منتصبا، وحرا، ومستقلا، وبدون أعباء. وتقصد أن الإنسان يجب ألا يهتم بالآخرين. ويجب أن يحدد هويته كانسان يريد مصلحته الخاصة.

قرينسبان:

كان الآن قرينسبان، الرئيس السابق لمجلس الاحتياطي الاتحادي الأمريكي (البنك المركزي)، واحدا من تلاميذها (يهودي مثلها). وفي سنة 1970، كتب كتابا كاملا دافع فيه عن فلسفتها. وقال:

أولا: الرأسمالية لا تعرف العاطفة.

ثانيا: "وول ستريت" (شارع المال في نيويورك) عقلاني.

ثالثا: المستثمرون وتجار المال لا يخافون ولا يهيجون، ولكنهم يتصرفون في عقلانية: لزيادة أرباحهم.

رابعا: "الموضوعية"، لا "الأنانية" هي التي تسير هؤلاء.

لكن، خلال آخر سنتين له في منصبه (وظل في المنصب 25 سنة)، بدا يكرر عبارة "أكسوربانت راشوناليزم" (العقلانية الحماسية). وغير كثيرا من آرائه السابقة. وقال: أن تجار المال والمستثمرين يعيشون داخل خوف مستمر على ثرواتهم.

***

عمل جاد، وترفيه جاد:

لم يهرع الأمريكيون نحو فلسفة راند الأنانية. يرونها "رأسمالية متطرفة". وطبعا، يتفق الجمهوريون والديمقراطيون والمستقلون على تأييد النظام الرأسمالي (الحرية التجارية لا تقل عن الحرية السياسية).

لكن، مع زيادة قوة المحافظين (متمثلا في حزب الشاي) الذين يكادوا يسيطرون على الحزب الجمهوري، زاد حديثهم عن فلسفة راند. لكن، في خجل، وذلك لانها، في الحقيقة، تدعو إلى "رأسمالية أنانية ". ولأنها كانت ملحدة، مما يتناقض مع تحالف الجمهوريين المحافظين ورجال الدين المحافظين الذي يسمون "كريستيان رايت" (اليمين المسيحي).

في نفس الوقت، وكما تنبأ الفيلسوف الألماني ويبار (وأيضا أبو الرأسمالية سميث)، يظل الأميركيون في صراع دائم (ربما مثل غيرهم من الشعوب) بين جمع المال ومخافة الله. بين الرأسمالية الأنانية والرأسمالية الإنسانية.

الأمريكيون، مثل الشعوب الأخرى، يريدون الاستمتاع بالحياة. ولأنهم من أكثر الشعوب عملا (حسب متوسط ساعات العمل اليومية، مباشرة بعد اليابانيين)، يرفهون عن أنفسهم أكثر من الشعوب الأخرى.

لهذا، تربط الثقافة الأمريكية الترف والعمل ربطا وثيقا (رغم أنهما يبدوان متناقضين).

وبسبب التأثيرات المسيحية، يرى الأمريكيون الآتي:

أولا: العمل جزء من عبادة الله، يكافئ الله عنه في الآخرة.

ثانيا: الترف جزء من العمل، يكافئ الإنسان نفسه عنه في الدنيا.

وربما بسبب الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية والأغاني، هناك تركيز أكثر على ترفيه الأمريكيين عن أنفسهم. وعن حبهم للمال.

مثل أغنية مشهورة تقول بعض مقاطعها: "أريد أن ألعب البولو مع رالف لورين (مصمم أزياء). أريد أكثر سيارة رفاهية في العالم. سيارة تطير بي إلى فلوريدا. لأشرب أحسن النبيذ، وأحسن الويسكي. وأنزل في أفخم الفنادق، وأقابل أجمل البنات ... "

لكن، في نفس الأغنية مقاطع تقول: "لست كسولا. أعمل سبعة أيام في الأسبوع". وتقول: "نصف العالم لا يفعل شيئا. نصف العالم يحرق الفلوس". إشارة إلى عيب يلتصق بالذي يرفه عن نفسه بدون أن يتعب ويكدح.

ويغني أيس كيوب، مغني أغاني "هيب هوب" أغنية تقول بعض مقاطعها: "لتتكوم الدولارات في حديقة منزلي. وليأكل السمك الكبير السمك الصغير". ووراءه، يردد الكورس: "الطمع يحقق ما أريد. الطمع يحقق ما أريد". وفي نهاية الأغنية، يردد الكورس: "أعطني أكثر. أعطني أكثر".

تحديث:

في سنة 2012، بعد ثلاث وعشرين سنة من زيارة مركز "راند" في كليفورنيا، وبعد سنتين من الاطلاع على كتاب "أطلس شرقد" (أطلس يهز كتفيه)، شاهدت فيلم "أطلس شرقد". يعتمد الفيلم على الكتاب. ويقدم قصة فيها حب وكراهية، وربح وخسارة. لكن، يلاحظ الذي يتعمق فيها إنها تفضل "الرأسمالية المتطرفة". تفضل أن تتمتع الشركات ورجال الأعمال بحرية أكبر. وتربط الحكومة بالأخطاء، والبيروقراطية، والكسل، والفساد، وقلة الوطنية.

لم تكن صدفة أن صدر الفيلم في سنة 2012 مع زيادة قوة الجناح المحافظ في الجزب الجمهوري، وانتخابات رئاسة الجمهورية بين الرئيس أوباما الديمقراطي وميت رومني الجمهوري المحافظ (ونائبه بول ريان، الجمهوري المحافظ جدا، والذي يعترف بان راند، فيلسوفة الأنانية، هي مثله الأعلى. لكنه يسارع وبقول: "بعد عيسي المسيح").

عند قبر أبراهام لنكولن ، سبرنقفيلد (ولاية اللينوي) :
الحزب الجمهوري يميل نحو اليمين



في سنة 1987 ، جئت إلى سبرنقفيلد (ولاية اللينوي) لزيارة منزل الرئيس أبراهام لنكولن. ولد لنكون في ولاية كنتاكي، ثم جاء إلى ولاية اللينوي. وعندما كان محاميا، ومع بداية حياته السياسية، سكن في هذا المنزل الذي هو الآن متحف وطني. ثم زرت المقبرة القريبة التي دفن فيها، وهي مقبرة عملاقة عليها مسلة طويلة، وتمثال له.

قبل نصف قرن تقريبا في مدرسة أرقو المتوسطة (على نهر النيل، في شمال السودان، جنوب الحدود مع مصر)، تعلمت أن أشهر رئيسين أمريكيين هما: جورج واشنطن (المؤسس)، وأبراهام لنكون (محرر العبيد).

ربما لأني سوداني، أهتم اهتماما خاصا بالأمريكيين السود. لكن، لأني حريص على إسلامي، اهتم أكثر بالأمريكيين المسلمين السود. وأتمنى لو أن بقية زنوج أمريكا اعتنقوا الإسلام. كان ذلك سيزيد ثقتهم بأنفسهم، ويقلل عقدة النقص عندهم نحو البيض.

في سنة 1980، في أول يوم في واشنطن، زرت مبنى الكونقرس، ثم تجولت في "ناشونال مول" (الميدان الوطني)، حيث الكونقرس في أقصى الشرق، ثم نصب الرئيس واشنطن التذكاري في الوسط، ثم تمثال الرئيس لنكون في أقصى الغرب.

وهذه من العبارات على التمثال التي أعجبتني: "في هذا المعبد، مثلما في قلوب الذين أنقذ الولايات المتحدة من أجلهم، تعيش ذكرى أبراهام لنكون إلى الأبد".

خلفية تاريخية:

من مفارقات التاريخ أنه، قبل مائة وخمسين سنة، كان الحزب الجمهوري هو الذي يدفع أمريكا إلى الأمام (عندما قاد الحملة ضد تجارة الرقيق). وكان الحزب الديمقراطي هو الذي يؤخر أمريكا (عندما دافع عن تجارة الرقيق. بل أعلن قادته في الولايات الجنوبية الانفصال، وحاربوا الحكومة الاتحادية (حتى هزمتهم).

في ذلك الوقت (مثلما في الوقت الحاضر) كان الاختلاف الأساسي هو الذي بين الرأسمالية المتطرفة والرأسمالية الاجتماعية. بين التنمية الاقتصادية بأي ثمن، والتنمية مع العدالة الاجتماعية. في ذلك الوقت، كان الأمريكيون يتناقشون:

أولا: ألا تفيد تجارة الرقيق الاقتصاد الأميركي لأنها توفر عمالة مجانية (رغم ظلم السود)؟
ثانيا: ألا تفيد سيطرة الأغنياء الاقتصاد الأميركي لأنها تضمن استثمارات مستمرة (رغم عدم عدالة توزيع الثروة)؟

لنكولن المحامي:

قبل مائة وخمسين سنة، عارض الحزب الجمهوري الظلم على السود (رغم العمالة المجانية). بل أن الحزب نفسه تأسس على أيدي نشطاء عملوا في مجال مكافحة الرقيق (سنة 1854)، قبل ست سنوات من انفصال الولايات الجنوبية التي كان يقودها الحزب الديمقراطي.

كان من بين النشطاء محامٍ شاب من ولاية الليوني، طويل القامة ونحيف البنية، وله ذقن كثيف، وصار، في وقت لاحق، عضوا في الكونقرس، ثم رئيسا: أبراهام لنكون، الذي وصفه التاريخ بأنه "محرر العبيد".

في سنة 1854، أيد النشطاء، وخاصة في ولاية الليوني (ولاية لنكون)، قانونا أصدرته الولاية منع تجارة الرقيق فيها. ثم أيدوا قانونا مماثلا أصدرته ولاية كنساس. لكن، ضغط الحزب الديمقراطي (المؤيد لتجارة الرقيق) في ولاية كنساس حتى ألغت كنساس القانون. واجتمع النشطاء، بقيادة لنكولن، في مدرسة مكونة من فصل واحد، في مدينة ريبون الصغيرة (ولاية ويسكونسن). ويوم 20-3-1856، أعلنوا تأسيس حزب سموه "الحزب الجمهوري". وكان أول أهدافه هو إلغاء تجارة الرقيق، ليس فقط في ولاية كنساس، ولكن في كل الولايات الأمريكية. ورفع الحزب الجديد شعار: "عمالة حرة، أرض حرة، مواطنون أحرار":

أولا: "عمالة حرة": إشارة إلى إجبار الزنوج على العمل في حقول القطن، والتبغ، وغيرهما في ولايات الجنوب.

ثانيا: "أرض حرة": إشارة إلى امتلاك إقطاعيين بيض مشاريع زراعية عملاقة، كانت تعرف باسم "بلانتيشن" (إقطاعيات يملك أصحابها الأرض، والناس والحيوانات الذين يعيشون فيها).

ثالثا: "مواطنون أحرار": إشارة إلى تجارة وامتلاك الرقيق.

لنكون الرئيس:

بعد أربع سنوات من تأسيس الحزب الجمهوري، سيطر على كثير من ولايات الشمال، كما أوضح مؤتمر الحزب الذي عقد سنة 1858. وبعد سنتين، ترشح لنكون للرئاسة، وفاز. وفي نفس الانتخابات، سيطر الحزب على الكونقرس.

لهذا، عندما أعلنت ولايات الجنوب الانفصال، كانت الحكومة الاتحادية، بقيادة لنكون، قوية، ومصممة، وأعلنت الحرب على ولايات الجنوب. وبعد أن انتصرت، أعلنت برنامج "ريكونستركشان" (إعادة تعمير ولايات الجنوب).

استمر البرنامج لعشرين سنة تقريبا. ثم، تدريجيا، قل حماس الحكومة الاتحادية له، وزادت مقاومة الولايات الجنوبية له.

وهكذا، ولمائة سنة تقريبا، نفذت الولايات الجنوبية قانون "جيم كروز": تفرقة عنصرية رسمية، قسمت البيض والسود في المدارس، والمكاتب، والمنازل، وحتى حنفيات الشرب، والمراحيض. ("جيم كروز" اسم مسرحية عرضت أول مرة في سنة 1832، ومثل فيها ممثل فكاهي أبيض شخصية "جيم كروز" الزنجي. لهذا، يمكن القول إن الاسم الحقيقي للقانون هو "قانون الزنوج").

لنكون الرأسمالي:

لم يكن "حزب لنكون" ضد الرأسمالية، واستثمارات الأغنياء، والعمالة الرخيصة. كان ضد العمالة المجانية (عمالة الرقيق)، من منطلق شبه أخلاقي، أكثر منه منطلقًا رأسماليًا. كان الحزب، كما هو الآن، أكثر حرصا من الحزب الديمقراطي، بصورة عامة، على القيم العائلية، والقيم المسيحية.

لهذا حتى اليوم، تنقسم أجندة الحزب الجمهوري إلى اقتصادية واجتماعية، رغم ما في ذلك من تناقض:

أولا: كيف يقسم شخص العدل إلى اقتصادي واجتماعي؟ (العدل، مثل الحرية، لا يتجزأ).

ثانيا: كيف يعارض شخص الإجهاض (لأنه ظلم على الجنين وهو في رحم أمه)، ولا يعارض الظلم الاجتماعي (على أم الجنين، وعلى أبيه)؟

على أي حال، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، استفاد الحزب الجمهوري من الازدهار الاقتصادي والحضاري. متمثلا في التعدين، والمناجم، والسكة الحديد، والسفن البخارية، والتلغراف، والتلفون. ثم السيارة، والطائرة. ولحسن حظ الحزب الجمهوري، كانت أغلبية هذه الإنجازات الحضارية في ولايات الشمال (حتى اليوم، تظل الولايات الجنوبية اقل تقدما وتحضرا).

حزب الشركات والبنوك:

مع نهاية القرن التاسع عشر، صار الحزب الجمهوري، ربما مثلما هو اليوم، حزب الشركات والبنوك. لكن الوضع كان أسوأ في ذلك الوقت، وذلك لأن القوانين الحكومية ضد الاحتكار، والطمع، والفساد، لم تكن قوية مثلما هي عليه اليوم. كانت تلك سنوات "البارونات" (عمالقة الشركات والبنوك).

لكن، في سنة 1890، وافق الحزب، مترددا، على قانون "شيرمان" (ضد الاحتكار)، وقانون "إنترستيت تريد" (تنظيم التجارة بين الولايات)، وقانون "ماكنلي" (زيادة التعريفة الجمركية).

وصارت حتمية تاريخية أن يؤيد الحزب الجمهوري التوسعات الأمريكية في الخارج، لخدمة مصالح الشركات والبنوك العملاقة. مثل: ضم جزر هاواي إلى الولايات المتحدة، وغزو كوبا، واحتلال الفيليبين، والتدخل في دول أميركا اللاتينية لحماية شركات الموز والأناناس الأميركية، وتقسيم كولومبيا لشق قناة بنما.

ومثلما لا يتحمس الحزب الجمهوري اليوم لمنظمة الأمم المتحدة، لم يتحمس في ذلك الوقت لعصبة الأمم المتحدة (يعتبرهما تدخلا حكوميا بيروقراطيا عالميا، يؤثر على الحرية الأمريكية السياسية والاقتصادية).

نوعان من الرأسمالية:

غير فترات قليلة حكم فيها الحزب الديمقراطي، سيطر الحزب الجمهوري على حكم الولايات المتحدة لقرابة سبعين سنة. من الحرب الأهلية (سنة 1862) وحتى الكارثة الاقتصادية (سنة 1929).

كانت الكارثة نفسها من نتائج الرأسمالية المتطرفة التي دعا لها الحزب الجمهوري. وربما تمكن مقارنتها بالأزمة الاقتصادية سنة 2008، بعد ثماني سنوات من الرأسمالية المتطرفة التي سار عليها الرئيس بوش الابن (مثل: تخفيض الضرائب على الأغنياء. استغلال الحروب لازدهار الاقتصاد. إلغاء أو تخفيض كثير من قوانين الرقابة الحكومية على الشركات والبنوك).

بعد أن حكم الحزب الجمهوري الولايات المتحدة لسبعين سنة تقريبا، حكمها الحزب الديمقراطي لخمسين سنة تقريبا (غير فترات قليلة). بداية بالرئيس فرانكلين روزفلت (سنة 1932)، وحتى الرئيس باراك أوباما (2008).

وهكذا، بعد الرأسمالية المتطرفة (الفردية) بقيادة الحزب الجمهوري، دخلت الولايات المتحدة مرحلة الرأسمالية المعتدلة (الإنسانية) بقيادة الحزب الديمقراطي. مثلا: قانون العلاج الصحي، قانون الضمان الاجتماعي، قانون المعاشات، قانون محاربة الاحتكار، قانون حقوق المرأة، قوانين الحقوق المدنية (بعد مائة سنة من التفرقة العنصرية، خاصة في الولايات الجنوبية).

لكن، انشق الحزب الديمقراطي بسبب هذه القوانين الإنسانية، خاصة لأن البيض في الولايات الجنوبية لم يتحمسوا لإلغاء التفرقة العنصرية.

وكان طبيعيا أن يستغل الحزب الجمهوري هذا الانشقاق. ويعمل لإعادة البلاد إلى الرأسمالية الفردية المتطرفة (يعتبر رمزا لها في الوقت الحاضر "حزب الشاي"، الجناح المتطرف في الحزب الجمهوري).

الثورة الريقانية:

في سنة 1980، بدا استغلال الحزب الجمهوري لانشقاق الحزب الديمقراطي. بقيادة الرئيس رونالد ريقان.

عندما أعلن ترشيحه لرئاسة الجمهورية في تلك السنة، ذهب إلى فيلادلفيا (ولاية مسيسبي). لم تكن هذه صدفة. في سنة 1964، كانت المدينة الفقيرة الصغيرة مسرحا لمظاهرات ضد التفرقة العنصرية. وتصدت لها الشرطة (حسب أوامر بول جونسون، الحاكم الأبيض). وأطلقت الشرطة النار على المتظاهرين، وقتلت ثلاثة: أبيضين، واسود.

ماذا قال ريقان في فلادلفيا (ولاية مسيسبي)؟ لم يقل أنه مع التفرقة العنصرية، ولم يقل أنه يعطف على الأغلبية البيضاء، ولم يقل أنه يريد كسب أصوات البيض الذين كانوا يؤيدون الحزب الديمقراطي. قال: "يجب على كل ولاية أن تحكم نفسها كما تريد."

كان هذا شعارا عمره مائة سنة تقريبا. منذ أيام انفصال الولايات الجنوبية والحرب الأهلية. وذلك لأن الولايات الجنوبية لم تقل مباشرة أنها تريد استمرار تجارة الرقيق (ربما خجلا). كانت تقول أنها تريد أن "تحكم نفسها كما تريد."

وهكذا، أيقظ ريقان في أذهان البيض في الولايات الجنوبية عنصريتهم البغيضة. وفعلا، كسب أصواتهم. وكانت تلك بداية انهيار الحزب الديمقراطي في الولايات الجنوبية، وسيطرة الحزب الجمهوري عليها، مع بداية القرن الحادي والعشرين.

وهكذا، اعتمدت "الثورة الريقانية" على أساسين:

أولا: عنصرية خفية ضد الزنوج واللاتينيين.

ثانيا: رأسمالية بدون حدود.

وهكذا بعد مائة سنة تقريبا، انقلب الحزب الجمهوري (حزب لنكون، محرر العبيد) رأسا على عقب. انقسم إلى جناحين:

معتدلين (أنصار الرئيس لنكون)، مثل أيزنهاور، ونيكسون، وبوش الأب.

يمينيين (أنصار الرئيس ريقان)، مثل ريقان نفسه، وبوش الابن.

وفي انتخابات سنة 2008 الرئاسية، ترشح السناتور جون ماكين (معتدل) واختار نائبته سارة بالين (يمينية)، وسقطا. وفي انتخابات سنة 2012، ترشح ميت رومني (يميني)، وسقط.

حزب الشاي:

ولا يذكر هذا التحول نحو اليمين في الحزب الجمهوري، إلا ويذكر "حزب الشاي".

هذه من صفات حزب الشاي:

أولا: بدا في ولايات الجنوب، وخاصة بعد فوز أوباما برئاسة الجمهورية (سنة 2008) كأول رئيس أسود في تاريخ أمريكا. (لم تكن هذه صدفة).

ثانيا: منذ تأسيسه، بدأ يسيطر على الحزب الجمهوري. وبعد أن اختار الحزب الجمهوري رومني لانتخابات رئاسة الجمهورية سنة 2012، صار واضحا أن "حزب الشاي" سيطر فعلا على الحزب الجمهوري.

ثالثا: توجد في حزب الشاي"عنصرية خفية". لكن، طبعا، مع بداية القرن الحادي والعشرين، لا يقدر أميركي، حاكم أو مسؤول أو سياسي عاقل، أن يعبر علانية عن عنصريته. لهذا، يمكن القول أن "ساتل ديسكريمينيشن" (عنصرية خفية) صارت تحرك الأحداث، وخاصة المنافسة بين الحزبين الجمهوري والديمقراطي. ولكن بصورة خفية وغير مباشرة.

فيلسوف حزب الشاي:

فيلسوف حزب الشاي هو بروفسير رتشارد آرمي. كان أستاذا محافظا في جامعة في ولاية تكساس. ثم ترك الأكاديمية، وتفرغ للسياسة. ودخل مجلس النواب باسم الحزب الجمهوري. وفي سنة 1992، صار زعيم الأغلبية في مجلس النواب. وفي سنة 2002، ترك الكونقرس، وتفرغ للعمل التنظيمي. وفي سنة 2007، أسس منظمة "فريدوم ويركز" (الحرية تعمل).

وصار، ليس فقط من قادة الحزب الجمهوري في واشنطن، ولكن من قادة الجناح المحافظ في الحزب. وفي سنة 2008، بعد أن صار أوباما رئيسا للجمهورية، وتطورت معارضة المحافظين له، اشترك آرمي في تأسيس "حزب الشاي"، وفي التنظير له. ومما قال: "بحق السماء، من أين جاء هؤلاء التقدميون والاشتراكيون إلى واشنطن. لا يحب هؤلاء أميركا كما نحبها نحن. ولا يريدون الخير لها كما نريد نحن؟"

"حزب الشاي"، في الحقيقة، ليس حزبا بالمعنى المتعارف عليه عن كلمة "حزب". ربما هو مظلة، أو تحالف، لمنظمات تتفق على الآتي:

أولا: شن هجوما عنيفا ومستمر على الرئيس أوباما. ليس هجوما عنصريا واضحا، ولكن هجوم "عنصري خفي." غير أنه في صورة هجوم عقائدي: لا يتهم "حزب الشاي" أوباما فقط بالليبرالية (حسب القاموس السياسي الأميركي، تعنى يسار الوسط). ولا يتهمه فقط بالتقدمية (تعنى يسار الليبرالية). لكن، يتهمه بالاشتراكية (تعنى يسار التقدمية).

لم يتهم "حزب الشاي" أوباما بالشيوعية (أقصى اليسار)، لكن، يقول أعضاء في الحزب أن أوباما "شيوعي خفي."

ثانيا: انتقد "حزب الشاي" الجناح المعتدل في الحزب الجمهوري. هذا هو الجناح الذي يقوده السناتور جون ماكين (في سنة 2008، ترشح لرئاسة الجمهورية، وسقط، ضد أوباما). وظل هذا الجناح المعتدل يريد التعاون مع قادة الحزب الديمقراطي في الكونقرس لإصدار قوانين "معتدلة" ترضي الحزبين. لكن، طبعا، فشل، وافل نجم ماكين.

ثالثا: دعا "حزب الشاي" إلى عدم تقييد حريات الشركات والبنوك. مثل: شركات الاستثمار (رغم أخطائها التي سببت الأزمة الاقتصادية سنة 2008). وشركات التأمين الصحي (رغم استغلالها الواضح للمرضى). وبنوك "وول ستريت" (شارع المال في نيويورك) التي تتحمل مسؤولية هذه الأزمة الاقتصادية الحالية. لأنها، بسبب طمعها، قدمت قروضا مغرية لغير القادرين على دفع أقساط ديونهم، حتى تراكمت الديون عليهم بترليونات الدولارات.

رابعا: دعا "حزب الشاي" إلى منع زيادة الضرائب، خاصة على الأغنياء، اعتمادا على فلسفة أن الأغنياء يقدرون على زيادة الإنتاج الاقتصادي أكثر من الحكومة. وأن أرباح الأغنياء تصب على الفقراء. (هذه هي نظرية "تريكيل داون"، تصب الماء نقطة نقطة، التي أعلنها الرئيس ريقان سنة 1980.

وأخيرا:

في الوقت الحاضر، بعد مائة سنة من ظهور الحزب الجمهوري المعتدل بقيادة الرئيس لنكون، صار الحزب أكثر تطرفا من الحزب الديمقراطي.

ربما بعد مائة سنة ستدور الدائرة دورة كاملة. لن يكن البيض أغلبية. وسيساوي عددهم عدد اللاتينيين (ويقل عدد السود). وستتغير العلاقات العنصرية والعرقية في أميركا تغييرا كاملا (بعد مرور ستمائة سنة على اكتشاف البيض لها).

في كلية هارتفورد اللاهوتية (ولاية كونيتيكات) :

مسلمات أمريكيات



في سنة 2006، جئت إلى كلية هارتفورد اللاهوتية (في ولاية كونيتيكات) لمقابلة بروفسيره أنقريد ماتسون، مديرة قسم العلاقات المسيحية الإسلامية، والتي انتخبت رئيسة للجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية (أسنا). إنها أول امرأة ترأس الجمعية، وكانت مسيحية، ثم اعتنقت الإسلام.

قابلتها قبل ذلك في مؤتمرات كثيرة إقامتها "أسنا"، أكبر منظمة للمسلمين في الولايات المتحدة وكندا. كانت عضوة، ثم دخلت اللجنة التنفيذية، ثم صارت نائبة رئيس، ثم رئيسة.

أول مرة، أثارت انتباهي بأنها جميلة شقراء، خداها ورديان، وشعرها ذهبي، لكن يغطيه حجاب، ولا يرى أطرافه إلا الفضولي الذي يدقق النظر. لا تلبس جلبابا شرقيا، ولكن فستانا غربيا طويلا. لا تشبه امرأة ترتدي كيسا من القماش الثقيل والخشن، ولكن تشبه امرأة أنيقة، تبرهن على أن اللباس الإسلامي يمكن أن يكون "مثيرا". تتحرك في وقار، وتتكلم في هدوء.

كان معها زوجها وطفلاهما. هو هاجر إلى أمريكا من مصر، وهي هاجرت إلى أمريكا من كندا.

سألتها عن إسلامها. وقالت: "ولدت في كندا، في عائلة مسيحية كاثوليكية. أحببت الكنيسة وإنا صغيرة. ربما مثل كل طفل وطفلة، من أي دين، ينبهر بالطقوس الدينية، ويريد أن يقلد والديه، ويفهم أن الدين شيء ليس مثل بقية الأشياء. له نكهته الخاصة."

وأضافت: "لكن، عندما كبرت، مثل شباب وشابات من أي دين، تمردت."

وفي الجامعة، اهتمت بالآداب والفنون. ودرست الفن الإسلامي، ولاحظت أنه لا يصور الأنبياء كما يصور الفن المسيحي. وكان ذلك أقصى ما عرفت عن الإسلام. ثم سافرت إلى باريس. وصدفة، قابلت وعرفت شبابا وشابات من السنغال.

وقالت: "لاحظت شيئين فيهم: أولا: تواضعهم. وثانيا: فخرهم. ولاحظت أنه سهل على الذي لا يعرفهم أن يرى التواضع وكأنه خنوع، أو بلاهة، أو سذاجة. ربما لأنهم غرباء في بلد غريب، ووجدوا فرقا كبيرا بين بلادهم فرنسا، ولجؤوا إلى دينهم. وعرفت أن التواضع والفخر توأمان. وان وراء "السذاجة" عزة نفس. ثم عرفت أن وراء عزة النفس دين الإسلام."

وقالت إنها بدأت تدرس الإسلام بسبب أولئك السنغاليين والسنغاليات. وعندما وقفت تصلي أول مرة، "أصابني إحساس مثير ومخيف في نفس الوقت. وهو أنني أقف، حقيقة، أمام الله. هذا إحساس لم أحس به وأنا في الكنيسة. في الكنيسة، كل شيء ظاهر وواضح: الصليب، وتمثال المسيح. لكن في المسجد، طبعا لا يرى المسلم الله. أحسست بأن مشاعر الذي لا يرى الله أقوى من مشاعر الذي يراه، أو يعتقد أنه يراه. أحسست أن الغيب ليس جهلا، ولكنه عقيدة."

رئيسة "أسنا":

عندما اختيرت انقريد ماتسون رئيسة لمنظمة "اسنا"، أثار اختيارها نقاشا كبيرا لسببين رئيسيين:

أولا، لأنها بيضاء، وواحدة من بيضاوات قليلات في الجمعية التي تضم (في سنة 2008، حسب أرقامها) قرابة نصف مليون عضو. وأغلبية هؤلاء سود أو سمر، هاجروا من دول العالم الثالث.

ثانيا، لأن اختيارها جاء في وقت ظهرت فيه مثقفات مسلمات يتحدثن عن الإسلام في الصحف والتلفزيونات الأمريكية. ويثرن مواضيع لم يكن يثيرها المسلمون (ناهيك عن المسلمات).

مثل: هل تظهر المسلمة في التلفزيونات الأمريكية مع مسيحيين ويهود وتناقشهم في الدين؟ هل، عندما تفعل ذلك، يجب أن تلبس حجابا، أو، على الأقل، تغطي شعر رأسها؟ وماذا إذا لم تفعل ذلك؟ وماذا إذا قالت عن الإسلام أشياء لا يؤيدها فيها مسلمون، ناهيك عن مسيحيون أو يهود؟

عندما سألت أنقريد ماتسون، قالت أنها لا تجد حرجا في الاشتراك مع قادة مسيحيين ويهود في مناقشات دينية أو سياسية.

وقالت: "لا يعرف كثير من المسلمين خارج أمريكا كمية الحرية المتوفرة في أمريكا. وأن أي إنسان يمكن أن يتناقش مع أي إنسان في الصحف، والتلفزيونات، والمؤتمرات، رغم اختلاف الآراء والأديان والأجناس. ولا يعرفون أن نسبة كبيرة من الأمريكيين غير المسلمين تعارض الأعمال العسكرية الأمريكية في الخارج. وتعارض التعذيب، وقتل المدنيين. وإن كثيرا من هؤلاء المعارضين هم قادة المجتمع الأمريكي: أساتذة جامعات، ومحامون، وقادة دينيون، سواء مسيحيين أو يهود."

وقالت: أنها ولدت وتربت في مجتمع مفتوح في كندا. وجاءت إلى أمريكا لتدرس وتدرس في مجتمع مفتوح أيضا. وضحكت عندما سألتها، وقالت إنها لا تتردد "ولو لدقيقة واحدة" في مناقشة مسيحي أو يهودي أو بوذي، ناهيك عن الحديث معه.

امرأة بيضاء:

واشتكت أنقريد ماتسون من "نقد غير مباشر" من جانب صحفيين أمريكيين وكنديين كتبوا عنها بعد أن فازت بمنصب رئيسة "أسنا". ركزوا على أنها امرأة، وبيضاء، و"رغم ذلك" ترأس جمعية إسلامية "فيها كثير من المهاجرين من باكستان ومصر ودول في قائمة الإرهاب."

وكانت أمامها قصاصات من صحف أمريكية. نشرت صحيفة "نيويورك تايمز" أنها "امرأة، وكندية، وغير مهاجرة". ونشرت صحيفة "لوس أنجلوس تايمز": "هذا شيء غير عادي لأمراه، وبيضاء، وكانت كاثوليكية." ونشرت صحيفة "سانفرانسسكو كرونيكل" أنها "بيضاء، وتلبس ملابس حديثة، وتغطي شعر رأسها، وتجلس وسط مسلمين يلبسون جلاليب وعمائم."

لكن، في القصاصات ردودها هي. قالت لصحيفة"نيويورك تايمز": "يعتقد بعض الناس إنني أكثر شجاعة، وأقل خوفا لأني بيضاء. لكن، ليست للوني صلة بعقيدتي." وقالت لصحيفة"لوس انجلوس تايمز": "لم ينزل الإسلام للسود والسمر فقط. غريبة، عندما يصير أمريكي اسود مسلما، يقولون إن هذا مفهوم. لكن، عندما أصير أنا البيضاء مسلمة، يستغربون، وكان علي أن اختار بين لوني والإسلام."

***

رئيس سوداني:

وقالت: "كان الشيخ محمد نور عبد الله (سوداني) رئيسا للجمعية قبل أن أصبح أنا رئيسة لها. توجد، طبعا، اختلافات كثيرة بين شكله وشكلي. لكنه استاذي وأخي. وهو، في الحقيقة، أكثر وقارا ولطفا مني. أحس، لهذا، بالإساءة عندما ينظر إليه شخص نظرة غير عادية، أو ويحتقره، أو يخاف منه بسبب لونه أو ملابسه."

وقالت : أن بعض أصحاب "نظريات المؤامرة" قالوا: أن المسلمين في أمريكا تعمدوا اختيار امرأة بيضاء رئيسة لهم حتى لا يخاف الأمريكيون من المسلمين. لكن، "يعتقد الذين يقولون هذا الكلام أن الأمريكيين على حق إذا خافوا من مسلمين سود أو سمر. ليس الأمريكيون على حق إذا خافوا من مسلمين سود أو سمر."

واتهمت أنقريد ماتسون (وهي الكندية الأصل) الأمريكيين بعنصرية في نظرتهم هذه نحو المسلمين. وكأنها تقول أن كندا أكثر انفتاحا وتطورا من الولايات المتحدة. وربما لهذا الاختلاف بين الدولتين الجارتين صلة بنقطتين:

أولا، تدين المسيحيين الأمريكيين أكثر (وبالتالي، التطرف المسيحي أكثر).

ثانيا، لا يحس الكنديون ببقايا تجارة الرقيق التي لا تزال تؤثر على نفسية البيض (والسود) في أمريكا.

يمينيون ويساريون:

واجهت أنقريد نقدا، ليس فقط من مسيحيين ويهود، ولكن أيضا من مسلمين، يمينيين ويساريين:

في جانب، انتقدها أمريكيون مسلمون يمينيون اعتمادا على أحاديث منسوبة إلى النبي محمد (ﷺ)، مثل: "لا بارك الله في قوم ولت أمرهم امرأة" و "نظرت في الجنة، ورأيت أكثر أهلها فقراء، ونظرت في النار، ورأيت أكثر أهلها نساء." و "ما تركت بعدي فتنة أضر على الرجال من النساء."

في الجانب الآخر، احتج أميركيون مسلمون يساريون على ملابسها وتصرفاتها. وسأل واحد منهم في موقع في الانترنت: "كيف تكون امرأة متحررة بغطاء رأس من قماش ثقيل، وبلوزة فضفاضة، وفستان يصل إلى أسفل رجليها؟" وقال ثانٍ: "رأيتها تمتنع في مؤتمر في شيكاغو عن مصافحة رجال." وقال ثالث: "لم يبق لها سوى أن تضع برقعا أفغانستانيا (حجاب الوجه)".

إمامة المرأة:

قالت أنقريد ماتسون انها تؤيد أمامة المرأة لنساء. وقالت: "أمت أمنا عائشة، رضي الله عنها، نساء. وأمت زوجات صحابة رسول الله نساء."

وقالت : أن المشكلة هي أمامة خليط من الرجال والنساء. وقالت أن مواضيع مثل: إمامة المرأة، ووضع المرأة في الإسلام، ودورها في المجتمع، يجب أن تناقش اعتمادا على السنة، على شرط "عدم ترك سنة، والتركيز على سنة أخرى. إذا فعلنا ذلك، نناقض أنفسنا، ونأخذ من ديننا ما يناسبنا، ونترك ما لا يناسبنا."

وقالت نفس الشيء عن الحجاب، وان هناك آراء مختلفة عنه: هل تكشف المرأة شعر رأسها، أو وجهها، أو كتفيها، أو ذراعيها، أو قدميها، أو فخذيها، أو بطنها؟ قالت: "يعني الحجاب الغطاء. وتقول السنة أن على المرأة المسلمة أن تغطي جسدها خارج البيت. هل تغطي شعر رأسها؟ يؤيد ذلك معظم العلماء."

تحديث:

بعد أن قابلت أنفريد ماتسون في سنة 2006، في مكتبها في كلية هارتفورد اللاهوتية (في ولاية كونيتيكات)، قابلتها مرات كثيرة، ولسنوات، في مؤتمرات، خاصة مؤتمرات "أسنا". حتى انتهت فترة رئاستها. وفي وقت لاحق، عادت إلى كندا، وطنها الأصلي.

وقابلت مثقفات مسلمات أمريكيات غيرها، بعضهن يساريات. وقلن إنهن "أكثر ليبرالية" منها. وإنتقدنها كثيرا. ومنهن:

إرشاد مانجي:

إرشاد مانجي، أستاذة في جامعة ييل، واصلها كندي وباكستاني، وكتبت كتاب "مشكلة الإسلام: دعوة مسلمة للإصلاح في دينها".

بعد أن اشتريت كتابها، أجريت معها مقابلة صحافية. سألتها: "لماذا هذا الكتاب الذي انتقده عدد كبير من المسلمين والمسلمات؟" قالت: "وراء الكتاب قصة. قبل سنوات من الكتاب، حضرت حلقة نقاش في تورنتو (في كندا) لمناقشة كتاب "آيات شيطانية" (كتبه سلمان رشدي، بريطاني هندي). كنا كلنا مسلمات بدون حجاب. بل لبس بعضنا لباسا أبعد ما يكون عن الحجاب. رغم وجود رجال وسطنا. لكننا، رغم ذلك، ناقشنا أمور ديننا في حرية في صباح يوم سبت جميل. وشعرت إنني يمكن أن أكون مسلمة وليبرالية في نفس الوقت، وقررت أن اكتب هذا الكتاب."

سألتها عن موضوع إمامة المرأة. وقالت: إنها لا تفرق بين إمامة رجال أو نساء أو خليط من الاثنين. ولهذا، يمكن أن تؤم المرأة الرجال. وقالت: "لاحظ أن نفس الذين يقولون أن الرجل يقدر على ضرب زوجته هم الذين يقولون أن المرأة لا تقدر على أن تؤم الرجال."

تتفق إرشاد مع أنقريد ماتسون على معارضة بناء حائط داخل أي مسجد يفصل بين الرجال والنساء. وقالت إرشاد إنها زارت، قبل سنوات، المسجد الأقصى في القدس، و"وجدت الرجال والنساء يصلون في مكان واحد، ولم يكن هناك حائط يفصل بينهم." وسألت: "إذا لا يوجد حائط في المسجد الأقصى، لماذا يبني المسلمون الحيطان والحواجز داخل المساجد ليفصلوا إخوانهم عن أخواتهم؟"

لكن، في رأي بعض المسلمين والمسلمات، تخطت إرشاد الحد:

قال واحد منهم: "شككت إرشاد في الإسلام نفسه." وقال ثان: "يجب أن يكون اسم كتاب إرشاد "مشكلة إرشاد" لا "مشكلة الإسلام". وقال ثالث: "يستغل الصهاينة بنتا كافرة ملعونة".

إسراء نعماني:

مرات كثيرة، قابلت إسراء نعماني، كاتبة وصحافية شابة. هاجرت وهي صغيرة مع أسرتها المسلمة من الهند إلى أمريكا. ونال والدها الدكتوراه، ثم أصبح أستاذا في جامعة ويست فرجينيا. وعملت هي، لسنوات كثيرة، مراسلة لصحيفة"وول ستريت جورنال" في الشرق الأوسط.

كتبت كتاب "وحيدة في مكة" (بعد أن أدت فريضة الحج).

ودخلت في مشاكل كثيرة (وصلت إلى الصحف والتلفزيونات الأمريكية) مع مسلمين مهاجرين من باكستان والهند ومصر كانوا يصلون في مسجد صغير في مدينة مورقانتاون (في ولاية ويست فرجينيا)، حيث كانت تسكن مع والدتها.

بدأت المشاكل عندما دخلت المسجد من الباب الرئيسي. لكن، أوقفها مسلم (مهاجر من باكستان)، وقال : إنها يجب أن تدخل من باب النساء الخلفي، ويجب أن تجلس وراء الحائط الذي يفصل الرجال عن النساء.

وكتبت عن المواجهة في تقرير صحفي أثار ضجة. وقالت أن أولئك المسلمين أخطؤوا عندما بنوا فاصلا بين الرجال والنساء داخل المسجد. وقالت: "وقفت أمام الكعبة المشرفة، ولم أشاهد أي حائط يفصل الرجال عن النساء".

كتبت أسماء، بالإضافة إلى كتاب "وحيدة في مكة"، كتبا اخرى، منها: "على طريق الحب الإلهي" (ركزت على أن الإسلام، كدين، يدعو للحب). و"حقوق المسلمات في غرفة النوم" (انتقدت الذين يفسرون القرآن الكريم بأنه يسمح للزوج أن يضرب زوجته، ويهجرها في الفراش).

أمينة ودود:

ومرات كثيرة، قابلت أمينة ودود التي اختلفت عن أنقريد، وإرشاد، وإسراء، بأنها برهنت على القول بالعمل. لم تكتفي بتأييد إمامة المرأة للرجال، ولكن نفذتها.

تعمل أمينة أستاذة دراسات إسلامية في جامعة فرجينيا كومونولث في رتشموند (ولاية فرجينيا). ودرست الإسلام واللغة العربية في جامعة الأزهر، والجامعة الأمريكية في القاهرة. ودرست، ودرست، في ماليزيا، وجنوب إفريقيا، وأندونيسيا، ودول إسلامية أخرى.

في سنة 2005، فاجأت أمينة العالم الإسلامي والعالم غير الإسلامي عندما أمت، أمام كاميرات التلفزيون، صلاة الجمعة في كنيسة في نيويورك (لم يسمح لها المركز الإسلامي في نيويورك بذلك). حضر الصلاة أكثر من مائة رجل وامرأة، وأذنت امرأة (بدون حجاب) أذان الجمعة، وألقت أمينة (بفستان طويل وغطاء رأس) خطبة الجمعة، وأمت الصلاة.

ربما ما كان عدد كبير من الناس ينتقد ما فعلت لو أنها أمت نساء بدون رجال. ولو انها أمت من أمت في مكان خاص بدون ضجة تلفزيونية وصحافية.

وثارت ضجة كبرى في العالم الإسلامي. قال الشيخ سيد طنطاوي، أمام الأزهر: "يسمح الإسلام بإمامة المرأة للنساء، لا للرجال". وقال الشيخ يوسف القرضاوي، أستاذ جامعي في قطر: "تصلي المرأة بأن تقف، وتركع، وتجلس، وتسجد. لهذا، لا يليق بها أن تفعل ذلك أمام الرجال لأن ذلك يثيرهم، ويعرقل الصلة بين المصلى وربه".

لكن الشيخ على جمعة، مفتي مصر، حسبما قالت قناة "العربية"، حلل أمامة المرأة لرجال ونساء "ماداموا اتفقوا على ذلك". وقال : إن الطبرى وابن العربي سمحا بذلك.

إيان على:

مؤخرا، انضمت إيان هيرسي على إلى قائمة المسلمات اللائي يشتركن في أميركا في هذا النقاش الساخن عن الإسلام. لكنها رفضت مقابلتي.

إيان صومالية، هاجرت من الصومال إلى هولندا. وتعلمت اللغة الهولندية والفلسفة، وتخصصت في الدراسات الدينية. ثم أصبحت سياسية، وفازت بعضوية البرلمان الهولندي. لكنها أثارت ضجة كبيرة عندما انتقدت الإسلام والمسلمين. بداية بمسلمي هولندا الذين وصفتهم بالرجعيين والإرهابيين.

ثم أكملت الحلقة، وأعلنت إنها ملحدة.

واشتركت، مع المخرج الهولندي ثيو فان غو، في إخراج فيلم قصير سمياه "اضطهاد"، عن وضع المرأة في الدول الإسلامية. وظهرت في الفيلم امرأة عارية على جسدها آيات قرآنية. أثار الفيلم غضب كثير من المسلمين، منهم مهاجر مغربي في هولندا قتل المخرج الهولندي، وهدد بقتل أيان (وافتخر، بعد اعتقاله، بما فعل، وبما كان ينوي أن يفعل). وزادت الحراسة على أيان، ثم نشرت صحف هولندية أنها زورت وثائق حصولها على الجنسية الهولندية.

واضطرت لأن تستقيل من البرلمان الهولندي، وجاءت إلى واشنطن خبيرة في معهد "أميركان إنتربرايز" المحافظ. وقالت لجريدة "واشنطن بوست: " إنها "منشقة عن الإسلام". وقالت: "أنا لست ملحدة متطرفة. أنا ملحدة".

لم أقابلها لأنها رفضت طلباتي الكثيرة بإجراء مقابلة صحافية معها. وعرفت إنها تخشى على حياتها، وان المعهد يؤجر حرسا لحراستها. وبسبب آرائها، صارت المسلمة المفضلة وسط المحافظين، ووسط الذين لا يريدون الخير للإسلام والمسلمين.

هي وأنا نعمل في واشنطن، وربما يوما ما ستقبل مقابلتي، وربما يوما ما (عندما تكبر) ستعود إلى الإسلام.

سياتل (ولاية واشنطن) : مستقبل الزواج



(اقرأ: حركة تحرير المرأة)

(اقرأ: حركة تحرير الرجل)

(اقرأ: تعدد الزوجات)

في سنة 2008، جئت إلى سياتل (ولاية واشنطن). ومن الأماكن التي زرتها، مركز "الترنيتيف مايردج" (الزواج البديل). ووجدت أنه مثال على ما وصل إليه حال الزواج والطلاق في الولايات المتحدة.

من بين قادة المركز، كيفين ميلارد، أستاذ القانون في جامعة سياكيوز (ولاية نيويورك). كتب رأيا تحت عنوان "ما بعد الزواج". كتب فيه: "بصورة طبيعية، لا يريد الشخص أن يعيش وحيدا عيشة تامة. لكن، لا يعنى ذلك أن الزواج هو الوسيلة الوحيدة ليعيش الشخص مع آخر حياة مستمرة، ومنتظمة، ومتفق عليها. القوانين هي التي تقول ذلك. لكنها قوانين غير منطقية، ويمكن أن تغير، أو يمكن أن تهمل".

وأشار إلى أن من مشاكل الزواج:

أولا: لا يقدر كل شخص على الزواج.

ثانيا: لا يريد كل شخص الزواج.

ثالثا: لا يعتبر تبنى الطرف الآخر زواجا.

وأضاف ميلارد بأن فكرة وممارسة الزواج خرجت (أو يجب أن تخرج) عن القوانين التي نعرفها. وانه، في عهد الحرية والفردية، ومع بداية القرن الحادي والعشرين، إذا يريد رجل وامرأة أن يعيشا معا، وحتى يلدا أولادا وبناتا، لن يقدر القانون على منعهما (في الماضي، كانت هناك قوانين تمنع ذلك).

ومن الذين يؤيدون الزواج البديل، بروفسير دان مولر، أستاذا الاقتصاد وعلم النفس في جامعة ماريلاند، ومؤلف كتب، منها: "الثروة والسعادة" و "الحب والموت". وكتب: "يهدد الزواج التقليدي المساواة الكاملة بين الرجل والمرأة

ويحظر حرية الزوج والزوجة ليفعلا ما يريدان. ويؤذي الرجل والمرأة من الناحية المالية لأنه يعرقل سيطرة كل واحد على راتبه وثروته المالية. ويخضع العلاقة بين الرجل والمرأة لسيطرة الحكومة والمؤسسات الدينية."

خلفية تاريخية:

ربما لا تتفق الأديان على شيء بعد العبادة مثلما تتفق على جمع رجل ومرأة تحت سقف الزواج. لهذا، عارضت الأديان الرئيسية الجنس قبل الزواج، والجنس خارج الزواج. وعارضت العشيقات، والمحظيات، والجاريات.

في البداية، قالت الكنيسة المسيحية إن الزواج يلهي عن عبادة الله، ولهذا، منعت رجال الدين من الزواج. لكنها غيرت رأيها (حتى داخل الكنيسة الكاثوليكية، تمرد قساوسة وراهبات).

وفي البداية، في الولايات المتحدة ، وضع الأميركيون قوانين دينية وحكومية ضد زواج البيض والسود. وضد زواج المسيحيين وغير المسيحيين.

لكن، لم تعد هذه القوانين موجودة مع بداية القرن الحادي والعشرين: ألغيت، أو عدلت، أو نسيت.

لكن، تستمر نظرية الذين يقولون أن الزواج ليس ضروريا:

أولا: في القرن الرابع قبل الميلاد، كتب أفلاطون في "ريبابليك" (جمهورية أفلاطون) أن الزواج يجب ألا يكون بين رجل وامرأة، ويمكن أن يكون بين مجموعة من الرجال والنساء.
ثانيا: قبل عشر سنوات، كتب الأستاذ الجامعي الأميركي فيليب كيلبرايد كتاب "الزواج المتعدد في زمننا". وكتب فيه أن تعدد الزوجات (وتعدد الأزواج) هو الحل المثالي لمشكلة الزواج. ولمشكلة العشيقات والخيانات الزوجية. ولمشكلة زيادة نسبة الطلاق في الولايات المتحدة.

الحرية والفردية:

أكثر المثقفين الغربيين الذين ينتقدون الزواج هم الذين يؤمنون إيمانا قويا بفلسفة "أنديفيديواليزم" (فردية)، أو "أكسستينشيالزم" (وجودية).

هذه الفلسفة يمكن أن توصف بأنها "حل ثالث" بين "راشوناليزم" (عقلانية) في جانب، و"أيموشناليزم" (عاطفية) في الجانب الآخر. ترى هذه الفلسفة أن كلا من المنطق والعاطفة لا يقدران على تفسير الحياة. وتؤمن بالوجودية (الفرد، وشخصيته، وهويته، وأخلاقه، وروحه).

مثل الفيلسوف الدنماركي سيرين كيركقارد (توفى سنة 1855) الذي برهن عمليا على نظريته الوجودية: خطب عشيقته، ريجينا أولسن، التي كان يحبها وكانت تحبه، ثم فسخ الخطوبة. وكتب أن حريته الفردية في أن يكون كاتبا تناقض زواجه.

ومثل الفيلسوف الألماني فرانس كافكا (توفى سنة 1924) الذي كتب: "تتلخص حياتي في أنني ضد الزواج. يجب أن أكون فردا حرا، وحيدا، أسيطر على نفسي، وعلى حياتي."

ومثل الفيلسوف الفرنسي الملحد جبن بول سارتر (توفي سنة 1980) الذي عارض الزواج، وبرهن على ذلك في علاقته مع عشيقته سيمون دي بوفوار. أول مرة قال لها: "لنوقع عقد إيجار (زواج) لمدة سنتين." ثم عارضا حتى "الإيجار"، وعاشا معا بدون زواج قانوني. ولم ينجبا.

أميركيات ضد الزواج:

بالإضافة إلى مدرسة "أولترنياتيف ماريدج" (الزواج البديل) الأمريكية، التي رئاستها في سياتل (ولاية واشنطن)، قادت مثقفات أميركيات الحملة ضد الزواج:

أولا: نعومي غيرستل، التي ألفت كتاب: "الزواج: حسن، وسوء، وطمع." كتبت: "بالنسبة للمرأة يزيد الزواج ظلم الرجل لها. ويزيد عملها داخل المنزل. ويزيد وحدتها."

ثانيا: مارلين ديكسون، التي الفت كتاب "تحرير المرأة." كتبت: "لا تفعل مؤسسة الزواج أكثر من أنها تزيد اضطهاد المرأة. ليست كلمة "زوجة" إلا بديلا لكلمة "مظلومة."

ثالثا: شيلا كرونون، التي ألفت كتاب "الزواج." كتبت: "لا حل لاستعباد واستغلال وظلم المرأة سوى إلغاء الزواج."

رابعا: أندريا دوركين، التي ألفت كتاب: "مذكرات أنثوية مقاتلة". كتبت: "أساس الزواج هو اغتصاب الرجل للمرأة."

تحديث:

في سنة 2012، زرت متحف "كوركوران" العتيق، والقريب من البيت الأبيض (على الجانب الثاني من الشارع السادس عشر)، لمشاهدة معرض "الزواج والطلاق".

هذا معرض كل ساعة على رأس الساعة، بداية من العاشرة صباحا وحتى الرابعة مساء.

قبيل رأس الساعة، يجلس المشاهدون أمام مسرح زجاجي. وعندما تدق الساعة، تخرج "العروس"، جميلة وشقراء، وترتدي فستانا ناصع البياض، يجر مؤخرته صبيات يرتدين فساتين بيضاء أيضا. وكأنهن حوريات صغيرات.

وتتجه "العروس" نحو "العريس" في خطوات ثابتة، بينما تعزف الموسيقى أغنية الزفاف: "هير كمز ذا برايد" (ها هي العروس تأتي).

هذه أغنية مغروسة في عمق الثقافة الأميركية (والغربية). أصلها قطعة موسيقية وضعها الموسيقار الألماني رتشارد واغنر (توفى سنة 1883).

لا يذكر واغنر إلا وتذكر قطع الأوبرا الرائعة التي ألفها. وأيضا، قطعا موسيقية وكتابات معادية لليهود. أشهرها "داس جويدنثون دير ميوسيك" (اليهودية في الموسيقى). ويعتقد أن وأغر اثر كثيرا على أدولف هتلر الذي صعد إلى حكم ألمانيا، وأشعل الحرب العالمية الثانية، وحرق ملايين اليهود في أفران الغاز في ألمانيا وبولندا. حتى اليوم، لم ينس اليهود عداء واغنر لهم، ولا تسمح إسرائيل بعزف مقطوعاته، ولا توجد مناسبة يهودية رئيسية تعزف فيها مقطوعاته.

غير أن واغنر اشتهر، أيضا، بالقطعة الموسيقية "ترووليخ غيفهيرت" (أغنية العروس)، التي تقول بعض كلماتها: "تأتين في ثقة. نحو قمة الحب. هذه هي جائزة الحب. انت بطلة الفضيلة. أنت جوهرة الشباب. تقدمي نحو وليمة الزفاف. تحيط بك الأفراح القلبية."

في متحف "كوركوران"، على رأس كل ساعة، تعزف هذه القطعة الموسيقية على بيانو (أصلا، يعزفها أورغان كنيسة). وفي وسط المسرح، يقف قسيس يلقى قسم الزواج. ويجيب العروس والعريس "أي دو" (أوافق). ثم يقبلان بعضهما البعض. ثم تملأ سماء المسرح أصوات زجاجات الشمبانيا وهي تفتح. وتسيل الشمبانيا من داخل الزجاجات. وتسرع وصيفات ويوزعن الشمبانيا. ثم تدخل كيكة الزواج العملاقة العالية على منضدة بعجلات. ويشترك العريس والعروس في قطع الكيكة. وتسرع وصيفة تحمل صحنا مذهبا، يضع فيها العريس قطعة من الكيكة، ويطلب من العروس أن يتذوقها. ثم يقبلان بعضهما البعض مرة أخرى. ثم يأتي وقت الرقص على أنغام أغنية مفضلة اختارتها العروس، وأخرى مفضلة اختارها العريس. ثم ينضم متفرجون إلى الرقص، ويتبادلون الرقص مع العروس والعريس.

الطلاق:

عند نهاية الرقص، يظهر على المسرح الزجاجي موظف في دائرة الأحوال الشخصية في البلدية، ليسجل طلاق العريس والعروس (!)

وفجأة، تنطفئ الأضواء، وتستدل الستارة، وتصمت الموسيقى، وينتهي الفرح، ويتحول المكان إلى صمت عميق.

وعندما يقترب رأس الساعة التالية، تبدى مرة أخرى مراسيم الزواج، وموسيقى واغنر، وتتكرر "مسرحية الزواج والطلاق."

أول مسرحية كل يوم تعقد في العاشرة صباحا، وآخر مسرحية في الرابعة مساء.

وقالت "العروس" كاثرين كورنيليوس (33 سنة) لصحيفة "واشنطن بوست": "أعود إلى البيت في المساء متعبة. ادخل الحمام، واغسل المكياج، وأنثر شعرى الذي كان مصففا. وارفه عن نفسي قليلا، ثم أنام مبكرا. لآني يجب أن أصحو في السابعة صباحا، وأعود إلى المتحف لقضاء ساعة أو أكثر في وضع المكياج، وتصفيف الشعر، لأمثل، مرة أخرى، دور العروس على رأس كل ساعة."

وقالت: "أنا مجرد ممثلة، تتزوج وتتطلق سبعة مرات كل يوم. لست ضد الزواج أو ضد الطلاق. ولا أتحدث، على أي حال، عن هذا الموضوع كثيرا. أنا "عروس" على المسرح فقط. لكن، أمل أن يجعل هذا العرض المسرحي المشاهدين يفكرون في هذه المواضيع الهامة: الزواج والطلاق، الفرح والحزن، المتعة والاكتئاب."

وقالت أن وراء السيناريو فلسفتها التي لخصتها في الآتي: "في الحياة لحظات سعادة وحزن. لكن، لا يساوى الرابط العائلي أي شيء آخر."

وبهذا، تثير المسرحية مزيدا من النقاش عن الزواج والطلاق في المجتمع الأمريكي.



في قلادبروك (ولاية أيوا) : أغرب المتاحف



جئت إلى هنا عن طريق الصدفة في سنة 2004. كنت في زيارة صحافية إلى ديموين (عاصمة ولاية ايوا) لتغطية الانتخابات التمهيدية للحزب الديمقراطي ليختار مرشحا باسمه لرئاسة الجمهورية. كانت المنافسة تسير إلى صالح السناتور جون كيري (فاز بترشيح حزبه، لكنه سقط أمام الرئيس بوش الابن).

وأنا في ايوا، سمعت بمتحف اعواد الكبريت، القريب من ديموين.

كل شيء في المتحف من أعواد الكبريت. ما جملته أكثر من خمسة ملايين عود كبريت، وفيها أدق التفاصيل. من المعروضات:

أولا: كاتدرائية نوتردام (في باريس) بطول ثمانية أقدام (نصف مليون عود كبريت).

ثانيا: مبنى الكونقرس (ربع مليون عود كبريت).

ثالثا: مكوك الفضاء "جالنجار" (مائتي ألف عود كبريت).

وهناك سيارات، وثلاجات، ومواقد، وتلفزيونات، وراديوهات، وحيوانات، ورجال ونساء، وأطفال، كلها مصنوعة من أعواد الكبريت.

بعض أعواد الكبريت من النوع العادي، ولكن قطعت رؤوسها الكبريتية حتى لا تحترق صدفة. لكن، الأغلبية أعواد غير كبريتية قطعت من أخشاب. (داخل صندوق زجاجي، توجد خريطة ولاية ايوا من أعواد كبريت حقيقية).

وفي الجزء الخاص بتاريخ هذا النوع من الهويات، معلومات بان الهواية بدأت في القرن التاسع عشر في الولايات المتحدة، حيث كان السجناء يلهون أنفسهم بها. وقبل ذلك، كانت بدأت في أديرة مسيحية أروبية، كنوع من أنواع تعلم الصبر والتعاون.

متاحف أخرى:

لكن، لم يكن هذا أغرب متحف أمريكي زرته.

قبل ذلك بست عشرة سنة، في سنة 1988، زرت متحف الذرة (في ولاية ساوث داكوتا)، كجزء من رحلة نظمها مركز الصحافة الأجنبية في واشنطن للصحافيين الأجانب لمعرفة أماكن زراعة الذرة والقمح ومحاصيل أمريكية رئيسية.

ثم في نفس سنة 2004، زرت متحف "هورميل فودز" (الأطعمة التي تنتجها شركة هورميل) في أوستن (ولاية منيسوتا). اشتهرت شركة "هورميل" بانتاج اللحم المعلب المشهور باسم "سبام"، وهو من أدنى أنواع اللحوم، ويمكن أن يرفض ويرمى في القمامة. لكنه ينتج تحت رقابة حكومية.

يعتقد أن هذا هو أصل كلمة "سبام" في البريد الالكتروني: "بريد مرفوض".

وطبعا، لا تقتصر المتاحف الغريبة في أمريكا على المتاحف التي زرتها. هناك ألف متحف تقريبا في أمريكا، ويعتقد أن هناك أكثر من مائة متحف "غريب" منها.

ولا تذكر المتاحف الأمريكية إلا وتذكر متاحف "سميثونيان" التي تقع في قلب واشنطن، بين مبنى الكونقرس والبيت البيض، وهي أكبر مجموعة متاحف في العالم. وفيها متاحف عملاقة، مثل: التاريخ الأمريكي، التاريخ الطبيعي، الفن الأمريكي، الفضاء، الهنود الحمر (زرت هذه كلها).

وفي مدن أخرى، توجد متاحف عملاقة أيضا، مثل: العلوم والتكنولوجيا في شيكاغو، والمتروبوليتان للفنون في نيويورك، والسيارات في ديترويت (زرت هذه الثلاثة).

وهناك متاحف كثيرة تنتشر في كثير من الولايات الأمريكية (زرت بعضها، ولم أزر البعض الآخر). منها متاحف: الطقس، والفنون، والآداب، والسينما، والتلفزيون، والراديو، والكهرباء، والمنازل، والآثار، والأحياء، والفيزياء، والكيمياء، والأساطيل، والمارينز، والسلاح الجوي.

متاحف غريبة (لم أزرها):

أولا: في ميدلتون (ولاية ويسكونسن) متحف "حبة الخردل." فيه كل كبيرة وصغيرة عن الخردل: تاريخه، جغرافيته، العلاج به، طرق زراعته، طرق حصاده، مكانته في المائدة الأمريكية، وموائد شعوب أخرى.

ثانيا: في فيلادلفيا (ولاية بنسلفانيا) متحف "اللوحات الفاشلة." فيه لوحات فنية لم تشتهر، ولا حتى اشتراها ناس من أصحابها. وطبعا، النكتة قول البعض بأن بعض هذه اللوحات أجمل من أشهر اللوحات في متاحف "سميثونيان" في واشنطن، وفي متحف "لوفر" في باريس.

ثالثا: في سنت جو (ولاية ميسوري) متحف لأدوات علاج المجانين. كان مبني المتحف عنبرا للمجانين في بداية القرن الماضي. في ذلك الوقت، كان عاديا استعمال كلمة "كريزي" (مجنون). ثم، من باب التأدب، استبدلت بكلمة "منتالي ايل" (مريض عقليا). ثم بكلمة أقل إساءة: "مينتالي ديسيبلد" (معوق عقليا).

رابعا: في فلادلفيا (ولاية بنسلفانيا) متحف "ميوتر" للجماجم والهياكل والمخلفات الطبية: أطول هيكل، واكبر جمجمة، واطول قولون، وبداخله أكبر كمية من البراز. والسرطان الذي أصيب به الرئيس قروفر كليفلاند، ودماغ قاتل الرئيس جيمس قارفيلد.

خامسا: في متشل (ولاية ساوث داكوتا) متحف "الذرة." فيه كل كبيرة وصغيرة عن الذرة: تاريخه، جغرافيته، أنواعه، أطعمته، طهيه، قليه، كيكه، حلوته، الخ ... وفي المتحف قاعات رياضية، واجتماعية، ومسرحية، مصنوعة من أعواد وأوراق الذرة.

سادسا: في هيوستن (ولاية تكساس) متحف "صناديق الجنازات." فيه مختلف انواع الصناديق التي توضع فيها الجثث. وتاريخ بيوت الجنازات في الولايات المتحدة.

سابعا: في سنت أوقستين (ولاية فلوريدا) متحف "القتلة." وفيه قصص ومخلفات أمثال: لي أوسوولد، قاتل الرئيس جون كنيدي، وأل كابون الذي أرعب شيكاغو في بداية القرن الماضي.

***

متحف القمامة:

من أكثر المتاحف الغريبة اقبالا (لم أزره) "تراش ميوزيوم" (متحف الفضلات والقمامة، الزبالة) في هارتفورد (ولاية كونيتيكات).

أول ما يشاهد الذي يدخل المتحف "تراش تمبل"(معبد القمامة). وهذا اسم فكاهي لتل من القمامة التي كانت توجد في وسط المدن الأميركية في القرن الثامن عشر، قبل بداية جمع القمامة، حيث كانت تتجمع فيها الكلاب والأغنام والخيول، تأكل الفضلات.

وهناك "ديفيد تراش" (قمامة ديفيد)، الذي يعيش في نفس الولاية، ويقود حملة نظافة البيئة. وسجل الرقم القياسي الأدنى في جمع قمامة سنة كاملة التي لم تزد عن ثلاثين رطلا.

وهناك "جو تراش" (قمامة جو)، إشارة إلى أن المواطن الأمريكي العادي ينتج كل سنة قمامة وزنها ألفي رطل. وهناك حيوانات عملاقة، مثل أفيال، وديناصورات، مصنوعة من القمامة.

وهناك "تراش تيون" (ألحان قمامة) وهي آلات موسيقية صنعت من القمامة. و"تراش فاشون" (موضات قمامة) وهي فساتين صنعت أيضا من القمامة.

وهناك لوحة عملاقة تصور تطور جمع القمامة: في البداية، كان الناس يرمون القمامة في أي مكان. ثم صاروا يرمونها للخنازير والأبقار والأغنام لتأكلها. ثم صاروا يجمعونها ويضعونها في أماكن معينة. ومؤخرا، صاروا ينقلونها إلى مراكز فيها ماكينات حديثة تستخرج طاقة كهربائية منها.

متحف أكبر حذاء:

وفي سياتل (ولاية واشنطن)،"جايانت شو ميوزيوم" (متحف الحذاء العملاق).

وتعود قصته إلى ثلاثينات القرن الماضي عندما ورث داني اسكنازي محلا لتصليح الأحذية من والده. وفيه أكبر حذاء في العالم كان والده صنعه لصاحب أكبر قدم في العالم: روبرت والدو الذي كان، أيضا، أطول رجل في العالم: تسعة أقدام.

في وقت لاحق، جمع الابن أكبر الأحذية من مختلف أنحاء العالم. ويعتقد أن المتحف، رغم صغر حجمه، أكبر متحف أحذية عملاقة في العالم.

متحف الحمامات:

وفي ووترتاون (ولاية ماساجوستس) متحف "بلمنق" (أنابيب التخلص من البراز والبول في الحمامات، ومن فضلات الأكل).

في المتحف تاريخ التخلص من هذه الأشياء: بداية بعدم التخلص منها، حيث كان الناس يتبرزون ويبولون في أي مكان. ثم صاروا يدفنون البراز في الرمال. ثم صاروا ينقلونه بجرادل تحملها عربات تجرها خيول أو بغال أو حمير. ثم صاروا يجمعونها في "سايفون" (آبار مغلقة وتفرغ من وقت لآخر). ثم بنوا أنابيب التخلص من البراز والبول وفضلات المطابخ وماء الحمام المستعملة.

وفي المتحف أحدث التكنولوجيا: من اليابان مرحاض يعزف موسيقى، وينشر روائح طيبة عندما يدخله الشخص، ويعمل اتوماتيكيا، حسب لوحة مضئية تعمل باللمس.

وفي المتحف تصميمات مختلفة لادوات الحمام. وقطع فنية لرسومات وتصميمات مراحيض، وصورة مرحاض معروض في واحد من متاحف "سميثونيان" في واشنطن عن قيم الحداثة، وما بعد الحداثة.

متحف أقلام الرصاص:

وفي هوكنق هيلز (ولاية أوهايو) متحف لأقلام الرصاص. فيه أكثر من ثلاثة آلاف قلم رصاص، يعود بعضها إلى القرن التاسع عشر. بأشكال عادية وغريبة: سيارة، سفينة، صاروخ، ماكوك فضاء، ساندوتش "هوت دوغ"، ساندوتش "هامبيرغر"،

جورج واشنطن، رؤساء أمريكيون غيره، ميكي ماوس، وشخصيات أخرى من "ديزني".

وأيضا، مركز التجارة العالمي الذي دمره هجوم 11 سبتمبر سنة 2001.

وهناك قسم عن أقلام رصاص، أو أجزاء منها، جمعت بعد أن بلعها صغار السن، أو ارتكبت بها جرائم، أو أكلت في مسابقات حقيقية. ومثل متحف أعواد الكبريت، منازل ومبانٍ بنيت بأقلام رصاص.

متحف الأسلاك الشائكة:

وفي لاكروس (ولاية كانساس) متحف للأسلاك الشائكة التي تستعمل في حروب. أو في معارك داخلية بين شرطة ومتظاهرين. أو لأغراض سلمية، في المراعي، والزرائب، والمزارع.

وهناك عش عملاق بناه غراب من أجزاء من أسلاك شائكة.

وصور إصابات ناس عند استعمالهم الأسلاك الشائكة. وصور ناس يتسلقون أسلاك شائكة، وبعضهم لم يقدر على الخروج منها، حتى جاءت الشرطة.

وأسلاك شائكة "راقية" يشتريها ناس ليضعوها في منازلهم وصالوناتهم للتندر.

ويوضح مصنع صغير للأسلاك الشائكة، ملحق بالمتحف، أن الأسلاك الشائكة لها أنواع: شائكة، و شائكة جدا، وشائكة مستحيلة.

في مبنى الشعر الأمريكي (شيكاغو) :

مهرجان الشعر



جئت، في سنة 2012، إلى مبنى "أميركان بويتري فاونديشن" (مؤسسة الشعر الأمريكية). كان افتتح قبل سنة، وفيه مجلة "بويتري" (الشعر)، التي تأسست سنة 1912، وتعتبر أقدم مجلة شعرية مستمرة في العالم.

كما يعتبر المبنى أكبر وأول مبنى كامل (عمارة أنيقة وعملاقة) للشعر في العالم.

كل شيء في المبنى عن الشعر والشعراء: صور، أبيات شعر، تسجيلات صوتية، شاشات فيديوهات.

(هذه المؤسسة تختلف عن أكاديمية الشعراء الأميركية في نيويورك)

في "أكثر القصائد شعبية"، قصيدة دينية: "هولي نيتيفيتي أور لورد" (الميلاد المقدس لربنا). وفيها: "تعالوا أيها الرعاة، لتروا حب منتصف النهار في ليل الطبيعة." كتبها البريطاني رتشارد كروشو في القرن السابع عشر (توفي سنة 1649).

وفي مكاتب مجلة "بويتري" (الشعر) تمثال للشاعرة هاريات مونرو، مؤسسة المجلة. وتمثال للبليونيرة الأمريكية روث للي.

خلفية تاريخية:

في سنة 2003، تبرعت روث للي، حفيدة ايليا للي، مؤسس شركة "للي" لصناعة الأدوية في أنديانابوليس (ولاية أنديانا)، بمائتي مليون دولار إلى الجمعية. وقالت في خطاب التبرع: "أريد بعث الحياة في الشعر الأمريكي. أريد مساعدة الشعر والشعراء لمواجهة غزو التلفزيون، والفيديو، والإنترنت."

لا يعرف عن "روث" الغرام بالشعر. لكن، يبدو أنها تقرؤوه، وهي الهادئة إلى درجة الانعزالية، والصامتة إلى درجة البكم. وعلى أي حال، المؤكد هو أن نصيبها لا يقل عن بليون دولار من ثروة الشركة التي تنتج أدوية، منها: "بروزاك" للمصابين بالقلق والإحباط، و "سياليس" للمصابين بالعجز الجنسي.

بمناسبة هذا التبرع الكبير، أقيم حفل كبير. وسألت ليف قروسمان، صحفية في مجلة "تايم": "هل يقدر الدولار على إنقاذ الشعر؟" وكأنها تسأل: هل تقدر الرأسمالية على إنقاذ ما هزمت الرأسمالية؟ وذلك لأن بعض الناس يقولون أن حضارة التكنولوجيا، والاستهلاك، والسرعة، واللهو، والازدحام، لم تترك لكثير من الناس أوقاتا يختلى فيها كل واحد بديوان شعر.

وأشارت الصحفية إلى أيام عز ومجد الشعر الأمريكي، عندما وضعت مجلة "تايم" على غلافها، سنة 1950، صورة الشاعر تي. إس. (توماس ستيرن) اليوت، ربما أشهر شاعر أمريكي (ولد سنة 1888، وتوفى سنة 1965).

كان رئيس تحرير مجلة "بوتيري" (شعر) اسعد إنسان على سطح الأرض يوم عرف هدية بمليونيرة مصانع الأدوية. وقال: إن المجلة كادت أن تتوقف لثلاثة أسباب:

أولا: عجزت عن تسديد قروض البنوك.

ثانيا: فشلت في جذب أحسن الشعراء والمحررين.

ثالثا: واجهت قلة اهتمام الناس بالشعر والشعراء.

أول قصيدة:

ربما السبب الثالث السابق هو أهم الأسباب. قل اهتمام الأمريكيين بالشعر. ولم يعد يوجد بصورة منتظمة في غير مقررات المدرسة الثانوية. يقرا الطالب قصائد، ويحفظها، ويحللها، ثم ينساها. ربما غير قصيدتين أو ثلاث، أو بيتين أو ثلاثة، يتذكرهم الإنسان في بقية حياته.

غير ذلك، يكاد الشعر يموت في الإعلام اليومي. ولا يوجد في غير المجلات والدوريات الشعرية. وفي غير ندوات يعقدها شاعر الكونقرس (وظيفة رسمية منذ قبل مائتي سنة، رغم انخفاض أهميتها). وفي غير ملاحق أدبية لصحف رئيسية مثل: "واشنطن بوست" و "نيويورك تايمز".

في الاحتفال، أنشد واحد أبياتا من "الإلياذة"، ربما أقدم قصيدة مكتوبة (منذ سنة 600 قبل ميلاد المسيح). هذه هي قصيدة الشاعر اليوناني القديم هومر، الذي سجل فيها حروب أثينا وطروادة.

لكن، خلال الاحتفال، لم يتحدث واحد من هؤلاء الأمريكيين عن:

أولا: قصائد الملك جلجاميش. أقدم قصائد شرق أوسطية، تركها البابليون على الواح من الطين.

ثانيا: قصيدة "ماهارافاراتا"، أقدم قصيدة هندية، وأطول قصيدة حتى الآن: 74000 بيت.

ثالثا: "المعلقات السبع"، أقدم قصائد العرب. وصفتها "إنسايكلوبيديا بريتانيكا" (دائرة المعارف البريطانية) بأنها "أكثر الشعر فصاحة، ومعنى، وأصالة". وأشارت إلى أول ترجمة لها بالإنجليزية للسير البريطاني بلنت، وزوجته آن (سنة 1903).

الشعر والدين:

بدأ الشعر العربي جاهليا، ثم انشد للإسلام. عكس الشعر الأوروبي، الذي بدأ دينيا، ثم صار علمانيا.

في القرن الثالث عشر، خلط دانتي اليقيري الدين المسيحي والخيال. ومن أشهر ما كتب قصيدة "الكوميديا الإلهية" التي أساء فيها إلى الإسلام والمسلمين.

وفي القرن السادس عشر، حول وليام شكسبير الشعر إلى خيال روايات. وفي القرن الثامن عشر، تخصص كيتز في الشعر الرومانسي.

وفي الولايات المتحدة، في القرن التاسع عشر، خلط الأمريكيون الشعر بالدين المسيحي والوطنية الحماسية المتمثلة في التوسعات ضد الهنود الحمر والمكسيكيين.

وفي القرن العشرين، زاد الشعر الأمريكي العلماني. لكن، استمر تأثير الروحانية المسيحية. ظهر هذا في قصائد أليوت، الذي ألف قصائد كثيرة عن الرومانسية، لكنه ألف قصائد عن الحيرة، والقلق، والوصول إلى عيسى المسيح.

ولا يذكر أليوت "المتدين"، إلا وتذكر قصيدته "أربعاء الرماد" التي اهداها إلى زوجته "فيفيان." فيها كان حائرا، ثم وجد اليقين. ومطلعها:

"لماذا ينشر الصقر العجوز جناحيه؟ ولماذا أتحسر على انحسار القوة؟ لأني أعرف إنني لن اعرف. لأني لن أعرف أن الزمن هو الزمن. ولن أعرف أن المكان هو المكان. أسال الله أن يرحمني."

الشعر الأمريكي:

يقول الذين يدرسون الشعر المقارن أن الشعر الأمريكي، مثل المواطن الأمريكي، عملي، وواقعي، ومنظم. يهتم بأشياء واقعية أمام عينيه. ويرتب نفسه مثل الحروف الأبجدية، مثل شهور السنة، مثل أيام الأسبوع. يقولون إنه "واقعي" أكثر من "رومانسيًا."

ربما، لهذا، يقولون انه لم يكتب شعراء عن الوطنية والفخر بوطنهم مثل الشعراء الأميركيين.

لكن، بالمقارنة مع الشعر الأوروبي، تظل في الشعر الأمريكي لمسات دينية.

أقدم شاعر أمريكي اشتهر هو ادوارد تايلور الذي أنشد قصائد حرب الاستقلال في منتصف القرن الثامن عشر. وربط بين الحرية والفضيلة الدينية. أنشد: "يا إلهي، انشر رحمتك، واجعلني قادرا على فهمك." وتمعن، في حيرة، في حشرة تقبض على ذبابة: "أخذتها بساقها، وخنقتها في حلقها، وعضتها في عنقها، عضة قاتلة."

واستفاد الأمريكيون الزنوج من الشعر، خاصة سنوات تجارة الرقيق. وأنشدوا قصائد تتوكل على الله، وتطلب العون منه. وأنشدت العبدة فيليس ويتلي (سنة 1773) قصيدة فيها: "يقولون أن لوني قبيح. تذكروا أن الزنوج سود مثل قابيل. جاءهم الخلاص للحاق بالركب الملائكي."

رالف أميرسون:

ربما أشهر شعراء الروحية المسيحية الأمريكية هو رالف أميرسون (توفي سنة 1882).

كان شاعر المثقفين الأخلاقيين الذين ربطوا بين الوطنية والتدين. وأنشد في "تراتيل كونكورد" عن النضال ضد الاحتلال البريطاني: "فوق الكوبري الذي أوقف الفيضان. رفرف علمهم مع نسيم ابري. هنا وقف المزارعون. بعد أن أطلقوا طلقة سمعت في كل العالم."

وعاصر أميرسون نقيضه: إدجار ألان بو (توفي سنة 1849). عكس أميرسون الوقور، قاد بو تمردا أدبيا. وكان عربيدا. وطرد من جامعة فرجيينا (لكنهم وضعوا له فيها بعد تمثالا، لا يزال هناك). وعاش حياة فقر وفوضى. ووجد ميتا في زقاق في بولتمور (ولاية ماريلاند)، حيث يوجد الآن متحف له.

في كتابه "بويتيك برينسبل" (المبدأ الشعري) أعلن نهاية القصيدة الطويلة. وفتح الباب أمام الشعر غير المنتظم. وهو أول شاعر أمريكي مشهور قال: "الفن من اجل الفن".

عكس أميرسون قبله، وعكس اليوت بعده، قال بو أنه لا توجد صلة بين الشعر والأخلاق. وكأنه قال: "الشعر من أجل الشعر." وفرق بين ترتيب الكلمات وتنسيقها وتجميلها، وبين النصائح الاجتماعية والوعظ الديني. وقال : إن الشعر الجيد هو العمل الفني الجيد.

لهذا، يعتقد انه احترم خارج أمريكا أكثر من داخلها. (لكن، أنتقده اليوت، وقال انه: "في ذكاء شخص قبل فترة المراهقة").

لا يذكر بو، إلا وتذكر قصيدتة "الدورادو" (البحث عن مدينة من الذهب، وهي حلم خيالي وسط الأمريكيين). انشد فيها بو: "فارس شجاع، بالليل والنهار. يغنى في رحلة طويلة. يبحث عن الدورادو. لكنه كبر في السن. وأحاط الظلام بقلبه. وظل يسأل: أين الدورادو؟ أين الدورادو؟ حتى قابل رجلا قال له: وراء الجبال. جبال القمر. في وادي الظلام."

أشهر قصيدة أمريكية

في سنة 1814، نشرت صحيفة "بولتيمور أميركان" أشهر قصيدة أمريكية، وهي قصيدة "دفاعا عن قلعة ماكهنري"، التي صارت النشيد الوطني الأمريكي.

كانت بريطانيا غزت الولايات المتحدة قبل ذلك بسنتين. كانت مرت أربعون سنة على استقلال الولايات المتحدة من بريطانيا، لكن لم يقتنع البريطانيون بذلك، وظلوا يعرقلون سياساتها واقتصادها، خاصة عبر الأطلسي. ولأن كندا كانت لا تزال مستعمرة بريطانية، زحفت القوات البريطانية من الشمال، واحتلت واشنطن العاصمة. وأحرقت البيت الأبيض بعد أن هرب منه الرئيس جيمس ماديسون، وأنقذت زوجته دولي، قطعا فنية نادرة، حملتها معها.

لم تنسحب القوات البريطانية إلا بعد مقاومة أمريكية باسلة. وكانت معركة "قلعة ماكهنري" (في ولاية ماريلاند) هي المعركة الفاصلة. شاهدها فرانسيس كي (كان محاميا في واشنطن، وتطوع في المقاومة)، وكتب قصيدة مطلعها:

"قل هل ترى، مع ضوء الفجر الباكر، كيف رحب بنا في آخر وميض الشفق؟ من هو صاحب الشرائط العريضة، والنجوم البراقة (في العلم الأمريكي) التي ترفرف في بسالة خلال القتال المميت الذي شاهدناه فوق القلعة؟ عندما أكد، خلال الليل، وهج الصواريخ الأحمر، والقنابل التي تنفجر في الهواء، أن علمنا لا يزال مرفوعا. قل ألا يرفرف علم النجوم فوق أرض الأحرار ووطن الشجعان؟".

رغم عباراتها الكلاسيكية المعقدة، هي النشيد الوطني الأمريكي.

شعر الحرية والفخر

خلال مئات السنين، تأثر الشعر الأمريكي بعاملين رئيسيين:

أولا: الثقافة الأوروبية التي جاءت مع المهاجرين الأوائل.

ثانيا: النزعة المسيحية الواضحة في الحياة الأمريكية.

لهذا، مال الشعر الأمريكي نحو تقديس أمريكا، وحريتها، وجمالها.

سنة 1919، كتبت كاثرين بيتز، قصيدة "أميركا ذا بيوتيفول" (أمريكا الجميلة) أشهر قصيدة وطنية أمريكية (بعد النشيد الوطنى). وجاء في أول مقاطعها: "أيتها الجميلة. ذات السموات الواسعة. وأمواج القمح الصفراء. وعظمة الجبال البنفسجية. فوق سهول البرتقال. أميركا، أميركا. ليصب الله نعمته عليك".

وفي سنة 1945، كتب جون ماقي، شاعر وطيار حارب في الحرب العالمية الثانية، سوناتا "تحليق عال" (قصيدة الرئيس رونالد ريقان المفضلة. وألقى مقاطع منها في خطاب تنصيبه سنة 1980). وجاء فيها: "إلى أعلى، إلى أعلى. نحو السماء الزرقاء. تسلقت الجبال برشاقة وخفة. حيث لا يطير نسر، ولا صقر. ووجدت معبدا في الفضاء، ورفعت يدى نحو الله".

أحدث قصيدة:

في سنة 2005، صدر فيلم "فور وايفز اند فيونيرال" (أربع زواجات وجنازة)، واستغرب كثير من الأمريكيين لأن في الفيلم قصيدة طويلة، لأنهم ظنوا أن الشعر مات، أو كاد.

وفي الحقيقة، اشتهر الفيلم لأسباب كثيرة، منها هذه القصيدة. اسم القصيدة "أحزان جنازة." وألقتها أرملة في المقابر حزنا على زوجها. ومن أبياتها:

"أوقفوا الساعات. اقطعوا أسلاك التلفونات. أمنعوا الكلاب من أن تنبح. ارموا لها عضاما. لا أريد النجوم. امسحوها. ارموا القمر بعيدا. أطفئوا الشمس. جففوا مياه المحيطات. أوقفوا المرور. ضعوا شريطا أسود على ذراع الجندي. أجمعوا المعزين. احضروا الكفن. كان شمالي، وكان جنوبي، وكان شرقى، وكان غربي. كان أيام عملي، وكان أيام عطلتي. كان شمسي، كان قمري، كان كلامي، كان أغنيتي. اعتقدت أن الحب يعيش إلى الأبد. أخطأت. لا فائدة من أي شيء."

وهكذا، أصبحت هذه أشهر قصيدة أمريكية حديثة. ليس لأنها أحسن، ولكن لأنها عرضت في فيلم ترفيهي. لم تكن قصيدة ترفيهية، لكن الفيلم ترفيهي، ويبدو أن الناس، لهذا السبب، تذكروها، ورددوها.

نهاية الشعر؟:

في سنة 2004، أجرت مجلة "بويتري" (شعر) استفتاء أوضح أن تسعين في المائة من الأمريكيين لا يعرفون من هو بايرون (ربما أشهر شعراء بريطانيا)، ومن هو أليوت (ربما أشهر شعراء أمريكا). وقالت نفس النسبة أنها لم تقرأ قصيدة منذ حصص الشعر في المدرسة الثانوية. وقالت نفس النسبة أنها ليست متأكدة من أن الشعر شيء هام في الحياة.

وكتبت دانا جيونا، رئيسة وقف الفنون والآداب الحكومي: "في الماضي، كانت كل صحيفة تنشر قصائد في ملحقها الأدبي الاسبوعي. وكان يوم ميلاد شاعر مشهور مثل عيد وطني".

وكتب كرستيان ويمان، رئيس تحرير مجلة "بوتيري"، أن هناك أكثر من سبب:

أولا، "شهد القرن العشرين بداية الحداثة (مودرنيزم). وشهد، في نفس الوقت، نهاية الشعر التقليدي".

ثانيا، "اختلف الناس حول ما هو الشعر: هل هو أدب أو فن؟ قتلوه وهم يتجادلون حول معناه".

وكتب تيد بيسون، من شعراء الكونقرس، كتاب "ورشة تصليح الشعر". وقال فيه: "الشعر اتصال. والهدف منه هو الوصول إلى الناس. لكن، كثيرا من الشعر معقد وصعب. حتى صارت صورة الشعر هي التعقيد والغموض. وصارت قراءته شيئا مخيفا بالنسبة لكثير من الناس. لماذا لا يكتب الشعراء عن ناس يعيشون معنا؟ عن ذباح دجاج في مزرعة للدواجن؟ عن حمال طوب في عمارة تشيد؟ عن أستاذ فلسفة يدرس تلاميذه؟"

ربما سيكون هذا هو الشعر الترفيهي المطلوب.

وبعد ذلك، ربما سيقترح واحد قصائد عن ممثلات الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية، حتى تشتهر قصائد، وحتى لا يموت الشعر.

تحديث:

لا أعرف كثيرا في الشعر. ومثل كثير من الأمريكيين، بقيت في ذهني أبيات قصائد قليلة من المدرسة الثانوية. غير أنها، طبعا، قصائد عربية. حتى اليوم، لا أعرف قصيدة إنجليزية، ولا حتى أبياتا كاملة. أحيانا أتمتم بعض كلمات النشيد الوطني الأمريكي، وبعض كلمات "أميركا ذا بيوتيفول" (أمريكا الجميلة).

مؤخرا، بعد أن أحببت الكتابة، لسنوات وسنوات، في مختلف جوانب الثقافة الأمريكية، أعادني الحنين إلى الثقافة العربية. وتذكرت "المعلقات السبع" في المدرسة الثانوية، وبرنامج "لغتنا الجميلة" في إذاعة القاهرة، وبرنامج "قول على قول في إذاعة لندن.

وبفضل التقدم التكنولوجي، صرت قادرا على العثور في الإنترنت على كثير من مثل هذه الإسهامات الثقافية العربية. وأنا السوداني، المدين لمصر وللعرب في ثقافتي الإسلامية العربية، أنوي، أن شاء الله، بعد نهاية هذه الحلقات عن الثقافة الأمريكية، الكتابة عن الثقافة العربية كما أثرت علي وأنا هنا في الولايات المتحدة.

في شركة (ديل) ، دالاس (ولاية تكساس) :

الإنترنت ومصير اللغة



(اقرأ: النشر الإلكتروني)

(اقرأ: الحروب الإلكترونية)

جئت إلى هنا سنة 2012، للمرة الثانية خلال أربع سنوات، لزيارة رئاسة شركة "ديل"، واحدة من أكبر شركات الكمبيوتر في أمريكا، وفي العالم. المرة الأولى كانت في سنة 2008، بدعوة من رئيس الشركة، مايكل ديل، للاطلاع على أحدث التكنولوجيا. جئت (العربي الوحيد) مع عشرين صحفيا من مختلف أنحاء العالم.

في الزيارة الأولى، وخلال فترة أسئلة وأجوبة مع مايكل ديل عن احدث التكنولوجيا، سألته سؤالين:

الأول: "ما هي البطارية المثالية لكمبيوتر "لابتوب" (كمبيوتر محمول)؟" وأجاب: "أن يعمل بدون بطارية. يبدو هذا مستحيلا الآن، لكننا متفائلون."

الثاني: "كيف سيكون اللابتوب سنة 2050؟" وأجاب: "اجلس هنا أتحدث إليكم، ثم استأذنكم للاطلاع على بريدي الالكتروني. وأحرك يدي في الهواء أمام وجهي من اليمين إلى اليسار، وتظهر شاشة كمبيوتر، ويظهر بريدي، واقرأ منه ما أريد، وأرد على ما أريد، وأغلق الكمبيوتر، وأحرك يدي في الهواء من اليسار لليمين، وتختفي الشاشة، وأعود للحديث معكم."

لغة الانترنت:

في سنة 2012، عدت إلى رئاسة شركة "ديل" لحضور مؤتمر عن لغة الإنترنت. حضره خبراء من دول كثيرة، يمثلون لغات كثيرة (كان هناك عربي واحد).

أشار واحد من الخبراء إلى إحصائية أوضحت أن اللغة الانجليزية (لغة الإنترنت الأصلية) لا تزال تسيطر على الانترنت بنسبة ستين في المائة. وأنه خلال العشر سنوات الماضية، بسبب زيادة استعمال الانترنت، زاد استعمال اللغة الانجليزية بنسبة ثلاثمائة في المائة.

لكنه قال: أن هذا ربما لن يستمر لفترة طويلة. وذلك لأنه، خلال نفس العشر سنوات، زاد استعمال اللغة الاسبانية بنسبة سبعمائة في المائة. والصلغة بنسبة ألفين في المائة. و الاسبانية بنسبة سبعمائة في المائة.الروسية بنسبة ألف وثمانمائة في المائة، والصينية بنسبة ألف ومائتين في المائة. غير أن العربية زادت بنسبة عملاقة: ألفين وخمسمائة في المائة.

وحسب هذه الإحصائيات، يبلغ عدد الذين يستعملون اللغة الإنجليزية ستمائة مليون شخص في كل العالم. والصينية خمسمائة مليون شخص. والعربية ستين مليون شخص.للعشر السنوات الماضية، بسبب زيادة استعمال الإنترنت، زاد استعمال اللغة الانجليزية بنسبة ثلاثمائة في المائة.

اختصار الجمل:

وتحدث آخر عن اختصار الجمل والعبارات والكلمات، خاصة في المواقع والصفحات الاجتماعية، وخاصة في "تويتر" (كل رسالة يجب ألا تزيد عن 140 حرفا وفراغا بين الحروف).

وطرح السؤال الآتي: أي نوع من اللغة هي لغة الإنترنت؟ لغة تحرص على الفاعل والفعل والمفعول، والحال والظرف؟ أو لغة تركز على المعاني والمعلومات؟ لغة جميلة، ومنسقة، ومنمقة، تصف المكان، والجمال، والطبيعة، والأحاسيس أوصافا براقة؟ أو لغة مخاطبة ومواصلة اجتماعية قريبة من لغة الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء؟

وقال: "صار الشيء المؤكد هو أن اللغة، أي لغة، في طريقها نحو الاختصار بفضل الإنترنت، وبسبب قلة أوقات الناس، وانشغالهم. وأيضا، بسبب كثرة المعلومات في الانترنت."

وأضاف: "الخوف أن ذلك سوف يؤثر على فصاحة، وبلاغة، وخطابية اللغة، أي لغة."

على أي حال، يستمر الاختصار. مثلا: كلمة "إنترنت" اختصرت إلى "نت". وكلمة "إيميل" إلى "أي إم"؟ وحلت أيقونات محل كلمات (مثل وجه باسم، أو قلب، أو حمامة سلام). وحلت حروف محل كلمات، مثل "آل أو آل" بدلا عن "حب كثير." أو بدلا عن "أنا الآن اضحك بصوت عال" (تعليقا على نكتة أو غير نكتة).

خلفية تاريخية:

غير أن اختصار الكلمات، والتركيز على الجمل القصيرة، واستعمال حروف كرموز لكلمات، بدا قبل عصر الإنترنت بقرون.

في القرن الأول قبل الميلاد، كان ماركوس سيسارو، فيلسوف إيطالي (توفى سنة 43) حلقة الوصل بين الثقافة اليونانية التي اندثرت، والثقافة الرومانية التي خلفتها. وهو الذي وضع أسس اللغة اللاتينية. وتعتبر كتاباته أساس حركة النهضة التي شهدتها أوربا بعد ذلك بقرون كثيرة، في القرن الرابع عشر. وحسب ندوة عن الموضوع في مؤتمر للاتحاد الأميركي للعلوم قبل سنوات قليلة، اختصر سيسارو بعض الكلمات اللاتينية، وكان أول من فعل ذلك في اللغة اللاتينية، أم اللغات الغربية الحالية.

ومن الكلمات التي اختصرها:

أولا: "أي دي"، بدلا عن "أنو دومينو" (السنة الميلادية).

ثانيا: "أي إم". بدلا عن "انتي ميريديم" (قبل منتصف اليوم).

ثالثا: "بي إم". بدلا عن "بوست ميريديم" (بعد منتصف اليوم).

وفسر اختصاراته بأنها "لتسهيل الفهم والتفاهم. أساس اللغة هو التواصل، وأساس التواصل هو الفهم."

قوتنبرج والمطبعة:

بعد سيسارو بألف وستمائة سنة، جاء الألماني جوهان قوتنبرغ (توفى سنة 1468) مخترع ماكينة الطباعة. وانتقد اختصار الكلمات، لأكثر من سبب:

أولا: لأنه اخترع الطباعة، حرص على طباعة كل شيء.

ثانيا: لأنه طبع الإنجيل، حرص على منع أي تحريف فيه.

ثالثا: اعتبر نفسه باعث الروح في اللغات.

تهديد اللغات:

وقال كتاب "لغة الإنترنت" انه، حتى قبل الإنترنت، صارت اللغة التقليدية النقية، في كل بلد تقريبا، مهددة. لأكثر من سبب:

أولا: تحول التكنولوجيا الثقافات تدريجيا من أدبية إلى علمية.

ثانيا: تساعد العولمة على تغلغل كلمات أجنبية ربما في كل لغة رئيسية في العالم. وليس بالضرورة من اللغة الإنجليزية (الأولى في العالم وفي الإنترنت). هذه، نفسها، تتغلغل فيها كلمات أجنبية.

مشكلة قديمة:

وقال بحث آخر أن الذين يشفقون على انهيار اللغة الصحيحة، وإهمال الفعل والفاعل والمفعول، يجب أن يعرفوا أن هذه مشكلة قديمة. وكان، ولا يزال، هناك نقاش، ربما في كل دول العالم، عن مسؤولية المدرسين والآباء والأمهات في تعليم الأولاد والبنات اللغة التقليدية الصحيحة (كتابة أو كلاما). ليس فقط كلمات علمية وأدبية، ولكن أيضا كلمات التواصل الاجتماعي المؤدبة. مثل: "من فضلك" و "شكرا" و "آسف".

وكان، ولا يزال، هناك نقاش حول حماية اللغة الأساسية من اللهجة المحلية الدارجة. وأيضا، من الكلمات والعبارات الأجنبية الدخيلة. في نفس الوقت، يريد أهل كل لغة من لغتهم مسايرة التقدم الحضاري والتكنولوجي والأدبي.

وقال البحث أنه يبدو أن "ظلما يقع على اللغة" (اي لغة). لأنه مطلوب منها:

أولا: تساير العصر.

ثانيا: تواجه "العدو الأجنبي".

ثالثا: تواجه "العدو الداخلي".

رابعا: تواجه الانترنت.

لكن، يقول كثير من الذين يكتبون في هذا المجال: "لا داع للشفقة على اللغة" (أي لغة). وفي موقع كتاب "لغة الإنترنت" في الإنترنت، قال واحد: "ظلت اللغات تتطور منذ بداية التاريخ. لماذا تحرمون علينا أن نطورها؟ لماذا لا تريدوننا أن نبدع؟" وعندما اشتكت والدة من انهيار اللغة الصحيحة وسط أولادها وبناتها بسبب كتابات التواصل الاجتماعي، طمأنتها مؤلفة الكتاب، وقالت لها: "كم أيقونة يستعملونها؟ وكم حروف مختصرة يستعملونها؟ وكم عبارات وكلمات غريبة يستعملونها؟ مائة؟ ألف؟ عشرة آلاف؟ لا بأس عليك. اللغة الرئيسية فيها، في المتوسط، عشرة ملايين كلمة تقريبا."

فوائد الإنترنت:

لهذا، يبدو أن كثيرا من المهتمين بلغة الانترنت لا يخشون على اللغات الأساسية. ويرون الإنترنت عامل تقوية، وليس عامل تفكيك.

مثلا: كتاب "نيتيكيت" (اتيكيت الإنترنت)، قال أن البنات أكثر من الأولاد في استعمال أيقونات، وأحرف، وكلمات غريبة. وأضاف: "هدفهن هو إيصال رسالة، وليس شكل الرسالة. لهذا، لا يجب على الآباء والأمهات القلق على لغة التواصل بينهن."

وأيضا، كتاب "لغة الإنترنت" بعد أن سرد مشاكل الإنترنت اللغوية، قال أن الوضع ليس سيئا كما يقول المتشائمون. وأن هناك فوائد. منها:

أولا: بالمقارنة مع التلفون، الإنترنت كتابة أكثر منه صوتا. وطبعا، الكتابة تقوى وتحفظ اللغة أكثر من الكلام.

ثانيا: بعد ظهور الترجمة الإلكترونية للغة المكتوبة، زاد الاهتمام باللغة المكتوبة.

ثالثا: استعمال كلمات قليلة في "تويتر" و "فيسبوك" وغيرهما يركز على أساس اللغة (على الكلمات، لا على الأفعال).

رابعا: صار الإنترنت نفسه مكان نقاش عالمي حول تطوير اللغات والمحافظة عليها (لم يكن هذا سهلا قبل الإنترنت).

خامسا: انتشرت مواقع تعلم اللغات. ومع انتشار فيديو الإنترنت، انتشرت الدروس المرئية والمسموعة.

مائة وأربعون حرفا:

وكتب ديفيد كريستال، أستاذ جامعي بريطاني متخصص في لغة الإنترنت: "مثل كل وسيلة، للانترنت محاسن ومساويء. وينطبق هذا على لغة الإنترنت." وأشار إلى الرسائل المكتوبة في التلفون (تيكست). وقال: إن الناس يجب ألا تقلل من دورها، ليس في أضعاف اللغة، ولكن في تقويتها.

وأشار أن صحيفة "قارديان" البريطانية كانت عقدت مسابقة في "تلفون بويتري" (شعر التلفون). وكانت الكلمات المكتوبة في التلفون لكل قصيدة لا تزيد عن مائة وستين حرفا ومساحة بين الحروف. وقال: "كانت التجربة إثراء للشعر الإنجليزي. ليس فقط لقلة كلماتها، ولكن أيضا لتحديها للناس، ولابداعيات الناس."

وقال: إن نفس الصحيفة عقدت مسابقة في "تلفون نوفيلز" (روايات التلفون). هذه روايات قصيرة جدا، تكتب على التلفون، ويمكن أن تكون مسلسلة في حلقات. وبعد أن نشرت الصحيفة قصائد وروايات التلفون، سارع القراء بإرسال تعليقاتهم واقتراحاتهم إلى مؤلفي هذه القصائد والروايات.

وسال الأستاذ الجامعي البريطاني: "هل يقلل ذلك من قيمة الرواية أو القصيدة؟ أو هل يزيدها؟ اعتقد أنه سيزيد قيمتها. اعتقد أنه سيفتح الباب أمام نوع جديد من الإبداعات التي تخلط بين الأدب والتكنولوجيا."

وعن موقع "تويتر"، الذي يحدد كل رسالة بمائة وأربعين حرفا، قال: "يمكن القول بأنه للكسالى الذين لا يريدون التبحر في استعمال الكلمات والعبارات اللغوية الصحيحة. لكنه، في نفس الوقت، قدم نوعًا جديدًا من اللغة، وهي اللغة المختصرة، والعملية، والسريعة. وهذا لا يمكن أن يؤذي أي لغة."

غير أنه حذر من صفحات "بلوقز" (مدونات). وقال أن أصحابها، في حالات كثيرة، لا يلتزمون باللغة الصحيحة. وسمى لغة المدونات "نيكيد لانقويدج" (لغة عارية). وقال أن أصحابها يرون قواعد اللغة مثل ملابس تلبسها امرأة حسناء. وهم يفضلون أن يرونها عارية، بدون قواعد. وقال: "لننتظر ونرى مستقبل اللغة العارية هذا... "

اللغة العربية:

وبالنسبة للغة العربية، يظهر دور الإنترنت الايجابي في مواقع الإنترنت التابعة لكليات اللغة العربية في الجامعات، ومجامع اللغة العربية.

كتابة كلمة "اللغة العربية" في موقع "قوقل" تقود إلى مواقع كثيرة جدا، منها: مجمع اللغة العربية الأردني، وكلية اللغة العربية في جامعة أم القرى السعودية، وحتى مجمع اللغة العربية في حيفا (في إسرائيل)، والمجلس الدولي للغة العربية.

ويوضح النقاش حول هذا الموضوع جوانب سلبية وايجابية:

إيجابيا: سمحت المؤسسة الدولية لأسماء وأرقام الإنترنت بوضع عناوين المواقع والصفحات العربية. ولابد أن هذا سيساعد على زيادة استعمال الإنترنت وسط العرب.

سلبيا: تأسست مواقع عن "تحديث" أو "اختصار" أو "علمانية" أو "أمركة" أو "برطنة" اللغة العربية. وهناك موقع يدعو لفصل اللغة العربية عن القران الكريم.

لكن، في كل الحالات، ايجابية وسلبية، يظل أهل اللغة العربية حريصين على تقويتها، وليس فقط على صمودها أمام اللغات الأخرى، وخاصة اللغة الإنجليزية.



في هوليوود (ولاية كاليفورنيا) : فن وتجارة



جئت إلى هوليوود (شرق لوس أنجلوس) مرات كثيرة. أول مرة، سنة 1982، بعد سنتين من تعييني مراسلا صحفيا متفرغا في واشنطن العاصمة. وبعد ذلك، جئت مرات كثيرة. زرت استوديوهات سينمائية، وقابلت ممثلين وممثلات، وحضرت افتتاح أفلام مشهورة، وشاهدت تمثيل مسلسلات تلفزيونية.

زرت الجبل الذي عليه اسم "هوليوود" (تنظم الزيارة حافلات سياحية). وشربت قهوة في "هوليوود هوتيل" (بنى سنة 1902). ونزلت في "بيفرلي هيلز هوتيل" (حيث يقام المهرجان السنوي لجوائز "قولدين قلوب" السينمائية).

وقدت سيارتي في "سنيسيت بلوفارد" (شارع غروب الشمس). و مشيت في "هوليوود بلوفارد" (شارع هوليوود) حيث "ووك أوف فيم" (رصيف المشاهير:مئات النجوم منقوشة على رصيف الشارع لمشاهير الممثلين والممثلات).

***

وفي سنة 2003، زرت هوليوود ربما للمرة العاشرة. وكان الناس يتحدثون عن أغنية جديدة عن هوليوود للمغنية الشقراء مادونا. ولاحظت طريقة إنتاج وتوزيع وتسويق الأغنية. وعرفت أن هوليوود ليست فقط تبدع في الإنتاج الفني، ولكن أيضا في تسويقه. وأن هوليوود، في الحقيقة، فن وتجارة.

ورأيت أن أكتب عن هذه النقطة.

أغنية مادونا:

تغني مادونا في أغنيتها: "يأتي كل الناس إلى هوليوود. يريدون أن يكونوا جزءا منها. يريدون رؤية نجومها، وشم هوائها. كيف لا، وهي الأجمل؟"

لكن، لم تشتهر هذه الأغنية فقط لأنها عن هوليوود، وفقط لأن مادونا هي التي تغنيها، ولكن لان هوليوود نفسها هي التي أنتجتها، وأخرجتها، ووزعتها في كل أمريكا، ثم في كل العالم، في عملية تجارية منظمة، ومخططة، وناجحة، ومربحة.

فعلت ذلك شركة "وورنر" للإنتاج السينمائي والتلفزيوني والغنائي: قدمتها كأغنية في البوم. ثم قدمتها خلال مهرجان "أوسكار". ثم قدمتها في فيلم "تيل يو سيكريت" (أقول لك سرا).

وهكذا، ثقافة هوليوود التي اكتسحت العالم نجحت لسببين رئيسيين:

أولا: الإبداع الفني. ومن أسبابه: الحرية، والتكنولوجيا، والفردية، والعقلانية.

ثانيا: العقلية التجارية، التي تعتمد على المغامرة الخطيرة، والقروض العملاقة، والعمل الشاق، والربح الكثير.

يتمثل الإبداع الفني في مخرجين مثل: ستيفن سبيلزبيرق، ومارتن سكورسيز، وودي ألين. وتتمثل العقلية التجارية في شركات مثل:"وورنر" و"يونفيرسال" و "باراماونت" و"كولمبيا."

لنبدأ بالشخصيات، ثم نتحدث عن الشركات:

سبيلزبيرق:

في كتابه "ستيفن سبيلبيرق: قصة حياة"، كتب الصحافي الأمريكي جوزيف ماكبرايد أنه، في سنة 1970، كان سبيلبيرق طالبا في المدرسة الثانوية. وفي وقت فراغه، كان يكتب سيناريوهات أفلام بدائية. ويصورها بكاميره من النوع القديم. ويقطعها، ويرصها، ويعرض الأفلام على أصدقائه. كان يفعل كل شيء بنفسه.

فيما بعد، بعد ثلاثين سنة، عندما صار من أكبر مخرجي هوليوود، قال: إنه افتقد العمل بمفرده، رغم جيوش المساعدين والمستشارين الذين يعملون معه الآن.

وخلص الكتاب إلى أن سبيلبيرق من نوع شخصية "اوبسيسيف" (الذي يحرص على مراقبة كل كبيرة وصغيرة في العمل. ويفضل أن يعمل كل شيء بمفرده ليرضي نفسه).

وأن سبيلزبيرق انفرادي بطبيعته. وأنه اشتهر بالتوتر، الذي ينتقده البعض بأنه "حب السيطرة."

حسب الكتاب، شارك سبيلبيرق في إنتاج وإخراج مئات الأفلام السينمائية والتفزيونية. وتساعده زوجته وأربعة من أطفالهما السبعة الذين احترفوا الإنتاج السينمائي.

ويفتخر سبيلزبيرق بأنه "زوج أحسن من أزواج كثيرين، وأب أحسن من أباء كثيرين." وساله مؤلف الكتاب عن كيف يوفق بين كل هذه الأشياء، وقال: "عندما تعمل عملا لعشرات السنين، يجب أن تكون قد تعلمت كيف تجعله سهلا. لهذا، أقدر على أن أشرف على إنتاج هذا الفيلم، وإخراج هذا المسلسل، ومشاهدة مباراة كرة السلة لهذا الابن، وتناول عشاء هادئ مع زوجتي." وأضاف: "عندما أركز على شيء واحد، وأستبعد الأشياء الأخرى، أفقد الموضوعية."

لهذا، لم تكن صدفة أنه، خلال شهور قليلة، أنتج فيلم "مغامرات تن تن"، بينما كان بدا في إنتاج فيلم "وور هورس" (حمار الحرب الذي فاز بعدة جوائز "أوسكار")، وكان يخطط لفيلم "ابراهام لنكولن."

سكورسيس:

قال عنه بات كيلي، مؤلف كتاب "سكورسيس: رحلة": "نجح الرجل لأنه يخلط بين الإبداع والنظام. لأنه يتشدد في وجوب اتباع تعليماته كمخرج فيلم. قال عنه لي ممثلون وممثلات أنه يتعالي عليهم. لكنهم يعرفون أن هذا من منطلق حرصه على نجاح فيلمه. انه لا يهادن أبدا في النظام والتنسيق. إنه ينتج الفيلم وكأنه يقود فرقة سيمفونية."

وقالت عنه الممثلة ليزا منيلي: "مارتن كان يجلس وراء الكاميرا التي تصورني وأنا أمثل. وبدون أن يتكلم، كان يتحرك حركات بجسمه، وكأنه يتكلم. أحس بها، وأفهم ما أريد، وأنفذه." كانت تتحدث عن فيلم "نيويورك، نيويورك" الذي أخرجه الرجل، والذي لعبت فيه هي دور البطولة.

حتى سنة 2102، أخرج الرجل 22 فيلما. أخرها "هوقو" الذي فاز بعدة جوائز في مهرجان "أوسكار" سنة 2012.

وحسب الكتاب، ربما يشذ سكورسيس عن غيره لأنه يتابع أفكار شباب وشابات الجيل الجديد، ويحاول في أفلامه إرضاء أمزجتهم. مثل أفلام: "ريجنغ بول" (الثور الهائج) و "اليس نوت هيا" (اليس لا تعيش هنا) و "مين ستريت" (شارع لعين).

وفي الفيلم الأخير، منظر الممثل دي نيرو يحاسب زوجته وأخاه، وهما يقفان أمامه، على خيانتهما له. وقال الكتاب: "هذا المنظر القصير قوي جدا. أنه واحد من أكثر مناظر الأفلام السينمائية الحديثة تسجيلا في الذاكرة. أنه واحد من إبداعات سكورسيس."

وودي الين:

قال عنه روبرت وياد، مؤلف كتاب "وودي الين: وثيقة": "ثلاث كلمات يوصف بها وودي ألين: عصبي، وفوضوي، وفيلسوف. تنعكس هذه الكلمات الثلاثة على أفلام هذا المبدع. وكلها تقريبا، فيها كثير من المناخوليا"

وأشار الكتاب إلى فيلم "ميدنايت أن باريس" (منتصف الليل في باريس) الذي نال جوائز في مهرجان "أوسكار" في سنة 2012. ويتخلص الفيلم في قصة عريس وعروسه أمريكيين، سافرا إلى باريس لقضاء شهر العسل.

لكن، في منتصف كل ليلة، يترك العريس عروسه في غرفتهما في الفندق، ويقف إمام الفندق. وينتظر سيارة عتيقة يعود عمرها إلى أكثر من مائة سنة. تأتي السيارة وكل ليلة، فيها واحد من فلاسفة وكتاب ماتوا منذ مدد طويلة. مرة فيها جين جاك روسو، ومرة رينيه ديسكارت، ومرة جين بول سارتر. وأيضا غير فرنسيين، مثل: أرنست همنغواي، بابلو بيكاسو، سكوت فتزجيرالد.

كل ليلة عند مدخل الفندق، يكون في السيارة العتيقة واحد من هؤلاء. يتبادلان التحية، ويذهبان إلى مكان الرجل، ويتحدثان عن الفلسفة والأدب. ومع اقتراب شروق الشمس، يعود إلى العريس إلى عروسه التي تكون مشتاقة له.

تجار هوليوود:

هؤلاء المخرجون الثلاثة (سبيلزبيرق، سكورسيس، ألين) أمثله للمبدعين الذين أبدعوا في هوليوود. لكن، ما كان إبداعهم سينتشر لولا إبداع أمريكي آخر: شركات هوليوود التي تنتج هذه الأفلام، وتوزعها في أمريكا وفي بقية العالم.

ثمانون في المائة من الأفلام التي درت أكبر دخل في تاريخ العالم هي ثلاثة أنواع:

أولا: أفلام أمريكية.

ثانيا: أفلام أجنبية صورت في ستوديوهات أمريكية.

ثالثا: أفلام أجنبية صورت في ستوديوهات أجنبية،بإنتاج أمريكي، وبتمويل أمريكي.

أكبر فيلم (إنتاجا، وتوزيعا، وأرباحا) في تاريخ السينما الأمريكية (وبالتالي العالمية) هو "تايتانيك" الذي حصد بليون دولار (ويستمر يحصد). ومن الأفلام التي حصدت بليون دولار تقريبا: "جوراسيك بارك" (الحديقة الجوراسية). و "ستار وورز" (حروب النجم). و "أنديبندانس داي" (يوم الاستقلال). و"ليون كنغ" (الملك الأسد، الفيلم الكرتوني الأفريقي).

ومن بين اكبر خمسة وعشرين فيلما في التاريخ، عشرون أمريكيا.

من الاستثناءات، فيلمان:

الأول: "باشون أوف كرايست" (عاطفة المسيح) إسترالي، لكن بطله هو الأميركي ميل غيبسون.

الثاني: "هاري بوتر" البريطاني، لكن تمويله وأستوديوهاته أمريكية.

رأسماليو هوليوود:

بالإضافة إلى إبداع مخرجي ومنتجي هوليوود، لعب رأسماليو هوليوود دورا كبيرا في توزيع هذا الإبداع. وصار واضحا انه ليس هناك من يجاري شركات الافلام الأمريكية في المغامرات الرأسمالية: الاقتراض الضخم، والصرف الكبير، والإدارة الصارمة والربح المجزي.

خلال العشر سنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين، بلغ دخل الشركات السينمائية الأمريكية قرابة بليوني دولار. مقابل نصف بليون دولار للشركات السينمائية الاروبية. رغم أن الشركات السينمائية الفرنسية، مثلا، تنتج كل سنة ضعف الإنتاج الأمريكي.

شيء آخر أبدعه راسماليو هوليوود، وهو ربط الأفلام السينمائية بالأكل والشراب. مثل التعاقد مع شركة "ماكدونالد" لساندوتشات الهامبيرقر لتوزع رسومات ومجسمات وحيوانات من فيلم "الملك الأسد".

لماذا؟

ليقول الطفل لوالديه (بعد أن يشاهدوا الفيلم): "هل يمكن أن نذهب إلى مطعم ماكدونالد، ونحصل على هدايا مجانية من الفيلم؟"رينتج كل سنة ضعف الإنتاج الأمير سكورسيس" هناك أبداع المخرج أو يقول لهما (بعد أن يأكلوا ويحصلوا على الهدايا المجانية): "هل يمكن أن نشاهد الفيلم؟"

وظهر التعاون أيضا في مجال الأغاني. مثل تعاقد شركة "بيبسي كولا" مع الشركات التي تنتج وتوزع أغاني مادونا، ومايكل جاكسون، وبريتني سبيرز، وغيرهم.

وهكذا، تخلط الرأسمالية الأمريكية الأكل، والشراب، والغناء، والسينما، والموسيقى في خلطة واحدة ذات جزئين: ثقافي، واقتصادي.

مشكلة الاحتكار:

لكن، مثلما صار الاحتكار مشكلة في النظام الرأسمالي الأمريكي (تشتري شركات بعضها البعض لتقل المنافسة)، صار مشكلة في المجال الفني والثقافي الأميركي. وذلك لأن شركات إنتاج وتوزيع الأفلام والمسلسلات والأغاني تفعل نفس الشيء.

قبل ثلاثين سنة تقريبا، كانت هناك مئات الشركات في هذه المجالات. لكن في الوقت الحالي، تركزت كل هذه النشاطات في أقل من عشر شركات.

وحسب أمثلة في كتاب "تاريخ السينما": إذا تملك شركة أستوديوهات أغاني ومحطات إذاعة، تنشر أغانيها في إذاعاتها. وإذا تملك شركة أستوديوهات أغاني وأستوديوهات أفلام، تظهر أغانيها في أفلامها. وإذا تملك شركة استوديوهات أفلام ومحلات تأجير فيديوهات، تؤجر أفلامها.

وفي كل الأحوال، يقل خطر المغامرة. إذا لم يشترى كثير من الناس الأغنية، ربما يشاهدون الفيلم في دور السينما. أو يشترونه في فيديو ويشاهدونه في منازلهم. أو يشاهدونه في الإنترنت، حيث تظهر مع إعلانات تجارية تستفيد منها الشركة الأم المنتجة.

وفي كل الأحوال، يزيد الربح.

وهناك رأيان عن هذا الموضوع، حسب كتاب توم زانلو: "سينما العولمة":

الرأي الأول يشيد بنجاح الأمريكيين في خلط الثقافة، والفكر، والقيم، والمأكولات، والمشروبات، والملابس، والعطور، والإكسسوارات.

الرأي الثاني ينتقد ما يسميه "الاستعمار الثقافي" و "الهيمنة الثقافية" و"الفساد الثقافي" (نشر أفكار وعادات تفسد أفكارا وعادات).

مدرسة فرانكفورت:

ويشير الكتاب إلى "مدرسة فرانكفورت": مثقفين أوروبيين ينتقدون الحضارة الغربية، ليس من منطلق شيوعي، ولكن من منطلق اشتراكي اجتماعي. (ينتقدون الشيوعية بسبب دكتاتوريتها. لكنهم يؤيدونها في أن الرأسمالية استغلالية ومادية). بالرأسمالية).

يقول فلاسفة "مدرسة فرانكفورت" أن التطور الحضاري فيه تناقضات: زيادة الحرية والإبداع، مع زيادة الفردية والأنانية.

وبالنسبة للإنتاج السينمائي والتلفزيوني في هوليوود، مع ظهور الشركات الفنية العملاقة في هوليوود، اختلطت الثقافة بالتجارة.

لهذا، يخشى فلاسفة "مدرسة فرانكفورت" من أن التجارة سوف تبلع الثقافة في نهاية المطاف. مثلما بلعت شركة "وول مارت" للسوبرماركيت المحلات التجارية العائلية الصغيرة. ومثلما بلعت شركة "ستارباك" المقاهي الشعبية الصغيرة. ومثلما بلعت شركة "ماكدونالدز" المطاعم الشعبية الصغيرة.

لهذا، هناك خوف من أن تقدر شركات هوليوود الفنية العملاقة على ابتلاع الاستوديوهات المحلية، والخاصة، والتعاونية، والاجتماعية. ليس فقط داخل أمريكا، ولكن أيضا في كل العالم.

وأخيرا:

رغم تأييدي، وإعجابي، واستمتاعي، بالحرية الأميركية، ولا أعرف كثيرا عن الفلسفة وعن فلاسفة "مدرسة فرانكفورت"، أحس بأن الحرية الاقتصادية صارت تهدد الحرية السياسية والحرية الاجتماعية والحرية الثقافية. أحس بأن البنوك والشركات العملاقة صارت تؤثر ليس فقط على السياسة، ولكن على حياة الناس. وربما هو ليس "تأثيرا"، ولكن "استغلال"، وربما "عبودية." وأحس أن المستقبل لا يبدو طيبا.

حسب كتاب "سينما العولمة"، تسيطر على تجارة النفط العالمية خمس شركات نفط عملاقة. وتسيطر على النظام البنكى العالمي خمس بنوك عملاقة. وتسيطر على إنتاج الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية في هوليوود خمس شركات عملاقة.

والسؤال هو: حتى إذا قبل الناس احتكارات البنوك، وشركات النفط، هل سيقبلون احتكار خمس شركات على الثقافة؟ ليس فقط الثقافة الأمريكية، ولكن، أيضا، الثقافة في كل العالم؟

في نادي الصحافة الوطني ، واشنطن:

أسرار السياسيين



(اقرأ: عندما يعتذر السياسيون)

حضرت (في سنة 2012)، في "ناشونال بريس كلوب" (نادي الصحافة الوطني) في واشنطن، ندوة عنوانها "هوين مايكرفونز سبيك" (عندما تتكلم الميكرفونات). جاءت الندوة بعد فضيحة أخرى عن السياسيين الذين يتكلمون ويعتقدون أن الميكرفونات التي أمامهم مغلقة، لكنها ليست مغلقة.

وكان الرئيس الأميركي باراك أوباما تحدث، خلال هذه السنة، مع الرئيس الروسي ديمتري ميديفيديف خلال قمة سيول، في كوريا الجنوبية. ولم يكونا يعرفا أن الميكرفون أمامهم كان مفتوحا، في انتظار بداية مؤتمر صحافي.

وكان الزعيمان ناقشا مشاكل، بينها غضب الروس على خطة أمريكية لبناء شبكة صواريخ وصواريخ مضادة في شرق أوروبا. بينما يقول الأمريكيون أن الهدف هو حماية أوروبا من

صواريخ إيران، يقول الروس أن الهدف هو روسيا. وسمع الصحافيون أوباما يقول للرئيس الروسي انه سيكون "أكثر مرونة" بعد إعادة انتخابه في سنة 2012.

قال أوباما: "هذه آخر انتخابات لي. بعد الانتخابات سأكون أكثر مرونة". ورد الرئيس الروسي: "سوف أنقل هذه المعلومات إلى فلاديمير" (يقصد الرئيس الجديد فلاديمير بوتين).

وفي الحال، هب قادة الحزب الجمهوري الأميركي ضد أوباما. وقال نيوت قنقرتش، رئيس سابق لمجلس النواب: "انتظروا إذا فاز أوباما. سيزيد الضرائب، وسيترك إسرائيل لأعدائها، وسيبيع بلدنا للروس".

وقال واحد من المشتركين في ندوة نادي الصحافة الوطني: "يجب ألا ننسى أن أوباما سياسي مثل غيره من السياسيين. وأحيانا يقول في السر ما لا يقول في العلن. وان أوباما أحرج نفسه وأحرج الروس. وأن ما حدث هفوة صغيرة، لكن نتائجها تاريخية".

عادة قديمة:

لكن، ليس أوباما أول سياسي يقول في السر ما لا يقول في العلن. وليست هذه هي المرة الأولى التي يقول فيها سياسيون وحكام ومسؤولون ما لا يريدون أن يعلنوا للناس، وهم يعتقدون أن ميكرفونات الصحافيين أمامهم مغلقة:

في سنة 2011، في مصيف "كان" الفرنسي خلال قمة الدول العشرين، كان أوباما يتحدث مع الرئيس الفرنسي نيكولاي ساركوزي. ومرة أخرى، اعتقدا أن الميكرفون أمامهما مغلق. وسمع الصحافيون ساركوزي ينتقد بنجامين نتنياهو، رئيس وزراء إسرائيل. ومما قال إنه "كذاب"، ووافق أوباما، وقال: "أنت سئمت معه. لكني مضطر للتعامل معه."

وفي سنة 2010، في البيت الأبيض، خلال حفل توقيع الرئيس أوباما على قانون الضمان الصحي، كان يقف وراءه كبار المسؤولين الأميركيين. ومن بينهم نائبه جوزيف بايدن. وفي لحظة فرح، صاح بايدن: "هذا نصر كبير"، لكنه استعمل عبارة بذيئة (عن عملية جنسية). هذه المرة كان بايدن يعرف أن ميكرفونات وكاميرات تلفزيون تسجل المناسبة الكبيرة. لكنه اقترب من إذن أوباما، وهمس تعليقه. كان يعتقد أنها الميكرفونات لن تقدر على التقاط الهمس. لكنها، طبعا، التقطته.

وفي سنة 2010، خلال الحملة الانتخابية الأمريكية في ولاية كاليفورنيا، نافست الجمهورية كارلي فيورينا الديمقراطية السيناتورة باربرا بوكسر. وكانت كارلي تنتظر الظهور في مقابلة تلفزيونية عندما شاهدت على شاشة التلفزيون منافستها باربرا تتحدث في مقابلة تلفزيونية أخرى. ولم تكن تعرف أن الميكرفون أمامها مفتوح عندما علقت على طريقة تصفيف شعر باربرا، وقالت: "يا الله، أي شعر هذا؟ هذه موضة قديمة جدا."

وفي سنة 2009، أجريت الانتخابات الرئاسية في روسيا حيث فاز ميديفيديف، وعين الرئيس السابق بوتين رئيسا للوزراء، في صفقة وضعت مسبقا. (في سنة 2012، وحسب صفقة وضعت مسبقا، لم يترشح ميديفيديف للرئاسة مرة أخرى. وترشح بوتين. وفاز).

وكان نيوت قنقرتش، الذي ترشح لرئاسة الجمهورية، يتحدث مع صحافي عن الموضوع. ولم يكن يعرف أن الصحافي سجل كلامه. مما قال قنقرتش: "لا تنس أن بوتين عشيق زوجة ميديفيديف. بوتين، رجل الاستخبارات، يمسك ميديفيديف من ... (واستعمل إشارة إلى عضو الزوجة التناسلي).

وفي سنة 2008، خلال الحملة الانتخابية التمهيدية للحزب الديمقراطي، قالت المرشحة السناتور هيلاري كلنتون، ولم تكن تعلم أن ميكرفونا أمامها كان مفتوحا: "رأيت كثيرا من الهنود يعملون في محطات الوقود في سنت لويس (في ولاية ميسوري). حتى غاندي رأيته هناك." وأغضب كلامها الاستهزائي والذي فيه إساءة واضحة للمهاجرين من الهند، منظمات هندية أمريكية وغيرها.

وفي نفس السنة، كان جيسي جاكسون، القس الأسود، يتحدث في ندوة، وأشار إلى أوباما الذي كان يريد الترشيح لرئاسة الجمهورية باسم الحزب الديمقراطي. وانتقد جاكسون أوباما، وقال: إنه يتعالى على السود (أم أوباما بيضاء، وتربي ودرس وسط البيض. ووالده من كينيا، أسود، لكن ليس أميركيا أسودا). وقال جاكسون: "يتعالي أوباما علينا. أود أن أحطم ..." (أشار إلى عضو الرجل التناسلي).

وفي نفس السنة، ونفس الحملة الانتخابية، انتقد الآن شاربتون، القس الأسود، هيلاري كلينتون (كانت تنافس أوباما للترشيح لرئاسة الجمهورية باسم الحزب الديمقراطي). وقال شاربتون كلاما معناه أن أوباما (الأسود)، بعد أن يفوز على هيلاري (البيضاء)، يجب أن يمارس معها الجنس (كجزء من انتقام السود من البيض بسبب تجارة الرقيق والتفرقة العنصرية).

وفي سنة 2007 ، كان كوفي أنان، الأمين العام للأمم المتحدة في ذلك الوقت، يتحدث في مكتبه مع المتحدثين السابقين باسم الأمم المتحدة. وانتقد الولايات المتحدة وبريطانيا لقيادة غزو العراق بدون إذن واضح من مجلس الأمن. ولم يكن يعرف أن بعض الحضور سجلوا كلامه. وعندما نشروه، كانت أول مرة انتقد فيها أنان علنا الدول التي قادت غزو العراق. لكن، رفض أنان تأكيد أو نفي ما قال. وسارع المتحدث باسم الأمم المتحدة، وقال انه يتحمل مسؤولية عدم إغلاق ميكرفونات زملائه المتحدثين السابقين باسم الأمم المتحدة (وتحمل مسؤولية جبن رئيسه).

وفي سنة 2006 في قمة الدول الثمانية في سنت بيترسبيرق (روسيا) كان الرئيس الأمريكي السابق بوش الابن يتحدث مع رئيس الوزراء البريطاني توني بلير عن العلاقات بين لبنان وسوريا وإسرائيل. ولم يكونا يعرفان أن الميكرفون أمامهما مفتوحا عندما قال بوش أن على سوريا "وقف نشاطات حزب الله هذه ... "، لكنه استعمل كلمة بذيئة (عن عملية جنسية).

وفي نفس السنة، في اجتماع في موسكو بين الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، وإيهود أولمرت، رئيس وزراء إسرائيل، وأمام ميكرفون مفتوح، قال بوتين: "أنقل للرئيس موشي كاتساف إننى معجب بقدرته على ممارسة الجنس مع مساعداته ومستشاراته." هذه إشارة إلى أخبار في ذلك الوقت بأن مساعدات ومستشارات للرئيس كاتساف رفعن قضايا ضده باغتصابهن، ومضايقتهن، والتحرش بهن.

(فيما بعد، أدانت محكمة الرئيس كاتساف).

وفي سنة 2004، خلال الحملة الانتخابية الرئاسية بين الرئيس بوش الابن و السناتور جون كيري، مرشح الحزب الديمقراطي، قال كيري غاضبا، وميكرفون معلق على بدلته، أن "الجمهوريين مجموعة من الكذابين والحرامية. لم أر في حياتي مثلهم."

وخلال نفس الحملة الانتخابية، قال كيرى أن الصحافيين لا يهتمون بغير "الأخبار السخيفة." ولم يكن يعرف أن صحافيين مرافقين له سمعوا كلامه. وعندما احتجوا، قال لهم في شبه اعتذار: "أردت فقط أن أحذركم من الأخبار السخيفة."

وفي سنة 2000 خلال حملة الانتخابات الرئاسية التي تنافس فيها آل جور، نائب الرئيس كلينتون، وبوش الابن، حاكم ولاية تكساس، كان بوش يتحدث مع ديك شيني المرشح نائبا له. ولم يكونا يعرفان أن الميكرفون أمامها مفتوحا. وانتقد بوش أدام كلايمر، مراسل صحيفة "نيويورك تايمز" الذي كان واقفا مع صحافيين آخرين على مسافة ليست بعيدة. واستعمل بوش كلمة بذيئة في وصف الصحافي (عن مكان حساس في الجسم).

وخلال نفس الحملة، كان قور يتحدث مع بوش قبيل بداية مناظرة تلفزيونية بينهما عن مضايقات وقفشات الصحافيين. وقال قور مخاطبا بوش: "أنت وأنا تعلمنا كيف نعرف إذا كانت الميكرفونات أمامنا مغلقة أو مفتوحة. وتعلمنا متى نتحدث بصراحة، ومتى لا نتحدث بصراحة." ولم يكونا يعرفان أن الميكرفونات أمامهما مفتوحة.

وفي سنة 1998 خلال الحملة الانتخابية الرئاسية التي ترشح فيها الرئيس كلينتون مرة ثانية، كان يتحدث مع السناتور بوب كيري (ديمقراطي من ولاية نبراسكا) في حفل عشاء سياسي. ولم يكونا يعرفان أن الميكرفون أمامها مفتوحا. وتندر كلينتون على جيري براون، حاكم ولاية كاليفورنيا، لذي كان ينافسه في الترشيح باسم الحزب الديمقراطي. واستعمل كلينتون عبارات نابية (عن سلوك السحاقيات).

وفي 1993، أنهى جون ميجور، رئيس وزراء بريطانيا في ذلك الوقت، مقابلة مع تلفزيون "آي تي إن"، وظن أن الميكرفون أغلق، ووصف وزراء في حكومته وصفا بذيئا (له صلة بالبراز). ووعد أن "يصلبهم" مثلما صلب المسيح. واعترف أنه هو نفسه "مثل البنات" لأنه، أحيانا، يصير ضعيف الشخصية، ولا يعرف كيف يخطط للحملة الانتخابية. (فعلا، سقط في الانتخابات التالية).

وفي سنة 1992، ترشح كلينتون لرئاسة الجمهورية أول مرة وسط اتهامات بعلاقات جنسية مع فتيات في ولاية أركنسا، حيث كان حاكما. وسجل صحافي كلاما قاله السناتور الجمهوري روبرت دول (الذي ترشح ضد كلينتون في انتخابات سنة 1996، وسقط). أعتقد السناتور أن الصحافي أغلق الميكرفون عندما قال: "إذا صار كلينتون رئيسا، سيصير البيت الأبيض ..." (واستعمل كلمات عن ممارسات جنسية فوضوية في بيت دعارة).

وفي نفس السنة، وخلال نفس الحملة الانتخابية، قال بوش الأب (الذي ترشح ضد كلينتون وفاز عليه كلينتون) كلمات مماثلة. قال علنا: "انتخبوني رئيسا لأنظف المكتب البيضاوي (مكتب الرئيس في البيت الأبيض)." وفي مناسبة خاصة قال، وكان يعتقد أنه لا يوجد ميكرفون: "هذا الرجل إذا فاز، سيحول المكتب البيضاوي إلى مكتب دعارة."

وفي سنة 1991، كان الرئيس جورج بوش الأب يتحدث في اجتماع عن أهمية استخراج مزيد من البترول من ولاية ألاسكا.

وانتقد الذين عارضوا ذلك، وقالوا أن آبار وأنابيب البترول ستؤذي البيئة، وستنفر الحيوانات التي تعيش هناك، مثل الدب القطبي. وعلق بوش، ولم يكن يعرف أن الميكرفون أمامه كان مفتوحا: "لا تصدقوهم. أنا ذهبت إلى هناك، ورأيت عشرات الدببة يتناسلون فوق أنابيب البترول."

وقبل ذلك بشهور قليلة، كان الرئيس بوش الأب يقف مع الممثل السينمائي أرنولد شوارتزنيقر (الذي أصبح فيما بعد حاكما لولاية كاليفورنيا). وحذر الممثل الرئيس بوش من الصحافيين ومن ميكرفوناتهم المفتوحة. وقال له، وهما يقفان أمام مجموعة من الميكرفونات: "كن حذرا من هذه الأشياء. وخاصة النوع الذي عليه غطاء من الصوف. يقولون أن الصوف ينقل حتى الصوت الخافت، وهذه هي خطورته. راقب ما تقول."

ولم يكونا يعرفان أن الميكرفونات أمامهما كانت مفتوحة.

لكن، لم يتعظ بوش. في السنة التالية، في سنة 1992، ظهر بوش في مقابلة مع لارى كينق في تلفزيون "سي أن إن". قبل المقابلة، تحدثا حديثا خاصا عن سياسة بوش نحو إسرائيل. وما كانا يعرفان أن الميكرفون مفتوح. واشتكى بوش من برد ورشح. وقال كينق ضاحكا: "هناك دواء أفضل من إسرائيل". وسأل بوش جادا: "دواء يوقف الرشح أو ينوم؟"، وقال كينق: "منوم قوي جدا." ورد بوش: "ممتاز".

وفي سنة 1988، عندما ترشح بوش أول مرة لرئاسة الجمهورية، كان يريد منافسته السناتور ادوارد كنيدي. واستغل بوش الكارثة التي كان كنيدي ارتكبها قبل ذلك بعشرين سنة عندما سهر مع عشيقة، وأدمنا الخمر، وأوقع سيارته من كوبري نهر صغير، وقتل العشيقة، ونجا هو. وقال بوش: "سأذهب الليلة لأنام في الفراش مع باربرا (زوجته). لا أعرف كم امرأة سينام معها كنيدي هذه الليلة." (واستعمل عبارة عن ممارسة جنسية متطرفة).

وفي سنة 1986، زار الأمير فيليب، زوج ملكة بريطانيا، الصين. وقال لطلاب بريطانيين يدرسون هناك: "إذا بقيتم هنا مدة طويلة، ستصبح عيونكم مثل عيون الصينيين"، وشد على جانب كل عين من عينيه، ليجعلهما مثل عيون الصينيين. وما كان يعرف أن كأميرا تلفزيونية سجلت كلامه بالصورة والصوت.

وقبل ذلك بخمس سنوات، شاهد الأمير فيليب نفسه مظاهرة في بريطانيا، نظمتها نقابة عمال ضد العطالة. وقال: "لماذا يشتكي هؤلاء الناس من العطالة؟ أليسوا هم نفس الذين طالبوا بساعات عمل قليلة؟"

وفي سنة 1984، خلال المعركة الانتخابية التي أعاد فيها الرئيس رونالد ريقان ترشيح نفسه، كان ينتظر بداية تسجيل حديث إذاعي أسبوعي تعود على إلقائه.

واعتقد أن الميكرفون كان مغلقا عندما تندر وألقى خطابا خياليا. وقال فيه: "أيها المواطنون الأميركيون. الآن، في هذه اللحظة، وقعت على قانون إعلان الحرب على روسيا. وبعد خمس دقائق، سوف أصدر أوامر بضرب روسيا."

وفي سنة 1976، كان الرئيس جيمي كارتر ترشح لرئاسة الجمهورية. وكان معروفا بأنه متدين. وسأله صحافي إذا كان يثيره منظر النساء وهن يلبسن ملابس مثيرة، ويتجملن، ويتغنجن. وأجاب كارتر: "طبعا. حتى تمثال الحرية يثيرني جنسيا. أحس بالشهوة نحوه".
وفي سنة 1974، يوم استقال الرئيس رتشارد نيكسون بسبب فضيحة "ووترقيت"، دخل الصحافيون بكاميراتهم إلى المكتب البيضاوي حيث كان سيعلن استقالته. وخلال الاستعدادات، يبدو أن نيكسون حاول أن يتندر ليخفف الكارثة، واعتقد أن الميكرفونات أمامه مغلقة، وقال: "أخاف أن يصوروني وأنا أنظف أنفي بإصبعي."
وأخيرا، عرض مسلسل "الجناح الغربي" التلفزيوني، وهو عن رئيس خيالي في البيت الأبيض، منظرا فيه "الرئيس" وهو يتحدث أمام ميكرفون، وما كان يعرف أن الميكرفون مفتوحا. وقال كلاما بذيئا عن أعضاء الكونغرس (له صلة بأعضاء تناسلية)، وعن نائبه (له صلة بمكان حساس في الجسم)، وعن سكرتيرته الخاصة (له صلة بممارسات جنسية).

داخل البيت الأبيض (واشنطن) :العشاء الرسمي



منذ أن جئت إلى واشنطن صحافيا سنة 1980، لم أتشرف بحضور عشاء رسمي في البيت الأبيض. يفعل ذلك الصحفيون الدائمون الذين يغطون البيت الأبيض صباحا ومساء. حتى هؤلاء لا يحضرون كضيوف، ولكن للكتابة عن الحفل (ينظرون ولا يأكلون).

لكن، من وقت لآخر، اذهب إلى البيت الأبيض لتغطية مناسبة معينة. وفي سنة 2012، جئت إلى البيت الأبيض، في صباح يوم ربيعي جميل لتغطية زيارة ديفيد كاميرون، رئيس وزراء بريطانيا. وكان ذلك بعد يوم من العشاء الرسمي الذي أقامه له الرئيس باراك أوباما. لهذا، جمعت معلومات من صحافيين حضروا العشاء في الليلة السابقة.

يسمى "ستيت دينر" (عشاء الدولة). ويقام، عادة، في غرفة الطعام الرئيسية العملاقة. ويقام، عادة، على شرف ملوك ورؤساء جمهوريات. طبعا، كاميرون رئيس وزراء، لكن قرر الرئيس أوباما إقامة عشاء الدولة له رمزا للعلاقات الخاصة بين البلدين.

في الحقيقة، هي أهم علاقة أميركية مع أي بلد آخر، رغم أن بريطانيا تقع عبر المحيط الأطلسي، وليست دولة مجاورة، مثل: كندا والمكسيك. ولهذا، يقول أميركيون وبريطانيون، في تودد نحو بعضهم البعض، أن المحيط مجرد "بوند" (بحيرة) بين البلدين.

"ستيت دينر":

ظل "ستيت دينر" (عشاء الدولة) مناسبة هامة في تاريخ أمريكا. ويخطط له منذ قبل شهور. ويتم ذلك تحت إشراف مكتبين:

أولا: مكتب مديرة البروتوكول (يتبع وزارة الخارجية، وليس البيت الأبيض. وفي كل الحالات تقريبا، تعين امرأة لهذا المنصب). تخطط مديرة البروتوكول مع البيت الأبيض، والقصر الجمهوري أو الملكي، في الدولة الضيف.

ثانيا: مكتب "سوشيال سكريتاري" (السكرتيرة الاجتماعية في البيت الأبيض. وفي كل الحالات تقريبا، تعين امراة لهذا المنصب). تخطط هذه مواعيد وصول ومغادرة الضيف، والأكل والشراب، والمدعوين، والكلمات التي تلقى، والفرقة الفنية التي تعزف أثناء العشاء، أو تغني بعده، ورقص ما بعد العشاء، ورقص الرئيس الأميركي مع عقيلة الضيف الزائر، والعكس، وهكذا.

حتى "هوايت هاوس كاليغرافي" (خطاط البيت الأبيض)، يخطط للعشاء منذ وقت طويل، ويكتب خطابات الدعوة للضيوف، وبطاقات الأسماء التي توضع أمام كل مقعد ليجلس عليها صاحب الاسم.

ومن التقاليد غير المعلنة، يأخذ كل مدعو بطاقة اسمه معه بعد نهاية العشاء ليحتفظ بها كذكرى. و"يسرق" ضيوف أشياء تذكارية، مثل: معلقة، أو شوكة، أو سكين، أو منديل الأكل.

خلفية تاريخية:

في أواخر القرن التاسع عشر، بدأ تقليد عشاء الدولة. وقبل ذلك، كان الرئيس الأمريكي يكرم الملوك والرؤساء الزوار في حفلات خاصة. ولم تكن رسمية بالصورة التي هي عليها الآن. وأيضا، صار عشاء الدولة مناسبة لتكريم أميركيين، سواء كبار المسؤولين أو مشاهير أو مواطنين عاديين اشتهروا لأنهم قاموا بأعمال تدعو للفخر.

أول عشاء رسمي أقامه الرئيس يوليسيس قرانت في سنة 1874 تكريما للملك ديفيد كالاكاوا، ملك هاواي (قبل أن تنضم إلى الولايات المتحدة).

يقام العشاء عادة في غرفة الطعام الرسمية، وهي من أهم غرف البيت الأبيض. وأحيانا، إذا كان الطقس مناسبا، تنصب خيام في "روز قاردين" (حديقة الزهور) في الفضاء الجنوبي للبيت الأبيض، ويأكل الضيوف وفوق رأسهم تقريبا النصب التذكاري للرئيس واشنطن الذي يرتفع عاليا جنوب البيت الأبيض.

غرفة الطعام الرئيسية لها تاريخ لا يقل عن تاريخ البيت الأبيض. وأكثر من مرة، أعيد تصميمها. وفي سنة 1960، أمرت جاكلين كنيدي (زوجة الرئيس جون كنيدي)، وهي من أصل فرنسي، بالتركيز على تقديم الطعام الفرنسي. وأيضا، أمرت بتغيير الموائد من مستطيلة إلى دائرية. وان لا تزيد المقاعد حول كل مائدة دائرية عن عشرة. وقالت: "لأتحدث مع الذين يجلسون في مقاعد مجاورة لى حول مائدة مستطيلة، لابد أن أميل إلى الوراء أو الخلف، وألوي رقبتي. لكن، حول المائدة الدائرية، نقدر كلنا على رؤية بعضنا البعض."

وفي سنة 1980، أمرت نانسي ريقان، زوجة الرئيس رونالد ريقان، باستبدال أواني الطعام بطاقم من الصيني الفاخر. وأثار ذلك ضجة، واتهمها البعض بأنها تحب البذخ. وقال واحد: "واشنطن ليس هوليوود" (إشارة إلى أنها وزوجها، قبل العمل السياسي، كانا ممثلين سينمائيين في هوليوود).

عشاء كاميرون:

كالعادة، قبل شهور من "عشاء الدولة" الذي أقامة الرئيس أوباما لرئيس وزراء بريطانيا، بدأت الاستعدادات. وبسبب الربيع الذي جاء مبكرا هذه السنة إلى واشنطن، أقيم الحفل تحت خيمة عملاقة وأنيقة في الميدان الجنوبي للبيت الأبيض. وسمح للصحفيين (الذين يغطون البيت الأبيض بصورة دائمة) بمشاهدة الاستعدادات، تحت إشراف السيدة الأولى ميشيل أوباما. والتي قالت للصحافيين: "من الأشياء التي أحبها تنظيم وترتيب حفلات العشاء الرسمية. أريد أن أشارككم اليوم بهجتي بعشاء رئيس وزراء بريطانيا وزوجته."

وكان هناك عدد من الشباب والشابات، وقالت عنهم ميشيل: "أحيانا، ندعو شباب وشابات وطننا للاطلاع على هذه الترتيبات. ليعرفوا أهمية إكرام ضيوف الولايات المتحدة. وليعرفوا التقاليد الأمريكية العريقة في إكرام الضيوف. هذه التقاليد تعود إلى وقت تأسيس هذه الجمهورية."

وكان البيت الأبيض دعا طلبة وطالبات من مدارس ثانوية في واشنطن وضواحيها لهذا الهدف. وأيضا، دعا عشرة من طالبات مدرسة "إليزابيث أندرسون للبنات" في بريطانيا. دعتهم ميشيل نفسها. وذلك لأنها، قبل سنتين من عشاء البيت الأبيض، كانت زارت المدرسة. وقالت: "زرت المدرسة، وأعجبت بها، وشكرتهم على حسن ضيافتهم لي، وقلت لهم أنني لا بد أن ادعوهم لزيارتنا. وها هم هنا."

وبعد حديث السيدة الأولى للشباب والشابات، تحدثت بروك أندرسون، مديرة موظفي مكتب الأمن القومي في البيت الأبيض، عن أهمية زيارة الزعماء الأجانب. وعن علاقة الزيارات بالسياسة الخارجية الأمريكية. وتحدثت كريس كومرفورت، كبيرة طباخي وطباخات البيت الأبيض، عن ما سيقدم للضيوف.

قائمة الطعام:

هذه هي قائمة الطعام، كما شرحتها كبيرة الطباخين والطباخات:

أولا: المشهيات: قطع سمك صغيرة مع قطع بطاطس وخضروات زرعت في حديقة البيت الأبيض (تحت إشراف السيدة الأولى).

ثانيا: السلطات: سلطات متنوعة، أيضا من حديقة البيت الأبيض.

ثالثا: الصحن الرئيسي: "بايسون ويلينقتون" (قطع من لحم الثيران المتوحشة في الغرب الأمريكي. تلف كل قطعة بفطيرة، ثم توضع في الفرن). وقالت كبيرة طباخي وطباخات البيت الأبيض: "رأينا الجمع بين ثقافتي الطعام الأمريكية والبريطانية: الثور أمريكي، والفطيرة بريطانية."

رابعا: الحلويات: "بودنق" بريطاني. وقالت كبيرة طباخي وطباخات البيت الأبيض: "كلنا نعرف أن البودنق حلوى بريطانية. لكن، أضفنا إليها نكهة أمريكية: فاكهة من ولاية ايداهو. وتفاح "بيبين" الذي كان يزرعه الرئيس توماس جفرسون في مزرعته الخاصة في ولاية فرجينيا. وهو نفس النوع الذي كانت تفضله الملكة فيكتوريا في القرن التاسع عشر. وكانت تطلبه مباشرة من أمريكا. ويقال: أنها أعفته من الجمارك لكثرة حبها له."

خامسا: النبيذ: للتأكيد بأن المناسبة أمريكية، كانت كل أنواع النبيذ أمريكية. وربما أيضا لأن بريطانيا ليست مشهورة بإنتاج النبيذ (ليست مثل فرنسا).

وصول الضيوف:

كانت كل هذه الاستعدادات والمؤتمرات الصحفية وتصريحات المشرفين في الظهر. وفي المساء، كان كل شيء مرتبا لوصول الضيوف. وحسب التقاليد، وقف بعض كبار المسؤولين، وزوجاتهم، في صف طويل للترحيب بالمدعوين. (قبل أن ينزل الرئيس أوباما وزوجته من الطابق الأعلى، الطابق العائلي، ويرحبان برئيس الوزراء وزوجته).

أول من وقفت في صفوف المرحبين كانت هيلاري كلينتون، وزيرة الخارجية، وكانت ترتدي فستانا طويلا من الحرير البنفسجي، ويشبه الساري الهندي. وكانت هناك الدكتورة جيل بايدن، زوجة نائب الرئيس. وصفتها الصحفية الأمريكية هيلي بيترسون بأنها كانت "ترتدي فستانا أبيضا مثيرا بدون حمالات."

كان هذا أكبر حفل عشاء يقيمه الرئيس أوباما منذ أن دخل البيت الأبيض. دعا له قرابة أربعمائة شخص. ارتدوا كلهم أحسن الملابس، وكانوا في أحسن حالات السلوك والتأدب. ورغم الإجراءات الأمنية المتشددة، مروا عبر نقاط التفتيش في هدوء وتأدب. كان أول الذين دخلوا الخيمة أنتونين سكاليا، قاضي المحكمة العليا، وزوجته. ثم إدوارد كوتش، عمدة نيويورك السابق، وزوجته. ثم هيو بونيفيل، ممثل بريطاني، وزوجته الأمريكية. وهي بنت الممثلة الأمريكية العريقة شيرلي ماكلين. وتحدث معهما الصحفيون الذين كانوا يغطون حفل العشاء. وقال لهم الزوج ضاحكا: "تتحدثون عن العلاقة الخاصة بين بريطانيا وأمريكا. أنا عندي علاقة خاصة، حقيقية، وشخصية، ومثيرة."

وكانت هناك الممثلة البريطانية إليزابيث ماكقافرن. وسألها الصحافيون عن "العلاقة الخاصة"، وقالت: "في مسرحية "دونتون أبي" أنا أمثل دور كوبري بين البريطانيين والأمريكيين."

ولاحظت الصحفية الأمريكية كرستين ويلكي (من صحيفة "هافنقتون بوست" في الإنترنت) أن نسبة كبيرة من النساء يرتدين فساتين طويلة بدون حاملات. وقالت إنه هذا النوع من الفساتين "أنيق ومثير" في نفس الوقت. ولاحظت أن اللون الطاغي ليس الوردي النسائي، ولكن الأزرق الفاتح والغامض (الذي يسميه الأميركيون "نيفاي بلو"، إشارة إلى اللون الرسمي للأسطول البريطاني).

مشاهير ونجوم:

من بين المدعوين: لاعب كرة الجولف البريطاني روي ماكلروي. وثالث أغنى رجل في العالم، الملياردير الأمريكي وارين بافيت. والممثل الأمريكي جورج كلوني. وإيريك هولدر، وزير العدل، وزوجته. غير أنهما أخطأ ودخلا الخيمة العملاقة الأنيقة من باب الخروج. وتندر الوزير للصحفيين: "مكتب التحقيق الفدرالي (إف بي إي) يتبع لي. لهذا، أنا أدخل من حيث يخرج الناس، وأخرج من حيث يدخل الناس، وافعل أي شيء أريد أن افعل."

وأيضا، كان هناك السير البريطاني رتشارد برانسون، رئيس مجموعة "فيرجين" للطيران والتكنولوجيا.

غير أن أكثر الأنظار تركزت على الرئيس والسيدة الأولى وهما ينزلان من الطابق الأعلى. لبس الرئيس بدلة "تكسيدو" سوداء. ولبست ميشيل فستاتا، أيضا، طويلا وأزرق فاتحا. بالإضافة إلى مجموعة كبيرة من العقود، بعضها فوق بعض، وأيضا لونها أزرق فاتح. كانا يقفان خارج الخيمة عندما وصل كاميرون وزوجته سمانثا. أيضا، لبس كاميرون بدلة "تكسيدو" سوداء. ولبست هي، أيضا، فستانا طويلا أزرق. نظر إليها أوباما وتغزل غزلا خفيفا. استعمل أوباما كلمتين في وصفها: الكلمة الأمريكية "بريتي" (جميلة)، والكلمة البريطانية "لفلي" (أيضا جميلة).

وخلال التقاط الصور التذكارية، كانت فرقة الأوركسترا تعزف خليطا من الموسيقى الأوروبية والأمريكية: جاز، وموزارت، وبتهوفن، والريف الأميركي (كانتري).

وفي التاسعة تماما، حسب برنامج مفصل ومنظم جدا، وقف أوباما وألقى خطاب الترحيب الذي استمر ثمانية دقائق بالضبط.

بعد دقيقتين من شرب الأنخاب، وفي التاسعة وعشر دقائق تماما، وقف كاميرون ليلقى كلمته، واستمرت خمس دقائق بالضبط. ثم استمر "عشاء الدولة".

في سينما (ماليبو)، هوليوود (ولاية كاليفورنيا) :

الشقراوات



(اقرأ: جاسوسات حسناوات)

(اقرأ: تبيض بشرة النساء)

(اقرأ: عقدة اللون)

(اقرأ: في متحف الجنس)

جئت إلى لوس انجلوس (ولاية كاليفورنيا) في زيارة صحافية (سنة 1995). وخلال الأسبوع الذي قضيته، وبعد نهاية يوم العمل الرسمي، قدت السيارة التي استأجرتها، من مقر إقامتي في فندق "هيلتون" غربا إلى سانتا مونيكا، على مسافة عشرة أميال تقريبا. هذا هو الطريق البري رقم 10 (سانتا مونيكا فريواي)، الذي يقود إلى "باسيفيك كوستال"، الشارع العريض الأنيق الذي يمتد على طول ساحل المحيط الهادي في هذه المنطقة.

كان أمامي بلاج أبيض ناصع البياض لا نهاية له. وقلل نسيم المحيط تعب وتوتر اجتماعات ومؤتمرات حضرتها في لوس أنجلوس.

كل يوم، عند غروب الشمس وراء المحيط، يتجمع الناس في "سانتا مونيكا بيير" (مربط خشبي عملاق يمتد إلى داخل المحيط)، وبه مطاعم، ومتاجر، والعاب أطفال. وفي الصمت الأمريكي المشهور، يشاهد المئات قرص الشمس الذهبي العملاق يغيب وراء الماء الأزرق.

في هذا اليوم، بعد غروب الشمس، قدت السيارة شمالا على شارع "باسفيك كوستال"، نحو بلاج ماليبو، بلاج نجوم ونجمات السينما والتلفزيون. وإذا كان بلاج سانتا مونيكا هو بلاج لوس انجلوس، بلاج ماليبو هو بلاج هوليوود، التي تقع إلى الشمال الغربي من لوس انجلوس.

جئت لمشاهدة "مهرجان الشقراوات السينمائي" في "سينما ماليبو". وهو عرض لأفلام أشهر الممثلات الشقراوات خلال خمسين سنة: مارلين مونرو، جين مانسفيلد، ريتا هيوارث، كيم نوفاك، قريس كيلي، اورسولا أندريس، وغيرهن. طبعا، كان أشهر فيلم هو "الرجال يفضلون الشقراوات"، بطولة أميرة الشقراوات ربما عبر التاريخ: مارلين مونرو.

خلفية تاريخية:

منذ متى يفضل الرجال الشقراوات؟ منذ أن ظهرت أول شقراء. في العصر الجليدي (الذي غطي أوروبا لآلاف السنين، وانتهي قبل عشرة آلاف سنة تقريبا).

قبل العصر الجليدي، كان الأوروبي أبيض، ولكن ليس أشقرا (كان مثل أغلبية الايطاليين والفرنسيين. بيض، لكن شعورهم سوداء). كان تطور خلال ثلاثين ألف سنة، هي فترة خروج الإنسان من إفريقيا، وانتقاله إلى الشرق الأوسط، ثم إلى أوروبا.

كتب عن هذا الموضوع د. بير فروست، أستاذ التطور النفسي في جامعة سنت اندروز في بريطانيا. وقال: إن غياب أشعة الشمس عن شمال أوروبا لآلاف السنين خلال العصر الجليدي، قلل صبغة "أيوميلانين" وسط سكان شمال أوروبا (خاصة دول اسكندنافيا). وجعل البشرة هناك أكثر بياضا، والشعر أشقر، والعيون زرقاء.

وقال فروست إن هذه الصبغة تخلقها الطبيعة على بشرة الإنسان لوقايتها من أشعة الشمس. كلما زادت الأشعة، زادت الصبغة (مثل سواد الأفارقة)، وكلما قلت، قلت الصبغة (مثل بياض الأوروبيين). ويظهر ذلك في لون المولود الذي يكون، عادة، أكثر بياضا عند ولادته، ثم يقل البياض تدريجيا كلما تعرض لأشعة الشمس.

وأصدر مجموعة من الأساتذة في جامعة برنستون (ولاية نيوجيرسي)، كتاب "تاريخ وجغرافيا الجينات البشرية"، وفيه أساس هذه النظرية. وقالوا أن اللون الأشقر صار، بسبب العصر الجليدي، لون أغلبية سكان شمال أوروبا. وان مركزه كان في دولة لثوانيا الحالية (على بحر البطليق).

لكن، توجد "خلايا شقراء" في دول غير دول شمال أوروبا، مثل شمال ايطاليا. وفي أماكن أخرى لا يسهل تفسيرها. مثل: نسبة ضئيلة من "ألابورجنالز" (سكان أستراليا الأصليين). ونسبة ضئيلة من سكان جزر كنارى بالقرب من إسبانيا، وبعض قبائل باكستان. وقبيلة "نورستان" في أفغانستان (بعض نسائهن عيونهن زرقاء).

الكلمة "بلوند" (شقراء) أصلها فرنسي، ومعناها لون أصفر، أو خليط من اصفر وأبيض، أو خليط من ذهبي وأبيض.

"الرجال يفضلون الشقراوات":

في سنة 1953، ظهر فيلم "جنتلمين بريفير بلوندز" (الرجال المحترمون يفضلون الشقراوات). كان الفيلم مسرحية بنفس الاسم، عرضت في مسرح في برودواي في نيويورك قبل ذلك بأربع سنوات.

في بداية الفيلم، أغرت الشقراء مارلين مونرو أول رجل غازلها. لكنه أساء معاملتها، ووصفها وصفا صار مثلا: "دم بلوند" (شقراء غبية).

ثم أغرت رجلا ثانيا، وقع في غرامها، وأهداها عقدا من الماس. لكن، عندما عرفت انه متزوج، وأنه سرق عقد الماس من زوجته، تركته.

ثم أغرت رجلا ثالثا، وكان أفضل من الأول والثاني. وتحابا وتزوجا. وبرهنت الشقراء على أنها، رغم هرولة الرجال وراءها، تبحث عن رجل يحترم نفسه ويحترمها، وأنها ليست غبية.

وخلال نصف قرن، أثار الفيلم نقاشا لا يزال مستمرا حتى الوقت الحاضر، وكتبت عنه عشرات الكتب، وفسر تفسيرات ثقافية، وجنسية، ودينية، وعرقية.

كتب عنه كتاب "المرأة: عقل أو وجه؟" ملاحظات منها الآتي:

أولا، كان الفيلم، رغم اسمه المثير، أول أفلام "الفيمينزم" (الحركة النسائية التي تدعو للمساواة بين الرجال والنساء)، لأنه أوضح أن المرأة ليست مجرد جسد.

ثانيا، في الفيلم "ما هو أقوى من العلاقات بين الرجال والنساء. إنها العلاقة القوية بين الشقراء وصديقتها السمراء. لم تتغير، منذ أول دقيقة في الفيلم وحتى آخر دقيقة، علاقة المرأتين القوية. لكن، لا يوجد فيلم دامت فيه علاقة ودية بين رجل ورجل حتى النهاية."

"الماس أفضل صديق":

أنيتا لوس التي كتبت قصة الفيلم، أيضا كتبت رواية "لكن، يتزوج الرجال السمراوات". ورغم أن هذه الرواية صارت فيلما أيضا، اشتهر فيلم الشقراوات أكثر من فيلم السمراوات.

في فيلم الشقراوات، غنت مارلين مونرو، وهي في باريس مع صديقها الفرنسي، أغنية "الماس أفضل صديق للبنت." صارت الأغنية مثلا وسط الأمريكيين، وأيضا صارت شعار إعلانات شركات الماس المفضل.

تقول الأغنية: "يقتل الفرنسي الفرنسي ليفوز بالفتاة. أنا أفضل الفرنسي الذي يهديني عقد ماس، ويبقى حيا. يفضل الفرنسي قبلة على يد الفتاة. أنا أفضل الفرنسي الذي يهديني عقد ماس. تبقى الماسة، ولا تفقد شكلها ولمعانها. ماس تيفاني، وماس كارتير، وماس بلاك ستار، وماس غورهام."

"بيضاء الجليد":

ساهمت الروايات الخيالية الأوروبية القديمة في ترسيخ صورة الشقراوات في الأدب الغربي. روايات بنات الحور الشقراوات، والجنيات الشقراوات، والملائكة الشقراوات. وكثرت روايات عن أم تختطف طفلة شقراء ولدت حديثا، وتضع طفلة قبيحة مكانها، بينما كانت أم الشقراء مشغولة بحصاد العنب، أو التفاح، أو الفراولة.

في الأدب الأوروبي في ذلك الوقت (وحتى الوقت الحاضر، خاصة بسبب أفلام "ديزني" الكارتونية) اشتهرت ثلاث روايات عن الشقراوات:

الأولى، رواية "بيوتي غولدن هير" (الحسناء ذات الشعر الذهبي) الفرنسية الأصل (صدرت سنة 1690). بدايتها: "كانت هناك أميرة جميلة، ويسيل شعرها على كتفيها كأنه ذهب يسيل. رآها ملك المدينة المجاورة، وطلب يدها. لكنها قالت له أنها لن تتزوجه لأنه ليس أشقر مثلها."

الثانية، رواية "سنو هوايت" (بيضاء الجليد) الألمانية الأصل (صدرت سنة 1864). بدايتها: "قالت ملكة: أتمنى أن ارزق بنتا بشرتها بيضاء مثل الجليد، وشفتاها حمراوان مثل الدم، وشعرها أسود مثل الأبنوس. وكانت تصلي وتدعو. وفعلا، ولدت بنتا بشرتها بيضاء مثل الجليد، وشفتاها حمراوان مثل الدم، وشعرها أسود مثل الأبنوس."

الثالثة: رواية "سليبنق بيوتي" (الجمال النائم) الفرنسية الأصل (صدرت سنة 1697). بدايتها: "كانت الأميرة النائمة جميلة جدا، مثل ملائكة جاءت من السماء. خداها في لون الورد، وشفتاها في لون الشفق. وتحيط بها ثلاثة عشرة من بنات الحور والجنيات اللائي يحلقن فوقها، بينما تطير شعورهن الشقراء في الهواء،"

البشرة البيضاء:

كتبت تيري وندلنق، ناقدة أدبية أمريكية، في دورية "حقائق القصص الخيالية"، أن رواية "بيضاء الثلج" فيها: "خليط من الدين والعرق. يربط شيئًا ما الفتاة بمريم العذراء. ويربطها بجمال الجنس الأبيض. صحيح أن شعرها أسود مثل الأبنوس، لكن بياض وجهها يتفوق على سواد شعرها."

وفي سنة 1933، اصدر ولت ديزني فيلم "بيضاء الثلج"(كان صامتا، وغير ملون، وبعد عشرين سنة، اصدر فيلما ملونا). ولم يخف ديزني الجانب الديني والعرقي في الفيلم، وقال: "أريد أن اربط بين بيضاء الثلج وبين مريم المجدلية."

كان شعر "بيضاء الثلج" أسود. لكن، كان شعر "الجمال النائم" أشقرا، مثل وجهها. وخلال القرن التاسع عشر، قدمت دور أوبرا أوروبية كثيرة الروايات الثلاثة. وكان هناك تركيز واضح على اللون الأشقر. أخرج بعضها الروسي شايكوفسكي، وأخرج أخرى الألماني رتشارد واقنر. هذا هو الموسيقار الفني الذي أعجب به أدولف هتلر، ليس فقط بسبب موسيقاه، ولكن، أيضا، بسبب إيمانه بنقاء وتعالي الجنس الأبيض.

وعندما أصدر ديزني فيلم "الجمال النائم" (سنة 1959)، اعتمد على مناظر وأغانٍ من أوبرا شايكوفسكي. وتعمد ديزني أن يفرق الجنيه الشريرة، "ماليفينست"، عن بقية الجنيات الشقراوات. وجعلها سوداء.

الجنس الآري:

لم تقدس أوبرات تشايكوفسكي وواقنر الشقراوات بدون سبب، وذلك لأن نهاية القرن التاسع عشر شهدت ظاهرة جديدة في الثقافة الأوروبية، وهي اعتبار الشقراوات أصل الجنس الآري، واعتبار الجنس الآري أحسن الأجناس (أساس النظرية النازية). وظهرت مدرستان:

أولا، مدرسة ماديسون قرانت، محام أميركي (توفي سنة 1937). ومن الكتب التي كتبها: "العرقية العلمية" و "أعظم عرق: الأسس العرقية للتاريخ الأوروبي" و"توسع العرق الأبيض في أمريكا" و "الهجرة والأجانب والتجنس."

ويبدو واضحا من أسماء هذه الكتب أن قرانت كان يري الجنس الأبيض أحسن الأجناس. وعارض قرانت هجرات شعوب العالم الثالث إلى أمريكا. وعارض "مسقنيشن" (زواج البيض والسود). وكتب في واحد من كتبه: "أرقى أنواع الجنس الأبيض هم ُالإسكندينافيون، ذوو الشعور الشقراء، والعيون الزرقاء، والبشرة البيضاء ناصعة البياض، والأنف المستقيمة."

المدرسة الثانية: مدرسة هيلينا بلافاتسكي (يهودية روسية هاجرت إلى أمريكا، وتوفت سنة 1891). قللت من أهمية الشقراوات، وقالت إنهن أقلية وسط الجنس الآري. لكنها ركزت على لون الجنس الآري، البشرة البيضاء، وقالت: إن الشعر يمكن أن يكون أشقر ا أو اسمر أو اسود أو احمر .

ووضعت اليهود في قائمة الجنس الأبيض، رغم أنهم ساميون. لكنها لم تضع العرب في القائمة، وهم ساميون أيضا. وقالت: إن العرب، مهما صار لونهم أبيض، ليسوا آريين أو قوقازيين.

لكن، تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن. استفاد النازيون من تركيزها على الجنس الآري. واستعمل هتلر نظريتها، وقضى على اليهود، وقال: إنهم ساميون وليسوا آريين.

ثقافة شقراء:

وقال كتاب "تاريخ وجغرافية الجينات البشرية" أن أكثر الشقراوات في دول اسكندينافيا (السويد، النرويج، الدنمارك، فنلندا، هولندا). وان نسبة الشقراوات في بريطانيا أكثر منهن في أمريكا. وأقل كثيرا في فرنسا، وإيطاليا، واليونان.

وقال الكتاب: إن زيادة الأفارقة السود واللاتينيين السمر في أميركا صار "يهدد" عدد الشقراوات. وان زيادة التزاوج بين هؤلاء ينبئ بما سماه "اللون الأمريكي" الذي قال أنه سيكون خليطا من كل الألوان.

لكن، تظل الثقافة الأمريكية تقدر (ربما تقدس) الشقراوات. ربما لأن "الرجال يفضلون الشقراوات". ويظهر هذا خاصة في الإعلانات، وحسب إحصائية، ثلثا النساء في الإعلانات شقراوات.

ومن آخر روايات الشقراوات: "شقراء قانونيا" (صار فيلما ناجحا). وقصة جويس أوتز "الشقراء". وقصة كانديس بوشنيل "أربع شقراوات". وقصة دارسي شتايكي "شقراء انتحارية".

وكتبت ناتالي فلين، شقراء وأستاذة في جامعة ييل (ولاية كونيتيكات)، كتاب "شقراء مثلي: جذور خرافة الشقراوات في الثقافة الأمريكية." وملخصه الآتي:

أولا، لا تعرف إلا الشقراوات أنهن ينقسمن إلى أنواع: بلاتينية، وذهبية، وفضية، وكليفورنية، وكولورادية، وقمرية، وشمسية، وكريزية، وفراولية، ومشمشية، وحديدية. ولكل قسم فلسفة، وثقافة، ومحاسن، ومساوئ خاصة به.

ثانيا، تحسد كثير من البيضاوات غير الشقراوات لاعتقادهن بأنهن يجذبن الرجال أكثر منهن. ومنذ الإمبراطورية الرومانية، كان نساء روما يشترين باروكات الشعر الأشقر من نساء اسكندينافيا.

ثالثا، أثبتت أبحاث علمية أن الطفل، منذ ميلاده، وبالمقارنة مع الطفلة، ينجذب نحو اللون الأبيض أكثر من اللون الأسود. وأن الأضواء والألوان البراقة تسترعي اهتمام الرجل أكثر من المرأة. وان أقوى حساسات الرجل هي العين، بينما أقوى حساسات المرأة هي الأذن. (ربما يفسر هذا حب النساء للحديث والكلام، بينما يحب الرجال البحلقة).

وأخيرا، قبل سنوات، صبغت الصحافية البريطانية جوان بتمان، شعرها الأسود وحولته إلى أشقر. وكتبت انطباعاتها، قبل التحول وبعده. وتأكد لها، نعم، "الرجال يفضلون الشقراوات."

وأخيرا:

مضت على سنوات كثيرة في أمريكا قبل أن اقدر على أن أفرق بين البنت البيضاء الشقراء والبنت البيضاء غير الشقراء. ربما غطى انبهاري بالبيضاوات، أو ربما لم اهتم بحقيقة أن بعضهن شعورهن شقراء، وبعضهن شعورهن سوداء. (بل عرفت أن بعضهم شعورهن حمراء). ربما لم ألاحظ، وربما لاحظت ولم اهتم.

بدأت أهتم في سنة 1993 (بعد قرابة خمس عشرة سنة في أمريكا، وبعد زواجي بعشر سنوات تقريبا). كنا نتغذى في المنزل، ومعى زوجتي الأمريكية البيضاء، وولدنا وبنتانا (خليط أبيض وأسود).

مثل أسئلة الأطفال الفضولية، سألني واحد منهم: "دادي، هواي ديد يو ماري بلوند؟" (بابا، لماذا تزوجت شقراء؟). فوجئت بالسؤال، واحترت، ولم أعرف إجابة لأني، ويا للغرابة، أبدا لم أتمعن في شعر زوجتي الجميل، وأدرسه، وأحلله. وأيضا، ربما لأني لم أكن اهتم بأنواع الشعر. وربما لأنني حتى لم أكن أعرف معنى كلمة "بلوند".

تلعثمت، وكررت: "شي از بيوتيفول" (إنها جميلة).

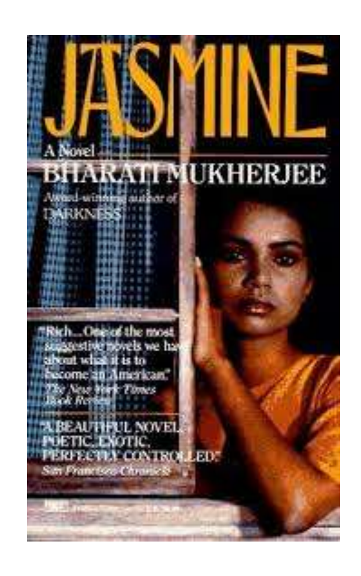
وأجاب أولادي بالنيابة عنى، وقالوا: إن أمهم ليست فقط بيضاء، ولكنها بيضاء شقراء. وان شعرها أشقر، وعينيها زرقاوان، وخديها ورديان.

تمعنت، ونعم، ويا لفرحتي، عينا زوجتي زرقاوان، وخداها ورديان.

وبعد أن عرفت هذه التفاصيل، زادت ميولي نحو البيضاوات ذات الشعور الشقراء والعيون الزرقاء، والخدود الوردية. وزاد حبي لزوجتي.

في جامعة جورجتاون (واشنطن العاصمة) :

روايات مهاجرين أجانب



(اقرأ: عقدة النقص عند الأجانب)

(اقرأ: الخوف من الأجانب)

في سنة 2009، جئت إلى قسم دراسات الهجرات العالمية في جامعة جورجتاون (في واشنطن العاصمة) لحضور ندوة عن أدب المهاجرين. اشترك في الندوة ديفيد كوارت، أستاذ أدب انجليزي في جامعة ساوث كارولينا. وهو ليس غريبا عن هذا الموضوع، لأنه كان كتب كتاب: "وراء سحب مرت: روايات مهاجرين إلى أمريكا".

قال: إن العشرين سنة الماضية شهدت هذه الظاهرة الجديدة في أدب الرواية الأمريكي. وقبل ذلك، لم تكن هناك غير روايتان هامتان:

أولا: في سنة 1934، كتب هنرى روث (مهاجر يهودي من النمسا) رواية "كول أت سليب" (لننام). وملخصها تجارب طفل يهودي مهاجر يعيش في نيويورك.

ثانيا: في سنة 1943، كتبت إيان راند (مهاجرة يهودية من روسيا) رواية "فاونتين هيد"(رأس النافورة). وملخصها قولها: "حب الإنسان لنفسه هو رأس الحضارة الغربية".

وفي المحاضرة، قال كوارت: "تكشف لنا روايات المهاجرين إلى أمريكا ما لم نكن نعرف عنهم، وعن البلاد البعيدة والغريبة التي جاؤوا منها. وتوضح لنا هذه الروايات أن الثقافة الأمريكية العملاقة التي تقدر على هزيمة كل ثقافة غيرها، تتعرض هي نفسها إلى التغيير من الداخل. ولكن، في بطء، خطوة بعد خطوة."

وقال: "في جانب، نحس بحزن؛ لأننا لا نعرف كثيرا عن هذه البلاد وهؤلاء الناس. وفي الجانب الآخر، نحس بفرح لأننا لم نستعمر هذه البلاد، لأن كل هذه الروايات تشكو من استعمار بريطاني، أو فرنسي، أو إسباني."

وقال: "تأدبنا، نحن الأمريكيين، يمنعنا من الحديث العام عن عرق شخص معين، أو دينه، أو لونه. لكن، تتحدث روايات المهاجرين عن هذه المواضيع في صراحة، وبدون حرج. نفاجأ، نحن الأمريكيين، بذلك. لكننا نؤمن أنهم لا يكذبون، لأنهم عاشوا هذه الاختلافات في بلادهم، ولأنهم يعيشونها الآن بيننا، ونحن لا نكاد نعترف بها".

وقال: "هناك فرق كبير بين دراسات أكاديمية عن شعوب أجنبية، وبين روايات يكتبها الذين ينتمون إلى هذه الشعوب، بعد أن جاءوا إلى هنا. تقدم لنا هذه الروايات عادات وثقافات الشعوب الأخرى في أسلوب سهل. وتؤكد لنا أن الحلم الأمريكي، إذا لم يكن وعاء ذوبان، فإنه، على الأقل، صحن سلطة."

أثناء الندوة، وبعدها، اشتريت روايات مهاجرين، وصار الموضوع هاما بالنسبة لى، وأنا المهاجر. رغم أني صحافي، ولست روائيا. وهذه ملخصات بعض هذه الروايات:

ياسمين

(بهاراتي موخرجي، من الهند، أستاذة في جامعة كاليفورنيا)

عندما كانت في الهند، تزوجت ياسمين. رتبت عائلتها الزواج مسبقا، ولم تشاهد زوجها إلا ليلة الزفاف. لكن، توفى زوجها، وتأكد لها أن قيمتها كأرملة سوف تكون اسوأ من قيمتها كزوجة. ولهذا، دفعت آلاف الدولارات لسماسرة أوصلوها إلى أمريكا. و في أمريكا بدأت مشاكلها الحقيقية. في ولاية فلوريدا، في فندق بائس، سكنت مع أجانب دخلوا امريكا، مثلها، بطرق غير قانونية. وذات ليلة، اغتصبها أفريقي من السنغال. وصباح اليوم التالي، قتلته بسكين مطبخ، وهربت إلى ولاية ميشيقان.

ذهبت إلى منزل صديق هندي لزوجها المتوفي، كان يراسل زوجها، ويقول له إنه أستاذ في جامعة ميشيقان. لكنها اكتشفت أنه عامل في الجامعة، وكان يكذب كل هذه السنوات. تركته وكرهته، وكرهت الهنود حيثما كانوا.

وانتقلت إلى ولاية أوهايو، حيث عملت مربية. وبعد فترة، أحبت الزوج الأمريكي. قالت لنفسها انه ربما أفضل من رجال الهند والسنغال. لكنه، بعد علاقة جنسية في غياب زوجته، وبعد أن قال لها إن الجنس معها "اكسوتيك" (غريب)، رفض أن يطلق زوجته ويتزوجها. وانتقلت إلى ولاية ميسوري، حيث عملت في منزل عائلة أمريكية غنية، ترعي ابنا معاقًا. ولانها كانت انبهرت بالرجال الأمريكيين، سرعان ما أحبته. ووافقت على معاشرته جنسيا، وحملت منه. لكنهما اختلفا. وهي حامل، انتقلت إلى ولاية كاليفورنيا، حيث وضعت بنتا، بدون أب قانوني. وأخيرا، عادت إلى الأمريكي في ولاية أوهايو، الذي وافق هذه المرة على طلاق زوجته، وزواجها هي، وتبنى بنتها.

لكن، في نهاية الرواية، توجد إشارات إلى إنهما سيختلفان، وربما سيتطلقان. وذلك لان الصورة الكبيرة هي الاختلافات الأساسية بين الشرق والغرب. ولان الرواية ليست إلا صراعا واضحا في أعماق هندية فضلت رجال أمريكا على رجال الهند والسنغال.

كيف فقدت بنات غارسيا لكنتهن الاجنبية؟

(جوليا الفاريز، من جمهورية الدومينيكأن، استاذة في كلية ميدلباري في ولاية فيرمونت).

د. كارلوس غارسيا، طبيب وينتمي إلى عائلة غنية في جمهورية الدومينيكان (في البحر الكاريبي). بعد مضايقات كثيرة من حكومة الجنرال تروويلو التي كان يعارضها، أرسل زوجته وبناتهما الأربع إلى أمريكا.

لكن، صارت الحياة صعبة بالنسبة للبنات (كارلا، وساندرا، ويولندا، وصوفيا). لم يتعودن على السكن في شقة. وعلى الطبخ والنظافة بدون خدام. وعلى جيران من شعوب العالم الفقيرة. وصارت الحياة صعبة بالنسبة للأم التي لم تتعود على خروج بناتها بدون "شابيرون" (رقيب). وعلى مشاهدة البنات لبرامج تلفزيونية اعتبرتها إباحية. وعلى اتصالات تلفونية من أولاد قالوا: أنهم يريدون مراجعة واجبات مدرسية مع هذه البنت أو تلك.

لكن، بعد سنة تقريبا، استسلمت الأم. ولم يقدر الأب على أن يجادلها، وهو بعيد في الدومينيكان في البحر الكاريبي.

جربت صوفيا حشيشة "ماروانا". وشاهدت كارلا تلميذا في حمام المدرسة يكشف أعضاءه التناسلية للبنات. وانفردت ساندرا مع "بوي فرند" بحجة أداء واجبات مدرسية. ولم تفهم يولندا رغبة بنت سحاقية فيها.

لكن، صغرت كل هذه المشاكل أمام المشكلة الكبرى: خوف الأم من أن تفقد البنات عذريتهن. غير أن البنات كن أكثر حرصا على ذلك من والدتهن. حتى أكملن المدارس الثانوية. بل ظلت يولندا عذراء وهي في الثلاثين من عمرها.

ولم تعرف الأم أن حرصها على عذرية بناتها في المجتمع الأمريكي يناقض أمانيها في أن يتزوجن وينجبن. وان تشاهد أحفادها وحفيداتها قبل أن تموت، وينقل جثمانها إلى الدومينكيان (كما أوصت).

خلال السنوات التالية، لم تتزوج ثلاث بنات. أحبت صوفيا أستاذها في الجامعة، لكنه رفض طلاق زوجته. وأحبت كارلا دومينكانيا، عندما عادت في أجازة صيفية إلى الدومينيكان، لكنه قال لها: إنها أمريكية، وهو لن يتزوج أمريكية أبدا. وأحبت ساندرا أمريكيا، لكنه كان ينظر إليها في استعلاء لأنها من الدومينكان، ولان لونها أسمر، ولأنها تتكلم الانجليزية بلكنة أجنبية ثقيلة.

تزوجت صوفيا، أصغرهن. لكن، قاطعت الأم (والأب في الدومنيكان) حفل الزواج لان الزوج مهاجر من ألمانيا. ولأنه لا يهتم بالدين، وحتى إذا اهتم، دينه مسيحي بروتستانتيني، وليس مسيحيا كاثوليكيا مثلهم. غير أن ميلاد حفيد أجبر الاثنين على السفر إلى ولاية ميشيقان لرؤيته. وسعد الأب لأن بنته سمت حفيده على اسمه:"كارلوس الصغير".

شيء واحد حسم القصة مع نهايتها: أهم من فقدان عذريتهن، فقدت بنات غارسيا الأربع لكنتهن الأجنبية، وصرن يتكلمن وكأنهن أميركيات ولدن في أميركا.

كوبري من القرود

(لان كاو، من فيتنام، أستاذة قانون دولي في مدرسة بروكلين في نيويورك)

تحدى الحلم الأمريكي "ماي" الفيتنامية. أحبته، لكنها لم تثق فيه. وذكرها بمثل فيتنامي عن عبور نهر على كبرى من القرود، يمسك قرد بقرد، وتسير هي فوق القرود، معتمدة عصا من نبات "البامبو".

كانت "ماي" هربت مع أمها في زورق صغير من سايقون (الآن: مدينة هوشي منه) يوم سقطت (بعد هزيمة القوات الأمريكية التي كانت تساعد حكومة فيتنام الجنوبية، وانتصار فيتنام الشمالية).

بعد سنة في معسكر لاجئين في تايلاند، وسنة أخرى في معسكر لاجئين في الفلبين، وصلت "ماي" وأمها إلى أمريكا. لكن، لم تدم فرحة البنت، لأن الأم أصيبت بجلطة في المخ سببت لها شللا جزئيا. هذا بالإضافة إلى أن الأم ظلت تتذكر والدها "بابا كوان". وتستيقظ من النوم كل ليلة وهي تصرخ:"بابا كوان، بابا كوان".

وعندما قرأت البنت مذكرات سرية كتبتها أمها، عرفت أن "بابا كوان" لم يكن والد أمها الحقيقي. كان "بابا كوان" خداما في منزل إقطاعي، وعندما رغب الإقطاعي في معاشرة زوجته، وأعطاه رشوة، لم يرفض. لكنه ندم فيما بعد، وقتل الإقطاعي انتقاما، وانضم إلى ثوار "فيات كونق" الشيوعيين. ويوم هربت الأم وبنتها من سايقون، دخلها الأب مع الثوار منتصرين. ولهذا، لن يقدر "بابا كوان" على الهجرة إلى أمريكا. لهذا، افتقدته بنته (والدة "ماي")، وظلت تنادي "بابا كوان، بابا كوان".

على أي حال، عندما تحسنت صحة الأم، ساعدتها "ماي" في فتح مطعم في "ليتل سايقون"، قرب واشنطن العاصمة. لم يكن مطعما للأمريكيين بقدر ما كان للفيتناميين الذين تركوا فيتنام بعد أن انتصر فيها الشيوعيون. لكنهم ظلوا وكأنهم يعيشون في فيتنام. يجتمعون ليتناقشوا عن التطورات السياسية هناك. عن الانتخابات، وعن التعديلات الوزارية، وعمن يعرف هذا الوزير، ومن يعرف ذلك الوزير.

على أي حال، كبرت "ماي"، وأجادت اللغة الإنجليزية، وصارت تتكلم مثل زميلاتها الأميركيات. وصارت تخجل من أمها عندما تتكلم مع زميلاتها بلغة إنجليزية لا يقدرن على فهمها، وهي تبتسم ابتسامة الأجانب الانهزامية.

وكتبت "ماي" في مذكراتها: "أصبحت اعرف اسم كل طير في السماء، وكل حيوان في الغابة. زادت إنجليزيتي ثقتي بنفسي. اغفروا لأمي. أنها حية، لكن عقلها ميت. صارت مثل بنت صغيرة. أقول لها: لا تفعلي هذا، لا تقولي هذا، ستضحك على صديقاتي."

حلم في كوبا

(كرستينا غارسيا، من كوبا، صحافية في مجلة "تايم")

هذه رواية ثلاثة أجيال: الأم الأرملة "لورديز" في كوبا. والبنتين "سيسلا" و "فيليشيا" هاجرتا من كوبا إلى امريكا. والحفيدة "بيلار" ولدت في امريكا. تنتمي الأم إلى ما قبل ثورة كاسترو (سنة 1959). وتنتمي البنتان إلى الجالية الكوبية في أمريكا. لكن الحفيدة أمريكية مائة في المائة.

في كوبا، أحبت الأم الأرملة رجلا متزوجا من إسبانيا. لكنه تركها، وعاد إلى زوجته في اسبانيا، بعد علاقة جنسية مثيرة. ثم تزوجت جورجي الكوبي، لكنه اكتشف علاقاتها الجنسية السابقة، وقبل نهاية شهر العسل، بدأ هو علاقات جنسية مع عشيقات، ولم تقدر الزوجة على طلب الطلاق لأنه كان عائلها الوحيد في كوبا.

في أمريكا، كانت "فيليشيا" مغامرة، وكانت "سيسلا" هادئة.

حيرت أمريكا "فيليشيا". وعرقلت تحقيق طموحاتها، وشككت في هويتها وانتمائها. وجعلتها تجرب الكنائس، والحانات، والهيبيز. وصبغت شعرها، ووضعت حلقة في أذنها. وأخيرا، انضمت إلى طائفة "سانتيرا" (دين شعوذة أصله من قبيلة يوروبا في نيجريا). تركت المدرسة الثانوية قبل أن تكملها. وانتقلت من وظيفة إلى وظيفة. وأنجبت تؤامين، بدون زواج، من "هوغو" الذي يتكلم الإسبانية مثلها. كانت له عشيقات أخريات، ونقل إليها، من واحدة منهن، مرض الزهري.

لهذا، أصيبت بانهيار عصبي، وحاولت قتل "هوغو" بحرق بطانية كان يتغطى بها. لكنه نجا من الموت. فيما بعد، عادت اليه. وأنجبت له طفلا ثالثا، وبدون زواج أيضا. ثم حاولت قتله مرة ثانية. هذه المرة، وضعت سما في "أيس كريم". ومرة أخرى، نجا من الموت.

وعادت إلى كوبا مع ثلاثة أطفال غير شرعيين. لم تصدق أمها، لكنها، أمام الأمر الواقع، وافقت على مساعدتها في تربيتهم. وتزوجها "أرنستو" الذي كان يريد منها أن تقدم له طلبا للحصول على إقامة دائمة في أمريكا.

وزاد جنونها: كيف يريد أن يذهب إلى أمريكا التي سببت لها كل هذه المشاكل؟ ألا يريد أن يبقى معها ومع أطفالها الثلاثة؟ وقتلته. ودخلت، إلى الأبد، معبد شعوذة تابع لطائفة "سانتيرا".

أما أختها "سيسلا" كانت أحسن حالا، إلى درجة ما. في جانب، تزوجها مهاجر من كوبا أيضا، وأنجبا "بيلار". وفي الجانب الآخر، مثل كثير من رجال العالم الثالث، لم يكتف بزوجة، وأقام علاقات جنسية مع امرأة بعد أخرى.

لكنه، تحاشي الأمريكيات وفضل المهاجرات. كانت عندهن هيبة في نفسه، وربما ما كان سيقدر على خداعهن والكذب عليهن. وربما كن سيبلغن الشرطة، وتعيده الشركة إلى كوبا.

نادي حظ الفرح

(ايمي تان، من الصين، مسؤولة الملحق الثقافي في صحيفة "لوس أنجلوس تايمز")

هذه قصة أربع عائلات هاجرت من الصين إلى كاليفورنيا. وكانت الزوجات الأربع يتقابلن مرة كل أسبوع في منزل واحدة، ويلعبن "ماهجونغ" (لعبة قمار صينية)، ومع اللعب كن يأكلن، ويشربن، ويتكلمن عن الوطن القديم، والوطن الجديد.

استمر لقاء "نادي حظ الفرح" عشرين سنة. وكبرت بنات الصينيات الأربع، وغيرن أسمائهن الصينية إلى أسماء أمريكية. وصار واضحا أن هناك حائطا ثقافيا عاليا بين الجيلين. وعندما توفيت "سويوان"، واحدة من الصينيات، تطوعت بنتها "جون" لتلعب "ماهجونغ" بدلا عنها. ثم اشتركت بنات الأخريات في اللعب من وقت لآخر. وتحول النقاش إلى نقاش بين جيلين: صيني، وصيني متأمرك.

حكت "سويوان"عن غزو اليابان للصين (خلال الحرب العالمية الثانية). واغتصاب الجنود اليابانيين للصينيات، حسب برنامج "بنات الراحة" الرسمي الذي أشرفت عليه وزارة الدفاع اليابانية. هربت حتى لا تضم إلى البرنامج. ولم تقدر على أن تحمل معها تؤاميها، فتركتهما تحت شجرة. وظل ذلك يعذبها وهي في الصين، ويعذبها وهي في امريكا، حتى توفيت.

وحكت "هسو"عن أمها التي صارت جارية لرجل إقطاعي في الصين، أغدق عليها مالا كثيرا. ثم صارت زوجته الرابعة (كان عنده أربع زوجات، وأكثر من عشرة من الجواري).

وحكت "جونغ" عن والديها الذين زوجاها لشاب غني عمره ست عشرة سنة فقط. ولم يكن يعرف حتى كيف يمارس واجباته الزوجية. في نفس الوقت، كانت والدته تريد منه أن ينجب لها حفيدا. ولم تكن تعرف أن الزوجة الكبيرة السن لا ترفض، لكن الزوج الصغير السن لا يعرف.

ثم جاء دور بناتهن الأمريكيات لتحكي كل واحدة قصتها:

حكت "جون" عن زيارتها إلى الصين، والى المنزل الذي ولدت فيه. وكيف انها عثرت على التؤامين الذين تركتهما والدتها عندما هربت من جنود الاحتلال الياباني.

وحكت "روز" عن زواجها من أمريكي أبيض. ورغم أنهما، في البداية، تحديا والدي الزوج الذين عارضا زواج أمريكي من صينية، لكن، فيما بعد، لم يقدر الزوج الأمريكي على مواجهة ضغوط والديه. واضطر لأن يطلق الصينية، لكنها كانت حصلت على الجنسية الأمريكية.

وحكت "لينا" عن زواجها من أمريكي أبيض، أيضا. لم يختلفا حول اللون والعرق، لكنهما اختلفا حول المال. قال الأمريكي انه لن يصرف عليها، وإنها يجب أن تصرف على نفسها، من وظيفتها. وقال، مع نهاية القصة: "لم تعرفي حتى الآن، بعد عشرين سنة في أمريكا، أن المساواة بين الرجال والنساء مساواة في كل شيء."

حشرة الشجرة الميتة

(مايلين دريسار، من هولندا، استاذة في جامعة رايس، في ولاية تكساس)

تقاعد بروفسير ترستان مارتنز، أستاذ حشرات في جامعة نيويورك، ومهاجر من هولندا. ووجد وقتا كافيا لممارسة هوايته المفضلة: جمع قطع الأثاث الأوروبية القديمة.

وعندما زار متجرا في نيويورك، ووجد كرسيا مكتوبا عليه إنه من هولندا، وان عمره أكثر من مائة سنة، أحس أن الكرسي ليس غريبا عليه. وعندما رفعه إلى أعلى ونظر إلى أسفله، وجد عبارة مكتوبة بخط والدته، وتذكر انه هو نفس الكرسي الذي كان في منزل العائلة قبل ستين سنة، مع بداية الحرب العالمية الثانية، قبل أن تهرب العائلة من هولندا إلى أمريكا خوفا من غضب هتلر.

ماذا كتبت الأم تحت الكرسي؟ كتبت: "بعد أن يبيد هتلر اليهود، سيبيدنا."

وتذكر أن والده ووالدته كانا يتناقشان عن الحرب التي أعلنها هتلر ضد اليهود، والحرب التي أعلنها ضد الدول المجاورة، ومنها هولندا، التي احتلها هتلر في بداية الحرب. أيد الوالد هتلر، وكان نازيا متطرفا. لكن، عارضته الوالدة، وكانت تكرر عبارة: "بعد أن يبيد هتلر اليهود، سيبيدنا".

على أي حال، فوجئ البروفسير عندما قالت له صاحبة المحل: إنها لن تبع له الكرسي. وصار يزور المحل من وقت لآخر، ليقنعها بأن تبيع له الكرسي، وليتناقش معها حول العبارة المكتوبة تحت الكرسي. بدون أن يوضح صلة الكرسي بعائلته. وبدون أن تقول له صاحبة المحل، كورا لوينشتاين، إنها يهودية. (لكن، شك كل جانب في حقيقة الآخر).

وصار هذا النقاش هو محور هذه الرواية.

لم يكن البروفسير نازيا صارخا مثل والده، لكنه كان يشيد بهتلر ("فخر ألمانيا").

ومثلما اختلف والده ووالدته حول هتلر، اختلف هو مع زوجته، ثم مع ابنهما الوحيد، حول هتلر. وبسبب تأييده لهتلر، تركته زوجته.

وفي وقت لاحق، تركه الابن إلى ولاية تكساس، حيث تزوج وأنجب طفلا. لكنه رفض أن يرى الجد الحفيد، خوفا منآراء الجد الهتلرية.

وكتب إلى والده مرة: "لا مانع أن ترسل هدايا كرسماس، لكن، من فضلك، لا تأتي لزيارتنا". وكتب إليه مرة أخرى: "أنت أستاذ حشرات في الجامعة. وتريد أن تخلص العالم من الحشرات الضارة. لكنك نسيت أن الحشرة يمكن أن تكون طريقة تفكير، وليست فقط حيوانا. صرت أنت حشرة تقتات من شجرة ميتة"

(من هنا جاء اسم الكتاب).

في معبد (أدات ريم) في بيرك (ولاية فرجينيا) : اليهود



(اقرأ: صمت رمضان في دير مسيحي)

(أقرأ: الدين والسياسة) .

(اقرأ: اسلاموفوبيا) .

في سنة 1992، جئت إلى معبد "أدات ريم" اليهودي في ضاحية بيرك (ولاية فرجينيا)، من ضواحي واشنطن العاصمة. وحيث أسكن في منزل اشتريته سنة 1980، سنة حضورى إلى واشنطن مراسلا لصحف ومجلات عربية. والحمد لله، أسكن في نفس المنزل حتى اليوم. يقع المعبد اليهودي قريبا من منزلي. وحتى اليوم، أمر به صباحا ومساء في طريقي من والى مكان عملي في مبنى الصحافة الوطنية في واشنطن (بالقرب من البيت الأبيض).

في تلك السنة، كان ابني وبنتي كبرا (كانت البنت الثانية، وآخرهم، عمرها سنتان فقط). وكنت آخذهما إلى مساجد ومراكز إسلامية ليتعلموا الإسلام واللغة العربية. وأيضا،آخذهم إلى كنائس، ومعابد يهودية، وهندوسية، وصينية ليطلعوا على الأديان الأخرى. وذلك لسببين:

أولا: لتتفتح عقولهم في هذا البلد المنفتح.

ثانيا: لان الإسلام هو خاتم (وحاسم) الأديان.

في تلك السنة، اتصلت يوما مع الحاخام بروس افت، وحاخام المعبد، وسألته عن إمكانية زيارة المعبد، مع ولدي وبنتي، لحضور صلاة يوم السبت لنطلع على الدين اليهودي. (لم تذهب معنا زوجتي والبنت الصغيرة لأنهما كانتا في ايفانزفيل، ولاية أنديانا، لزيارة جد وجدة زوجتي، حيث موطنهما).

رحب بنا الحاخام أفت. وذهبنا. وكعادتي كلما أذهب إلى مكان عبادة ديني غير إسلامي أحس بخليط من الرهبة (لأنه مكان عبادة) والخوف (لأن الدين ليس ديني). لكن الترحيب كان حارا.

وصلينا، وأنشدنا، معهم. ولاحظت أن اليهود يركزون على وحدانية الله أكثر من المسيحيين. وطبعا، لا يؤمن اليهود بالنبي عيسى (ولا يهمهم التثليث أو غير التثليث). وطبعا، قصة النبي موسى مكررة كثيرا في القرآن. وطبعا، التوراة رسالة من الله، مثلها مثل الإنجيل. ولكن، نسخهما القرآن الكريم، آخر (وحاسم) الرسالات.

حتى اليوم، وبعد قرابة أربعين سنة في أمريكا، وبعد "الانفتاح" و "الحوار" و "التسامح"، تظل الشكوك والتوتر تسيطر على علاقتي مع اليهود:

أولا: لأنهم غزوا فلسطين واحتلوها.

ثانيا: لأن القرآن يكرر اللعنات عليهم.

ثالثا: لأنهم يسيطرون على السياسة الأمريكية نحو الدول العربية والإسلامية.

خلفية تاريخية:

لم يعامل الأمريكيون اليهود مثلما عاملوا الأفارقة. عاملوا الأفارقة كجنس بدائي، واشتروهم وباعوهم. لكنهم عاملوا اليهود كبيض مثلهم، وكغربيين في أصولهم مثلهم، لكنهم ينتمون إلى طائفة دينية رفضت الإيمان بعيسى المسيح (وقتلته). وركز الأميركيون على الجانب الديني لأنهم أكثر شعوب الغرب تدينا. لم يسلم اليهود من هذه التفرقة الدينية حتى الحرب العالمية الثانية.

لكن، ساعدهم الرئيس فرانكلين روزفلت عندما أعلن اصطلاحات اقتصادية واجتماعية كثيرة (أفادتهم، واشتركوا، وهم الذين يميلون إلى الليبرالية، في تنفيذها).

وساعدهم الرئيس ترومان عندما اعترف بإسرائيل (بسبب ضغوطهم المالية والانتخابية. وبسبب عقدة الذنب وسط الأمريكيين لأنهم سكتوا لفترة طويلة على اضطهاد ألمانيا الهتلرية لليهود. وبسبب استنجادات عاطفية اشتهر بها اليهود: "نحن شعب مضطهد عبر التاريخ").

لكن، لابد من الإشارة إلى أن اليهود في أمريكا نجحوا بسبب العمل الجاد (خاصة في المجال الاقتصادي). طبعا ساعدوا أنفسهم، لكنهم، أيضا، قدموا إسهامات كثيرة كل المجالات تقريبا. واجتهدوا، وتعلموا، ونالوا جائزة نوبل بعد جائزة نوبل. ولعبوا دورا كبيرا في بناء نيويورك، وخاصة بنوكها وشركاتها. واشتهروا في مجالات الفنون والآداب.

مثقفون وعلماء:

حتى منتصف القرن العشرين، اشتهر على المسرح الثقافي الأمريكي مثقفون غير يهود. مثلا، في مجال الرواية، اشتهر إيرنست همنغواى، وسكوت فتزجيرالد، ووليام فولكنر، وتي إس اليوت. ومع بداية النصف الثاني من القرن العشرين، بدأ يشتهر روائيون يهود، مثل: نورمان ميلر، وآرثر ميلر، وروث فيليب.

وعلم آرثر ميوري (راقص يهودي) الأمريكيين كيف يرقصون. وعلمتهم آن لاندرز، (يهودية كاتبة عمود نصائح في الصحف) كيف يتصرفون. وعلمهم رالف لورين، (مصمم أزياء يهودي) كيف يتأنقون. وعلمتهم (باربرا سترايسند، مغنية يهودية) كيف يغنون ويمرحون. وشفاهم جوناس سولك (طبيب يهودي) من الشلل عندما اكتشف علاجه، وأسس لهم سولسبيرقز (صحافي يهودي) واحدة من أشهر صحف العالم ("نيويورك تايمز"). وقدم لهم نورمان لير (منتج تلفزيون يهودي) أشهر مسلسلات تلفزيونية ("في العائلة" و "جفرسون" و "ستانفورد").

عندما كان روزفلت رئيسا (سنة 1945)، كانت جامعة ييل ترفض تعيين أي أستاذ يهودي. لكن، عندما كان كنيدي رئيسا (سنة 1960)، كان في الجامعة ثلاثون أستاذا يهوديا، في الوقت الحاضر، ثلاثون في المائة تقريبا من أستاذة الجامعات الكبرى يهود، رغم أن اليهود يشكلون نسبة اقل من اثنين في المائة من الأميركيين. وصار رؤساء أشهر ثلاث جامعات أمريكية (هارفارد وييل وبرنستون) يهودا.

لماذا هذا التغيير في معاملة الأمريكيين لليهود؟

أولا: زاد انفتاح وتسامح الأمريكيين.

ثانيا: اجتهد اليهود، ربما أكثر من غيرهم من الأقليات.

ثالثا: ساهم المهاجرون من أوروبا (خاصة من ألمانيا) هروبا من حكومة هتلر النازية في تطوير أمريكا (خاصة في العلوم والتكنولوجيا والفنون).

مجلة "كومنتري":

انتقلت إلى أميركا "مدرسة فرانكفورت الثقافية" التي جمعت يهودا، مثل: ألبرت أينشتاين، وحنا إرنت، وهانز مورغنثاو. وقاد هؤلاء اليهود إلى ما يسمي "عصر اليهود الذهبي". وظهرت مجلة "كومنتري" الشهرية ناطقة بلسان المثقفين اليهود. وانتقل مركز الثقافة الغربية (يهودية وغير يهودية) من مقاهي باريس إلى شقق ومطاعم ومسارح نيويورك.

واستبدل سقموند فرويد (عالم النفس اليهودي) الدين بعلم النفس. استبدل الروحانيات بالأدوية، واستبدل التواصل والتقارب العائلي بالفردية والاستقلالية. وقاد الأن قنسبيرق (كاتب يهودي) تمرد الشباب، انطلاقا من مدينة سانفراسسكو (في ولاية كاليفورنيا)، حيث أسس حركة "الهيبيز" لابسي بنطلونات الجينز، وأصحاب شعور طويلة للأولاد، وشعور قصيرة للبنات.

في منتصف القرن العشرين تقريبا، كان المثقفون اليهود في أمريكا ساهموا في نظريات ثقافية تبدو عادية اليوم. لكنها كانت جديدة في ذلك الوقت، مثل "آلانا" و "العقلانية الصارمة" و "الايجابية" و "الهوية الحائرة" و "عقدة النقص" و "عقدة التفوق."

لكن، اصطدم المثقفون اليهود بالأغلبية المسيحية الأمريكية لأنهم ركزوا على العلمانية. لم يدعوا فقط إلى فصل الدين عن الدولة (كما نص الدستور)، ولكنهم، دعوا، أيضا، إلى فصل الدين عن الحياة.

حتى شارلز ليبرمان، يهودي ومؤلف كتاب "اليهودي الغامض" كتب: "ضللنا، نحن المثقفون اليهود، الأمريكيين. لم نغرس فيهم مبادئنا اليهودية الأصلية. غرسنا فيهم الابتعاد عن الدين، والغرق في الحيرة."

غير أن مثقفين غير يهود انضموا إلى هذا الفكر الليبرالي العلماني اليهودي، منهم ثلاثة:

أولا، أدموند ويلسون، مؤلف روايات ركزت على الحداثة.

ثانيا، جون ديوي، أبو التعليم الأمريكي الحديث الذي اعطى التلميذ والتلميذة حرية النقاش في أي شيء (حتى في طريقة معاملة الأب والأم).

ثالثا، الفرد كينسي، عالم جنس في جامعة أنديانا، أعلن أن حرية الجنس لا تقل أهمية عن حرية الكلام والتجمع والصحافة. بل أعلن أن الجنس أهم من الأنا، ومن الضمير (ومن الله).

الخوف اليهودي:

كتب ميوري فريدمان، استاذ التاريخ اليهودي في جامعة تمبل (ولاية بنسلفانيا)، في كتابه "ثورة المحافظين الجدد": "لم يحس المثقفون الأمريكيون اليهود، خلال كل هذه السنوات، ورغم كل هذه الإنجازات، بالراحة واليقين والطمأنينة. ظلوا يعيشون في تناقض: في جانب، أثرت عليهم عقلية آبائهم وأجدادهم المهاجرين والفارين من الظلم والتفرقة في أوروبا. وفي الجانب الآخر، لم يقبلهم المجتمع الأمريكي قبولا كاملا، رغم كل ما قدموا له."

وأشار إلى ظاهرة تغيير اليهود لأسمائهم. مثلا: كان المغني بوب ديلان روبرت زمرمان. وكان الممثل كيرك دوغلاس أيسود دومسكي. حتى مجلة "كومنتري"، الناطقة باسم المثقفين اليهود، لم تكن، في البداية، تركز على يهوديتها، ولم تكن تتحدث عن إسرائيل كثيرا.

وظهر خوف اليهود التاريخي وميلهم إلى إخفاء يهوديتهم في قصص كتبها يهود. كتب آرثر ميلر، في قصة "موت بائع"، عن شخصيات يهودية أنكرت أنها يهودية. وكتب جوزيف هيلر، في قصة "كاتش 22"، عن بطل أشوري، لكنه كان، في الواقع، يهوديا.

واستمرت هذه الظاهرة حتي السنوات القليلة الماضية: غير لاري كينغ، مقدم برنامج مقابلات في تلفزيون "سي إن إن"، اسمه. وأنكرت مادلين أولبرايت، وزيرة الخارجية السابقة، أنها يهودية (حتى كشفتها صحيفة "واشنطن بوست"). وأنكر السناتور جورج ألين أن والدته يهودية، ثم اعترف (بعد أن كشفته صحافية)، وقال أن والدته هي التي أخفت عنه الحقيقة.

منغلقون لا منفتحون:

يركز اليهود على عبارة "شعب الله المختار" الدينية ليبرهنوا على أنهم "مختارون" حقيقة. لكن، هذا سلاح ذو حدين لأنه، أيضا، يفصلهم عن غيرهم. ويعترف كثير منهم، مثل شارلز ليبمان، مؤلف كتاب "تجربتان يهوديتان: إسرائيلية وأمريكية"، بأن المثقفين اليهود، بصورة عامة، "منغلقون أكثر من منفتحين، وعرقيون أكثر من متنوعين."

ويبدو أن هذا من أسباب اهتمامهم بقضايا الحرية والعدل في أمريكا، رغم ما يبدو من تناقض في ذلك. وهناك أكثر من تفسير لذلك:

أولا، اثر على تفكيرهم وتصرفاتهم تراث آلاف السنين كأقلية ومظلومة.

ثانيا، يعترف حتى غير المتدينين منهم بأن تعاليم أنبياء التوراة أثرت عليهم، وخاصة حرية موسي، وعدل سليمان، ووطنية داوود.

وانعكس هذا في التناقض الذي يعيش فيه المثقفون اليهود في أمريكا اليوم: في جانب، يرفعون شعارات المساواة ورفع الظلم. وفي الجانب الآخر، يعيشون كاقلية عرقية ودينية في بلد يعتبر أكثر بلاد الغرب تأثرا بالمسيحية. وانعكس التناقض، أيضا، في رأيهم في احتلال إسرائيل لأراضي فلسطينية.

ويشبه هذا التناقض اليهودي التناقض الأمريكي الأكبر.

الأمريكيون، رغم حديثهم عن الانفتاح، والتسامح، والتنوع، يركزون (بطرق غير مباشرة، إن لم يكن مباشرة) على أنهم أمة مسيحية. ولا يكادوا ينسون أن اليهود رفضوا الإيمان بعيسى، ثم قتلوه. وخلال السنوات القليلة الماضية، زادت هذه "الصحوة المسيحية" في أكثر من مجال:

أولا: نجحت أفلام مسيحية أو شبه مسيحية، مثل فيلم "آلام المسيح" نجاحا هائلا (وغريبا في مجتمع "علماني").

ثانيا: يعكس التحول السياسي والاجتماعي نحو اليمين (مثل "حزب الشاي") تركيزا على المسيحية أكثر مما كان الحال في الماضي.

ثانيا، صار واضحا أن ما تسمى "الحرب ضد الإرهاب" التي أعلنها الرئيس السابق بوش الابن، بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، ليست إلا حربا غير مباشرة ضد المسلمين، إن لم تكن ضد الإسلام.

ومن المفارقات، أنه كلما يركز الأمريكيون على المسيحية، يزيدون شكوك وخوف اليهود منهم (ومن مسيحيتهم).

يهود يمينيون:

خلال السنوات القليلة الماضية، زاد تحول يهود من الفكر التقدمي والليبرالي إلى الفكر المحافظ. تحولوا من "الرأسمالية الإنسانية" إلى "الرأسمالية الفردية". وانعكس ذلك في تحول يهود من الحزب الديمقراطي إلى الحزب الجمهوري. وكتب ميوري فريدمان، أستاذ التاريخ اليهودي في جامعة تمبل، ومؤلف كتاب "ثورة المحافظين الجدد"، أن هناك أسبابا دينيا لهذا التحول:

أولا: صحيح أن عيسى المسيح قال: "بيعوا ممتلكاتهم، واصرفوها على الفقراء، ستكونوا أغنياء في الآخرة". لكن، قال تشريع يهودي: "من هو الغني؟ هو الذي يستمتع بأمواله."

ثانيا: كان بنجامين دزرائيلي، رئيس وزراء بريطانيا في القرن التاسع عشر، يهوديا، ثم تحول إلى المسيحية. وقال: "اليهود هم أوائل المحافظين، لأنهم يركزون على تقاليدهم القديمة، وعلاقاتهم العائلية."

ثالثا: صحيح أن كثيرا من المثقفين اليهود عارضوا التفرقة العنصرية ضد السود، واشتركوا في حركة الحقوق المدنية. لكن، في الماضي اشترك كثير من التجار اليهود في تجارة العبيد. واعتمدوا على فقرات في التوراة تقلل من مستويالسود (سمتهم "أثيوبيين") .

رابعا: صحيح أن كثيرا من المثقفين اليهود يتمسكون بمبدأ فصل الدين عن الدولة. لكن، يدافع كثير من الحاخامات عن التدين، ويقولون إن مبدأ الحرية الأمريكية مبدأ ديني قبل أن يكون سياسيا.

خطر نفوذ اليهود:

أوضحت السنوات القليلة الماضية أن "الصحوة اليهودية الأمريكية" سلاح ذو حدين: في جانب، تقوى نفوذ اليهود، بسبب أموالهم، وأصواتهم، وشهرتهم، ومناصبهم العالية. وكما صار واضحا، يسيطرون على السياسة الأمريكية نحو العرب والمسلمين. (مثل تحالف "نيوكون"، المحافظين الجدد، الذي كان وراء الغزو الأمريكي للعراق).

في الجانب الآخر، يقول المثل الأمريكي أن لكل فعل رد فعل (يبدأ رد الفعل قليلا، ثم يتطور حتى يصل إلى حجم الفعل). وآجلا أو عاجلا، سيحدث ذلك بالنسبة لتأثير اليهود على السياسة الأمريكية نحو العرب والمسلمين. هذا بالإضافة إلى أن التأثير تعدى العرب والمسلمين، وصار يؤثر على مجالات أخرى في السياسة الأمريكية.

قبل سنوات قليلة، استغرب دبلوماسيون في الأمم المتحدة وصحافيون وخبراء لأن سفارة بولندا في الأمم المتحدة، في نيويورك، ألغت استضافة د. توني جوت، أستاذ يهودي في جامعة نيويورك، لإلقاء محاضرة عن تأثير اللوبي اليهودي على السياسة الخارجية الأمريكية.

واتضح، فيما بعد، أن يهود نيويورك (ثاني أكبر تجمع لليهود في العالم بعد إسرائيل) غاضبون على زميلهم، لأنه يقود يهودا آخرين بدؤوا، خاصة بعد غزو العراق، في انتقاد اللوبي اليهودي في واشنطن.

قاد حملة الضغط على سفارة بولندا إبراهام فوكسمان، مدير العصبة اليهودية المضادة للتفرقة. وأنكر فوكسمان، في خبث، الضغط على سفارة بولندا، وقال: "سألنا السفارة إذا كان جوت سيلقي محاضرة فيها، وألغت السفارة المحاضرة. نحن لم نقل للسفارة أن تلغي المحاضرة."

ورد جوت: "كل ما قلت في محاضرات سابقة، وما كنت سأقول في محاضرة سفارة بولندا، هو أن إسرائيل لا يمكن أن تكون ديمقراطية ويهودية في نفس الوقت."

وصار الخلاف بين الأستاذ الجامعي وزعيم اللوبي رمزا لانشقاق جديد وسط يهود أمريكا: بين المثقفين (الذين لا يرون أن هناك أي سبب يمنع انتقاد إسرائيل)، وبين السياسيين (الذين يريدون الدفاع عن كل ما تفعل إسرائيل، حرصا على أصوات وتبرعات اليهود).

لكن، لم تكن هذه أول مشكلة وسط يهود أمريكا، لأن مشاكل كثيرة ظهرت وسطهم، ليس فقط بين المثقفين والسياسيين، ولكن أيضا، وسط المثقفين أنفسهم. ورغم أن أمريكا تقدم للمثقفين اليهود (وغير اليهود) حريات لا حدود لها، يواجه المثقفين اليهود وضعين متناقضين:

في جانب، يؤثرون كثيرا على أمريكا.

في الجانب الآخر، يخافون كثيرا منها.

تحديث:

خلال السنوات التالية، زرت معبد "أدات ريم"، ومعاهد يهودية أخرى، مرات كثيرة. وكتبت عنها، وعن علاقتي مع اليهود، في صحف أميركية، خاصة صحيفة "واشنطن بوست. (اقرأ: كتاباتي في صحف أمريكية).

أمام تمثال لنكولن (واشنطن العاصمة): مسلسلات حرب الإرهاب



(اقرأ: مسرحيات حرب الإرهاب)

(اقرأ: إسلاموفوبيا) .

(اقرأ: تغطية حرب العراق).

في سنة 2003، جئت إلى نصب لنكولن (الرئيس أبراهام لنكولن، محرر العبيد) الذي يقع في الطرف الغربي في "ناشونال مول" (الميدان الوطني) الذي يقع على طرفه الشرقي مبنى الكونقرس، ويطل البيت الأبيض، ومجموعة متاحف "سميثونيان".

جئت مع أقارب لزوجتي الذين جاؤوا من ولاية فلوريدا للزيارة. وكالعادة، نأخذ الذين يزورونا من خارجي واشنطن في جولة على معالم واشنطن، ومنها معالم "ناشونال مول."
كان الجو ربيعيا جميلا، والشمس ساطعة. وعند تمثال لنكون، كان هناك عدد كبير من السواح، وكان هناك شخص يتقمص لنكون (قامة طويلة، ووجه نحيف، وذقن

كثيف). كان سواح يلتقطون صورا تذكارية مع الرجل. ثم ظهرت فرقة تصوير تلفزيونية. وعرفت واحدا من الفرقة: مصورا يعمل في مبنى الصحافة الوطنية حيث اعمل أنا. قال : إنهم يسجلون مناظر لمسلسل تلفازيوني عن هجوم 11 سبتمبر.

بعد ذلك بشهور، قابلت الرجل، وقال: إن المسلسل التلفزيوني سيعرض بعد أسابيع، وان اسم المسلسل: "دي سي: كرايسيز تايم" (واشنطن العاصمة: وقت الأزمة). وسيعرضه تلفزيون "شوتايم". وفعلا، شاهدت جزءا من المسلسل. ورغم التصوير الجميل والإخراج المنسق، لم تعجنبي فكرة المسلسل، لأنها انحياز كبير إلى جانب الرئيس بوش البن، وتصويره كبطل، ليس فقط في أمريكا، ولكن في كل العالم.

كان المسلسل من أوائل المسلسلات عن هجوم 11 سبتمبر. وكانت أغلبيتها سلبية. تسيء إلى الإسلام، وتنتقد المسلمين، وتربطهم بالإرهاب. ولا تجيب إجابة صريحة على سؤال الأمريكيين: "هواي ذاي هيت اص؟" (لماذا يكرهونا؟)

وطبعا، توجد خطأ في السؤال، الذي يجب أن يكون: "هواي ذاي ماد أت اص؟" (لماذا يغضبون علينا؟). وواضحة جدا الإجابة: الظلم الأمريكي على العرب والمسلمين بسبب الانحياز نحو إسرائيل، وبسبب دعم الأنظمة العربية الدكتاتورية.

بعد هذا المسلسل المنحاز، شاهدت مسلسلات كثيرة مثله، وقليلة محايدة (مثل المسلسلات الوثائقية)، ولم أشاهد واحدا يميل نحو العرب والمسلمين.

تحديث

في سنة 2012، فاز مسلسل "هوم لاند" (أرض الوطن) بجوائز كثيرة في المهرجان السنوى لجوائز "ايمي" (الإنتاج التفزيوني).

وسط كثير من المسلسلات التلفزيونية عن هجوم 11 سبتمبر (أيلول) سنة 2001 والحرب ضد الإرهاب وغزو افغانستا وغزو العراق، برز هذا المسلسل، وصارت له شعبية كبيرة. ويعتقد أن السبب هو انه ليس مباشرة عن الإرهاب والإرهابيين، أي ليس كله مناظر الحرب وقتل الإرهابيين، والإساءة إلى المسلمين. فيه حلقات عن خيانات وطنية، وخيانات زوجية، ومشاكل مكتبية، وحسد وسط رجال، وغيره وسط نساء، وحتى براءة الأطفال.

لكن، لا يمكن القول أن المسلسل يعطف على المسلمين والعرب، ناهيك عن أن ينصفهم، وناهيك عن أن يؤيدهم. هذا مسلسل أمريكي في نطاق أجواء الغضب، والانتقام، والخوف، والاستعلاء، والاحتقار التي تسيطر، منذ هجوم 11 سبتمبر (أيلول) على المجتمع، والسياسة، والثقافة، في الولايات المتحدة.

الإرهاب والإعلام:

غير أن المسلسل، في نفس الوقت، يقدم بعض المعلومات عن المجتمعات، والسياسات، والثقافات العربية والإسلامية. ويثير أسئلة حول العلاقة بين الإرهاب والإعلام. هذه أسئلة هامة، وتستحق الدراسة، وفعلا درسها بعض الأميركيين:

أولا: حسب كتاب "أنسايد تيروريزم" (داخل الإرهاب) الذي كتبه بروس هوفمان، أستاذ في جامعة جورجتاون (في واشنطن العاصمة): "الهدف الأساسي للإرهابيين هو الكشف عن مواضيع يتجاهلها الإعلام. ويعتبر البعض هذا استغلالا لوسائل الإعلام."

ثانيا: حسب كتاب "تيروريزم اند ببليك بوليسي" (الإرهاب والسياسة العامة) الذي كتبه جيمس باستور، أستاذ في كلية كالوميت الكاثوليكية (ولاية إنديانا): "يمكن أن يستغل الإرهابيون الإعلام بارتكاب مزيد من الإرهاب ليعكسها الإعلام."

ثالثا: حسب وليام قيبسون، روائي أميركي: "توجد علاقة وثيقة بين الإرهاب والإعلام."

رابعا: حسب كتاب "تيروريزم تي في" (تلفزيون الإرهاب): "مسلسلات الإرهاب بعد هجوم 11 سبتمبر مسلية وترفيهية. لكن بعضها سار على سياسة بوش، عمدا أو بدون قصد."

لهذا، لم يكن غريبا أنه، منذ هجوم 11 سبتمبر (أيلول) سنة 2001، نشرت في الولايات المتحدة مئات الكتب عن الإرهاب والمواضيع ذات الصلة (مثل الإسلام والمسلمين والعرب والسياسات الأمريكية والتاريخ الغربي)، وجزء كبير من هذه الكتب أكاديمي. وصدرت عشرات الأغاني والأناشيد. وعشرات المسلسلات والتقارير الوثائقية التلفزيونية، وربما عشرة أفلام سينمائية.

أفلام عن الإرهاب:

من بين الأفلام السينمائية:

أولا: "911 فهرنهايت" (المخرج: التقدمي مايكل مور، وفيه نقد عنيف على الرئيس بوش الابن).

ثانيا: "أيام في سبتمبر" (جاسوس أمريكي في وكالة الاستخبارات المركزية كان يعرف وقت الهجوم).

ثالثا: "عزيزي جون" (خطابات وعلاقات حب جندي أميركي يحارب في أفغانستان).

رابعا: "الرحلة رقم 93" (الطائرة التي اشتركت في الهجوم، لكنها سقطت، وكانت متجهة إلى واشنطن لتفجير الكونغرس أو البيت الأبيض).

خامسا: "هروب من غوانتنانامو" (فكاهي وفيه نقد غير مباشرة لمعاملة المعتقلين المسلمين، وللحرب ضد الإرهاب).

سادسا: "جولي وجوليا" (ليس عن الهجوم، عن نجمة تلفزيونية في مجال الطبخ، لكن بطلة الفيلم ساعدت ضحايا الهجوم).

وثائق تلفزيونية عن الإرهاب:

ومن بين الوثائق التلفزيونية (وتميل نحو الحياد):

أولا: "102 دقيقة غيرت أمريكا".

ثانيا: "تدمير مبنى التجارة العالمي" .

ثالثا: "متطوعو غرواند زيرو" (مكان المبني بعد تدميره).

رابعا: "قطط ميريكيتاني" (كان صاحبها يسكن قرب مبنى التجارة العالمي يوم وقع الهجوم).

خامسا: "اين أسامة بن لادن؟" (سنة 2008، خلال البحث عنه).

ومن بين الوثائق التلفزيونية التي حاولت إنصاف العرب والمسلمين:

أولا: "أنا سنغ" (أمريكي من السيخ قتل اعتقادا بأنه مسلم).

ثانيا: "بانذاك" (التفرقة ضد مهاجرين من باكستان وبنغلاديش).

ثالثا: "أمريكا وطني أيضا" (عن المسلمين الأمريكيين).

رابعا: "امرييكا" (تجارب مهاجرين فلسطينيين في شيكاغو).

ومن بين المسلسلات التلفزيونية الدراماتيكية:

أولا: "24 ساعة": معارك بين الإرهابيين والشرطة الأمريكية بقيادة جاك بويار، الذي يؤمن بان "الغاية" (الانتصار على الإرهاب) "تبرر الوسيلة" (قتل المسلمين يسارا ويمينا). لهذا أثارت المسلسلات أسئلة عن "إرهاب الشرطة الأميركية".

ثانيا: "سليبر سيل" (خلية نائمة): داروين السعيد، أمريكي مسلم وشرطي في مكتب التحقيق الاتحادي (اف بي آى)، يقود حربا ضد إرهابيين بزعامة سعد بن صفوان الذي يمثل دور إرهابي سعودي صديق لأسامة بن لادن. وأيضا، ليجا كورجانيك، مسلم هاجر إلى أمريكا من البوسنة.

ثالثا: "ريسكيو مي" (أنقذوني): عن رجال الإطفاء الذين سارعوا إلى مبنى التجارة العالمي لإنقاذ الضحايا. عن حياتهم العامة والخاصة، وخاصة العلاقات العاطفية والجنسية والعائلات والأولاد والخيانات الزوجية. لكن، من وقت لآخر، مناظر عن الهجوم والإرهابيين والمسلمين والعرب.

"هوم لاند" (أرض الوطن):

هذا أشهر المسلسلات التلفزيونية الدراماتيكية، وهو الذي فاز بعدة جوائز "ايمي" (للإنتاج التلفزيوني).

أخرجه هوارد غوردون، الذي كان اخرج المسلسل التلفزيوني "إكس فايلز" (ملفات اكس، عن عمليات شرطة "إف بي آي"). وأيضا اشترك في اخراج المسلسل التلفزيوني "24 ساعة" (عن محاربة الإرهابيين). وجاءت فكرة المسلسل من كاتب إسرائيلي.

ويتلخص المسلسل في أن "كاري"، التي تعمل في قسم محاربة الإرهاب في وكالة الاستخبارات المركزية (سي آى ايه)، شكت في أن الضابط الأميركي "برودي" الذي كان أسيرا لمنظمة "القاعدة" في العراق لثماني سنوات، تعرض لعملية "غسيل مخ" (أو اقتنع) وصار "إرهابيا". وعندما عادت إلى واشنطن، وفي شقتها (التي تلصق على جدراها صور "الإرهابيين")، كتبت تقريرا إلى مديرها في "سي آى إيه" عن الموضوع.

ولسوء حظها، حتى قبل التقرير، لم يكن المدير راضيا عنها. وبعد التقرير، قال لها: إنها "مجنونة إرهابيين"، وتتصور أشياء غير موجودة. ودافع عن "برودي"، وقال أنه "بطل أمريكي"، ولا يمكن أن يكون "خائنا." وأنها هي "الخائنة" الحقيقية لأنها تشك في "البطل الأمريكي".

في نفس الوقت، يعود "البطل" إلى زوجته، ويكتشف أنها كانت تخونه مع اعز أصدقائه. وعندما واجهها، قالت: "كيف تعتقد أنني يمكن أن أعيش ثمان سنوات بدون حب (لم تقل "جنسًا")".

وتتفجر "كاري" غضبا وهي ترى "البطل الخائن برودي" يذهب إلى البيت الأبيض حيث يضع الرئيس على عنقه ميدالية الشرف الأمريكية. كما أنها هي نفسها تعاني من مشاكل نفسية، منها عدم العثور على زوج. وأدمنت ممارسة الجنس مع غرباء.

وهكذا، لمسلسل "هوم لاند" أكثر من زاوية: خيانة وطنية، خيانة زوجية، بطولات، إرهاب، محاربة إرهاب، إلخ ... وحسب تقرير في مجلة "تي في"، ربما هذا سر نجاحه، وحصوله على كل هذه الجوائز في مهرجان "إيمي." وجاء في التقرير: "كل حلقة في هذا المسلسل تتحدث عن موضوع مختلف، وكل حلقة يمكن أن تكون فيلما ناجحا".

ولم يعد سرا حب الرئيس باراك أوباما للمسلسل. دعا المخرج إلى حفل عشاء في البيت الأبيض كان أقامه على شرف ديفيد كاميرون، رئيس وزراء بريطانيا.

وفيما بعد، قال المخرج للصحافيين أن أوباما سأله عن المسلسل، وأبدى إعجابه به. وتندر المخرج، وطلب من أوباما "آخر تقارير الحرب ضد الإرهاب لنستفيد منها في المسلسل". وقال المخرج: "نظر لي مباشرة في عيني، وفي جدية، قال لي: وقال: "سنفعل ذلك بالتأكيد." وعندما سأل المخرج أوباما عن كيف يجد الوقت ليشاهد المسلسل، قال أوباما: "عندما تخرج ميشيل مع البنتين، ساشا وماليا، ليلعبوا التنس."

في مكاتب صحيفة (واشنطن بوست) : تغطية حرب العراق



(اقرأ: قصائد حرب العراق).

(اقرأ: عملاء أمريكا) .

(اقرأ: مقاومة العراقيين) .

في سنة 2006، جئت إلى رئاسة مكاتب صحيفة "واشنطن بوست" لإجراء مقابلة مع الصحفية جاكي سبنر، الجميلة الصغيرة الذكية، بعد أن كتبت كتابا عن سنتين قضتهما في العراق في تغطية الغزو الأمريكي (سنة 2003) والاحتلال الأمريكي للعراق.

وسألتها عن الكتاب، وأهم من ذلك، سألتها عن تغطية الإعلام الأمريكي، ليس فقط لغزو العراق، ولكن، أيضا، لغزو أفغانستان، ولكل ما يسمى "الحرب ضد الإرهاب".

وقلت لها: إنني وصلت إلى قناعة، بعد غزو العراق، أن ما يسميه الرئيس جورج بوش الابن "الحرب ضد الإرهاب" ليست إلا حربا غير مباشرة ضد المسلمين، إن لم تكن ضد الإسلام.

وهي نفت ذلك، أيدت غزو العراق، وهي الصحفية الناجحة التي تعمل في صحيفة ربما أهم صحيفة في العالم.

كتابها هو: "تيل ذيم أي دندت كراي" (قولي لهم لم أبك). واسم الكتاب من جملة كانت تقولها (في العراق) لوالدتها (في أمريكا) ردا على قول والدتها لها أن صديقاتها في أمريكا يسألن والدتها دائما عن كيف تغطي الحرب في العراق، ويشفقن عليها.

والكتاب خليط من استعلاء الأمريكيين (والأمريكيات) نحو شعوب العالم الثالث (بما في ذلك الشعب العراقي)، وعطف على هذه الشعوب. في جانب، أيد (في استعلاء) الغزو الأمريكي، وفي جانب، انتقد جوانب منه.

كتبت أنها وضعت العلم الأمريكي في غرفتها، "حتى أتذكر دائما أنني زائرة في هذا الوطن المحتل." وقالت : أنها فعلت ذلك لأنها لاحظت أن كثيرا من الأمريكيين لا يحترمون العراقيين، خاصة المقاولين، والعاملين في شركات الأمن.

واعترفت بأنها غضبت "كلما شاهدت أجانب لا يحترمون العراقيين، ويتجولون في العراق وكأنه ملكهم." ولاحظت أن أصدقاءها وزملاءها العراقيين "رغم أنهم سعدوا لأن الأميركيين حرروهم من حكومة صدام حسين، غضبوا كلما تكبر واحد منهم عليهم."

لصوص:

لكن، لم تختلف سبنر عن الأمريكيين والأمريكيات، وأخذت نصيبها في الإساءة إلى العراقيين عندما تحدثت عن رجلين عراقيين: "مشتاق" و "وعد" عاملي النظافة في الفندق. قالت: إن مدير مكتب الصحيفة أعطاها مائة دولار كل شهر ليهتما أكثر بتنطيف المكتب. وأنهما "لم يكونا ينظفان تنظيفا معقولا. لكن، شجعتهما الرشوة. في الحقيقة، دفعنا لهما الرشوة حتى لا يسرقا أشياءنا. ولهذا رافقهما حرس مسلح كلما جاءا للنظافة."

وقالت: إن عمال الفندق اللصوص استهدفوا الصحفيين الأجانب، خاصة الأمريكيين لأنهم اشتروا الأكل والشراب بكميات كبيرة، وخزنوها في غرفهم.

ولاحظت غياب اتصالات عميقة بين الأمريكيين والعراقيين، حتى وسط الصحفيين الذين كانوا يتجمعون في قاعة المؤتمرات. طبعا، كانت اللغة واحدة من الأسباب، لكن "لم يعامل كثير من الصحافيين الأجانب زملاءهم الصحافيين العراقيين كزملاء."

وانتقدت الصحفيين العراقيين، وقالت: أنهم "لم يكونوا مهنيين حقيقة، ولم يعرفوا قواعد العمل الصحافي. كان الواحد، بدل أن يسال سؤالا قصيرا، يلقي خطابا فيه آراء وانتقادات." لكنهم، على أي حال، كانوا في بداية العهد الديمقراطي.

لكنها أشادت بصحفيين عراقيين مثل عمر فكيكي وبسام سبتي اللذين كانا مترجمين في مكتب "واشنطن بوست"، ثم صارا صحفيين مع الصحيفة. (هذا، طبعا، فخر لهما، ولزملائهما من الصحفيين العرب).

شكوك:

واشتكت من شكوك العسكريين الأمريكيين في الصحفيين العراقيين. لكنها قالت أن سبب ذلك هو "صعوبة التفرقة بين العراقيين، لمعرفة من هو العدو، ومن هو الصديق." كان أي عراقي يقدر على أن يقول إنه صحافي، ويهدد سلامة العسكريين والمدنيين الأمريكيين.

وخافت من القتل، وخافت من الخطف. وكادت أن تخطف مرة بالقرب من سجن ابو غريب، عندما ذهبت إلى هناك لتغطية فضيحة صور التعذيب. وخافت في كل مرة تسمع عراقيا يناديها "أمريكية، أمريكية"، واعتبرت ذلك دعوة "للإرهابيين" ليخطفوها، أو يغتصبوها، أو يقتلوها. ربما كانت على حق، لأن المقاتلين ربما كانوا خططوا لخطف صحفي أو صحية من صحيفة "واشنطن بوست" لزيادة اهتمام الإعلام والعالم بهم.

اعترافات:

واعترفت بمضايقات العراقيين، وغير العراقيين، لها.

ذهبت مرة، قبل منتصف الليل، مع روبن شولمان، أمريكية وزميلتها في مكتب الصحيفة، إلى حوض السباحة في فندق "شيراتون"، حيث كان مكتب الصحيفة. ولاحظتا رجلا وقف في ركن قريب، يدخن سيجارة، ويتلصص عليهما. ثم انضم اليه ثان وثالث، حتى وصل عددهم إلى سبعة، كل واحد يدخن سيجارة. وكتبت: "قررنا، روبن وانا، أن نغادر المكان حتى لا يصبح مسرحا للنظر إلى سيقاننا وأكتافنا المكشوفة. مشينا بالقرب منهم، ورأينا خيبة الأمل على وجوههم."

وقالت أن تلك كانت أول وآخر مرة تلبسان فيها ملابس سباحة في العراق. بعدها "عدنا إلى الزي الرسمي للنساء في العراق، وهو قميص بأكمام طويلة وفستان طويل." (وضعت على غلاف الكتاب صورتين لها: ارتدت في واحدة ملابس عسكرية، وارتدت في الثانية ملابس عراقية مع غطاء الرأس). لكن، لم تعارض الغزو الأمريكي، وكانت في ذلك مثل صحيفتها.

عارضت صحيفة "نيويورك تايمز" الغزو قبل أن يبدأ. ثم اعتذرت عن أخطاء في تقارير نشرتها عن الحرب. لكن، أيدت صحيفة "واشنطن بوست" الغزو، ولم تغير رأيها، ولم تعتذر. وقالت سبنر: "أنا صحفية أبحث عن الحقيقة، ولست كاتبة عمود رأي."

تغطية الإعلام الأمريكي:

أهم، واخطر، من تغطية هذه الصحفية الأمريكية لحرب العراق، هي تغطية الإعلام الأمريكي لحرب العراق، وحرب أفغانستان (وبقية ما تسمى "الحرب ضد الإرهاب").

وقاد الانحياز تلفزيون "فوكس" الذي يملكه البليونير الأمريكي الإسترالي روبرت مردوخ (أمه يهودية إسترالية)، والذي أعلن تأييده لغزو العراق حتى قبل أن يبدأ الغزو. ولسنوات، ظل هذا التلفزيون يضع العلم الأمريكي في الطرف الأعلى الأيسر. وظل يقدم أكثر الصحافيين والخبراء تأييدا لإسرائيل، ولغزو العراق. وفعلت تلفزيونات أخرى نفس الشيء.

وكانت هناك مراقبة يهودية (وكأنها مخططة ومنسقة) للإعلام الأميركي لضمان انحيازه ضد العرب والمسلمين. نشر موقع "جهاد ووتش"، المؤيد لإسرائيل، أراء كتبها شاس فريمان، سفير أميركا السابق في السعودية، تنتقد إسرائيل. وكان ذلك عندما اختاره الرئيس أوباما ليكون مسئولا عن مكتب تنسيق وكالات الاستخبارات الأميركية. واضطر أوباما لأن يسحب ترشيحه بسبب الحملة العدائية ضده، واتهامه بالانحياز إلى جانب العرب "ضد الشعب الأميركي."

ونشر موقع "هافنغتون بوست" هجوما على آراء كتبها نورمان فينكلشتاين، أستاذ جامعي يهودي معتدل. كتبه آلان ديرشوفتس، أستاذ جامعي يهودي متطرف. وقال ديرشوفتش أن فينكلشتاين زور بحوثا أكاديمية. وبسبب حملة (وكما أنه مخططة ومنسقة) ضد فينكلشتاين، اضطرت جامعة ديبول (ولاية الينوي) لفصله.

وفي مقابلة تلفزيونية عن تغطية حرب العراق، قال إيستون جوردون، مدير قسم الأخبار في تلفزيون "سي إن إن"، أن القوات الأميركية تعمدت قتل صحافيين كانوا يغطون حرب العراق. وثارت ضجة، واضطر لأن يستقيل.

وانقتد بيتر آرني، مراسل تلفزيون "إن بي سي" في الشرق الأوسط، خطة غزو العراق. واتهم بالخيانة، وطرد من منصبه.

وانتقدت أشلي بانفيلد، مراسلة تلفزيون "ام اس أن بي سي" تغطية الإعلام الأميركي للحرب، وخاصة تلفزيون "فوكس" المنافس، وقالت إنه يشعل نار الحرب. واحتجت "فوكس"، وطردت الصحافية من منصبها.

وانتقد فيل دوناهيو، مقدم برنامج مقابلات في لتفزيون "إن بي سي" الحرب. وثارت ضجة، وطرد من منصبه، وألغي برنامجه الذي كان ناجحًا.

وانتقدت جيسيكا يالين، مراسلة تلفزيون "ان بي سي"، ما أسمته "ضغوط من مديري شركات التلفزيون بأن تكون التغطية مؤيدة للحرب وللرئيس بوش". وقبل أن تثير ضجة، سارعت واستقالت.

"بروباقاند":

وأثرت هذه التغطية المنحازة على الشعب الأمريكي. وصارت وكأنها "بروباقاندا" (دعاية) أكثر منها "جورناليزم"(صحافة). وحسب دراسة أجرتها جامعة ماريلاند:

أولا: قالت نسبة ستين في المائة أن العراق كان حليف منظمة القاعدة التي قامت بهجوم 11 سبتمبر، أو اشترك هو نفسه في الهجوم.

ثانيا: قالت نسبة سبعين في المائة أن الرئيس العراقي السابق صدام حسين لعب دورا مباشرة وشخصيا في هجوم 11 سبتمبر.

ثالثا: قالت نسبة اثنين وعشرين في المائة أن أسلحة الدمار الشامل كانت موجودة في العراق، وأنها، فعلا، استعملت ضد القوات الأمريكية هناك.

جزء كبير من الانحياز الإعلامي الأمريكي سببه القوات الأمريكية المسلحة التي وضعت خطة دعاية إعلامية مسبقة. مثل استضافة أكثر من ستمائة صحافي أمريكي كانوا يعيشون ويأكلون ويشربون مع الجنود أثناء الحرب. ومثل تعمد عدم الإشارة إلى القتلى والجرحي العراقيين خلال الحرب. ومثل استهداف مكتب تلفزيون "الجزيرة"، وقتل صحافي، وجرح آخرين. ومثل ضرب دبابات أمريكية لفندق "فلسطين" في بغداد الذي كان ينزل فيه صحفيون أمريكيون.

تحديث:

بعد عشر سنوات من بداية ما يسمى "الحرب ضد الإرهاب"، يظل جزء كبير من الإعلام الأمريكي ينحاز انحيازا واضحا، ومخجلا، ضد المسلمين (إن لم يكن ضد الإسلام).

في سنة 2011، فصل تلفزيون "سي إن إن" محررة كبيرة لشؤون الشرق الأوسط بعد أن نشرت رسالة في صفحتها في موقع "تويتر" عبرت فيها عن احترامها للمرجع إية الله محمد حسين فضل الله (الذي تصفه الحكومة الأمريكية بأنه إرهابي") عندما توفى.

كتبت أوكتافيا نصر، لبنانية مسيحية عملت في "سي إن إن" لعشرين سنة، على موقع "تويتر": "يحزنني سماع نبأ وفاة السيد محمد حسين فضل الله... أحد قادة حزب الله الذين أكن لهم احتراما كبيرا."

وقالت صحيفة "نيويورك تايمز" أن بعض أنصار إسرائيل رأوا هذه الرسالة فور نشرها. وانتقدوها. وأرسلوا شكاوي إلى رئاسة "سي إن إن" في أتلانتا (ولاية جورجيا).

وقالت "جي تي إيه" (وكالة الأخبار اليهودية): "احتجت منظمات يهودية لأن فضل الله لعب دورا كبيرا في تأسيس المنظمة الإرهابية، وفي شن هجمات على إسرائيل، وفي إنكار الهولوكوست." وبينما قالت منظمة "اي دي ال" (ضد الإساءة) اليهودية أنها اكتفت باعتذار نصر، طلبت منظمات أخرى فصلها.

وقالت باريسا خسرواي، نائبة رئيس قسم إعداد الأخبار في "سي إن إن" في مذكرة داخلية أنها "أجرت محادثة" مع نصر ، و "أننا قررنا أنها ستترك الشركة."

وقال متحدث باسم "سي إن إن" أن نصر "أخطأت في التصرف". وان "سي إن إن" "تأسف لأى إزعاج سببته رسالتها على موقع تويتر. هذا لا يتفق مع المعايير التحريرية. هذه مسألة خطيرة، وسيتم التعامل معها على هذا الأساس".

وأخيرا:

أحمد الله أنني أعمل مع مجلات وصحف عربية. في المرات القليلة التي كتبت فيها في صحف أميركية رئيسية (مثل "واشنطن بوست" و "إنترناشونال هيرالد تربيون")، وصلتني انتقادات شديدة، بعضها من ناس واضح إنهم يهود، أو مؤيدون لإسرائيل.

كتبت عن تخويف المسافرين في المطارات من "الإرهابيين". وعن الرعب الذي حل بالعرب والمسلمين في أمريكا. وعن ما تسمى "الحرب ضد الإرهاب". وانتقدت غزو العراق وغزو أفغانستان.

لا أدعي أي بطولة. فقط أريد أن أقول أن هناك ما تشبه حركة مخططة أو منسقة لكشف ومعاداة كل من يدافع عن العرب والمسلمين في جهاز إعلامي أميركي رئيسي.

في متحف الرقيق في ملووكي (ولاية ويسكونسون) :

تجارة الرقيق)



(اقرأ: عقدة اللون).

(اقرأ: استعلاء البيض) .

في سنة 1999، جئت إلى متحف الرقيق في مدينة ملووكي (ولاية ويسكونسن). جئت صدفة خلال زيارة لهذه المدينة المشهورة بمصانع البيرة. ومن أكبرها مصانع بيرة "كور"، ومصنع بيرة "ميلار". ليست صدفة هذه الشهرة لأنه، في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، هاجرت أعداد كبيرة من الألمان إلى هنا. واحضروا معهم شرابهم المفضل.

كانت الجولة على حساب اتحاد مصانع البيرة لصحافيين أجانب بهدف الدعاية.

وعرفت أن في المدينة متحف للرقيق، اسمه الرسمي هو "متحف الهولوكوست الأسود"، إشارة إلى متحف "هولوكوست" اليهودي في واشنطن العاصمة. لكن، الثاني مبنى عملاق بالقرب من الكونغرس، بينما الأول منزل صغير في حالة ليست ممتازة.

الذي فيه لا يسر شخصا مثلي يود لو أن الناس نسيت الماضي البغيض، وفتحت صفحة جديدة. خاصة في موضوع الرقيق، وخاصة لأن دولا كثيرة دنست ماضيها بهذه التجارة، لكنها أوقفتها، وتعمل على التكفير عنها.

لكن، يوجد عدد كبير من الزنوج الأمريكيين يرون أن تجارة الرقيق جزء من ماضيهم وتراثهم. وخطأ هذا الرأي هو أنه، ربما إلى الأبد، يدق إسفينا بين السود والبيض. يظل السود يذكرون البيض بماضيهم، ويظل البيض يعانون من عقدة الذنب.

توجد داخل المتحف بقايا سفينة من السفن التي كانت تنقل الرقيق. ومجموعات كبيرة من القيود التي كان يقيد بها الرقيق. ومراحيض منفصلة للرقيق. وقصاصات من صحف عن مزادات بيع وشراء الرقيق. وأغصان أشجار قيل إن بيضا كانوا يشنقون السود منها (يسمى هذا النوع من الشنق "لينشنق").

لم أبق كثيرا في المتحف. هذا متحف حزين. وفضلت ألا أناقش امرأة سوداء هي الوحيدة التي كانت تحرس المتحف الصغير. ماذا أقول لها: "أغلقوا هذا المتحف البغيض"؟

بعد زيارتي بعشر سنوات، أعيد تصميم المتحف. لكن، لا تزال اللافتة تقول أن الهدف هو تعليم الناس وتذكيرهم. لا اعرف عن "التعليم" بتجارة الرقيق، وأفضل لو أن "التذكير" اختفى. ولو أن المتحف نفسه اختفى.

هذا هو إحساسي كلما آمر بسيارتي، صباحا ومساء (بين منزلي في ضاحية "بيرك" في ولاية فرجينيا، ومكتبي في مبنى الصحافة الوطنى في واشنطن). يقع المبنى على نفس الشارع الرابع عشر الذي يقع عليه متحف "هولوكوست" اليهودي الحزين القاتم البغيض. تمنيت لو أن اليهود، أيضا، نسوا الماضي، وفتحوا صفحات جديدة مع كل الشعوب. لكني اعرف من القرآن الكريم أن قدر اليهود هو إثارة المشاكل والبغضاء.

خلفية تاريخية عن الرقيق:

رغم أن تجارة الرقيق ارتبطت بأفريقيا وبالسود، لم يكن الحال كذلك في الماضي البعيد. قانون حمورابي (أول قانون مكتوب) اعتبر تجارة الرقيق مثل تجارة المحاصيل. وقبله وبعده، أشارت الكتب السماوية إلى الرقيق. وتاجرت الإمبراطورية الرومانية في الرقيق، وغزت دول شرق أوروبا (الحالية) لجمع "السلاف." هذه الكلمة هي أصل اسم الشعوب السلافية الحالية. وهي أصل كلمة "سليف" (رقيق) في اللغة اللاتينية. بادرت فرنسا بعد الثورة (سنة 1789)، وأعلنت رفض تجارة الرقيق (لكن، كان إعلانا أكثر منه تنفيذا). ثم تبعتها بريطانيا.

بعد الحرب العالمية الأولى، فرق قانون دولي بين "رقيق رسمي" تعترف به الحكومة وتنظمه، و"رقيق اجتماعي" يملك فيه شخص آخرين. ومنع النوع الأول، وتساهل مع النوع الثاني. وبعد الحرب العالمية الثانية، حسمت الموضوع منظمة العمل الدولية عندما منعت كل "عمل إجباري" (ماعدا التجنيد العسكري، وتشغيل المسجونين).

لكن، ظهرت نظريات استعملت كلمة "رقيق" بمعانٍ أخرى:

أولا، وصف شيوعيون واشتراكيون رفض النظام الرأسمالي إعطاء العمال أجورا عادلة بأنه "رقيق اقتصادي."

ثانيا، وصف ليبراليون متطرفون إجبار حكومات لمواطنيها على دفع ضرائب بأنه "رقيق ضرائبي".

ثالثا، وصف معادون للحروب تجنيد حكومات لمواطنيها بأنه "رقيق عسكري".

رابعا، وصفت قائدات متطرفات في حركة تحرير المرأة سوء معاملة الرجال للنساء، واعتبارهن أجساما جنسية، بأنه "رقيق جنسي."

خامسا، دافعت مارجوري سبيغل، مديرة معهد الوعي بالأرض، ومؤلفة كتاب "مقارنة مخيفة: الرقيق البشري والرقيق الحيواني" عن الحيوانات. وقالت إن الناس تسترق حيوانات مثل الخيول والحمير. وأن الكلاب المنزلية "رقيق مميز".

تحرير الرقيق:

مثلما شهد التاريخ تجارة الرقيق وامتلاكهم واستعبادهم، شهد تحريرهم ومحاولات تحريرهم.

قادت الكتب السماوية حركة تحرير الرقيق. وقاد النبي موسى تحرير اليهود من عبودية فراعنة مصر، وقاد "سبارتاكوس" تمرد رقيق روما ضد الإمبراطورية الرومانية. وقاد على بن محمد تمرد زنج العراق ضد الخلافة العباسية. وقاد قطب الدين أيبك تمرد مماليك الهند ضد الحكم الغوري. وقاد عز الدين أيبك تمرد مماليك مصر ضد الحكم الأيوبي.

وقاد توساند كورفيشير تمرد رقيق هايتي (في البحر الكاريبي) ضد الحكم الفرنسي. وهزم قوات نابليون، وأسس أول دولة سوداء في الدنيا الجديدة.

سبق الفرنسيون البريطانيين بعشر سنوات في إلغاء تجارة الرقيق، وذلك بفضل الثورة الفرنسية (سنة 1789). وسبق الفرنسيون والبريطانيون الأميركيين الذين كانوا وضعوا الرقيق في دستورهم.

في سنة 1787 (بعد إحدى عشرة سنة من استقلال الولايات المتحدة، وقبل سنتين من الثورة الفرنسية) أجيز الدستور الأمريكي، وفيه كثير من المواد المتعلقة بالرقيق:

أولا: سمح باستمرار "استيراد" الرقيق.

ثانيا: منع أي تغيير لعشرين سنة في مواد الرقيق في الدستور.

ثالثا: منع تقديم مساعدة لأى رقيق هرب من سيده، ودعا إلى إعادته إلى سيده.

رابعا: حدد أن الرقيق "الحر" يساوي ثلاثة اخماس المواطن (في تعداد السكان، والانتخابات، والضرائب).

بعد وضع الدستور الأمريكي بخمسين سنة، عدل الأمريكيون دستورهم، وألغوا الرقيق. (بعد حرب أهلية قتلت أكثر من نصف مليون أميركي، من ولايات الجنوب التي مارست تجارة الرقيق، ومن جنود الحكومة الفدرالية بقيادة الرئيس أبراهام لنكولن، محرر العبيد).

تعويض الرقيق:

تأخر الأمريكيون في منع الرقيق، لكنهم كانوا أول من وضع قوانين لتعويض الرقيق.

في سنة 1865، أمر الجنرال وليام شيرمان، قائد القوات الفيدرالية الذي هزم ولايات الجنوب الكونفدرالية الانفصالية، بتحويل ملكية نصف مليون فدان قرب مدينة شارلستون (ولاية ساوث كارولينا) من الإقطاعيين إلى أربعين ألف رقيق أسود، بعد أن عتقوا.

في نفس الوقت، وفي أمريكا وفي بريطانيا، بدأت دعوات لتعويض الرقيق بإعادتهم إلى أفريقيا، وتأسيس دولة لهم. (فعلا، أسس الأميركيون ليبريا، وأسس البريطانيون سيراليون).

كانت هذه حركة حقًا أريد بها باطل. كان واضحا أن الهدف هو تخلص البريطانيين والأمريكيين من الزنوج. لكن، لم تكن دعوات العودة كلها عنصرية، وذلك لأن بعض الزنوج ناضلوا لتحقيق العودة. مثل زنوج حي هارلم في نيويورك الذين قادوا حركة "العودة أمنا إلى أفريقيا".

اعتذار أو أسف؟

بالإضافة إلى التعويض، ظهر موضوع الاعتذار.

لكن، اختلف الناس في معنى الاعتذار: هل هو مثل "أنا آسف"؟ هل يكفي هذا؟ متى يكون الأسف حقيقيا؟ ماذا عن تحمل المسؤولية؟ ألا يفتح تحمل المسؤولية الباب أمام المطالبة بتعويض؟ وماذا عن طلب المغفرة؟ هل يكون طلب المغفرة بديلا عن التعويض؟

في سنة 1995، ذهبت ملكة بريطانيا إلى الهند، وزارت أمريستار، حيث وقعت مذبحة قبل ذلك بمائة سنة تقريبا، عندما كانت الهند مستعمرة بريطانية. في المذبحة، قتل الجنود البريطانيون أربعمائة من متظاهرين هنود كانوا يطالبون بنهاية الاستعمار البريطاني. خلال زيارتها للمكان، لم تستعمل الملكة ا كلمة "أسف"، ولا كلمة "اعتذار". لكنها وقفت أمام قبور القتلي، وانحنت، ووضعت باقة زهور، وصمتت لدقيقة.

وفسرت الصحف البريطانية ذلك بأنه "طلب مغفرة"، وقالت : إن معناه عدم دفع تعويض.

وفي سنة 1998، زار بريطانيا إمبراطور اليابان إكيهيتو، وخاطب أسرى بريطانيين كانت اليابان اعتقلتهم، ثم أطلقت سراحهم، خلال الحرب العالمية الثانية. قال انه "آسف"، لكنه تحاشى استعمال كلمة "اعتذار"، وذلك خوفا من أن يستغلها أسرى الحرب، ويرفعون قضايا تعويض ضد السفارة اليابانية في بريطانيا.

وفي سنة 2001، زار البابا جون بول إسرائيل، ووقف أمام حائط المبكى، ووضع في جحر في الحائط صلاة مكتوبة طلب فيها المغفرة من اليهود على قرون وقرون من سوء معاملة الفاتيكان لهم.

لكن، لم يستعمل البابا كلمة "آسف" ولا كلمة "اعتذار". استعمل كلمة "حزن" على ما حدث، وطلب "مغفرتكم". وانتقد ذلك بعض اليهود. لكن، اعتبر الفاتيكان أن طلب المغفرة هو أعلى مراحل الاعتذار (بالإضافة إلى انه يلغي دفع أي تعويض مالي).

خبيرة أمريكية:

وقالت د. كارول سوين، سوداء، وأستاذة علوم سياسية في جامعة فاندربلت (في ولاية تنيسي)، ومؤلفة كتاب "الوطنية البيضاء الجديدة في أمريكا: أؤيد الاعتذار، وأعارض التعويض". وبنت معارضتها على الآتي:

أولا، "يحدد القانون سنوات المطالبة بالتعويض عن ضرر أو أذي لحق باي شخص. ولا يشمل تجارة الرقيق التي حدثت قبل مئات السنين."

ثانيا، "حتى، افتراضا، إذا لم يحدد القانون سنوات المقاضاة، لا يوجد شخص حي اليوم تاجر بالرقيق، ويمكن استدعاؤه للمثول أمام محكمة."

ثالثا، "حتى، افتراضا، إذا وجدنا شخصا حيا تاجر بالرقيق، يقدر على أن يقول أن تجارة الرقيق كانت قانونية، حتى ألغاها الدستور في التعديل الثالث عشر."

رابعا، "حتى، افتراضا، إذا وجدنا شخصا حيا تاجر بالرقيق، سنحتاج إلى من يثبت التهمة ضده. معنى ذلك إننا نحتاج إلى رقيق أحياء."

وقالت: "ليس مهما أن يكون اعتذارا أو أسفا. وليس المهم أن يكون داخل أمريكا أو خارجها. وليس مهما أن يكون وسط أحفاد الرقيق، أو وسط أحفاد تجار الرقيق. أهم شيء أن يكون الاعتذار رسميا." وفسرت ذلك بأنه يجب أن يكون قرارا من الكونقرس يوقع عليه رئيس الجمهورية.

لماذا؟

قالت إن الاعتذار، في هذه الحالة، سيكون باسم الشعب الأميركي، ولن يقدر شخص على أن يقول انه لم يشترك في تجارة الرقيق، أو إنه هاجر إلى أميركا مؤخرا. سيتساوى الذي يعتذرون بالذين يعتذر لهم.

وقالت: "ميزة الاعتذار الوطني من الكونقرس والبيت الأبيض هو انه سيكون ردا على ظلم وقع باسم الوطن. لن يجرم مثل هذا الاعتذار أي شخص. لكنه سيفتح صفحة جديدة في العلاقات بين أبناء الشعب الواحد."

اعتذار ولا اعتذار:

لكن، حتى سنة 2012، لم يصدر الكونقرس اعتذارا. ولا حتى بعد أن صار الرئيس باراك أوباما أول رئيس أمريكي أسود. ويبدو أن هناك خوفا حقيقيا بأن اي اعتذار رسمي من الكونقرس سيفتح الباب أمام السود ليطلبوا تعويضات مالية (خاصة في ظل أوباما رئيسا).

"اعتذر" الرئيس بيل كلنتون، ثم الرئيس جورج بوش الابن. ولكن، بطريقة معينة، ومتعمدة، ومخططة مسبقا:

أولا، في سنة 1997، اعتذر كلنتون، خلال جولة في أفريقيا، عن تجارة الرقيق، وعن دور الأمريكيين في نقلهم، وشرائهم، وبيعهم. لماذا اعتذر في أفريقيا وليس في أمريكا؟ لأنه خاف بأن أي اعتذار داخل أمريكا سيفتح الباب أمام السود (أحفاد الرقيق) ليطلبوا تعويضات من الحكومة الأمريكية.

ثانيا، في سنة 2004، أدان بوش الابن تجارة الرقيق عندما زار جزيرة "غوري" (ولاية ساوث كارولينا) التي كانت نقطة وصول الرقيق إلى أمريكا. ويعتقد أن كل سكانها في الوقت الحاضر أحفاد رقيق. لكن، لم يعتذر بوش. قال: "جعل الرقيق المسيحيين والمسيحيات يخرقون الكتاب المقدس، ويتحولون إلى منافقين." معنى هذا أن بوش كان يطلب المغفرة، لأنه تحدث في محتوى ديني.

إذا فسر كلام بوش بأنه "اعتذار"، كان اعتذارا شخصيا أكثر منه رسميا (خاصة لأن بوش يميل نحو إظهار عقيدته المسيحية). وإذا فسر بأنه "أسف"، لم يكن بوش أول رئيس يتأسف على تجارة الرقيق. تأسف قبله بسنتين الرئيس كلينتون، وتأسف قبلهما بأكثر من مائتي سنة الرئيس جون أدامز.

وأخيرا:

خلال سنواتي في الولايات المتحدة، دخلت في مناقشات كثيرة مع أميركيين سود حول ما اسميه "عقدة النقص" عندهم. اعتقد أنهم يجب ألا يكونوا مثل اليهود الذين يصممون على عدم نسيان ما حدث لهم من ظلم وقتل. والذين يرفعون شعار "ليست وي فورقيت" (حتى لا ننسى). اعتقد أن السود يجب أن يفتحوا صفحة جديدة مع البيض (خاصة بعد أن صار أوباما رئيسا).

مرة كتبت ذلك في صحيفة أميركية، وانتقدني، في صحيفة أخرى، ابني. قال إنني لا اعرف آثار الرقيق لأني لم أكن رقيقا، ولم يكن أبى أو جدي. وقال: إنه هو أيضا يريد تحسين العلاقات بين البيض والسود. لكنه يعطف على السود، ويفهم آراءهم ونفسياتهم.

اختلفنا لأنني أرى أن اللون يجب ألا يكون أساس هوية الناس (خاصة السود في أمريكا). وأن الإيمان يجب أن يكون. ولا بأس إذا كان إيمانا بالله. ولا باس إذا كان إيمانا باله القرآن الكريم.

واضح أن ابني لا يركز على التفسير الديني مثلي. أنا نفسي عندما كنت في عمره كنت مثله. الآن، ربما بسبب كبر سني. وربما بسبب توتري وترددي في دولة مسيحية عملاقة وقوية ومؤثرة.

لكن، الحمد الله أنني وصلت إلى هذه القناعة.

في جامعة (ويلسيان)، (ولاية كونيتيكات) : إسلاموفوبيا



(اقرأ: الخوف من الأجنبي) .

(اقرأ: اليهود) .

(اقرأ: اليمين المسيحي) .

في سنة 2004، جئت إلى جامعة "ويلسيان" في مدينة ميدلتاون (ولاية كونيتيكات). كنت زرت الولاية قبل ذلك بعشرين سنة تقريبا، وتجولت فيها بسيارة استأجرتها (انظر موضوع "أبو الحلم الأمريكي"). هذه المرة، كنت في زيارة إلى نيويورك، وهذه الولاية تجاورها. واستأجرت سيارة لهذه الجولة التي شملت هذه الجامعة.

جئت إلى هذه الجامعة لثلاثة أسباب:

أولا: فضول. كنت سمعت كثيرا عنها، وبأنها من أقدم الجامعات المخصصة للبنات فقط. وأنها جامعة "أرستقراطية"، وتخرجت منها هيلاري كلنتون (زوجة الرئيس بيل كلنتون، وكانت سناتورة، ثم أصبحت وزيرة خارجية).

ثانيا: خطأ. خلطت بين جامعة "ويلسيان" (هذه الجامعة) وكلية "ويلسلي" (في مدينة ويلسلي، في ولاية ماساجوستس، المجاورة لولاية كونيتيكات) وهي جامعة البنات "الأرستقراطية".

ثالثا: لإجراء مقابلة صحفية مع البروفسير بيتر غوتشوك، مؤلف كتاب "اسلاموفوبيا." صدر الكتاب في الوقت المناسب، بعد إعلان الرئيس بوش الابن ما سماها "الحرب ضد الإرهاب"، والتي صرت أؤمن بأنها حرب غير مباشرة ضد المسلمين، إن لم تكن ضد الإسلام.

عندما قابلت مؤلف الكتاب، وقبل أن نتحدث عن الكتاب، صحح معلوماتي بان الجامعة التي أنا فيها هي "ويلسيان يونيفيرسيتي" (الجامعة الويلسية). وليست "ويلسلي كولدج" (كلية ويلسلي).

جون ويلسي كان قسيسا أمريكيا، عاش في القرن الثامن عشر. وفي سنة استقلال الولايات المتحدة (سنة 1776))أسس مذهب "ميثوديست" المسيحي الذي يركز على أن الإيمان عمل بقدر ما هو عقيدة. ولهذا اشتهرت كليات وجامعات ومستشفيات تحت اسم "ميثوديست"، وأيضا تحت اسم "ويلسلي" و "ويلسيان".

الخوف والتخويف:

سالت بروفسير غوتشوك سؤالا طويلا كان مثل محاضرة، وفيه كثير من الحزن والغضب: "لماذا يخاف الأمريكيون من الإسلام والمسلمين؟ لماذا يخاف هذا الشعب العظيم، رائد الحرية في العالم، من أي شيء؟ لماذا تخاف أقوى دولة في التاريخ من أي شيء؟ حتى إذا قلنا: إن القوة ليست كل شيء، ألا يجب أن تكون الحرية أقوى سلاح ضد الخوف؟"

قال، كما كتب في الكتاب، أن السياسيين الأمريكيين، بقيادة الرئيس بوش، وبعد هجوم 11 سبتمبر، يتعمدون تخويف الأمريكيين لأكثر من سبب:

أولا: يخيفونهم (ويكسبون الأصوات في الانتخابات ضد الذين يقولون إنه لا يوجد خطر يستحق كل هذا الخوف).

ثانيا: يتعهدون بحمايتهم (ويكسبون الأصوات في الانتخابات ضد الذين لا يحمونهم حماية كافية، أو هكذا يصفونهم).

وقال غوتشوك أن الخوف النفسي تحول إلى خوف مؤسسات ووزارات:

أولا: تأسست "وزارة امن الوطن". حتى اسمها لا يشبه أمريكا، ويشبه دولة عسكرية أو دكتاتورية. وكان أول وزيرها هو مايكل شيرتوف، ابن حاخام يهودي. وكأن اليهود متخصصون في مواجهة الإسلام (أو يقدرون على المواجهة). هذه النقطة الأخيرة لم يقلها مباشرة بروفسيير غوتشوك، لكنه لمح لها (تأدبا، أو خوفا، أو الاثنين معا، مثل كثير من الأمريكيين).

ثانيا: أعلن الرئيس بوش "الحرب العالمية ضد الإرهاب". هذا هو اسمها الرسمي في موقع البنتاقون في الانترنت. والآن، يحتل العسكريون الأمريكيون دولتين إسلاميتين (العراق وأفغانستان)، ويهددون دولتين إسلاميتين (إيران وسوريا)، ويضربون من الجو دولتين إسلاميتين (باكستان والصومال).

ثالثا: توسعت أجهزة الاستخبارات حتى صارت حكومة داخل حكومة. بقواتها، وشرطتها، وطائراتها، وسجونها. وإذا لم تتدخل المحكمة العليا، كان سيكون لها جهازها القضائي الخاص بها.

إسلاموفوبيا:

كل هذا بسبب الخوف من الإسلام والمسلمين (إسلاموفوبيا).

وصار مؤسفا وحزينا أن اكبر دولة حرة في تاريخ العالم تعتدي على حريتها بسبب خوفها من الإسلام والمسلمين.

يقود السياسيون حملة التخويف، وينفذها العسكريون ووزارة امن الوطن، وتمولها وتستفيد منها شركات الأسلحة والتجسس، ويطبل لها الصحافيون. بقى أمل واحد: الأكاديميون. مؤخرا، بدأ أساتذة جامعات أمريكيون غير مسلمين يكتبون عن هذا الموضوع. ليس دفاعا عن الإسلام والمسلمين. ولكن لان "اسلاموفوبيا" ظاهرة تاريخية خطيرة. لا تهدد الإسلام (لان الإسلام لا يهدده شيء)، ولكنها تهدد هذه الدولة العظيمة. وتستحق البحث العلمي، بعيدا عن غوغاء السياسيين، وحروب العسكريين، ونشاطات الاستخباراتيين، وانحياز الصحافيين.

بروس لورنس:

بالإضافة إلى بروفسير غوتشوك، كتب أكاديميون كتبا عن الإسلام والمسلمين بعد هجوم 11 سبتمبر، منهم:

أولا: بروس لورنس، أستاذ أديان في جامعة ديوك (ولاية نورث كارولينا). من كتبه: "التعددية الإبراهيمية" و "القرآن: الكتاب الذي غير العالم" و "القرآن: تاريخ". وآخر كتبه: "مواجهة الكذبة: الإسلام." وقال فيه: "لم يفتح هجوم 11 سبتمبر عقول الأمريكيين على الإسلام، ليعرفوه ويدرسوه. بالعكس، هزهم الهجوم، وكأنه صعقة كهربائية أصابت كل أميركي. ولهذا، لم يكن غريبا أن نظرتهم للإسلام صارت إما خوفا، أو استهزاء."

ثانيا: سام كين، مؤلف كتاب "أوجه العدو". ورغم أنه كتب كتابه سنة 1991، صار، بعد هجوم 11 سبتمبر، مرجعا للذين يكتبون عن "إسلاموفوبيا" لأن من فصول كتابه: فن اختراع العدو، العدو الجديد، ما بعد العداوة، الكراهية، الدعاية، حروب الثقافات. جمع الكتاب أربعمائة ملصقة عن كراهية العدو، وعن استعمال أوصاف مثل: إرهابي، بربري، شيطان، شر، مغتصب، حشرة، جرثومة. وكتب: "الهدف هو تبرير القتل بدون شفقة، وبدون ندم."

ماهي إسلاموفوبيا؟:

في نفس الجامعة الوليسية، وتمهيدا لكتابه، قال بروفسير غوتشوك انه أجرى بحثا وسط الطلبة والطالبات عن "إسلاموفوبيا". أعطاهم أوراقا وأقلاما، وطلب منهم كتابة أول شيء يقفز إلى أذهانهم عندما يسمعون كلمة "إسلام." وهذه هي العشرة أشياء الأولى: أسامة بن لادن، هجوم، شريعة، انتحار، حجاب، القاعدة، إيران، السعودية، فلسطينيون، جهاد.

ثم سألهم: "لماذا كل هذه الأوصاف سلبية؟" وأجاب كثير منهم بأن "كل الأحداث والمشاكل لها صلة بالإسلام والمسلمين." وسألهم: "لماذا؟" وأجابوا بأن "هناك شيئا ما في دين الإسلام". وسألهم: "كيف عرفتهم هذا؟" وأجابوا بأن مصدرهم الرئيسي هو "الإعلام".

لهذا، انتقد بروفسير غوتشوك الإعلام الأمريكي لأنه:

أولا: يهتم بالحروب والمشاكل والإثارة.

ثانيا: لا يفرق بين العرب والمسلمين. ولا يقول أن ثلاثة أرباع المسلمين ليسوا عربا، ولا يعيشون في الشرق الأوسط، ولكن في: باكستان، الهند، بنغلاديش، اندونيسيا.

ثالثا: لا يقول أن في ثلاث دول إسلامية فازت نساء برئاسة الوزارة (تركيا، باكستان، بنغلاديش).

ليست مرضا نفسيا:

وسألت بروفسير غوتشوك سؤالا طويلا فيه حزن وغضب: "هل الاسلام وفوبيا خوف؟ أو قلق؟ هل هي مرض نفسي، مثل الخوف من الطيران؟ أو من السقوط من مكان عالٍ؟ أو من الأجانب؟"

وقال أنها ليست كذلك. لكنها "قلق اجتماعي نحو الإسلام والمسلمين. قلق لم ندرسه دراسة كافية. لكنه محفور في أعماقنا. ليس بسبب تجربة شخصية، مثل أن شابا أصيب بعدم الثقة في نفسه لان والده كان يسيء إليه. وليس مثل فتاة خجولة لان أمها ربتها لتكون مؤدبة جدا. ليس مثل الماضي الذي يؤثر على الحاضر."

وأضاف: "إسلاموفوبيا هي خليط من خوفين: من دين غريب، ومن شخص غريب." لكن، لا يقتصر خوف الأميركيين من الغريب على المسلمين.

مع زيادة موجات الهجرة إلى أمريكا، وخاصة من دول العالم الثالث، صار الأمريكي يخاف من ناس لا يحترمون قوانين المرور، ولا يلتزمون بقوانين الهجرة، ولا يدفعون الضرائب، ولا يقفون في صف منتظم ينتظرون دورهم، وليسوا مهذبين ومؤدبين. ولا يلبسون مثلهم، ولا يتكلمون مثلهم، ولا يتصرفون مثلهم.

ثقافة يهودية مسيحية:

وقال إن الخوف من الغريب يزيد عندما يكون مسلما. وحتى قبل أن يعرف الأمريكيون الإسلام، يعرفون أن الحضارة الغربية تقوم على ما يسمونها ثقافة "جودو كريستيان" (الثقافة اليهودية المسيحية). وان ما عداها غريب، وبعيد، وشرقي، وأهم من ذلك، خطا عقائدي.

وهكذا فرقوا بين "الثقافة الدينية الغربية" و "الثقافة الدينية الشرقية"، ووضعوا الإسلام في قائمة الأديان الشرقية، مثل الهندوسية والبوذية.

وبسبب جهلهم، لم يعرفوا حقيقتين:

الأولى: يعود أصل اليهودية والمسيحية إلى الشرق، وليس الغرب.

الثانية: تعود جذور الإسلام إلى نفس جذور اليهودية والمسيحية.

وسألت، وأنا اعرف الإجابة تقريبا: "ما دامت هناك غسلاموفوبيا، لماذا لا تكون هناك غربفوبيا؟ أو يهودفوبيا؟ أو مسيحوفوبيا؟"

وأجاب، كما توقعت، أن السبب الرئيسي هو أن المسلمين يقولون إنهم لا يخافون من اليهودية والمسيحية. لأن القرآن هو خاتم الكتب السماوية، ولأنه هو الكتاب، ولأن الدين عند الله الإسلام.

وأضفت أنا على إجابته: "إذا خاف المسلمون، يخافون من الدبابات والطائرات، والصواريخ الذكية وغير الذكية، والخراب والدمار، والموتى والجرحى. وعندما تصيبهم مصيبة، يقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون."

في عهد بوش:

وقال غوتشوك أن المسلمين في أميركا أيضا يدفعون الثمن، رغم أنهم أكثر المسلمين انفتاحا، وتحررا، وتسامحا. صاروا، في نظر الأمريكيين، طابورا خامسا. إما إرهابيون ينتظرون فرصة الهجوم، أو غير إرهابيين، لكن قلوبهم مع إخوانهم.

ورغم أن الرئيس بوش قال أن الإسلام ليس دينا إرهابيا، قال:

أولا: عندما غزت القوات الأمريكية أفغانستان، قال إنها بداية "كروسيد" (حملة صليبية). لكنه غير رأيه عندما أصاب الذعر مستشاريه، وقالوا له إن استعمال هذه الكلمة سيزيد غضب المسلمين.

ثانيا: عندما غزت القوات الأمريكية العراق، وحسب مذكرات الرئيس الفرنسي السابق شيراك، اتصل به بوش تلفونيا، وقال له إن الله آزره وآمره بالغزو.

دائرة مفرغة:

وقال غوتشوك أن احتلال دولتين إسلاميتين صار مرحلة جديدة من مراحل اسلاموفوبيا. وان هذا جزء من دائرة لا نهاية لها. كلما يشاهد المسلمون هذا الظلم عليهم، يقولون أنهم كانوا على حق عندما قالوا أن الحرب ضد الإرهاب ليست إلا حربا دينية.

وقال: "أقول لك بصراحة، ومع كل الاحترام: لا يحترم الأمريكيون المسلمين، ولا يثقون فيهم" .

واعترف اعترافا آخرا، وهو أنه، والذين يقولون مثل هذه الآراء، يواجهون حملة عنيفة وقاسية تتهمهم بأنهم "خونة"، أو تشك في وطنيتهم، أو في عقلانيتهم.

وقال إن مشكلة إسلاموفوبيا أكثر تعقيدا. الجزء الأكبر من الخوف خفي: يصعب الاعتراف به، ناهيك عن الحديث الخاص عنه، وناهيك عن الحديث العلني عنه.

وقال إن الأمريكيين، تأدبا، لا يقولون كل ما يحسون به، خاصة إذا كان سلبيا. وانه إذا كان هناك بصيص أمل، سيكون تغييرا بطيئا في رأي الأمريكيين خلال سنوات طويلة. وقال: "لا تنس أن الأمريكيين كانوا يمارسون تجارة الرقيق. وكانوا يكرهون اليهود (علانية). وكانوا يضطهدون المرأة."

وخرجت منه مع بعض الطمأنينة والأمل، لكن يظل يغلب على الغضب والحزن: لماذا يخاف أعظم شعب في العالم، وقائد الحرية، وسيد الديمقراطية، من الإسلام والمسلمين.

أم هل يجب أن أعرف أنا الإجابة؟

في قصر (بلتمور) ، أشفيل (ولاية نورث كارولينا) :

رأسماليون أوائل



(اقرأ: الحلم الأمريكي) .

(اقرأ: أبو الفكر الرأسمالي) .

(اقرأ: أبو الفكر الاشتراكي) .

في سنة 1998، جئت مع زوجتي وبدون الأولاد، إلى هنا، إلى قصر "بلتمور" بالقرب من مدينة اشفيل (ولاية نورث كارولينا).

كل سنة تقريبا، كنا نقضى إجازة الصيف مع الأولاد في مدينة "بون" الصغيرة (نفس ولاية نورث كارولينا، على مسافة مائة ميل تقريبا من القصر). في شاليه والدتي زوجتي، شاليه صيفي صغير وأنيق، وفوق جبال عالية، ويطل على وادي جميل، وأعتبره أجمل من شاليهات سويسرا المشهورة.

ويوما، قالت لنا والدة زوجتي: "تذكرا أن عيد زواجكما سيأتي بعد أيام قليلة. تحتاجان إلى إجازة قصيرة بدون الأولاد. اذهبا إلى قصر "بلتمور"، وزورا المنطقة ليومين أو ثلاثة أيام. وأنا سأراقب الأولاد. إذا لن تقضيا وقتا جميلا، على الأقل

ستكونا ارتحتما قليلا من هوس الأولاد."

لهذا القصر مكانة خاصة عند الأمريكيين. هو أكبر قصر في أمريكا، بناه، مع نهاية القرن التاسع عشر، جورج فاندربلت، واحد من أغنى أغنياء أمريكا في ذلك الوقت.

بنى القصر على الطراز الفرنسي، وبه 250 غرفة، وتحيط به حديقة عملاقة فيها أنواع كثيرة من المحاصيل، والعنب، والأشجار، والزهور. بالإضافة إلى فيلات للزوار، وكنيسة صغيرة، ومنازل الخدم والمزارعين والعمال.

قرية كاملة وكأنها في ريف فرنسا. وطبعا، هناك النبيذ الذي ينتج محليا.

خلفية تاريخية:

خلال العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر، مرت الولايات المتحدة بما يسمى "قيلدد أيدج" (العصر المذهب). سمي "مذهبًا" وليس "ذهبيا" لأنه كان عصر ثراء تفاخري وفاحش. قادته عائلات أرستقراطية، أو شبه أرستقراطية.

أثرت بسبب اختراعات مثل القطار، والسفن البخارية. وسيطرت على السياسيين والحكام. وكان الفساد كثيرا.

هناك فرق كبير بين أثرياء نهاية القرن التاسع عشر (مثل فاندربيلت) وأثرياء نهاية القرن العشرين (مثل بيل غيتز، ووارين بوفيت). بين أثرياء القطارات والسفن البخارية، وبين أثرياء الكمبيوتر والإنترنت.

شهدت المائة سنة بين المجموعتين إصلاحات اقتصادية، وسياسية، وفكرية، وثقافية. وظهرت نقابات العمال، ونالت المرأة حق الترشيح والتصويت، ونشر الرئيس وودرو ويلسون مبادئ حقوق الإنسان الاثني عشر، وانتهت قوانين التفرقة العنصرية.

لكن، الأثرياء القدامى، رغم فسادهم وترفهم، هم الذين أسسوا الرأسمالية الأمريكية كما نراها اليوم. قبلهم بمائة سنة، لم تكن الولايات المتحدة دولة مستقرة كما هي اليوم. كانت نالت الاستقلال حديثا، بعد حرب طويلة. ثم انشغلت بحروب داخلية وخارجية، ولم تكن توسعت، وكانت تتكون من نصف ولايات اليوم.

وبالنسبة لعائلة فاندربيلت، بدا ثراؤها خلال الحرب الأهلية (بين الحكومة المركزية وولايات الجنوب الانفصالية التي رفضت وقف تجارة الرقيق، والتي انهزمت سنة 1862). خلال الحرب الأهلية، وقعت العائلة عقودا مع وزارة الدفاع الأمريكية لبناء سفن بخارية وقطارات بخارية (كانت الطاقة البخارية اكتشفت في منتصف القرن التاسع عشر). وبعد نهاية الحرب الأهلية، كافأت الحكومة العائلة لأنها رفضت مساعدة الولايات الانفصالية. وساعدت شركات العائلة فى التوسعات نحو الغرب وهزيمة الهنود الحمر، وذلك ببناء خطوط حديدية، وكباري وناقلات.

ومما تركت العائلة: جامعة فاندربيلت في ناشفيل (ولاية تنيسي)، وهذا القصر في أشفيل (ولاية نورث كارولينا).

عائلة روكفلر:

خلال نفس تلك الفترة، كانت هناك عائلات أرستقراطية أو شبه ارستقراطية أخرى. مثل عائلة جون روكلفر الكبير. وإذا كانت عائلة فاندربيلت أثرت من القطارات والسفن البخارية، أثرت عائلة روكفلر من البترول.

ولد روكفلر في نيويوك سنة 1839، وعاش لمائة سنة تقريبا، وأسس شركة "ستاندارد أويل". لكن، مثل غيره من الرأسماليين، كان يريد أن يحتكر كل شيء له صلة بتجارته، تجارة البترول: التنقيب عنه، وتصفيته، وتوزيعه.

وفعلا احتكر كل هذا لنصف قرن تقريبا. حتى اضطرت الحكومة لإصدار قانون يمنع الاحتكار، ورفع روكفلر قضايا ضد الحكومة، واستأنف مرات ومرات، لكن المحكمة العليا حسمتها (سنة 1911) لصالح الحكومة.

بعد قرار المحكمة العليا، قسم روكلفر شركاته إلى 34 شركة، حسب الولايات التي كانت فيها، ومن أهمها: فرع ولاية نيوجيرسي صار شركة "أكسون"، وفرع ولاية نيويورك صار شركة "موبيل"، وفرع ولاية كليفورنيا صار شركة"شفرون"، وفرع ولاية تكساس صار شركة "أكسون"، وفرع ولاية انديانا صار شركة "أموكو"، وفرع ولاية كولورادو صار شركة "كونوكو"، وفرع ولاية أوهايو صار شركة "ماراثون".

الآن، بعد مائة سنة، ها هي عائلة روكفلر وقد تشعبت، ودخلت مجالات غير البترول. مثل السياسة (السناتور جاي روكفلر، من ولاية ويست فرجينيا). ومثل المال (ديفيد روكفلر، رئيس بنك "جيس"). ومثل التعليم (جامعة روكفلر). ومثل عمل الخير (مؤسسة روكفلر).

عائلة كارنقي:

قبل ولادة جون روكفلر بأربع سنوات (سنة 1835)، ولد أندرو كارنقي الذي عاش لخمس وثمانين سنة، بعد أن أسس واحدا من أعمدة الرأسمالية الأمريكية: صناعة الصلب. ومثل فاندربيلت وروكفلر، خلط كارنقي بين الرأسمالية والطمع. وحاول احتكار كل شيء له صلة بالصلب. وواجه أول نقابة لعمال الصلب. وعندما اضربوا، استأجر شرطة خاصة لتفريق مظاهراتهم. وفي يوم واحد، قتل ثمانية من المتظاهرين والشرطة.

وواجه فاندربيلت الحكومة التي حاولت القضاء على احتكاره. كان يريد:

أولا، الجمع بين مناجم الحديد ومناجم الفحم (يحول الفحم الحديد إلى صلب).

ثانيا، السيطرة على شركات السكك الحديدية والبواخر النهرية (التي كانت تعتمد على الصلب من مصانعه).

لكن، انتصرت عليه الحكومة الأمريكية في سلسلة قضايا، وصل بعضها إلى المحكمة العليا.

عندما توفي، كان ثاني أغنى رجل في أميركا بعد جون روكفلر. ورغم أنه هوجم كثيرا لأنه كان مناكفا، ومناورا، ومخادعا في نشاطاته التجارية، تبرع تبرعات كثيرة لمؤسسات تعليمية وثقافية. ومما ترك: جامعة كارنقي ميلون في بتسبيرج (ولاية بنسلفانيا)، وقاعة كارنقي للموسيقى في نيويورك، ومعهد كارنقي للسياسة الخارجية في واشنطن العاصمة.

وكتب جوزيف وول، مؤلف قصة حياته: "ربما تبرع بكل هذه الأموال ليبرر طريقة جمع هذه الأموال."

عائلة ميلون

قبل ولادة كارنقي باثنتين وعشرين سنة (في سنة 1813)، ولد توماس ميلون. نجح فاندربيلت في مجال السكة الحديد، ونجح كارنقي في مجال الصلب، ونجح روكفلر في مجال البترول. ونجح ميلون في مجال البنوك.

كتب ميلون في كتاب مذكراته: "كان عمري عشر سنوات عندما رأيت قصر جيكوب نيقلي (ثري يهودي في ولاية بنسلفانيا). وصممت على أكون ثريا مثله." وفعلا، عندما بلغ عمره أربعين سنة، أسس "بنك ميلون"، وزادت ثروته على ثروة نيغلي، وبنى بيتا أكبر من بيته (وتزوج بنته "سارة").

رغم المنافسات بين هؤلاء الرأسماليين، عرفوا متى يتعاونون مع بعضهم البعض:

مثلا: كانت هناك صلة قوية بين آل كارنقي وآل روكفلر (جمعهما رودلف ديزل الذي اخترع، سنة 1895، ماكينة الديزل التي اعتمدت على بترول روكفلر لتدفع قطارات كارنقي).

مثلا: كانت هناك صلة قوية بين آل كارنقي وآل ميلون (الاثنين من ولاية بنسلفانيا، وحفظت البنوك أموال شركات الصلب، وقدمت لها قروضا).

ترك ميلون ثمانية أولاد وبنات، أشهرهم اندرو ميلون، الذي كان وزير خزانة لاحدى عشرة سنة، في إدارة الرئيس هاردنق. ثم في إدارة الرئيس هوفر (عندما وقع الانهيار الاقتصادي الكبير سنة 1929).

ولم تكن سمعته جيدة، وذلك بسبب ما عرف ذلك الوقت ب "سلسلة فضائح ميلون":

أولا: خرج من الوزارة منهزما، لأن كثيرا من السياسيين والخبراء حملوه مسؤولية الانهيار الاقتصادي.

ثانيا: ثم حققت معه حكومة الرئيس روزفلت (الذي خلف الرئيس هوفر، وبدا يعمل على مواجهة الانهيار الاقتصادي) بتهمة الفساد. وقالت إنه لم يدفع كل الضرائب المستحقة عليه (رغم انه كان المسؤول الأول في البلاد عن جمع الضرائب).

ثالثا: استغل منصبه وزيرا للخزانة لمساعدة بنك العائلة، "بنك ميلون" بطرق غير قانونية. لكنه، مع ذلك، ترك جامعة ميلون (في ولاية بنسلفانيا)، و"بنك ميلون"، وبنى واحدا من أكبر المتاحف في واشنطن العاصمة: متحف اللوحات الفنية (التابع لمجموعة متاحف سميثونيان).

عائلة فورد:

كان هنري فورد أصغر العمالقة الرأسماليين في ذلك الوقت (ولد سنة 1863). كان الوحيد وسطهم الذي ولد بعد نهاية الحرب الأهلية. لكنه، مثلهم، استفاد من حالة الاستقرار، ووحدة الوطن، وروح التفاؤل بعد نهاية الحرب. ومع بداية القرن العشرين، نافسهم كواحد من أغنى أغنياء أمريكا.

بدأ فورد حياته العملية عاملا في مصنع شركة "ويستنقهاوس" للماكينات التي تعمل بالبخار (أحدث تكنولوجيا في ذلك الوقت). وبعد عشر سنوات، اخترع الماكينة التي تعمل بالبنزين. وبعد عشر سنوات أخرى (سنة 1896) اخترع أول سيارة تستعمل البنزين.

وسار على خطا رجلين سبقاه في هذا المجال: كارل بنز (مؤسس شركة سيارات "مرسيدس بنز") و راندسوم أولدز (مؤسس شركة سيارات "أولدزموبيل").

عكس ميلون، ومثل كارنقي، كان فورد يميل نحو الليبرالية. وكتب نظرية "الرأسمالية الإصلاحية". وهز العالم عندما أعلن، خلال الحرب العالمية الأولى، أن أجر العامل في مصانع سياراته سيكون خمسة دولارات في الساعة (مثل خمسين من دولارات اليوم). وحدد ساعات العمل بثمانية في اليوم، وأيام العمل بخمسة في الأسبوع. وهكذا، استطاع أن يتعايش مع نقابات العمال.

لكن، واجه آل فورد نصيبهم من المشاكل. اختلفوا بعد تقاعد هنري، وتولي ابنه إدسال إدارة الشركة. وبعد وفاة إدسال، نصبت أرملته ابنها هنري الثاني مديرا. واغضب هذا هنري الكبير، فعاد لإدارة شركته وكان عمره ثمانين سنة. ثم تشاجر الحفيد إدسال الثاني مع الحفيد هنري الثالث. وحتى الوقت الحاضر، يرأس الشركة واحد من آل فورد، لكنه يتعارك مع أقربائه ومع غيرهم.

واشتهر فورد الكبير، ليس فقط بصناعة السيارات، ولكن، أيضا، بعداء شديد ضد اليهود. وكتب عنهم أربعة كتب عملاقة تحت عنوان: "إنترناشونال جو: ويرلد بروبليم" (اليهودي العالمي: مشكلة دولية).. وحملهم مسؤولية الفساد الاقتصادي العالمي،

خاصة خلال العشر سنوات بين الحرب العالمية الأولى (انتهت سنة 1919) والانهيار الاقتصادي الكبير (سنة 1929).

وكان تنبأ بالانهيار الاقتصادي، بسبب ما قال أنها سيطرة اليهود على البنوك والشركات. وقال أنهم، في سبيل جمع المال، لا يضعون اعتبارات للحدود بين الدول وللقوانين الدولية (لهذا سمى سلسلة كتبه "اليهودي العالمي".

وأيضا، أصدر فورد الكبير صحيفة "ديربورن إنديبندانت" (ديربورن، في ولاية ميشيقان، هي مركز مصانع فورد للسيارات). وتخصصت الصحيفة في الهجوم على اليهود. (نشرت الصحيفة "بروتوكولات حكماء صهيون"). وربما لم تكن صدفة أن ديربورن فيها الآن أكبر جالية عربية في الولايات المتحدة. وكانت أعداد كبيرة من العرب هاجرت للعمل في مصانع سيارات فورد هناك. وربما كراهية في اليهود، رحب بهم فورد، وساعدهم.

وترك فورد الكبير "مؤسسة فورد" التي لا تعتبر فقط واحدة من أكبر المؤسسات الخيرية في العالم، ولكن، أيضا، من أكثرها ليبرالية.

تحديث:

في سنة 2012، وبعد عشر سنوات من بداية القرن الحادي والعشرين، صارت في الإمكان مقارنة الأثرياء الجدد مع الأثرياء القدامى:

أولا: أثرى الأوائل بسبب الصناعات التقليدية (بترول، قطارات، سفن، سيارات). لكن، أثرى الجدد بسبب التكنولوجيا. وصار بيل قيتز، مؤسس شركة "مايكروسوفت" للكمبيوتر، أغنى رجل، ليس فقط في أمريكا، ولكن في كل العالم.

ثانيا: كان الأوائل ينتمون إلى عائلات أرستقراطية، أو شبه أرستقراطية. لكن، ينتمي الأثرياء الجدد إلى عائلات الطبقة الوسطى. واخترع قيتز الكمبيوتر الشخصي في جراج منزل والده، وليس في قصر مثل "قصر فاندربيلت".

ثالثا: أسس الأوائل مؤسسات خيرية وجامعات أمريكية. لكن، ركز الأثرياء الجدد على أعمال خيرية عملاقة وعبر العالم. حتى الآن، صرف قيتز أكثر من عشرة بلايين دولار لمحاربة أمراض الإيدز والملاريا والسل الرئوي في إفريقيا، ولمساعدة طلاب محتاجين في مدارس أمريكية.

وأخيرا:

ربما لا يجب الشك في نوايا رجال الأعمال الذين يقومون بعمل الخير، سواء الأوائل أو الجدد. لكن شكك فلاسفة عبر التاريخ في هذه النوايا. مثل الألماني فردريك نيتشه (القرن التاسع عشر) الذي كتب: "ليس لعمل الخير صلة بالإيمان بالله، أو بعدم الإيمان بالله. يساعد الأغنياء المحتاجين ليبقوا أغنياء، وليبقى المحتاجون محتاجين."

حتى قيتز لا يمكن اعتباره "رأسماليا نزيها". في سنة 2005، حققت معه وزارة العدل بسبب اتهامات لاحتكار كل شيء له صلة بالكمبيوتر.

ولا يزال الاتحاد الأوروبي (وهو، والحمد لله، أكثر تشددا مع الرأسماليين المتطرفين من الولايات المتحدة) يحقق معه ومع غيره.

وتبقي الأسئلة:

هل هناك علاقة بين طمع الأغنياء، وتبرعهم لأعمال الخير؟

هل أعمالهم الخيرية حبا في الخير، أو حبا في أنفسهم؟

هل هناك عقدة ذنب بسبب ماضيهم الذي ربما لا يخلو من فساد، وظلم، وخروق للقوانين؟

في جامعة كولومبيا (نيويورك) :

إدوارد سعيد المناضل



(اقرأ: فؤاد عجمي، المهرول)

(اقرأ:عملاء أمريكا)

خلال عشرين سنة تقريبا (منذ أن جئت إلى واشنطن صحافيا سنة 1980) ومرات كثيرة، قابلت إدوارد سعيد، الأستاذ في جامعة كولومبيا (نيويورك)، قائد المثقفين الأمريكيين العرب.

وقابلت أيضا المثقف الأمريكي العربي الثاني بعده في الأهمية: إبراهيم أبو لغد، الأستاذ في جامعة نورث ويستيرن (ولاية الლينوي، قرب شيكاغو).

وكنت قابلت الاثنين، أول مرة، سنة 1981، بعد سنة من حضوري إلى واشنطن، في مؤتمر منظمة العرب خريجي الجامعات الأميركية قرب جامعة هارفارد (ولاية ماساجوستس).

خلفية تاريخية:

في سنة 1929، ولد أبو لغد في يافا (خلال الاحتلال البريطاني). وفي سنة 2001، توفى في رام الله، ودفن هناك (لا في يافا).

وولد سعيد في القدس سنة 1935 (خلال الاحتلال البريطاني أيضا). وتربي في مصر. ثم هاجر إلى أمريكا، وتوفي فيها سنة 2003. وحسب وصيته، دفن رماد جثمانه في لبنان (والدته، مريم، فلسطينية مسيحية. ولدت في الناصرة، مثل زوجها، وديع سعيد. بعد وفاة زوجها، انتقلت إلى لبنان لأن والدتها كانت لبنانية).

ولد سعيد بعد أبو لغد بست سنوات، وتوفي بعده بسنتين.

هاجرا إلى أميركا في الخمسينات. درس الأول في جامعة برنستون، ثم نال الدكتوراه من جامعة هارفارد. ودرس الثاني في جامعة الليوني، ثم نال الدكتوراه من جامعة برنستون. وبينما كان الأول أستاذا في جامعة كولمبيا لأربعين سنة، كان الثاني أستاذا في جامعة الليوني لقرابة أربعين سنة.

غير أن سعيد كان يقول دائما أن أبو الغد هو أستاذه (رغم عدم وجود فرق كبير في السن). وأنه ملهم نضاله الفلسطيني والعربي (رغم أن الاثنين اشتركا في النضال). وعندما توفي أبو اللغد، قال إدوارد سعيد: "إنه الأكاديمي والمثقف الفلسطيني الأول."

وقال رشيد الخالدي (أكبرهما سنا، لكنه تعلم في بريطانيا، وقضى ثلاثين سنة أستاذا في الجامعة الأمريكية في بيروت): "كان أبو الغد من أوائل الأمريكيين العرب الذين حاولوا تغيير المفاهيم الأمريكية الخاطئة عن فلسطين."

وقالت دبورا فيرنر، تلميذة أبو لغد، ثم أستاذة مثله معه: "تحدي فهم الأمريكيين لفلسطين، وشرح الوضع الأمريكي للفلسطينيين مثلما لم يشرحه شخص قبله."

لهذا، ربما كان سعيد صائبا عندما أعطى أولوية النضال لأبي لغد.

أرستقراطي وشعبي:

انتمى سعيد لعائلة أرستقراطية في القدس. وكان والده رجل أعمال ناجح، وهاجر إلى أمريكا، ونال الجنسية الأمريكية، ثم، بعد تأسيس إسرائيل (سنة 1947)، نقل العائلة إلى مصر. درس الابن أولا في كلية فكتوريا "الأرستقراطية" في الإسكندرية (كان زميله مايكل شلهوب، الذي صار الممثل المصري عمر الشريف). ثم سهل الوالد لابنه السفر إلى أمريكا لمواصلة دراسته.

في الجانب الآخر، كان والد أبو لغد عاملا بسيطا في يافا. ومنذ المدرسة المتوسطة، اشترك الصبي في المظاهرات ضد الاحتلال البريطاني (الذي كان يمهد لإعطاء فلسطين لليهود) بل اشترك في مظاهرات ضد أوائل المستوطنين اليهود.

مع اقتراب تأسيس إسرائيل، تركت العائلة المنزل، ويافا، وهربت إلى لبنان. لكن، بقى الصبي شهورا، يتظاهر ضد البريطانيين، وضد اليهود. وعندما ترك يافا، تركها في آخر سفينة تغادرها (السفينة "برنس الكساندر") قبل عشر أيام فقط من تأسيس إسرائيل.

وبينما جاء سعيد إلى أميركا لدخول مدرسة خاصة (وكان حصل على الجنسية الأمريكية من والده)، جاء أبو اللغد لاجئا. ولم ينل الجنسية الأمريكية إلا بعد عشرين سنة.

وبينما كان سعيد مسيحيا، مثل والديه، كان أبو الغد مسلما من عائلة مسلمة متدينة. وكتب أبو الغد كثيرا عن الإسلام في أفريقيا، وعن الطرق الصوفية. غير أن سعيد كتب ايضا كتاب: "تغطية الإعلام الأمريكي للإسلام"، وانتقد التغطية، وكان ذلك قبل هجوم 11 سبتمبر بسنوات كثيرة. وبعد الهجوم، كان من قادة الذين انتقدوا ما تسمى "الحرب ضد الإرهاب" التي أعلنها الرئيس السابق بوش الابن.

غير أن الدين لم يكن مجال تركيز سعيد وأبو لغد. ركزا على الوطنية الفلسطينية والقومية العربية.

بعد سنة من هزيمة العرب أمام إسرائيل في حرب سنة 1967، أسسا جمعية خريجي الجامعات الأمريكية العرب (اي اي يو جي). وبعد عشر سنوات، أسسا "أراب ستاديز كوارتارلي" (دورية الدراسات العربية). وأصدر سعيد كتاب "أورينتاليزم" (الاستشراق)، ربما أول كتاب عربي ينتقد المستشرقين الغربيين ويهز المثقفين الغربيين.

في ذلك الوقت، دخل سعيد وأبو لغد المجلس الوطني الفلسطيني. وبعد ذلك بعشر سنوات تقريبا (سنة 1988)، قابلا جورج شولتز، وزير الخارجية الأمريكية في عهد الرئيس رونالد ريقان، احتجاجا على غزو إسرائيل للبنان، بضوء أخضر من الرئيس ريقان. وكانت تلك أول مرة يظهر فيها الفلسطينيان في نشاط سياسي هام في واشنطن.

تنازلات سعيد وأبو الغد:

في سنة 2001، عندما توفى أبو الغد، كتب سعيد عن تلك المقابلة: "قلنا لشولتز إن الشعب الفلسطيني مستعد ليعيش في سلام مع إسرائيل، إذا ضمن له حق تقرير مصيره في خطة سلام (أمريكية) للشرق الأوسط." وأضاف: "قلنا أن هناك إمكانية تقسيم فلسطين التاريخية بين الجانبين."

لكن، كان واضحا أن هذا الرأي "أميركي" أكثر منه "فلسطينيًا". واتهمت قيادات فلسطينية الرجلين بأنهما "باعا القضية". كانت هذه قيادات معتدلة وسلمية، ناهيك عن القيادات العسكرية المتطرفة التي كانت تخطف الطائرات وتقسم بإزالة إسرائيل، والتي اعتبرت سعيد وأبو الغد "فلسطينيين خائنين."

في سنة 1991، استقال الاثنان من المجلس الوطني الفلسطيني بعد أن كانا عضوين فيه لخمس عشرة سنة تقريبا. اعترضا على مفاوضات اتفاقية أوسلو (التي، في سنة 1993، أسست السلطة الفلسطينية الحالية). وقالا إنها لن تقود إلى دولة فلسطينية.

لكن، كان واضحا أن هناك اختلافات جذرية بين آرائهما، وهما الأمريكيان، وأغلبية الشعب الفلسطيني في فلسطين وغيرها.

في نفس سنة 1991، لأن أبو الغد كان يحمل الجنسية الأمريكية، سمحت له إسرائيل بان يعود إلى وطنه، لأول مرة منذ أن غادره قبل أكثر من خمسين سنة. وبعد تلك العودة، قرر أن يستقر في فلسطين، أستاذا في جامعة بيرزيت. وكتب: "يجب أن يعتمد الفلسطينيون، أولا، على خبراء وأساتذة جامعات فلسطينيين. ويجب تخريج هؤلاء من جامعات فلسطينية."

في نفس تلك الفترة، عاد سعيد أيضا إلى فلسطين لأول مرة. ثم عاد إلى أمريكا، وكتب أن المستوطنات اليهودية غيرت فلسطين الضفة وغزة. وكتب عن "الأمر الواقع". ودعا إلى حل دولتين: يهودية، وفلسطينية.

لكن، انتقده فلسطينيون، وقالوا إنه ناقض نفسه:

أولا: استقال من المجلس الوطني الفلسطيني احتجاجا على موافقة الزعيم الفلسطيني ياسر عرفات على الحكم الذاتي للفلسطينيين تحت الاحتلال الإسرائيلي. لكن، "يمكن أن يكون الحكم خطوة نحو الحلم" (كما كتب فلسطيني). يكون الحكم الذاتي خطوة نحو الدولة الفلسطينية.

ثانيا: تنازل سعيد عن شعار "فلسطين من النهر إلى البحر" (طرد اليهود). وتنازل حتى عن شعار "دولة ديمقراطية في فلسطين" (التعايش مع اليهود). ، وقبل "حل الدولتين". لكنه أنكر على عرفات أن يتنازل أيضا.

ثالثا: سهل على سعيد أن يقول ما قال وهو يعيش في أمريكا، في "حي راقٍ، في جامعة راقية". لكن، عرفات عاش في المنافي، من بلد إلى بلد، وكان يحمل مسدسه في جيبه.

مشكلة الهوية:

مثل سعيد، خلط أبو الغد بين الهويتين الأميركية والفلسطينية. قال أبو الغد: إنه "أمريكي فلسطيني" أو "أمريكي من أصل فلسطيني." لكن، قال سعيد: إنه "فلسطيني أمريكي" وليس "أمريكيا فلسطينيا"، وقال: إن الوصف الأول يغلب هويته الفلسطينية على هويته الأمريكية.

ربما كانت، أو لم تكن، هناك صلات مباشرة بين الهوية والزواج في حالة الرجلين. تزوج سعيد عربية، اللبنانية مريم قرطاس (أنجب منها وديع، اسم والده، ونجلاء)، وقضى معها كل حياته، حتى وفاته.

في الجانب الآخر، تزوج أبو لغد أميركية، جانيت (أنجب منها: ليا، مريم، دينا، جواد). وحسب تقرير كتبته الأمريكية فيليس شيسلار في مجلة "أمريكان ثنكار" (المفكر الأمريكي) جانيت يهودية، واسمها الأصلي هو جانيت ليبمان. تزوجا سنة 1951 (كان عمره 22 سنة، وعمرها 23 سنة).

طلق أبو الغد زوجته الأمريكية في نفس سنة 1991 التي عاد فيها إلى فلسطين. بعد زواج أربعين سنة.

لم يكتب عن الطلاق، ولا عن علاقة بين الطلاق والعودة. لكن:

أولا: قال ناس: إنها رفضت أن تترك أمريكا بعد أن كبرت في السن. وتفضل أن تموت وتدفن في أمريكا.

ثانيا: قال ناس: إنها رفضت ترك وظيفتها كأستاذة جامعية مشهورة، تطوف حول العالم، وتكتب عن المدن الكبيرة. وإذا انتقلت إلى رام الله، لن تجد حرية الحركة، ولن تقدر على الاستمرار في تخصصها.

ثالثا: قال ناس: إن علاقتهما كانت متوترة لسنوات بحكم الفارق الثقافي بين الصبي الفلسطيني الشعبي، والأمريكية الأستاذة الجامعية.

رابعا: قال ناس: إنه الاختلاف (وربما الخلاف) الأساسي بين المسلم واليهودية.

على أي حال، سارت بنتهما، دينا أبو الغد، على خطا والديها، وصارت أستاذة جامعية تهتم بالمواضيع العربية، وهي الآن أستاذة في جامعة كولمبيا (جامعة إدوارد سعيد).

وسارت نجلاء، بنت ادوارد سعيد، على خطا والدها في الاهتمام بالقضية الفلسطينية. وهي الآن تعمل في فرقة "نبراس" العربية في نيويورك، وهي فرقة تقدم مسرحيات فلسطينية. وتريد أن تنتج أول فيلم أمريكي فلسطيني.

عودة والدي:

في سنة 2001، بعد عودة أبو الغد إلى فلسطين بعشر سنوات، كتبت دينا أبو الغد، موضوع: "عودة والدي إلى فلسطين." وهذه مقتطفات منه:

"في نهاية الثمانينات، عندما بلغ عمر والدي ستين سنة تقريبا، عرفت أنه ينوى العودة فلسطين. كان ذلك يوم دخلت شقته، ووجدت أنه علق على الحائط ملصقا كبيرا: صورة يافا سنة 1936 ...

اعتقد أن والدي قرر العودة إلى فلسطين بعد الانتفاضة الأولي، قبل ذلك بعشر سنوات تقريبا. لكن، اشتد عليه مرض الرئة، وأجريت له عملية جراحية، وفضل البقاء في الولايات المتحدة بسبب العلاج ..

عاد سنة 1991 ...

في سنة 1993، عندما زرته في رام الله، مع زوجي وأولادنا، قال إنه يريد إحضار كل كتبه من أمريكا. وحكا لنا عن رام الله عندما كان صبيا. قال: إنها كانت مصيفا للفلسطينيين الأغنياء. ولم يكن هو، أو والده، العامل البسيط في يافا، يقدران على ذلك. ولهذا، لم يتوقع أبدا أن يعيش في رام الله. لكنه، وهو الآن أستاذ جامعي فيها، قال: إنه سعيد أن يعيش وسط الفلسطينيين في أرض فلسطينية ...

كان حريصا على أن نزور يافا. وذهب معنا، وكأنه يتصور أنه يافاوي. عاد ليسترجع يافا. أشار إلى البحر، وقال أنه كان يسابح كصبي فيه. وأشار إلى مكان المنزل الذي اضطر إلى الفرار منه عام 1948. وقال: إنه عندما زار المنزل خلال زيارته الأولى في عام 1991، لم يجده. وطرق منازل قريبة ليسال، لكن، فتح الأبواب مهاجرون يهود روس، وبولنديون، ومغاربة، ويمنيون، ولم يجد فلسطينيا يسأله. لكنه عرف أن اليهود هدموه ..

أخذنا إلى مسجد حسن بك الذي كان يصلى فيه وهو صبي. قال: إنه كان ينافس أخاه الأكبر في حب المسجد، وأنه مرة تسلق درجات المئذنة، ورتل الأذان. ولم يكن اخوه فعل ذلك، فأعلن فوزه عليه ..

ثم قادنا إلى مقهى قديم. لكنه قال: إنه في مرات كثيرة لم يكن لديه مال لشراء الشاي.

خلال جولتنا، كان يكرر عبارة "فلسطين لا تزال هنا، فلسطين لا تزال هنا." وقال انه بدا يكرر ذلك يوم ذهب إلى يافا، وسأل أطفالا فلسطينيين عن شارع الملك فيصل. وأخذوه إلى الشارع. لكن، لم يكن اسمه شارع الملك فيصل. كان اسمه يهوديا، ومكتوبا باللغة العبرية. لكن، عرف الأطفال الفلسطينيين الاسم رغم أن الاسم تغير قبل ستين سنة. ومنذ ذلك اليوم، ظل والدي يكرر: "فلسطين لا تزال هنا، فلسطين لا تزال هنا"...

رغم أن كان يرى بعينيه أن فلسطين قد قتلتها إسرائيل، ودفنتها، ومسحتها من خريطتها... "

وأخيرا:

في سنة 1981، بعد سنة من وصولي إلى واشنطن صحفيا، قابلت سعيد وأبو لغد أول مرة في مؤتمر لاتحاد خريجي الجامعات الأميركية العرب. في بلمونت (ولاية ماساجوستيس) القريبة من جامعة هارفارد. في ود، سألني سعيد عن اسمي ووطني. وعندما قلت له "صالح"، قال: إن الاسم يذكرة بسائق سيارة عائلته "صالح" عندما كان صبيا في القاهرة. (أشار إلى السائق صالح في كتاب مذكراته).

خلال نفس المؤتمر، سبحنا الثلاثة، سعيد وأبو اللغد وأنا، في مسيح الفندق الذي عقد فيه المؤتمر. واستغربا لأني رفضت حضور عشاء رسمي لم أدعى إليه. وقال سعيد: "أعرفكم انتم السودانيين. حساسين وتعتزون بأنفسكم."

طبعا، خلال سنوات مقابلاتنا، احترمتهما وقدرتهما. ورأيت فيهما، أنا العربي المهاجر مثلهما، مثاليين عاليين لي. وقرأت أكثر من مرة كتاب سعيد "أوت اوف بليس" (خارج المكان) عن قصة حياته.

الآن، أكتب كتابا عن قصة حياتي، وأحاول، ليس فقط الاستفادة من أسلوب سعيد الراقي، ولكن، أيضا، أن أكون مثله في فخره بجذوره، وفي شجاعته في نقد السياسة الأميركية نحو العرب والمسلمين. وأيضا، في دفاعه عن المسلمين وهو المسيحي.

غريبة! لم نكن أصدقاء، وفقط قابته مقابلات صحفية خمس مرات تقريبا. لكن، حتى اليوم، أحيانا عندما أتذكر شجاعته، وتحديه للسياسة الأمريكية نحو العرب والمسلمين، تكاد الدموع تسيل من عيني.

سينما (ريف) فيرفاكس (ولاية فرجينيا) :

أمركة جيمس بوند



(اقرأ: أمركة لورنس العرب) .

(اقرأ: الشقراوات) .

(اقرأ: هوليوود، فن وتجارة) .

جئت إلى هنا في أواخر سنة 2012 لمشاهدة فيلم "سكاي فول" (سقوط من السماء) آخر أفلام جيمس بوند. صدر الفيلم في الذكرى الخمسين لصدور أول أفلام جيمس بوند، "دكتور نو".

مع صدور الفيلم الأخير ظهرت تقليعات جديدة في أمريكا وسط الرجال الشباب: يرتدي الرجل بدله مثل بدلات جيمس بوند الأنيقة. يقدم نفسه قائلا، في لكنة بريطانية: "بوند، جيمس بوند". يدندن بموسيقى "ترام رام رام ري تام" (موسيقى أفلام جيمس بوند). يجلس في مطعم أو بار، ويطلب مشروب "جين تونيك" (قويا).و يقود سيارة "أوستن مارتن"و تصاحبه فتاة رائعة الجمال (لا باس إذا شقراء). وهو نفسه، لا باس إذا شعره أشقر، وعيناه زرقاوان.

خلفية تاريخية:

أيان فليمنق (1908 – 1964) روائي بريطاني (كتب أكثر من عشرين رواية)، وصحافي (عمل في وكالة "رويترز")، وجاسوس (عمل في "إن أي أو"، مكتب الاستخبارات البحرية).

ساعدته هذه التجارب في كتابة سلسلة روايات جيمس بوند. هذه أربع عشرة رواية، وزعت حتى الآن أكثر من مائة مليون نسخة. وصارت كلها أفلاما. وبعده، كتب آخرون رويات مماثلة، صارت أيضا أفلاما. وبلغت جملة الأفلام 25 ، بما فيها آخرها "سكايفول". وساعدته خلفيته الثرية في تصوير بوند كشخصية شبه أرستقراطية (من ورثة بنك فلمنغ الاسكتلندي الذي، في سنة 2000، اشتراه بنك جيس مانهاتان الأميركي بسبعة مليارات دولار).

وساعدته وظيفة والده في تصوير مغازي سياسية لمغامرات بوند حول العالم (كان عضوا في البرلمان البريطاني).

وساعده قتل والده في الحرب العالمية الأولى في التركيز على وطنية بوند، وولائه للتاج البريطاني (قتل برصاص الألمان على الجبهة الغربية).

وساعدته علاقات جنسية مع نساء متزوجات في تفاصيل مغامرات بوند الجنسية (منهن آن جارتريز، زوجة لورد بريطاني، كانت أيضا عشيقة لورد صاحب صحيفة "ديلي ميل". وعندما اكتشف زوجها هذه العلاقات الغرامية، وطلقها، تزوجها هو).

وساعده عمله في وكالة "رويترز" في تنقلات بوند من بلد إلى بلد. تجول في عواصم كثيرة، منها: موسكو (بعد الثورة الشيوعية) والصين (قبل الثورة الشيوعية) وتركيا (بعد سقوط الخلافة الإسلامية) وأسبانيا (قبل الحرب الأهلية).

وساعده عمله كجاسوس "في الميدان" على تصوير مغامرات بوند "الميدانية" (خلال الحرب العالمية الثانية، قاد فرقة جواسيس لتفجير منشآت ألمانية في جبل طارق بينما كان الألمان يتقدمون في شمال أفريقيا، نحو مصر).

وساعده تعاونه، كجاسوس، مع جواسيس أميركيين في تقديم جانب أمريكي لمغامرات بوند (زار واشنطن مرات كثيرة خلال الحرب العالمية الثانية. واشترك في تأسيس "أو أس أس"، مكتب الخدمات الإستراتيجية، الذي صار، بعد سنوات، وكالة الاستخبارات المركزية "سي إي ايه").

وساعده تعليمه في مدارس مشهورة في الأسلوب الممتاز، والكتابة المنضبطة، والاهتمام بالأخلاقيات (إيتون الثانوية، وساندهيرست العسكرية، وجامعة ميونيخ، وجامعة جنيف).

56 سنة:

لم يكتب فلمنق أول روايات جيمس بوند إلا بعد أن بلغ عمره خمسين سنة تقريبا، في بداية الخمسينات. كان هذا قبل وفاته بعدة سنوات تقريبا (توفي مبكرا نسبيا: كان عمره 56 سنة).

أسلوبه لا يركز فقط على المعلومات المفصلة، ولكن، أيضا، على الأجواء المفصلة. مثل وصف كازينو في رواية "كازينو رويال" (أول رواياته):

"في الساعة الثالثة صباحا، كانت منفرة رائحة الناس، ودخان السجائر. أضف إلى ذلك تذمر روحي من المقامرة المنظمة، والتي هي ليست إلا خليطا من الطمع، والخوف، والتوتر. صار كل شيء لا يطاق، وتحركت الحواس، وتمردت... "

لماذا اسم "جيمس بوند"؟

فيما بعد، قال فلمنق إنه "اسم بريطاني، رجالي، جاد، لا يبتسم، انقلوساكوسني." وأيضا، لأنه اسم صديق بريطاني متخصص في علم الحيوانات، وعاش سنوات كثيرة في جمايكا (البحر الكاريبي). وكان فلمنغ اشترى منزلا شتويا هناك.

في نفس الجزيرة، دارت أحداث رواية "دكتور نو" (أول أفلام جيمس بوند).

وفي نفس الجزيرة، كتب فلمنق رواية "فروم رشا، ويث لاف" (من روسيا، مع الحب). وصارت الرواية (ثم الفيلم) مثالا للحرب الباردة بين المعسكرين الغربي والشيوعي. ولشبكات التجسس، والتجسس المضاد، والتجسس المضاد للتجسس المضاد.

ولا تذكر الرواية (والفيلم) إلا ويذكر "أورينت إكسبريس" (القطار الذي كان يربط باريس بإسطنبول، منذ نهاية القرن التاسع عشر. والذي استقله جواسيس الحربين العالميتين الأولى والثانية، وسقوط الخلافة الإسلامية التركية، وتوسعات ألمانيا الهتلرية.

بوند السياسي:

مثل أي عمل أدبي وفني تقريبا، تعكس هذه الروايات والأفلام الفكر الغربي، سواء كان أدبا، أو فنا، أو اقتصادا، أو سياسة. نعم، هناك جوانب سياسية في روايات وأفلام جيمس بوند.

كتب جيرمي بلاك، مؤلف كتاب "بوليتكز أوف جيمس بوند" (الجوانب السياسية لجيمس بوند)إن هذه الروايات والأفلام يمكن تقسيمها إلى قسمين:

الفترة الأولى: مغامرات الحرب الباردة. مثل: "كازينو رويال" و "من روسيا مع الحب" و "فور أيز اونلي" (للنظر فقط).

الفترة الثانية: بعد نهاية الحرب الباردة، عن تجار المخدرات، ومؤامرات في الفضاء، وتهديدات للأمن الأمريكي. مثل: "أوكتوبوسي" (أخطبوط) و "قولدن قن" (مسدس ذهبي) و "سباي هو لفز مي" (الجاسوس الذي يحبني).

في كل الروايات والأفلام، ينتصر جيمس بوند، ويقتل أعداءه، واحدا بعد الآخر. وفي مرات كثيرة، يقتلهم حتى إذا لم يكونوا يريدون قتله. يقتلهم وكأنه "يصطادهم".

في أفلام الفترة الأولى عن الحرب الباردة، أغلبية "الأعداء" من شرق أوروبا، من الشعوب السلافية. وفي أفلام الفترة الثانية بعد الحرب الباردة، أغلبية الأعداء أفارقة وعرب ومسلمون وأسيويون.

لكن، حتى في أول الأفلام "دكتور نو"، قتل جيمس بوند سودا في جزيرة جمايكا (في البحر الكاريبي)، وقتل دكتور نو (الصيني الذي أسس إمبراطورية "شريرة" في جمايكا).

وكتب مؤلف كتاب "الجوانب السياسية لجيمس بوند": "لم ينتمي الأعداء في روايات فلمنق إلى طبقة اقتصادية معينة، ولكن إلى جماعات عرقية أو لونية (سوداء، سمراء، صفراء). ركز فلمنق، على حياة الحكام البريطانيين الاستعماريين، على الخدم والموظفين الأجانب."

وكتب: "لم ينفرد فلمنق بالكتابات العنصرية في ذلك الوقت. كانت مثل هذه الروايات جزءا من الثقافة الغربية، جزءا هاما ومنتشرا."

بعد فلمنق:

بعد وفاة فلمنق، تعاقدت دار نشر "غليدروز" التي كانت تنشر رواياته (غيرت اسمها إلى "دار نشر فلمنق" لتستفيد من شهرته) مع آخرين للاستمرار في كتابة روايات جيمس بوند. ويمكن تقسيم هذه الفترة إلى قسمين:

أولا: روايات كتبها بريطانيون، وواصلوا رويات الحرب الباردة. مثل: "كولونيل صن" وفيه يحارب جيمس بوند شبكة جواسيس صينية شيوعية تعمل في اليونان. و"سباي هو لفز مي" (الجاسوس الذي يحبنى) وفيه يحارب جيسم بوند شبكة جواسيس روس فجروا غواصات أمريكية وبريطانية. و "موون ووكر" (الماشي على سطح القمر) وفيه يحارب جيمس بوند مدير شركة لإنتاج أقمارًا فضائية كانت تريد تدمير العالم من الفضاء. و "قولدين أي" (العين الذهبية) وفيه يحارب جيمس بوند عصابة روسية تريد تدمير المركز المالي العالمي في لندن.

ثانيا: رويات كتبها أمريكيون، وخاصة بعد هجوم 11 سبتمبر (أيلول) سنة 2001. وفيها تأمرك جيمس بوند. وتخصص في محاربة الإرهاب والإرهابيين. مثل: "كارت بلانش" (شيك مفتوح) وفيه يحارب جيمس بوند في أفغانستان كجاسوس بريطاني في عملية بريطانية ضد طالبان ومنظمة القاعدة.

إشادات وبعض انتقادات:

أشاد بالفيلم الجديد كل الصحافيين الأمريكيين المتخصصين في الأفلام السينمائية به. لكن، أشار البعض إلى نقطتين:

أولا: ما صار يعرف بأنه "جيمس بوند القرن الحادي والعشرين" (القصد: عالم ما بعد هجوم 11 سبتمبر، في صورة مواجهة بين الخير والشر على نطاق عالمي).

ثانيا: "الإرهاب الداخلي" (القصد: إمكانية تدمير وكالات الاستخبارات من الداخل بمؤامرات داخلية، مثلما فعل "سيلفا" للاستخبارات البريطانية).

وكتبت أن هورنادي، المسؤولة عن الأفلام في صحيفة "واشنطن بوست" أن الغربيين الذين يطاردون الإرهابيين ويقتلونهم، في الأفلام، أو في المسلسلات، أو في الواقع "لا يحاربون فقط الإرهابيين، ولكن أيضا يحاربون شياطين في أعماقهم."

وكتبت أن بوند "كان شابا متحمسا، وصار كبيرا في السن ووقورا. كان يعتمد على معلومات الخرائط الحائطية وأرفف الكتب، وصار يعتمد على الكمبيوتر. كان يقتل جواسيس المعسكر الشيوعي، و صار يقتل الإرهابيين."

وكتب جون كريق، المسؤول عن الأفلام في موقع "ياهو": توقعوا جيمس بوند يقتل شخصيات مثل: بن لادن، وكتائب شهداء الأقصى، وتجار مخدرات مثل بابلو إسكوبار (كولمبيا)، وأمريكيين مثل ماكفي (مفجر المبني الاتحادي في ولاية أوكلاهوما)، وأمريكيين مسيحيين متطرفين مثل جيم جونز (في السبعينات) وديفيد كاريش (في الثمانينات)."

وأخيرا:

بعد صدور الفيلم الأول "دكتور نو" بسنة أو سنتين، وصل إلى السودان في الستينات. كنت في ذلك الوقت طالبا في جامعة الخرطوم، أدرس العلوم السياسية، وفي المساء اعمل مع صحيفة "الصحافة". وكنت قرأت عن الفيلم قبل أن أشاهده.

الآن، مضى نصف قرن، ولا أتذكر أشياء كثيرة عن تفاصيل مشاهدتي للفيلم. لكنى أتذكر انه كان عن مغامرات "خواجة" ذكي، وتحبه النساء "لخواجيات"، وهو يستبدل امرأة بعد امرأة، ويقضى على أعدائه عدوا بعد عدو.

الآن، بعد أن شاهدت آخر الأفلام "سكاي فول"، استأجرت أول الأفلام، لأتذكره، ولأقارن بينه وبين بقية الأفلام.

عندما شاهدت فيلم "دكتور نو" في منزلي، لاحظت، أول شيء، أن أحداث الفيلم جرت في جزيرة جمايكا، من جزر البحر الكاريبي التي زرتها مرات كثيرة، في سفن "كروز" (سفن الرحلات الترفيهية العملاقة).

في سنة 2001، بدأت، مع عائلتي وأقرباء وأصدقاء، رحلات "كروز" كل صيف (ما بين أسبوع وأسبوعين) في البحر الكاريبي.

تلك كانت سنة هجوم 11 سبتمبر، وبداية ما أسماها الرئيس في ذلك الوقت "الحرب ضد الإرهاب"، وغزو أفغانستان، وغزو العراق، وقتل واعتقال، وتعذيب، ومطاردة، والتجسس على، والإساءة إلى، والاستعلاء على المسلمين في الشرق والغرب.

لهذا، مع بداية سنوات رحلات "الكروز" الجديدة والممتعة في حياتي، بدأت سنوات غضبي وحزني على "الحرب ضد الإرهاب"، خاصة بعد أن اقتنعت بأنها حرب غير مباشرة ضد المسلمين، أن لم تكن ضد الإسلام.

لهذا، صرت أكثر انتقادا للأمريكيين، أنا الذي قضيت أكثر من نصف عمري في أمريكا، وتزوجت أمريكية، وأنجبنا أمريكيين وأمريكيات، وحصلت على الجنسية الأمريكية، ولا يقل فخري بأمريكيتي عن فخر أي أمريكي آخر.

خلال رحلات "الكروز" في البحر الكاريبي، بدأت ألاحظ الفارق الكبير بين المسافرين، وكلهم تقريبا غربيون بيض (من أمريكا ومن أوروبا) وبين سكان الجزر السود.

لهذا، عندما شاهدت فيلم "دكتور نو" في منزلي بعد خمسين سنة تقريبا من مشاهدتي له في المرة الأولى في السودان، أول ما انتبهت له هو استعلاء جيمس بوند، وبقية البريطانيين في جمايكا (كانت جمايكا مستعمرة بريطانية) على سكان جمايكا السود.

في بداية الفيلم، لاحظت أن أول الذين قتلهم جيمس بوند كانوا من هؤلاء السود. وفي نهاية الفيلم لاحظت أن أهم الذين قتلهم كانوا صينين يعيشون في جمايكا.

في الفيلم قتل جيمس بوند منافسين وجواسيس بيضا أيضا. وفي أفلام كثيرة بعد ذلك (بما في ذلك آخر فيلم) قتل بيضا أيضا. لكن، كانت هذه حالات استثنائية. في كثير من الأحيان، كان الضحايا سودا، أو سمرا، أو صفرا.

تأكد لي ذلك بعد أن شاهدت أول فيلم وآخر فيلم، وملخص عشرين فيلم بينهما. وبعد أن قرأت ما كتب الأمريكي جيمس بلاك، مؤلف كتاب "الجوانب السياسية لجيمس بوند."

خلال السنوات القليلة الماضية، واستمرارا لغضبي وحزني على ربط الإرهاب بالإسلام، اقتنعت بنظرية الصراع التاريخ بين الغرب والشرق. وبتأثيرات هذا الصراع السياسية، والاقتصادية، والعسكرية، والثقافية، والدينية. على مستوى العالم، وعبر التاريخ.

لهذا، علمت ما لم أكن أعلم قبل خمسين سنة. وهو أن في خفايا أفلام جيمس بوند، وفي خفايا الأفلام الغربية، وفي خفايا الثقافة الغربية الآتي:

أولا: استعلاء الغربيين على الشرقيين.

ثانيا: ظلم الغربيين الشرقيين في الماضي والحاضر.

ثالثا: تناقض ذلك مع مبادئ الحرية والحضارة الغربية.

قبل خمسين سنة، كان جيمس بوند بالنسبة لي خليطا من الانبهار بالغربيين وعقدة النقص نحوهم. الآن، صار جيمس بوند بالنسبة لي خليطا من احترام الغربيين (وأنا صرت جزءا منهم) ورفض ظلمهم على غيرهم.

في المحكمة العليا (واشنطن) : حرية الإساءة



(اقرأ: حرية الإباحية) .

(اقرأ: أبو الفكر الليبرالي) .

سنة 2010، جئت إلى المحكمة العليا (التي تفسر الدستور) مرة أخرى. خلال سنواتي في واشنطن، حضرت جلسات المحكمة العليا بعض المرات. أول مرة كانت سنة 1980، في أول سنة في واشنطن وأنا أتجول من مكان إلى مكان لأعرف أكثر عن الحضارة الأمريكية، والحرية الأمريكية.

هذه المرة، جئت إلى المحكمة العليا لحضور جلسة عن حرية إساءة الآخرين.

خلفية تاريخية:

القضية التي وصلت إلى المحكمة العليا هي نزاع بين رجلين:

الأول: ألبرت سنايدر، والد ماثيو سنايدر، جندي قتل في حرب العراق.

الثاني: فريد فيليبس، عميد عائلة فيلبس التي تملك وتدير الكنيسة المعمدانية.

كان أل فيليبس من أوائل الذين عارضوا غزو العراق، ليس حبا في العراقيين والعرب والمسلمين، ولكن إيمانا بأن المسيحية دين سلام وضد الحروب. لهذا، تظاهر أل فيليبس وجماعته، عبر الشارع من كنيسة حيث كانت تجرى صلاة على الجندي الذي قتل في حرب العراق.

في جانب، قال والد الجندي أن الدستور يقدس فرديته وخصوصيته. ويحميه من أن يعتدي شخص آخر على خصوصيته، ومنها حقه في أن يكون هادئا، ومطئنا، وغير قلق، وغير متوتر. وأن صلاة في كنيسة على أي شخص، خاصة على ابنه، موضوع خاص جدا. وما كان يحق لال فيليبس وجماعته التظاهر، والهتاف المضاد ضد حرب العراق، وضد الحكومة الأمريكية.

وفي الجانب الآخر، قال أل فيليبس أن الدستور يمنحهم حق أن يعبروا عن رأيهم، حتى إذا اعتقد شخص أن هذا الرأي يسيء إليه، ويهدد فرديته وخصوصيته، ويجعله غير مرتاح، وغير مطمئن.

كان السؤال هو: أين الخط الفاصل؟

حسب قرار المحكمة العليا، الخط الفاصل هو عدم إلحاق أذي، مثل قتل، أو جرح، أو ضرب، تدمير ممتلكات، أو التهديد بتدمير ممتلكات. ومظاهرة أل فيليبس كانت سلمية وغير عنيفة. ولم يطلق أحد النار على المصلين، ولم يرم أحد حجارة عليهم أو نحوهم، ولم يشعل أحد النار في الكنيسة، أو حتى تندر على إشعال النار بأن اقترب من الكنيسة وفي يده عود كبريت. لم يحدث أي من كل هذه الأشياء.

لكن، ماذا عن الأذى النفسي؟

الأذى النفسي:

حسب قرار المحكمة، في الجلسة التي حضرتها، ليست مظاهرة سلمية وعدائية وعبر الشارع أذى نفسيا.

يعني هذا أن الحرية الأمريكية لم تعد فقط هي الحرية السياسية (انتخابات ومظاهرات). ولا الحرية الاقتصادية (اقتصاد السوق الحر). ولكن هي، أيضا، الحرية الخصوصية (حق الفرد في خصوصيته، وطمأنينته، وهدوئه). هذه الحرية الخصوصية لها جانبان:

الجانب الأول: حرية الشخص ليقول ما يريد، حتى إساءة شخص آخر.

الجانب الثاني: حماية الشخص الآخر من هذه الإساءة.

هذا هو المعني الدستوري والقانوني لكلمة "برايفاسي" (الخصوصية). في ظل هذه الفلسفة الفردية "المتطرفة"، يجب أن يكون الفرد "كاسل إنسايد همسيلف" (قلعة داخل نفسه). يفعل ما يريد في قلعته. وتعيش القلاع على أساس مبدأ "ليف أند لت ليف" (عش ودع غيرك يعيش).

في البداية، كانت هذه الشعارات تطبق على حماية ممتلكات الفرد. على حماية منزله، ليس فقط من الآخرين، ولكن، أيضا، من الشرطة. لهذا، يجب أن تستأذن الشرطة من قاضٍ (بعد أن تقدم له أدلة تقنعه) قبل أن تدخل منزلا.

وبعد اختراع السيارة، توسعت هذه الحرية الخصوصية، ومرة أخرى، وصل الموضوع إلى المحكمة العليا التي قالت: إن الدستور يحمي "خصوصية السيارة." أي أن السيارة مثل منزل متحرك. ولا يحق لأي شخص أن يدخل سيارة شخص آخر بدون إذنه. ولا يحق للشرطة أن تفتش سيارة إلا إذا أثبتت أنها تفعل ذلك لسبب معقول (رؤية شخص يعتدي على شخص داخل سيارة، أو يشرب خمرا داخل سيارة. والشك في وجود مخدرات، أو في وجود جثة، داخل سيارة).

فيليبس وسنايدر:

خلال جلسة المحكمة العليا التي حضرتها، عرض المدعون والمحامون تفاصيل القضية. وملخصها هو أن آل فيليبس، وتابعون لكنيستهم، تظاهروا أمام مكان تشييع جثمان الجندي الأمريكي الذي قتل في حرب العراق. وقالوا أنهم فعلوا ذلك لأكثر من منطلقات مسيحية:

أولا: يعارضون التدخلات العسكرية الأمريكية في الخارج.

ثانيا، يعارضون ما يسمونه "الانحلال" في المجتمع الأمريكي، مثل: الإجهاض، والأفلام والمسلسلات الجنسية، والدعارة، والتعري، والمثلية الجنسية.

ثالثا: يرون أن قتل الجنود الأمريكيين في أفغانستان وفي العراق "لعنة الهية" بسبب"الانهيار الأخلاقي" في أمريكا.

لهذا، وقفوا أمام مكان تشييع جثمان الجندي الأمريكي. ورفعوا لافتات تقول: "الحمد لله على قتل الجندي فيلبس" و "كان ابنكم يرتكب الزنا" و "ستذهبون كلكم إلى الجحيم" و "لعنة الله على أمريكا الفاسدة."

وهكذا، رفع سنايدر، والد الجندي، دعوى ضد آل فيليبس. وبينما حكمت أول محكمة ضده، حكمت محكمة استئناف معه. وأمرت أل فليبس بأن يعوضوا والد الجندي القتيل عشرة ملايين دولار: ثلاثة مليونين تعويضا عن الشوشرة، وعرقلة الصلاة على الجنازة، وخمسة ملايين عن التعدي على "خصوصية" الوالد، ومليونان عن الاضطرابات النفسية التي عاني منها الوالد.

لكن، عندما استأنف آل فليبس قرار محكمة الاستئناف أمام المحكمة العليا، عكست الحكم، وأيدت آل فيليبس.

روفسير غابيلوندو:

وأيضا، أيد آل فيليبس وكنيستهم (ومبدأ "الحرية المتطرفة") كثير من وسائل الإعلام، ومنظمات الحقوق المدنية، بما فيها "الاتحاد الأميركي للحريات المدنية" و "لجنة صحفيين من اجل الحرية" و "جمعية الصحفيين الأمريكية" وأكثر من عشرين منظمة ومؤسسة إعلامية.

وفي نقاش في التلفزيون، قال بروفسير هوزي غابيلوندو، أستاذ القانون في جامعة فلوريدا إنترناشونال: "لا أكاد اصدق أن هناك شخصًا في هذا المجتمع المتحضر والمتقدم يريد خنق حريات ناس يختلفون معهم في الرأي. لا أكاد أصدق أن الآباء المؤسسين (الذين كتبوا الدستور وإعلان الاستقلال) كانوا أكثر حرصا على الحرية قبل ثلاثمائة سنة تقريبا من ناس يعيشون في القرن الحادي والعشرين."

البروفسير غابيلوندو ليس جديدا على الدفاع عن "الحرية المتطرفة"، وذلك لأنه أعلن، في بداية القرن الحادي والعشرين، أنه من المثليين الجنسيين (المصابين بالشذوذ الجنسي).

ولأنه أستاذ قانون ومحامي في نفس الوقت، دافع عن عدد كبير من طلبة وطالبات في جامعته في قضايا لها صلة بالمثلية الجنسية.

وأيضا، ذهب إلى كونقرس ولاية فلوريدا للشهادة في جلسة تحقيق. وعارض مشروع قانون يمنع زواج المثليين الجنسيين والمثليات الجنسيات.

وعن هذا قال: "لا يعرف معنى الحرية إلا المحروم منها. لكن، الحرمان أنواع: من الكلام، من التظاهر، من التجمع، من السفر. نحن نتفق على هذا. لكن، ماذا عن الحرمان من أن أقول بأني مثليى جنسي؟ وماذا عن الحرمان من أن أقول بأن الله ينتقم من أمريكا لأنها تتدخل في شئون الآخرين؟ وماذا عن حرمان آل فيليبس من أن يقولوا أن الله قتل الجندي سنايدر انتقاما من التعري والإباحية والجنس العلني في أمريكا؟"

وهكذا، ربط البروفسير بين أنواع كثيرة من "الحريات المتطرفة".

بروفسير جياماسوني:

وكتب بروفسير هنري جياماسوني، أستاذ علم الاجتماع في جامعة كليفورنيا: "التطرف شيء في عقل من يعتقد انه معتدل."

وقارن بين أوصاف مثل "مسلمين متطرفين" و "يهود متطرفين" و "ليبراليين متطرفين". وقال أن هؤلاء لا يعتقدون أنهم "متطرفون". ويؤمنون بأن كل فرد يملك حق أن يكون حرا بالطريقة التي يريدها. سواء في مجال السياسة أو العبادة أو الجنس، "ما دام لا يؤذي الآخر."

وسأل بروفسير غابيلوندو: "أين الخط الأحمر بين إيذاء شخص آخر وعدم إيذائه؟ ومن يحدده؟

وأجاب على السؤالين قائلا: "يحدد الخط الأحمر الشخص المتطرف، أو ما يعتقد الناس انه متطرف. يحدده الشخص الذي يلبس ملابس نراها مبتذلة. والشخص الذي يمشط شعره بطريقة نراها قبيحة. والشخص الذي يمارس الجنس بطريقة نراها شاذة. والشخص الذي يتحدث عن آخرين بطريقة نراها مسيئة. والشخص الذي يفسر الكتب المقدسة بطريقة نراها خطأ. والشخص الذي يلعن الله بطريقة نراها كفرا."

وأضاف البروفسير: "يخدم الذين نسميهم متطرفين هدفا هاما في المجتمع، وهو أنهم يختبرون صبرنا، وحضارتنا، وحريتنا، وأخلاقنا. لهذا، لنتعاون معهم. لنقدر على وضع الخط الأحمر بين الإساءة التي تؤذي، والإساءة التي لا تؤذي."

بروفسير باركر:

وانضم إلى النقاش بروفسير رتشارد باركر، أستاذ الاتصالات في جامعة نورثيرن (ولاية أريزونا) ومؤلف كتاب: "محاكمة الحرية". قال: "يجب ألا ننسى أن هذا الجيل، إذا وضع شروطا للحرية، ستأتي أجيال كثيرة بعده، وسيضع كل جيل شروطه. أليس محتملا أن الجيل القادم سيضع شروطا يرفضها الجيل الحالي تماما؟ لهذا، أفضل شيء ألا يضع الجيل الحالي أي شروط."

وقال: "نعم، لابد من شرط الحريق في مسرح. هذا شرط يجب أن تحافظ عليه كل الأجيال."
يشير هنا إلى مثال يكرره القانونيون والمثقفون عندما يتحدثون عن شروط الحرية. وهو عن حرمان شخص، أثناء عرض فيلم، وفي الظلام، وفي مسرح مزدحم بالناس، من حرية أن يصيح، كذبا: "حريق". وذلك لأن هذه الصيحة فيها "خطر" قتل أو جرح وسط المشاهدين لأنهم سيسرعون للخروج.

وانضم إلى النقاش ويلي غريلي، محامي ورئيس مركز "الحرية الشخصية والتعليم" والذي يشجع تعليم التلاميذ في المدارس على الصبر إذا تعرضوا إلى إساءات أو شتائم. قال: "ليس هذا الصبر والسكوت جبنا. انه احترام لحرية الأخر."

وقال: إن مركزه يراقب الجامعات والمدارس (حتى المدارس الابتدائية) ليتأكد بأن التلاميذ والتلميذات يتعلمون حماية حرية الأخر، حتى إذا كان الآخر يسيء إليهم.

الإساءة إلى المسلمين:

بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، وحرب الإرهاب التي أعلنها الرئيس السابق بوش الابن، بدا نقاش قانوني وسياسي وثقافي عن الإساءة إلى الإسلام والمسلمين.

في سنة 2010، هدد قس في كنيسة في ولاية فلوريدا بحرق المصحف الشريف. لكن، تدخل الرئيس باراك أوباما حتى لا يثير ذلك مشاعر المسلمين، وحتى لا يكون هذا سبب أعمال عنف، سواء من جانب المسلمين، أو من جانب الأمريكيين الذي يعادونهم. ولحسن الحظ، غير القس رأيه.

وحتى سنة 2012، لم يرفع المسلمون في أمريكا قضية رئيسية بسبب الشتائم والإساءات التي يتعرضون لها. لكنهم فعلوا ذلك في هولندا. ووصل الموضوع إلى المحكمة العليا هناك. وحكمت ضد المسلمين. وأعلنت الآتي:

أولا: لا تختلف الإساءة إلى الدين عن الإساءة إلى الفرد. لأن أي دين، في نهاية المطاف، هو رأي. ولا يشفع أن الرأي الهي. لأنه، كما يقولون، "ليس في الإمكان محاكمة الله أمام محكمة."

ثانيا: الإساءة إلى الفرد يجب أن تكون شخصية، ليمكن إثبات أنها أذى شخصي، إذا كانت كذلك فعلا. يعني هذا أن لافتة تقول "المسلمون شياطين" هي إساءة عامة، وليست شخصية.

ثالثا: حتى إذا كانت الإساءة شخصية، يجب إثبات أنها ستدفع الشخص إلى ارتكاب "عنف." ويوجد فرق بين دعوة شخص ليرتكب عنفا (مثل أمام مسجد أقنع مسلما أن قتل شخص "جهاد") وبين شخص قال: إن شخصا أساء إليه جعله يقتله لأن القتل "جهاد."

رابعا: التسامح الديني، وغير الديني، كما قالت محكمة هولندا، جزء من الثقافة الغربية، ويجب أن يوضع له اعتبار في القوانين الغربية.

التسامح المسيحي:

لم يرفع مسلمو أمريكا الإساءات إليهم إلى المحكمة العليا، أو إلى أي محكمة. لكن، يضع الأوروبيون والأمريكيون اعتبارات هامة للتسامح والتساهل في حياتهم اليومية. وانعكس هذا، كما قالت محكمة هولندا، في قوانينهم.

وللموضوع صلة بالأخلاق المسيحية. لا تشجع هذه الأخلاق الغضب. وترى أن الصبر من أركان الدين ومن أركان الحضارة.

لهذا، كما يفعل غريلي، المدرس السابق الذكر، يجب تعليم التلاميذ والتلميذات بأن الصبر على الإساءة (والابتعاد عن العنف) ليس جبنا، ولكن احتراما لحرية الآخر، حتى إذا تطرف في التعبير عن حريته.

لا يتحدث غريني للتلاميذ والتلميذات عن الدين مباشرة، وذلك لأن الدستور الأمريكي يفرق بين الدين والدولة. لكن، توجد صلة غير مباشرة بين الدين والدولة، وهي صلة هامة جدا، سبب أهمية الدين في هوية الشخص (وبالتالي في هوية الدولة).

وطبعا، يتحدث رجال الدين المسيحيين الأمريكيين عن هذا الموضوع مباشرة. ويقولون إن أغلبية الأمريكيين مسيحية، وان هذا ينعكس، بصورة مباشرة أو غير مباشرة، على "هوية أمريكا" وعلى "هوية القانون الأمريكي."

مثل الأسقف هنرايوم في كنيسة معمدانية في ولاية كنساس. سأل الأسئلة الآتية:

أولا: "ألم يكن المسيح متساهلا، ومتسامحا، ومهادنا؟"

ثانيا: "ألم يدافع عن الزانية؟"

ثالثا: "ألم يقل أنه مستعد لأن يدير خده الأيسر لمن ضربه على خده الأيمن؟"

رابعا: "ألم يقل أنه مستعد لأن يعطى ملابسه لشخص هدده، بدلا عن الدفاع عن نفسه؟"

وهكذا، توجد صلة غير مباشرة، لكنها قوية، بين الأخلاق المسيحية وأسس القانون الأمريكي (والغربي).

وهكذا، توجد صلة غير مباشرة (وغير معلنة) بين دفاع المحكمة العليا عن حرية الإساءة وبين تعاليم المسيح.

وهكذا، في حالة النزاع بين والد الجندي الذي قتل في العراق وبين أتباع كنيسة آل فيلبس، يتلخص الموضوع في انه، إذا صبر المسيح على أعدائه، وإذا دعا إلى حبهم، وإذا دعا إلى عدم الاعتداء على زانية، ألا يجدر بوالد الجندي أن يصبر على هتافات معادية عبر الشارع؟

وأخيرا:

حتى اليوم، أفكر من وقت لآخر في حديث مع "سندي" (سندريلا)، جارتنا الطيبة الجميلة الشقراء، في سنة 1990.

كان ابنها وابني تلميذين في مدرسة "جيري ران" الابتدائية القريبة من منزلينا. ويوما تحدثنا عن تلميذ شتم ابني. وأنا قلت لابني أن يشتمه ردا على شتيمته. وهي قالت، في تأدب، أنها تقول لابنها، عندما يشتمه تلميذ، ألا يشتم التلميذ.

لم تتحدث عن مسيحيتها، ولا عن الإنجيل، ولا عن المسيح. أشارت إلى نشيد للأطفال يقول: "ستيكز أند ستونز بريك ماي بونز. نيمس نيفار هيرت مي (العصي والحجارة يمكن أن تكسر عظامي. لكن، الكلمات لا تؤذيني).

حتى اليوم، أفكر في الاختلاف الكبير بين تفكيرها وتفكيري في ذلك الوقت. أنا الشرقي المتأثر بالكرامة، والعزة، والمجد، والفخر. وهي الغربية المتأثرة بصبر المسيح. والمسيح نبى القرآن الكريم.

في سولت ليك سيتي (ولاية يوتا) : تعدد الزوجات



(اقرأ: مستقبل الزواج) .

(اقرأ: الفردية) .

في سنة 1983، بعد ثلاث سنوات في واشنطن، جئت إلى سولت ليك سيتي (ولاية يوتا) لإجراء مقابلات مع قادة الكنيسة المرمونية. وخلال السنوات التالية عدت إلى سولت ليك سيتي، وزرت كنائس مرمونية، وعرفت أكثر عن طائفة المرمون المسيحية.

في المرة الأولى، جئت في طريقى إلى منتجع "سنوبيرد" (طائر الجليد)، واحد من أرقى أماكن التزحلق على الجليد في الولايات المتحدة (أكثر من مرة فاز بالمركز الأول).

لم آت للتزحلق على الجليد لأني لا اعرفه (مرة واحدة، حاولت أن أتعلمه. لكني وقعت، وكدت أن أكسر يدي، وكانت تلك أول وآخر محاولة).

كانت جمعية دراسات الشرق الأوسط الأمريكية (التي تجمع أقسام دراسات الشرق الأوسط في الجامعات الأمريكية) دعتني لحضور مؤتمر عن الشرق الأوسط في "سنوبيريد". كان

الوقت شتاء، واستغل عدد كبير من الحضور الفرصة وتزحلقوا على الجليد، أو مارسوا رياضيات جليدية أخرى.

بعد نهاية المؤتمر، قضيت ثلاثة أيام في مدينة سولت ليك سيتي لازور رئاسة الكنيسة المرمونية، وأقابل كبار المسؤولين فيها. كان هناك موضوعان رئيسيان:

الأول: أخبار بان الكنيسة ترسل مبشرين إلى دول أفريقية إسلامية (مثل الصومال) لتنصير المسلمين. وبينما أنكر المسؤولون أنهم يتعمدون تنصير المسلمين، قالوا: إنهم يقدمون مساعدات إنسانية، و يجيبون "إذا سؤلوا عن المرمونية".

الثاني: مشاكل مع حكومة ولاية يوتا، ومع الحكومة الاتحادية في واشنطن، بسبب تعدد الزوجات وسط المرمون.

اهتممت بهذا الموضوع لسببين متناقضين:

في جانب، يبيح القرآن تعدد الزوجات (على شرط "أن تعدلوا").

في الجانب الآخر، يمنع القانون الأمريكي تعدد الزوجات (ويعاقب من يفعل ذلك).

خلفية تاريخية:

أسس القس جوزيف سميث الكنيسة المرمونية (اسمها الرسمي: كنيسة عيسى المسيح لآخر الأيام) في ولاية يوتا سنة 1830. وقال: أن الوحي نزل عليه لتأكيد تعاليم المسيح لأن المسيحيين كانوا "يدعون لها، ولا يمارسونها."

لكن، عارض الأمريكيون كلهم تقريبا هذه الرسالة:

أولا، اعتبروها تمردا على المسيحية السائدة (كيف يأتي نبى بعد المسيح؟)

ثانيا، عارضوا تعدد الزوجات لأسباب دينية، ولأسباب سياسية (اعتبروه نوعا من الرقيق، رغم أن امتلاك الرقيق السود كان قانونيا في ذلك الوقت).

وأعلن الكونقرس أن تعدد الزوجات ضد القانون. وأيدته المحكمة العليا، وقالت، في إعلان تاريخي: "لا تقدر الحكومة على منع أي عقيدة أو فكر. لكنها تقدر على منع ممارسة معينة."

وبدأت وزارة العدل حملة ضد المورمون، ورفعت قضايا ضد بعضهم، وصادرت بعض كنائسهم، وضايقتهم خلال خمسين سنة تقريبا. واضطر إتباع الطائفة للتجمع في ولاية يوتا. ثم رضخوا، وأوقفوا تعدد الزوجات رسميا (رغم أن بعضهم ظل يمارسه). وكان ذلك شرطا من شروط اعتراف الكونقرس بولاية يوتا، التي انضمت إلى الولايات المتحدة الأمريكية سنة 1896.

***

مورمون أصوليون:

لكن، تمرد على الكنيسة مؤيدو تعدد الزوجات، وأسسوا "الكنيسة المرمونة الأصولية". في الوقت الحاضر، يبلغ عدد هؤلاء أربعين ألف شخص تقريبا (ثلاثة أرباعهم أطفال). لكن حتى هؤلاء ينقسمون إلى جماعات، منهم:

أولا، "أبوستل بروثرز" (الإخوان الحواريون) الذين يرفضون اي تدخل حكومي في شؤونهم الدينية، اعتمادا على فصل الدين عن الدولة كما ورد في الدستور الأمريكي. (بل هم أكثر حماسا من الدستور لهذا الفصل). عددهم عشرة الآف شخص تقريبا. ويعيشون في مناطق ريفية على الحدود بين ولايتي يوتا وأريزونا. وهم الذين تطاردهم الشرطة أكثر من غيرهم، لأنهم يتزوجون بنات قاصرات، ولأنهم يظهرون في التلفزيون، ويفتخرون بتعدد الزوجات، ويتندرون قائلين: "جنس كل ليلة، مع زوجة مختلفة."

ثانيا، "انديبندانتز" (المستقلون) الذين يؤمنون بتعدد الزوجات مع عدم تحدي القانون. يتزوجون سرا، ولا يتحرشون بالقانون، ولا يتفاخرون، أو يتندرون.

وعددهم خمسة عشرة ألف شخص تقريبا، وتسكن أغلبيتهم في مدينة سولت ليك سيتي.

عبر التاريخ:

طبعا، تعدد الزوجات ليس جديدا.

كتب صمويل جابهان في كتابه: "تعدد الزوجات وقانون حقوق الإنسان": "تؤكد وثائق اغريقية ورومانية كثيرة أنهم كانوا يمارسون تعدد الزوجات قبل ميلاد المسيح."

ومارس الصينيون القدماء تعدد الزوجات، اعتمادا على الدين البوذي والتعاليم الكونفيوشنية التي تشجع العمل لزيادة الممتلكات (وترى الزوجات ممتلكات، والجاريات ممتلكات). واستمرت العادة، خاصة وسط الحكام والأغنياء. كان كل واحد يتزوج زوجة واحدة، ثم يعاشر من يشاء من نساء وجوارى. أو يعاشر امرأة، ثم يتزوجها.

حتى الثورة الشيوعية (سنة 1947) بقيادة الزعيم ماوتسي تونق. منعت الثورة تعدد الزوجات، وقالت إنه ضد المساواة بين الطبقات والطوائف والأجناس التي بشرت بها. لكن، لا تزال هناك بقايا هذه العادة الكونفيوشنية في الصين، وكوريا الشمالية، وكوريا الجنوبية، واليابان.

واعتمد الهنود القدماء على دينهم الهندوسي، ومارسوا تعدد الزوجات (والجاريات). ولأن الهندوسية تعترف بالطبقات، سمحت للطبقات العليا بتعدد الزوجات، ومنعت الطبقات الدنيا من ذلك. وعندما استعمر البريطانيون الهند (رسميا: سنة 1848م) الغوا تعدد الزوجات. لكنه استمر بصورة أو أخرى. ومنذ استقلال الهند (سنة 1947)، يمنع الدستور تعدد الزوجات، لكنه يستثنى المسلمين. لكن، خلال العشرين سنة الأخيرة، مع زيادة التطرف الديني والسياسي وسط الهندوس، يريد بعضهم العودة إلى العادات القديمة، وإن يكونوا مثل المسلمين.

سارة وهاجر:

تقول التوراة أن النبي إبراهيم تزوج سارة وخادمتها هاجر في نفس الوقت. وأن النبي سليمان كانت عنده 700 زوجة و300 جارية. وان النبي داوود كانت عنده زوجات وجاريات كثيرات، لكن ربما أقل من سليمان. (اعتمد القس سميث، مؤسس الكنيسة المرمونية، على ذلك عندما دعا إلى تعدد الزوجات).

وتوقف اليهود عن تعدد الزوجات عندما هاجروا إلى أوروبا بعد سقوط دولتهم، وتدمير معبدهم. واليوم، يمنع القانون الإسرائيلي تعدد الزوجات، رغم احتجاج يهود هاجروا إلى إسرائيل من اليمن وإيران، وكانوا تأثروا بتعدد الزوجات وسط المسلمين.

وطبعا، سمح القرآن الكريم بتعدد الزوجات، مع شرط هام: "وإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة." لكن، عكس التوراة، حدد القرآن عدد الزوجات بأربع. وقالت موسوعة "إسلاميك إنسايكلوبيديا" (دائرة المعارف الإسلامية) الآتي عن الموضوع:

أولا: يختلف تعدد الزوجات وسط المسلمين من بلد إلى آخر، ومن ثقافة محلية إلى أخرى (في تونس، منعه الرئيس الحبيب بورقيبة).

ثانيا: رغم الضجة، خاصة في الغرب، عن هذا الموضوع، يتزوج أكثر من زوجة اثنان في المائة فقط من المسلمين في كل العالم.

المسيحيون:

لم يشر الإنجيل إلى تعدد الزوجات. وطبعا، لأن عيسى المسيح لم يتزوج (بينما تزوج النبي محمد اثنتى عشرة مرة) يوجد اختلاف أساسي في نظرة الدينين إلى الزواج (والعائلة المباشرة والعائلة الممتدة).

منع تعدد الزوجات المفسر المسيحي الأول، سنت أوغسطين (قبل نزول القرآن بثلاثمائة سنة تقريبا). فعل ذلك تحت ضغط الإمبراطور الروماني. وكتب: "تزوج آباؤنا (الأنبياء الأوائل) أكثر من زوجة لأنهم كانوا يريدون زيادة النسل. لكن، تمنع العادات الرومانية الحالية تعدد الزوجات."

ولا ننسى أن سنت أوغسطين هو واضع نظرية التثليث (الأب، الابن، الروح القدس).

بعد أوغسطين بأكثر من ألف سنة، جاء مارتن لوثر، مؤسس المذهب البروتستانتي، ولم يقدر، أيضا، على حسم الموضوع. منع تعدد الزوجات، لكنه نصح الذين لا يقدرون على التخلص من عشيقاتهم أن يتزوجوهن.

وخلال الخمسمائة سنة الأخيرة (مع الثورة الصناعية، وثورة النهضة، وثورة التنوير، والثورات الوطنية)، حسم كل المسيحيين الموضوع. ومنعوا تعدد الزوجات نهائيا: كدين، وكدولة. واعتمدوا على مصادر دينية كثيرة، منها:

أولا: آية الخليقة (في التوراة): "ليترك الإنسان والده ووالدته، وليعيش مع زوجته، وليكونا جسما واحدا".

ثانيا: إصحاح متى (في الإنجيل) "أعط لقيصر ما لقيصر، ولله ما لله" (يعني هذا القبول بأن تنظم الدولة الزواج).

زوجات وأزواج:

يمارس الأفارقة في دول افريقية كثيرة تعدد الزوجات. ومارس سكان مناطق في التبت، ونيبال، وجنوب الصين، تعدد الأزواج. وخاصة مشاركة الأشقاء في زوجة واحدة. فعلوا ذلك كوسيلة قديمة لتخفيض عدد السكان، لأن المرأة، طبعا، لا تقدر على الحمل أكثر من مرة في السنة تقريبا. (في الجانب الآخر، يزيد تعدد الزوجات السكان لأن الرجل، طبعا، يقدر على أن يحمل أكثر من امرأة).

في الولايات المتحدة، خلال سنوات تحرير المرأة وتحرير الزنوج (في ستينات وسبعينات القرن الماضي) مارس عدد قليل من الأمريكيين والأمريكيات"الزواج الجماعي"، حيث عاش أزواج وزوجات في منزل واحدة. وتقاسموا الجنس، والحمل، وتربية الأطفال.

ويمنع القانون الأمريكي تعدد الزوجات، لكنه لا يمنع تعدد العشيقات. ولا يمنع الخيانة الزوجية (كانت ولايات تمنعها. واليوم، تمنعها القوات الأمريكية المسلحة وسط أعضائها).

ومنذ ثمانيات القرن الماضي، ألغت ولايات أمريكية كثيرة قوانين كانت تمنع سكن رجل وامرأة غير متزوجين في منزل واحد. وألغت قوانين كانت تمنع ممارستهم للجنس (صارت توافق، ما دام برضاء طرفين بالغين). وألغت قوانين كانت تمنع السحاق واللواط (صارت توافق مادام برضاء طرفين بالغين). ومع بداية القرن الحادي والعشرين، بدأت ولايات توافق على زواج رجلين أو امرأتين.

لكن القانون الأمريكي واضح في نقطتين:

أولا: الزواج القانوني هو الذي توافق عليه بلدية، أو مقاطعة، أو ولاية.

ثانيا: ممنوع زواج رجل من زوجة ثانية حتى إذا كانت تعلم الأولى، أو تعلم الثانية، أو لا تعلمان، أو تعلمان وتوافقان.

القس جيفز:

من القضايا المشهورة حول تعدد الزوجات وسط المرمون الأمريكيين، الحكم بالسجن مدى الحياة على القس وارين جيفز، زعيم جماعة مرمونية بتهمة الاشتراك في اغتصاب بنت قاصر عمرها 14 سنة. ليس لأنه شارك فعلا، ولكن لأنه ضغط علي البنت لتقبل زواج ابن عمها المتزوج، وعمره 24 سنة. قال لها: "يريد الله أن تفعلي هذا." ثم أجرى مراسيم الزواج.

في جانب، قال محامي القس أن موكله برئ. وهاجم هجوما شديدا البنت، ووصفها بالنفاق لأنها لم ترفض الجنس، رغم أنها رفضت الزواج. وقال: "يوجد فرق كبير بين أن تقول: "لا أريد الزواج"، وبين أن تقول: "لا أريد الجنس."

وفي الجانب الآخر، قال محامي البنت: "كلفتني موكلتي أن أعلن بالنيابة عنها أنها سعيدة جدا لأن القانون، أخيرا، برهن على أنه عادل ونزيه. ليست هذه قضية عن الجنس، هذه قضية عن الحرية."

وقال ممثل الاتهام:"كرر المتهم (القس) مرات كثيرة، داخل المحكمة وخارجها، أنه فعل ما فعل لأن دينه يحلل له ذلك. لكن، يجب أن نكون حذرين عندما ندخل الدين في قانون علماني. نعم، يملك كل شخص في الولايات المتحدة حرية أن يقول ما يريد، وأن يفعل ما يريد. لكن، اشترك المتهم في اغتصاب بنت قاصر. يرفض القانون ذلك رفضا قاطعا، حتى إذا أيده الدين. "

وأضاف: "البنت الضحية عضوا في الجماعة الدينية التي يقودها القس جيفز. وهو، بسبب مكانته الدينية، يسيطر سيطرة كاملة على أتباعه، بما فيه هذه البنت الضحية. يقدر على أن يحدد ماذا يفعلون، وأين يسكنون، ومن يتزوجون. لهذا، لم يكن هناك أي خيار لبنت عمرها 14 سنة، غير أن تطيع الزعيم الديني."

حتى القاضي الذي حكم بالسجن على القس تحدث في غضب، وقال: "سمعت من فم البنت وهي تقف أمامي هنا أنها ليست مجنونة جنس. قالت أنها لا تحب الجنس، ولا تقبله، وتراه موضوعا معقدا، وليس أهم شيء في الحياة."

لكن، قالت رئيسة جمعية "برنسبل فويس" (صوت المبدأ) المرمونية المحافظة: "نحن ضد القس جيفز لأنه اشرف على زواج بنت قاصر، وخرق القانون. لكننا معه لأنه يؤمن إيمانا دينيا بتعدد الزوجات. عكس الدعاية ضدنا، وعكس ما يقول الإعلام، وعكس سمعتنا، كان تعدد الزوجات، ولا يزال، موضوعا هامشيا في تعاليم الكنيسة المرمونية. تركز الكنيسة على الإخلاص في عبادة الله، وتقوية العلاقات العائلية، والمحافظة على الصحة، وحسن المظهر، وحسن الأخلاق. وتمنع الخمر، وتمنع الجنس قبل الزواج، والجنس خارج الزواج، وتعارض الشذوذ الجنسي (ناهيك عن زواج المثليين والمثليات)"

وسألت: "لماذا لا يركز الناس على هذه المبادئ الهامة؟ لماذا كل همهم هو أن بعض رجالنا يتزوجون أكثر من امرأة؟ ليست المشكلة ديننا. المشكلة هي هوس جنسي، وغيرة جنسية من جانب أعدائنا."

تحديث:

في سنة 2012، صدر كتاب "لاف تايمز ثري" (الحب ثلاث مرات) الذي كتبه رجل من المرمون وزوجاته الثلاث: جو دارقر، وزوجاته: إلينا دارقر، فيكي دارقر، فالير دارقر (جملة أطفالهم 25. ويستمر العدد في الزيادة بمعدل اثنين كل سنة)

قالوا أنهم يعرفون أن القانون الأمريكي يمنع تعدد الزوجات. وان زواجهم كان سرا، لكنهم قرروا أن يعلنوه، وفي كتاب، لأنهم يرون أن الدين المرموني أهم من القانون الأمريكي.

وقال: "ليس زواجنا عن الجنس. إذا كنت أريد الجنس، كنت تزوجت امرأة، وعاشرت عشيقتين أو ثلاث عشيقات أو عشرة عشيقات. زواجنا عن علاقات عائلية قوية وراسخة. عن منزل كله حب وأطفال، وفي المستقبل، جدات وحفيدات."

وأخيرا:

يظل القانون الأمريكي يمنع تعدد الزوجات. لكن، زاد النقاش حول "ما هو الزواج؟". وذلك بسبب العوامل الجديدة الآتية:

أولا: وصلت نسبة الطلاق إلى أكثر من خمسين في المائة من الزيجات.

ثانيا: وافقت ولايات كثيرة على زواج الشاذين جنسيا.

ثالثا: أصار ثلث الأمريكيين والأمريكيات يعيشون كأزواج وهم ليسوا متزوجين قانونيا.

وعن هذا الموضوع، قال مؤلف كتاب "الحب ثلاث مرات"، وزوج الثلاثة: "لا أريد تحدي القانون الأمريكي. أريد أن يناقش الناس هذا الموضوع من جوانب عائلية واجتماعية. وليس من منطلق هوس جنسي."

في صحيفة (واشنطن بوست) : حدود حرية الصحافة



(اقرأ: مقابلة رئيس تحرير "واشنطن بوست") .

(اقرأ: مقابلة كاتب عمود في "واشنطن بوست") .

(اقرأ: تغطية الإعلام الأمريكي لحرب العراق) .

في سنة 2005، جئت إلي مكاتب صحيفة "واشنطن بوست"، وهي عمارة عملاقة في الشارع الخامس عشر، على مسافة ليست بعيدة من البيت الأبيض، لقضاء يوم كامل في قسم الأخبار لمتابعة عمل الصحافيين من العاشرة صباحا، عندما بدؤوا يتوافدون على مكاتبهم، وحتى دارت ماكينات الطباعة قبيل منتصف الليل.

صحيفة "واشنطن بوست" هي أهم صحيفة في العالم، لأكثر من سبب:

أولا: تصدر في أهم عاصمة في العالم، وتنقل أخبار السياسيين وكبار المسؤولين، وتؤثر عليهم.

ثانيا: تتمتع بالحرية الأمريكية التي لا توجد حرية قدرها في اي دولة في العالم، وعبر تاريخ العالم.

ثالثا: تستفيد من تراثها، ووقارها، وجديتها، وحيادها.

لكن، الحرية شيء، والحياد شيء:

في جانب: يبدو أن الحياد الصحافي شيء مستحيل، خاصة في القضايا الوطنية الحماسية. في سنة 2001، أيدت "واشنطن بوست" غزو أفغانستان وفي سنة 2003، أيدت غزو العراق. ولم تعتذر حتى بعد مرور عشر سنوات على الحدثين. وسارت، مثل الإعلام الأمريكي كله تقريبا، في مسيرة ما تسمى "الحرب ضد الإرهاب" التي صرت أراها حربا غير مباشرة ضد المسلمين، إن لم تكن ضد الإسلام.

في الجانب الآخر: بفضل حريتها وبفضل شجاعتها، ساعدت "واشنطن بوست" في كشف معلومات أوضحت حقيقة انحياز الحكومة الأمريكية ضد الإسلام والمسلمين. وأيضا، كشفت آراء سياسيين وخبراء، وقادة مسيحيين وقادة يهود، يقفون وراء هذه الحملة العملاقة والقبيحة ضد الإسلام والمسلمين.

لهذا، هناك ثلاث نقاط هامة:

أولا: تقدر "واشنطن بوست" وبقية الإعلام الأمريكي على إيذاء حقوق العرب والمسلمين. وايضا، يقدرون على الدفاع عنها. في جانب، يشجعون العدالة والحرية. وفي الجانب الأخر، وقت الحروب، هم أميركيون يميلون نحو الدفاع عن وطنهم ظالما أو مظلوما.

ثانيا: تفيد الوطنية الأمريكية (التي ربما فيها مبالغة) في جمع الأعراق، والأجناس، والأديان المختلفة. لكن، وقت الحروب، تؤثر الوطنية الأمريكية المتطرفة (الحماسية) على الحرية الأمريكية تأثيرا سلبيا، وذلك لأنها تلهب مشاعر المواطنين ضد موضوع معين باسم "حماية الوطن" و "الأمن الوطني."

ثالثا: ليست العقلانية الغربية (والأمريكية خاصة) عقلانية كاملة. لا تقدر على السيطرة على العواطف (خاصة: الخوف والشجاعة، والكراهية والحب).

لهذا، منذ هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، صارت السياسة الخارجية الأمريكية نحو العرب والمسلمين أقل عقلانية وأكثر عاطفية. توثر عليها عواطف مثل: الخوف، والكراهية، والغضب، والانتقام.

لهذا، يمكن القول أن هناك حدودا لحرية الإعلام الأمريكي:

أولا: الحدود القانونية (مثلا: عدم التحريض على القتل، وعدم نشر صور فاضحة).

ثانيا: الحدود الوطنية (مثلا: عدم معارضة "حماية الوطن" وعدم تهديد "الأمن الوطني").

الصحافية دانا بريست

جئت في الصباح الباكر إلى مكاتب "واشنطن بوست" (سنة 2005). ومن أوائل الذين قابلتهم الصحافية دانا بريست، التي كانت اشتهرت بعد أن قضت سنوات تحقق في، وتكشف، وتنشر معلومات خطيرة عن السياسة الأمريكية نحو العرب والمسلمين. وهذه الصحفية يمكن أن تكون مثالا لقدرة الإعلام الأمريكي على نشر معلومات تخدم قضايا العرب والمسلمين.

وحصلت الصحفية على جائزة "بوليتزر" (للأعمال الصحافية الممتازة) بسبب تقرير كشفت وجود سجون سرية استعملتها وكالة الاستخبارات المركزية (سى آى ايه) للمتهمين بالإرهاب في دول في شرق أوروبا، حيث نقلتهم من أفغانستان وباكستان، وعذبتهم وأساءت معاملتهم.

قالت إنه، في البداية، حاول الرئيس السابق بوش الابن شخصيا منع نشر الخبر. ثم نفاه. ثم اعترف به.

وهذه بعض الأسئلة والأجوبة معها:

س: كم سنة قضيتيها في كتابة السجون السرية للإرهابيين في شرق أوروبا؟

ج: سنتين، وربما أكثر، إذا وضعت في الاعتبار متابعة الموضوع منذ بدايته.

س: الم يحاول الرئيس بوش منع نشر الموضوع؟

ج: لم يتصل الرئيس بوش معي شخصيا، ولكن مع رئيس التحرير. كان مسؤولون في البيت الأبيض اتصلوا معي، وطلبوا عدم نشر التقرير، وعندما رفضت، ذهبوا إلى رئيس التحرير. وعندما رفض، طلبوا من الرئيس بوش أن يقابل رئيس التحرير في البيت الأبيض.

س: لماذا كتب رئيس التحرير مقدمة للتقرير؟

ج: بسبب أهمية التقارير، كما اعتقد. وركز على نقطتين:

أولا: حرصنا على المصداقية. والتأكد بأن كل معلومة نشرت ليست فقط من مصدر واحد، ولكن من مصدرين، أو أكثر.

ثانيا: حرصنا على الأمن الأمريكي. لم ننشر معلومات قال البيت الأبيض أنها حساسة، مثل: أسماء الدول، وأسماء المسؤولين في تلك الدول الذين تعاونوا مع الاستخبارات الأمريكية.

ردود الفعل:

في نفس أيام نشر حلقات التقرير، نشرت الصحيفة ردود فعل التقرير:

عقد الجنرال المتقاعد جيمس كلابر، مساعد وزير الدفاع الذي عينه الرئيس باراك أوباما مدير الاستخبارات الوطنية (التي تنسق نشاطات كل الأجهزة الاستخباراتية) مؤتمرا صحافيا عاجلا. وقال: إنه قرأ تقرير "واشنطن بوست". وفي دبلوماسية، شكر الصحفية دانا بريست. وقال: إنه في المستقبل سيكون حريصا على "تقليص التناقضات، وزيادة التنسيق والتعاون".

وعلقت مجلة "صالون" في الإنترنت تحت عنوان: "الحكومة الأمريكية الحقيقية"، إشارة إلى أن "واشنطن بوست" مؤسسة عملاقة ومؤثرة. وربما أكثر نزاهة من الحكومة الأمريكية، لأنها "صحافة حرة، ومحايدة. بينما ليس سهلا وصف السياسيين والمسؤولين بأنهم أحرار، ومحايدون، ونزيهون."

وعلقت مجلة "اتلانتيك" الشهرية تحت عنوان: "هل تستحق المعلومات الاستخباراتية ما يصرف عليها؟". وقالت: أن التقرير يوضح أنه لابد من مناقشة هذا الموضوع، والمقارنة بين الصرف المادي وبين العائد الحقيقي.

انحياز الإعلام الأمريكي:

في جانب، نعم، الإعلام الأمريكي أكثر نزاهة من الحكومة الأمريكية، وكثيرا ما يكشف أخطاءها ومشاكلها. لكن، في الجانب الآخر، وباسم "حماية الوطن" و "الأمن الوطني" يتعاون الإعلام الأمريكي مع الحكومة الأمريكية. وأيضا، يسير مع الخط الشعبي العام.

قال ديفيد مينديش في كتابه "جاست ذا فاكتز (فقط الحقائق: كيف يتبع الإعلام الأمريكي الموضوعية) أن صحيفة "نيويورك تايمز"، خلال الصف الثاني من القرن التاسع عشر، لم تكن نزيهة في تغطية "لينشنق" (محاكمة السود في تجمعات شعبية، وإعدامهم بتعليقهم من فروع الأشجار، وكانت التهم في كثير من الأحيان التحرش بفتيات بيضاوات أو اغتصابهن أو محاولة اغتصابهن).

وقال الكتاب أن التغطية كانت:

أولا: "محايدة"، لكنها لم تكن "نزيهة".

ثانيا: نشرت وجهات نظر البيض والسود بهدف "موازنة" الخبر. لكنها لم تكتب عن "بيق بكشار" (الصورة الكبيرة: عن قانونية الإعدام، وقانونية العلاقات بين البيض والسود).

***

"أوبجيكتيفيتي":

وكتب برنت كاننقهام، الأستاذ في كلية الإعلام في جامعة كولمبيا (نيويورك) في "كولمبيا حورناليزم ريفيو" (دورية تصدرها الجامعة) عن "أوبجيكتيفيتي" (الموضوعية). وقال: أن لها جانبين:

في جانب، يفسرها الصحفيون بأنها "الحياد": نشر أكثر من وجهة نظر، وعدم الانحياز إلى أي وجهة نظر.

في الجانب الآخر، لا يهتم الصحفيون بتقديم "بيق بكشار" (الصورة الكبيرة). مثلا: ينشرون خبر اشتباكات بين الفلسطينيين وإسرائيل في الضغة الغربية بدون التركيز على أن إسرائيل تحتل الضفة الغربية منذ سنة 1967.

وقال كاننقهام: "ليست ممكنة الموضوعية، لأن الشخص يميل إلى أشياء أكثر من ميله إلى أشياء. هذا شيء طبيعي، والصحفيون بشر."

واقترح شعار "صحافة حرة ونزيهة" (مثل "انتخابات حرة ونزيهة"). لا تكفي الأرقام والحقائق، ولابد من وضع اعتبار للجو العام، للصورة الكبيرة.

ولا تذكر موضوعية الإعلام الأمريكي إلا وتذكر تغطيته لحرب العراق. ليس فقط تلفزيون "فوكس" اليميني الذي، تحت شعار "نحن نقدم وأنتم تحكمون"، أيد الغزو حسب تعليمات صاحبه بليونير الإعلام روبرت مردوخ الأمريكي الأسترالي:

أولا: حتى تلفزيون "إن بي سي"، فصل بيتر أرنيت، مراسله في العراق، لأنه تساءل عن قدرة القوات الأميركية على الوصول إلى بغداد (بسبب أعاصير، تأخر الزحف عن ما كان مقررا له).

ثانيا: حتى صحيفة "لوس انجلوس تايمز" فصلت بريان والسكي، مراسلها في العراق، لنشره صورة مزورة لجندي أميركي يرتدي ملابس مدنية عراقية.

ثالثا: حتى تلفزيون "فوكس" المنحاز، استدعي جيرالدو ريفيرا، مراسله في العراق لأنه رسم بعصا على الأرض اتجاه القوات العراقية. واحتج العسكريون الأمريكيون بأنه "كشف خططنا للأعداء" (وكان صدام حسين يتابع ما رسم الصحافي على الأرض).

وكشف بحث أجرته جامعة ماريلاند (ولاية ماريلاند) أن الإعلام الأميركي نشر آراء مؤيدين لغزو العراق بنسبة سبعين في المائة مقابل نسبة ثلاثة في المائة معارضين للغزو (البقية كانت محايدة).

تحديث:

زيارة صحيفة "واشنطن بوست" ومقابلة الصحفية دانا بريست كانتا سنة 2005.

بعد ذلك بخمس سنوات، كشفت نفس الصحفية، بالتعاون مع زميلها وليام آركين، هوس الحكومة الأمريكية لمواجهة ما تراه خطر الإسلام والمسلمين. وبالإضافة إلى ما أعلنت الحكومة، كشف تقريرهما ما لم تعلن الحكومة. وقال إن ملايين الدولارات صرفت في ميزانيات سرية.

وان الإجراءات الحكومية لمحاربة الإرهاب "صارت كبيرة جدا، وسرية جدا، وموزعة جدا إلى درجة أنه لا يوجد شخص يعرف كم من المال تكلف، وكم شخصًا يعمل فيها، وكم برنامجًا فيها، وكم وكالة ووزارة وهيئة تعمل في نفس الموضوع، وتجمع نفس المعلومات، وتوزعها على نفس الناس."

ونشر التقرير المعلومات الآتية:

أولا: تعمل 1271 هيئة حكومية و1931 شركة خاصة، في عشرة آلاف مكان في الولايات المتحدة، في برامج لها صلة بالحرب ضد الإرهاب، والأمن الوطني، والاستخبارات.

ثانيا: منحت هذه الوزارات والمؤسسات والشركات 854000 شخص (قدر سكان واشنطن العاصمة مرة ونصف مرة) تصاريح خاصة بدخول أماكن "سرية جدا" والاطلاع على تقارير "سرية جدا"، مما يوضح أن عبارة "سري جدا" ربما صارت بدون معنى.

ثالثا: بنت الوزارات والمؤسسات الحكومية 33 مبنى جديدا لوكالات، وأجهزة استخبارات، ومكاتب أمنية سرية. وتساوى جملة مساحات هذه المباني مساحة البنتاغون (أكبر مبنى مكتبي في العالم) ثلاث مرات.

فيما بعد، أصدرت الصحفية والصحافي التقرير في كتاب: "أمريكا السرية جدا."

في شركة (أميركا أون لاين) في دالاس
(ولاية فرجينيا) : الكمبيوتر



في سنة 1997، جئت إلى رئاسة شركة "أميركا اون لاين"، وقابلت رئيسها ستيف كيس. رئاستها في دالاس (ولاية فرجينيا)، من ضواحي واشنطن العاصمة، وقريبة من ضاحية بيرك التي ظللت اسكن فيها منذ سنة 1980، منذ أول سنة جئت إلى واشنطن مراسلا لصحف ومجلات عربية في الشرق الأوسط.

قبل ذلك بخمس سنوات، في سنة 1992، كنت ذهبت إلى فصول ليلية في كلية "نوفا" (في نفس ولاية فرجينيا) لدراسة استعمال كمبيوتر "دوس". ذهبت بسبب خليط من الفضول، والرغبة في تطوير عملي الصحفي. وذلك لأن الكمبيوتر كان بدأ يشتهر وينتشر. (فشلت فشلا ذريعا. وحسدت عددا من الهنود كانوا أحسن مني كثيرا. وتأكدت، مرة أخرى، بان مساري الدارسي يظل أدبيا، وليس علميا).

وانتظرت سنوات حتى تطور الكمبيوتر. وصار سهلا، وفي متناول كل شخص. ولم يعد يحتاج إلى دروس تكنولوجية.

في ذلك الوقت، كان الكمبيوتر في بداية عهده. وكانت شركات مثل "مايكروسوفت" و "أبيل" و "أمريكا أون لان" في البداية. كانت رئاسة الأولى في ولاية واشنطن، ورئاسة الثانية في ولاية كاليفورنيا، ورئاسة الثالثة بالقرب من واشنطن العاصمة (في ضاحية دالاس، في ولاية فرجينيا، بالقرب من مطار دالاس الدولي).

في سنة 1995، اشتريت أول كمبيوتر. كان "بدائيا" وعملاقا. واحضره إلى المنزل فريق من العمال والمهندسين، ووضعوا الاتصالات التلفونية والكهربائية. وجاءوا مرات كثيرة لمساعدتنا، أو إصلاح الأجهزة.

أمرونا بان نشتري رفا مغلقا، نضع فيه الكمبيوتر وملحقاته، ونغلقه في غيابنا. وذلك حتى "لا تصل إلى الكمبيوتر اي ذرة غبار، حتى إذا كانت لا تري بالعين." (الآن، بعد أكثر من عشر سنوات، عندي كمبيوتر أحمله معي، في حقيبة، إلى حيثما أريد (موبايل)، وعند زوجتي كمبيوتر تضعه في حقيبة يدها (أيباد).

الآن، يرتبط منزلنا بالإنترنت عن طريق "كيبل" أو لاسلكيا. لكن، في ذلك الوقت، كان التلفون الأرضي هو وسيلة الاتصال الوحيدة.

لهذا، في ذلك الوقت، فضلنا شركة "أميركا اون لاين" لأنها كانت قريبة من منزلنا. ولأنها كانت اشتهرت محليا وعالميا. وإذا كان بيل قيتز ابن ولاية واشنطن، وستيف جوب ابن ولاية كاليفورنيا، كان ستيف كيس (مؤسس ورئيس "أميركا أون لاين) ابن واشنطن العاصمة.

خلفية تاريخية:

بدا ستيف كيس حياته التكنولوجية سنة 1983 (كان عمره 25 سنة، ولد سنة 1958) في شركة "بدائية" لألعاب الفيديو الإلكترونية، هي شركة "كونترول فيديو" في واشنطن العاصمة. وتعلم على يدي وليام فون مايستر، مؤسس ومدير الشركة التي كانت تنتج ألعاب فيديو الكترونية. ثم تطورت الشركة، وصارت لتنتج ألعابا الكترونية في الانترنت، مثل "أتاري".

(قبل ذلك كان "أتاري" لعبة فيديو منفصلة، ولم تكن دخلت الانترنت).

لكن، اختلف الرجلان. وفي سنة 1985، انفصل ستيف كيس، وأسس شركة"كوانتام". واختفى مايستر في ظروف غامضة (ثم مرض بالسرطان، ثم توفي بعد ذلك بسنوات قليلة). وفي سنة 1991، غير ستيف كيس اسم الشركة إلى "أميركا اون لاين" (أي كل الأميركيين على الخط، خط الكمبيوتر).

ثم، لزيادة التواصل بين الناس، أسس ستيف كيس "شات روم" (غرفة الدردشة)، وقسمها إلى ثلاثة أقسام:

أولا: "برايفيت" (غرفة خاصة، يبدأها أي مشترك، لينضم اليه عدد محدد من الناس).

ثانيا، "كونفرنس" (مؤتمر حول مائدة، لابد أن توفق عليه الشركة، ولابد أن تشرف عليه، ويشترك فيه خمسون شخصا تقريبا يتحدثون مع بعضهم البعض).

ثالثا، "أوديتوريوم" (قاعة محاضرات، لابد أن توافق عليها الشركة، ولابد أن تشرف عليها. يتابع كل المشتركين ما يجرى على "المسرح"، لكن الجالسين في كل صف يقدرون على الإنفراد بالحديث مع بعضهم).

في البداية، حاسبت "أميركا اون لاين" كل مشترك حسب عدد الدقائق التي استعملها. وكانت ترسل فاتورة شهرية إلى كل مشترك. لكنها، في سنة 1996، حددت عشرين دولار اشتراكا كل شهر. نجحت الخطة، وقفز الإقبال، ووصل عدد المشتركين، خلال ثلاث سنوات، إلى عشرة ملايين مشترك.

الرسائل المباشرة:

في سنة 2000، بدات "أميركا أون لاين" برنامج "آي أم" (تبادل الرسائل مباشرة). في البداية، كان كل اثنين فقط قادرين على ذلك. فيما بعد، طورت الشركة البرنامج ليشمل تبادل الرسائل بين أكثر من شخصين. لكن في حدود. يتحدث شخص مع شخص ثان، ويتحدث الأول مع شخص ثالث. لكن، لا يقدر الثاني على متابعة الحديث بين الأول والثالث، ولا يقدر الثالث على متابعة الحديث بين الأول والثاني.

نجح هذا الاختراع نجاحا هائلا، واستمر عدد المشتركين في الزيادة، حتى وصل في سنة 2002 إلى أكثر من مائة مليون شخص.

وزادت أرباح الشركة، وبدأت تشتري شركات الكمبيوتر المنافسة، أو شركات الكمبيوتر المكملة لتكنولوجيتها. ومن أشهر هذه: "كومبيوسيرف" و "نيتكسيب"، وكلفتها الأخيرة أكثر من أربعة بلايين دولار.

أخطاء كبيرة:

لكن ، أخطأت "أميركا أون لاين" أخطاء كبيرة كلفتها كثيرا:

أولا: لأنها كانت تعتمد على الاتصالات التلفونية (داخل كل منزل، تربط الكمبيوتر بخط تلفون)، أخطأت لأنها لم تتوقع أن يدخل الكيبل أغلبية المنازل الأميركية. وأن يسيطر الكيبل على نقل إرسال التلفزيون، والتلفون، والإنترنت. وهو الأسرع، والأكبر طاقة.

ثانيا: أخطأت لأنها قللت من قدرة بيل قيتز، وشركته "مايكروسوفت"، على المنافسة في مجالات البريد، والخدمة، والبحث. رغم أن "مايكروسوفت" بدأت بصناعة الكمبيوترات، فيما بعد دخلت مجالات مثل: البريد، الخدمات، ماكينات البحث، وأسست "اكسبلورار."

ثالثا، أخطأت "أميركا أون لاين" لأنها زادت طمعا. وسيطرت على شركة "تايم وارنر" مقابل أكثر من مائة بليون دولار. هذه أكبر شركة إعلامية في العالم، وتركز على النشر، والإذاعة، والتلفزيون، والسينما. وكانت خطة "أميركا اون لاين" هي إضافة الإنترنت، وتأسيس شركة إعلامية وإلكترونية تسيطر على كل العالم.

لكن الخطة فشلت.

تحديث:

في سنة 1990، زرت رئاسة شركة "مايكروسوفت" في ريدموند (ولاية واشنطن). وفي سنة 2007، زرت رئاسة شركة "قوقل" في ماونتين فيو (ولاية كاليفورنيا). وفي سنة 2010، زرت رئاسة شركة "ديل" في أوستن (ولاية تكساس).

وبعد كمبيوتر المنزل العملاق "البدائي" الذي اشتريته سنة 1995، اشتريت أول كمبيوتر موبايل "لابتوب" سنة 2002. وفي سنة 2012، اشتريت أول "اي فون" (تلفون ذكي هو تلفون وكمبيوتر). وأنا ابن القرية السودانية البسيطة، لا كاد أصدق هذا التطور التكنولوجي السريع. ولا أكاد الحق به.

غير أن كثر ما بهرني هو "قوقل سيرش" (ماكينة البحث العملاقة) لأنني استفيد منها في عملي الصحافي فائدة لا أكاد أصدقها. أي معلومة في أي وقت.

جوجل:

خلال نفس سنوات طمع وسقوط شركة "أميركا أون لاين"، كانت شركة "قوقل" تنتشر وتتوسع. ولا تذكر "قوقل" إلا ويذكر مؤسساها: لاري بيق وسيرجي برين، طالبان يهوديان كانا يحضران للدكتوراه في التكنولوجيا في جامعة ستانفورد (في ولاية كاليفورنيا)، وأسساها سنة 1998.

ولدا بفارق خمسة شهور سنة 1973، والتقيا في جامعة ستانفورد، واستخدما كمبيوتر عتيق في غرفة بيق، في داخلية جامعية، لتنفيذ فكرتها.

كيف التقيا؟

في جانب، ذهب بيق إلى ستانفورد من جامعة ميشيقان حيث كان والده أستاذا في الذكاء الصناعي، وكانت والدته أستاذة في نظرية الكمبيوتر.

في الجانب الآخر، ذهب برين (الذي هاجر مع عائلته من روسيا إلى أميركا عندما كان عمره ست سنوات) إلى ستانفورد من جامعة ماريلاند حيث كان والده أستاذ رياضيات، وكانت والدته باحثة في رئاسة وكالة الفضاء الوطنية (ناسا) في واشنطن العاصمة.

حتى ذلك الوقت، كان البحث عن معلومة في الإنترنت يقتصر على عدد ظهورها في صفحة واحدة. لكن، فكر الطالبان في البحث عن المعلومة في كل المواقع، بعد ربط المواقع ببعضها البعض. وبعد الربط، ركزها على السرعة لأن البحث الشامل كان، في المراحل الأولى، يستغرق ساعات وساعات.

معنى الاسم:

ظهر اسم "قوقل"، أول مرة، كفرع في موقع جامعة ستانفورد. وكتب جون باتيللي، صحافي كمبيوتر ومؤلف كتاب "سيرش" (البحث: كيف غيرت "قوقل"، ومنافساتها، أعمالنا، وثقافتنا)، أن يبقى اختار اسم "قوقل" من اسم "قوقيل" (الرقم واحد وإلي يمينه مائة صفر).

وعندما نجحت الفكرة، نقلا أبحاثهما من غرفة في داخلية جامعة إلى جراج أستاذ جامعي. وقدم لهما أستاذ جامعي آخر قرضا بمائة ألف دولار، وكانت تلك بداية شركة أصبحت الآن أكبر ماكينة بحث إلكتروني في العالم.

في سنة 2010، كان يعمل في رئاستها في ماونتين فيو (في ولاية كاليفورنيا)، وفي فروعها، أكثر من عشرون ألف شخص . ودخلت مجال الإعلانات الإلكترونية، ثم إعلانات الصحف. وتريد وضع كل الكتب في مكتبة الكونقرس (في واشنطن العاصمة)، أكبر مكتبة في العالم، في الانترنت. وحسب آخر الإحصائيات، تسيطر على ستين في المائة من سوق البحث عن المعلومات في الإنترنت، قبل "ياهو" (23 في المائة)، وقبل "إم اس إن" (13 في المائة).

ثم دخلت "قوقل" مجال الفيديو، واشترت "يوتيوب"، اكبر موقع في الإنترنت لشرائط الفيديو. وفي سنة 2010، أعلنت مجلة "فوربز" أن ثروة كل من بيق وبرين وصلت إلى عشرين بليون دولار. وأصبحا من أغني عشرين شخصا في العالم. وبلغت قيمة الشركة مائتي بليون دولار، لتصبح أكبر شركه إعلام ومعلومات في العالم.

ثقافة "قوقل":

رغم هذه الثروة الخيالية، يكرر موقع "قوقل" أن للشركة مبادئ أخلاقية أساسية:

أولا: "تقدر على أن تربح بدون أن تكون شريرا."

ثانيا: "تقدر على أن تكون محترما بدون أن تلبس بدلة."

ثالثا: "تقدر على أن تعمل بدون أن تكون جادا".

لكن، تتحدى هذه المبادئ الأخلاقية تطورات جديدة:

أولا، تحولت الشركة من خاصة إلى مساهمة. وأصبحت تعتمد على حسابات "وول ستريت" (شارع المال في نيويورك)، وعلى رغبة حملة الأسهم في أرباح أكثر.

ثانيا، زادت منافسة شركات بحث أخرى لها. واشتكى برين لمجلة "تايم": "أعلنت شركة مايكروسوفت (التي يملكها بيل قيتز، عملاق الكمبيوتر) إنها تريد تدمير قوقل." وأضاف: "لا اقلق على المنافسة، لكنى أقلق على استعمال كلمات مثل تدمير."

ثالثا، اضطرت "قوقل" لتقديم تنازلات في حرية البحث لحكومة الصين مقابل السماح لها بدخول السوق هناك. وشجع هذا حكومات غير ديمقراطية أخرى لتطلب نفس الشيء.

رابعا، بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، وإعلان الرئيس بوش الحرب ضد الإرهاب، طلب مكتب التحقيق الفدرالي (اف بي أي) من "قوقل"، وماكينات بحث مماثلة، مساعدته في متابعة الإرهاب والإرهابيين.

في وقت لاحق، نشر تقرير بأن "قوقل" توافق على تسعين في المائة من طلبات "إف بي أي" لتوفير معلومات عن الناس. وبعد أن كان الناس أجانب أو إرهابيين، صاروا مواطنين أمريكيين، وحتى أعضاء في الكونقرس ومسؤولين كبار. وحسب التقرير، جمعت "إف بي اي" معلومات عن نصف الأميركيين البالغين تقريبا.

اتحاد الحقوق المدنية:

في سنة 2009، وتحدى الاتحاد الأميركي للحقوق المدنية (إيه سي أل يو) وزارة العدل الأميركية لتثبت حسن نيتها في ضغطها على "قوقل"، وغيرها، للحصول على معلومات شخصية. وقال أدين فاين، عضو في الاتحاد: "لا تملك الحكومة حق حمل شبكتها، وصيد أسماء ملايين الناس في قوقل في أي وقت بحجة أنها تحتاج إلى هذه المعلومات." وضاف: "حاجة الحكومة إلى معلومة معينة لا تعطيها حق الحصول عليها."

ومن الحالات التي نشرت، أن "قوقل" قدمت معلومات إلى "أف بي آي" عن شخص أرسل خطاب تهديد إلكتروني إلى الاتحاد الوطني لتقدم الملونين (منظمة قديمة تدافع عن الحقوق المدنية للسود). شملت المعلومات التي قدمتها "قوقل" اسم الشخص، وبريده الإلكتروني، والمواقع التي زارها. واعتمادا على هذه المعلومات، اعتقلت الشرطة راندل أشبي، في منزله في مدينة صغيرة في ريف ولاية ويست فرجينيا. وكان الرجل يعتقد أن سرية الإنترنت ستحميه.

كتب أشبي في خطاب التهديد: "ليعلم السود أن مكانهم الطبيعي هو تحت أقدام أسيادهم، وليستعدوا ليوم نهاية العالم. مات المسيح، واقتربت نهاية العالم."

ورغم أن خطاب أشبي يخرق القانون الأميركي، ورغم أن أحدا لم يعترض على تعاون "قوقل" مع الشرطة لاعتقال أشبي، أكد الحادث أن "قوقل" تقدر على كشف معلومات سرية لمئات الملايين من الناس.

كل شيء:

هل تريد معلومات عن دور إسرائيل في هجوم 11 سبتمبر سنة 2001؟ هل تريد رؤية منزلك من الفضاء؟ رؤية المنزل الذي ولدت فيه؟ عرض فيديو عن عائلتك ليشاهده من يريد؟

قراءة مقتطفات من كتاب؟شراء كمبيوتر، أو معطف، أو بدلة؟مشاهدة فيلم في دار سينما قريبة منك؟ استئجار فيديو فيلم من مكان قريب منك؟ إرشادات الطريق من منزلك إلى منزل بعيد لشخص دعاك إلى عشاء؟ إرسال رسالة إلكترونية؟ الحديث مع شخص في تلفون الإنترنت؟حجز مقعد في طائرة أو غرفة في فندق؟الاتصال بطبيب في موضوع عاجل؟

"قوقل"، وزميلاتها، تقدم لك ذلك، وأكثر منه.

وفي سنة 2011، نشرت صحيفة "واشنطن بوست" أن صاحب كمبيوتر في قرية في بنغلاديش يبحث في الإنترنت، عن طريق "قوقل"، عن أطباء في العاصمة دكا يحول لهم مرضى القرية.

وكتب جون باتيللي، الصحافي الإلكتروني ومؤلف كتاب "البحث": "مشكلة ماكينات البحث هي أنها وفرت كميات هائلة من المعلومات حتى لم يعد الشخص يقدر على أن يفرق بين المعلومة الصحيحة وغير الصحيحة." لكنه أضاف: "في نهاية المطاف، تقدر المعلومة الصحيحة على أن تهزم غير الصحيحة."

معلومات مثيرة:

وأشار جون زيلر، أستاذ الرأي العام في جامعة كاليفورنيا، ومؤلف كتاب "طبيعة وأصول الرأي العام"، إلى ميل التلفزيون الأميركي، خلال العشرين سنة الأخيرة، نحو الأخبار المثيرة وغير السياسية. وقال أن هذا انعكس على الإنترنت:

أولا، أوضحت الإحصائيات أن نسبة قليلة جدا من الذين يستعملون الإنترنت يستعلمونه لأغراض جادة: سياسية، أو فكرية، أو علمية.

ثانيا، أوضحت زيادة نفوذ "الثقافة الشعبية" بالمقارنة مع "ثقافة المثقفين". أي أن "الصفوة لم تعد تسير الرعاع".

وقال زينر أن هذه التطورات، في جانب، تزيد إسهام عامة الناس في القضايا الحياتية. لكنها، في الجانب الآخر، تقلل قدرة السياسيين والمثقفين على قيادة العمل السياسي والنشاطات الفكرية. وأشار إلى انتشار "البلوقات"، عشرات الملايين من مواقع ناس عاديين نصبوا أنفسهم لجمع الأخبار والتعليق عليها.

وفي سنة 2009، قال يونارد داوني، مدير تحرير صحيفة "واشنطن بوست" التنفيذي، في خطاب ألقاه بمناسبة افتتاح معهد وكالة رويترز للصحافة في جامعة أكسفورد: "لست من الصحافيين الذين ينظرون نظرة دونية نحو أصحاب البلوقات. اعتقد أنهم، بطريقتهم الخاصة، يساهمون في نشر الأخبار والأفكار."

في متحف الجنس (نيويورك) : جنس أو معرفة؟



(اقرأ: حدود الإباحية) .

(اقرأ: العقلانية) .

في سنة 2003، جئت صدفة إلى "ميوزيوم أوف سكس" (متحف الجنس) في نيويورك. جئت إلى نيويورك لتغطية الاجتماع السنوى للجمعية العامة للأمم المتحدة. وكنت أنزل في فندق بعيد من مبنى الأمم المتحدة (الذي يقع على نهر "إيستيرن")، في منطقة قريبة من "تايمز سكوير" (ميدان صحيفة "نيويورك تايمز"). يقع الميدان على شارع برودواي، شارع المسارح والسينما والترفيه.

ويوما، مشيت جنوبا على شارع برودواي، ثم على شارع جانبي حيث شاهدت لافتة متحف الجنس.

ليس مبنى كبيرا، لكن الإقبال عليه كبير. وأول سؤال خطر على بالي، وربما على بال كثيرين غيري: لماذا متحف للجنس؟ وتلقفت كتيبا صغيرا موضوعا عند المدخل، وفيه الأتي:

"هدفنا هو تسجيل تاريخ، وتطور، ومغزى الجنس. ونحن

نلتزم، ونحن نقدم هذه المعلومات، بفتح حوار حر، وبتبادل آراء في شفافية، وغير إحراج."

لو يمكن الاقتناع بهذا الرأي، يظهر السؤال الثاني، وهو: متى يكون الجنس إثارة ومتى يكون معرفة؟ ما هو الخط الفاصل؟ خاصة لأن الذي يشاهد المتحف ربما لا يجد خطا فاصلا (مع الاعتراف بأن لكل شخص خطًا فاصلاً ربما يختلف عن خط غيره).

مقابلة مع المدير:

لحسن الحظ، بعد دفع خمسة عشر دولارًا رسم الدخول، قابلت مؤسس ومدير المتحف دانيال كلاك. قابلته بالصدفة، وسارعت، وقدمت نفسى كصحفي (ربما لأنفي عن نفسي أنني من الذين يبحثون عن لذه جنسية في المتحف). وتلطف معي، ودعاني إلى مكتبه. وجرى بيننا الحوار الآتي:

س: لماذا أسست هذا المتحف؟

ج: لأني مجنون جنس! (ضاحكا) لا. لست مجنون جنس، ولا أقضي وقتي أفكر في الجنس. بالعكس، أريد أن يغير الناس اعتقادهم بان الجنس هو من أجل الجنس. أريد منهم أن يعتبروا الجنس نوعا من أنواع المعرفة. نظريتي هي أن عقدة الجنس سببها الجهل بالجنس. نعتبره سرا، وفي الظلام، ولا نتحدث عنه في جلسة محترمة. لكن، لو أعدنا النظر في الموضوع، لوجدنا الجنس شيئا عقلانيا.

س: الجنس عقلاني؟

ج: مثل اثنين يحبان بعضهما حبا عقلانيا. نعم، هناك العاطفة الجياشة التي تربطهما. لكنهما، أيضا، يتناقشان في معنى الحب، ونظرتهما إليه، وميول كل جانب. ونقاط الاختلاف، ونقاط الاتفاق. أي أنهما يحبان بعضهما ما يمكن أن يسمى "حبا عقلانيا." لهذا، إذا تزوجا، يكون الزواج عقلانيا أيضا. طبعا، يكون زواج حب، لكنه قائم على أسس متفق عليها، وعلى الحرية والفردية والخصوصية الأساسية للزوج وللزوجة.

س: كيف تطبق هذه العقلانية على الجنس؟

ج: نعم، يمكن تطبيق نفس الشيء على الجنس. نحن نمارس الجنس وكأنه شيء مخجل. لكن، من أهداف متحفي هو أن نمارس الجنس ونحن على معرفة علمية بالممارسة، وظروفها. ونتناقش في ذلك.

ولا نخفي شيئا. أنواع الممارسة الجنسية ليست أنواع مثيرة فقط، ولكنها أيضا أنواعا علمية، ومعرفية، وحضارية. وتقوم كل ممارسة على حرية، وفردية، وخصوصية كل جانب. لهذا، أنا أقول أن متحفي يدعو إلى "الجنس العقلاني". خليط من الشفافية، والمعرفة، والمنطق.

س: هل واجهتك مشاكل في تأسيس المتحف؟

ج: في البداية، رفضت بلدية نيويورك الطلب. قالت أن "متحف الجنس" يسيء إلى اسم "متحف". وانه يقع تحت قانون محاربة الدعارة والرذيلة. وأنا قلت لهم إنني لست تاجر "بورنوقرافي" (مواد إباحية). وليست لي علاقة بأي شركة شراء أو بيع مواد إباحية. في النهاية، وافقت البلدية، بشروط منها: أولا: لا تكون لي أي صلة بأي شركة إباحية. ثانيا: لا يدخل المتحف أي شخص أصغر من ثماني عشرة سنة. ثالثا: لا يمارس أي نوع من أنواع الجنس داخل المتحف.

س: وهل اعترض عامة الناس؟

ج: اعترض رجال الدين. وقالوا لي: إذا كنت أريد تأسيس أي متحف له صلة بالجنس، ليكون مثلا "متحف أمراض الدعارة" أو "متحف تفكك العائلة" أو "متحف الانحلال الأخلاقي". أنا طبعا اعرف أن كثيرا من الأديان تتشدد في موضوع الجنس. ولا أربد أن ادخل في نقاش حول هذا الموضوع. وأنا قلت لهم ذلك. لكن، ليس لمتحف الجنس أي صلة بالأديان. هذا متحف علمي.

س: ما هو دليل أن هذا متحف علمي وليس جنسيا لأني أرى كل هذه الأشياء الجنسية؟

ج: هناك مثل أمريكي يقول: "الجمال حسب من يراه"، أي يختلف الناس في تقييم ما هو الجمال. وأنا اقول: "الجنس حسب من يراه"، أي يختلف الناس في ما هو جنسي وما هو غير جنسي. نعم، هذا متحف جنس، وفيه أشياء جنسية كثيرة. لكن، كما قلت لك سابقا، الهدف ليس الجنس، ولكن المعرفة.

في الدليل المرفق للمتحف أسماء أعضاء مجلس الإدارة، وأعضاء مجلس المستشارين. وهم من الشخصيات الطبية، والأكاديمية، والاجتماعية المرموقة. ولن تجد اسم أي شخص له صلة بالإباحية، أو شركات الإباحية، أو الأفلام الخليعة. وللتأكيد على الجانب التاريخي والجغرافي العلمي، هناك شخصيات في مجلس الإدارة من جمعية نيويورك للتاريخ، وجمعية نيويورك لعلم الأجناس، وجمعية نيويورك للثقافات الأجنبية. وهناك أستاذ من مركز كينزي لأبحاث الجنس في جامعة إنديانا (أكبر مركز من نوعه في العالم). ونحن نتعاون مع جاليات أجنبية في نيويورك. وهم قدموا لنا مواد وتماثيل لها صلة بالجنس. و لا تنس المكتبة هنا. هذه أكبر مكتبة للجنس في العالم. والمتحف هو الوحيد من نوعه في العالم.

س: كيف ترى التغطية الإعلامية؟

ج: أيام افتتاح المتحف، كتبت عنا كل الصحف الرئيسية في نيويورك، مثل "نيويورك تايمز" و "نيويورك دايلي نيوز". وزارتنا كاميرات كل الشبكات التلفزيونية الرئيسية، مثل "إن بي سي" و "سي بي إس." وزارنا عدد كبير من ممثلين وممثلات هوليوود المشهورين (المحترمين). لا اعرف ممثلين وممثلات خلاعة. ربما زارونا، وربما لم يزورونا. وطبعا، خلال السنوات الأخيرة، زاد الوعي الجنسي في الولايات المتحدة، وفي كل العالم، بفضل زيادة تكنولوجيا الاتصالات، والصور، والفيديو. ولم يعد هذا المتحف "شاذا" أو "غريبا."

جولة مع المدير:

وأخذني المدير في جولة. وقال: إن في المتحف خمسة عشر ألف قطعة، وصورة، وكتاب، وأداة عرض.

بدأنا بالمكتبة. فيها كتب مثل: "تاريخ الجنس" و "الجنس عند قدماء اليونانيين" و "الجنس عند الفراعنة" و "الجنس والكنيسة الرومانية" و "الجنس والدين اليهودي" و "لماذا يتفوق الأفارقة في الجنس؟" و "نساء بيضاوات ورجال سود" و "ألف طريقة لممارسة الجنس" و "ملصقات شقراوات".

وفي المكتبة أيضا، سلسلة كتب "الخط الفاصل"، مثل: "الخط الفاصل: ملابس مثيرة وملابس غير مثيرة" و "الخط الفاصل: عبارات محترمة وعبارات غير محترمة"
و "الخط الفاصل: جنس مقبول وجنس غير مقبول" و "الخط الفاصل: جنس صداقة وجنس بسبب الحب."

وفي المكتبة أيضا، أشهر الكتب والروايات التي منعت في الماضي بسبب إشارات جنسية فيها، لكن، الأنة، صارت مقبولة. مثل: "عشيقة الليدي شاترلي" الذي منع في بريطانيا في القرن التاسع عشر، في العهد الفكتوري، لأنه أشار فقط إلى عبارات جنسية.

وفي المكتبة أيضا، كتب خليط من جنس ومعرفة. مثل: "كيف ترقصين الرقص الشرقي المثير؟" و "كيف تمارسين ستريب تيز (نزع الملابس تدريجيا على أنغام الموسيقى)؟" و "كيف تغرين زوجك؟" و "كيف تحافظين على جنس صحي ونظيف؟"

وهناك قسم إلكتروني عن المحاضرات والمعارض التي أقيمت في المتحف. ومنها: "إسهام نيويورك الجنسي في التاريخ الأمريكي" و "تاريخ مجلة "بلاي بوي"
و "اختراعات جنسية مسجلة في مكتب مسجل الاختراعات الفدرالي".

وهناك معرض "ديجيتال داياريز" (يوميات رقمية) لمصورة صحافية أمريكية جمعت فيه صور علاقاتها الجنسية كانت التقطتها لأكثر من عشر سنوات.

وهناك معرض الأجهزة الميكانيكية الجنسية التي يمكن أن يستعملها الرجال والنساء.

وهناك معرض الجنس وسط الحيوانات، من الدب القطبي الشمالي، إلى طير البنجوين في القطب المتجمد الجنوبي، إلى القرد الإفريقي.

وهناك معرض الأفلام الإباحية. وقال لي مدير المتحف (كان يتجول معى في سرعة ولا يهتم بالمعروضات، ربما لأنه تعود عليها): "لا تعتقد أن هذه دار سينما صغيرة يأتي إليها الناس ليشاهدون أفلاما إباحية. لا. نحن لا نفعل هذا. إذا فعلناه، ستغلق البلدية كل المعرض. هذه قوائم وأنواع الأفلام الإباحية فقط."

وهناك قسم المشتروات التذكارية. أغلبها قمصان مكتوبة عليها عبارات، ليس جنسية فاضحة، لكن، فيها رموز وغموز جنسية. قمصان مكتوب عليها: "زرت متحف الجنس، واشتريت هذا القميص" و "جدي زار متحف الجنس، وعاد بهذا القميص" و "جدتي زارت متحف الجنس وعادت بهذا القميص."

وهناك ملابس داخلية مكتوبة عليها عبارات جنسية صارخة.

وفي قسم المشتروات أشياء عادية يشتريها الناس، لكن فيها مغازي جنسية، مثل: أكواب، وصحون، وملاعق، وشوك، وسكاكين، وولاعات سجاير، ونظارات، وسلسلة مفاتيح، وأقلام، ودبابيس، وصابون، وأحمر شفاه، وطلاء أظافر.

وفي قسم المشتريات أشياء تؤكل، وفيها مغازي جنسية. مثل: قطع شكولاتة، وموز، ومكرونة بمختلف الأشكال، وشوربة إشكال مكرونة مختلفة.

تحديث:

في سنة 2010م، بعد سبع سنوات من أول زيارة، زرت المتحف مرة ثانية. ووجدت انه قد توسع، وانفتح على "فيفث افنيو" (الشارع الخامس، شارع الشقق والمتاجر والمطاعم الفاخرة). وتوسع المتحف، وزادت نشاطاته.

وهناك معرض جديد، هو: "عالم الرغبة: لماذا نحب ما نحب". ويعتمد المعرض على بحث في الإنترنت عن رغبات الناس الجنسية. وصدرت النتيجة في كتاب: "بليون رغبة قذرة". أحصى الكتاب أربعمائة مليون بحث في الإنترنت. ووجد أن خمسين مليون بحث منها (أكثر من عشرة في المائة) عن مواقع جنسية.

وملخص الكتاب أن رغبات الناس الجنسية لا تختلف كثيرا من بلد إلى بلد. وخاصة رغبات الرجال. في كل بحث ومن كل بلد، يبحث الرجال عن الإثارة الجنسية. لكن أبحاث النساء تختلف حيث تبحث الغربيات أكثر من الشرقيات. ونسبة البحث وسط الكنديات تساوى عشرة أضعاف نسبة البحث وسط المصريات.

في زيارتي الثانية، لاحظت أنه أضيف إلى المتحف "مقهى الجنس".

ليس هذا كما يبدو اسمه. إنه مثل مقهى "ستارباك"، لكن فيه إضافات على القهوة والشاي والمشروبات الفاكهية، يقولون: إنها تزيد الرغبة الجنسية، سواء بالنسبة للرجال أو النساء.

قائمة المقهى فيها:

شاي بالجنزنج (يعتبره الكوريون مثيرا جنسيا). عصير الرمان (اعتبره قدماء الفرس مثيرا جنسيا). عصير المانقو (يعتبره الأفارقة مثيرا جنسيا). عصير شكولاته (اعتبره قدماء الهنود الحمر مثيرا جنسيا).

وهناك ساندوتشات عادية يقولون: أن فيها محتويات جنسية. مثل: ساندوتش جبنة بطماطم مجففة بحرارة الشمس. وساندوتش جبنة "بري"الفرنسية. وساندوتش لحوم ايطالية مع جنبة "موتزاريلا".

وطبعا، هناك الشكولاته بمختلف أنواعها وأشكالها (الجنسية). وتقبل عليها النساء أكثر من الرجال، ربما ليس بسبب المغازي الجنسية، ولكن بسبب حب النساء المشهور للشكولاته.

في قاعدة «كامب لاجون» (ولاية نورث كارولينا) :

قصائد عن حرب العراق



(اقرأ: مقاومة العراقيين للاحتلال الأمريكي) .

(اقرأ: تغطية الإعلام لحرب العراق) .

في سنة 1997، جئت إلى قاعدة "كامب لاجون" (ولاية نورث كارولينا) لحضور معرض عن حرب تحرير الكويت (سنة 1991). وفي سنة 2007، جئت إلى المنطقة، وليس إلى القاعدة العسكرية، لحضور مظاهرات وندوات أقامها محاربون قدامى ضد التدخل العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط.

وخاصة غزو أفغانستان والعراق، باسم ما تسمى "الحرب ضد الإرهاب" التي أعلنها الرئيس السابق بوش الابن، بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001.

***

ذهبت بسيارة استأجرتها من واشنطن إلى فاييتزفيل (ولاية نورث كارولينا) حيث قاعدة "فورت براق." وهناك، حضرت ندوات ومظاهرات أقامها محاربون قدامى كانوا حاربوا في العراق وأفغانستان. وهناك، عرفت بأن زملاء لهم يفعلون نفس الشيء في جاكسونفيل (نفس ولاية نورث كارولينا). ليست هذه بعيدة، وتقع على الطريق البري رقم 95 (الذي يمتد من ولاية مين في أقصى الشمال الغربي، على طول الساحل الشرقي، إلى ولاية فلوريدا، في أقصى الجنوب الغربي).

هناك وجدت واشتريت كتاب "اوبريشن هومكامينق" (عملية العودة إلى الوطن). وفيه انطباعات ضباط وجنود حاربوا في أفغانستان والعراق. وكانت وزارة الدفاع الأمريكية، بالتنسيق مع مؤسسة الفن والآداب الوطنية، هي التي تبنت مشروع "الجوانب الثقافية للحرب".

وهنا وهناك، حضرت مظاهرات وندوات، خاصة التي نظمتها جمعية "أراكي فيترانز اقينست وور" (محاربي حرب العراق ضد الحرب). هذه جمعية تأسست سنة 2004، بعد سنة من غزو القوات الأمريكية للعراق. وصارت لها فروع في كثير من الولايات الأمريكية (وفي قواعد عسكرية أمريكية في الخارج، مثل التي في ألمانيا).

وبسبب تشدد الجنرالات الأمريكيين نحو أي جمعية يقولون: إنها "تثبط همم الجنود القتالية"، تعمل بعض هذه اللجان خارج القواعد العسكرية. مثل التي خارج قاعدة "فورت براق"، وخارج قاعدة "كامب لاجون".

حسب مشروع "الجوانب الثقافية للحرب"، أرسلت وزارة الدفاع الأمريكية أدباء وشعراء إلى القواعد الأمريكية في افغانستان والعراق لهدفين:

أولا: كتابة انطباعات "ثقافية غير سياسية وغير عسكرية".

ثانيا: تدريس الجنود طريقة كتابة انطباعاتهم، وإشعارهم، وقصصهم.

وطبعا، يساعد المشروع على تخفيض معاناة الحرب على الجنود، وملء أوقات فراغهم، والاستفادة من ثورة التكنولوجيا التي وفرت كمبيوترات لهم.

خلفية تاريخية:

"شعراء الحرب" مشروع غربي قديم. منذ قرون الحروب بين الدول الأوروبية. وكان يخلط أحيانا مع "شعراء الثورة"، إشارة إلى ثورات مثل: الثورة البريطانية (سنة 1688)، والثورة الفرنسية (سنة 1789)، والثورة الألمانية (سنة سنة 1848).

وعرفت الولايات المتحدة شعراء الاستقلال (سنة 1776)، وشعراء الحرب الأهلية (سنوات 1862-1867)، وشعراء الحربين العالميتين الأولى (سنوات 1914-1918) والثانية، بعد اشتراك الولايات المتحدة (سنوات 1942-1945)

في حرب كوريا (سنوات 1950-1953)، اشتهر الشاعر وليام وانتلينق، الذي كان ضابطا في الحرب، وجرح فيها. وأنشد: "وجدت نفسى على سرير مستشفى ميداني. هدأ المورفين هدأ المي، لكنه لم يهدئ ضميرى. زال ألمي، ولم يزل إدماني المورفين. بعد خمس سنوات، وجدت نفسى على سرير مستشف سجن سان كونتين (في ولاية كاليفورنيا). انتهت الحرب، وأدمنت المخدرات."

وفي حرب فيتنام (سنوات 1965-1975)، اشتهر وليام إهيرهارت الذي اشترك في الحرب. ومن قصائده "حرب الغوريللا" وفيها: "صعب جدا أن تعرف من هو الفيتنامي العادي، ومن هو فيتنامي "فيات كونق" (الثوار). لا احد يرتدي زيا عسكريا. كلهم يتلكمون نفس اللغة. ويلبسون نفس السراويل الطويلة. حتى لو كانوا يتكلمون لغتنا، ما كنا سنقدر على فهمهم. يتكلنون لغتنا، لكننا لا نفهمهم. حتى لو فهمناهم، هم يفكرون بطريقة، ونحن نفكر بطريقة."

بريان تيرنر:

من أشهر شعراء حرب العراق الأمريكيين، بريان تيرنر، الذي اشترك فيها. ومما أنشد:

الحرارة مائة درجة، حتى عند مغيب الشمس.

بمنظاري المكبر أقف على سطح منزل، وانظر إلى المنازل المجاورة.

ابحث عن بندقية موجهة نحونا.

أيضا، أبحث عن ابتسامات بنات.

لكن، تحت الستارات البنادق والبنات.

يقف البوم على أغصان أشجار العنب.

وينبعث صوت الأذان من المئذنة.

مرثية:

في وقت لاحق، نشر تيرنر ديوان "أنا هنا، ايتها الرصاصة". وفيه قصيدة "مرثية" على "ميلر"، زميله الذي انتحر في العراق. منها:

كان يوم الاثنين، صباحا

وطائر السمان حط عند نهر دجلة

وضغط "ميلر" على الزناد

ودخل النار فمه

وطار السمان من نهر دجلة

أشباح:

وفي نفس الديوان، قصيدة "أشباح"، وفيها:

أشباح جنود أمريكيين

تمشي بالليل في "البلد"

متعبة لا تعرف الطريق

وسمعت صوتا روحانيا من المئذنة

وشاهدت أشجار النخيل تنحني نحو مكة

لماذا تريدون قتلي؟:

وفي ليلة شعرية في قاعدة "كامب فيكتوري" (معسكر النصر) في مطار بغداد الدولي، انشد الجندي جيمي كينغ:

لماذا تريدون قتلي؟

جئت إلى هنا لأمنحكم الحرية

أقول لكم: "حاربوا"، لكنكم لا تحاربون

أسألكم: "لماذا تريدون قتلي؟"

أريد أن أعود من حيث جئت

لن تنالوا الحرية

ما دمتم تريدون قتلي

العصر الحجري:

وفي نفس الليلة، أنشد الجندي شين شمدت "العصر الحجري." منها:

تقدمنا من موقع إلى موقع

من "النصر" إلى "الحرية"

ومن "الحرية" إلى "العصر الحجري"

تحيط بنا أسوار حجرية من كل جانب

ولا نعرف ما هي النهاية

أغنية ساندي:

وحسب ما جاء في الكتاب، جلست الجندية ساندي إستن وحيدة في قاعدة عسكرية أمريكية قرب بغداد، وعزفت غيتارها، وغنت:

ها نحن هنا نبحث عن تبرير (لتدخلنا)

وسط شعب يبحث عن الخلاص

من سيزيل قلقي؟ أين الموسيقى؟ أين الفرح؟

ها نحن سجناء هذه الرمال

خليط من التصميم والمرارة

مهرطق:

وفضل جندي ألا يكتب اسمه الحقيقي، واستعمل وصف "مهرطق" (منشق)، وأنشد:

مرت الشمس الحارة

فوق مئذنة المسجد

بينما يتعرض رجال الفرقة "بي"

لنيران قوية

يعرف المجاهد أن "اليانكي" كذاب

ليلة الكرسماس:

وتخيل الجندي جيمس شمدت، وهو يقضي ليلة الكريسماس في العراق، الكريسماس في منزل العائلة في أمريكا. تخيل "سانتا" يحمل هدايا الكريسماس، ويدخل المنزل. وبدل أن يجد الزينات، وجد جنديا وحيدا حزينا. والقصيدة علي لسان "سانتا":

قال لي الجندي: لا تبك على حالي ياسانتا

اخترت أنا حالي

أحارب أنا من اجل الحرية

لا أريد هدية، ولا ثمنا، ولا شكرا

ديني هو حياتي، هو وطني، هو فرقتي العسكرية

أبو غريب:

وحسب الكتاب أيضا، حارب الجندي كيرتس بينيت في فيتنام، ثم، بعد ثلاثين سنة، في العراق. لم يشترك في تعذيب العراقيين في سجن أبو غريب، ولم يعمل في السجن. لكن، شاهد الصور، وتألم، وانشد:

صور واضحة وملونة ومفصلة

من كل مكان في العالم

من بلاد بعيدة

صور لا يمكن إنكارها

صعب النظر إليها، وصعب قبولها

مظاهرات:

وكتب الجندي ماكلين بلاي قصيدة "أمريكا هي نحن"، بعد مظاهرة في واشنطن قادتها سندي شيهان، والدة جندي قتل في العراق. وجاء في القصيدة:

هبت، مثل الرمال، مظاهرات ضخمة

وعرقلت الحياة في عاصمة البلاد

ونحن لا نعرف معاناة الذين في العراق

ولا نعرف سبب إرسالنا إلى هنا

الإلياذة:

بعض الجنود، بدل أن يكتبوا قصائدهم، اختاروا قصائد من التاريخ عن الحروب.

واختار واحد الشاعر اليوناني القديم هوميروس، صاحب قصيدة "الإلياذة"(عن حرب طروادة) التي يقول فيها:

غني أيتها الآلهة غضب أخيل

الذي الحق بالإثينيين آلاما لا تحصى

كم روح ذهبت إلى إله الموتي

وكم بطل أكلته الكلاب والنسور

جلجاميش:

واختار جندي آخر الشاعر العراقي القديم جلجاميش، صاحب قصيدة "معركة همبابا" (عن حروب بابل) التي يقول فيها:

زأرت السماوات مثل الرعد

وجاء الظلام في هدوء، مثل الموت

وبعد أن انطفأت النيران

تحولت السهول إلى رماد

جون ماكري:

واختار جندي آخر الشاعر الأمريكي جون ماكري، صاحب قصيدة "حقول فلاوندرز" (عن الحرب العالمية الأولى) التي يقول فيها:

هبت ريح على الحقول الخضراء في فلاوندرز

على قبور الموتي

بين الصلبان صفا بعد صف

هنا مقابرنا

لكن، يغني الحمام في شجاعة

ويطير فوق أصوات المدافع

توماس بيوكانان:

واختار جندي آخر الشاعر الأمريكي توماس بيوكانان، صاحب قصيدة "نحو شريدان" (عن الحرب الأهلية الأميركية)، وفيها:

جئنا من الجنوب مع بداية اليوم

أخافنا الهواء

والأصوات والضجيج والزحام

قالوا أن الحرب مستمرة

وأننا على مسافة عشرين ميلا من "شريدان"

فدريكو لوركا:

وأنشد جندي آخر قصيدة الشاعر الاسباني فدريكو لوركا، "غرناطة"(عن الحرب الأهلية الإسبانية) التي يقول فيها:

انحتوا يا أصدقاء

من الصخر والحلم في الحمراء

انحتوا مكانا لدفن الشاعر

مع ماء النافورات الذي يبكي ويهمس إلى الأبد:

"كانت الجريمة في غرناطة، في غرناطته."

جون رودني:

وأنشد جندي آخر قصيدة الشاعر الأمريكي جون رودني، "إلى جوني" (عن الحرب العالمية الثانية) التي يقول فيها:

لا تفقدوا الأمل في جوني

ينام نوما عميقا

لا تحضروا كفنا لجوني

جوني في السماء

لا تذرفوا دموعكم على جوني

احفظوها للمستقبل

وأخيرا:

لم يختر أي جندي أميركي في هذا الكتاب أي قصيدة عربية عن الحرب. ربما لو كان واحد منهم يعرف الشعر الجاهلي، كان أشار إلى قصيدة زهير بن أبي سلمى التي قال فيها (بعد الصلح بين قبيلتي عبس وذبيان بعد حرب استمرت أربعين سنة، حرب داحس والغبراء):

وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم

وما هو عنها بالحديث المرجم

متى تبعثوها، تبعثوها ذميمة

وتضر إذا ما ضريتموها فتضرم

فتعرككم عرك الرحى بثقالها

وتلقح كشافا ثم تحمل فتتنم

فتنتج لكم غلمان أشأم كلهم

كأحمر عاد ثم ترضع فتفطم



المحكمة الفيدرالية (واشنطن العاصمة) : الفردية



(اقرأ: أم الأنانية) .

(اقرأ: الحلم الأمريكي) .

في سنة 2007، جئت إلى المحكمة الفدرالية في واشنطن العاصمة لمشاهدة محاكمة دبورا بالفري. ورأيت القاضي جيمس روبرتسون يصدر حكما بإدانتها. ويعلن أن الحكم بالسجن سيصدر في وقت لاحق.

كنت تابعة هذه القضية منذ أن بدأت الصحف تنشر عنها قبل سنتين. وذلك لأنها جعلتني أفكر، وأتمعن، وادرس، وأقرأ كتبًا، وأجمع معلومات عن الفردية في حياة الأميركيين. وذلك لان دبورا بالفري كررت بأنها حرة تفعل ما تريد. وإن الرجال والنساء المتورطين معها أحرارا يفعلون ما يريدون.

ماذا فعلت دبورا بالفري؟

عقدت مؤتمرا صحفيا، أعلنت فيها أنها كانت تدير، لعشر

سنوات، شبكة دعارة في واشنطن، وان كثيرا من زبائنها من المشاهير في واشنطن. وقالت أنها اتفقت مع إذاعة في الانترنت لنشر "قائمة بالفري". وأنها ستعرض أجزاء من القائمة في مزاد في الإنترنت.

وهزت "قائمة بالفري" واشنطن، لأن فيها أسماء أكثر من 15000 زبون وفرت لهم "شركة بالفري" خدمات جنسية لأكثر من عشر سنوات. واستخدمت خلالها 130 بنتا، أغلبيتهن طالبات في جامعات. وقالت إن بعض زبائنها مسؤولين، ومحامون، وشخصيات مشهورة في واشنطن.

وبعد يوم، استقال راندال توبياس، مساعد وزيرة الخارجية للتنمية، بعد أن كشفت بالفري اسمه. ثم استقال آخرون، بعضهم أعضاء في الكونغرس.

في المؤتمر الصحفي سئلت: "ألا تخجلين مما فعلت؟" وأجابت: "أنا امرأة حرة افعل ما أريد." وسئلت: "ألا تشفقين على زبائنك الذين نشرت أسماءهم؟" وأجابت: "هم كبار في السن، ومسؤولين عن أنفسهم. كل فرد حر ومستقل ويفعل ما يريد."

وظلت كلمة "أنديفيديواليزم" (فردية) تتكرر في عقلي منذ ذلك الوقت. بل من قبله، بعد سنوات في أمريكا، أحسست فيها بأن الفردية الأمريكية على نقيض من الحياة العائلية والجماعية في قرية وادي حاج (قرب مدينة أرقو، على نهر النيل، في شمال السودان، جنوب الحدود مع مصر) حيث ولدت وتربيت حتى تركتها للذهاب إلى الخرطوم، إلى مدرسة وادي سيدنا الثانوية، وجامعة الخرطوم.

فردية واشنطن ومجتمع وادي حاج.

في كتاب قصة حياتي الذي أكتبه هذه الأيام ("الإسلام وأمريكا وأنا: من خلوة القرية إلى دير واشنطن) فصل كامل عن هذا التناقض الذي عشته، وأعيشه، واثر، ويؤثر، على كثيرا. لكنه زاد إيماني.

ماهي الفردية؟:

الفردية ("انديفيديواليزم") وصف سياسي، واجتماعي، وأخلاقي، يركز على أن الفرد:

أولا، مستقل عن أي سيطرة خارجية، فردية أو اجتماعية أو حكومية.

ثانيا، حر في أن يقول ما يشاء، ويفعل ما يشاء.

ثالثا، فخور بنفسه، لأنه سيد نفسه.

ويقول فلاسفة الفكر الفردي أن الفردية ليست أقل أهمية من التقاليد الاجتماعية، والالتزامات القبلية، والانتماءات العرقية، والمصالح الوطنية. وحتى العقائد الدينية. رغم أن الفردية ليست ضد الدين، لكنها ترفض أن يفرض الدين على الناس، وتفضل أن يقتنع به الناس.

لكن، يقول الذين يعارضون الفردية إنها تتعدى الحدود المعقولة عندما تفعل الآتي:

أولا، تتحدى القانون السائد.

ثانيا، تتحول إلى عنف.

ثالثا، تصير استعلاء.

رابعا، تصير أنانية.

لكن، يرد أنصار الفردية على هؤلاء بالآتي:

أولا، "القانون" نوعان: فرض على الناس. أو وضعه الناس في حرية.

ثانيا، "العنف" نوعان: لتغيير ما فرض على الناس. أو لتغيير ما وضع الناس في حرية.

ثالثا، "الاستعلاء" نوعان: تبجح بالمال والسلطة. أو فخر بالحضارة والعلم.

رابعا، "الأنانية" نوعان: التي تؤثر على فردية الآخرين. أو التي لا تؤثر.

الفردية الانانية:

للفكر الفردي جناحان: متطرف، ومعتدل

قادت يان راند، فيلسوفة يهودية روسية هاجرت إلى أميركا (وتوفيت سنة 1982)، فكرة أن الفردية أنانية. وتعتبر أول من كتب عن الأنانية كنظرية فلسفية.

وكتبت في كتاب "فضائل الأنانية" (صدر سنة 1964): "الفرد وسيلة لنفسه، وغاية لنفسه. ليس وسيلة لغاية فرد آخر. ولا غاية لوسيلة فرد آخر."

وأضافت: "الفرد موجود من أجل الفرد، ولا يضحي في سبيل غيره، ولا يضحي غيره في سبيله." وقالت أن الأفراد يتفقون على شيء واحد، وهو تأسيس حكومة تحمي الوطن، وتحافظ على الأمن. وفيما عدا ذلك، "لا حدود لأي شيء."

وقالت: "يحدد الفرد الخطأ والصواب. وكل ما يفعل يجب أن يكون صائبا. ولهذا فإن الأنانية فضيلة."

الفردية الايجابية:

في الجانب الآخر، هناك البريطاني توماس كارلايل (توفي سنة 1881). قاد الفكر الفردي البحثي، أي أن المجتمع لا يتكون، تلقائيا، من أفراد، ولكن الأفراد هم الذين يكونون، طواعية، المجتمع.

وقال قولا صار مثلا: "كل فرد يعيش داخل دائرة مغلقة." يفتحها على الآخرين عندما يريد، ويغلقها على نفسه عندما يريد. قال ذلك من منطلق ديني أكثر منه منطلقًا وضعيًا. كان تربي في عائلة دينية، وتأثر بتعاليم عيسى المسيح. لم يدع إلى العودة إلى الدين، لكنه قال:

أولا، الروحانيات جزء من تفكير الفرد.

ثانيا، روح الفرد يمكن أن تقود روح المجتمع.

ثالثا، كل فرد مسؤول أمام الله عن نفسه.

وكتب في كتاب "الفرد البطل عبر التاريخ" أن "أفرادا أبطالا" غيروا مجتمعاتهم، وغيروا تاريخ العالم، خيرا أو شرا.

وفي الكتاب فصل عنوانه "النبي كبطل"، كله عن النبي محمد (ﷺ). قال فيه: "غير فرد واحد نفسه، وقبيلته، وجزيرته، ثم العالم حوله. هزم قبائل متحاربة، وبدو متجولين، وأسس، خلال عشرين سنة فقط ،امة متحضرة (تزيد وتنمو منذ أربعة عشر قرنا)".

الفردية الأمريكية:

يفضل الأمريكيون وصف "راقيد انديفيديواليزم" (فردية خشنة)، لأنها تعتمد على العمل. ولأن كل فرد يجازى حسب عمله. ويؤمن الأمريكيون بأن روح المجتمع من روح الفرد. ولأن الأمريكيين أكثر تدينا من الأوروبيين، يرون أن "الفردية جزء من الإيمان (عقيدة دينية أو روحية)".

وعندما هرب المهاجرون الأمريكيون الأوائل من طغيان رجال الدين في أوروبا، أسسوا "نظاما فرديا"، فيه:

أولا، الفرد أساس النظام.

ثانيا، الإيمان أساس الفرد.

وقال توماس جفرسون، كاتب الدستور (وثالث رئيس): "تحمى الحكومة كل فرد من فرد آخر."

ونادي الفيلسوف رونالد سكولون بما اسماها "الفردية الرافضة"، وقال: "أنا أرفض القانون الجائر، وأرفض الدين الإجباري." وسارت على خطاه بيتي فريدمان، قائدة حركة تحرير المرأة الأميركية، ومؤلفة كتاب "فيمينست ميستيك" (لغز الأنوثة) الذي صدر سنة 1963، وقالت: "أنا أرفض سيطرة الرجل. وأرفض أن أكون لعبته" (في مطبخه، وفي سريره).

وأشد الفيلسوف الفرنسي الكس دي توكفيل (توفى سنة 1859) بالفردية الأمريكية. لكنه انتقدها في نفس الوقت:

فى جانب، أشاد بها "لأن الأمريكيين فرديون، أسسوا ديمقراطية. ولأنهم فرديون عندهم إحساس بالهدوء والطمأنينة." لكن، في الجانب الآخر، قال: إن الفردية تقود إلى الانانية.

تيدي روزفلت:

قبل مائة سنة، واجه الأمريكيون سؤالا تاريخيا عن دور الفردية (والأنانية) في النظام الرأسمالي. وقال مؤرخون أن الفردية، متمثلة في طمع الشركات الرأسمالية الأميركية مع بداية القرن العشرين، كادت أن تحطم أمريكا، لولا شجاعة الرئيس ثيودور روزفلت.

صار رئيسا سنة 1904، وواجه آل روكفلر الذين كانوا يحتكرون 84 في المائة من صناعة البترول. وواجه آل مورقان الذين كانوا يحتكرون 60 في المائة من أسواق الأسهم المالية. وواجه عائلات أخرى كانت تحتكر صناعات الصلب، والسكة الحديدية والمطاط.

وضع روزفلت قانون "شيرمان" لمنع الاحتكار، وأعلن: "انتهى عهد الفردية التي كادت أن تقضي على وطننا. وها أنا هنا اليوم أعلن أنها لن تعود."

انتشار الفردية:

تنتشر الفردية الأمريكية في مسلسلات تلفزيونية مثل "لون رينجر" (شرطي انفرادي، يجوب ولاية تكساس ليرفع الظلم، ويؤسس العدل، بمفرده).

وأوضح المسلسل التلفزيوني "سكس آند ذا سيتي" (الجنس والمدينة) أن الفردية تنطبق على البنات مثلما تنطبق على الأولاد. وأن بناتا في مدينة نيويورك يقدرن على أن يفعلن أي شيء بدون وضع اعتبار لتقاليد اجتماعية، أو محظورات عائلية، أو محرمات دينية.

وانتشرت الفردية في كل العالم تقريبا:

نشرت مجلة "تايم" تقريرا سألت فيه: "هل ستنتهي الصهيونية؟" وأشارت إلى تحول بعض المزارع الجماعية (كيوبتز) إلى مزارع خاصة. وقالت: "حتى شباب الكيبوتز لم يعد يتحمس للعمل الجماعي بعد أن اجتاحته الفردية."

وحذر البابا بينيدكت الأوروبيين من أن ابتعادهم عن الدين سيؤثر سلبيا على مستقبلهم، ومستقبل دولهم. وقال أن انخفاض نسبة الزواج وسط الأوروبيين، وانخفاض نسبة الأطفال وسط المتزوجين تدلان على "فردية خطيرة."

وأجرت صحيفة "واشنطن بوست" مقابلات مع طلبة وطالبات من كوريا الجنوبية يدرسون في جامعات أمريكية، وذلك بعد أن فتح طالب مثلهم في جامعة في فرجينيا النار على طلبة وطالبات وقتل 32 شخصا، ثم انتحر.

قالت واحدة من الكوريات: "لست مجنونة، ولا مضطربة العقل. لكنى أعيش في عالمين، يفصل بينهما باب منزلنا: في المنزل الجماعية الكورية، وخارج المنزل الفردية الأمريكية."

مجلة "تايم":

في سنة 2006، أصدرت مجلة "تايم" عددها السنوي "رجل العام"، لكنها لم تختار "أكثر شخصية أثرت على العالم خلال السنة، سلبا أو إيجابا" (كما تقول كل سنة). اختارت "الإنترنت"، وكتبت على شاشة كمبيوتر: "يو" (أنت). وكان الفردية لم تكن لها مساوى، جاء الانترنت ليؤكدها ويزيدها.

في العدد، كتبت المجلة عن الفردية في الثقافة الأمريكية. وأشارت إلى فردية الفيلسوفة اليهودية راند، وقالت: إنها أنانية. وفضلت فردية الفيلسوف البريطاني كارلايل المتأثر بالأخلاقيات. وسألت: هل يزيد الإنترنت الفردية أو يخفضها؟

وقالت:

أولا، الإنترنت فردي وجماعي. فردي لأن أفرادا (مثل "أبطال" الفيلسوف كارمايكل) اخترعوه. وجماعي لأن الهدف منه هو الاتصال مع الآخرين، والارتباط بهم. ولان كلمة "انترنت" معناها الشبكات المترابطة.

ثانيا، الإنترنت أناني وغير أناني. أناني لأن كل فرد يقرأ ويكتب ما يريد. ولا يحتاج لأن يتكلم مع فرد آخر وجها لوجه. وغير أناني لأنه يوثق علاقة الذين يريدون توثيق علاقاتهم.

ثالثا، الإنترنت مجاني وغير مجاني. هناك مواقع لابد من شراء الدخول إليها، لكن أكثر المواقع مجانا.

تيم بيرنرز لي:

أشارت مجلة "تايم"الى كارلايل، أبو الفردية، عندما كتبت عن العلاقة بين الفردية والانترنت. وأشارت إلى "الأفراد الأبطال" الذين اخترعوا الكمبيوتر، والإنترنت، و"عولموا المعلومة"، وقدموا: "غوغل" و "يو تيوب" و "ماي سبيس" (كان ذلك قبل اشتهار "تويتر" و "فيسبوك").

من بين "الأفراد الأبطال"، واحد غير التاريخ:

يوم 6-8-1991، فتح البريطاني تيم بيرنرز لي الإنترنت لكل فرد، بعد أن كان قاصرا على أساتذة الجامعات والعسكريين. وقال: "سنغير العالم، وسنغير الطريقة التي يتغير بها العالم." (صار لوردا في وقت لاحق).

ولم يعد الفرد يقرأ ويشاهد فقط، لكنه صار يكتب، ويصور، ويساهم، ويرسل، ويعلق على أي كتاب، أو فيلم، أو تعليق آخر. هذه حرية لا مثيل لها في تاريخ الإنسان. كانت حرية الكلام في الشارع، ثم في صحف محلية، ثم في تلفزيون إقليمي.

لكنها صارت الآن تغطي كل العالم.

ولم يعد الفرد يعتمد على إعلام يبيع له معلومات. أو يخشى حكومة تراقب معلوماته.

تحديث:

في سنة 2008، انتحرت دبورا بالفري، بعد أن صدر الحكم بسجنها ثماني سنوات. وكتبت مذكرة إلى والدتها وأختها قالت فيها: "أتحمل مسئولية ما فعلت." لكن، "لا أريد أن اقضي ثماني سنوات في السجن، ثم اخرج امرأة وعجوز، وبدون مال، وبدون شخص يعينني."

آه وألف آه من الفردية الأمريكية.

في مطبعة الشيكات الحكومية في فورت ويرث (ولاية تكساس) : رواتب ودخول وثروات



(اقرأ: أبو الفكر الرأسمالي) .

(اقرأ: رأسماليون أوائل) .

في سنة 2010، جئت إلى مصنع العملة في فورت ويرث (ولاية تكساس) صدفة. بسيارة مؤجرة من المطار، كنت أزور مدينة "دالاس" في نفس الولاية، حيث رئاسة شركة "ديل" للكمبيوترات. ثم إلى "فورت ويرث" القريبة، على الطريق البرى رقم 35. وضللت الطريق إلى الشمال من مدينة "فورث ويرث"، وشاهدت لافتة "مصنع العملة. وعلى أي حال، كنت انوي قضاء يومين في المدينة.

هذا فرع لمصنع العملة الرئيسي في واشنطن العاصمة، والذي زرته في وقت سابق.

خلال فترة الأسئلة والأجوبة بعد جولة المجموعة التي كنت فيها، والتي شاهدت طباعة الدولار، سألت المشرف سؤالا لم

أساله في مصنع واشنطن: "أين تطبع الشيكات التي ترسلها الحكومة إلى موظفيها وإلى أصحاب المعاشات والضمان الاجتماعي؟" لم أعمل مع الحكومة الأمريكية، ولكنى بدأت أتسلم شيكات الضمان الاجتماعي. ويبدو أن هذا هو الذي جعلني أهتم بالشيكات الحكومية. وأين تطبع؟ وكيف ترسل إلى الملايين، داخل وخارج أمريكا؟

وتحدثت عن هذا مع المشرف، وقال أن الشيكات تطبع في نفس المكان، لكن، عكس طباعة الدولار، لا يشاهد الزوار طباعتها. وسألته عن أخبار بأن الحكومة ستتوقف عن طباعة الشيكات، وتتحول إلى الشيكات الإلكترونية. وقال أن ذلك سيحدث "خلال سنوات"، لكنه لم يفصل، ربما فخرا بطباعة الشيكات الحكومية الورقية (وربما خوفا من الحديث عن احتمال فقده وظيفته).

خلفية تاريخية:

قادتني الزيارة لأبحث في موضوع الرواتب بصورة عامة، ورواتب الأمريكيين بصورة خاصة، والخلفية التاريخية للرواتب.

لأن النقود لم تعرف منذ بداية التاريخ، كان الناس يتعاملون بالتبادل.

وقالت كتب تاريخية أن أول راتب دفع لم يدفع لشخص، ولكن لقرية. وكان ذلك قبل ميلاد المسيح بعشرة آلاف سنة.

وفي التوراة أن الراتب كان كيس ملح (حجم الكيس حسب حجم العمل)، وذلك لأن الحاكم كان يسيطر على تجارة الملح (من أقدم أنواع التجارة في التاريخ). وفي سجلات حضارة بابل، قوائم الملح والمحاصيل كرواتب.

وخلطت الإمبراطورية الرومانية بين الملح والنقود. والكلمة الإنجليزية "سالاري" (راتب) أصلها كلمة "سولاريوم" اللاتينية التي جاءت من كلمة "سالدير" (الملح). وهذه الكلمة هي أصل كلمة "سولجر" (جندي). وهكذا، يرتبط الملح والرواتب، والجنود.

رواتب عالمية:

متوسط الراتب الشهري في الولايات المتحدة هو الأعلى في العالم: بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف دولار. ثم رواتب دول غرب أوروبا (مثل: بريطانيا، وفرنسا، وألمانيا، والسويد، والنرويج): بين ثلاثة آلاف دولار وألفي دولار. ثم رواتب روسيا ودول شرق أوروبا: بين ألف دولار وخمسمائة دولار.

وفي اليابان المتوسط هو ألفا دولار في الشهر.

وتوجد طريقة ثانية لحساب الدخل: اعتمادا على دخل العائلة، وليس على الراتب الشهري الفردي. لكن، يمكن أن يقل هذا أو يزيد عن الراتب الشهري. على أي حال، في مجال دخل العائلة الشهري، مرة أخرى، الولايات المتحدة في المقدمة: ثلاثة آلاف دولار تقريبا (اقل قليلا من متوسط الراتب الشهري).

وتوجد طريقة ثالثة لحساب الدخل: أرقام الأمم المتحدة التي تحسب الفرق بين دخل أعلى عشرة في المائة من السكان، بالمقارنة مع دخل أقل عشرة في المائة.

في الولايات المتحدة، دخل هؤلاء الأغنياء يساوى دخل هؤلاء الفقراء خمسة عشرة مرة. هذا هو أيضا المتوسط لكل العالم. ويوضح هذا الفرق الكبير بين دخول الأغنياء والفقراء في العالم، وهو المتوقع. لكن، يوضح ذلك أيضا الفرق الكبير في الولايات المتحدة حيث زاد الأغنياء غنى منذ بداية "الثورة الريقانية" (سنة 1980).

في الدول الأخرى، تقل نسبة دخول الأغنياء إلى الفقراء. في بريطانيا وروسيا، اثنتا عشرة مرة في بريطانيا، وأيضا روسيا. وتسع مرات في فرنسا. وسبع مرات في ألمانيا. وست مرات فقط في السويد.

وفي الدول الآسيوية: عشرين مرة في الصين. وخمس مرات فقط في اليابان (الأقل في كل العالم).

وفي الشرق الأوسط: سبع عشرة مرة في إيران. واثنى عشرة مرة في الأردن. واحدى عشرة مرة في المغرب. وثماني مرات في مصر. وأيضا في الهند.

ويزيد الفرق في الدول الإفريقية: في سيريالون تصل إلى تسعين مرة (الأعلى في العالم). وفي جمهورية أفريقيا الوسطى سبعين مرة. وفي بتسوانا أربعين مرة. وفي النيجر خمسين مرة. وفي بتسوانا أربعين مرة.

وأيضا في دول أمريكا اللاتينية: في بوليفيا تسعون مرة. وفي كولومبيا ستون مرة. وفي السلفادور أربعون مرة. وفي المكسيك عشرون مرة.

مقاييس الثروة:

بالإضافة إلى الراتب الفردي، و دخل العائلة، والفرق بين دخول الأغنياء والفقراء، توجد طريقة رابعة لحساب ثروات الناس: الدخل الإجمالى الذي يشمل الرواتب وأي نوع من أنواع الدخل، والممتلكات.

هذه، بالدولارات، وعلى أساس سنوي:

في الولايات المتحدة: مائة وخمسون ألفًا. وفي بريطانيا: مائة وثلاثون ألفًا. وفي ألمانيا: تسعون ألفًا. وأيضا في فرنسا. وفي السعودية: اثنان وعشرون ألف. وفي مصر: خمس عشرة ألفًا. وفي بنغلاديش: ستة آلاف. وفي بوليفيا: خمسة آلاف. والأقل في أفريقيا: ألفان فقط في بورندي، وجمهورية إفريقيا الوسطى، والكونغو.

غير أن أكثر حسابات الثروة استعمالا هو متوسط دخل الفرد في السنة (تقسيم دخل الدولة على عدد سكانها).

هذه المرة، دول البترول الخليجية في المقدمة (بالدولار): قطر: مائة ألف. والإمارات: ثمانون ألفًا.

ثم الدولة البترولية الأولى في أوروبا: النرويج: اقل من مائة ألف قليلا.

ثم الدنمارك، والسويد، وألمانيا، وفرنسا، وكندا: بين ستين وأربعين ألفًا.

وهنا، تأتي الولايات المتحدة في المرتبة العاشرة: خمسون ألف.

وفي مؤخرة القائمة، ست عشرة دولة افريقية، متوسط دخل الشخص ألفا دولار فقط ، مثل: الكونغو، بورندي، أثيوبيا، سيراليون، النيجر، جمهورية أفريقيا الوسطي، توجو.

رواتب الأمريكيين:

خارج واشنطن، هناك رواتب حكام الولايات، وعمد المدن الكبيرة والصغيرة. لكن، تختلف هذه حسب الولاية. يتقاضى حاكم ولاية ساوث كارولينا ثمانية آلاف دولار في الشهر. ويتقاضى حاكم ولاية كاليفورنيا ضعف ذلك. وربما لا يحتاج إليها إذا كان مثل الحاكم الحالي أرنولد شوارتزنيغار. كان ممثلا سينمائيا مشهورا، وتبلغ ثروته أكثر من مائة مليون دولار.

لهذا، حسب تقرير نشرته مجلة "باريد"، بصورة عامة، تتفوق على رواتب الحكومة الأمريكية رواتب العاملين في القطاع الخاص. وتتفوق على هؤلاء دخول نجوم السينما، والتلفزيون، والرياضة. وتتفوق على هؤلاء دخول عمالقة البنوك، والشركات، والاستثمارات. وتتفوق على هؤلاء دخول بليونيرات الكمبيوتر والإنترنت.

أمثلة:

وسط الرياضيين، مثلا: يبلغ دخل الأمريكي تايقار وود، أحسن لاعب قولف في العالم، مائة وعشرة ملايين دولار في السنة. وفي سنة 2009، فازت لندسي فون بميدالية ذهبية في الألعاب الأولمبية، وقفز دخلها إلى ثلاثة ملايين دولار في السنة، وصار الأعلى وسط النساء الرياضيات.

ووسط نجوم السينما والتلفزيون، مثلا: يبلغ دخل جاي لينو، مقدم برنامج فكاهي ليلي في تلفزيون "اي بي سي" ثلاثين مليون دولار في السنة. وديجنياريز (من المثليات جنسيا) ومقدمة برنامج مقابلات تلفزيونية: خمسة وثلاثين مليون. وجيمس كاميرون، مخرج سينمائي (اخرج فيلم "تايتانيك"): خمسين مليونًا. وكين ويست، مغني "هيب هوب": خمسة وعشرين مليون. والممثلة تايلور سميث: عشرين مليون. والممثلة كريستين ستيوارت ستة عشر مليونًا.

ووسط عمالقة "وول ستريت" والمستثمرين ورؤساء البنوك، هناك جون ستامف، رئيس بنك "فارقو"، ودخله السنوي عشرين مليون دولار (راتب، وعلاوة، واستثمارات). وأرسولا بيرنز، رئيسة شركة "زيروكس" عشرة ملايين دولار.

وفي أعلى القائمة، عمالقة الكمبيوتر والإنترنت:

تبلغ ثروة بيل قيتز (مؤسس ورئيس شركة "مايكروسوفت") أكثر من أربعين بليون دولار.

ومن ابناء الجيل الثاني في ثورة الكمبيوتر، مارك ززكاربيرق (مؤسس ورئيس شركة "فيسبوك")، الذي بلغت ثروته عشرة بلايين دولار، وهو في بداية الطريق.

رواتب أخرى:

غير المستثمرين والرياضيين والفنانين، هناك مشاهير في مجالات الطبخ. مثل الأمريكي الألماني وولفغانغ باك، الذي يملك سلسلة مطاعم، ويقدم برامج عن إعداد وجبات في التلفزيون: متوسط عشرين مليون دولار في السنة.

بالإضافة إلى المشاهير في التلفزيون، يظهر آخرون في ادوار غير مشهورة، وخاصة في الأنواع الجديدة من المسلسلات التي تسمى "رياليتي" (واقعية)، أبطالها ناس عاديون يمثلون أنفسهم. من بين هؤلاء: نيكول بولينزي التي ظهرت في برنامج "واقعي" في نيويورك، وتكلمت لثلاث دقائق، ونالت ألفي دولار.

وحسب صحيفة "واشنطن بوست" عن رواتب أنواع من العاملين في منطقة واشنطن شهريا:

سكرتيرة في شركة صغيرة: ثلاثة آلاف دولار. تكنولوجي خريج جامعة: خمسة آلاف. طباخ في مطعم عادي: ألفان. ممرضة جديدة: ثلاثة آلاف. كبيرة ممرضات: عشرة آلاف. طبيب جديد: سبعة آلاف. طبيب متوسط: ثلاثين ألف (أكبر من راتب رئيس الجمهورية). طبيب متخصص، وخاصة جراح، وخاصة جراح المخ: خمسون ألف.

تحديث:

في سنة 2011، ولأول مرة في تاريخ الولايات المتحدة، بل في تاريخ أي دولة، نشرت الحكومة الأمريكية رواتب كل العاملين في البيت الأبيض (من الرئيس إلى الحارس) في الإنترنت.

لم يكن راتب الرئيس سرا: مائتان وخمسون ألف دولار في السنة (تقريبا ثلاثة وعشرون ألف دولار في الشهر). وكشف أن راتب كل واحد من "كبار المساعدين" وعددهم حوالى عشرين شخصا، مائة وثمانون ألفًا في السنة (تقريبا خمسة عشر ألفًا في الشهر).

وتقل قليلا رواتب "مساعدي": كل واحد، هي مائة وستون ألفًا في السنة (تقريبا ثلاثة عشر ألفًا في الشهر).

ووسط "الفئات المتوسطة"، مثل مسؤولي الاتصالات مع الأقليات العرقية والمنظمات الاجتماعية والدينية، كل واحد ثمانون ألفًا في السنة (تقريبا سبعة آلاف في الشهر).

ووسط "الفئات الأقل"، مثل سكرتيرات، ومساعدين صغار، كل واحد خمسين ألفًا في السنة (تقريبا أربعة آلاف في الشهر).

وفي نفس سنة 2011، أوضح التقرير السنوى الذي يصدره أعضاء الكونغرس عن الرواتب أن راتب السناتور يقل عن راتب "كبير المساعدين" في البيت الأبيض. ويتساوى راتب السناتور وراتب نائب الرئيس: مائة وستون ألفًا في السنة (تقريبا ثلاثة عشر ألفًا في الشهر). ويساوى هذا راتب رئيس المحكمة العليا (التي تفسر الدستور). ولا يقل راتب عضو المحكمة عن راتب رئيسه كثيرا (فرق ألف دولار في الشهر).

وأوضح تقرير آخر أن راتب الرئيس (وبالتالي بقية رواتب البيت الأبيض) يتضاعف كل خمس وعشرين سنة تقريبا. كان مائتي ألف دولار في سنة 1990، ومائة ألف دولار سنة 1960، وخمسة وسبعين ألف دولار سنة 1900، وخمسة وعشرين ألف دولار للرئيس واشنطن، أول رئيس.

راتبي:

كان أول أنواع راتبي سنة 1960:

كنت تلميذا في مدرسة وادي سيدنا الثانوية (على نهر النيل، شمال الخرطوم قليلا)، وفي الإجازة الصيفية، كنت اذهب إلى بورتسودان (على البحر الأحمر) لزيارة خالي الذي كان يعمل في ميناء. وساعدني على الحصول على أول عمل: مراقبة وزن بالات القطن (محصول السودان الرئيسي) قبل شحنها. قرب السفينة، يضع العمال كل بالة على ميزان، وأسجل أنا وزن كل واحدة. كان متوسط راتبي الشهري عشرين جنيها سودانيا (تقريبا ستين دولارا في ذلك الوقت). وكنت أرسل أكثر من نصفها إلى والدي الذي كان يعول عائلة كبيرة وفقيرة في قرية وادي حاج (قرب أرقو، على نهر النيل، في شمال السودان، جنوب الحدود مع مصر).

وكان ثاني أنواع راتبي سنة 1963:

كنت طالبا في جامعة الخرطوم. كنت عشقت مهنة الصحافة، وأذهب في المساء إلى صحيفة "الصحافة" للمساعدة في ترجمة الأخبار الخارجية (كانت تنقلها ماكينة تكرز وكالة "رويترز". وكان راتبي أيضا عشرين جنيها.

وكان ثالث أنواع رواتبي سنة 1967:

تخرجت ببكالوريوس علوم سياسية (شرف)، وعملت صحافيا متفرغا في القسم الخارجي في نفس الصحيفة. وكان راتبي ستين جنيها (تقريبا مائة وثمانين دولار في ذلك الوقت).

في ذلك الوقت، لم يكن خريجو الجامعات يعملون صحافيين.

وكان أمثالي يعملون مع الحكومة براتب خمسة وخمسين جنيها شهريا (درجة كيو، حسب السلم الوظيفي الذي تركه البريطانيون الذين كانوا استعمروا السودان). طبعا، فضلت العمل الصحفي لحبي له، لكن كانت الخمسة جنيهات الإضافية جزءا من إغراء عبد الرحمن مختار، رئيس التحرير، لأعمل معهم.

وكان رابع أنواع راتبي سنة 1978:

تركت العمل مع "الصحافة"، وذهبت إلى السعودية للعمل في قسم الأخبار الخارجية في صحيفة "المدينة" في جدة. وقفز راتبي إلى ثلاثة آلاف ريال شهريا (ألف دولار تقريبا في ذلك الوقت). رغم ارتفاع مستوى المعيشة في السعودية بالمقارنة مع الذي في السودان، كان الدخل كبيرا، وساعدني (مع دخول أخرى) على الاستمرار في مساعدة والدي. ومساعدة زوجتي الأميركية التي كانت لا تزال تدرس في جامعة أنديانا (تزوجنا عندما كنت طالب دراسات عليا في الصحافة هناك، مبتعثا من صحيفة "الصحافة." ثم عدت إلى السودان، وقضيت سنتين، ثم إلى السعودية).

وكان خامس أنواع رواتبي بداية من سنة 1980:

في وظيفتي الحالية، مراسلا لصحف ومجلات عربية في واشنطن. بداية بصحيفة "المدينة" (ثلاثة آلاف دولار شهريا). ثم مجلة "المجلة" (خمسة آلاف دولار شهريا). ثم صحيفة "الشرق الأوسط" (سبعة آلاف دولار شهريا).

هذا بالإضافة إلى دخل زوجتي (كانت أكملت كلية التمريض في جامعة أنديانا، وانضمت إلى في واشنطن).

في الوقت الحاضر، والحمد لله، جملة دخلنا خمسة عشرة ألف دولار تقريبا في الشهر.

حسب التصنيف الأمريكي، هذا دخل عائلة في الطبقة الوسطى العليا. ولحسن الحظ، لا يجعلنا "أغنياء"، حسب تفسير الرئيس أوباما الذي يريد رفع الضرائب على كل من يزيد دخله الشهري عن عشرين ألف دولار (بما فيهم هو نفسه).

في مدرسة «ليك برادوك» الثانوية ، بيرك (ولاية فرجينيا) : أولاد وبنات



(اقرأ: حركة تحرير المرأة)

(اقرأ: حركة تحرير الرجل)

في سنة 1999، جئت إلى مدرسة "ليك برادوك" الثانوية في بيرك (ولاية فرجينيا) لحضور حفل تخرج ابني. هذه المدرسة قريبة من منزلي في نفس ضاحية بيرك (من ضواحي واشنطن العاصمة). بعد هذه الزيارة بأربع بسنوات، عدت إلى المدرسة لحضور حفل تخرج ثاني: بنتي الأولى. ثم بعد سنتين، عدت لحضور حفل تخرج بنتي الثالثة (وآخرتهم).

في سنة 1993، كنت حضرت حفل تخرج ابني من مدرسة "شيري رن" الابتدائية، التي أكاد أراها من منزلي القريب جدا منها،والذي يقع في ضاحية اسمها نفس اسم "شيرى رن" (نهر حبات الكريز). ثم، في سنوات تالية، حضرت حفلتي تخرج البنتين.

وقبل ذلك، حضرت حفلات تخرج الثلاثة من روضة أطفال "كيدي كونتري" (ارض الصغار)، وهي أيضا قريبة من منزلنا.

بالنسبة لكل الآباء والأمهات تقريبا، المرحلة الابتدائية (وربما أيضا المرحلة المتوسطة) لتعليم أولادهم وبناتهم تبدو مرحلة سهلة. خلالها، يبدون فرحين، وشغوفين، ومطيعين. لكن، المرحلة الثانوية هي مرحلة المراهقة. وخلالها، يبدون متوترين، وحذرين، ومتمردين، وفرديين، وخصوصيين، واستقلاليين، وأحيانا عنيفين.

والحمد لله، مر الثلاثة بهذه المراحل، ودخلوا جامعات، وأكملوها بدون مشاكل كبيرة.

المشاكل موجودة، خاصة في المرحلة الثانوية. المشاكل الصغيرة، مثل: شتائم، ومضايقات، وإساءات، ولكمات. والمشاكل الكبيرة، مثل: المخدرات، والجرائم.

ومثلما يفعل الأمريكيون في كل مجال (بفضل الحرية والفردية)، يفعلون في مجال تعليم الأولاد والنبات: يجرون دراسات، ويلقون محاضرات، ويكتبون أبحاثا، وكتبا.

وخلال السنوات القليلة الماضية زاد النقاش عن العلاقات بين الأولاد والبنات، لأكثر من سبب، منها:

أولا: تفوقت البنات (أو نافسن) الأولاد في المدارس.

ثانيا: زادت نسبة البنات في الجامعات.

ثالثا: دخلت النساء مجالات كانت خاصة بالرجال.

خلفية تاريخية:

كتب مايكل قوريان، أستاذ جامعي، عشرين كتابا، معظمها عن الأولاد والبنات، ومنها كتاب "عقول الأولاد." وفيه كتب عن خلفية تاريخية وطبيعية للموضوع. وعرض خلفية تحرير المرأة الأمريكية (بعد قرون الاضطهاد، والتفرقة، وعلى الأقل، الاستعلاء). وقال: إن المرأة الأمريكية مرت بثلاث مراحل منذ استقلال أمريكا:

أولا: كانت ممنوعة من التصويت في الانتخابات لمائة وخمسين سنة بعد الاستقلال (نالت الحق بعد تعديل الدستور في سنة 1918).

ثانيا: ظلت، بعد ذلك، غير متساوية مع الرجل في التعليم، والمكانة الاجتماعية، والدخل، وتقسيم المسؤوليات العائلية.

ثالثا: نالت، خلال الثلاثين سنة الأخيرة، وبفضل حركة الحقوق المدنية والحركة النسائية، حقوقا إضافية. وزاد عدد النساء في الكونغرس، وفي رحلات الفضاء، وفي قيادة الشاحنات، وفي ارتكاب الجرائم (حتى جرائم الاغتصاب).

ثم عرض خلفية تطور الرجل الأمريكي:

أولا: ركز الرجل، منذ "إنسان الكهف"، على حماية العائلة، وجمع الرزق لها.

ثانيا: احتاجت الثورة الصناعية إلى قوى عاملة، وأغرت المرأة بالعمل خارج المنزل.

ثالثا: فتحت المدارس فرصا جديدة أمام البنت، وجعلتها قادرة على منافسة الولد.

رابعا: (وهو ما يركز عليه النقاش في أمريكا) تفوقت البنت على الولد خاصة في الجامعات. ليس لأن البنت أكثر ذكاء، ولكن لأن الولد ينشغل بأشياء أخرى.

دراسة المشكلة:

وقال كوريان: "لهذا السبب، تفرغت لعشرين سنة لدراسة مشاكل الأولاد في الجامعات، وتأثيرها على وطننا، وعلى حضارتنا." وركز على الآتي:

أولا: ينشغل الوالدان عن تربية أولادهما، خاصة بعد أن صارت كثير من النساء يعملن خارج المنزل.

ثانيا: تستمر حيرة الأولاد نفسيا، واقتصاديا، واجتماعيا، وروحيا، وأخلاقيا.

ثالثا: أوضحت دراسات طبية أن تفاصيل مخ الولد تختلف عن تفاصيل مخ البنت. ولهذا، يفكر الاثنان بطريقتين مختلفتين.

رابعا: أصبحت مشكلة تربية الولد "أزمة وطنية"، تهم كل الأمريكيين، وأن لابد من حل سريع لها.

وقال كوريان أن أبحاثا ودراسات أوضحت بان مشكلة أولاد أمريكا (عند مقارنتهم مع بناتها) ليست لها صلة بالدخل أو العرق. هنا، لا تختلف مشكلة أغلبية أولاد الطبقات العليا والأغنياء (حتى أولاد الأطباء وأساتذة الجامعات) عن مشكلة أولاد الأزقة والأحياء الفقيرة. لكن، طبعا، عدديا، تزيد المشاكل وسط السود عنها وسط البيض، وذلك لأن نسبة الفشل في المدارس وفي الحياة أكثر وسط السود عنها وسط البيض (أولادا وبناتا).

وجمع كوريان أرقاما من دول غربية أخرى، أكدت نفس الشيء.

درست منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية الأوروبية (أو أي سي دي) تفوق الأولاد على البنات في مدارس ثلاثين دولة "متقدمة"، منها بريطانيا وكندا وفرنسا واليابان.

وخلصت إلى أن البنات تفوقن على الأولاد، خاصة في القراءة والكتابة. وفي بريطانيا، تفوقن "في كل المواد، وفي كل الأعمار، وفي كل المقاطعات."

لماذا؟

قال وليام بولوك، أستاذ علم النفس في جامعة هارفارد، ومؤلف كتاب "أطفال حقيقيين"، أن المرأة أصبحت أكثر "ثقة بنفسها" من الرجل، بعد أن تأكد لها أنها تقدر على منافسة الرجل، بل الفوز عليه:

أولا: تحصل على أعلى الدرجات، وتتولى أعلى المناصب.

ثانيا: تعمل في البيت، وتجهز الطعام، وتربي الأولاد والبنات، رغم صعوبة ذلك.

ثالثا: تهتم أكثر بجمالها ومظهرها، و"تسيطر" على الرجل لقدرتها على إغرائه.

رابعا: تحب، وتعطف، وتقدس الزواج، وتحافظ على العائلة، وتهتم بالعلاقات الإنسانية أكثر من الرجل.

وقال بولوك أن الولد، في الجانب الآخر، لا يعرف ماذا يفعل أمام هذه "الفخر الأنثوي". خاصة لأن المجتمع يتوقع منه الأتي:

أولا: أن يكون أذكي من البنت (لكنه ربما لا يقدر على ذلك).

ثانيا: أن يقود العائلة (لكنه يجد الالتزامات العائلية معقدة).

ثالثا: أن يقود المجتمع (لكنه يجده قاسيا وماديا).

"استعلاء" النساء:

وقالت سليندا ليك، أستاذة جامعية، ومؤلفة كتاب "حقيقة ما تريد المرأة"، أن مشكلة الولد (والرجل) الأمريكي صارت هي خوفه من البنت (المرأة) بسبب العوامل الآتية:

أولا: "الخروج": خروج النساء من البيوت إلى أماكن العمل بأعداد كبيرة جدا، وتاريخية.

ثانيا: "المساواة": مطالبة النساء، أي بعد المشاركة في نفس العمل، بأجر متساوى.

ثالثا، "الاستعلاء": النساء يصبحن تدريجيا أكثر تعليما، وأكثر ثقة بأنفسهن، وبالتالي أقل "احتراما" للرجال.

لهذا، ربما يزيد قلق الرجال مما يعتبرونه "استعلاء" النساء عليهن. ولهذا قالت بروفسيرة ليك أن التحول النسائي في أمريكا "ليس ثورة، ولا مظاهرات في الشوارع، ولا دقا على أواني المطبخ. أنه تحول بطيء يغير خريطة أمريكا في هدوء."

وربما سيغير خريطة العالم أيضا، تدريجيا وفي هدوء.

التعليم غير المختلط:

لكن، في الجانب الآخر، هناك خبراء وأساتذة جامعات يرون أن "المساواة" بين الرجال والنساء "غير طبيعية." وأن "التكامل" هو الشيء الطبيعي. لكل جانب إدوار تكمل ادوار الجانب الآخر. ويقول هؤلاء إن السبب الحقيقي للتيه الذي صار يعيش فيه الولد الأمريكي هو "انقلاب الموازين".

ولهذا الموضوع صلة بحملة يقودها ليونارد ساكس، طبيب نال دكتواره في علم النفس. وكتب كتابين أثارا ضجة:

الأول: "لماذا النوع (الاختلاف بين الرجال والنساء) شيء هام؟"

الثاني: "انعزالية الأطفال: خمسة أسباب لعدم حماس الأولاد للتعليم."

ساكس هو مؤسس ومدير الجمعية الوطنية للتعليم غير المختلط. ويبدو أن جهوده أثمرت بعض الشيء، لأن الرئيس بوش الابن استشاره، ثم أمر وزيرة التربية بوضع برنامج لتجربة التعليم غير المختلط في بعض المدارس الحكومية.

في سنة 1995 كانت هناك ثلاث مدارس فقط من هذا النوع في كل الولايات المتحدة. وبعد خمس سنوات، وصل العدد إلى أكثر من مائتي مدرسة. وفيما بعد، قررت ولايات ومقاطعات فصل مزيد من الأولاد والبنات في بعض مدارسها.

وأثار هذا عاصفة زادت من النقاش عن هذا الموضوع:

في جانب، يقول البعض أن تعالي الرجل (وليس الاستعلاء) شيء طبيعي (بحكم الوظائف التاريخية والطبيعية والجنسية المختلفة للجانبين).

في الجانب الآخر، يقول البعض أن المساواة الحقيقية لا تعرف عوامل تاريخية أو طبيعية (في المدرسة وفي المكتب، وحتى في غرفة النوم). وان "المرأة الجديدة" تقدر على منافسة "الرجل القديم."

لكن، قال ساكس، زعيم حركة التعليم المنفصل للأولاد والبنات، أنه صار واضحا أن الاختلافات الطبيعية هي، حقيقة، طبيعية. مثلا: يقرأ روايات "هاري بوتر" الأولاد أكثر من البنات (لأن كثيرا منها عن مغامرات ومنافسات). ويقرأ روايات "تويلايت" البنات أكثر من الأولاد (لأن كثيرا منها عن رومانسيات، وحب عذري، وزهور، وورود).

مسؤولية الحركة النسائية:

ولا تؤيد كل المثقفات والخبيرات الأمريكيات مساواة المرأة بالرجل.

كتبت كرستينا سومرز كتاب "من سرق الأنوثة؟ كيف خانت النساء النساء؟" وفي وقت لاحق، كتبت كتاب "الحرب ضد الأولاد: كيف أثرت الحركة النسوية الخاطئة على أولادنا؟" كانت أستاذة في جامعة كلارك (ولاية ماساجوستس)، ثم صارت خبيرة في معهد "أميركان إنتربرايز" في واشنطن العاصمة.

تتلخص آراؤها عن المرأة في الآتي:

أولا: أنها جزء من الطبيعة، قبل أن تكون أما، وموظفة، وسياسية، ومهندسة.

ثانيا: هويتها ليست في جنسها وإثارتها، ولكن في تفكيرها، وحريتها.

ثالثا: تختار ما تريد، ولا يجب أن يكون اختيارها مثل اختيار الرجال.

وانتقدت كرستينا سومرز قائدات حركة تحرير المرأة، وقالت إنهن تطرفن:

أولا: حولن الحركة لتكون ضد الرجال، أو على الأقل، لتكون منافسة للرجال. ولا يجب أن تكون كذلك. لأن العلاقة بين الرجل والمرأة ليست منافسة، ولكن مكملة.

ثانيا: تجاهلن تناقض أن المرأة تختلف عن الرجل اختلافات طبيعية، لكنهن يردن أن تكون متساوية له.

ثالثا: رفضن فتح صفحة جديدة في العلاقة مع الرجل، وظللن يتذكرن سنوات الاضطهاد. وهدفن هو الاستمرار في تصوير المرأة كمضطهدة، والاستمرار في إحساس الذنب عند الرجل.

عداء الرجل:

وانضم إلى سومرز، والى الحملة ضد حركة تحرير المرأة المتطرفة ساكس، قائد الدعوة لفصل الأولاد عن البنات في المدارس. وقال أن الأبحاث التي أجراها أوضحت أن الاختلاف بين الولد والبنت يبدا يوم الولادة. ويتركز على حاستين:

أولا: النظر (يتفوق الولد على البنت).

ثانيا: السمع (تتفوق البنت على الرجل).

بمجرد خروجه من رحم أمه، يفتح الولد عينيه لفترة أطول، وبتركيز أكثر. في الجانب الآخر، تركز البنت على الاستماع إلى ما حولها، وخاصة أول كلمات تسمعها من الأطباء والممرضات وأمها.

وأجرى ساكس تجربة أخرى: صور مائة طفل بفيديو يوم ولادتهم، بعد أن وضع أمام كل واحد منهم لعبة كهربائية تتحرك، ووجه امرأة صامتة. ولاحظ أن الأولاد انتبهوا أكثر إلى اللعبة التي تتحرك، وان البنات انتبهن أكثر إلى الوجه الهادئ الصامت.

ثم أجرى بحثا آخرا، أوضح أن المولودة الجديدة انتبهت أكثر إلى أغاني الأطفال الهادئة، مثل "تونكل تونكل ليتل ستار" (المعي، المعي، أيتها النجمة الصغيرة). لكن، أنبته أكثر المولود الجديد إلى قطعة موسيقية كلاسيكية صاخبة للموسيقار الألماني واقنر.

الولد والبنت:

وقال ساكس أن الاختلاف في السمع يقود إلى الاختلاف في الحديث: حديث البنت هادئ لأنها تستمع في هدوء، وحديث الولد عال لأنه لا يجيد السمع مثلها.

وأشار إلى قصص مرت عليه خلال عمله في عيادته النفسية، منها:

أولا: اشتكى آباء أن بناتهم اشتكين لهم أنهم يتكلمون بصوت عال معهن (وفي خشونة، وبدون تلطف).

ثانيا: قال أولاد إنهم يفضلون سؤال أمهاتهم، أكثر من آبائهم، لأن الأمهات أكثر إنصاتا وانتباها.

وقال إنه، مع زيادة الأبحاث عن المخ وطريقة عمله، صار واضحا أن الجزء الذي يسمى "أميقدالا" هو مركز العواطف. وأنه أقوى عند المرأة عنها عند الرجل. ليس ذلك فحسب، بل انه ينمو في مخ البنت قبل نموه في مخ الولد. وان الولد، خلال مرحلة المراهقة، لا يقدر على أن يعبر عن عواطفه مثل البنت. وحتى خلال بقية حياته، ولكن بصورة أقل.

وقال: إن التلميذ في الفصل يفضل مقعدا أبعد من المدرس أو المدرسة، بينما تفضل التلميذة مقعدا اقرب. ويفضل التلميذ النظر من بعد إلى المدرس أو المدرسة، بينما تفضل التلميذة الاستماع إلى كل كلمة يقولها المدرس أو المدرسة. ويصغي التلميذ أكثر للمدرس عنه للمدرسة، بينما تفضل التلميذة المدرسة على المدرس.

ولخص ساكس رأيه بنظرية "نيتشر أز أوفر نوتشر" (الطبيعة أعلى من التربية). وقصده هو أن العلاقة الطبيعية بين الرجل والمرأة تبدو متناقضة لدعوات المساواة الكاملة. وان هذا التناقض يسبب توترا عند كل من الولد والبنت، خاصة في مرحلة المراهقة، وهو مسؤول عن كثير من مشاكل هذه المرحلة.

في مستوطنة شيروكي

(ولاية نورث كارولينا) : الهنود الحمر



(اقرأ: استعلاء البيض) .

(اقرأ: تجارة الرقيق) .

(اقرأ: عقدة اللون) .

جئت إلى هنا سنة 1997، خلال جولة عائلية سياحية في الجزء الغربي من ولاية نورث كارولينا. هذه هي منطقة جبال "أباليشيان" التي تمتد من ولاية جورجيا في الجنوب إلى ولاية فرجينيا في الشمال. وتسمى "سموكي ماونتنز" (الجبال الدخانية)، إشارة إلى أن الضباب الكثيف يغطي قممها الخضراء في الصباح الباكر في الصيف وكأنه دخان.

هذه كانت منطقة أكبر قبائل الهنود الحمر، قبيلة "شيروكي"، التي لم يبق منها غير مدينة "شيروكي" الصغيرة، التي يمكن اعتبارها "عاصمة" لما تبقى من القبيلة. لكنها، في الحقيقة، مدينة سياحية أكثر منها عاصمة. يزورها ملايين الناس ليشتروا مصنوعات الهنود الحمر، ويأكلوا أكلهم،

ويستمعوا إلى أغانيهم، ويشاهدوا رقصاتهم.

لحسن الحظ، يوم زيارتنا، كان يوم عرض مسرحية "أنتو ثيس هيلز" (في هذه الجبال) التي تصور تاريخ الهنود الحمر، وخاصة "تريل أوف تيرز" (درب الدموع). هذا هو الدرب الذي سلكه ما تبقى من القبيلة بعد أن هزمها الرجل الأبيض، وأباد نصفها، وطرد نصفها. ساروا من جبال "أبالشيان" بالأقدام غربا لمسافة ألف ميل، إلى ولاية أوكلاهوما، حيث يوجد اليوم الجزء الأكبر من القبيلة.

أكثر جزء موثر في المسرحية كان نهايتها. بكى رجال ونساء وأولاد وبنات الهنود الحمر وهم يغادرون ارض آبائهم وأجدادهم. وتأثرت أنا أيضا، ولاحظت أن الصمت ساد وسط المشاهدين والمشاهدات. وشاهدت وسط النساء البيضاوات اللائي كن يجلسن بالقرب مني بعضهن وهن يبكين.

كان المنظر مؤثرا، وكانت الأغاني مؤثرة رغم أنها بلغة الهنود الحمر: أغاني وداع إلى الأبد لوطن الآباء والأجداد.

حدث "طريق الدموع" الحقيقي بعد قانون "ترحيل الهنود الحمر" الذي أصدره الكونغرس سنة 1830، بعد خمسين سنة تقريبا من استقلال الولايات المتحدة. كان القانون آخر فصل في فصول هزيمة الهنود الحمر، أما بالقضاء عليهم، أو بترحيلهم إلى مستوطنات (لا يزال بعضهم يعيش فيها حتى اليوم).

لم يكن ذلك بسبب سياسات حزب ديمقراطي، أو جمهوري، أو يميني، أو ليبرالي. كل الرؤساء الأمريكيين، بداية بالرئيس الأول، جورج واشنطن، كان هدفهم هزيمة الهنود الحمر. لأسباب منها:

أولا: نشر المسيحية.

ثانيا: توسيع الولايات المتحدة.

ثالثا: استغلال الثروات الطبيعية.

خلفية تاريخية:

من هم الهنود الحمر؟ وما هو تاريخهم؟ وما هو أصل اسمهم؟

يسميهم البعض "ريد أنديانز"(هنود حمر)، ويسميهم آخرون "أميريكان إنديانز" (هنود أمريكيين)، ويقول غيرهم "أنديجيناس أميريكانز" (أمريكيين أصليين." مؤخرا، بعد زيادة عدد المهاجرين من الهند إلى الولايات المتحدة، اختلطت الأوصاف وصارت غامضة، وصار اسم هؤلاء "أنديان أميركانز" (أميركيون هنود).

لكن، ليس هذا الغموض جديدا.

بدأ الغموض منذ أكثر من خمسمائة سنة، عندما أبحر كرستوفر كولمبس من إسبانيا غربا، بعد أن اقتنع بأن الأرض كروية، وأنه سيصل إلى الهند (وبهاراتها، وشايها، وعاج أفيالها). لكنه، طبعا، وصل إلى جزيرة هايتي وبقية جزائر البحر الكاريبي. ولأنه اعتقد أنه وصل الهند، سماها "جزر الهند" (قال البعض إنه سمى السكان "هنودا"، رغم الاختلاف الواضح في الشكل).

وعندما توسعت الولايات المتحدة، وتقدم الأمريكيون نحو الغرب لاحتلال مزيد من أراضي "الهنود"، سموهم "حمر"، لأن لونهم، بالمقارنة مع لون البيض، يميل نحو الاحمرار. وبدؤوا يستعملون أسم "هنود حمر".

بعد أكثر من مائتي سنة، وبسبب ارتفاع أصوات الأقليات، وبسبب حركات الحقوق المدنية (خلال النصف الثاني من القرن الماضي)، زاد وعي "الهنود الحمر"، واعترض قادتهم، أول ما اعترضوا، على الاسم. وقالوا:

أولا، "هنود" خطا تاريخي وجغرافي لأن "الهنود في الهند."

ثانيا، "أحمر" لون. ووصف الشخص بلونه يهمل تراثه، ويسيء إلى هويته.

وفضلوا وصف "أنديجيناس أميريكانز" (أمريكيين أصليين) لأنهم كانوا هنا قبل أن يأتي بقية الأمريكيين. ولأن حضارتهم سبقت الحضارة الأوروبية.

لكن، اعترض آخرون، خاصة البيض، وقالوا أن "الأصلي" هو من ولد في مكان معين. وان كل أمريكي أما "أصلي" (ولد في أمريكا)، أو "مهاجر" (ولد خارج أمريكا).

على أي حال، لا يزال كثير من الأمريكيين، وكثير منهم هم أنفسهم، يستعملون وصف "هنود حمر". وفي نفس سنة 1997، أوضح استفتاء وسط الهنود الحمر أن نصفهم يفضل وصف "هنود أمريكيين"، ويفضل ثلثهم وصف "أمريكيين أصليين".

الزهري مثل الإيدز:

أكدت وثائق تاريخية أن الأوروبيين، عندما وصلوا إلى الدنيا الجديدة، أحضروا معهم أمراضا، مثل الجدري، والحصبة، والزهري، الذي (ربما مثل مرض "ايدز") انتشر بسبب انهيار القيم الأخلاقية والروابط العائلية.

ومؤخرا، أثبتت أبحاث عن جينات الأعراق المختلفة وسط الأمريكيين أن تلك الأمراض كانت عادية بالنسبة للأوروبيين، لكنها كانت جديدة على جينات الهنود الحمر. ولهذا كانت من أسباب تخفيض عددهم، والقضاء على حضاراتهم.

وكتبت د. سوزان سكوايارز، أستاذة في كلية ميريديث (ولاية نورث كارولينا)، في بحث علمي: "ماحدث للهنود الحمر بعد وصول كولمبس إلى هايتي كان مثل الهولوكوست (محرقة اليهود في ألمانيا). قضى على تسعين في المائة من السكان، ولم يبق غير عشرة في المائة فقط."

وكتب نايل طومسون، في كتابه "مسلسل الأمراض المستوردة"، أن المهاجرين الأمريكيين وصلوا إلى الساحل الغربي بعد مائتي سنة من نزولهم في الساحل الشرقي. ورغم أن بعض الهنود الحمر في ولايات غربية مثل كليفورنيا وأوريغون وواشنطن، قتلوا أثناء مقاومة هذا الزحف، قتل الجدري ثلاثين في المائة منهم. وبعد ذلك بخمسين سنة، قتلت الأنفلونزا نسبة كبيرة منهم.

قانون المستوطنات:

في سنة 1876 (ذكرى مرور مائة سنة على استقلال الولايات المتحدة)، أصدر الكونغرس "قانون المستوطنات" الذي حدد الأماكن التي يجب أن يسكن فيها الهنود الحمر. ومنح كل مستوطنة "سيادة" على أراضيه وممتلكاته. وعقدت الحكومة الفدرالية "اتفاقيات" مع هذه المستوطنات. وتعهدت بنشر التعليم، وبناء المستشفيات، واستثمار الثروات الطبيعية.

لكن، كان نشر المسيحية هو الهدف الحقيقي:

أولا: ركزت مقررات المدارس عليها.

ثانيا: أشرفت راهبات على علاج المرضى.

ثالثا: أرسلت الكنائس مبشرين للقضاء على الأديان الوثنية.

وفي سنة 1924، أصدر الكونغرس "قانون الجنسية للهنود الحمر" الذي نقض القانون السابق. بدلا عن "استقلال المستوطنات"، ركز على دمج الهنود في المجتمع الأمريكي.

في الوقت الحاضر، توجد أكثر من خمسمائة مستوطنة، تعترف بها الحكومة الأمريكية حسب الأسس الآتية:

أولا: تتمتع بحكم ذاتي.

ثانيا: تضع قوانينها وتحاكم مجرميها.

ثالثا: لا تقيم علاقات مع دول خارجية.

وحسب آخر إحصاء، لا يزيد عدد ما تبقى من الهنود الحمر عن ثلاثة ملايين، يتركزون في ثلاث ولايات: كاليفورنيا، وأريزونا، وأوكلاهوما.

تحديث:

في سنة 2004، افتتح في واشنطن "المتحف الوطني للأمريكيين الهنود." هذا متحف عملاق، وهو جزء من مجموعة متاحف "سميثونيان" التي تقع بين الكونغرس والبيت الأبيض، في "ناشونال مول" (الميدان الوطني).

حضرت حفل الافتتاح. وتحدثت مع ليوندا لافشوك، مسؤولة العلاقات العامة.

قالت: "قصة المتحف هي قصة تناقضين في تاريخ الهنود الحمر: الهوية التاريخية والأمر الواقع. في جانب، نحن لا ننكر تفوق الرجل الأبيض علينا، بدليل إنه هزمنا، وسيطر علينا، وبسط دينه وثقافته علينا. لكن، في الجانب الآخر، لا نريد أن نفقد ثقافتنا، وننسى تراثنا. بعد سنوات التناقضات، صرنا الآن نرى أن أهمية ثقافتنا في أهمية الثقافة الأمريكية العامة. هذا ليس رأينا نحن فقط. هذا رأي الشعب الأمريكي، ممثلا في حكومته، وفي الكونغرس الذي أسس هذا المتحف."

ما هو دينهم؟

في مقابلاتي يوم افتتاح المتحف، ركزت على ما يعبد الهنود الحمر، وذلك بسبب نظرية تقول أن الرجل الأبيض لم يهزم الهنود الحمر بسبب قوته وسلاحه الحديث، ولكن بسبب تفوق المسيحية، وهي دين إلهي طبعا، على أصنام وطقوس الهنود الحمر.

يعني هذا أن الصراع كان دينيا، وهزم دين سماوي دينا بشريا.

من بين الذين قابلتهم في المتحف يوم افتتاحه، ماري راندل، مؤلفة كتاب "قصص جزر السلحفاة"، وتعيش في مستوطنة "باين ريدج" التابع لقبيلة "لاكوتا"(ولاية ساوث داكوتا). سألتها عن موضوع الدين، وقالت: أن ثقافة قبيلتها تقوم على الإيمان بما يسمونه "الروح العظمى".

وقالت: "خلقت هذه الروح الناس والطبيعة. وعلمتنا ألا نؤذي الطبيعة، ولا نؤذي بعضنا البعض. الروح العظمي هي سر الأكل، والشراب، والدواء الذي نصنعه، والطب الذي نمارسه. وهي التي ترعى أطفالنا."

وأضافت، وهي جدة لعشرة أولاد وبنات: "لوننا احمر لأن تراب الأرض حمراء". ومن القصص التي تحكيها لأحفادها وحفيداتها: "قالت بنت بيضاء لأطفال هنود حمر أن لونها جميل، ولونهم قذر. وردوا عليها بأن لونهم هو لون الأرض التي ولدت منها البنت البيضاء، والتي ستعود إليها."

وقالت لفشاك، الخبيرة الإعلامية، وهي من قبيلة "نافاهو" (في ولاية نيومكسيكو) أن قبيلتها تؤمن بإله غير إله قبيلة "لاكوتا"، غير "الروح العظمي"، ويسمونه "الجمال المحيط".

وقالت: "يحيطني الجمال المحيط من فوقي ومن تحتي. وعلى يميني، وعلى يساري. وأنا أصلي له سرا، صباحا ومساء."

وأضافت أن ثقافتهم تعتمد على ركنين:

أولا، حب الطبيعة (ولهذا يحملون الرجل الأبيض مسؤولية قطع الأشجار، وتدمير البيئة).

ثانيا، كراهية الحرب. وليست في لهجات بعض القبائل كلمة "حرب". (أقرب كلمات للعنف هي "مواجهة" و "اختلاف").

الذرة والفول:

يبادر كل هندي احمر، ويذكر محدثه بأنهم أول من عرف الذرة، والطماطم، والبطاطس، والفول، والقرع، والشطة. (من هنا انتقلت إلى العالم القديم). لكن الرجل الأبيض أحضر إلى هنا الأرز، والقمح، والشعير وغيرها. وطبعا، أحضر المسيحية التي صار واضحا أنها تفوقت على دين الهنود الحمر.

في المتحف، سالت الخبيرة لفشاك: هل انهزمت حضارة الهنود الحمر لأن الثقافة المسيحية كانت أقوى من أديانهم وثقافاتهم، أو لأنهم كانوا ضعفاء عسكريا؟

ردت: "الاثنان. فرضوا علينا المسيحية، ودفنوا معابدنا (المعابد حفر تحت الأرض)، وعمدوا أولادنا، وحلقوا شعورهم السوداء الطويلة الجميلة. وفي نفس الوقت، حصدونا، بالبنادق والمسدسات. ولا تنس سلاحا ثالثا استعملوه ضدنا، وهو الأمراض التي احضروها معهم إلى هنا." (إشارة إلى أمراض مثل الجدري، والدفتريا، والحصبة، والزهري).

تناقض الهوية:

لم تنكر لفشاك أن الرجل الأبيض فرض ثقافته على الهنود الحمر.

وقالت: إنها تعتبر أن مجرد هذا "الاعتراف" خطوة إلى الأمام. وذلك لأنهم كانوا، لمئات السنين، غاضبين، وحاقدين. أو حالمين بعودة حضارتهم وثقافتهم. وسألت: إلى متى يستمر الغضب؟ وما هو فائدة حلم لن يتحقق؟

وأضافت: "الاعتراف بتفوق الآخر يجب أن تتبعه محاولة اللحاق به." واعترفت بأنها "محاولة"، وذلك لاقتناعها بصعوبة التفوق على الحضارة المسيحية البيضاء. لكنها أضافت: "نعم، هزمونا، ودمروا حضارتنا. لكننا نجحنا في الحفاظ على أهم ركنين فيها: الأول، علاقاتنا العائلية. والثاني، روحانياتنا."

وأشارت إلى المشاكل التي تواجه العائلة الأمريكية، بصورة عامة. والى ابتعاد كثير من الأمريكيين عن الكنيسة. والى بحثهم عن روحانيات في ممارسات مثل الصوفية الإسلامية، والكبالة اليهودية، والشامانز البوذية، وحتى صلوات الهنود الحمر.

وقالت: "من يدري، ربما سيجد أمريكيون في روحانياتنا حلولا لمشاكلهم."

السناتور كامبل:

اشترك في احتفالات افتتاح المتحف مائة ألف هندي تقريبا. جاءوا من قبائل تعيش في مستوطنات في بعض الولايات الأميركية: "شيكالون" من ولاية ألاسكا، و"أباشى" من ولاية أريزونا، و"شيروكي" من ولاية نورث كارولينا، و"سمنول" من ولاية فلوريدا، و "شايان" من ولاية وايومنغ، "نافاهو" من ولاية نيومكسيكو، و"لاكوتا" من ولاية ساوث داكوتا.

وكان هناك ممثلو قبائل على طول القارتين الأميركيتين، من منطقة الاسكيمو إلى البرازيل.

وقال السناتور نايتهورس (حصان الليل) كامبل، (جمهوري من ولاية كولورادو)، وهو الهندي الأحمر الوحيد في الكونغرس، يوم افتتاح المتحف: "وأخيرا ، اكتملت الدائرة المقدسة، وتحققت صحوة سكان أميركا الأصليين."

وقالت الجدة راندل أنها تكرر على أحفادها وحفيداتها أن ينقلوا قصص تراثهم إلى أحفادهم وحفيداتهم.

وقالت الخبيرة لفشاك: "صحوتنا عائلية وروحانية. صحوتنا سلمية."

في معهد نياريست (واشطن) : عملاء أمريكا



(اقرأ: ادوارد سعيد، المناضل) .

(اقرأ: فؤاد عجمي، المهرول) .

في سنة 2007، جئت إلى "نير ايست انستيتيوت" (معهد واشنطن للشرق الأدنى) لحضور ندوة تحدث فيها على عبد الأمير علاوي عن كتابه الجديد: "أوكيوبيشن أوف أراك" (احتلال العراق). خلال سنواتي في واشنطن، حضرت ندوات كثيرة في هذه المعهد، وهو معهد يؤيد إسرائيل تأييدا قويا. وفي نفس الوقت، يهتم بالمواضيع العربية والإسلامية، ويقدم عنها ندوات، ويكتب عنها كتب (من وجهة نظر يهودية طبعا).

وبعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، وغزو أفغانستان، وبداية التحرش الأمريكي والإسرائيلي بالرئيس العراقي صدام حسين، زادت نشاطات المعهد. واحتضن العراقيين المعارضين لصدام حسين. ولم يكن سرا أن المعهد يؤيد غزو العراق. ولم يكن سرا أن هؤلاء المعارضين العراقيين لا يرفضون التحالف

مع هذا المعهد اليهودي. ولا يرفضون أن تغزوا أمريكا وطنهم، وأن يعودوا إليه حكاما داخل دبابات أمريكية.

وهذا ما حدث.

على علاوى سياسي ومثقف عراقي، وكان وزيرا ثلاث مرات بعد الغزو الأمريكي للعراق سنة 2003. كان وزير التجارة، ثم وزير الدفاع، في أول وزارة بعد الغزو. وهي الوزارة التي ترأسها أياد علاوي. ثم كان وزيرا للمالية في الوزارة التالية، وزارة إبراهيم الجعفري. على علاوي هو ابن عم إياد علاوي. وشقيق زوجة أحمد الجلبي، رئيس مجلس الحكم بعد الغزو الأمريكي. والجلبي نفسه هو خال إياد علاوي. وفي نفس الوقت، على علاوي وإياد علاوي من أقرباء نوري بدران، وزير الداخلية في وزارة إياد علاوي.

وهكذا، صار واضحا أن أمريكا احتلت العراق بمساعدة معارضين بعضهم أقرباء. وتحالفت مع عائلات عراقية معينة في غزو، واحتلال، العراق.

فصول الكتاب:

كتب علاوي كتابا عملاقا (516 صفحة)، عرض فيه تاريخ العراق منذ الغزو الأمريكي.

وهذه عناوين فصول الكتاب:

الغزو. سلطة الاحتلال. تصفية حزب البعث. مجلس الحكم. آية الله السستاني. كتابة الدستور. كراهية طائفية. حكومة انتقالية. عرب وفرس. الانتخابات. الفساد. حكومة الجعفري. المستقبل.

لكن، لم يذكر علاوى اسمه مرات كثيرة في كتابه. رغم مناصبه الهامة خلال ثلاث سنوات تقريبا. كتب جملتين عن نفسه عندما صار وزيرا للتجارة. وثلاث جمل عندما صار وزيرا الدفاع. وجملتين عندما صار وزيرا للاقتصاد.

أين على علاوي في كتاب على علاوي؟

فقط صفحات قليلة في مقدمة الكتاب.

كتب أنه كان يريد أن يعود إلى وطنه العراق بعد أن أكمل دراسته الجامعية في أمريكا. لكن، "عاد حزب البعث إلى الحكم سنة 1968، ووضع نهاية لآمالي بالعودة إلى العراق. كنت اعرف أن حزب البعث سيحكم العراق بقبضة حديدية. لكن، كان الحزب عنيفا ودمويا أكثر مما توقعت."

وأضاف: "هكذا بدأت لجوءا سياسيا استمر أكثر من ثلاثين سنة."

ومثل الآلاف من مثقفي الدول العربية والإسلامية الذين يتركون بلادهم، ويجيئون إلى الغرب، عاني علاوي من أشياء كثيرة، منها، كما كتب:

أولا، "لم أتوقف يوما عن التفكير في وطني."

ثانيا، "قاسيت من المنفى، والظلم، والتيه."

ثالثا، "ما كنت أعرف كم سيطول المنفى."

وكتب أن المنفى "جعل العقل كئيبا وسوداويا". واعترف بأنه "لم يفقد كثيرا" في حياته، ولم "يتأذى ويجبر على التنقل" (كان خبيرا في البنك الدولي، ثم صاحب بنوك وشركات استشارية عالمية).

لكنه، رغم ذلك، عاني من "قلة الاحتمالات، وانخفاض الخيارات، وضيق الفرص، وعدم وجود أكثر من طريق."

المعارضة من الخارج:

في ندوة معهد واشنطن للشرق الأدني، تحدث علاوي عن العراق قبل الغزو. قال إن العراق كان أكثر حظا من دول عربية كثيرة. لكنه تمنى لو "كان أحسن من ذلك". وأن العراق كان يمر بمرحلة "ثورية" تاريخية متطورة (بالمقارنة مع دول لا تزال "تقليدية"). لكنه قال أن تجربة العراق "الثورية"، مثل تجارب دول عربية تشبهه، كانت "كارثة".

خلال ثلاثين سنة في البنك الدولي، ثم في بنوك وشركات استشارية، قال: "ظللت أعارض صدام حسين."

لكنه اعترف بأنه لم يقدر على الجمع بين معارضة حكومة وطنه، وبين الجري وراء المال خارج وطنه. وذلك لأنه عمل، خلال الثمانيات وقبل غزو العراق للكويت، في بنوك وشركات استثمارية في دول خليجية "كانت حليفة إستراتيجية" لحكومة العراق. وقدمت للعراق بلايين الدولارات لمساعدته في حربه ضد إيران.

الإغراء الأميركي:

ومثلما كتب في الكتاب، قال علاوي في الندوة أنه ركز على إقناع الأمريكيين للمساعدة على التخلص من حكومة صدام حسين. وخاصة بعد هجوم 11 سبتمبر الذي زاد غضب الأمريكيين على المسلمين والعرب.

وقال علاوي: "تقربت إلينا السفارات الغربية والإعلام الغربي. وكان بعضنا محظوظا، وتسلم رمز الاعتراف الأعظم: زيارة البيت الأبيض."

وأضاف: "لكننا لم نكن قادرين على تهديد حكومة العراق (ناهيك عن إسقاطها). لم نكن نقدر على أن نفعل ذلك بمفردنا. ظللنا ننتظر ما ستفعل واشنطن ولندن."

قال إنه كان في لندن يوم سقطت بغداد، و"شاهدت الأحداث في التلفزيون. وشاهدت الفوضى تعم العراق. فرحت لإسقاط نظام صدام حسين. لكن، لم افرح لهذه الفوضى."

وكتب: "لهذا، كنت عكس زملائي الطموحين المتفائلين الذين سارعوا وسافروا إلى العراق، وبدؤوا في المناورات والألاعيب."

كان هذا واحد من تناقضات وأكاذيب كثيرة في الكتاب. لأنه لحق بهؤلاء سريعا. لكنه لم يعترف بأنه صاحب قرار الانضمام إلى حكومة الاحتلال الأمريكي. قال: إن "آخرين" أقنعوه.

كتب: "تغير رأيي سريعا" ولم يكتب"غيرت رأيي سريعا". كتب أن السبب "هو صديقي العظيم، وحليفي، موفق الربيعي. ذهب إلى مجلس الحكم في العراق، واقترح عليهم اسمي وزيرا. وقال لي: "سأجعلك وزيرا للتجارة." وسألني، وهو الرجل الجاد: "هل تريد؟ أو لا تريد؟" صمت، وفكرت، وترددت. ثم قلت له: "نعم."

وكتب علاوي: "لا اعرف لماذا قلت نعم. لم يكن السبب هو أنني طموح. ولا أنني أحب السلطة. ولا إنني أحب الحكم. أنا متأكد من ذلك. كان السبب هو "القدر". وقلت إنني ما دمت قضيت أربعين سنة أعاني مما عانى العراق، جاء وقت العمل."

الجانب الأخلاقي:

وقال: "اقتنعت بأخلاقية إسقاط الحكومة الدكتاتورية بمساعدة الأجانب." وسأل: "هل هناك أي سبب آخر يجعل الإنسان يؤيد احتلال بلده؟"

وقال: "لكني أصبت بخيبة أمل عندما وصلت إلى بغداد ... وشاهدت طبيعة العراق الفوضوية، والعواطف المتطرفة. وقلت لنفسي: سينهار كل شيء، وسينهار معه تأييدي الأخلاقي للغزو الأمريكي ... شرحت ذلك لكل إنسان. لكنكم كانوا كلهم مشغولين بخدمة مصالحهم الخاصة."

وانتقد ثلاثة أشياء:

أولا: "تناقضات المشروع الأمريكي".

ثانيا: "ارتشاء، وعجز، ونفاق، الطبقة السياسية الجديدة".

ثالثا: "التناقض" بين الجانبين العراقي والأمريكي.

وزارة جديدة:

مثلما قال علاوي أن صديقة موفق الربيعي هو الذي عرض عليه وزارة التجارة بعد الغزو، قال: "وجدت نفسي في قائمة المرشحين في الانتخابات، وانتخبت عضوا في المجلس الوطني الانتقالي." (لم يقل: "ترشحت")

لماذا فعل ذلك وكان قال: إنه أصيب بخيبة أمل؟ .

قال: "كنت أريد أن اشترك في كتابة الدستور الدائم." لكنه اعترف: "ربما كنت ساذجا عندما اعتقدت أن كل العراقيين سيتفقون على ترك خلافاتهم، وعلى فتح صفحة جديدة." وفي الحقيقة، "لم يختاروني في لجنة الدستور."

ثم عرضت عليه وزارة المالية. ومرة أخرى، قال علاوي: إنه لم يطلب الوزارة، لكنها عرضت عليه، وهو وافق. قال: "ضغطوا علي."

لكن، مع الوزارة جاءت المسؤولية، وجاء الخوف والخطر. وتعرض لمحاولات اغتيال كثيرة. في واحدة منها، هجم انتحاري على حرسه الخاص، وقتل ثلاثة، وجرح ستة جروح بالغة.

موسم الهجرة:

خاف علاوي، وغير رأيه، وكتب: "حتى اليوم، أسمع في أذني صوت البنادق الأوتوماتيكية التي أطلقها حراسي على الذين حاولوا اغتيالي."

وكتب في نهاية مقدمة الكتاب: "اقتربت نهاية سنواتي في العمل السياسي. وفقدت أي أمل في الجو العفن في ما يسمى بالعراق الجديد."

وبعد أن اكتسح الشيعة الانتخابات التي أجريت تحت إشراف الاحتلال الأمريكي، قال: إنه، وهو الشيعي، لم يطمع في منصب وزاري (كانت ستكون الوزارة رقم أربعة). وقال: "على أي حال، ربما ما كانوا سيختاروني".

ولهذا، ترك العراق إلى بريطانيا وأمريكا.

تحديث:

في سنة 2008، بعد سنة من ندوة علاوى، عدت إلى معهد واشنطن للشرق الأدني لندوة عن كتاب عن أحمد الجلبي، رئيس مجلس الحكم بعد غزو العراق. وهو خال إياد علاوي، أول رئيس لوزراء العراق بعد الغزو. وفي نفس الوقت هو زوج شقيقة على علاوي، وزير المالية، ومؤلف كتاب "غزو العراق."

لم يكتب الجلبي كتاب مذكراته مثل على علاوي. لكنه لم يكن غريبا على معهد واشنطن هذا. حضرت ندوات كثيرة أقامها أو اشترك فيها، قبل وبعد غزو العراق.

وجئت هذه المرة إلى المعهد للاستماع إلى الصحفي الأمريكي أرام روستون الذي كتب كتاب: "الرجل الذي دفع أمريكا للحرب: أحمد الجلبي: حياة غير عادية، ومغامرات، وهوس."

قسم المؤلف الكتاب إلى 53 فصلا عن الجلبي. منها فصول عن: مولده. تعليمه. ثورة 1958 في العراق. هروب العائلة إلى لندن. دراسته في الولايات المتحدة. عائلة بنوك ومصارف. فضيحة بنك "البتراء" الأردني. الاستخبارات المركزية، استخبارات البنتاقون.

قال عن الجلبي: "في كل تاريخ أمريكا، لا يوجد رجل مثل أحمد الجلبي. لم يحدث أبدا أن أجنبيا ليست له أي وظيفة رسمية، استطاع أن يؤثر على السياسة الخارجية الأمريكية إلى درجة أن يدفعها لتعلن الحرب على دولة أخرى."

وأضاف: "نعم، أقنعنا ونستون شيرشل، السياسي البريطاني الحكيم، أن ندخل الحرب العالمية الثانية ضد ألمانيا الهتلرية. لكنه كان، في ذلك الوقت، رئيس وزراء بريطانيا. لكن الجلبي ليس شيرشل. إنه رجل أعمال ثري أعلن إفلاسه أكثر من مرة، ورئيس منظمة صرفت عليها وكالة الاستخبارات المركزية."

إسقاط صدام:

منذ قبل غزو صدام حسين للكويت (سنة 1990)، عاداه الجلبي. ومنذ قبل هجوم 11 سبتمبر (سنة 2001)، حاول إقناع الأمريكيين بالإطاحة به. يعني هذا أن الظروف خدمت الجلبي. خاصة، خدمه غضب الأمريكيين من الهجوم عليهم، ورغبتهم (التي لايريدون أن يعترفوا بها حتى اليوم) في الانتقام من العرب والمسلمين.

ساعدت الاستخبارات الأمريكية الجلبي مساعدة قوية وفعالة مرتين:

الأولى: ما بين سنتى 1992 و 1996، ساعدته علي تأسيس "لجنة العراق الحر". لكنها تخلت عنه عندما اكتشفت أنه لن يقدر على أن يخلصهم من صدام حسين. وأنه رجل فاسد، ولم يستعمل الأموال التي أعطتها له لتنفيذ الأهداف التي حددتها له، وحول كثيرا منها لحساباته الخاصة.

الثانية: ما بين سنتي 2001 و 2005، ساعدته على تأسيس "المؤتمر الوطني العراقي". ولكن، بعد غزو العراق بسنتين، اكتشفت بأنه عميل للاستخبارات الإيرانية.

ليلة سقوط بغداد، نقلت طائرة عسكرية أمريكية الجلبي إلى بغداد. وفي وقت لاحق، صار نائب وزير البترول. ثم نائب رئيس وزراء.

سقط في الانتخابات التي جعلت صديقه الشيعي نوري المالكي رئيسا لوزراء العراق. لكن، عينه المالكي مستشارا له. وفي نفس الوقت، استمر يشترك في نشاطات بنوك وشركات العائلة.

وقال الكتاب: "حقق الجلبي الحلم العراقي باستغلال الحلم الأمريكي. من واشنطن، حيث مركز القوة، عرف الجلبي كيف يزيد قوته وأسهمه، ويناور ويحاور، ويداهن ويراهن. كان كلامه حلوا مثل عسل، ونشاطه كثيرا مثل نحلة. وبهر واشنطن التقليدية بما لم تتعود عليه."واستغرب الكتاب لأن الجلبي" نجح في أمريكا مثلما لم ينجح في بريطانيا (حيث عاش سنوات كثيرة). ومثلما لم ينجح في بلاد العرب. هناك كشفوه كرجل يسير على حافة الهاوية، سياسيا، وماليا، وأخلاقيا." هذا تعبير مهذب معناه أن الجلبي رجل فاسد سياسيا، وماليا، وأخلاقيا.

وأضاف الكتاب: "عرف الجلبي كيف يستغل قيمنا الأخلاقية، ومجتمعنا المفتوح، وثقتنا بأنفسنا. عرف أننا نسعد عندما نسمع الأجانب يتحدثون عن حريتنا في انبهار، ويتمنون لو نشرناها في بلادهم."

شيني ورمسفيلد:

وقال الكتاب أن الجلبي تآمر لتحقيق حلمين:

الأول: عزل صدام حسين.

الثاني: وضع نفسه مكانه.

لحسن حظه، تآمر مع أمريكيين ما كانوا يحتاجون إلى أن يقنعهم: شيني، نائب الرئيس، ورمسفيلد، وزير الدفاع، وولفووتس، نائبه، وآخرين. غير أنهم غدروا به: استفادوا من معلوماته (كانت أغلبيتها كذبا)، لكنهم لم يضعوه مكان صدام حسين.

وقال مؤلف الكتاب أن كتبا كثيرة أدانت إدوار الرئيس بوش الابن، وشيني، ورمسفيلد، وولفوتش وغيرهم من الذين خططوا، ونفذوا، غزو العراق. لكن لم ينال الجلبي نصيبه من النقد.

وقال مؤلف الكتاب إنه، لهذا، كتب الكتاب.

وقال: "يحتاج الشعب الأمريكي ليتأمل في أفعال الجلبي تأملا روحيا، وفي قدرته على إقناعنا بأن نغزو دولة لم تهددنا."

في مدرسة البروتوكول (واشنطن العاصمة) :

البروتوكول والإتيكيت



(اقرأ: الصدمة الحضارية).

(اقرأ: عقدة الأجنبي).

في سنة 1990، جئت إلى "واشنطن سكول أوف بروتوكول" (مدرسة واشنطن للبروتوكول) لمقابلة دورثيا جونسون، مؤسسة ومديرة المركز. وكانت المناسبة تخريج دفعة صغيرة من موظفين في بروتوكولات عربية خليجية. وطبعا، في مثل هذه المناسبات، يريد كل واحد الالتزام بقواعد البروتوكول. لكن، كان واضحا أن الاختلافات الثقافية بين الشرق المسلم (الأقل تطورا) والغرب المسيحي (الأكثر تطورا) كبيرة جدا. وأنها تؤثر في كثير من جوانب الحياة، بما في ذلك البروتوكول.

أثناء الحفل، لاحظت أن الشرقيين مالوا نحو الحديث بصوت عال، والضحك بصوت عال، ومال الغربيون نحو الحديث الهادئ وضحكات قصيرة وغير مدوية. مال الشرقيون نحو العناق والتقبيل، ومال الغربيون نحو المصافحة. جاء كثير من الشرقيين متأخرين، وجاء كثير من الغربيين في الميعاد، كما عرفت.

ومال الشرقيون نحو التواصل الاجتماعي، ومال الغربيون نحو الفردية. ومالت ملابس الشرقيات نحو فساتين طويلة وأحيانا غطاء رأس أنيق، ومالت الغربيات نحو فساتين سهرة، ما بين طويلة وقصيرة، وشعور طويلة متدلية، وأكتاف وأعناق مكشوفة.

مع هذه الاختلافات، لابد أن تتأثر قواعد البروتوكول. وهي طبعا، كما يبدو من اسمها، غربية. لكن التأدب والتأنق لا يقتصران على مكان وزمان.

خلفية تاريخية:

قبل أربعة آلاف سنة، كتب بتاهوتيب، وزير في بلاط العائلة الفرعونية الخامسة في مصر، عن طريقة الوقوف لتحية الضيف. أو عدم الوقوف اذا كان الضيف "أقل قيمة".

وكانت لأباطرة روما إتيكيات خاصة بهم.

وكتب كونفيوشس الصيني قواعد عن الأكل والكلام (متى يمضغ فمك الطعام، ومتى يتكلم، وكم مرة تمضغ، وكم جملة تتكلم، ثم تعود إلى المضغ).

ثم تفوق الفرنسيون في فن "الإتيكيت". وأصل الكلمة فرنسي من "تيكيت"، بطاقة تكتب عليها قوانين السلوك، ويحملها الشخص معه عندما يقابل آخرين.

ونقل توماس جفرسون (الرئيس الثالث الذي كان سفيرا في فرنسا) أجزاء من الإتيكيت الفرنسي إلى أمريكا. وكتب عنها في كتبه. ومما كتب: "جئت من فرنسا بآداب تعالج بعض الهمجية في سلوكنا."

ومؤخرا، ظهر "نيتيكت" (إتيكيت الكمبيوتر، مثلا: كيف تخاطب الناس؟ كيف تشترك في غرف النقاش؟)

وقالت مقدمة كتاب"بروتوكول" الذي اشتركت في كتابته ماري ماكافري، مديرة البروتوكول في إدارة الرئيس إيزنهاور (عدل المرجع عدة مرات ليتماشي مع التطورات الاجتماعية والتكنولوجية): "من أهم من من؟ هذا هو السؤال الأول الذي يواجه أي شخص مسئول عن البروتوكول، في أي موقع، وفي أي بلد."

وقال الكتاب أن الإتيكيت يختلف عن البروتوكول اختلافا هاما:

أولا: ينظم الإتيكيت سلوك الشخص أمام الآخرين، وينظم البروتوكول سلوك الآخرين أمام الشخص.

ثانيا: يميل الاتيكيت نحو الخصوصيات، ويميل البروتوكول نحو الرسميات.

في سنة 1815 (بعد نهاية مغامرات نابليون بونابرت، وظهور الدول الأوروبية الحديثة) وفي مؤتمر في فينا لدبلوماسيي الدول الأوروبية، وضعت قواعد البروتوكول، وتبادل السفراء، ومعاملتهم لبعضهم البعض.

أزمة سفير:

في مقابلة صحفية، غير مقابلة يوم الحفل في مدرسة واشنطن للبروتوكول، حكت لى المديرة جونسون عن يوم ذهبت إلى سفارة دولة عربية لمقابلة السفير حول إرسال مدرسين من المركز إلى السفارة لتدريب دبلوماسييها على فن البروتوكول.

قبل أن تترك مكتبها، اتصل بها مسؤول في تلك السفارة، وقال لها أنها ستجد مكانا خاصا لسيارتها عند مدخل السفارة حتى لا تتعب في البحث عن موقف. وستجد شخصا واقفا في المكان المحجوز.

وصلت، ووجدت المكان في انتظارها، ورجلا يقف فيه، ويرتدي ملابس أنيقة، وفتح لها باب سيارتها، واخذ منها مفتاح السيارة. عندما اتجهت نحو باب السفارة، قابلتها امرأة عرفت نفسها بأنها زوجة السفير. وسألت جونسون الزوجة: "أين سعادة السفير؟" وإشارات الزوجة إلى الرجل الأنيق الذي كان لا يزال واقفا قرب سيارتها، يأمر حرس السفارة ليوقفوا السيارة في اتجاه خروجها من المكان عندما تعود إليها جونسون.

قالت لي جونسون أنها "صعقت." وأضافت: "يناقض هذا كل قواعد البروتوكول التي ادرسها في مدرستي." رغم أنها فهمت أن السفير فعل ذلك تقديرا واحتراما لها.

وقالت:إن أول درس قدمته لدبلوماسيي السفارة كان الآتي: "يستقبل السفير ضيفه في مكتبه، إذا كان الضيف يساويه في الوظيفة، أو أقل منه. ويستقبله عند مدخل السفارة، إذا كان الضيف أعلى منه في الوظيفة. وأبدا، لا يستقبله في موقف السيارات".

"صعقت":

وتذكرت جونسون أنها "صعقت" مرة أخرى عندما علمت أن وزارة الخزانة الأمريكية أرسلت وفدا إلى دولة عربية لإجراء مفاوضات رسمية مع وزير الخزانة وكبار المسؤولين في وزارته. وعلمت أن الوفد تكون من ثلاث نساء فقط. ولم تصدق صورة شاهدتها من الزيارة، وفيها الأمريكيات الثلاث (بفساتين غير طويلة) على جانب مائدة المفاوضات، ورجال عرب ثلاثة (بملابس عربية طويلة) على الجانب الآخر.

وقالت: لإن الموضوع ليس عن وضع المرأة، سلبيا أو ايجابيا، في المجتمع العربي. ولكن عن عدم احترام الثقافات الأخرى. وإذا كان استشارها المسؤولون الأمريكيون قبل إرسال الوفد، كانت قالت لهم: "ممنوع إرسال أميركية للتفاوض مع رجال عرب. ناهيك عن ثلاث أمريكيات."

وضربت جونسون مثلا بحفيدتها الممثلة السينمائية، ليف تايلور، التي مثلت في فيلم "لورد أوف ذا رنغ." سافرت الحفيدة إلى دبي للاشتراك في معرض هناك. وقبل سفرها، سألتها: "جدتي، بماذا تنصحيني؟" ردت عليها: "أهم شيئين: أولا، لا تستعملى يدك اليسرى للأكل. ثانيا، لا تسيرى أمام الرجل."

وقالت جونسون أنها لم تتفلسف، ولم تقدم لها محاضرة لحفيدتها بان المرأة في الدول العربية مواطنة من الدرجة الثانية. وذلك لأن البروتوكول هو عن "معاملة الآخرين، لا الحكم عليهم."

شرق وغرب:

وقالت جونسون: "هدف البروتوكول ليس نقد ثقافات الشعوب الأخرى، ولكن التوفيق بينها. يعترف البروتوكول بوجود اختلاف في وضع المرأة في الشرق بالمقارنة مع وضعها في الغرب، لكنه لا ينحاز إلى أي جانب."

لكن، في الجانب الأخر، قالت أن الشرقيين الذين يأتون إلى واشنطن يجب أن يضعوا اعتبارات لوضع المرأة الأميركية. بدون أن يتفلسفوا، وينظروا، ويقولوا: إنها انحلالية، أو تكشف فخذيها، أو تستعلي عليهم.

ووصفت جونسون المرأة الأمريكية بأنها: "لطيفة، لكنها جادة. ودودة، لكنها رسمية. متحررة، لكنها محترمة. ويجب عدم الخلط بين هذا وذاك."

وقالت: أن دبلوماسيا يابانيا قال لها انه لا يحتاج إلى نصيحة منها عن طريقة معاملة المرأة الأمريكية، "لأنها تقول لي ذلك بصراحة. إنها صريحة إلى درجة تتدهش."

ونصحت سفيرا عربيا جاء إلى واشنطن لأول مرة: "في أمريكا، استمع، واستمع، واستمع."

وقالت أن الأمريكيين والأمريكيات يوزنون كل كلمة يقولونها، ويعرفون متى يتحدثون ومتى يستمعون. وأنهم "صريحون، ويقدرون الأجنبي الصريح. لايخفون شيئا، ويقدرون الأجنبي الذي لا يخفي شيئا."

ويتحاشون، خلال أول مقابلة على الأقل، الحديث في السياسة، والدين، والمال، والجنس.

تحديث:

في سنة 2004، عدت إلى مدرسة الدبلوماسية، وقابلت مديرتها الجديدة باميلا أيرنق. وتحدثنا عن نفس المواضيع، مع تحديثات. سألتها عن الفرق بين الإتيكيت والبروتوكول. وقالت:

أولا ، "الإتيكيت هو فن المعاملة والسلوك، ويشمل الأشياء الشخصية التي ربما تبدو صغيرة بالنسبة لصاحبها، لكنها تقدم انطباعات هامة عنه للآخرين."

ثانيا، "البروتوكول هو علم المعاملة والسلوك، وفيه قواعد وقوانين يفضل أن تتبع."

ثالثا، "الدبلوماسية هي التعامل مع دول وثقافات مختلفة، مع وضع اعتبار لاتيكيت وبروتوكول كل دولة أو ثقافة."

ماذا تدرس مدرسة البروتوكول؟

كيف تدخل مكتبا؟ كيف تحي الحاضرين؟ متي تحيى شفاهة، ومتي تحيى مصافحة؟ كيف تقدم نفسك؟ كيف تتذكر الأسماء؟ كيف ومتى تقدم بطاقة الوظيفة (بيزنس كارد)؟ كيف تتكلم؟ متى تقدم هدية؟ ومتى لا تقدم هدية؟ متى تتكلم في اجتماع؟ ومتى لا تتكلم؟ كيف تعامل من هو أعلى منك وظيفة؟ ومن هو اقل منك؟

مع زيادة الدور الأمريكي في الخارج (سياسيا، وعسكريا، واقتصاديا)، أضافت المدرسة دروسا عن أشياء مثل: كيف تتصرف عندما تذهب إلى بلد أجنبي؟ كيف تأكل (او تتحاشي) الأكل الأجنبي؟ هل تصافح مثلهم؟ أو هل تلتزم بالتقاليد الأمريكية التزاما كاملا؟ كيف تتعلم منهم ما يفيدك، وتتحاشي ما لا يفيدك؟

وقالت آيرنق: "هناك مثال نستعمله دائما في أول حصة للسلوك في بلد أجنبي، وهو: ستسافر إلى الصين في وفد تجاري. ماهي الهدية التي ستحملها إلى مضيفك؟ هل تقدم نبيذا من كاليفورنيا لأنه أمريكي؟ لكن، النبيذ الفرنسي أعلى قيمة، ومكانة، هناك. هل تقدم تمثال الحرية مصغرا، لأنه رمز الحرية؟ لكن الصينيين ربما يعتبرون هذا تدخلا في شؤونهم الداخلية. هل تقدم تمثال ميكي ماوس، لأنه ظاهرة أمريكية صارت عالمية؟ لكن، ربما يعتبر الصينيون ميكي ماوس شخصية هزلية وغير جادة. وفي الحالتين، ربما يكون التمثال مصنوعا في الصين."

اتيكيت الأكل:

وقالت آيرنق أنهم يدرسون كل أنواع الإتيكيت: التحية، والكلام، والجلوس، والأكل، والشراب. وقالت إنها تستعمل كلمات سهلة ليتذكرها الناس في الأوقات الحرجة، مثل اتيكيت الأكل يبدأ بما يسمى "بي أم دبليو"، ولا يشير هذا إلى السيارة الألمانية الفاخرة، ولكن إلى "برد" (قطعة الخبز، أين توضع؟)، و "ميل" (الصحن الرئيسي، أين يوضع؟)، و "وأين" (كأس النبيذ أو أي مشروب آخر، أين يوضع؟).

وقالت: أن الإجابات كالآتي: الخبز في اليسار، والأكل في الوسط، والمشروب في اليمين.
وقالت أن المدرسة تدرس إتيكيت الأكل والشراب كجزء منفصل في مقرراتها.
وأيضا تدرس المدرسة أشياء مثل: ما هو الفرق بين حفلة خاصة وحفلة رسمية؟ ماذا يلبس الناس في الخاصة، وفي الرسمية؟ ماذا يأكل الناس في الخاصة، وفي الرسمية؟ صحون صينية؟ أو أكواب كرستالية؟ أو ملاعق فضية؟ أين توضع الأشواك، والسكاكين، والملاعق؟ هل يقطع الأكل باليد اليسري (كما يفعل الأمريكيون) أو باليمني (كما يفعل الأوروبيون)؟ متى يشرب النخب؟ ومتي لا يشرب؟ وأي شراب؟ نبيذ، أو عصير، أو ماء؟

حصة بروتوكول:

يسمع الذي يحضر حصة من حصص "البروتوكول مع أجانب" في مدرسة واشنطن للدبلوماسية مثل هذه الأسئلة والأجوبة:

سؤال: "كيف تخاطب سفيرا؟" إجابة: "سعادة السفير" إذا كان أجنبيا، و "السيد السفير" إذا كان أمريكيا.

سؤال: "كيف تجلس سفيرا زارك في مكتبك؟" إجابة: "تفضل بالجلوس هنا." لا تقل: "اجلس أينما تريد، واعتبر المكتب مكتبك."

سؤال: "هل تنظر إلى شخص في عينيه عندما تخاطبه مع آخرين؟" إجابة: "انظر إليهم واحدا بعد الآخر". إذا نظرت إلى شخص واحد، تكون أهملت الآخرين، وإذا نظرت إلى الآخرين، تكون أهملت الشخص الذي تتحدث إليه.

سؤال: "متى تشرب نخبا رفع على شرفك؟" إجابة: "بعد أن ترفع نخبا على شرف مضيفك." لا تقل "شكرا"، وتشرب نخب نفسك.

سؤال: "هل تبادر وتقدم بطاقة وظيفتك إلى مديرك الجديد عندما يزورك في مكتبك؟" إجابة: "لا يقدم موظف اقل بطاقته إلى موظف أعلى. انتظر حتى يبادر المدير ويقدم لك بطاقته. ثم قدم أنت بطاقتك له."

الإقامة والجنسية:

وقالت تيري موريسون، مديرة مركز "ثرو كستمز" (التغلب على التقاليد) في نيوتاون سكوير (في ولاية بنسلفانيا)، أن على كل إنسان يختلط بناس من ثقافات أجنبية أن يتذكر ثلاثة أشياء:

أولا، يتذكر أن معرفته لغة الآخر ليست دليلا على أنه أصبح قادرا على الحديث معه في سهولة، وعلى كسب وده، وعلى إقناعه، والاقتناع به، وعلى أنه صار مثله. (تظل لغته أجنبية، وفي أحسن الأحوال، تظل لكنته أجنبية).

ثانيا، يتذكر أن إقامته في بلد أجنبي لسنوات ليست دليلا على قدرته على معرفة البلد، وأهل البلد مثلما يعرفهم أهلها. (لا يقلل من فخره بوطنه، وثقافته، ونفسه. ولكن، يكون واقعيا).

ثالثا، يتذكر أن حصوله على جنسية بلد آخر (وجواز سفر ذلك البلد) ليست دليلا على انه أصبح مثل مواطنيه. (للسببين السابقين).

وقال كتاب "قبلة أو انحناءة أو مصافحة"، عن الدبلوماسية والإتيكيت، أن اللغة والإقامة والجنسية أشياء أساسية في التقارب والتعاون بين الذين ينتمون إلى ثقافات مختلفة. لكن الالتصاق والاندماج يعتمدان على "الأشياء الصغيرة"، مثل طريقة الكلام، ونوع الملابس، وتعابير الوجه، وتحريك اليدين والرجلين.

وقال الكتاب: إن سوء فهم الآخر يمكن أن يبدأ بالتحية والرد عليها، حتى قبل بداية الحديث.

التحية الأمريكية:

حسب الكتاب السابق، يفضل الأمريكي، عندما يستقبل إنسانا غريبا، أن يصافحه بقبضة يد قوية وسريعة، وبنظرة في عينيه، مباشرة وسريعة. ويفضل أن تكون المسافة بينهما قدمين تقريبا (اقل من متر قليلا). ويتحاشي أن تطول المصافحة، أو أن يمسك لفترة طويلة يد الغريب، رجلا كان أو امرأة. يدل مسك يد امرأة غريبة لفترة طويلة على قلة أدب. ويدل مسك يد رجل غريب (أو غير غريب) لفترة طويلة على ميول جنسية غير عادية.

متى يطول مسك اليد؟

يطول بعد ثانيتين تقريبا، وهي الفترة الكافية لأن يحيى الأمريكي التحية التقليدية: "هاو أر يو سير؟" (كيف أنت ياسيدي؟). أو ليرد على تحية بالرد التقليدي: "أي أم فاين، ثانكيو" (أنا بخير، شكرا).

وتمتد فترة التحية إلى أربع ثوان تقريبا إذا أشار الأمريكي إلى اسمه، مثل: "أنا جورج جونسون"، وهو يتوقع أن يقول الشخص الآخر اسمه. وربما أيضا الوظيفة.

طبعا، يعتقد كثير من الشرقيين أن هذه تحية جافة، ولا تخلو من استعلاء. وربما هي من أسباب عدم الارتياح للأمريكي وللشخصية الأمريكية (حتى قبل تحليل ونقد السياسة الخارجية الأمريكية). لكن، ينظم الأمريكي، مثل كثير من الغربيين، حياته تنظيما شبه ميكانيكي. لهذا، يستعمل عبارات تحية شبه ميكانيكية.

ويستعمل الأمريكي، أيضا، عبارات وداع شبه ميكانيكية، مثل "نايس توكينق تو يو" (سعدت بالحديث معك) إذا لا يتوقع أن يرى الشخص مرة ثانية. و"سي يو ليتر" (سأراك مرة أخرى) إذا كان يعرف أن هذا سيحدث. ولا يخلط بين الاثنين (كيف تقول انك ستراه مرة أخرى وأنت لست متأكدا؟)

أربعون في المائة:

وقالت آيرنق إن النظرة إلى عيني الشخص الآخر لا تقل أهمية عن المصافحة.

وقالت أنها تكرر لطلبتها وطالباتها في مدرسة واشنطن للدبلوماسية شعارا سمته "الأربعين في المائة." أي أن الشخص يقدر على أن ينظر إلى الشخص الذي يتحدث إليه أربعين في المائة من وقت الحديث. وقالت: "إذا زاد، يصير وكأنه يبحلق في وجه الشخص الآخر، وكأنه يتحداه ويفرض نفسه عليه. وإذا نقص، يصير وكأنه يتجاهله رغم أنه يتحدث إليه."

وقالت: "تختلف النسبة من ثقافة إلى ثقافة. ينظر الفرنسي إلى عيني الشخص الذي يخاطبه مرات أكثر، مما قد يعطي انطباعا بأنه يتعالي عليه. وينظر الصيني أو الياباني مرات أقل. وفي كثير من الحالات، لا يرتاح الأسيوي عندما ينظر إليه شخص غريب نظرة طويلة، ولا يفعل هو ذلك."

يلاحظ أمريكيون أن الصينيين واليابانيين عندهم "ابتسامة بلهاء". وربما سبب هذا هو عدم رغبتهم في التحدي. أو ترددهم لأنهم غرباء في المجتمع الأمريكي.

ويلاحظ أمريكيون أن العرب عندهم "خشونة" عند النظر إلى غيرهم. وربما سبب هذا هو عدم تعودهم على الفردية والخصوصية عند الأمريكي والأمريكية. وأن العربي لا ينظر فقط إلى المرأة الأمريكية في عينيها نظرة طويلة، ولكن، أيضا، ينظر إلى بقية جسمها (وكأنه يفحصها). ويفسر الأمريكيون هذا بأنه دليل على طريقة معاملة العربي للعربية. وفي تأدب، يفضل الأمريكيون ألا ينتقدوا ذلك.

تحية العربي:

وقالت تيري موريسون إن تحية العربي تكاد تكون مناقضة لتحية الياباني والأمريكي، وبقية الغربيين، لأنها تركز على اللمس:

تطول المصافحة باليد. أو تتحول إلى مسك باليد. أو تتحول إلى مصافحة باليدين. أو إلى مسك باليدين. أو تدليك لليدين. أو تتحول إلى عناق عابر. أو عناق مع طبطبة ظهر الشخص الآخر. أو مع لف اليد، أو اليدين، حول ظهر الشخص الآخر. أو تتحول تحية اليد إلى تقبيل اليد، أو الذراع، أو أعلى الصدر، أو الخد، أو الخدين. مرة أو مرتين. أو ثلاث مرات. أو تقبيل الجبهة، أو الفم، أو تلامس الأنفين.

وحذرت موريسون غير العربي ألا يحيي العربي بهذه الطرق، حتى لا يدخل في متاهات، ربما ستكون فيها إساءات واتهامات بالاحتقار. وألا يحيي العربي باستعمال اليد اليسرى. وألا يأكل بها، وألا يشير بها، وألا يشير بأي يد أو أي صباع نحو العربي الذي يعتبر ذلك إهانة له، وتقليلا من قيمته.

وحذرت الأمريكي من وضع ساق فوق ساق أمام العربي. خاصة إذا أصبح حذاءه في مواجهة وجه العربي. وحذرت الأمريكي من السؤال عن عائلة العربي، لأن العربي لا يسأل غريبا عن عائلته. ورغم أن العربي يمكن أن يتحدث في الأمور العائلية مع الذين يعرفهم، يصعب جدا على العربي ضم الأمريكي إلى هذه القائمة.

المسؤولون العرب:

ماذا يجب أن يعرف المسؤول العربي أو المسلم الذي يأتي إلى أمريكا لمقابلة المسئولين الأمريكيين؟ أجابت أيرنق:

أولا، "نحن شعب فردي، يركز كل واحد على نفسه. ليس أنانية، ولكن عزة وفخرا بالنفس."

ثانيا، "نحن شعب ودي. وأنا لاحظت أن كثيرا من الأجانب يفاجؤون بذلك، ربما لأنهم ينظرون إلى قوتنا العسكرية والسياسية."

ثالثا، "نحن شعب من أصول أجنبية، وجاء أجدادنا وآباؤنا من دول أخرى. لكننا لا نتصرف مثلهم. نتصرف كأمريكيين."

رابعا، "لسنا شعب ميكي ماوس، وماكدونالد، وبرتني سبيرز. نعم، يعكس الإعلام عنا هذا. لكننا اعمق من ذلك."

خامسا، "نساؤنا لسن أفضل من نساء العرب والمسلمين. لكنهن يختلفن عنهن في الثقافة وفي المستويات."

وأشارت إلى أن "المرأة الأمريكية وزيرة ومديرة، وتفعل أي شيء يفعله الرجل."

وأخيرا، قالت: "كثير من الشرق أوسطيين الذين يأتون إلى هنا في مهمات رسمية يفاجئون بجلوس مديرة أو وزيرة لتتفاوض معهم باسم الحكومة الأمريكية. أو يفاجؤون في بلادهم عندما نرسل إليهم وزيرة أو مديرة، أو حتى محققة شرطة للاجتماع معهم باسم الحكومة الأمريكية."

في استوديو تليفزيون «فوكس» (نيويورك) :

تليفزيون «فوكس» اليميني



(اقرأ: تغطية حرب العراق) .

(اقرأ: اليمين المسيحي) .

جئت إلى هنا سنة 1996، لزيارة أستوديو تلفزيون "فوكس" الجديد. كان افتتح قبل فترة وجيزة، وجئت لأزوره، واكتب عنه. هذه هي القناة التلفزيونية الجديدة، التي، خلال خمس سنوات فقط، ستهزم القنوات التلفزيونية الثلاثة العريقة ("إن بي سي" و"سي بي اس" و "اي بي سي). وستهزم، أيضا، القناة التلفزيونية الرابعة الجديدة نسبيا ("سي إن إن").

أعتقد أننى محظوظ لأني شاهدت ميلاد ثلاثة أجهزة إعلامية أمريكية عملاقة:

في سنة 1980، حضرت المؤتمر الصحفي (في مركز الصحافة الأجنبية في واشنطن) الذي أعلن فيه تيد تيرنر ميلاد تلفزيون "سي إن إن". وفي سنة 1982، زرت مكاتب صحيفة

"يو أس إيه توداي" (في ضاحية روزلين، عبر نهر بوتوماك من واشنطن العاصمة) مع بداية صدورها. وفي سنة 1996، زرت تلفزيون "فوكس" مع بداية نشاطه.

في الحقيقة، تلفزيون "فوكس" كان المرحلة الثالثة لغزو إمبراطور الصحافة الأسترالي، روبرت ميردوخ، للولايات المتحدة. في سنة 1986، اشترى شركة "فوكس القرن العشرين" للإنتاج السينمائي. وفي سنة 1987، أسس شركة "فوكس للتلفزيون والإذاعة والأفلام". وفي سنة 1996، مع انتشار الكيبل، أسس "فوكس نيوز" (القناة الإخبارية).

خلفية تاريخية:

ولد روبرت مردوخ سنة 1931 في ملبورن في إستراليا، الابن الوحيد للسير كيث مردوخ الذي نال لقب "سير" لأنه كان يملك صحيفة إقليمية ناجحة في ملبورن. تربي في عائلة شبه أرستقراطية، ودرس في مدرسة بريطانية خاصة، ثم في جامعة اكسفورد، حيث كان يؤيد حزب العمال البريطاني.

وعندما عاد إلى أستراليا، وبعد وفاة والده، خلفه وعمره 22 سنة.

وكتب نيل شينويث، مؤلف كتاب "روبرت مردوخ: القصة التي لا تعرف عن ساحر الإعلام العالمي": "منذ البداية، كان الطريق سهلا أمام الشاب العائد من أكسفورد: والده صحفي، وهو يحب الصحافة، وأحب صحافة بريطانيا، وخاصة صحف الإثارة." وأضاف: "منذ البداية، عرف أن الطريق نحو النجاح هو الثروة، وأن الطريق نحو الثورة هو كسب السياسيين، لأن من يكسبهم يقدر تقريبا على كل شيء."

أول صحيفة اشتراها كانت "صنداي تايمز" التي تصدر في ضاحية في بيرث في استراليا. ركز على صحف الضواحي، وعلى مستوى الولايات (مثل: نيو ساوث ويلز، كوينزلاند، فيكتوريا). ثم انتقل إلى صحف المدن، حتى اشترى صحيفة "ديلي ميرور" في سيدني، أكبر المدن.

إلى نيوزيلندا:

وفي تخطيط دقيق، وبعد نظر يحسد عليهما، تحول من إستراليا إلى نيوزيلندا، وبدا يشرى صحفا هناك.

اشترى "دومينيون" اليومية في نيوزيلندا في سنة 1964، وكان في بداية الثلاينات من عمره. اشتراها أثناء جولة مع أصدقاء في سيارة "موريس ماينار" صغيرة كانوا استأجروها. وصباح يوم، كان يقرأ في السيارة صحف الصباح في نيوزيلندا،

وقرأ أن اللورد طومسون، إمبراطور الصحافة البريطانية والكندية، سيشترى صحيفة "دومينيون" النيوزيلندية. وفي الحال، اتصل بصاحب الصحيفة، وسأل عن عرض طومسون، وقدم عرضا أعلى منه، وصارت الصحيفة ملكا له.

كان عمر مردوخ 32 سنة، وكان عمر اللورد طومسون 70 سنة. وكان واضحا أن المستثمر الإعلامي الشاب سيكون له مستقبل باهر.

أول صحيفة قومية:

وخطرت له فكرة ربما لم تخطر على بال مستثمر صحفي قبله، وهو غياب صحف قومية، تغطى كل الدولة، خاصة في بريطانيا، والولايات المتحدة، واستراليا. وبدأ باستراليا. وفي سنة 1964، أصدر "استراليان"، أول صحيفة يومية قومية. أصدرها في كانبيرا (العاصمة السياسية)، ثم بدا يطبعها في سيدني (أكبر المدن).

أصدرها في العاصمة ليكسب السياسيين، وفق مخطط كان، ولا يزال، يؤمن به إيمانا قويا. وجاء على لسان مؤلف كتاب "مردوخ" قول مردوخ: "ليس هدفي شراء السياسيين، وإن كان بعض الناس يعتقدون ذلك. هدفي هو أن أحك ظهر سياسي ليحك هو ظهري. هدفي تبادل المنافع."

في سنة 1972، اشترى تابلويد سيدني "ديلي تلغراف" من قطب الإعلام الأسترالي السير فرانك باكر (الذي اعترف في وقت لاحق إنه تأسف لبيعها له). ولم يخف مردوخ انه سيوظف صحفه لصالح حزب العمال الاسترالي بقيادة غوغ ويتلام. وفي انتخابات نفس السنة، وظفها، وفاز ويتلام.

إلى بريطانيا:

من استراليا ونيوزيلندا إلى بريطانيا. في نفس سنة 1972، اشترى صحيفة "صن" البريطانية، وكانت تخسر، وقررت مجموعة "ميرور" البريطانية التخلص منها. وفي الحال، حولها مردوخ إلى صحيفة تابلويد تركز على الأخبار المثيرة. (في سنة 2006، في قمتها، كانت "صن" تبيع ثلاثة ملايين نسخة يوميا).

في سنة 1981، اشترى مردوخ صحيفتي "تايمز" البريطانية اليومية، و"صنداي تايمز" شقيقتها الأسبوعية. ووصل إلى قمة الصحافة البريطانية العريقة. كان يملك "تايمز" لورد نورثكليف، عميد المستثمرين الصحفيين في بريطانيا. ثم اشتراها اللورد طومسون، البريطاني الكندي. لكن، مع كبر سن طومسون، وهبوط توزيع "تايمز" (وكان مردوخ يتابع كل ذلك، ويتودد للإمبراطور العجوز)، اقترب من هدفه. خاصة عندما زادت إضرابات نقابات العمال في الصحيفة. وخاصة لعدم قدرة الصحيفة على الطباعة الكاملة لست شهور.

تكنولوجيا جديدة:

ومثلما سخر صحفه لكسب سياسيي استراليا ونيوزيلندا، فعل ذلك في بريطانيا، وعلى نطاق واسع، ومؤثر، بسبب دور بريطانيا الدولي والتاريخي والعسكري.

خلال الثمانينيات، صارت صحف مردوخ مؤيدة بصفة عامة لرئيسة الوزراء مارغريت تاتشر، ولحزب المحافظين. ولعبت دورا كبيرا في حملة ثاتشر ضد نقابات العمال، والبرامج الحكومية الاجتماعية، وبهدف خصخصة الشركات الحكومية. وأيد تحالف تاتشر المحافظة مع الرئيس الأمريكي رونالد ريقان الذي كان محافظا مثلها.

في سنة 1986، هز مردوخ تكنولوجيا طباعة الصحف في العالم عندما بدأ الإنتاج الإلكتروني في صحفه في أستراليا، ونيوزيلندا، وبريطانيا، والولايات المتحدة. وهكذا، اصطاد أكثر من عصفور بحجر واحد:

أولا: زاد الكفاءة والسرعة إصدار الصحف.

ثانيا: خفض عددا كبيرا من موظفي وعمال الإنتاج.

ثالثا: فتح الباب أمام شركات الصحف في العالم لتركز على التكنولوجيا.

في بريطانيا، أثارت هذه الخطوة غضب نقابات عمال الطباعة وحلفائهم في نقابات أخرى. وأدت إلى نزاع عنيف في "قلعة وابنق"، في ميناء لندن، حيث كان مردوخ بنى دار نشر إلكترونية في مستودع قديم. وكان فصل أكثر من 6000 عامل وموظف. وكرر في فخر: "آسف، سبقتهم التكنولوجيا وهم نيام."

إلى أمريكا:

هجرة مردوخ إلى الدنيا الجديدة بدأت سنة 1973، وبنفس خطط استراليا ونيوزيلندا وبريطانيا: شراء صحف إقليمية صغيرة، ثم صحف مدن كبيرة.

في تلك السنة، اشترى صحيفة "سان أنطونيو إكسبريس." وفي سنة 1975، اشترى صحيفة "ستار" التي تتخصص في نشر الفضائح. وفي سنة 1976، اشترى صحيفة "نيويورك بوست" التي تهتم بالأخبار المثيرة.

ومع بداية الثمانينات، مثلما تحالف (بصورة غير رسمية) مع حكومة المحافظين في بريطانيا، تحالف مع الحزب الجمهوري، مع دخول الرئيس رونالد ريقان (الجمهوري المحافظ) البيت الأبيض سنة 1980.

وفي سنة 1985م، نال مردوخ الجنسية الأميركية (لاعتبارات خاصة، وبوساطات عليا). ولم يكن سرا أنه يريد امتلاك محطات تلفزيون أمريكية، ولا يقدر على ذلك الأجانب.

وهكذا، في سنة 1986، اشترى مردوخ شركة "فوكس القرن العشرين" لإنتاج الأفلام السينمائية. ثم اشترى ست محطات تلفزيون. ثم أسس إذاعات وتلفزيونات "فوكس" التي صارت في وقت لاحق من أكبر القلاع الإعلامية في تاريخ الولايات المتحدة.

ومع ميول محافظة وجمهورية واضحة.

انتقادات:

ومثلما واجه أعداء وناقدين في بريطانيا، واجه أمثالهم في الولايات المتحدة. وانتقده هؤلاء بأنه:

أولا: أجنبي اشترى سياسيين أمريكيين.

ثانيا: جزء من خطة رأسمالية عالمية لتخفيض دور الحكومات.

ثالثا: غير أخلاقي لأن مطبوعاته تميل نحو الإثارة.

رابعا: يخدم التيار الأمريكي المحافظ داخل الحزب الجمهوري.

في سنة 1995، صارت شبكة "فوكس" هدفا للتدقيق من لجنة الاتصالات الاتحادية (إف سي سي) لغموض وتناقضات في استثماراتها. ومرة أخرى، وبطرق ما، تخطى مردوخ هذه العقبة.

ربما أقنع كثيرين لأنه رفع شعار "جاءت التكنولوجيا وأنتم نيام". وكان اتفق مع شركة "ام سي آي" الأميركية للاتصالات على تطوير برامج إلكترونية بهدف استعمالها في الإنتاج التلفزيوني والسينمائي.

وفي سنة 1995، أسس شركة "فوكستيل" لاشتراكات التلفزيونات الفضائية. وفي نفس السنة، أسس مجلة "ويكل ستاندراد" في واشنطن وهي ذات ميول يمينية واضحة.

وفي كل نشاطاته، ركز على شيئين:

أولا: السياسة اليمينية.

ثانيا: الإثارة الجنسية (وغير الجنسية).

هزيمة "سي إن إن":

وهكذا، اكتسحت "فوكس" منافستها "سي إن إن" التي كان تيد تيرنر، عميد تلفزيون الكيبل الأميركي، أسسها قبل "فوكس" بست عشرة سنة. وفي عام 2004 أظهر استفتاء أن "فوكس" صاحبة تسعة من أكثر عشرة برامج شعبية في الولايات المتحدة. واستمرت "فوكس" في القيادة خلال السنوات التالية.

ثم اشترى شبكة "دايركت تي في" التي توزع قنوات تلفزيونية فضائية من أكثر من مائة دولة. اشتراها من شركة "جنرال موتورز" بستة بلايين دولار.

ولم ينس مردوخ ثورة الإنترنت، وكعادته، كان سباقا ربما بعشر سنوات، على منافسية. في عام 2005، اشترى شركة "لإنترميكس" التي كانت رائدة في مجال الإنترنت الاجتماعي، وكانت تملك موقع "ماي سبيس" الاجتماعي. ودفع نصف بليون دولار لشرائها.

وفي عام 2007، وهو ينتهج خطة رأسمالية تخصص فيها كل حياته هي شراء منافسيه، دفع خمسة بلايين دولار لشراء شركة "داو جونز"، من أكبر شركات "وول ستريت" (شارع المال في نيويورك). لم يكن هدفه الشركة بقدر ما كان صحيفة "وول ستريت جورنال." التي تمكلها.

وول ستريت جورنال مثيرة:

ومثلما فعل مع صحيفة "تايمز" البريطانية التقليدية، التي كانت صحفتها الأولى غير جذابة وبدون صور، غير "وول ستريت جورنال" التي كانت تشبهها. وقال إنه يريد "وول ستريت جورنال مثيرة."

ومثلما أتقن فن المناورة، وشراء المنافسين، أو تقسيمهم أولا حتى يقدر على شرائهم، فعل نفس الشيء مع عائلة "بانكروفت" التي كانت تملك "وول ستريت جورنال".

في البداية، قال واحد من أعضاء العائلة: "كيف نبيع شركتنا لهذا الاسترالي الذي لا هم له غير نشر الإثارة الجنسية في العالم، ونشر الفكر الرأسمالي المتطرف في العالم؟" وقال: "كيف نتركه ليفصل مئات العمال والموظفين الذين عملوا مع عائلتنا لعشرات السنين؟ أليس هذا هو أول شيء يفعله، فصل الناس؟"

لكن، بعد نقاشات ومناورات مثيرة، استمرت شهورا. اشترى مردوخ الشركة والصحيفة.

تحديث، 2012:

كبر السن:

مع كبر سن مردوخ، ملياردير الصحافة العالمية، وتحويله كثير من نشاطاته إلى أولاده وبناته، ومع زيادة المنافسات بين هؤلاء، ظهرت بنته إليزابيث مردوخ، ولم يكن يعرف عنها حب الظهور. وأعلنت تمردها، ليس على إمبراطورية والدها، ولكن على ما هو أهم من ذلك، وسألت في جرأة: "هل الصحافة من أجل الربح؟ أو من اجل خدمة المجتمع؟"

هذا السؤال عمره عمر الصحافة، من قبل مردوخ، والذي ظل يتهم، رغم نجاحه وسيطرته على جزء كبير من الإعلام العالمي، بان هدفه الأول هو الربح.

وفي سنة 2011، زاد هذا الاتهام بسبب فضيحة "فون هاكنق" (التصنت على التلفونات). تشير هذا أن صحافيين في صحيفة "نيوز اوف ذا ويرلد"، البريطانية الأسبوعية التي كان يصدرها مردوخ، والتي كانت تركز على الإثارة، كانوا يتصنتون على هواتف المشاهير لجمع الأخبار المثيرة. وبسبب انتقادات وتحقيقات برلمانية وقضائية، اضطر مردوخ إلى إغلاق الصحيفة.

لكن، لم تنته الاتهامات بأن كل صحف وتلفزيونات مردوخ تركز على الإثارة (سياسية، وثقافية، وخاصة جنسية).

إليزابيث مردوخ:

في سنة 2011، أيدت إليزابيث مردوخ هذه الاتهامات ضد والدها في خطاب يبدو أنها خططت له منذ فترة طويلة، ألقته في ندوة في جامعة أدنبرة عن التلفزيونات العالمية.

وقالت: "في الوقت الحاضر، تسأل مؤسسة "نيوز كورب" نفسها بعض الأسئلة الهامة، والصعبة جداً، حول كيف سقطت بعض سلوكياتها إلى مستوى أقل من مستوى قيمها." ولم يكن سرا، أن إليزابيث مردوخ، وهي لا تحتل منصبا رئيسيا في المؤسسة (تدير تلفزيون "شاين" الفرعي)، أنها تقصد أخاها جيمس مردوخ، الذي صار، تدريجيا، يحل محل والدهما. ولم تكن صدفة إنها تحدثت في نفس الجامعة، في نفس المناسبة، التي تحدث فيها في الماضي والدها وأخوها.

وفي محاضرتها، أشارت مرات كثيرة إلى كلمات وعبارات، مثل: "النزاهة" و "النتائج الإيجابية" و "حرية الصحافة".

في خطابها، أشادت إليزابيث مردوخ برمزين للنشاطات غير الربحية:

أولا: أشادت بالإذاعة البريطانية (بي بي سي) التي تعتمد على إسهامات البريطانيين، وليست للربح. والتي ظلت معلما عالميا وتاريخيا للعمل الصحافي الذي يركز على النزاهة والحياد.

ثانيا: أشادت بالألعاب الأولمبية التي عقدت مؤخرا في بريطانيا. وبالإضافة إلى أنها نجحت نجاحا كبيرا، أكدت نظرية إيجابية الأعمال الخيرية والإنسانية، عبر التاريخ.

وقارنت هاتين المؤسستين بما كان قال أخوها جيمس في نفس الجامعة قبل ثلاث سنوات: "الضامن الوحيد الموثوق به، والدائم، والأبدي، للاستقلال هو الربح".

وقالت إنه بينما يواجه استقلال المؤسسات الإعلامية الخاسرة "تحديا هائلا"، ليس الربح المادي هو الأهم. وأضافت قائلة، وهي، بدون شك، ترد مباشرة على أخيها جيمس: "الربح بدون هدف غيره ليس إلا وصفه لكارثة." وقالت: "يجب على الناس رفض الفكرة القائلة بأن المال هو الوسيلة الوحيدة الفعالة لجميع الأشياء والتحركات. أو أن السوق الحرة هي المجال الوحيد الناجح. وأضافت: "غياب الهدف (غير المالي) يمكن أن يكون واحدا من أخطر أهداف الرأسمالية والحرية."

وأشارت إلى لجنة "ليفيسون" البرلمانية البريطانية التي تحقق في فضائح صحف مردوخ، وقالت: "تشير الندرة المقلقة للنزاهة في الكثير من مؤسساتنا إلى أنه من الصعب جداً قول النظرية الصحيحة عن أن أهمية حماية شرسة لحرية الصحافة، وعن تخفيف تنظيم وسائل الإعلام. إذا لم نفعل ذلك، نخدم الذين يرون أن الصحافة للربح، وليس غير الربح."

ثمانون سنة:

في سنة 2012، احتفل ميردوخ بعيد ميلاده الثمانين، وكان قال، قبل ثلاثين سنة تقريبا لمجلة "تايم" الأميركية، إنه سيحقق كل أهدافه عندما يبلغ السبعين. لكنه لم يحدد ما هي أهدافه، وكان ذلك قبل الفضائيات، والإنترنت، واللاب توب، واليويتوب، والتويتر، والفيسبوك. ورغم انه أسهم كثيرا، وقبل كثيرين غيره، في مجال الإنترنت الاجتماعي، صار واضحا أن هذا المجال ليست له حدود. لكن عمر الرجل له حدود. لابد أنه، بعد أكثر من نصف قرن في الاستثمارات والتوسعات الإعلامية، لم يكن يتوقع أن هديه عيد ميلاده الثمانين ستكون فضيحة صحيفة "نيوز اوف ذي ويرلد."

وكالعادة، اتجهت الأنظار نحو زوجته وأولاده وبناته.

تزوج مردوخ ثلاث مرات: استرالية (أنجب منها بنت، باتريشيا). ثم بريطانية (أنجب منها ولدين: لاشلان، وجيمس، وبنت: إليزابيث). ثم أميركية صينية (أنجب منها الولد دينق والبنت غريس).

لاشلان يشترك في الإشراف على شركة "نيوز" التي يتبع لها تلفزيون "فوكس" وغيره من الإصدارات الأميركية (كان مسؤولا، ثم استقال). وجيمس يشرف على شركة "سكاي" البريطانية وغيرها من الإصدارات البريطانية. وإليزابيث، بعد أن طلقها زوجها الإفريقي من غانا، وتزوجت حفيد سيغمان فرويد، مؤسس علم النفس، تريد منافسة جيمس. وهناك "الصينيون" (دينق وشقيقته، بدعم أمهما ويندي).

والاحتمال هي أن يعود لاشلان إلى العمل المنتظم، ويتحالف مع شقيقه جيمس ضد "الصينيين". وتكون إليزابيث الكفة الراجحة. لكن، في كل الحالات، يبدو أن إمبراطورية الإثارة وصلت إلى مرحلة حاسمة ومثيرة.

هل كل من طار وقع؟

وأخيرا:

روبرت مردوخ صديق قوي لإسرائيل. وأيد غزو أفغانستان، وغزو العراق، والحرب المستمرة ضد "الإرهاب." وخلال العشر سنوات الماضية، كان، ولا يزال، تلفزيون "فوكس" في قيادة الحملة الإعلامية الأمريكية ضد الإسلام والمسلمين.

ليتل روك (ولاية أركنسا) : فضائح السياسيين الجنسية



(اقرأ: عندما يعتذر السياسيون) .

(اقرأ: تعدد الزوجات) .

جئت إلى هنا في سنة 1992 لإجراء مقابلة صحافية مع كوني حمزة، أميركية من أصل عربي، وواحدة من عشيقات الرئيس بيل كلنتون، حاكم ولاية أركنسا الذي صار رئيسا للجمهورية. بالإضافة إلى بولا جونز، سكرتيرة في مكتب حاكم ولاية أركناسا، وجنيفار فلاورز، راقصة ملهي في ليتل روك (ولاية أركنسا)، وغيرهما، ظهر اسم كوني حمزة. ولأنه اسم عربي، ولأني اعمل مع مطبوعة عربية، رأيت أنها تستحق السفر إلى هنا، ومقابلتها.

في التلفون قلت لها: "السلام عليكم." ردت: "اليكمو السلامو".

كان واضحا أن لغتها العربية ضعفية جدا، وربما معدومة. وهي نفسها بادرت واعترفت بذلك. وقالت: إن والديها مهاجران

من سوريا، وأنها ولدت في الولايات المتحدة، وزارت سوريا مرة واحدة وهي صغيرة، ولا تتذكر عنها أشياء كثيرة. وقالت أن والديها لم يحرصا على تعليمها اللغة العربية، كما أنهما تطلقا وهي صغيرة، وتنقلت هي من منزل إلى منزل، ومن مكان إلى مكان. وبمرور الزمن انقطعت صلتها بالعرب واللغة العربية، بل بوالديها.

بالتلفون وأنا في واشنطن، قبل سفري، قالت أنها تسكن وحيدة في ضواحي ليتل روك (عاصمة ولاية أركنسا). وأعطتني إرشادات للوصول إلي بيتها.

بعد ثلاثة أيام، وصلت إلى مطار ليتل روك، استأجرت سيارة، وقبل أن اذهب إلى الفندق وارتاح، وبسبب ضيق الوقت، ذهبت مباشرة إلى بيتها. منزل صغير وغير مرتب. استقبلتني وهي تصافحني وتكرر :"سلامو إليكم". لم تكن جميلة جدا، لكنها كانت فصيحة (ربما جيناتها العربية). شيء ما كان غريبا. فيما بعد عرفت أنها كانت أدمنت الخمر والمخدرات. وحكت لي قصتها.

عدت إلى الفندق، وفي اليوم التالي، زرت صحيفة "أركنسا ديموقرات قازيت"، وقابلت صحافية كانت كتبت عن كوني حمزة، وجمعت منها مزيدا من المعلومات.

وفي باقي اليوم، تجولت في المدينة بالسيارة، ومررت بأماكن اشتهرت بسبب غراميات كلنتون، منها: مبنى حاكم الولاية، وملهي ليلي، ونادي قولف، ومجموعة شقق سكنية، وفناء واسع في طرف المدينة، وحديقة في وسط المدينة.

أقوال كوني حمزة:

عمر كوني حمزة قرابة أربعين سنة. ومنذ أن كان عمرها خمس عشرة سنة، وتمردت على والديها، وقطعت صلتها بهما، انغمست في عالم الفن والفنانين. غنت ورقصت وصادقت فنانين مشهورين. عرفت ألفيس بريسلي، ملك موسيقى وأغاني "روك أند رول". وعرفت غيره. وغنت لها فرقة "قراند فانك" أغنية "وي أر أمريكان باند" (نحن فرقة موسيقية أميركية). وفي الأغنية هذه الكلمات: "سويت كوني (كوني السكر). تتغزل وتتدلع. إنها أميرة الحفل. هذا شيء طبيعي."

وعن علاقتها مع كلينتون، قالت أنهما تقابلا مرات كثيرة عندما كان يزور ملهي ليلى كانت تغني وترقص فيه. وقالت إنهما مارسا الجنس في حديقة قريبة من الملهي (الحديقة التي مررت عليها بالسيارة). وكانت الشرطة التي تحرس كلينتون، حاكم الولاية في ذلك الوقت، وتذهب معه إلى اين مكان، في ذلك الملهي في تلك الليلة. وعندما قابلها كلينتون، دعاها إلى جلسة خاصة، وتناولا مشروبات روحية. ثم سأل كلينتون الشرطي المرافق ليبحث لهما عن مكان ليمارسا فيه الجنس. وأشار الشرطي إلى الحديقة.

خلال الفترة التي قضيتها في مدينة ليتل روك، حاولت مقابلة فتيات أخريات عشيقات كلينتون، لكنى لم أنجح:

أولا: جنيفار فلاورز: ممثلة ومغنية محلية في ولاية أركنسا. في سنة 1992، عندما أعلن كلينتون، حاكم الولاية، ترشيحه لرئاسة الجمهورية، عقدت مؤتمرا صحفيا، وقالت: أنها ظلت عشيقة كلنتون لأكثر من عشر سنوات. وان هيلاري كلينتون، زوجة كلينتون، كانت تعرف العلاقة. وبعد أن ظهر كلينتون وهيلاري في مقابلة تلفزيونية، ونفى كلينتون العلاقة، عقدت العشيقة مؤتمرا صحفيا آخر، وقدمت فيه تسجيلات صوتية لاتصالات تلفونية مع كلينتون.

ثانيا: بولا جونز: كانت سكرتيرة كلينتون عندما كان حاكما لولاية أركنسا. وفي سنة 1992، قالت: إن كلينتون تحرش بها جنسيا بمساعدة واحد من الشرطة الخاصة التي تحرسه. ورفعت قضية ضد كلينتون وضد الشرطي.

خلفية تاريخية:

لم يكن كلينتون أول رئيس أمريكي يتورط في علاقات جنسية مع عشيقات. بداية بالرئيس المؤسس جورج واشنطن، والرئيس الثاني جون ادامز، والرئيس الثالث توماس جفرسون (كاتب إعلان الاستقلال):

أولا: لم يحتج هؤلاء إلى عشيقات سريات لأنهم كانوا يملكون جيوشا من الرقيق، وكانوا يمارسون الجنس علنا وفي حرية مع فتيات الرقيق. وأنجبوا أولادا وبناتا .

ثانيا: كانت العلاقات الجنسية السرية هي التي مع نساء بيضاوات. وأيضا، سجلات هؤلاء الرؤساء مليئة بالفضائح.

في القرن العشرين، كانت انتهت تجارة الرقيق، لكن استمرت التفرقة العنصرية، خاصة في العلاقات الجنسية بين البيض والسود. وارتبطت أسماء كثير من الرؤساء بعشيقات بيضاوات. من هؤلاء:

الرئيس فرانكلين روزفلت: لم تكن سرا علاقته مع لوسي روثارفورد التي كانت سكرتيرة اجتماعية لزوجته، ألينور روزفلت. وعندما علمت الزوجة، هددت بالطلاق. لكن، تدخلت أم روزفلت، وقالت أن الطلاق سيسيء إلى سمعة ابنها، والى سمعة آل روزفلت. وكان الحل الوسط هو فصل السكرتيرة من البيت الأبيض، وتعهد روزفلت بألا يرى العشيقة مرة أخرى.

لكن، استمرت علاقة سرية. وكانت السكرتيرة تزور روزفلت في البيت الأبيض عندما تكون الزوجة مسافرة.

في وقت لاحق، تزوجت السكرتيرة، وأنجبت أولادا وبناتا. لكن، يوم 21-4-1945، يوم وفاة روزفلت، كانت العشيقة تجلس إلى جانبه في المستشفى.

وهناك قصة الرئيس دوايت أيزنهاور مع عشيقته البريطانية كيت سمربي. كان ذلك خلال الحرب العالمية الثانية، عندما كان الجنرال إيزنهاور قائدا لقوات الحلفاء في أوروبا (كانت قيادتهم في لندن)، وكانت سمربي جندية تقود السيارة العسكرية الخاصة بإيزنهاور. ويقال أن "ميمي"، زوجة أيزنهاور، التي بقيت في الولايات المتحدة أثناء الحرب، عرفت، وطلبت أن تنتقل إلى بريطانيا. لكن، طلب أيزنهاور من جنرال آخر أن يكتب إلى "ميمي"، ويقول لها أنها إذا انتقلت إلى بريطانيا، ستشغل زوجها، وستهدد خطط الحلفاء لهزيمة ألمانيا.

في سنة 1945، انتهت الحرب، وعاد إيزنهاور إلى الولايات المتحدة، وانهي علاقته مع سائقة سيارته.

وبعد ثلاث سنوات، كتبت السائقة كتاب مذكراتها، وعنوانه: "أيزنهاور واز ماي بوص" (أيزنهاور كان رئيسي). ولم تكتب فيه أي شيء عن أي علاقة جنسية.

لكن، بعد عشرين سنة، بعد صار إيزنهاور رئيسا للولايات المتحدة لثماني سنوات، وبعد تقاعده، وبعد وفاته، كتبت كتاب مذكرات آخر، وعنوانه: "قصة غرامي مع الجنرال أيزنهاور". وفيه كتبت تفاصيل العلاقة. وقالت إنها لم تكتب عن العلاقة في الكتاب الأول حتى لا تسيء إلى سمعة إيزنهاور وهو ينوى أن يدخل العمل السياسي.

عشيقات كنيدي:

وهناك غراميات الرئيس جون كنيدي. مثل روزفلت، كان يستغل غياب زوجته عن البيت الأبيض، ويحضر عشيقاته. ومنهن:

أولا: الممثلة السينمائية الشقراء مارلين مونرو. كانت تزوجت ثلاث مرات. وفي سنة 1960، خلال الحملة الانتخابية للرئيس كنيدي وزيارته إلى هوليوود، وفي حفل أقامه ممثلون وممثلات له، التقيا أول مرة. وبدأت العلاقات الجنسية بينهما حتى قبل أن يفوز كنيدي بالرئاسة. واستمرت وهو رئيسا.

ويقال أنه كان يهربها إلى داخل البيت الأبيض عندما تغيب زوجته جاكلين كنيدي في جولات عالمية.

وفي نفس الوقت، صارت عشيقة شقيقه، إدوارد كنيدي، وزير العدل في حكومة شقيقه. ويقال إنهما تنافسا عليها.

وفي سنة 1962، انتحرت مارلين مونرو بعد أن تناولت أدوية سامة. وفيما بعد، نشرت أخبار بأن للانتحار صلة بعلاقتها مع الشقيقين. وإن وكالة الاستخبارات المركزية (سي آى ايه) لها صلة بالانتحار (او التسمم). وأيضا، مكتب التحقيق الفدرالي (اف بي آي) الذي كان تحت سلطة الشقيق وزير العدل. وأيضا، المافيا التي غضبت عليها لعلاقتها الجنسية بالشقيقين لأنها كانت، قبل ذلك، عشيقة واحد من قادة المافيا.

وبعد سنة من انتحار مارلين مونرو، قتل الرئيس كنيدي، أيضا وسط اتهامات للمافيا و"سي آي إيه". وفي سنة 1968، قتل شقيقه بينما كان يريد الترشيح لرئاسة الجمهورية.

ثانيا: صديقة عصابات المافيا جوديث كامبل. قابلها الرئيس كنيدي خلال الحملة الانتخابية التي فاز فيها سنة 1960 . كان يزور ملاهي لاس فيغاس (ولاية نيفادا)، وأقام له المغنى فرانك سيناترا حفل عشاء. غير أن علاقة سيناترا بعصابات المافيا (بسبب خلفية سيناترا الايطالية) أثارت الاهتمام. كما أن العشيقة كانت صديقة سام جيانكانا، من قادة المافيا. وهكذا، بدا أن الرئيس الأمريكي جزء من مجموعة فيها عصابات المافيا.

ويقال أن قتل الرئيس كنيدي (سنة 1963) الذي لم يحل نهائيا حتى اليوم، كان حسب خطة اشتركت فيها المافيا ووكالة الاستخبارات المركزية (سي أي إيه)، وان القتل كان انتقاما بسبب علاقات كنيدي الجنسية مع عشيقات لهن صلات بالاستخبارات، وبالمافيا.

ثالثا: الصحافية ماري مايار، من العائلة التي تملك صحيفة "واشنطن بوست". كان طلقها زوجها كورد مايار، موظف كبير في وكالة الاستخبارات المركزية (سى أى ايه). ويقال أنه غضب من الرئيس كنيدي بسبب علاقته الجنسية مع زوجته، وربما لهذا طلقها. وكان بنجامين برادلي، رئيس تحرير "واشنطن بوست"، تزوج انتوينيت مايار، شقيقة ماري مايار. وهو الصحافي المرموق، تعمد إخفاء علاقات كنيدي الجنسية التي كان يعرفها.

وظهرت إشاعة بأن ماري مايار، وشقيقتها انتوينيت مايار، والصحفي، والرئيس، تعاطوا مخدرات خلال حفلات خاصة في منازلهم القريبة من بعضها البعض في حي جورجتاون الراقي في واشنطن. وأن من بين الذين اشتركوا في هذه الحفلات جيمس أنقلتون، مدير في "سي أي إيه"، وزوج صديقة ماري مايار.

وظهرت إشاعة أن كنيدي بدأ علاقة جنسية مع صديقة عشيقته ماري مايار، زوجة رجل "سي اي ايه".

وظهرت إشاعة أخرى بأن "سي أى إيه"، لهذا السبب، لها صلة بقتل الرئيس كنيدي (سنة 1963). وان للقتل صلة بعلاقة كنيدي مع زوجتي رجلي "سي إي إيه."

وكبرت الإشاعة بعد قتل ماري مايار بعد سنة من قتل كنيدي. في وقت لاحق، صدر كتاب "أمريكان افير" (علاقة جنسية أمريكية)، وتحول إلى فيلم سينمائي مثير، وتدور أحداثه حول مغامرات الرئيس كنيدي وأصدقائه.

ووترقيت:

وهكذا، خلال الخمسينات والستينات، كانت تسيطر على واشنطن الاجتماعية والسياسية مجموعات من الأصدقاء يعملون في الاستخبارات والصحافة والحكومة. وتحيط السرية بجزء كبير من نشاطاتهم.

لكن، خلال السبعينات، بعد فضيحة "ووترقيت"، واستقالة الرئيس رتشارد نيكسون، وكشف كثير من نشاطات "سي أى إيه" ومكتب التحقيق الفدرالي (إف بي آى) غير القانونية، أصدر الكونقرس قوانين زادت الانفتاحية والشفافية.

وصارت الصحف، وخاصة "واشنطن بوست" تكشف فضائح الحكام والسياسيين الجنسية، والمالية، والإدارية.

لهذا، في التسعينات، عندما ترشح كلنتون لرئاسة الجمهورية، دققت الصحف في نشاطاته الجنسية السرية، وكشفتها، عشيقة بعد عشيقة.

بالنسبة للمغنية كوني حمزة:

في سنة 1995، بعد ثلاث سنوات من مقابلتها، أصدرت كتاب مذكراتها: "روك قروبي" (فتاة ترافق فرقة غنائية). والعنوان الفرعي: "مغامرات مثيرة قامت بها كوني الحلوة". وتحدثت عن قصة حياتها المثيرة، ومرافقتها للفرق الغنائية. وتحدثت عن علاقتها مع كلينتون، ولم تكشف أشياء جديدة.

وفي سنة 1996، ترشحت للكونقرس الأمريكي عن المنطقة التي تسكن فيها في ضواحي ليتل روك (عاصمة ولاية أركنسا). لكنها انسحبت قبل الانتخابات.

وفي سنة 2000، نشر جورج ستيفانوبولس، الذي كان مستشار كلينتون الصحافي، كتاب مذكراته وعنوانه: "أوول تو هيومان" (كلنا بشر طبيعيون). وكتب فيه عن فضائح كلينتون الجنسية. وقال انه سال كلينتون عن علاقته مع كوني حمزة، وما قالت. وان كلينتون نفى ما قالت. وان كلينتون قال إنه قابلها مرة واحدة عندما كان حاكما لولاية آركنسا. وإنها فاجأته، وهما يتحدثان في بهو فندق بالقرب من حمام سباحة، بأن خلعت الجزء الأعلى من بكيني السباحة الذي كانت ترتديه. وسألته: "ما هو رأيك في نهدي؟"

وفي سنة 2012، عادت كوني حمزة إلى الأضواء مرة أخرى، وكانت كبرت، وقارب عمرها الستين سنة. ظهرت في برنامج المذيع هوارد شتيرن (برنامج مقابلات فاضحة). وتحدثت عن علاقتها مع كلينتون، ولم تضف شيئا جديدا. وتحدثت عن مغامراتها الجنسية مع نجوم غناء أميركيين، وأشارت إلى تفاصيل فاضحة.

بالنسبة لعشيقات كلنتون:

في سنة 1995، نشرت مغنية الأندية الليلية الشقراء جنيفار فلاورز كتاب مذكراتها: "باشون أند بيترايال" (عاطفة وخيانة). وكتبت فيه عن علاقة عشرة سنوات تقريبا مع كلينتون، في تفاصيل كثيرة.

وفي شهادة قانونية اقسم بصحتها، اعترف كلينتون بعلاقته الجنسية مع جنيفار فلاوزر مغنية الأندية الليلية الشقراء (بعد خمس سنوات من إنكارها). واستغلت فلاورز شهرتها، وظهرت عارية في مجلة "بنتهاوس" الفضائحية، ومثلت في أفلام سينمائية غير محترمة.

في سنة 1998، وصلت علاقات كلينتون الجنسية مع عشيقاته قمتها عندما كشف صحفيون علاقته مع مونيكا لونسكي، سكرتيرة في البيت الأبيض. كان يمارس معها نشاطات جنسية داخل البيت الأبيض، بعلم بعض مساعديه ومساعداته. وكانوا يسمونها "بتزا قيرل" (فتاة البتزا) لأنها كانت تتصل مسبقا، وتقول أنها تحمل بتزا إلى مكتب الرئيس كلينتون. وبسبب الفضيحة، شن قادة الحزب الجمهوري هجوما عنيفا عليه. وقادوا حملة لمحاكمته. وحسب الإجراءات الدستورية، استمع مجلس النواب إلى شهادات الاتهام والدفاع، لكن، عند التصويت، لم يحصل الجمهوريون على الأغلبية. ونجا كلينتون من إقالة بشعة.

لكن، تظل علاقاته الجنسية نقطا سوداء في تاريخه.

في متحف العسكريات الأمريكيات هوبويل (ولاية فرجينيا) : قتل العراقيين والعراقيات



(اقرأ: مقاومة العراقيين للاحتلال الأمريكي) .

(اقرأ: تغطية الإعلام الأمريكي لاحتلال العراق) .

في سنة 2001 جئت بالصدفة إلى متحف العسكريات الأمريكيات، التابع للقوات الأمريكية المسلحة، بالقرب من رتشموند (عاصمة ولاية فرجينيا). كنت مع العائلة في طريقنا بالسيارة من منزلنا في بيرك (ولاية فرجينيا) إلى منزل أهل زوجتي في هوليوود (ولاية فلوريدا)، وذلك لقضاء جزء من إجازة الصيف هناك.

كانت سيارتنا تسير على الطريق البري رقم 95 (طريق عملاق على طول الساحل الشرقي للولايات المتحدة، من ولاية مين إلى ولاية فلوريدا). خلال ثلاثين سنة، سلكنا هذا الطريق ذهابا وإيابا عشرات المرات (ولا نزال). تعودنا أن نغادر منزلنا في الصباح الباكر، وعندما ينتصف اليوم، ويحل وقت الغداء (حسب المواعيد الأمريكية)، نقف في مدينة "هوبويل" الصغيرة، بالقرب من رتشموند. أحب الأولاد مطعم ساندوتشات "ماكدونالد" هناك، وكان بناءا ابيض اللون، فسميناه "هوايت ماكدونالد" (ماكدونالد الأبيض).

في ذلك الصيف في سنة 2001، وحسب العادة، وقفنا في المطعم وتغدينا. لكننا فقدنا الطريق، ووجدنا أنفسنا أمام "متحف العسكريات الأمريكيات". ومن باب الفضول، وليتنور الأولاد بالموضوع، زرناه لفترة قصيرة. وتندرت لبنتيي أنهما ربما ستكبران وتصبحان ضابطتين في القوات الأمريكية المسلحة. ثم واصلنا السفر إلى ولاية فلوريدا.

خلفية تاريخية:

ليست المرأة الأمريكية أول امرأة في التاريخ تصبح عسكرية، وتحارب مع الرجال. قبل ألف وخمسمائة سنة من ميلاد المسيح، حكمت حتشبسوت مصر، وكانت تسير في مقدمة جيوشها. وبعدها بمائتي سنة تقريبا، اشتركت نفرتيتي مع زوجها رمسيس الثاني في قيادة الجيوش.

وتقول التوراة: "وذهبت دبورا مع قائدها باراك وعشرة آلاف جندي، واتجهوا نحو قادش."

وكتب هيرودوتس، مؤرخ يوناني قبل الميلاد، عن عملاقات حوض نهر الأمازون المحاربات.

وحاربت الكنداكة، ملكة النوبة السودانية، الرومان عندما وصلوا إلى منطقتها، وأوقفت زحفهم جنوبا من مصر.

وقادت زنوبيا حرب الشام ضد الإمبراطورية الرومانية.

وحاربت نسيبة بنت كعب المزينية (بعد أن أسلمت) في معركة احد.

واشتركت عائشة، زوجة رسول الله (ص)، في معركة الجمل.

وفي القرن الثامن، قادت "فسترادا" السكسونية نساء كشفن عن نهودهن ورمين بأنفسهن أمام القوات الفرنسية بقيادة شارلمان (انتصر شارلمان، وتزوج "فسترادا").

ومؤخرا، اكتشفت في يوركشير، في بريطانيا، مقابر لجنديات بأسلحتهن دفن قبل ميلاد المسيح. واكتشفت مقابر مثلها في كزخستان والصين، مما يدل على أن النساء، منذ قبل ميلاد المسيح، قاتلن وقتلن في الحروب.

جنديات أمريكيات:

لا يذكر تاريخ الجنديات الأمريكيات إلا وتذكر دبورا سمبسون. لتقدر على الانضمام إلى "المليشيا" التي حاربت الاستعمار البريطاني قبل استقلال أمريكا (سنة 1776)، سمت نفسها "روبرت شيرتليف". ولم يعرف قائد فرقتها إنها امرأة إلا عندما أصيبت بجروح، ونقلت إلى المستشفى، وجاءه طبيب وكشف السر.

عندما خرجت من المستشفى، استدعاها الجنرال جورج واشنطن (الرئيس فيما بعد)، وشكرها على نضالها، وأعطاها مبلغا من المال، ونصحها بأن تعود إلى أهلها لتتزوج (عادت، وتزوجت، وأنجبت).

وخلال الحرب الأهلية الأمريكية، تطوعت جنديات. وأيضا، خلال الحرب مع أسبانيا، ثم مع المسكيك. لكن، كانت كلها حالات فردية. ومع بداية القرن العشرين، عندما تأسس "السلاح الطبي"، انضمت عشرات الآلاف من النساء للعمل العسكري كطبيبات وممرضات.

وخلال الحرب العالمية الثانية، تأسس السلاح النسائي في القوات الأمريكية، وانضمت إليه أكثر من 150،000 جندية (غير جنديات السلاح الطبي).

لكن، اعترض كثير من المحافظين والجمهوريين ورجال الدين. وقالوا أن مكان المرأة هو البيت. وإذا لابد أن تعمل خارج البيت، مكانها مدرسة أو مستشفى. وإذا لابد أن تتجند في القوات المسلحة، مكانها السلاح الطبي.

لكن، كانت الحرب العالمية الثانية توسعت، وشملت مواجهة القوات الألمانية والايطالية في أوروبا، ومواجهة القوات اليابانية في آسيا. واشتكى الجنرالات الأمريكيون بان عدد الرجال كاد أن ينضب، ولابد من تجنيد النساء.

كحل وسط، وافق الجنرالات على عدم إرسال الجنديات إلى الخطوط الأمامية، وعلى حصر عملهن في المواقع الخلفية: إمدادات، وإدارة، واتصالات، ومواصلات.

أفلام وأغانٍ:

ومثل في كل حرب، انعكست العمليات العسكرية، وخاصة تجنيد النساء، على الثقافة الأمريكية. على السينما، والأغاني، والروايات، والمسرحيات:

أولا: غنى ريك نلسون : "حاربت أمي في الفلبين مع السلاح النسائي. قالوا: إن النساء القبيحات يعملن في السلاح النسائي. لكن أمي كانت جميلة، وعملت في السلاح النسائي."

ثانيا: مثلت الممثلة الشقراء لانا تيرنر، في الخمسينات، في فيلم "كن مستعدا" الفكاهي دور مجندة خلال الحرب العالمية الثانية. وخلطت بين الحرب والحب، وبين المدافع والآهات، وبين الملابس العسكرية وملابس النوم. وذلك لأنها كانت تنافس زميلاتها في كسب حب (وعطف) الضباط العسكريين. وفازت لأن الرجال فضلوها وهي الشقراء. (بعد لانا تيرنر، سيطرت مارلين مونرو على سوق الشقراوات في السينما الأمريكية).

ثالثا: مثل كاري غرانت، في الستينات، دور جندي فرنسي وقع في غرام جندية أمريكية، بعد أن حرر الحلفاء فرنسا من الاحتلال الألماني. لكن، كانت القوانين العسكرية الأمريكية في ذلك الوقت تمنع الجندي، أو الجندية، من زواج أجنبية أو أجنبي. غير أن الحب برهن على أنه أقوى من العسكريين. ووصلت المشكلة إلى الكونقرس الذي أجاز "قانون الحب خلال الحرب لسنة 1945"، وتزوج الفرنسي الأمريكية.

تغيير القانون:

في سنة 1948، ألغى الرئيس هاري ترومان "السلاح النسائي"، وسمح بدمج الجنود والجنديات "في حالة السلم". لكنه منع اشتراك الجنديات في الجبهات الأمامية خلال الحرب. ولهذا، خلال حرب فيتنام التي استمرت عشر سنوات (1963-1973)، رغم قتل ستين ألف جندي أميركي تقريبا، لم تقتل غير جندية واحدة.

وبعد مرور عشرين سنة على نهاية حرب فيتنام، ضغط البنتاقون مرة أخرى لتجنيد النساء كمقاتلات "في حالة السلم" على الأقل.

ومرة أخرى، عارض اليمينيون والمحافظون ورجال الدين.

لكن، وقفت المحكمة العليا إلى جانب النساء، وأعلنت: "لا يجب منع المرأة من شيء لأنها امرأة." وساعد قرار المحكمة على تغيير نظرة القضاء، ونظرة المجتمع، للموضوع.

وانعكس ذلك في سلسلة أفلام "الينز" (الغرباء) التي مثلت فيها سيجون ويفر دور قائدة جيوش تغزو الأرض، وتسيطر عليها، وتأمر الرجال (الرجال الغرباء، ورجال الأرض) يمينا ويسارا، في استعلاء واضح عليهم.

وفي سنة 1994، قرر لي أسبن، وزير الدفاع في إدارة الرئيس كلنتون، السماح للجنديات بالاشتراك في العمليات العسكرية إذا كن في القوات الجوية أو البحرية. لكنه منعهن من ذلك إذا كن في القوات البرية، خوفا من اشتراكهن في "القتال المباشر". وبدأ نقاش في ذلك الوقت عن معنى "قتال مباشر"، وحدده الوزير إسبن بالآتي: "الاشتباك مع العدو بالسلاح إذا كان العدو يقدر على إصابة الجندية، أو الاقتراب منها، أو لمسها."

تحديث:

في سنة 2010، بعد تسعة سنوات من الزيارة الأولى، عدت إلى متحف العسكريات الأميركيات قرب رتشموند (عاصمة ولاية فرجينيا).

كانت الزيارة الأولى قبل شهور قليلة من هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، والذي كان سبب ما تسمى "الحرب ضد الإرهاب"، التي أعلنها الرئيس السابق جورج بوش الابن، والتي شملت غزو باكستان، وغزو العراق، وضربت دول مسلمة، وقتلت مئات الآلاف من المسلمين (ما بين ربع مليون ونصف مليون). وقتلت، أيضا، أقل من عشرة آلاف جندي أمريكي وجندية أمريكية.

ولا تزال "الحرب ضد الإرهاب" مستمرة.

عندما عدت، لاحظت تأسس قسم "الحرب ضد الإرهاب" في متحف العسكريات الأمريكيات. وذلك لأن الحرب قتلت جنديات أميركيات أكثر من أي حرب أخرى في تاريخ أمريكا.

قتلت، حتى سنة 2010، أكثر من مائة جندية، ويساوي هذا الرقم ستة أضعاف الجنديات الأميركيات اللائي قتلن في الحرب العالمية الثانية (16). في حرب فيتنام قتلت واحدة، وفي حرب تحرير الكويت قتلت خمسة.

كان العدد سيكون أكثر إذا لم تمنع القوات الأميركية عمل الجنديات في "الخطوط الأمامية": دبابات، ومدفعيات، وقوات خاصة.

كانت أغلبية اللائي قتلن في الحروب السابقة ممرضات في السلاح الطبي. لكن اللاتي قتلن في حرب العراق كن قائدات طائرات هليكوبتر، وميكانيكيات، وشرطيات عسكريات، وسائقات شاحنات، ومحللات معلومات استخباراتية. وكانت أغلبيتهن صغيرات في السن (أقل من 25 سنة)، وبعضهن متزوجات، وبعضهن أمهات (يتمن أكثر من عشرين طفلا).

جسيكا وتوكارا واماندا:

حزنت وغضبت لان قسم "الحرب ضد الإرهاب" في متحف العسكريات الأمريكيات ينظر إلى الحرب كما وضعها الرئيس السابق بوش الابن. والتي اعتبرها أنا حربا غير مباشرة ضد المسلمين، إن لم يكن ضد الإسلام. خلال عشر سنوات، غزت أمريكا دولتين إسلاميتين (أفغانستان، والعراق). وضربت دولتين إسلاميتين (الصومال، وباكستان). وهددت بضرب ثلاث دول إسلامية (سوريا، وإيران، والسودان). وقتلت، وجرحت، واعتقلت، وعذبت، وطاردت، وفتشت، وأحرجت، واحتقرت ملايين المسلمين في مختلف أنحاء العالم.

وفي الجانب الآخر، خلد الأميركيون كل قتيل وقتيلة منهم في "الحرب ضد الإرهاب". واعتنوا بكل جريح وجريحة. وكافؤوا كل عائد وعائدة بمئات الملايين من الدولارات، مباشرة وغير مباشرة.

في متحف العسكريات الأمريكيات، توجد تضحيات اللائي حاربن، وجرحن، وقتلن.
مثل جيسيكا كوفي (21 سنة) التي قتلها مقاتلون عراقيون في الفلوجة. وضعوا لغما في شارع أصاب سيارتها العسكرية. ماتت وتركت بنتا كانت ولدتها عندما كان عمرها 15 سنة، ولم تكن متزوجة.

قبل قتلها بثلاثة شهور، وفي منزل العائلة في ماهوميت (ولاية اللينوى)، ودعتها بنتها، وطلبت بنتها منها أن تتعهد بألا يقتلها عراقيون. وتعهدت لها. لهذا، لم تفهم البنت قتل أمها. وحاولت الجدة أن تشرح للبنت بان "الأم لم تكذب عندما تعهدت بألا يقتلها عراقيون، لأن عراقيين هم الذين قتلوا الأم."

ومثل توكارا غرين (23 سنة) التي قتلها مقاتلون عراقيون في محافظة الانبار. رموا قنبلة في محطة بنزين حيث وقفت سيارتها العسكرية لتتزود بالبنزين، فانفجر كل المكان. قتلوها بعد خمسة أيام من سفرها إلى العراق من منزل عائلتها في بولتيمور (ولاية ماريلاند). وتذكرت أمها: "كنا نعتقد أنها بعيدة عن القتل لأنها لا تعمل في الخطوط الأمامية. لكننا، وغيرنا، اكتشفنا بأن القنابل تسقط في أي مكان في العراق."

ومثل اماندا بنسون (21 سنة) التي قتلها مقاتلون عراقيون في تكريت. أطلقوا مدفعا نحو مبنى عسكري كانت تحرسه. كان يقف إلى جانبها خطيبها (جندي أيضا) لكنه أصيب بجروح طفيفة. كان خطبها قبل قتلها بشهور قليلة. وكان، مثلها، تطوع للعمل في القوات المسلحة "بسبب هجوم 11 سبتمبر."

لندي انقلاند:

لكن، لم أر في متحف العسكريات الأمريكيات أي إشارة إلى لندي انقلاند، بطلة القتل والتعذيب في سجن "أبو غريب" في العراق. ولم أر الصور المشهورة (التي سيخلدها التاريخ)، والتي تصور لندي انقلاند تدخن سيجارة وهي تنظر في إعجاب إلى أسرى عراقيين أمرتهم بخلع ملابسهم، ثم ممارسة أعمال جنسية فاضحة على بعضهم البعض. وهناك صورتها وقد ربطت حبلا على أسير عراقي عارٍ وكانه كلب.

في سنة 2011، وفي مقابلة صحفية، قالت لندي انقلاند أنها ليست نادمة على ما فعلت. وقالت: "لم يكونوا أبرياء. كانوا يريدون قتلنا. وتريدون منى أن اعتذر لهم. هذا مثل أن تقولون لأعدائنا إننا آسفون."

وقالت في مقابلة مع صحيفة "ديلي" الإلكترونية في ريف ولاية ويست فرجينيا (حيث تعيش بعد أن قضت سنتين في السجن العسكري) إشارة إلى الأسرى العراقيين: "حياتهم صارت الآن أحسن. إنهم كسبوا في النهاية."

كانت انقلاند تعيش مع والديها في ريف ولاية ويست فرجينيا. وقالت أنها مشغولة بتربية طفلها البالغ من العمر سبع سنوات. والده هو شارلز غرينر، زعيم الفرقة التي كانت تعذب العراقيين، وتسيء إليهم في أبو غريب. غير أنها اشتكت بأنه "لا يريد أي شيء له صلة بالطفل."

وكان الأب، الذي لم يتزوج انقلاند، أنكر أبوته.

في ذلك الوقت، أثارت الصور غضبا دوليا، وسلطت الضوء على سوء سلوك الجنود الأميركيين في العراق. وغذت مشاعر معادية للولايات المتحدة عبر العالم. واضطر الرئيس السابق بوش الابن إلى مخاطبة الشعب الأميركي وبقية العالم في التلفزيون ليعتذر ويقول: إنه ليس كل الجنود الأميركيين مثل إنقلاند وزملائها في سجن أبو غريب.

وأنا قلت، وأقول الآن، أن الرئيس بوش يجب أن يقدم إلى محكمة الجنايات الدولية بتهمة "مجرم حرب" لأنه قتل، أو مسؤول عن قتل، ما بين ربع مليون ونصف مليون مسلم خلال العشر سنوات الماضية.

لست وحيدا. يظل عدد غير قليل من أساتذة جامعات أميركية يريدون ذلك، وكتب بعضهم كتبا عن هذا الموضوع. منهم مايكل هاس، مؤلف كتاب "هل جورج بوش مجرم حرب؟: مسؤولية إدارة بوش في 269 مسؤولية حرب." وكتب مقدمة الكتاب بنجامين فيرينز، الذي كان قاضيا في محاكم نوريمبيرق (في ألمانيا، بعد هزيمة هتلر).

في متحف الأغاني الجاز في شيكاغو :

أغاني الزنوج



(اقرأ: تجارة الرقيق)

(اقرأ: عقدة اللون عند السود)

(اقرأ: لماذا يحب البيض أغاني السود؟)

في سنة 1988، زرت "أميركان جاز ميوسيوم" (متحف الجاز الأمريكي) في شيكاقو. ولا تذكر كلمة "جاز"، الا وتذكر موسيقى الزنوج الأمريكيين. لهذا، يمكن أن يسمى المكان "متحف جاز الزنوج". ورغم أن أغاني الجاز غنت للحب، غنت أيضا للحرية. بل خلال سنوات التفرقة العنصرية، كان الاثنان متلازمان. وكان الغناء للحبيبة هو الغناء للحرية. لهذا، قادتني الزيارة لدراسة أغاني الزنوج الأمريكيين، وخاصة أغاني الحرية.

خلفية تاريخية:

بدأت أغاني وأشعار حرية الزنوج في أمريكا قبل أن يأتوا إليها، عندما كانوا في أفريقيا. مثلما صور المسلسل

التلفزيوني "روتز" (جذور) حيث طارد تجار رقيق بيض ومساعدون أفارقة، الرجال والنساء والأطفال، واعتقلوهم، ونقلوهم إلى أمريكا بالقوة. وجاء السود إلى أميركا يغنون في سفن الرقيق أغاني افريقية على أصوات طبول.

وأنشد بعضهم أناشيد إسلامية.

ويقال أن عشرة في المائة من هؤلاء الرقيق كانوا مسلمين. وجاء معهم قادة دينيون مثل عمر بن سعيد الذي ولد على نهر السنغال في سنة 1770، واحضر إلى أمريكا بالقوة في سنة 1807، وأصبح مملوكا لتاجر قطن مسيحي هو جيمس اوين، في ديرهام (ولاية نورث كارولينا).

كان بن سعيد يتكلم العربية، ويقرأ القرآن، وينشد، مع إخوانه، أناشيد إسلامية على أنغام الطبل. في نفس الوقت، حاول سيده أن ينصره، وأعطاه نسخة من الإنجيل. لكن، يعتقد أن ابن سعيد ظل مسلما حتى توفى، لأنه كتب آيات إسلامية على هوامش الإنجيل (موجود الآن في مكتبة كلية ديفدسون في ولاية نورث كارولينا).

وكتب بريان وورد، مؤلف كتاب "ماي سبيريت وانطز ماي فريدوم" (روحي تريد حريتي) أن أغاني وأشعار الزنوج في أمريكا دخلت التاريخ مرتين:

أولا: ساعدتهم على تحمل الظلم. ثم على التمرد عليه.

ثانيا: ألهمت غيرهم، خاصة في دول العالم الثالث.

أغاني الأطفال:

تقول أغنية أطفال زنجية عمرها أكثر من مائتي سنة: "كنت العب في الغابة، وجاء البيض وأخذوني، وعندما اكبر، سأعود إلى الغابة."

وتقول أخرى: "أنا لم أقل. الطفل الأبيض قال. لن أكن رئيسا لأمريكا."

وأخرى: "الطفل الأبيض لا يقلق. أنا أقلق. هو حر. وأنا لست حرا."

وأخرى: "الطفل الأبيض قال: الحرية والعدل للجميع. وأنا ضحكت: ها، ها، ها."

وهناك أغاني حقول القطن في ولايات الجنوب، وخاصة أغاني النساء، لأنها تصور عذابين:

أولا: عذاب الحقول.

ثانيا: عذاب البيوت.

مثل الأم التي تقول: "ولدت ثلاث عشرة بنتا وولدا. لكن، باعوهم كلهم رقيقا. لم يبق معي شيء سوى الله."

ومثل الأم التي تقول: "قالوا أنت امرأة، ولا حقوق لك، لأن المسيح لم يكن امراة. كيف يقولون ذلك؟ أليست أم المسيح امرأة؟"

"سواد لوني":

في القرن العشرين، مع تطور الآلات الموسيقية، ثم ظهور الإذاعة، ثم التلفزيون، انتشرت هذه الأغاني والأناشيد. وغني سايل جونسون أغنيتين:

الأولى: "هل السبب هو سواد لوني؟ لا تقل ليس عندي دليل. أنا أحس بأن السبب هو سواد لوني."

الثانية: "أغني للحرية. لا أغني لشخص، أو حادث، أو مكان، أو زمان. اغني للحرية."

وغنى سولومون بيرك: "التغيير قادم لا محال. التغيير قادم لا محال."

وغنى جيمس كار: "قطار الحرية غادر محطة الماضي إلى محطة المستقبل. غادر محطة العذاب إلى محطة المستقبل."

وغنى شاي لايت: "أستحلفكم الله، يا من عندكم كل المال، يؤمن عندكم كل السلطة، أعطوني حريتي."

تفرقة غير دستورية:

يعتبر قرار المحكمة الدستورية العليا في مايو سنة 1955 بداية حركة الحقوق المدنية الحديثة. هذا هو القرار الذي قال: "أي مدارس متفرقة معناها عدم مساواة". وألغى القرار ما كانت نفس المحكمة قالته، قبل ذلك بنصف قرن، بأن مدارس البيض والسود "سيبيرت بت إيكوال" (منفصلة لكنها متساوية).

لكن، كان ظلم البيض للسود أكثر من ظلم وتفرقة في المدارس.

مثلما حدث للصبي الأسود، إيميل تيل، بعد ثلاثة شهور من قرار المحكمة العليا سنة 1955. كان عمره أربع عشرة سنة، وسافر من شيكاقو إلى جاكسون (ولاية مسيسبي) لزيارة جدته، وهناك قيل: إنه غازل بنتا بيضاء. وطارده أبيضان، واعتقلاه، وعذباه، وأحرقاه، ورميا جثته في نهر تالاهاتشي القريب.

واعتقلت الشرطة اثنين قالت: إنهما فعلا ذلك. لكن، رفضت هيئة محلفين، وكانوا كلهم من البيض، إدانتهما. وبعد أن خرجا من السجن، افتخرا للصحافيين بما فعلا، ولم يعتقلا مرة أخرى.

في تلك السنة، غنت فرقة "ستيبلز" (اصطبلات): "متى ستعطوننا حقوقنا عن عرقنا؟ نحن قطفنا حقول قطنكم. وحاربنا ضد أعدائكم. وبنينا طرقكم المعبدة. متى ستعطوننا حقوقنا عن عرقنا؟"

وفي نفس السنة، غنى دون جوليان: "رسالة من رجل أسود إلى رجل ابيض: لن تقدر على أن توقفني لأني أريد حقوقي."

روزا بارك:

وفي سنة 1955، نفس سنة قرار المحكمة الدستورية العليا عن وقف التفرقة في المدارس، رفضت روزا بارك، سوداء في مونتغمري (ولاية أوباما) أن تخلي مقعدها في حافلة لامرأة بيضاء.

وعندما اعتقلت، ونشرت الصحف المحلية الخبر، تطوع قس شاب في المدينة اسمه مارتن لوثر كنق، وعقد اجتماعا في كنيسته لمناقشة الموضوع. واقترح أن يقاطع السود كل الحافلات في المدينة، ويمشوا على الأقدام إلى أماكن العمل، أو الأسواق، أو المدارس. وإن يتظاهروا، خاصة أمام الكنائس بعد صلاة كل يوم الأحد.

وكانت تلك بداية مظاهرات السود. خاصة في ولايتي الأباما ومسيسبي (أكثر ولايات الجنوب عنصرية). فيما بعد، انضم إليهم عدد قليل من البيض، خاصة قساوسة، ويساريين، ويهود.

وبعد ذلك بسنتين أصبح كينق رئيسا لجمعية "مؤتمر القيادة المسيحية الجنوبية" السلمية، وقال: "لا نريد حركة تحرير تعامل البيض المتطرفين بالمثل، وتنزل إلى مستوى تفرقتهم وعنصريتهم. نريد حركة أخلاقية، وسامية، ورفيعة."

في تلك السنة، غنت أريثا فرانكلين: "لا أريد منك أكثر من أن تحترمني."

وفي نفس السنة، غنى كرتيس مايفيلد: "أنتم بيض وزرق العيون، ونحن سود وسود العيون. إما نقتل بعضنا البعض، أو نعيش معا."

ليتل روك:

وفي سنة 1957، اضطر الرئيس أيزنهاور لإرسال قوات اتحادية إلى ليتل روك (ولاية آركنساس) لأن حاكم الولاية رفض السماح لتسعة طلاب سود بدخول المدرسة الثانوية هناك. ورغم أن حاكم الولاية رضخ، قال: انه فعل ذلك كـ "حالة استثنائية."

وفي سنة 1960، كاد الرئيس كنيدي أن يرسل قوات اتحادية إلى قرينسبورو (ولاية نورث كارولينا) لان حاكم الولاية رفض الضغط على مطعم رفض تقديم طعام لأربع شبان سود. كان الحادث بداية إستراتيجية جديدة وسط الزنوج، وهي أن يدخلوا الأماكن التي منعوا من دخولها، مثل: أحواض السباحة، وقاعات السينما، والمكتبات العامة، والمسارح. ثم يبقوا في أماكنهم حتى تأتي الشرطة لإخراجهم بالقوة. كان هدفهم هو أن يشاهد ذلك الصحفيون ومصورو التلفزيون، وينقلون الخبر إلى بقية الولايات المتحدة وبقية العالم.

في تلك السنة، غنى سلاي فاميلي ستون: "إذا أنا أسود عبد، أنت ابيض منافق."

وفي نفس السنة، غنى جي بي روبنسون: "قصة جورج جاكسون"، وكلماتها عن صبي أسود اعتقل لأنه سرق سبعة دولارات. ومات في السجن في ظروف غامضة.

جيمس ميرديث:

وفي سنة 1961، أرسل الرئيس كنيدي قوات اتحادية إلى تسكالوسا (ولاية مسيسبي) حيث جامعة مسيسبي، لحماية جيمس ميرديث، أول طالب اسود تقبله الجامعة.

وفي سنة 1963، اعتقل القس الأسود كينق في بيرمنقهام (ولاية الاباما). ومن داخل السجن، أرسل خطابا أصبح جزءا من التاريخ، وعنوانه: "أيها الأبيض، الزنجي أخاك". وقال فيه: "الظلم في مكان واحد تهديد للعدل في كل مكان. والعدل الذي يتأخر تنفيذه مثل العدل الذي لا ينفذ."

وبعد ذلك بشهر، أمر أيوجين كونر (كان لقبه "الثور")، مدير شرطة بيرمنقهام، رجاله بفتح خراطيم الماء على المتظاهرين السود.

وبعد ذلك بشهر، اغتيل مدقار أيفرز، وكان من مساعدي القس كينق، أمام منزله. واعتقلت الشرطة رجلا أبيضا، وقدم إلى محكمة، لكن هيئة المحلفين رفضت إدانته. ثم قدم مرة ثانية، ورفضت هيئة المحلفين أدانته مرة ثانية. (في سنة 1990، بعد ثلاثين سنة تقريبا، قدم إلى محكمة، وأدين هذه المرة، وسجن).

في نفس سنة 1961، غنت فرقة "امبرشنز" (لإنطباعات) أغنيتين:

الأولى: "هذا وطني أيضا. نحن نحب أمريكا أيضا. نحن زنوج أمريكيون."

الثانية: "سؤال: إذا طلب منك أن تختار لونا لبشرتك، أي لون أفضل؟ إجابة: هذا سؤال غبي لأن الألوان ليس فيه خطأ أو صواب."

"عندي حلم":

وفي سنة 1963، شهدت واشنطن المظاهرة التاريخية التي ألقى فيها القس كينق خطبة "أي هاف أي دريم" (عندي حلم) المشهورة.

وفي السنة التالية، وبسبب استمرار المظاهرات والاشتباكات، واستمرار وقف المحاكم إلى جانب السود، اضطر الكونقرس، وتحت ضغط الرئيس جونسون، إلى إصدار قانون الحقوق المدنية الذي ساوى بين الأعراق، والأجناس، والألوان.

وأعطي القانون الحكومة الاتحادية سلطة تنفيذه، لأن ولايات كانت قالت أن الحكومة الاتحادية لا تقدر على تغيير قوانين "تنظيمية داخلية" تصدرها هذه الولايات.

وفي سنة 1965، أصدر الكونقرس قانون حقوق التصويت، لأن حكومات ولايات في الجنوب كانت تفرض شروطا على التصويت، مثل: القراءة والكتابة. وكانت حكومات هذه الولايات تقصد السود. وكانت تقول أن شروط التصويت "شأن داخلي" لكل ولاية، ولا يحق للحكومة الاتحادية التدخل فيه.

وفي سنة 1966، أعلنت المحكمة العليا أن دستور ولاية فرجينيا ناقض الدستور الأمريكي عندما منع الزواج المختلط (خاصة بين البيض والسود). وهكذا، اضطرت ولاية فرجينيا، وست عشرة ولاية أخرى تغيير دساتيرها.

وفي سنة 1968، وتحت ضغط من الرئيس جونسون، أصدر الكونقرس قانونا يمنع التفرقة في تأجير، وشراء، وبيع المنازل، والعقارات، والممتلكات.

في تلك السنة، غنى مارفين قاي، الكاريبي القادم من جزيرة جمايكا، أغنية "أبراهام ومارتن وجون" (أبراهام لتكون، ومارتن لوثر كينق، وجون كنيدي) التي قال فيها: "حزين عليكم، ساعدتم على تحريرنا، وأكرموكم بأن قتلوكم."

أنواع أغاني الزنوج:

يمكن تقسيم أغاني الزنوج إلى الأقسام الآتية:

أولا: الأغاني الدينية (سول): كان التنصير فرصة للرقيق ليبنوا كنائس خاصة بهم. فيها يجتمعون، ويتعبدون، ويغنون الأغاني الدينية. وركزت هذه على الأمل والخلاص:

مثل: "الله سيفتحها علينا، بطريقة ما."

ومثل: "في يديك ياربي اليوم أضع الغد."

ومثل: "أنت صخرة خلاصي، أنت قوة حياتي، أنت أمل غدي."

ثانيا: أغاني الكآبة (بلوز): التي يحكي فيها الفنان همومه. مثل بي بي كينق الذي غنى: "انتهي عرض الليل. المدينة نائمة. وأنا مفقود في هذه الدنيا. دنيا عميقة وباردة. أتجول من مكان إلى مكان. تحملني الريح. أريد أن أهبط. أو تقف الدنيا. أنا غريب وخائف. في عالم غريب وخائف."

ووجد المغني كينق الكآبة في الحب أيضا. واشتهر بأغاني الفراق والبعد والحنين والوحدة، مثل عندما غنى: "صحيت هذا الصباح، حزين وكئيب. تركتني حبيبتي. ماذا سأفعل؟ أصبحت وحيدا، والأحزان رفيقتي."

ثالثا: أغاني الجاز الصاخبة. وبسبب التفرقة العنصرية، اختلط جاز الحب بجاز السياسة. وغني سايل جونسون الأغنية السابقة الذكر: "أغني للحرية. لا أغني لشخص، أو حادث، أو مكان، أو زمان. أغني للحرية."

وغنى سولومون بيرك الأغنية السابقة الذكر: "التغيير قادم لا محال. التغيير قادم لا محال."
لكن، يعتبر لويس آرمسترونق أشهر مغنيي الجاز. غنى عن حبيبته وكأنه يغنى عن حريته:
غنى: "تظهر الشمس وأنت معها. يظهر القمر وأنت معه. أنام وأنت في أحلامي. أريدك،
أريدك الآن."

وغنى: "الأشجار خضراء، والورود حمراء، والسماء زرقاء، والسحاب أبيض، وقوس قزح
فيه كل الألوان، وأرى الناس يحيون بعضهم البعض، وكأن كل واحد يقول للآخر:
أحبك."

ألفيس بريسلي:

غنى فنانون بيض قلائل لحقوق الزنوج. مثل ألفيس بريسلي، ملك موسيقى روك آند رول،
والذي أغضب كثيرا من الأميركيين، حتى قبل أن يغنى لحرية السود. سموه رائد "أغاني
الحركات الخليعة" التي يؤديها على المسرح. والتي اشتهر بها، فيما بعد مايكل جاكسون،
وكرستين أوراغلا، وبريتني سبيرز، وغيرهم.

في سنة 1956، أصدر بريسلي أغنية "فندق تعذيب القلوب". ورغم أن الأغنية عن عذاب
المحبين، وجد السود فيها عذابهم أيضا. خاصة عندما تقول الأغنية: "أمشي وحيدا على
الطريق، نحو فندق تعذيب القلوب."

ثم غنتها السوداء ويتني هيوستن. وأضافت إليها أجزاء تؤكد حزنها كسوداء تشتكي من
ظلم الرجل الأسود لها، ومن ظلم الرجل الأبيض لها.

واعتبر كثير من البيض في ولايات الجنوب أن أغاني روك آند رول تساعد على الاختلاط بين البيض والسود. وفي سنسناتي (ولاية اوهايو) أدان قاضي بيضا وسود اختلطوا في حفلة غنى فيها بريسلي، وقال القاضي: إن "مثل هذه الأغاني حولت أقدس الواجبات الزوجية، وهو إنجاب الأطفال، إلى لذة جنسية."

وقالت مجلة "تايم" أن ألفس بريسلي "يرقص مثل النساء". وقال آخرون أن "خلاعة ألفيس بريسلي قربت السود منه، وقربته من السود."

وعمدا، ربط أمريكيون بين حرية السود السياسية وحريتهم الجنسية. وقال أسقف مشهور في كنيسة عملاقة في ليتل روك (ولاية أركنسا)، وكأنه حريص على المسيحية:"لابد من مواجهة خطر الثقافة السوداء على العائلة الأميركية."

وكان واضحا انه، وأمثاله، يقصدون الخوف من أي علاقة جنسية بين أي رجل زنجي وأي بنت بيضاء. رغم أنهم استعملوا شعارات غامضة مثل: "ريس مكسينق"(الخلط بين الأعراق).

وأخيرا:

في سنة 2012، بعد أن تغيرت كثيرا العلاقة بين البيض والسود، وصار أسود، باراك أوباما رئيسا لأمريكا، وصارت سوداء، ميشيل أوباما، سيدة أمريكا الأولى، وطبعا، لم تعد التفرقة العنصرية رسمية، ولا ربما حتى علنية. لكنها صارت خفية.

هذه هي "أنفيزيبول ديسكريمينيشن" (عنصرية خفية).

وأنا المسلم العربي الأفريقي، أقدر على أن أقول إنني لم أتعرض خلال خمس وثلاثين سنة في أمريكا، لم أواجه تفرقة عنصرية مباشرة. سمعت مرتين أو ثلاثة (خاصة عندما كنت طالبا في كلية الصحافة في جامعة انديانا) عبارات مثل "نيغر" (زنجي" و "قو باك هوير يو كيم فرم" (عد إلى من حيث أتيت).

والحمد لله، وبعد سنوات قلق، وتوتر، وحيرة، وصلت إلى قناعة بان لوني ليس أساس هويتي. وان أساس هويتي هو ديني. وأكرر لأولادي: "ماي كالار هاف نوثنق تو دو ويث ماي أيدنتتي" (لوني ليست له أي صلة بهويتي).

انتقدني أمريكيون سود بأنني لا أقدر وضعهم، ولا افهم حساسيتهم تجاه البيض، وذلك لأنني لم أولد في أمريكا. ولم يستعمل والدي حماما للسود فقط ، ولم يشرب من صنبور ماء للسود فقط. ولم يكن جدي رقيقا، ولم يأت جد جدي من غرب إفريقيا.

وأنا أرد عليهم بأنهم يجب أن يكونوا مثلي. يحذفون لونهم حذفا كاملا وتاما من هويتهم. ويعتبرون إيمانهم (المسيحية) أساس هويتهم. وأنا، كمسلم يؤمن بالمسيح ابن مريم، أشجعهم على ذلك.

واذكرهم بأغاني الزنوج السابقة الذكر، ودور المسيحية فيها، ودور القساوسة (مثل مارتن لوثر كينق) في تحرير الزنوج. وأقول لهم: ما دام إيمانكم حرركم من لونكم، لابد أن يكون الإيمان أهم من اللون.

أمام نصب جبران خليل جبران (واشنطن) :

جبران خليل جبران



(اقرأ: إدوارد سعيد، المناضل)

(اقرأ: الرابطة القلمية)

(اقرأ: أولاد وبنات المهاجرين العرب)

في سنة 1991، مشيت على جزء من شارع ماساجوستس (الذي يشق واشنطن العاصمة من منطقة الكونقرس، في الجنوب الشرقي، إلى منطقة الجامعة الأمريكية، في الشمال الغربي) حتي وصلت إلى مكان الاحتفال بافتتاح نصب الشاعر الأمريكي اللبناني جبران خليل جبران.

بالإضافة إلى أن هذا حدث كبير يستحق التغطية الصحافية بالنسبة للعرب في الولايات المتحدة، وبالنسبة للعرب في كل مكان، يهمنى شخصيا. أنا أبحث عن هويتي كمهاجر إلى الولايات المتحدة.

في نفس سنة 1991، حصلت على الجنسية الأمريكية، وأقسمت بالولاء للولايات المتحدة. وبدأت عشر سنوات قاسية في بحثي عن هويتي.

كانت العشر سنوات الأولي (الثمانينات)، منذ أن جئت إلى واشنطن صحافيا سنة 1980، هي "سنوات غريب في بلد غريب" (عنوان فصل في كتاب مذكراتي الذي أكتبه هذه الأيام).

وبعد أن نلت الجنسية الأمريكية، صارت العشر سنوات التالية (التسعينات) هي "سنوات الفاليوم، والليبريام، وأطباء النفس."

وصارت العشر سنوات التي بعدها (العشرة الأولى من القرن الحادي والعشرين) هي "سنوات العودة إلى الإسلام" (الذي تعلمته في القرية قبل نصف قرن تقريبا: قرية وادي حاج، على نهر النيل، قرب ارقو، في شمال السودان، إلى الجنوب من الحدود مع مصر).

وهكذا، وصلت إلى قناعة بأن هويتي ليست لها أي صلة بلوني. وان أساس هويتي الأول هو الإسلام، ثم العروبة، ثم الإفريقية (ثقافة، لا لونا).

أما العشر سنوات الحالية (العشرة الثانية من القرن الحادي والعشرين)، أسميها "سنوات مسلم وغربي." صرت أعتبر نفسي أمريكيا حقيقيا وكاملا.

لكن، طبعا، اعرف أن الأمريكيين، بداية بزوجتي وأولادنا، يرونني، في نهاية المطاف، "أجنبيا." لهذا، عنوان حلقة هذه العشر سنوات في كتاب مذكراتي هو: "بارت أوف أميركا؟" (هل أصبحت جزءا من أمريكا؟) أي وضعت الجملة في صورة سؤال. لأن التحدي لا يزال مستمرا.

حيرة عربي:

مثل حيرة مؤقتة للجانب الديني في هويتي (الإسلام)، عانيت من حيرة مؤقتة للجانب الثقافي في هويتي (العروبة).

لهذا، جاء افتتاح النصب التذكاري لجبران خليل جبران في الوقت المناسب، لتقوية الجانب العربي من هويتي.

ولهذا، أحمد الله لأنني أعمل صحافيا مع صحيفة عربية. كان طموحي أن أعمل في صحيفة "واشنطن بوست،" كنت سأصل إلى القمة، وكنت سأشتهر. لكن، كانت لغتي العربية ستضعف. وكانت هويتي ستتأرجح أكثر: من أنا إذا لا أتكلم اللغة العربية؟

ولهذا، أكثرت من قراءة الكتب العربية.

ولهذا، وجدت ضالتي في الأدباء العرب الذين هاجروا إلى أمريكا، مثل: جبران خليل جبران، وإيليا أبو ماضي، وميخائيل نعيمة. صاروا مثلي العربي الأمريكي الأعلى.

جبران خليل جبران:

اسمه كاملا: جبران خليل جبران بن ميخائيل بن سعد. من أحفاد يوسف جبران الماروني البشعلاني. ولد في بشرى في لبنان في سنة 1883، وهاجر إلى أميركا مع عائلته سنة 1895، وتوفي في نيويورك في سنة 1931.

ولا يذكر جبران إلا وتذكر الرابطة القلمية العربية التي أسسها في نيويورك، والتي نشرت كتبا كثيرة بالعربية والانجليزية.

تأسست الرابطة القلمية العربية في نيويورك سنة 1920. واشترك في تأسيسها: الكاتب جبران خليل جبران، والشاعران: ميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي، والصحافي عبد المسيح حداد (صاحب ورئيس تحرير صحيفة "السائح" النيويوركية، أول صحيفة عربية تصدر في أمريكا). وكتب ميخائيل نعيمة محضر جلسة تأسيس الرابطة بخط يده: " أحدهم رأى أن تكون لأدباء المهجر رابطة تضم قواهم، وتوحد مسعاهم في سبيل اللغة العربية، وآدابها. فلاقت الفكرة استحسان كل الأدباء الحاضرين... "

وبفضل الرابطة، وفي وقت لاحق، وبالإضافة إلى صحيفة "السائح"، صدرت صحف أخرى، منها:

أولا: "الفنون" التي ركزت على الأدب، وصاحبها ورئيس تحريرها نسيب عريضة.

ثانيا: "السمير" التي ركزت على أخبار المهاجرين، وصاحبها ورئيس تحريرها إيليا أبو ماضي.

ثالثا: "البدائع والطرائف" التي نشرت أغلبية كتابات جبران خليل جبران.

من كتب جبران:

أولا: "الأرواح المتمردة": وكتب في مقدمته: "إلى الروح التي عانقت روحي. إلى القلب الذي سكب أسراره في قلبي. إلى اليد التي أوقدت شعلة عواطفي". وفي الكتاب قصص منها: "صراخ القبور" و "خليل الكافر" و "مضجع العروس". وفي القصص تمرد على عادات عربية، منها: الزواج القهري، واستبداد الحكام، وطمع الإقطاعيين.

ثانيا: "يسوع ابن الله": عكس اسمه، ليس كتابا عن الدين المسيحي. لكنه عن شخصية عيسى المسيح، مجردة من أي طابع ديني أو سماوي. شخصية تقتدي الناس بها وبأفعالها. ويشبه كتابا عن تعاليم بوذا، ليس عن العقيدة البوذية، ولكن عن تعاليمها. وفي "يسوع ابن الإنسان" تركيز على تعاليم المسيح عن الفرح، والحب، والتمرد، والصبر، والعمل. يظهر في الكتاب المسيح صوفيا، ربما أكثر منه "ابن الله."

ثالثا: "النبي": أشهر كتب جبران خليل جبران، وفيه 26 قصيدة. كتبه بالانجليزية للأمريكيين، وانتشر وسطهم. ولم يترجم إلى العربية إلا بعد فترة طويلة. في وقت لاحق، ترجم إلى أكثر من خمسين لغة. وفيه خلاصة آراء جبران في الحياة، والحب، والزواج، والموت، والجمال، وغيرها. ومثل "يسوع ابن الإنسان"، فية تركيز على تعاليم متصوفة، أكثر منه عن "ابن الله" أو "التثليث". فيه تركيز على وحدة الأديان بالتركيز على تعاليمها السمحة والإنسانية.

تعريفات في كتاب "النبي":

أولا: عن الحب: "الحب لا يعطى إلا نفسه. ولا يأخذ إلا من نفسه. الحب لا يملك شيئا، ولا يريد أن يملك شيئا. الحب يكتفي بالحب."

ثانيا: عن الزواج: "ولدتم معا. وستظلون معا إلى الأبد. وستكونون معا عند تبدد أيامكم أجنحة الموت البيضاء."

ثالثا: عن مسؤولية الإنسان عن نفسه: "قفوا معا، ولكن لا يقترب أحدكم من الآخر كثيرا. كل عمود هيكلي يقف منفصلا. وكل سنديانة تنمو بعيدة عن الأخرى."

رابعا: عن الأبناء والبنات: "أولادكم وبناتكم ليسوا أولادكم وبناتكم. انهم أولاد وبنات الحياة. بكم، وليس منكم، يأتون إلى الحياة."

خامسا: عن العمل: "قالوا لكم العمل تعب وعرق وألم وعذاب. وأنا أقول لكم أن العمل جزء من حب الحياة. إذا واظبتم على العمل النافع، تتفتح قلوبكم لحب الحياة. ومن أحب الحياة بالعمل النافع، تفتح له الحياة أعماقها."

نصائح من كتاب "النبي":

"أعطني الناي وغني فالغناء سر الوجود، وأنين الناي يبقى بعد أن يفنى الوجود."

"ويل لأمة تلبس مما لا تنسج ، وتأكل مما لا تزرع ، وتشرب مما لا تعصر."

"ما اخترت الصمت جواباً إلاَّ لَمن سألَني: من أنتَ؟".

"إذا العين بالعين ، العالم كله يمكن أن يكون أعمى."

"لا توجد مصاعد كهربائية إلى النجاح وإنما هناك درجات."

"اجعلني يا الله فريسة الأسد قبل أن تجعل الأرنب فريستي."

"الأيدي التي تصنع أكاليل الشوك أفضل من الأيدي التي لا تصنع أي شيء."

"أكثر الناس كلاما أقلهم ذكاءً."

"من يدري، ربما الجنازة بين الناس عرساً بين الملائكة"

"الرجل العظيم هو الذي لا يسود ولا يساد."

"للرجل العظيم قلبان: قلب يتألم، وقلب يتأمل."

"أين عدالة الحاكم إذا كان يعدم، ويسجن، ويصادر الأراضي، ويسلب أموال الناس؟"

"أنا متطرف، لأن من يعتدل في قول الحق يبين نصفه، ويخفى نصفه."

النصب التذكاري:

في النصب التذكاري لجبران خليل جبران على شارع ماساجوستس (في واشنطن العاصمة) نحتت صورته، وصور طيور وأشجار. ونحتت عبارات منها:

"العمل حب مجسم" و "أحبك يا أخي، أينما كنت ومهما كنت" و "إلا تحسد الأرواح الأخرى الإنسان لآلامه؟" و "نحن نعيش أكثر لتقديس الجمال، وباقي عمرنا ليس إلا انتظارا".

جبران في الثقافة الأمريكية:

ليس هناك مثال أكثر عن أهمية أشعار جبران في الثقافة الأمريكية (بالإضافة إلى أن ديوان "النبي" الذي هو ثالث ديوان شعر يباع في العالم) من تكرار اسمه، واسم ديوانه، وإشعاره في الآداب والفنون الأمريكية. مثلا:

أولا: في مجال التلفزيون: صدر في سنة 2004 مسلسل من أربع حلقات هو: "خليل جبران"، كتبه أمريكي من أصل عربي: ألكسندر نجار. وأخرجه أيضا أمريكي من أصل عربي: سمير حبشي. وفي مسلسل "بونز" (عظام)، طلب البطل من زوجته التي تركته العودة إليه، واستعمل جملة جبران: "لا يعرف الحب حقيقته إلا في لحظة الفراق". وفي مسلسل "كريمينال مايندز" (عقول مجرمة) جملة أخرى من جبران:"من وسط العذاب، تولد أكثر الأرواح قوة. وعلى أجساد أكثر الشخصيات قوة آثار جروح."

ثانيا: في مجال الأفلام السينمائية: في فيلم "وومان" (امرأة) مقتطفات من قصيدة "عن الحب". وفي فيلم "أن بدروم" (في غرفة النوم) مقتطفات من قصيدة "الهدف من الموت" خلال تشييع جنازة بطل الفيلم. وفي فيلم "فاستر" (أسرع) طلب البطل، في لحظة انتعاش، من سائق سيارته قول أبيات من قصيدة لجبران.

ثالثا: في مجال الكتب: أشارت رواية "ديكالا" إلى قول جبران: "أطفالنا ليسوا أطفالنا... " وأشارت، بصورة غير مباشرة، رواية جون لا كاري "الجاسوس الذي جاء من البرد" إلى البطل وهو يردد أبياتا من قصيدة، رغم انه وصف جبران بأنه "غريب."

رابعا: في مجال الموسيقى: غنى لجبران الفنان الأمريكي اللبناني جبرائيل عبد النبي بأن أفرد له ألبوما كاملا. وغنت فرقة "مستر مستر" قصيدة "الأجنحة المتكسرة". وعزف فنان الجاز الأسود جاكي ماكلين قطعة "جبران النبي".

خامسا: تاريخيا: في أول خطاب له رئيسا للجمهورية، قال الرئيس جون كنيدي، سنة 1961، عبارة سجلها التاريخ. وبسبب الشبه الكبير بين العبارة وعبارة كتبها جبران، قال مؤرخون أن كنيدي اقتبسها منه. تقول عبارة جبران: "هل أنت سياسي تسأل ماذا يفعل لك وطنك؟ أو أنت غيور تسأل ماذا تفعل لوطنك؟" عبارة كنيدي: "لا تسأل ماذا يفعل لك وطنك. اسأل ماذا تفعل أنت لوطنك."

جبران حول العالم:

مثل أشياء كثيرة رئيسية في الثقافة الأمريكية، انتشرت خليل جبران في العالم بسبب قوة، وأهمية، وإثارة، وحرية، وإبداع الثقافة الأمريكية. مثلا:

أولا: في سيمفونية عزفتها فرقة الصرب السيمفونية.

ثانيا: في غنية "بيتلز" (الخنافس) البريطانية: " نصف ما أقول بدون فائدة، لكنى أقوله ليصلك النصف الثاني")

ثالثا: في ألبوم الأسترالي (من أصل مصري) جوزيف تادرس.

رابعا: في باكستان، اصدر نلوفر شاهد، مصمم أزياء، مجموعة أزياء تحت اسم "خليل جبران."

خامسا: في بوغارست، عاصمة رومانيا، توجد "حديقة خليل جبران".

سادسا: في كنتيبه، في البرازيل (حيث جالية عربية كبيرة) توجد "حديقة خليل جبران"، وفيها تمثال له.

ومن الكتب الأمريكية التي صدرت عن خليل جبران، وبعضها كتبه أقاربه، أو أميركيون من أصل عربي: "خليل جبران: حياته وعالمة": جين خليل جبران. "خليل جبران: قصة حياته": ألكسندر نجار. "خليل جبران وأمين الريحاني: من أنبياء الأدب الأميركي اللبناني": ناجي عويجان.

تحديث:

في سنة 2011، مرة أخرى، مشيت جزءا من شارع ماساجوستس، حتى النصب التذكاري لجبران خليل جبران. كانت مرت عشر سنوات على حضوري افتتاح النصب التذكاري. هذه هي سنة الذكرى الثمانين لوفاته. ومنذ بداية السنة، بدا الأمريكيون الاحتفال بالمناسبة. اشترك في الاحتفال موقع "قوقل" في الإنترنت، الذي أعلن السنة "عيد ميلاد خليل جبران". ووصف "قوقل" جبران بأنه "أكثر الشعراء بيعا لأشعاره في كل العالم، بعد وليام شكسبير البريطاني (توفى سنة 1616) والصيني لاو تزو (توفى في القرن السابع قبل ميلاد المسيح)."

وأضاف الموقع: "اشتهر جبران أكثر وسط الناطقين باللغة الانجليزية بسبب ديوان شعره "النبي" الذي كان مثالا مبكرا في الثقافة الانجليزية الحديثة عن أشعار الإلهام. ورغم أن الديوان لم يجد إقبالا كبيرا عندما صدر، اشتهر في وقت لاحق، خاصة خلال ستينات السنة الماضية، كجزء من الثقافة الأمريكية المضادة، التي ركزت على العدل والحب في وقت مواجهة قضايا أساسية مثل حرب فيتنام، والتفرقة العنصرية، وظلم المرأة."

ووضع "قوقل" عيد ميلاد جبران (1883) في قائمة أعياد أدباء مشهورين عالميا، مثل: الفرنسي جان بول سارتر، والشيلي بابلو نيرودا. ويوم ذكرى وفاته، وضع "قوقل" صورة جبران داخل اسم "قوقل" في أعلا صفحته. (عادة، يضع صورا ورموزا مع أسمائها، حسب المناسبات، مثل: الكرسماس، وعيد الاستقلال الأمريكي، وحفلات "هالاوين" التنكرية).

وخلال الحفل أمام النصب التذكاري، وفي حفل آخر أقيم في مكتبة الكونقرس، قابلت بعضا من أحفاد جبران.

أهم واحد وسطهم: كحليل جبران، والده نيكولاس جبران، ووالدته روز جبران، بنت أخ خليل جبران (غير "كحليل" اسم "خليل" حتى يختلف عن اسم عمه). وهو فنان نحات في بوسطن (ولاية ماساجوستس). وكتب كحليل جبران وزوجته جين جبران كتابا عن قصة حياة خليل جبران.

وأيضا، نحت كحليل النحات تمثالا لجده، موجود في حديقة في بوسطن. وزرته مرة عندما ذهبت إلى بوسطن.

أخيرا:

ربما لا تبدو أن هناك صلة بين مهاجر سوداني ومهاجر لبناني إلى أمريكا. لكن، يرى هذا السوداني نفسه مسلما أمريكيا عربيا إفريقيا. لحسن حظه، الإسلام في كل مكان (وطبعا، الله في كل مكان). لكن، ليست العروبة في كل مكان. موطنها هو بلاد العرب، وكلما يتبعد العربي من بلاد العرب جغرافيا، يتبعد منها ثقافيا وفكريا (وروحيا أيضا، فالعروبة عقل وروح).

لهذا، اهتممت (في الحقيقة، "استنجدت") بعرب أميركا، خاصة الأدباء والصحفيين. وعلى رأسهم جبران.

بالإضافة إلى هذا السبب الثقافي، هناك سبب شخصي:

في سنة 1974، عندما قابلت الطالبة الأمريكية الجميلة الشقراء الهادئة التي كانت تدرس في كلية التمريض في جامعة أنديانا الأمريكية (وكنت أدرس أنا في قسم الدراسات العليا في كلية الصحافة في نفس الجامعة)، وبعد أن توثقت علاقتنا، أهدتني كتاب "النبي"
وكتبت عليه: "أنا سعيدة لأنك جئت إلى أمريكا، حتى أقع أنا في حبك. لكنى لا أريد لك أن تنسى ثقافتك وأصلك. أمل أن يساعدك هذا الكتاب على ذلك."

الآن، في سنة 2012، بعد أربعين سنة تقريبا، أرى كتاب "النبي" على رف في مكتبي.

هياتزفيل (ولاية ماريلاند) : عيد الموتى



(اقرأ: أوكي، أشهر عبارة في العالم).

(اقرأ: الجنازة والدفن).

(اقرأ: تأبين الموتى).

في سنة 1998، جئت إلى هياتزفيل (ولاية ماريلاند)، شمال العاصمة واشنطن، على مسافة ساعة تقريبا من منزلي في بيرك (ولاية فرجينيا)، جنوب العاصمة واشنطن.

جئت مع ولدي، وبنتيي، ومجموعة من أصدقائهم وصديقاتهم. جئنا، بعد أن غربت الشمس، إلى مكان كبير، مسور، ومظلم. واشترينا تذاكر عند الباب. وقضينا ساعة تقريبا نمشي من زقاق إلى زقاق، ومن غرفة مظلمة إلى غرفة مظلمة، وأحيانا وسط أشجار كثيفة مظلمة. وأحيانا داخل نفق مظلم.

***

كان الهدف هو تخويفنا. وخفنا كلنا. وصرخنا صرخات الخوف (وأحيانا، بعد ذلك، ضحكات عالية، سخرية من خوفنا).

في كل ركن، وفي كل غرفة مناظر وأصوات مخيفة: جثث، وهياكل بشرية، ودماء، وناس معلقون من مشانق، وناس يذبحون مثل ذبح الخراف، ورؤوس مقطوعة، وأذرع، وسيقان، وغرفة عمليات يختنق فيها مريض وهو يستنجد، ودم يسيل، ودم على ملابس الأطباء والممرضات، وغرفة تحنيط، وغرفة غسل موتي، وغرفة تعذيب مجرمين.

وكانت الموسيقى المخيفة في كل مكان. وكانت هناك تسجيلات صوتية من أفلام سينمائية مخيفة. وشاشات سينمائية تعرض أفلاما مخيفة، مثل: "دراكيولا" و "الجمعة يوم 13". وغطى المكان ضباب صناعي، يجعل الشخص لا يقدر على رؤية من شخص أو شيء قريب منه. ومع الضباب، أشباح، وثعابين وعقارب بلاستيكية عملاقة، هنا وهناك. بعضها يتحرك ببطاريات كهربائية. وبعضها يحدث أصواتا مفزعة.

يوم "هالاوين":

كانت الليلة ليلة "هالاوين"، عيد الموتى السنوي، وهو دائما آخر يوم في شهر أكتوبر.

كل سنة، بعد غروب الشمس، يزور الأولاد والبنات، وأحيانا بصحبة كبار، أماكن التخويف، والمقابر، والمنازل المهجورة.

ويدق الصغار على أبواب بيوت جيرانهم ومنطقتهم. ويطلب كل واحد "هدية" من صاحب كل بيت. ويهدده، إذا لم يفعل ذلك، بالشرور وعواقب الأمور. لكن، يلبي صاحب كل بيت الطلب في سعادة. ويقدم حلوى لكل واحد (وكان أستعد مسبقا، وأشترى كميات كبيرة من الحلوى).

وبينما يحتفل الأمريكيون (والأوروبيون) بهذه المناسبة التي تركز على الخوف والشر، تحتفل شعوب في أمريكا الجنوبية بمناسبة مشابهة، لكنها تركز على الحب والروابط العائلية.

هذه هي "ديا دي ميرتو" (يوم الموتى) الذي تتذكر فيه كل عائلة موتاها. وتطبخ وجبة خاصة بهم. وتختار أنواع الطعام التي كانوا يحبونها. وتزور قبور موتاها. وتضع طعام الميت المفضل على قبره ليأكله. (لكنه، طبعا، لا يأكله). وربما لهذا، مؤخرا، غيرت عائلات كثيرة عادة ترك الطعام في المقابر، وصارت تقتصر على احتفالات في البيوت.

ويشبه "يوم الموتى" احتفالات في دول عربية:

يشبه "عشاء الموتى" في الأردن، حيث تذبح عائلات ذبائح، وتترحم على موتاها.

ويشبه "عشاء الميتين" في السودان، حيث يطوف أولاد الحي على بيوت الجيران، ويهددونهم بالكوارث والمصائب إذا لم يطعموهم.

ويشبه "قريقعان" في السعودية، حيث يطوف الأولاد على المنازل لجمع الحلوى.

"هالاوين":

يسمى الأمريكيون يومهم "هالاوين"، لكنهم يختلفون في تفسير معنى الكلمة:

يقول تفسير أن أصل الكلمة أسكتلندي: "ساوهين" (عيد الشمس). ويعود الاسم إلى ما قبل انتشار المسيحية في أوروبا، عندما كان الأوروبيون يعبدون الشمس، والقمر، وإله الماء، والرياح، والحرب، وغيرها.

ويقول تفسير ثان أن أصلها أيرلندي،"هالوتايد" (عشاء الأرواح، أو عشاء الموتى)، منذ قبل المسيحية أيضا، عندما كانوا يقدمون القربان لإله الموت، خوفا منه.

ويقول تفسير ثالث أن أصلها مسيحي، "أول هالوز" (كل القديسين). وأن البابا بونيفيس الرابع (في القرن السابع الميلادى) غير اسم يوم الموتى، الذي كانت تحتفل به الإمبراطورية الرومانية قبل المسيحية، إلى "أول هالوز".

وحدث نفس الشيء في أمريكا الجنوبية. ولكن بعد ذلك بستمائة سنة. وصل المبشرون الأسبان، ووجدوا أن الهنود الحمر يحتفلون بيوم الموتى، ويقدمون القربان إلى "مستيكاوهاتيل" (إله الموت). وحول المبشرون المناسبة إلى "عيد القديسين". لكن، استمر اسم "ديا دي مورتو" (يوم الموتى).

جماجم وعظام:

في أمريكا، ليلة "هالاوين"، يلبس كثير من الأولاد والبنات أقنعة جماجم أو هياكل بشرية، أو أشباح. لكن، يتنكر بعضهم في ملابس عادية، مثل أزياء ممرضات، أو عسكريين، أو رجال مطافي، أو رجال شرطة.

وحتى الكبار، يرتدي بعضهم أزياء نجوم سينمائية وتلفزيونية غير مخيفة، مثل "ميكي ماوس" و "سندريلا" و "بيضاء الجليد" و "الرجل الوطواط" و "الرجل العنكبوت".

وحتى الكبار، يتفننون في مساعدة أولادهم وبناتهم على تخويف الذين يدقون على أبواب منازلهم. ويضعون أمام منازلهم أشياء مخيفة، مثل: أشباح، وقطط سوداء، وبوم، ووطاويط، وأكفان موتى، وشواهد قبور.

ورغم أن أغلبية الكبار تقدم حلوى، يقدم آخرون تفاحا، أو برتقالا، أو أقلاما، أو حتى نقودا.

ومنذ سنة 1950، توزع اللجنة الأمريكية لدعم منظمة اليونسكو صناديق "هالاوين اليونسكو"، يحملها أولاد وبنات، ويدقون على الأبواب، وبدلا عن الحلوى، يجمعون تبرعات نقدية.

رجال الدين:

تهادن أغلبية رجال الدين الأمريكيين احتفالات "هالاوين"، رغم أن بعضهم ينتقدها، ويربطها بعصور الخرافة، والدجل، والشعوذة. وينتقدها أكثر رجال الدين المسيحيين الشرقيين، واليهود الأرثودكس.

ورغم قلة المدارس الإسلامية في أمريكا، تمنع أغلبيتها تلاميذها وتلميذاتها من الاشتراك في مناسبة يرونها وثنية (لا يعني هذا أن كل التلاميذ والتلميذات يستجيبون).

لكن رجال الدين المسيحيين البروتستانت يحتفلون بيوم القديسين. ويحيون مارتن لوثر، القس الألماني الذي وضع، يوم 31 أكتوبر سنة 1517، على باب كنيسة كاستيل (في ساكسوني في شمال ألمانيا) 95 تقريرا ضد تفسير الفاتيكان للمسيحية. كان ذلك بداية عصر الإصلاح الديني، التي أدت إلى عصر النهضة، ثم عصر التنوير.

لهذا يمكن القول أن هناك صلة بين جيوش الأولاد والبنات التي تجوب شوارع أمريكا، تخيف الناس، وتطلب هدايا "هالاوين"، وبين تطور الحضارة الغربية، لأن تقارير مارتن لوثر انتقدت سيطرة رجال الدين، وفسادهم، وتوزيعهم صكوك الغفران، وسيطرتهم على الملوك والأمراء.

رأسمالية "هالاوين":

مع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، أصبح "هالاوين" مثل الكرسماس، مناسبة تجارية تزيد إغراء الناس لشراء حلوى، وزينات، وملصقات، وازياء تنكرية ومخيفة. ولإقامة حفلات وسهرات.

كل سنة، يصرف الأمريكيون ثلاثة بلايين دولار على هذه الأشياء.

وقال د. رتشارد لاكمان، أستاذ علم الاجتماع في جامعة نيويورك، أن "الرأسمالية الأمريكية عرفت كيف تستغل أعياد الفرح وأعياد الخوف." لاكمان ليس غريبا عن نقد الرأسمالية لأنه كتب كتاب "رأسماليون غصبا عنا" عن تاريخ الرأسمالية في أوروبا، ثم في أمريكا.

وأجرت جامعة أوهايو استفتاء عن أهمية "هالاوين" في الثقافة الأمريكية، وقالت أغلبية الأمريكيين أنها تراه مناسبة لإسعاد الأطفال، ولا تحلل معانية التاريخية والفلسفية والدينية. قالت ذلك نسبة 73 في المائة.

وقالت نسبة 20 في المائة إنها تتحفظ على معاني المناسبة، وعلى التركيز على الخوف والعنف. ومعظم هؤلاء وصفوا أنفسهم بأنهم "محافظون".

وانتقدت المناسبة نسبة كبيرة من السود. لكن الذين اجروا الاستفتاء قالوا أن السبب ليس دينيا، ولكن لخطورة خروج الأولاد والبنات في شوارع المدن بعد غروب الشمس، خاصة في المناطق التي يسكن فيها السود، في إحياء المدن الفقيرة، والتي تنتشر فيها الجرائم وتجارة المخدرات.

تصدير "هالاوين":

ولاحظ لاكمان أن "هالاوين" وصل حتى إلى دول أسيوية، مثل كوريا الجنوبية، واليابان، والصين. كجزء من الثقافة الأمريكية. "بدون أن يتمعن هؤلاء في معناه، وخلفيته، أو إذا كان أصل المناسبة أيرلندي أو أسكتلندي أو مسيحي أو وثني." وأضاف: "اعتبروه، مثل شعوب كثيرة مولعة بالجانب المرح في الثقافة الأمريكية، مجرد مرح أمريكي، رغم الجماجم، والهياكل، والأكفان، وتماثيل الموتى."

وقال: "يقول المثل الأمريكي: التقليد هو أحسن أنواع الإعجاب. لهذا، نحن الأمريكيون يجب أن نحس براحة لأن شعوب العالم الأخرى تقلدنا. طبعا، نحن نفضل أن تقلدنا في أفعالنا الطيبة، لا أفعالنا السيئة. لا بأس من انتشار ساندوتشات "ماكدونالدر"، وبيتزا "دومينو"، وقهوة "ستارباك" و دجاج "كنتاكي". وأيضا "هالاوين". انه ليس عن الموت والحزن، بقدرما هو عن الحياة والمتعة."

وأخيرا:

كما توضح الصورة التي التقطت سنة 2012، منذ سنة 1988، اشترك في احتفالات "هالاوين" بمساعدة الأولاد على شراء أزياء مخيفة، والتجول معهم (عندما كانوا صغارا) في شوارع الحي الذي نسكن فيه.

خلال السنوات الأولى، تنكرت في زي طبيب أخرق (ملابس غرفة العمليات وعليها دم كثير). ثم صرت، وحتى اليوم، أتنكر في زي شبح.

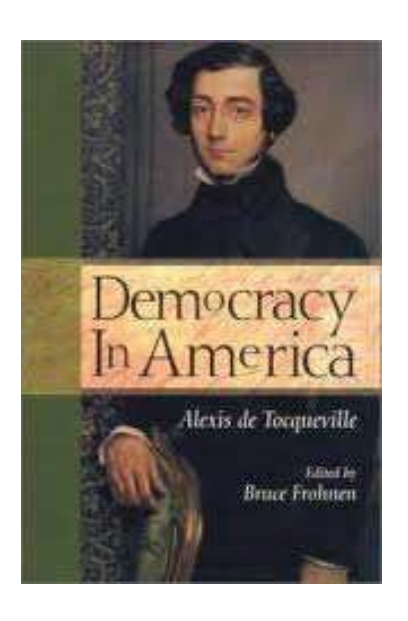
اشتريت قطعة قماش بيضاء كبيرة، ووضعت عليها فتحتين لعينيي. ووضعت على يدي قفازين في صورة أصابع بشرية. اجلس عند مدخل منزلنا. ولا أتكلم أبدا. وفي يدي وعاء به مختلف أنواع الحلوى (مثل: "سنيكرز" و "ميلكي واي"). وعندما يقترب أولاد وبنات، أعطى كل واحد قطعتين أو ثلاث قطع.

لابد أنني أجدت التنكر. وذلك لأنه، خلال سنوات كثيرة، لاحظت أنني أخيف كثيرا، خاصة صغار السن، يخافون حقيقة. ولا يعتقد بعضهم أنني إنسان. وفي فضول، يقترب صغار منى، ويحاولون النظر إلى داخل فتحتي عيني. أو يضعون أصابعهم في فتحة العين ليتأكدوا. أو يسألون: "آر يو ريل أو قوست؟" (هل أنت إنسان أو شبح؟). وخلال كل هذا، أنا صامت لا أتكلم أبدا.

أحيانا، عندما يخاف صغير خوفا حقيقيا، ويرفض الاقتراب منى، أحرك يدي مرحبا به، وأقدم له الحلوى.

صرت أشتاق للمناسبة، واستمتع بها، لأنها، طبعا، مرح برىء. وسمعت كثيرا من الثناء والإعجاب من الكبار الذين يرافقون صغارهم (بدون أن يعرفوا حقيقتي أيضا). يسعدهم أنني أخيف أولادهم وبناتهم في ليلة "هالاوين".

في شارلوتفيل (ولاية فرجينيا) : الاستعلاء الأمريكي



(اقرأ: الحلم الأمريكي).

(اقرأ: مانفستو القدر).

(اقرأ: الدولة المسيحية).

في سنة 2005، جئت إلى شارلتوفيل (ولاية فرجينيا)، حيث جامعة فرجينيا، بمناسبة احتفال قسم الدراسات الأمريكية بمرور مائتين سنة على ميلاد الكيس دى توكفيل، الكاتب الفرنسي الذي ولد سنة 1805. وفي سنة 1835،

جاء إلى الولايات المتحدة، وقضى خمس سنوات، زارها شرقا وغربا، وشمالا وجنوبا. وكتب كتاب "الديمقراطية في أمريكا"، واحد من أحسن ما كتب أجنبي عن أمريكا. وصف الكتاب مختلف جوانب الحياة الأمريكية في ذلك الوقت، وخاصة الحرية، والفردية، والإبداع. وقال أن الشعب الأمريكي نوع من الشعوب لم ير التاريخ مثله من قبل. وكتب:

"وضع الشعب الأمريكي استثنائي. ويمكن القول إنه لن يجد أي شعب في العالم نفسه، أبدا، في وضع الشعب الأمريكي."

وتعتبر هذه أول إشارة إلى كلمة "أكسيبشناليزم" (الاستثنائية) التي صار كثير من الأمريكيين، وخاصة الجمهوريين والمحافظين، يستعملونها خلال السنوات القليلة الماضية كنوع من أنواع الفخر. رغم أنه فخر فيه استعلاء وعظمة.

خلفية تاريخية:

كتب الصحافي الأمريكي مارتن ليبست مؤخرا: "تطور الفكر في أمريكا على أسس: الحرية والمساواة، والفردية. ويرجع هذا التعريف إلى ألكسيس دي توكفيل ، أول من وصف الولايات المتحدة بأنها "استثنائية". وقال ليبست إنه من المفارقات أن نفس "الاستثنائية" استعلمها شيوعيون أمريكيون في سنة 1920، بعد نجاح الثورة الشيوعية في روسيا، وانتقال الفكر الشيوعي إلى أمريكا. قالوا أن "استثنائية" أمريكا تجعلها أفضل مكان لنشر الشيوعية.

وكتب البرت فرايد في كتابه "الشيوعية في أمريكا": "كتب شيوعيون أمريكيون أن الولايات المتحد دولة عذراء. مواردها الطبيعية ضخمة، وقدرتها الصناعية عملاقة، والفوارق الطبقية ليست جامدة." أي أنها ناضجة لنشر الشيوعية فيها.

لكن، قبل ذلك بثلاثمائة سنة، كتب واحد من أوائل المثقفين الأمريكيين، جون ونثروب، في سنة 1630، عن "سيتي اون ذا هيل" (مدينة على التل). كان مثقفا، وكان رجل دين. وكان يقول، قبل مائة وثلاثين من استقلال أميركا، أن أمريكا يجب أن تكون "مدينة تطل على التل."

هذه عبارة من الإنجيل، منسوبة إلى عيسى المسيح، أشار إليها في "خطبته الدينية على التل"، في آخر أيامه. وكان ونثروب يعنى أن أمريكا يجب أن تكون دولة مثالية، ليست مثل أي دولة.

وفي الوقت الحاضر، مثلما يستعمل أمريكيون محافظون، أو استعلائيون، عبارة الكس دي توكفيل "الاستثنائية"، يستعملون أيضا عبارة "مدينة تطل على التل" لتأكيد وجهة نظرهم. يعنى هذا إنهم يريدون أن يكون لرأيهم أساس ديني.

ثلاث تيارات:

كتب ليبست أن هناك ثلاث تيارات وسط "الاستثنائية الأمريكية":

أولا: الديني: الذي يرى في الحلم الأمريكي ترجمة لحلم عيسى ابن مريم ب "مدينة على التل"، يعم فيها السلام والخير.

ثانيا: العرقي: الذي يعتمد على اعتقاد الأنقلوساكسونيين (الأغلبية المسيحية البيضاء) بأنهم العرق الأفضل. ولهذا، يقع على عاتقهم تطبيق هذا الهدف الأفضل.

ثالثا: التاريخي: الذي يقول أن أمريكا هي تطور منطقي للتطور الحضاري في أوروبا.

لكن، قدم مايكل أيقناتييف، مؤلف كتاب "الاستثناء الأمريكي وحقوق الإنسان"، تفسيرا اقل مسيحية، واقل عنصرية. وهو أن الشعب الأمريكي يختلف عن الشعوب الأخرى لأنه: "خليط من كل الشعوب. من ناس جاؤوا من جميع أنحاء العالم، يبحثون عن الحرية، والحقوق الطبيعية، وسيادة القانون، والفضائل الأخلاقية، والصالح العام، والتعامل النظيف، والملكية الخاصة، والحكومة الدستورية."

الاستعلاء":

لكن، لا يمكن التقليل من إحساس "الاستثنائية" وسط الشعب الأمريكي. ومؤخرا، أوضحت دراسة أجراها قسم الدين والمعتقدات في معهد "بروكينقز" في واشنطن أن ستين في المائة من الأمريكيين أجابوا بالإيجاب على الجملة الآتية: "الله أعطي أمريكا دورا خاصا في تاريخ البشرية."

ربما كان التأييد سيكون أقل لو كان السؤال عن "استثنائية" أو "استعلاء" أو "استكبار". وذلك لأن هذه كلمات قوية. ولان الأمريكي، بطبيعته، يريد أن يفتخر بنفسه، بدون أن يؤذي مشاعر الآخرين. لهذا، تبدو كلمة "دور خاص" أقل إساءة إلى الآخرين.

لكن، تظل كلمات "استثنائية" و "استعلاء" و "استكبار" تعيش، وتنمو، وتمرح، وتفتخر، وتنشد، وتغنى، في أعماق الشعب الأمريكي. لأنهم يرون وطنهم أكثر بلاد العالم حضارة.
وفي نفس كتاب إيقناتييف، سؤال عن تعريف "حضارة". وعرفها بأنها: أولا: تعليم وعلم. ثانيا: حرية وعدالة. ثالثا: قوانين وأنظمة. رابعا: عمل شاق (وترفيه يعوض عنه).
تحديث:

في سنة 2008، مع دخول الرئيس باراك أوباما البيت الأبيض كأول رئيس أسود، ظهر نوع من "العنصرية الخفية" ضده. طبعا، انتهت سنوات التفرقة العنصرية العامة، لكن تبقى أحاسيس عنصرية في أعماق كثير من البيض (وفي أعماق كثير من السود نحو البيض).

وظهر "حزب الشاي" (الجناح اليميني في الحزب الجمهوري). وليس سرا أنه لا يخلو من "عنصرية خفية"، وعدم رضا عن وجود رئيس اسود في البيت الأبيض. غير أن هذه العنصرية الخفية قدمت في صورة ميل نحو اليمين. وتمثل هذا في أشياء أخرى، مثل: زيادة دور المسيحية، معارضة الإجهاض، تخفيض دور الحكومة، زيادة دور البنوك والشركات الكبيرة.

وعاد هؤلاء إلى ماضي أمريكا، وقالوا إن فلاسفة وسياسيين أمريكيين، منذ تأسيس الولايات المتحدة، تحدثوا عن أن أمريكا دولة "استثنائية".

وهكذا، دخلت الكلمة في النقاش وسط المثقفين الأمريكيين. وكما يفسرها مثقفون يمينيون، معناها أن الثقافة الأمريكية هي الأعلى والأحسن.

ليس ذلك فقط. يقول هؤلاء إن الثقافة الأمريكية يجب إلا تقارن مع الثقافات الأخرى، لأنها "اكسبشنال" (حالة استثنائية). ومع تفسيرهم، أعلنوا تهديدات خفية:

أولا: كل أمريكي يقول غير ذلك "خائن."

ثانيا: كل أجنبي يقول غير ذلك "جاهل."

ثالثا: كل أجنبي يقيم في أميركا ويقول غير ذلك "يجب أن يعود إلى من حيث اتى."

وكتبت صحيفة "واشنطن بوست" في تقرير عن الموضوع: "يوجد عدد ليس قليلا من الأمريكيين يقول أن الولايات المتحدة هي الأرفع عن بقية شعوب العالم. وان هذا شيء طبيعي." يعني هذا أن الأمريكيين يجب ألا حتى يتناقشوا في الموضوع، ناهيك عن أن الشعوب الأخرى تشترك في هذا النقاش.

كتب عن الموضوع:

مؤخرا، صدرت كتب عن هذا الموضوع، منها:

الأول: كتاب ميت رومني، مرشح الحزب الجمهوري لرئاسة الجمهورية سنة 2012 : "نو أبولوجي" (لا اعتذار: دفاع عن العظمة الأمريكية). وكتب في مقدمته: "كل من يحاول تغيير الاستثنائية الأمريكية مضلل ومفلس."

الثاني: كتاب مايك بانس، عضو الكونقرس من ولاية أنديانا: "ريستورينق أميركان أكسبشيناليزم (استعادة الاستثنائية الأمريكية: الطريق نحو نمو اقتصادي وازدهار).

الثالث: كتاب سارة بالين، حاكمة ولاية ألاسكا السابقة، وكانت ترشحت نائبة لرئيس الجمهورية سنة 2008: "أمريكان فرم هارت" (أمريكية من القلب). وفيه فصل عنوانه: "أمريكا الاستثنائية."

الرابع: كتاب نيوت غينقرتش، زعيم مجلس النواب السابق: "ريال جينج" (التغيير الحقيقي: قتال من أجل مستقبل أمريكا). وفيه فصل عن "الاستثنائية في ماضي أمريكا."

الخامس: كتاب مايك هاكابي، كان حاكما لولاية أركنسا، وينتمي إلى الجناح اليميني في الحزب الجمهوري: "سيمبول قوفرنمنت" (حكومة بسيطة).

أوباما و "الاستثنائية":

في هذه الكتب لا توجد إساءة إلى الرئيس أوباما بسبب لونه. ولا توجد عبارات عنصرية. لكن، توجد اتهامات خفية وغير مباشرة.

في كتابه، كتب هاكابي: "تختلف نظرة أوباما إلى العالم عن أي رئيس قبله، ديمقراطي أو جمهوري. انه، ويا للويل، ينفي الاستثنائية الأمريكية. ألا يعرف رئيس هذه الأمة إنها قلب وروح هذه الأمة ".

وهكذا يبدو أن "الاستثنائية" لم تأت صدفة بعد أن صار لأمريكا أول رئيس اسود. وعن هذا قال وليام غالستون، خبير في الشئون الثقافية الأمريكية في معهد "بروكنقز" في واشنطن: "يوجد تساؤل محترم وسط عدد من المثقفين المحافظين عن إذا كان أوباما واحدا منا.".

الاستثنائية والقوة:

وربما ساهم أوباما نفسه في جلب هذه المصائب عليه. خلال زيارة إلى بريطانيا بعد أن صار رئيسا، سأله مراسل صحيفة "فاينانشال تايمز" البريطانية: "هل أنت من مدرسة الاستثنائية الأمريكية؟ هل ترى أن أمريكا مؤهلة على نحو فريد لقيادة العالم؟"

كان واضحا أن الصحافي البريطاني له مآرب أخرى من وراء سؤاله. وأجاب أوباما: "أؤمن بالاستثنائية الأمريكية، مثلما أن البريطانيين يؤمنون بالاستثنائية البريطانية، واليونانيين يؤمنون بالاستثنائية اليونانية".

وهكذا، صارت "استثنائية" أوباما معتدلة، وهي أن كل شعب يرى نفسه "استثنائيا."

لكن، هب عليه الجمهوريون والمحافظون. وكانت سارة بالين من أوائل الذين سارعوا وانتقدوا أوباما، وكتبت: "أوباما يقول إنه، في نهاية المباراة، يجب أن ينال كل لاعب جائزة، حتى لا نؤذي مشاعر الذين لا يستحقون جائزة. أنا أقول: نعطى الجائزة للأحسن."

لكن، كان جيمس ويلسون، مثقف مرموق، أقل تطرفا. وكتب: "الذنب ليس ذنب أوباما. الذنب ذنب الرئيس السابق بوش الابن الذي استخدم القوة لنشر المبادئ الأمريكية الاستثنائية (إشارة إلى غزو أفغانستان والعراق). وقال ويلسون:

أولا: "إذا كان الفكر الأمريكي استثنائيا حقيقة، لا يحتاج للقوة لنشره."

ثانيا: "يجب ألا تكون القوة جزءًا من الفكر الأمريكي، ناهيك عن الاستثنائية الأمريكية."

في جامعة جونز هوبكنز (ولاية ماريلاند):

فؤاد عجمي ، المهرول



(اقرأ: ادوارد سعيد، المناضل)

(اقرأ: عملاء أمريكا)

في سنة 2006، جئت إلى جامعة جونزهوبكنز (ولاية ماريلاند) لسبب ليست له صلة بالبروفسير فؤاد عجمي، رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط في الجامعة. خلال كل هذه السنوات في واشنطن، لم أقابل عجمي. لكن، مما سمعت وشاهدت وقرأت، وصلت إلى رأي سلبي نحوه بسبب تأييده القوي والمستمر (خاصة في الإعلام الأمريكي) للتدخل الأمريكي (خاصة العسكري) في الدول العربية والإسلامية.

وإذا كان البروفسير إدوارد سعيد (اقرأ الموضوع الخاص به) مناضلا، فإن عجمي ليس مثله بالتأكيد.

قابلت سعيد مرات كثيرة حتى وفاته سنة 2003. لكن، حتى سنة 2012، لم أقابل عجمي.

وعلى أي حال، وجدت فرقا كبيرا بين الأستاذ الجامعي المسيحي الذي دافع عن المسلمين، وبين الأستاذ الجامعي الشيعي الذي يؤيد قتل أمريكا

للمسلمين في ديارهم.

إذا وصفت سعيد بأنه "مناضل"، بماذا أصف عجمي؟

هل أقول انه "خائن"؟ هذا وصف الغاضب الحزين، وفي الوصف ربما مبالغة، واندفاع عاطفي.

هل أقول انه "جاهل"؟ هذا أستاذ جامعي قدير، ومن أميركيين قلائل يكتبون عن الشرق الأوسط كتابات أكاديمية.

ربما "منافق". لكنى، خوفا من إصدار حكم حاسم، أفضل "متملق". لماذا؟ لأنه مثل الذي يعرف الحق، لكنه يتجاهله لخدمة أهداف شخصية.

لماذا "متملق"؟:

أولا: ربما لأنه أجنبي، يحس بعقدة النقص، وبهرته حضارة أمريكا، ويريد إرضاء أهل البلد (مثل كثيرين وسطنا، نحن الجيل الأول من المهاجرين).

ثانيا: ربما لأنه طموح، يريد الظهور في التلفزيونات والإذاعات والندوات (ويعرف جيدا أن أسهل طريق هو السير مع موجة العداء للإسلام والمسلمين).

إدوارد سعيد:

سهلة جدا المقارنة بين فؤاد عجمي وإدوارد سعيد.

آخر مرة شاهدت فيها ادوارد سعيد في برنامج مقابلات تلفزيوني رئيسي كان بعد أقل سنة من هجوم 11 سبتمبر، وإعلان الرئيس السابق بوش الابن ما سماها "الحرب ضد الإرهاب". قال سعيد كلاما شجاعا ضد بوش وضد حربه. وقلت لنفسي: "مرحى، مرحي، إدوارد." لكن، بعد ذلك وحتى توفي سنة 2003، لم أشاهده في برنامج تلفزيوني. وصار واضحا أن السبب هو أن رأيه "شاذ".

عكس فؤاد عجمي. صار يطبل ليلا ونهارا للرئيس بوش ولحروبه. ويظهر في برامج تلفزيونية، وإذاعية، وندوات، ومحاضرات. بل مقابلات مع كبار المسؤولين على اعتبار أنه واحد من المستشارين. (لسنوات، كان مستشارا رسميا لوزيرة الخارجية كونداليزا رايس (في عهد الرئيس بوش الابن). وربطته علاقة قوية مع اليهودي بول ولفووتس (نائب وزير الدفاع خلال نفس الفترة).

كلوفيس مقصود:

وهناك مناضل آخر: د. كلوفيس مقصود، الصحافي، والأكاديمي، والدبلوماسي، والقومي العربي المتحمس.

في ستينات القرن الماضي، وأنا طالب في جامعة الخرطوم، وصحافي متعاون مع صحيفة "الصحافة" السودانية، قرأت له كواحد من قادة القومية العربية، وكبار مؤيدي الرئيس المصري جمال عبد الناصر.

وفي سنة 1972، وأنا صحافي متفرغ مع صحيفة "الصحافة"، وخلال زيارة إلى الهند، قابلته، وكان سفير الجامعة العربية هناك.

وفي سنة 1980، عندما جئت إلى واشنطن، كان سفير الجامعة العربية هنا. قابلته مرات كثيرة، وزاد إعجابي به، وفخري به، وبنفسي، كعربي واثق من عروبته، رغم العداء للعرب والمسلمين في الولايات المتحدة.

وبعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، طبعا، زاد هذا العداء للعرب والمسلمين.

ومرة، شاهدت مقصود في التلفزيون، في برنامج كان يقدمه الأسود الجمهوري، الآن كيز. استغربت كيف يقدم هذا هذا. ولم يدم استغرابي طويلا لان كيز بدا برنامجه بهجوم شديد على العرب والمسلمين، ودفاع قوى عن إسرائيل. وعندما جاء دور مقصود، قال: "هل انا في استوديو تلفزيون في واشنطن، أو في أستوديو تلفزيون في تل أبيب؟". وعندما انتقده كيز على كلامه هذا، خلع السماعة من أذنه، وغادر الأستوديو.

لهذا، ادوارد سعيد وكلوفيس مقصود، خلال كل سنواتي في واشنطن، يدعواني لأفتخر، ليس بهما فقط، ولكن، أيضا، بنفسي. (وأنا العربي الذي يصارع هذا العداء الأمريكي الجارف). ثم أن الاثنين مسيحيان. (وأنا مسلم القرية المتشددة، حيث يعتبر كل غير مسلم "كافرا").

خلفية تاريخية:

ولد فؤاد عجمي سنة 1945 في أرنون، في جنوب لبنان، في عائلة شيعية، وهاجر جده الأكبر إلى لبنان من تبريز، في إيران، قبل ولادته بمائة سنة تقريبا. وهاجر هو إلى الولايات المتحدة وهو في الثامنة عشرة من عمره. ودرس في كلية في ولاية اوريقون. ثم في جامعة واشنطن حيث نال دكتوراه في العلاقات الدولية. ثم عمل أستاذا في جامعة برنستون. ثم في جامعة جونزهوبكنز.

في البداية، كان معتدلا في آرائه السياسية. لكن، بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، صار من كبار مؤيدي الرئيس بوش الابن. وصار مستشارا رسميا لكونداليزا رايس، وزيرة الخارجية.

وفي سنة 2006، وأنا في جامعة جونز هوبكنز التي يدرس فيها عجمي، ذهبت إلى مكتبة بيع الكتب، واشتريت آخر كتب عجمي: "فورينار قيفت" (هدية الأجنبي). كنت قرأت عن الكتاب، ولم أستغرب، لأنه تكرار لآراء كتبها عجمي سابقا أيد فيها غزو أفغانستان، وغزو العراق، وما تسمى "الحرب ضد الإرهاب" التي أعلنها الرئيس السابق بوش الابن، والتي وصلت إلى قناعة بأنها حرب غير مباشرة ضد المسلمين، إن لم تكن ضد الإسلام.

عجمي وغزو العراق:

قبل غزو العراق، كتب عجمي رأيا عنوانه: "مرحبا بالنسر الأمريكي في أرض العرب." وقال فيه أن سبب غزو العراق هو: "غضب الأميركيين العميق من ثقافة الإرهاب التي زرعت جذورها في الدول العربية." وحمل عجمي "الجيل الجديد من الشباب الإسلاميين" المسؤولية. وقال إنهم "رجال صغار لا يمكن العطف عليهم، ولا على الثقافة التي ربتهم." لم يؤيد عجمي غزو العراق عندما وقع، أيده قبل أن يقع بسنتين.

قبل الغزو بسنة، قال ديك شيني، نائب الرئيس الأمريكي، ومن كبار الذين أيدوا الغزو، وحرصوا على تنفيذه: "يتحدث البعض عن موقف الشارع العربي، وها هو الشارع العربي، متمثلا في فؤاد عجمي، أستاذ دراسات الشرق الأوسط، يقول: "بعد تحرير العراق، ستمتلئ شوارع بغداد والبصرة بمظاهرات الفرح."

عجمي وهنتنقتون:

في البداية، انتقد عجمي كتاب "صراع الحضارات" الذي كتبه (سنة 1996) الأستاذ الجامعي الأمريكي صمويل هنتنقتون. لكن، بعد هجوم 11 سبتمبر (سنة 2001)، وبعد أن أعلن الرئيس السابق بوش الابن "الحرب ضد الإرهاب"، وبعد غزو أفغانستان، وبعد غزو العراق، غير عجمي رأيه نحو الكتاب. وأيد عجمي أساس نظرية "صراع الحضارات"، وهي أن الإسلام يهدد الحضارة الغربية.

كان هنتنقتون ركز على وجود صراع ثقافي (وديني أساسا)، وليس صراع دول، بين الحضارات. وكتب عن "ويست أند ريست" (الغرب وغير الغرب). عن ثماني حضارات: الغربية، الأرثودكسية (روسيا وشرق أوروبا)، الإفريقية، الأميركية اللاتينية، الإسلامية، الهندية، البوذية، اليابانية. وقال أن هذه الحضارات تواجه الحضارة الغربية التي تقف وحيدة. وأن الحضارة الإسلامية تستيقظ. وتدريجيا، تشكلا خطرا على الحضارة الغربية. وكتب: "كان صراع القرن العشرين بين الديمقراطية الغربية والشيوعية صراعا عابرا. الصراع الدائم هو الذي بين الإسلام والمسيحية."

في نفس سنة نشر الكتاب، رد عجمي بان الصراع بين الحضارات هو صراع دول، لا صراع أديان. وان تأثير العلاقات الدينية سيقل مع زيادة العولمة والعلمانية. وكتب: "لا تسيطر الحضارات على الدول، تسيطر الدول على الحضارات."

عجمي بعد 11 سبتمبر:

لكن، بعد هجوم 11 سبتمبر (سنة 2001)، غير عجمي رأيه في كتاب "صراع الحضارات."

وكتب، معتذرا، بأن صراع الحضارات، نعم، صراع ثقافات، وصراع أديان. وشن هجوما عنيفا على الصحوة الإسلامية.

وكتب: "صار التسعة عشر عربيا مسلما الذين قاموا بهجوم 11 سبتمبر رمز الصحوة العربية الإسلامية." وكتب: "بدلا عن تحديث المسلمين، صار المسلمون يريدون أسلمة التحديث." وكتب: "لا توجد حضارة عالمية واحدة غير في أذهان الذين يجتمعون كل سنة في منتجع دافوس (في سويسرا) من صفوة رجال الأعمال، والأكاديميين، والتكنوقراطيين." وقدم جدولا عن زيادة نفوذ (خطر؟) الإسلام:

أولا: مع بداية القرن العشرين، كان الغرب يسيطر على قرابة نصف سكان العالم (الدول الغربية ومستعمراتها). وكان الإسلام يسيطر فقط على أربعة في المائة من سكان العالم.

ثانيا: مع بداية القرن الحادي والعشرين، صار الغرب يسيطر على عشرة في المائة فقط من سكان العالم، وصار الإسلام يسيطر على ثلاثة عشرة في المائة.

ثالثا: في منتصف القرن الحادي والعشرين، سيظل الغرب يسيطر على عشرة في المائة من سكان العالم، وسيصير الإسلام يسيطر على ثلاثين في المائة من سكان العالم.

لم يقدم عجمي هذه المعلومات فخرا بالإسلام.

كتب: "رغم الصحوة الإسلامية، لا يزال الإسلاميون لا يعرفون كيف يحكمون." وشن هجوما عنيفا على "شباب المسلمين الذين يهاجرون إلى أوروبا (مثل محمد عطا، قائد هجوم 11 سبتمبر). لا ينتمي هؤلاء إلى الإسلام، ولا ينتمون إلى الغرب."

وأيد ما كتب هنتنقتون: "الإسلام سيظل الإسلام. لكن، هل سيظل الغرب الغرب؟" وقال: "نحن (يعتبر نفسه غربيا) لا نريد أن نفهم هذه النظرة السوداء، وربما الحقيقية."

تحديث:

في سنة 2012، بعد عشر سنوات تقريبا من غزو العراق، لم يغير عجمي رأيه. ويظل ينتقد الرئيس باراك أوباما لأن أوباما ركز على سحب القوات الأميركية من العراق (ولأنه، عندما كان سناتورا، عارض الغزو).

وعندما بدأ "ربيع العرب"، كتب عجمي: "يدين العرب لمبدأ الديمقراطية الذي دعا له الرئيس بوش الابن (كعذر لغزو العراق) لهذا، يقدر بوش على أن يقول أنه "أبو ربيع العرب".

وفي هذه السنة، أصدر عجمي كتابا جديدا هو "سيريان ريبليان" (التمرد السوري)، ولابد أن عجمي تعمد ألا يستعمل "سيريان ريفوليوشن" (الثورة السورية).

ورغم أن الكتاب أكاديمي، وفيه معلومات دسمة عن سوريا (من أستاذ جامعي عربي ولد في لبنان، ويعرف سوريا معرفة قوية) فيه انتهازية. في الكتاب، وفي مقابلات تلفزيونية وإذاعية وصحافية، ظهر عجمي وكأنه المدافع الأول عن ثورة سوريا (رغم أنه لم يسميها "ثورة"). وقال أن أوباما ليس جادا، ليس فقط حول سوريا، ولكن في كل سياسته في الشرق الأوسط.

وبدا عجمي وكأنه يشن حملة شخصية ضد أوباما. هل لان عجمي كان يؤيد الرئيس السابق بوش الابن؟ أو لأن أوباما عارض غزو العراق الذي أيده عجمي؟

كتب عجمي:

رغم تأييد عجمي للتدخل الأمريكي (خاصة العسكري) في الدول العربية والإسلامية، لا يمكن إنكار أهمية كتبه، وأهمية دوره الأكاديمي في الولايات المتحدة.

ومن كتبه:

أولا: "المأزق العربي" (تطور الفكر العربي خلال النصف الثاني من القرن العشرين).

ثانيا: "قصر أحلام العرب" (عن نفسه، وعن جيله).

ثالثا: "هدية الأجنبي" (دافع فيه عن غزو العراق).

رابعا: "الإمام المختفي" (عن اختفاء الإمام الشيعي موسى الصدر).

عبد الناصر:

كتب عجمي في مقدمة كتابه عن سوريا: "لأربعين سنة تقريبا، لم أزر سوريا، لكنى احتفظ بذكريات عنها. ولدت وتربيت في لبنان المجاورة. والدتي كانت متدينة، وهي الشيعية المتحمسة، كانت تزور كثيرا جامع السيدة زينب في ضواحي دمشق" وقال أنه زار دمشق كثيرا مع والدته وهو صغير. وأيضا لأن خالته كانت تسكن في دمشق.

وأشار عجمي إلى زيارات الرئيس المصري جمال عبد الناصر إلى دمشق، والوحدة بين مصر وسوريا، وإلهام عبد الناصر للجماهير العربية. وقال إنه كان يهرب من والديه ليذهب إلى الميدان الذي كان يلقى فيه عبد الناصر خطبًا نارية عن القومية العربية. ونوه إلى أن خلفيته الشيعية كانت لا تتفق مع قومية، وعروبة، وعلمانية عبد الناصر.

لكنه تذكر أيضا سجن المزة، رمزا الدكتاتورية العسكرية السورية. وقال إن الهاربين من هذه الدكتاتورية هربوا إلى لبنان، وتزوج بعضهم قريباته وأقرباءه.

وقال أن هذا الكتاب عن سوريا هو "إغلاق حلقة" بدأت في طفولته. وانه تتلمذ في الشئون السورية من آخرين كتبوا عنها، مثل: البريطاني باتريك سيل، ولبنانيين مثل: ألبرت حوراني، ماريوس ديب، فيليب خوري، ويهود مثل: دانيال بايبز، ايال زيسار، إتمار رابينوفتش. وأثنى كثيرا على الأخير والذي كان سفير إسرائيل في الولايات المتحدة.

وفي بداية الكتاب مقتطفات من قصيدة نزار قباني: "السيرة الذاتية لسفاح عربي "، منها: "أيها الناس: لقد أصبحت فيكم سلطانا عليكم. فاكسروا أصنامكم بعد ضلال. واعبدوني. إنني لا أتجلي دائما. فاجلسوا فوق رصيف الصبر، حتى تبصروني. اتركوا أطفالكم من غير خبز. واتركوا نسوانكم من غير بعل، واتبعوني. احمدوا الله على نعمته. فقد أرسلني كي أكتب التاريخ."

وأخيرا:

لا اختلاف مع عجمي في عروبته وإسلامه. ولا أقدر على قول أنه "خائن" أو "عميل". ربما من "المهرولين". كثير الثقة في أمريكا في الدفاع عن العرب والمسلمين.

لكن، يجب عليه أن يعرف أن أمريكا ترى أن مصالحها أهم من العرب والمسلمين. وان أميركا ليست إلا عاملا جديدا في مواجهة تاريخية بين المسلمين والمسيحيين بدأت مع ظهور الإسلام، وستستمر حتى يوم الدين.

دير «هولي كروس» (ولاية فرجينيا) : الهدوء



(اقرأ: الدولة المسيحية)

(اقرأ: الفردية)

(اقرأ: أم الفكر الأناني)

في سنة 2001، بدأت أحضر إلى هنا كل سنة تقريبا. إلى دير "هولي كروس" (ولاية فرجينيا). في عطلة نهاية الأسبوع، لقضاء باقي يوم الجمعة، ويوم السبت كله، والنصف الأول من يوم الأحد في صمت كامل.

إلى جانب الدير، يوجد فندق صغير جدا (عشر غرف)، ينزل فيه الذين يريدون الهدوء، ويتصرفون وكأنهم رهبان أو راهبات في الدير: هدوء، وصلاة، وتأمل.

ومن الكتب التي قرأتها عن هذا الموضوع، كتاب: "الصمت، والبساطة، والعزلة: دليل المعسكرات الروحية". ويقول في بدايته أن هناك فرقا بين "سايلنس" (صمت) و"كوايت" (هدوء). يقدر الإنسان على أن يصمت، لكن ليس

سهلا أن يصمت كل ما حوله.

لهذا، يبحث الإنسان عن الهدوء، وليس عن الصمت.

ولهذا، تعتمد تقاليد الدير على الاثنين: يحرص الإنسان على الصمت، ويأمل في الهدوء.

خلفيات دينية:

مثل مواضيع أساسية كثيرة في الثقافة الأمريكية، موضوع الصمت له جذور دينية. جاء في الإنجيل: "حتى الغبي، عندما يصمت، يعتبر حكيما، لان إغلاق الشفتين من علامات الحكمة."

وطبعا، الصمت من أسس الروحانية، ويستخدم كرمز للسكون الداخلي لمواجهة هجمات الأفكار ومشاغل الدنيا، وللتقرب نحو الذات الإلهية.

الصمت في البوذية للسماح للعقل للانطلاق نحو التنوير الروحي. والصمت في الهندوسية ينعكس على ممارسات مثل اليوقا. والصمت في اليهودية مرتبط مع الحكمة.

وطبعا، في القرآن الكريم آيات مثل: "واغضض من صوتك أن أنكر الأصوات لصوت الحمير." كما أن القرآن الكريم يدعو للصمت للتأمل في ملوك السماوات والأرض.

وطبعا، في الكنائس الأمريكية (وبقية بيوت العبادة) يفضل الصمت. غير أن الكنائس الأمريكية السوداء تميل نحو العكس، حيث يشيد الناس بالواعظ بأصوات عالية، ويرددون كلماته بعده، ويتحركون كثيرا، ويرقصون كثيرا. ويشير هذا إلى اختلاف ثقافي بين السود والبيض، حيث يميل البيض أكثر نحو الفردية والاستقلالية، بينما يميل السود أكثر نحو الروابط الاجتماعية.

جوديث مارتن:

في كتابها، "ستار سبانغلد مانرز" (أخلاق العلم الأميركي: أخلاق الأمريكيين)، قالت جوديث مارتن، صحفية في صحيفة "واشنطن بوست"،: "تعود جذور السلوك الأمريكي إلى أكثر من مائتي سنة. بعد أن أسس الآباء المؤسسون الولايات المتحدة، وضعوا أسس الأخلاق والتصرفات الاجتماعية الأمريكية. وضعوها على نفس الفكر الحر الذي أسسوا به الوطن."

وقالت أن للشخصية الأمريكية أساسين:

أولا: الحرية.

ثانيا: الفردية.

وان كل أمريكي يؤمن بأنه "ملك"، وأن منزله "قلعة". هذه إشارة إلى التاريخ الأوروبي القديم المليء بالملوك، والنبلاء، والقلاع. والذي تمرد عليه الأمريكيون.

وقالت مارتن: إن أساس السلوك الأمريكي هو الصمت. وان سبب هذا هو أن الحرية تقود إلى الفردية. والفردية تقود إلى الاستقلالية. والاستقلالية تقود إلى السيطرة على النفس. والسيطرة على النفس تبدأ بالسيطرة على اللسان، والسيطرة على اللسان (والتصرفات) تقوي سيطرة العقل. وسيطرة العقل تقوي التفكير العقلاني.

لهذا، تركز الثقافة الأمريكية على الهدوء، أن لم يكن على الصمت. وتدعو الأمريكي، قبل أن يتكلم، أن يفكر. وعندما يتكلم يوجز. وعندما يؤجز يركز على معلومة مفيدة.

وكلها، في نهاية المطاف، تقوى العقلانية، والتي يمكن أن تكون ظاهرة طبيعية أكثر منها تربية أو فلسفة أو نظرية.

الأتيكيت:

وقالت جوديث مارتن: "ليس سرا أن الأتيكيت (السلوك الحسن) ليس مطلوبا من الطبقات الأقل حظا في الحياة. لكن المحظوظين يتوقع منهم أن يراعوا قواعد الحياة اليومية. ليس الهدف التعالي على غيرهم. الهدف هو إتباع سلوك اجتماعي يخفف عليهم مشاغل ومشاكل الحياة الحديثة."

وأضافت: "من المفارقات أن الحضارة التي أسسناها صارت معقدة. وصارت تشجع البعض على عدم الالتزام بالسلوك الحضاري. يقول البعض أن حضارتنا هي التي خربت سلوكنا الطيب. لكن، الصحيح هو أن سلوكنا الطيب دليل على حضارتنا."

وقالت: "يوجد سلوك طيب في مجتمعات قروية بسيطة وغير متحضرة. وطبعا، عقدت الحضارة حياتنا. لهذا، السلوك الطيب في المجتمعات المتحضرة المعقدة هو التحدي الحقيقي."

"الأمريكي الهادئ":

في سنة 1955، أصدر الروائي البريطاني قراهام قرين رواية "كوايت أميركان" (الأمريكي الهادئ)، عن أميركي جاسوس، يخفى تجسسه وراء قلة كلامه، أو ربما بسبب تجسسه قل كلامه.

فيما بعد، صارت الرواية فيلما سينمائيا. وفي منظر، يقول صحافي بريطاني كان يتابع الجاسوس الأمريكي في سايقون (عاصمة فيتنام الجنوبية سابقا): "يغيظني هدوء الأمريكيين. ربما إذا تكلموا لن يقولوا شيئا مفيدا. لكن قلة كلامهم تجعلني أحس وكان عندهم أشياء مفيدة."

وتركز الرواية على هدوء الأمريكي، وعلى مثاليته. وعلى ميله نحو قلة الكلام (وطبعا ليس الصمت الكامل). لكن، توضح الرواية أن لهذا الهدوء مساوئ لأنه يمكن أن يدل على أشياء مثل:

أولا: الجهل.

ثانيا: الاستعلاء.

وتشير الروالية إلى أنه، لهذين السببين، كانت تصرفات "الأميركي الهادئ" في فيتنام من علامات فشل التدخل العسكري الأميركي هناك.

الخاص والعام:

تفرق الثقافة الأمريكية كثيرا بين الخاص والعام. يتصرف الشخص("الملك") داخل منزله("قلعته") كما يشاء. وظهر هذا:

أولا: في المناقشات حول حقوق المثليين الجنسيين، حيث قال بعض الناس إن من حقهم أن يفعلوا ما يريدون مادامو داخل منازلهم.

ثانيا: في قضايا قانونية في المحاكم عن تعدى الشرطة على استقلالية الشخص بدخول منزله بدون إذن قانوني.

ثالثا: في قضايا قانونية عن حق الشرطة في تفتيش سيارة شخص بدون إذن قانوني، على اعتبار أنها "قلعة متحركة".

وتسمح الثقافة الأمريكية للأمريكي بان يقول ويفعل كل ما يريد داخل مكان خاص. لكن في المكان العام، يميل الأمريكي نحو الصمت والهدوء. ولذلك لسببين رئيسيين:

أولا: تقود الاستقلالية إلى مسؤولية الشخص عن نفسه، وسيطرته عليها. وطبعا، الصمت هو الخطوة الأولى.

ثانيا: تقع حدود حرية الشخص عند بداية حرية الشخص الثاني. وإذا تعدت هذه الحدود تصير "عدوانا." ويمكن أن يكون العدوان بدنيا، أو نفسيا.

ضروريات للرجال:

عن النقطة الثانية، تحدث في تفصيل كتاب "ضروريات للرجال: ماذا تفعل ومتى وكيف ولماذا؟" الذي كتبه بيتر بوست، مدير مركز إيملي بوست في بيرمنقتون (ولاية فيرمونت). قال : "تطورت الفردية الأمريكية، وصار شعارها: كل ما يضايقني نفسيا، وليس فقط كل ما يؤذيني جسديا، اعتداء على حريتي." وأشار إلى مواضيع مثل: موسيقى عالية (تسبب التوتر)، ولافتة عملاقة (تعرقل منظرا طبيعيا)، ورائحة كريهة (تسبب التقزز).

وأشار الكتاب إلى أن الثقافة الأمريكية تعتبر أن العطس، والسعال، والتجشؤ، والبصق، أنواع من هذا "العدوان" (وأيضا خطر طبي). وهناك الشرب بصوت عال (مثل رشف الشاي بصوت عال)، والأكل بفم مفتوح (ومضغ الطعام بصوت عال).

من أين حصل الكتاب على هذا السلوك الاجتماعي المطلوب؟ استفاد كاتبه من آراء مجموعة من النساء. وقال إن النساء أكثر من الرجال في:

أولا: المشاهدة.

ثانيا: تعريف الجمال والأناقة.

ثالثا: تعريف السلوك الطيب.

واعتمادا على ملاحظات نسائية كتب كتابه. وقال أن الرجل يقدر على الاستفادة من الكتاب ليس فقط ليبرهن على أنه حضاري، وأيضا ليلفت انتباه النساء.

أنواع الكلام:

ولأن ميل الأمريكي نحو الصمت يجبره على تحاشي كثرة الكلام، يقسم الكلام إلى مفيد وغير مفيد. ورغم أهمية مواضيع مثل الدين، والوطن، والوظيفة والراتب والحياة الجنسية، صارت من النوع غير المفيد في اللقاءات الشخصية السريعة.

وسالت جوديث مارتن: "ماذا أستفيد أنا إذا قلت لي أن راتبك كذا، أو أنك تفضل الجنس كذا، أو أنك نبيل أو أمير أو حتى ملك. إذا احتاج أنا إلى معلومة معينة عن هذه المواضيع، سأسألك. وبنفس المقياس، أفضل ألا أتحدث معك عن راتبي، وعن حياتي الجنسية."

ويؤكد هذا المنطق الخصوصية الأمريكية، مثل:

أولا: "أنت لا تزعجني بأشياء لا أريد أن أسمعها. وأنا لا أزعجك بأشياء أعتقد أنك لا تريد أن تسمعها."

ثانيا: "يمكن أن أقول لك صباح الخير، أو مساء الخير. وأرد عليك لو أنت قلتها لي. لكن، لن اغضب إذا لم تقلها. وأرجوك إلا تغضب إذا لم اقلها أنا."

ثالثا: "أهم من "صباح الخير" و "مساء الخير" كلمات مثل "شكرا" و "آسف". هذه هامة لأنها رد فعل مطلوب: رد فعل لخدمة قدمتها أنت لي. أو رد فعل لخطأ ارتكبته أنا في حقك."

لهذا، يفضل الأمريكي الحديث، إذا تحدث، عن المواضيع العامة، مثل الطقس، والمواصلات، والزحام. وحتى هنا، يفضل الأمريكي ألا يحدد موقفا معينا. ويقول: "الطقس جميل اليوم، أليس كذلك؟" بدلا من إصدار حكم نهائي وهو أن "الطقس جميل". من يدري، ربما الطقس غير جميل.

ولهذا، يفضل الأمريكي عبارات وكلمات مثل:

أولا: "آى ثنك" (اعتقد). لأنه من الصعب أن يكون الشخص متأكدا من أشياء كثيرة.

ثانيا: "آى دونت نو" (لا أعرف). لأنه يجب ألا يدلي برأي في موضوع غير متأكد منه.

ثالثا: "أوكي" (نعم). لأنها تدل على متابعة حديث الأخر. أو الاستعداد لتنفيذ أمر معين. وتحاشي النقاش والجدل.

وأخيرا، يعتبر الأمريكي إصدار أحكام جازمة اعتداءا على فكر الشخص الآخر. وربما حتى نوع من أنواع "العدوان".

تحديث: سنة 2012: هدوء أوباما:

في سنة 2012، بعد أربع سنوات في البيت الأبيض، صار صحافيون يصفون أوباما بأنه "نو دراما أوباما" (أوباما غير دراماتيكي). هذه إشارة إلى أنه، عكس الصورة النمطية للزنوج الأمريكيين، يميل نحو الهدوء.

لهذا، وصف "نو دراما أوباما" فيه غمز إلى سواد لونه. وكأنهم يقولون أنه اسود، لكن سلوكه مثل سلوك البيض (ربما لأن أمه بيضاء، ورباه جده وجدته البيضاوان).

ما هي علامات سلوك أوباما؟

أولا: قلة الكلام التي اشتهر بها منذ أن كان طالبا في جامعتي كولمبيا وهارفارد (عكس ميل السود نحو الهرج والمرج).

ثانيا: أناقته (عكس الصورة النمطية للأمريكي الأسود الذي لا يهتم بأناقته).

ثالثا: قلة العاطفة، رغم أن هذا لا يصل مرحلة الجفاء (عكس ميل السود، وشعوب أخرى في العالم الثالث، نحو العاطفة، وأحيانا على حساب العقلانية والمنطق).

بعض معارضي أوباما (وأعدائه) ينتقدونه اعتمادا على هذه الصفات. ويقولون إنه "بارد" أو "متعالٍ" أو "مثقف" أو "أستاذ جامعي". حتى بعض السود يقولون ذلك. وقالها مرة القس الأسود جيسي جاكسون (وغمز بان السبب ربما والدة أوباما البيضاء).

في سنة 2009، نشرت صحف أميركا صورة لأوباما على صدر صفحاتها الأولى، وهو واقف صامتا، وقد ربط يديه على صدره. كان ينتظر تقديمه لإلقاء خطاب في الغرفة التجارية اللاتينية في واشنطن. وكان واضحا أن هدف الصورة هو أن أوباما مؤدب ومهذب (على الطريقة الأمريكية).

أو كما قالت جوديث مارتن: "لتصبح عضوا مقبولا في أي مجتمع، من الأفضل أن تتعلم إتيكيت (سلوك) هذا المجتمع."

في «مول أوف أكيركا» بلومنقتون (ولاية منيسوتا) :

شوبنق (التسوق)



(اقرأ: أوكي)

(اقرأ: أبو الفكر الرأسمالي)

في سنة 1997، جئت إلى "مول أوف أميركا" (مركز أمريكا التجاري) في بلومنقتون، ضاحية من ضواحي مدينة منيابوليس (ولاية منيسوتا)، وكان افتتح قبل خمس سنوات. وهو أكبر مركز تجاري في الولايات المتحدة. ويسمى أيضا "ميقامول" (مركز تجاري عملاق).

كنت واحدا من خمسين مليون شخص يزورون "المول" كل سنة. هذا مكان عملاق. يساوى سبعة ملاعب لكرة القدم. وفيه أكثر من خمسمائة محل. ويتكون من أربعة طوابق. وموقف السيارات المجاور يتكون من سبعة طوابق، ويسع لثلاثين ألف سيارة تقريبا. ورغم أن ولاية منيسوتا باردة جدا في الشتاء ويهطل فيها الجليد كثيرا، لا يوجد نظام تدفئة في المول (غير عند المداخل)، وذلك بسبب الحرارة المنبعثة من الأضواء، ومن الزوار.

من المحلات العملاقة في المول: "سيرز" و "بيني" و "ماسي" و "ليقو" و "مارشال" و "نيكلوديان" و "ديك" و "كول" و "أميركان غيرل" و "آيكيا" و "أولد نيفي". ومن اشهر المطاعم: "بلانيت هوليوود" و "فرادي" و "تيوسداي" و "روث."

بالإضافة إلى عشرات المطاعم الصغيرة، ومحلات الساندوتشات والمشروبات.

وفي قلب المول صالات لعب عملاقة، وحوض أسماك وحيوانات بحرية عملاق، وخمس عشرة قاعة سينما.

خلفية تاريخية:

تعود خلفية المراكز التجارية إلى الإمبراطورية الرومانية (مثل سوق طروادة). وتوضح كلمات عربية صارت إنجليزية أيضا بأن العرب عرفوها منذ زمن بعيد، مثل: "سوق" و "بازار". وفي العصر الحديث في الولايات المتحدة، ظهرت المراكز التجارية لعدة أسباب، منها:

أولا: انتقال الناس من المدن المزدحمة إلى ضواحيها أعقبه انتقال المراكز التجارية إلى الضواحي، حيث المساحات واسعة.

ثانيا: الفلسفة الرأسمالية بتشجيع الاستهلاك جعلت مناسبات مثل الكرسماس، وعيد الاستقلال الأمريكي، وعيد الشكر الأمريكي، مهرجانات تخفيضات في المراكز التجارية.

ثالثا: عمل أغلبية النساء خارج المنزل، وزيادة دخولهن، واهتمامهن الطبيعي بالبيت والأطفال وإعداد الأكل والشراب، جعلهن يشكلن ثمانين في المائة من زوار المحلات التجارية.

ومع زيادة الرخاء، والتطور، والتكنولوجيا، وحب المتعة والترفيه، صار "شوبنق" (التسوق) مثل الإدمان.

غير أن إدمان الشراء والتسوق حالة نفسية تحدث عنها أطباء نفس أمريكيون منذ منتصف القرن الماضي. وخلال السنوات القليلة الماضية، صار هذا الإدمان يقارن بإدمان المخدرات، والكحول، والأكل. ويعتقد أن عشرة في المائة من الأمريكيين (خاصة النساء) أصبن بهذا "المرض."

وظهرت كلمات مثل "شوباهوليك" (إدمان التسوق)، و "اونيومانيا" (جنون التسوق، من الكلمة اليونانية القديمة "أونيو"، ومعناها الشراء، والكلمة اللاتينية "مانيا"، ومعناها الجنون).

كتاب "إدمان التسوق":

كتبت كارين اوكونور كتابا عن هذا الموضوع: "إديكشن تو شوبنق" (إدمان التسوق). وفيه: "بداية، وأنا امرأة وصحافية وكاتبة وحالتي الاقتصادية طيبة، ووضعي الاجتماعي طيب، اعترف بأن النساء أكثر من الرجال إدمانا للتسوق. وأنا واحدة منهن. ليس ذلك فقط، ولكن أكدت ذلك أبحاث أجرتها مراكز الاستفتاء."

وأضافت: "لكن، يجب ألا تحس أي امرأة بالحرج، وذلك لأن الإحساس بالحرج لن يحل المشكلة. الاعتراف بالأمر الواقع هو أول خطوة نحو حل المشكلة."

لماذا الإدمان؟

قالت مؤلفة الكتاب: "يغمرني إحساس بالسعادة وأنا أتجول وأتسوق. أحس بالتوتر، فأخرج من البيت لأتسوق. وأحيانا، أحس بالفراغ، فأخرج للتسوق."

لابد أن مؤلفة الكتاب تعرف كثيرا عن الموضوع، لأنها كتبت كتبا كثيرة عن المشاكل اليومية الأمريكية، مثل: "كبر السن لن يقدر عليه الخائفون" و "ساعدني يارب، كبرت في السن."

في كتاب "إدمان التسوق"، أشارت إلى النقاط الآتية:

أولا: خجل المدمنات عند اكتشاف إدمانهن.

ثانيا: جنون المال الذي يسهل الإدمان.

ثالثا: اعتبار التسوق ترفيها ولهوا ومتعة.

خجل سري:

وعن موضوع "سيكريت شيم" (خجل سري)، قالت مؤلفة الكتاب أنها حصلت على معلوماتها من جلسات نفسية كانت تديرها في مكتبها لنساء مدمنات تسوق:

قالت واحدة، واسمها الرمزي "كيتي: "لم يمنعني جمالي، وشهاداتي الجامعية، وتحضري، وجمالي الذي يدير رؤوس الرجال، وعمري (40 سنة) من إدمان التسوق. الحمد لله، أنا لست مدمنة مخدرات، أو كحول. ولكني مدمنة تسوق."

وقالت أن زوجها غني جدا، ويعمل في بنك استثماري في نيويورك. لكنهما تطلقا، وكبر ابنهما وهو الآن في الجامعة. خلال خمس وعشرين سنة من زواج "سعيد"، كان زوجها ينفق عليها، ويسمح لها بشراء ما تريد. وكان لهما منزل صيفي، وعضوية في نادي قولف. لكن، يبدو أن نادي القولف هو سبب مشاكلها، لان زوجها قابل فيه شقراء (هي سمراء)، وأحبها، وهجر زوجته، فطلبت هذه الطلاق.

عند الطلاق، أعطاها زوجها ربع مليون دولار، ومنزلا. لكنها، بسبب توتر، وقلق الطلاق، والحياة وحيدة (بعد أن ذهب ابنها إلى الجامعة، وبقيت وحيدة في منزل كبير) صرفت نصف المبلغ تقريبا في شراء أشياء اعترفت بأنها ما كانت تحتاج لها كلها. ثم بدأت تعتمد أكثر على "كريدت كارد" (بطاقة الائتمان). وعندما زادت ديونها، وتعقدت حياتها أكثر، لجأت إلى حلقات النقاش النفسي التي تديرها مؤلفة الكتاب، كارين أوكونور.

وقالت كارين اوكونور: "ليس سرا وسط النساء، وربما وسط الرجال، خوفنا، أكثر من الرجال، من الفلس، والترمل، والطلاق، والوحدة. وخاصة عندما سنكبر، وعندما سيتوفى أزواجنا. وأنا دائما أسأل نفسي: ماذا سيحدث لي عندما يصل عمري سبعين سنة؟ هل سأقضي آخر عمري في ملجأ؟"

وأضافت: "لاحظت، بعد تجربتي الخاصة، وقصص النساء اللائي جئن إلى حلقات النقاش النفسي التي أديرها، أن توتر وقلق النساء لا يجعلهن يدمن الكحول والمخدرات، بقدر ما يجعلهن يدمن التسوق."

لماذا؟ "لأن التسوق، في حد ذاته، يعطي إحساسا بالضمان. إحساس أن عندي ملابس كثيرة، وجواهر كثيرة، ولست فقيرة. اعتقد أنه، بالنسبة للمرأة، لا يوجد خوف مثل الخوف من الفقر، خاصة عند نهاية العمر."

وأضافت: "انظروا إلى المشردين في شوارع المدن الرئيسية. ربما لا توجد مشردة واحدة. تود أي امرأة أن تموت ولا تقضى باقي عمرها على ركن شارع ما في مدينة ما."

كوني جاسبر:

وكتبت كوني جاسبر، وهي أيضا متخصصة في الموضوع عن نقطة أخرى، وهي تعدد الخيارات.

كتبت: "لم يحدث في تاريخ البشرية أن واجه الناس في الدول المتطورة كل هذه الخيارات عندما يريدون شراء شيء. خيارات في الأماكن، والأنواع، والأحجام، والألوان، والأشكال. ولم يحدث أن واجه هؤلاء الناس حملات إعلامية وإعلانية، تطاردهم صباحا ومساء، في التلفزيون والإذاعة، والشوارع."

لا يمكن التقليل من تأثير الإعلانات لأنها صارت جزءا من الثقافة الأمريكية. ودخلت الثقافة الأمريكية عبارات روجت لها الإعلانات، مثل: "يو هاف كم الونق" (تحضرتِ كثيرا)، و"أف يو هاف ات، فلونت ات" (إذا تملكين شيئا ثمينا، فرجي به الناس)، و"يو ديسيرف ات" (تستحقينه)، و "يو ويل داي" (ستموتين يوما ما. لهذا استمتعي بما عندك). وهناك إعلانات تقول: "عندما تصير الحياة قضية، يصير التسوق قضية" و "ولدت لأتسوق". وانتشرت عبارات مثل "شوبنق سبري" (موجة التسوق)، و"كونفينيانت" (سهل)، و "كومفارتابل" (مريح)، و"ستف" (حاجات).

عن هذا، قال الفكاهي جورج كارلين: "المنزل هو المكان الذي نضع حاجاتنا، ثم نخرج لنشتري حاجات أكثر."

وتحدثت كوني جاسبر عن فلسفة "أحب التسوق من أجل التسوق." وعن "فيشاص سيركل" (دائرة مفرغة): "اشتري ملابس لا احتاج لها حقيقة. أضعها في المنزل لأسبوع أو أسبوعين. ألاحظ كل صباح أنني لم استعملها. أحس بالإحباط. اخرج لأتسوق، واشتري مزيدا من الملابس."

وأضافت: "عندي أشياء لم أخرجها من حقيبتها. وأشياء لم أخلع بطاقة السعر منها. وأشياء لم أرتدها. أقول لنفسي: لماذا لا أعيدها؟ لكن، أحس أن هذا سيكون سخفا. أفضل الشراء، ولا أفضل الإعادة."

روث أنقا:

وكتبت روث أنقا، أستاذة قسم الصحة العامة في جامعة أنديانا (في بلومنقتون، ولاية أنديانا) بحثا اسمه: "شوباهوليك" (إدمان التسوق). وبدأ البحث بتعريف الكلمة، وقال أن من بين علاماتها هي أن تكون المرأة:

أولا: تشتري كماليات، لا ضروريات.

ثانيا: تحس بالسعادة خلال التسوق.

ثالثا: تركز على الفساتين والأحذية والعطور.

رابعا: تدخل متجرا لشراء شيء واحد، وتخرج منه بعد شراء أشياء كثيرة.

خامسا: تشتري نفس الشيء أكثر من مرة (بسبب النسيان).

سادسا: تخفي بعض مشترياتها حتى لا يغضب أصدقاؤها وأفراد عائلتها عليها.

سابعا: تنكر أنها مدمنة تسوق.

ثامنا: تتراكم عليها الديون.

تاسعا: تحس بالحرج بسبب كل هذه العوامل.

عاشرا: بسبب ذلك، تدمن أشياء غير التسوق، مثل الكحول والمخدرات

.

ما هو العلاج؟

نصحت روث القا بالآتي:

أولا: قابلي طبيب أمراض نفسية.

ثانيا: اشتر نقدا وليس ببطاقة ائتمان.

ثالثا: شاهدي فيلما سينمائيا عن إدمان التسوق (للضحك على المدمنات).

رابعا: تجولي خارج المتاجر بدون أن تدخليها.

خامسا: اشتري بالتلفون أو الانترنت (لتحاشي إغراء مشاهدة الأشياء مباشرة).

سادسا: التحقي بنادي، أو مكان رياضي للذهاب إليه عند الشعور بالفراغ والسأم.

تحديث:

بعد عشرة سنوات تقريبا من زيارة "مول اوف أميركا" (لا يزال أكبر مول في أمريكا)، وبعد زيارة عشرات المولات في مختلف الولايات الأميركية، خاصة مع زوجتي وأولادي، وفي سنة 2008، شاهدت فيلم"كونفيشن أوف شوباهوليك" (اعترافات مدمنة تسوق).

تدور قصة الفيلم حول "ربيكا" التي كان فقر عائلتها يمنعها من شراء أشياء تريدها وهي صغيرة. وكانت تتجول في شارع "سكس افنيو" في نيويورك حيث توجد مجموعة من أشهر وأغلي المتاجر في العالم، وتحس بالحرمان. وفي المدرسة، كانت البنات يضحكن عليها بسبب ملابسها غير الجميلة، وخاصة أحذيتها، أو، في الحقيقة، حذائيها، لأنها كانت لا تملك غيرهما.

لكن، بعد عشرين سنة، صارت"ربيكا" تعيش مع صديقتها "سوزي" في مكان قريب من شارع "سكس افنيو" في نيويورك. كانت تعلمت، وحصلت على ماجستير في الصحافة. وصارت صحافية في مجلة "اليتي" للأزياء النسائية (أيضا، مقرها ليس بعيدا من الشارع). وساعدها عملها على الحصول مجانا على فساتين وأحذية وجواهر ولآليء تقدمها المحلات التجارية في "سكس أفنيو" كدعاية، لتكتب عنها المجلات النسائية ومجلات الأزياء والزينات.

غير أن "ربيكا" غرقت في حب مثل هذه الأشياء. وصارت تشتري أغلى أنواعها مستعملة "كريدت كارد" (بطاقة ائتمان). وعندما وصلت ديونها إلى خمسين ألف دولار (وهي صحافية كان راتبها الشهري أربعة آلاف دولار، اي زادت ديونها على راتبها في سنة) قالت لها صديقتها "سوزي" أنها صارت "شوباهوليك" (مدمنة تسوق). ونصحتها بمقابلة طبيب نفسي. وخلال جلسات نفسية، اعترفت بأنها صارت مدمنة، ووافقت على بيع الأشياء التي لا تحتاج لها.

وقبل نهاية القصة، صارت "ربيكا" عادية، وتزوجت، وبدأت تكتب في المجلة النسائية نصائح تحت عنوان: "كونفيشنز أوف شوباهوليك" (اعترافات مدمنة تسوق).

خلال أيام إدمانها، كانت تجوب المحلات التجارية، وتغني أغاني من بينها أغنية "بيق سبندر" (الذي يصرف كثيرا). والتي تقول:

"عندما دخلت النادي، عرفت أنك تصرف كثيرا على ملابسك. كم أنت أنيق وجميل. أنا بنت محترمة. ولا أريد أن أكون ضعيفة أمامك. لكن، لا بأس إذا صرفت على قليلا مما عندك. وأتعهد بأني سأكون مرحة، وضاحكة. وأتعهد بأني سأجعلك مرحا وضاحكا."

حتى الرئيس السابق بوش نفسه، بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، وخوف الأمريكيين من السفر والتنقل، ألقى خطابا إلى الشعب الأمريكي قال فيه: "اخرجوا، وسافروا، واشتروا. حافظوا على نمط الحياة على الطريقة الأمريكية التي يحسدنا الإرهابيون عليها، ويريدون تدميرها."

في منزل ديفيد أغناتيوس (واشنطن) :كاتب عمود



(اقرأ: مقابلة رئيس تحرير "واشنطن بوست").

(اقرأ: حدود حرية الصحافة).

(اقرأ: تغطية حرب العراق).

جئت في سنة 2010 إلى منزل ديفيد اغناتيوس، كاتب عمود في صحيفة "واشنطن بوست"، ويشترك في برامج إذاعية وتلفزيونية، وصاحب موقع ناجح في الإنترنت اعتمادا على كتاباته.

يعيش في منزل جميل في حي "جيفي جيز" الراقي في واشنطن. قال أن راتبه "معقول"، وأن راتب زوجته، أستاذة جامعية في الكمبيوتر "كبير."

طلبت مقابلة معه، ودعاني إلى منزله. اعتبرته مثالا لكاتب عمود من الدرجة الأولى في وقت كثر فيه كتاب الأعمدة.

***

طبعا، فتح الإنترنت الأبواب أمام كل واحد ليكتب. لكن، لا يتساوى الذين يكتبون. وكما قال اغناتيوس:

أولا: يخاف الذي يكتب في بلد ليست فيه حرية أكثر من الذي يكتب في بلد فيه حرية. في الجانب الآخر، لا يخاف الحر من قول الحقيقة. ليس فقط لأنه حر ليكتب ما يريد. ولكن، أيضا، لأن الحرية ليست هدفا. الحرية وسيلة لخلق شخص عقله مفتوح، ويحترم نفسه، ليحترم الآخرون رأيه.

ثانيا: يخاف الذي يتفرغ للكتابة أكثر من الذي لا يتفرغ. وذلك لأن المتفرغ يعتمد على كتاباته كمصدر دخل رئيسي له، ولعائلته. وبالتالي، يميل أكثر نحو الجدية والمهنية والمسئولية.

لهذا، يختلف الكاتب غير الحر، متفرغا أو غير متفرغ، عن الكاتب الحر، متفرغا أو غير متفرغ. لكن، الكاتب الحر المتفرغ هو الأفضل.

لهذا، قال أغناتيوس أنه يعتبر نفسه الأفضل لأنه كاتب، ومتفرغ، ويتمتع بالحرية الأمريكية "التي لا يوجد لها مثيل عبر التاريخ."

أضف إلى هذا انه أكثر تعليما من كثير من كتاب الأعمدة في كثير من الدول: درس في اثنين من أحسن الجامعات في العالم: هارفارد الأمريكية وأكسفورد البريطانية.

وأضف إلى هذا أنه يكتب تعليقات سياسية، وأيضا يكتب روايات.

كتب ست روايات لها صلة بعمله كصحفي: "عملاء الموت" و "سيرو" و "ضفة الخوف" و "إساءة الفصل" و "ملك الشمس" و "جسم الأكاذيب". (الآن، يصور الأخير كفيلم، بطولة: رسل كرو، وليوناردو ديكابريو).

س وج

-- نبدأ من النهاية. هذا هو العمود الذي كتبته مؤخرا في "واشنطن بوست". عن أفغانستان، وعنوانه: "عدو يهرب". واقترحت فيه نقل عمليات القوات الأمريكية من أفغانستان إلى باكستان. ألن يوسع ذلك نطاق الحرب؟

-- أنا قلت أن عملية باكستان ستعتمد على نوع القوات التي نرسلها. إذا أرسلنا أعدادا كبيرة من الجنود، ربما سيتحول الوضع من سيء إلى أسوأ. لهذا، يجب أن نرسل قواتا خاصة، تعرف كيف تنسق مع القوات الباكستانية.

-- كتبت هذا العمود من جلال أباد، في أفغانستان، وركزت فيه على مقابلاتك مع قادة القوات الأمريكية هناك. هل قابلت عامة الناس لتعرف وجهة نظرهم؟

-- لم يكن ذلك سهلا، وبالطريقة التي تجعلني اطلع على وجهات نظر مفيدة.

-- يصف مواطنون أفغان القوات الأمريكية إنها قوات احتلال، ولهذا، يحق لهم مقاومتها؟

-- أنا افهم مقاومة اللبنانيين للقوات الإسرائيلية عندما غزت وطنهم. وأفهم ردود فعل الفلسطينيين نحو القوات الإسرائيلية في الضفة الغربية وغزة. لكن، يختلف الوضع في أفغانستان، لأن مركز منظمة "القاعدة" هناك، ولان القوات الأمريكية تتحالف مع حكومة أفغانستان ضد المنظمات الإرهابية.

غزو العراق:

-- سنة 2004، بعد سنة من غزو العراق، كتبت عمودا بعنوان "أعلام حمراء واعتذارات." وتحدثت فيه عن "نقد ذاتي" لأنك قصرت في بعض تعليقاتك. هل استعجلت في تأييد غزو العراق؟

-- اثر علي كثيرا ظلم نظام صدام حسين للعراقيين. لهذا، لم أحس بالأسف على نهاية النظام. لكن، وجدت أننا لم نضع استعدادات كافية وكاملة لما بعد سقوط صدام حسين. خططنا للمدى القريب، ولم نخطط للمدى البعيد. في البداية، كان هناك استعلاء من جانبنا. وأصدر بول بريمر، حاكم العراق، قرارات عقدت الوضع أكثر.

-- قبل شهرين، قابلت زميلك جيم هوقلاند (كاتب عمود مثله في "واشنطن بوست") وسألته عن نفس الموضوع. وكان أيد غزو العراق تأييدا قويا. لكنه قال لي: "يجب أن اعترف أني أخطأت في أشياء كثيرة في العراق ... " هل يكفى الاعتذار؟

-- تحدث زميلي هوغلاند عن أخطائه. وأنا أتحدث عن أخطائي، وأقول أن هناك أشياء كثيرة كنت أتمنى لو عرفت تفاصيلها قبل أن أكتب عنها. وطبعا، تعلمت الدرس، وهو أن أحاول أن اجمع مسبقا معلومات كافية عن ما أريد أن أكتب عنه.

-- في السنة الماضية، قابلت هيلين توماس (صحفية أمريكية من أصل لبناني). وسألتها نفس الأسئلة. وهي عارضت غزو العراق من قبل الغزو. وقالت لي "انتم عرب وأنا عربية." وقالت إنها تعرف أن كثيرا من زملائها الصحفيين الأمريكيين حملتهم موجة الغضب على هجوم 11 سبتمبر، والرغبة في الانتقام. هل هذا صحيح؟

-- مثل غيرهم، يخطئ الصحفيون الأمريكيون، وطبعا، يجب عليهم، عندما يتأكدون من أخطائهم، أن يعترفوا بذلك. ويستفيدوا منها في المستقبل.

أكاذيب السياسيين:

-- وماذا عن أكاذيب السياسيين؟ الصحفيون، خاصة في أمريكا، يتمتعون بحرية بدون حدود لكشف أكاذيبهم؟

-- نعم كانت هناك "الكذبة الكبرى"، وهي ادعاء إدارة الرئيس بوش بأن صدام حسين كانت عنده أسلحة دمار شاملة. وبأنه كان يتعاون مع منظمة "القاعدة". ربما انشغل الصحفيون بمتابعة أخبار الحرب والاستعداد لها، ولم يكن عندهم وقت كاف للتأكد منها.

-- زرت دولا عربية وإسلامية، وعملت فيها. ما هي انطباعاتك عنهم؟

-- عرفت العرب والمسلمين وأنا صحفي شاب يطارد الأخبار. وأعرفهم الآن وأنا اكتب أعمدتي ورواياتي. عرفت فيهم الحب والعطف. ووجدت وسطهم نسبة غير قليلة من أصدقائي. هؤلاء أفادوني، ولا يزالون.

-- ما هي نصيحتك للصحفيين الأمريكيين الذين يذهبون إلى دول عربية وإسلامية؟

-- طبعا، لابد من مقابلة المسؤولين لمعرفة آرائهم. لكن، أهم من ذلك، مقابلة عامة الناس، قرية قرية، وشارعا شارعا. تزيد التفاصيل الدقيقة لموضوع معين تركيز القارئ عليه، بالمقارنة مع كتابة كلام عام. وأيضا، ساعدتني هذه التفاصيل الدقيقة على كتابة رواياتي.

كتابة الروايات:

-- لماذا، وكيف، بدأت تكتب روايات؟

-- كتبت "عملاء الموت" بعد تجربة بيروت عندما كنت مراسلا لصحيفة "وول ستريت جورنال". كما قلت، جمعت تفاصيل كثيرة لم أكتبها كلها في الصحيفة، واستفدت منها في الرواية. عرفت أن على حسن سلامة، مساعد عرفات، كان يجمع معلومات لوكالة الاستخبارات المركزية (سي أى إيه). وأن عرفات كان يعرف ذلك. وعندما ضربت السفارة الأمريكية في بيروت، كان من بين القتلى روبرت ايمز، مسؤول الاستخبارات فيها. واقترح على بعض أصدقائه نشر تفاصيل قتله بطريقة غير مباشرة وفي رواية، إذا لم أقدر على نشرها في تقرير صحفي. واخترت الرواية.

-- وماذا عن آخر رواياتك: "جسم الأكاذيب"؟

-- هي عن روجر فيريس، عميل استخبارات أمريكي، خطط لقتل إرهابيين كانوا يريدون تفجير سيارات في عواصم أوروبية. واستفدت من تفاصيل كثيرة جمعتها خلال زياراتي لأوروبا، ولم أقدر على نشرها في عمودي.

-- ما هو الفرق بين كتابة خبر أو عمود، وبين كتابة رواية؟

-- هو الفرق بين كتابة خمسمائة صفحة عن شخص واحد، وكتابة خمسمائة كلمة عنه. بين التفاصيل والملخص. بين السطح والتغلغل في العمق. الرواية هي صحافة خيال عميق لا يحاسب عليها الصحفي. لكن، العمود هو صحافة الواقع الذي تحاسب عليه كلمة كلمة.

رأي الناس:

-- هل يحاسبك الناس كلمة كلمة في أعمدتك؟

-- لا اهتم برأي الناس فيما أكتب، ولا حتى في رأيي فيما أكتب، بقدر اهتمامي بكتابة الحقيقة. لأن كتابة الحقيقة تكفيك شر نقد الناس.

-- ولكن، أين رأيك عندما يكون العمود كله معلومات؟

-- كما قلت، لم أعد أهتم كثيرا برأيي. لكنك، إذا دققت فيما أكتب، ربما ستقدر على أن تعرفه.

-- تسافر وتجمع معلومات وتكتب عنها. ماذا عن كتاباتك عن السياسة المحلية، عن واشنطن؟

-- أفعل نفس الشيء. أقابل مسؤولا هنا في واشنطن، أو أسافر معه خلال عمله الرسمي، قبل أن اكتب عمودا عنه. وأقابل خبراء في موضوع سياسي، أو موضوع اقتصادي قبل أن اكتب عن الموضوع.

-- هل تؤيد الحزب الديمقراطي أو الجمهوري؟

-- أتحاشى تصنيف نفسي تصنيفا حزبيا. لكن، أعطف على مبادئ الحزب الديمقراطي بصورة عامة لأنها تركز على مشاكل الطبقتين الوسطى والسفلى.

-- كيف تقارن نفسك مع كتاب أعمدة آخرين؟

-- أتحاشى المقارنة. لكن، عملي كمخبر صحفي (في صحيفة "وول ستريت جورنال")، وعملي كمدير تحرير (لصحيفة "انترناشونال هيرالد تريبيون") أفادا نوعية الأعمدة التي اكتبها الآن (في صحيفة "واشنطن بوست").

-- هل "دخلت الشهرة رأسك" (أصبت بالغرور)؟

-- أخطائي التي تحدث عنها، واعترافي بها، وعهدي بأن أتعظ منها، تحول دون ذلك.

-- قبل سنتين، قابلت ليونارد داوني (رئيس تحرير تنفيذي "واشنطن بوست"). وقال ربما نفس الشيء. لكنه قال: "أحس وكأني مايسترو فرقة اوركسترا موسيقية عالمية"، يقصد أهمية "واشنطن بوست"، وتأثيرها على الأحداث الداخلية والخارجية؟

-- اكتب على لساني بأني أحس مثل عازف غيثارة في هذه الاوركسترا.

-- ما هي الخدمات التي تقدمها لك "واشنطن بوست" لتكتب ما تكتب؟

-- كل مساعدة أريدها، سواء في السفر، أو في جمع المعلومات. ويوجد في الصحيفة جهاز لمساعدة كتاب الأعمدة المتفرغين. ومن أهم ثروات "واشنطن بوست" هي جهازها الصحفي. ولا تطلب مني "واشنطن بوست" أن أذهب إلى المكتب بانتظام.

يوم في حياته:

-- كيف تقضي يومك؟

-- أحاول أن اكتب في الصباح، ثم أقابل مصادر المعلومات. وأحاول ألا أحارب الوقت بأن اجمع معلومات عمود في نفس يوم كتابته. عندي مكتب في "واشنطن بوست"، وعندي مكتب هنا في منزلي، وعندي مكتب ثالث لكتابة رواياتي، مكتب سري، حتى زوجتي لا تعرف أين هو.

-- ما هو موقع زوجتك وبناتكما الثلاث في عملك؟

-- ليست زوجتي صحفية، أن كان هذا ما تريد أن تعرف. ربما أبعد شيء عن الصحافة، عندها دكتوراه في الكمبيوتر. وكلما أقدر على أقوله لك هو أن زوجتي تحبني وتحب عملي.

-- لابد أنهم يقلقون عليك عندما تسافر إلى مكان بعيد خطير مثل أفغانستان؟

-- أحس بذلك عندما أذهب إلى الغرفة التي فيها البدلة الواقية من الرصاص، لأحملها معي عندما أسافر إلى مناطق حرب. بنتي الصغيرة هي الأكثر قلقا عندما تراني افعل ذلك.

-- أليس مؤسفا أن بنتك، بسبب الأحداث الأخيرة، كونت فكرة سلبية عن العرب والمسلمين، وخاصة عندما تسافر إلى بلادهم؟

-- دعني أقول لك الجانب الآخر من سؤالك، وهو عن بنتيي: الوسطي والكبرى. تدرس الكبرى الطب، وفي الصيف الماضي ذهبت إلى لبنان، وعادت بانطباعات ايجابية. وهي الآن في رواندا تعمل في مجال محاربة "الأيدز". وسنزورها هذا الصيف. وتدرس البنت الوسطى في جامعة كولمبيا في نيويورك. وتهتم بدراسات الإسلام والمسلمين. مؤخرا، اتصلت بي، تسألني عن موضوع له صلة بهل القرآن الكريم مخلوق أو غير مخلوق. وعن أحاديث رواها البخاري.

-- لكن، لم ترث بناتك الصحافة عنك؟

-- يبدو أنهن، مثل والدتهن، يملن نحو العلوم.

تحديث:

بعد المقابلة بسنتين، كتب أغناتيوس عمودا عن نشر وثائق أسامة بن لادن.

كتب فيه:

"منذ وفاة أسامة بن لادن، كان سهلا علينا، نحن الغربيين، أن نقول أنه فشل. هذا صحيح من حيث أن تكتيكاته بإعلان جهاد الأرض المحروقة تنفر الغربيين، والمسلمين وغيرهم.

لكن، من حيث هدف بن لادن الأوسع بإبعاد العالم الإسلامي عن النفوذ الغربي، نجح أكثر مما نريد نحن الغربيين أن نعترف به."

وكتب:

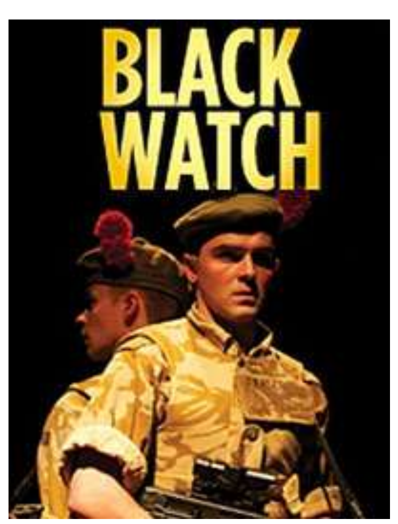
"مصر مثال لما أقول. جلبت الثورة إلى السلطة الجماعات السلفية والإخوان المسلمين الذين يشتركون في الجذور الدينية مع بن لادن. كما حققت الثورة هدف بن لادن بعزل الرئيس "المرتد" ومؤيد أمريكا، حسنى مبارك."

وكتب:

"أثبتت الوثائق أن بن لادن، في آخر سنواته، كان يحاول تنظيف صورة منظمة القاعدة الدموية بين المسلمين، ناهيك عن بين الغربيين."

في مسرح «أستوديو» (واشنطن العاصمة) :

مسرحيات حرب الإرهاب



(اقرأ: مسلسلات حرب الإرهاب)

(اقرأ: تغطية حرب الإرهاب)

(اقرأ: تعذيب المسلمين في قوانتانامو)

جئت إلى مسرح "أستوديو" في واشنطن العاصمة سنة 2005 لمشاهدة مسرحية "قوانتانامو: لابد أن يدافع الشرف عن الحرية".

في سنة 2003، قبيل غزو العراق، فاجأ مليون بريطاني "الحلفاء" الأمريكيين عندما تظاهروا في شوارع لندن ضد الغزو.

وفي سنة 2005، فاجأت هذه المسرحية البريطانية الأمريكيين. وهي عن أربعة مسلمين بريطانيين اعتقلتهم وكالة الاستخبارات المركزية (سي أي ايه)، ونقلتهم إلى القاعدة العسكرية الأمريكية في غوانتانامو (في كوبا). وهم: جمال الدين، بشرى الراوي، معظم بيق، روح الرحمن أحمد.

في سنة 2005، كان الأمريكيون لا يزال يغلي دمهم بالغضب، والكراهية، والتصميم على الانتقام من العرب والمسلمين، بسبب هجوم 11 سبتمبر (سنة 2001). وكانوا يقتلونهم، ويعتقلونهم، ويطاردونهم، ويحتقرونهم، ويسيئون إليهم، شرقا وغربا، شمالا وجنوبا.

لهذا، لم يرحبوا بالمسرحية البريطانية. وكتبت صحيفة "واشنطن بوست" ("الليبرالية") في تردد، أو خجل: "صعب تجاهل معاناة الذين يعتقلون ظلما."

وبنفس النغمة، كتبت صحيفة "نيويورك تايمز": "شيء حزين، وغير مفهوم." وانتقدت الصحيفة المسرحية لأنها "أحيانا تبدو وكأنها وعظ وإرشاد، لا مسرحية دراماتيكية."

غير أن صحيفة "واشنطن تايمز" اليمينية انتقدت المسرحية نقدا مباشرا. ودافعت عن اعتقال "الإرهابيين" في غوانتانامو. وأيدت الحرب ضد الإرهاب التي كان يقودها في ذلك الوقت الرئيس بوش الابن. وكتبت: "أشياء مثل "تسقط أمريكا" مكانها شعارات في مظاهرات، لا مسرحيات يدفع الناس عشرات الدولارات لرؤيتها."

تحديث:

في سنة 2011، خلال زيارة من زياراتي الكثيرة إلى نيويورك، شاهدت مسرحية "نمر بنغالي في حديقة حيوانات بغداد."

بعد عشر سنوات من هجوم 11 سبتمبر (سنة 2001)، وبعد سلسلة مسرحيات بريطانية جاءت إلى أميركا، عرضت هذه المسرحية، وكانت اول مسرحية أمريكية رئيسية عن حرب العراق. كتبها جوزيف رجيف (أمه أمريكية، وأبوه مهاجر من الهند).

في المسرحية خليط من شخصيات، مثل: جندي أميركي، مترجم عراقي، طباخ من باكستان، نمر من البنغال، عدي (ابن صدام حسين).

وملخص الرواية التي صارت مسرحية هي أن نمرا من البنغال كان في حديقة حيوانات بغداد من قبل الغزو الأمريكي للعراق (سنة 2003). وبعد غزو العراق، وخلال المذابح، والدمار، والفوضي، خرج النمر يتجول في شوارع بغداد. وكأنه حكيم إغريقي قديم، يبحث عن الحقيقة، صار يسأل الذين يقابلهم: "واتز قونق أون؟" (ماذا يجري هنا؟).

وكانت في كثير من الأجوبة عبارات حكمة، وتأمل، وتمعن.

لكن، فجأة، قتل جندي أمريكي النمر. وكان الجندي لا يريد أن يسمع أي عبارات حكمة، أو تأمل، أو تمعن. ليس ذلك فحسب، بل قتل النمر بمسدس ذهبي كان استولى عليه من منزل عدي (ابن صدام حسين)، فيما بعد، عندما عاد الجندي إلى أمريكا، سرق المسدس وأخذه معه.

روبن وليامز:

لعب الدور الرئيسي في مسرحية "نمر بنغالي في حديقة حيوانات بغداد" الممثل روبن وليامز، بطل فيلم "صباح الخير يا فيتنام"، وهو الفيلم الذي انتقد (سنة 1986) التدخل العسكري الأمريكي في حرب فيتنام (1963-1974).

ربما بسبب شهرة وليامز عرضت المسرحية في "برودواي" (شارع المسارح في نيويورك). وذلك لأن المسرحيات والأعمال الفنية التي تنتقد السياسة الأميركية نحو العرب والمسلمين لا تعرض هناك. هذا إذا عرضت في أي مكان هام في نيويورك، أو غير نيويورك.

لكن، بطولة وليامز، أو غيره، في "برودواي" أو غيره، لم تناسب المسرحية المزاج الأمريكي. تماما مثلما لم تناسبه المسرحية البريطانية قبل ذلك بست سنوات (سنة 2005)

كتبت صحيفة "لوس انجلوس تايمز": "لو لا روبن وليامز، ما كانت المسرحية ستعرض في برودواي." وأضافت: "على الأقل، تتحدي المسرحية مزاج الأمريكيين. ربما، على الأقل، ستؤثر على العاطفيين وسط الأمريكيين." (يعني هذا أن العقلانيين يرفضون انتقاد الغزو الأمريكي للعراق).

تحديث:

في سنة 2012، في مسرح "هارمان" في واشنطن العاصمة، شاهدت مسرحية بريطانية أخري تنتقد السياسة الأمريكية نحو العرب والمسلمين. وهي، حقيقة، مسرحية اسكتلندية: "بلاك ووتش" (رقابة سوداء).

ومرة أخرى، ورغم مضي أكثر من عشر سنوات على هجوم 11 سبتمبر (سنة 2001)، لم يرتاح المزاج الأمريكي لمثل هذا النوع من المسرحيات.

وكتبت صحيفة "واشنطن بوست" أن بعض المتفرجين اشتكوا بان الاسكتلنديين يتكلمون بصوت خافت. واشتكوا من اللكنة الأسكتلندية.

وكتب بيتر ماركز، محرر الشؤون المسرحية في صحيفة "واشنطن بوست" تعليقا معتدلا، بدون حماس للمسرحية. كتب: "رغم حوار جزء منه غير مسموع وجزء منه مسموع لكنه غير مفهوم، كان محتوى الحوار واضحا جدا. ويخرج الشخص بعد نهاية المسرحية وقد انتقلت إليه الحالة النفسية للجنود البريطانيين."

هذه ثاني مرة جاءت فيها هذه المسرحية إلى واشنطن. وعرضت في نيويورك مرتين (ليس في شارع "برودواي"). ومرتين في شيكاغو، ومرة في لوس انجلوس.

ويبدو أن خليطا من حب وكراهية الأمريكيين لها سيجعلها تعود مرات ومرات. ربما مئات المرات لمئات السنوات القادمة. وذلك لأن حرب العراق تظل في أعماق الأمريكيين خليطا من خطا وصواب. تظل "عقدة."

***

عقدة حرب فيتنام:

بعد أربعين سنة تقريبا من نهاية حرب فيتنام، تظل "عقدة فيتنام" في أعماق الأمريكيين (أو هل هي عقدة الذنب؟).

في سنة 2012، في معرض الكتاب السنوي الذي يقام في "ناشونال مول" (الميدان الرئيسي أمام مبنى الكونقرس)، كان أكثر كتاب أثار الانتباه هو "حرب هانوي" الذي كتبته لين نقوين، أستاذة جامعية أميركية من أصل فيتنامي. واعتبر أهم كتاب عن رأي الجيل الجديد من الفيتناميين، أبناء وبنات الذين لجؤوا إلى الولايات المتحدة بعد هزيمة القوات الأميركية هناك (سنة 1974).

وهكذا، يظل أي كتاب أو مسرحية عن حرب فيتنام يلقى اهتماما خاصا من الأمريكيين (وأيضا، الوثائق التي ربما ستدرس وتعاد دراستها مرات ومرات، إلى الأبد).

بنفس المستوى تقريبا، يظل غزو العراق "عقدة" في ضمير الأمريكيين. وربما لهذا لم تعرض مسرحية "مراقبة سوداء" البريطانية في الشارع "أي" في واشنطن، حيث أشهر مسرحين: "ناشونال" و "وورنار". عرضت في مسرح جانبي في الشارع "إف"، هو مسرح "هارمان".

وفي نيويورك، لم تعرض في "برودواي" (شارع المسارح). ولم تعرض حتى في "أوف برودواي" (شوارع جانبية قريبة). عرضت في مسرح مغمور في ضاحية بروكلين الشعبية (التي لا تشتهر بالنشاطات المسرحية والثقافية والأدبية).

الأمريكيون والحروب:

كتب ألكساندر أولتار، ناقد فني في صحيفة "وول ستريت جورنال"، أن سبب نفور الأميركيين من المسرحيات والأفلام والكتب والتقارير التي تنتقد حروب العراق وأفغانستان والإرهاب هو "رغبة الأمريكيين في نسيان كل هذه الحروب."

لكنه فرق بين شيئين:

في جانب، تميل الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية نحو الإثارة (وتستغل غضب الأمريكيين على الإرهابيين، بصورة خاصة، وعلى المسلمين، بصورة عامة).

في الجانب الآخر، تميل المسرحيات نحو مخاطبة المتفرجين عقلانيا. (وتميل نحو إشراك المتفرجين، وتسألهم، أو تجعلهم يسألون أنفسهم، عن حقيقة ما يحدث).

لهذا:

أولا: في مسرحية "بلاك ووتش" البريطانية، يوجد المسرح في منتصف القاعة ويحيط به المتفرجون.

ثانيا: في مسرحية "غوانتانامو"، توزع ملابس السجن الصفراء على متفرجين.

ثالثا: في مسرحية "سريندار" (استسلام)، توزع على متفرجين ملابس عسكرية، ويخاطبهم الممثلون وكأنهم جنود.

مسرحية "بلاك ووتش":

خلال مسرحية "بلاك ووتش" البريطانية، يهتز المكان بأصوات تصور القذائف، والبنادق، والمدافع، والصواريخ، وأزير الطائرات، وصكيك الدبابات.

هذه هي معركة الفالوجة (سنة 2004، بعد سنة من غزو العراق). كانت القوات الأميركية حاصرت الفالوجة بعد أن قتل عراقيون أميركيين، وحرقوا جثثهم، وعلقوا الجثث المحترقة على كوبري فوق نهر الفرات.

تولى الأميركيون الهجوم، ووضعوا الفرقة البريطانية في خط الهجوم الثاني. لهذا، كما صورت المسرحية، صفقت الفرقة البريطانية تأييدا للأميركيين أكثر من اشتراكها في القتال معهم. وقضى جنودها وقتا كثيرا ينتظرون، ويتفرجون على التلفزيونات، وينتظرون خطابات الأهل، والأحباب، والأصدقاء في أسكتلندا.

وقال جون تيفاني، منتج المسرحية: "ليس الهدف تصوير بطولات، ولكن تصوير ما حدث. وليس الهدف تصوير الجنود أبطالا، ولكن تصويرهم كضحايا مجندين (اختاروهم من حانات ومقاهي مدن وريف أسكتلندا)."

في نهاية المسرحية، يستدعي قائد القوات البريطانية في العراق قائد فرقة الفالوجة، "كامي"، ويقول له إن قيادة قوات صاحبة الجلالة قررت منحه "وسام البطولة البريطاني"، ويرد "كامي": "عن ماذا؟" وكان "كامي" وجنوده انتهوا لتوهم من تنظيف القاعدة من دماء ودمار هجوم انتحاري قام به عراقي.

الفرقة الأسكتلندية:

لماذا سميت "مراقبة سوداء"؟ تأسست الفرقة بهذا الاسم سنة 1667، في عهد الملك شارلز الثاني الذي كان يواجه تمردا في اسكتلندا. وجند جنودا أسكتلنديين لمحاربة متمردين أستكلنديين. وليسهل تصنيفهم، ارتدوا أزياء سوداء. وكان شعارهم: "نيمو مي لاسيسيت امبيون" (لا احد يؤذيني بدون أن أعاقبه).

وبعد أن أخضع البريطانيون الاسكتلنديين، وفي القرن التاسع عشر، أرسلت الفرقة لمواجهة تمردات شعوب الإمبراطورية البريطانية، خاصة في دول العالم الثالث:

في سنة 1801، أرسلت إلى مصر لمنع القوات الفرنسية (بقيادة نابليون بونابيرت) من احتلال مصر.

وفي سنة 1858، أرسلت إلى الهند لمساعدة شركة الهند البريطانية. واحتلت لاكنو، عاصمة الإمبراطورية الإسلامية في الهند.

وفي سنة 1882، أرسلت إلى مصر، لضرب الثورة ("التمرد" حسب التفسير البريطاني) ضد الاحتلال البريطاني، في معركة التل الكبير.

وفي سنة 1898 ، اشتركت في غزو ("استرجاع" حسب التفسير البريطاني) السودان. وهزمت حكومة المهدي التي كانت طردت البريطانيين والأتراك قبل ذلك بثمانية عشرة سنة.

وخلال الحرب العالمية الأولي، اشتركت في الحروب العربية لهزيمة الخلافة الإسلامية التركية. ثم في احتلال بعض الدول العربية، ومنها العراق وفلسطين.

وخلال الحرب العالمية الثانية، حاربت في فلسطين والعلمين (لوقف زحف قوات هتلر نحو مصر).

وخلال الخمسينات، اشتركت في قمع "التمرد" (الثورة) ضد الاستعمار البريطاني في كينيا الذي قاده ثوار "ماو ماو".

وخلال الخمسينات أيضا، اشترك في قمع "التمرد" (الثورة) ضد الاستعمار البريطاني في ماليزيا (كانت تسمى "الملايو").

وفي سنة 2003، اشتركت في غزو العراق. وبعد الغزو تمركزت في البصرة.

وفي سنة 2004، اشتركت في حصار الفالوجة، حيث جرت أحداث مسرحية "رقابة سوداء."

شبه ترحيب أميركي:

في هذه المرة الثانية التي عرضت فيها مسرحية "رقابة سوداء" في واشنطن، وجدت شبه ترحيب (وليس ترحيبا).

وكتب بيتر ماركز، المعلق المسرحي في صحيفة "واشنطن بوست": "بعد الويسكي، وفانلات الصوف، يبدو أن مسرحية "راقبة سوداء" صارت من أهم صادرات أسكتلندا. هذه مسرحية تحرك الأحاسيس. هؤلاء جنود يحاربون في حرب لا يعرفون تفاصيل دور السياسة فيها."

وأضاف: "في حرب قادها الأمريكيون، وجد هؤلاء الجنود البريطانيون أنفسهم محتجزين في قاعدة عسكرية، ويتعرضون للهجوم أكثر من قيامهم بهجوم. وعادوا إلى وطنهم غاضين، وقلقين، لأنهم لم يقدروا على فهم أبعاد ما حدث. لم يقدروا على فهم الصورة الكبيرة للحرب."

وأيضا، هذه المرة، وجدت المسرحية شبه ترحيب في صحيفة "نيويورك تايمز." وكتب بين برانتلي، الناقد المسرحي للصحيفة، بعد أن شاهد المسرحية تعود إلى نيويورك مرة ثانية: "لم تتغير القصة. كيف تتغير؟ صارت تاريخا، من نوع التاريخ الذي يعيد نفسه، إلى ما لا نهاية."

الصحف البريطانية:

مثل جرأة البريطانيين في إخراج مسرحيات تنتقد حرب العراق، تجرأت صحف بريطانية وأشادت بمسرحية "راقبه سوداء":

كتبت "فاينانشيال تايمز": "هذه المسرحية عن الصراع الذي يواجهه جنودنا في العراق وأفغانستان، والطبيعة المتغيرة للحرب، وأخلاقيات الحرب."

وكتبت "صنداي تايمز": "هذه المسرحية عن الحرب في العراق، التي كانت حربا مشوشرة، وسيئة التخطيط، وقادها سياسيون ساذجون، إن لم يكونوا غير شرفاء."

وكتبت "صنداي تلغراف": "هل عند توني بلير (رئيس وزراء بريطانيا الذي قاد التدخل البريطاني في العراق) الشجاعة ليشاهد هذه المسرحية؟ وهل عند غوردون براون (رئيس الوزراء بعده) الشجاعة؟"

حرب سنة 1842:

من تأملات التاريخ أنه، في سنة 1929، أنتجت هوليوود فيلم "بلاك ووتش" (رقابة سوداء) عن اشتراك الفرقة الأسكتلندية في حرب أفغانستان في القرن التاسع عشر، والتي انتهت بهزيمة بريطانيا في خيبر (سنة 1842).

وقعت أحداث الفيلم عند ممر "خيبر" الذي صار رمزا لتلك الهزيمة. واعتمد الفيلم على قصة بريطانية هي: "ملك بنادق ممر خيبر".

في الفيلم:

يخاطب الكولونيل البريطاني لامسدين جنوده بأنهم يدافعون "عن قيم الحضارة الغربية" و "العرش البريطاني". وتدور مناقشات (بل اشتباكات) بين الجنود البريطانيين حول أخلاقية التدخل البريطاني في أفغانستان (والهند وباكستان). وتظهر جنسية رجالية وسط بعض الضباط. ويقع الضابط البريطاني كينغ في غرام الفتاة الأفغانية "ياسمين." سماها "أورينتال جين" (جين الشرقية)، وقال إن دينها "محمدي" (الاسم الغربي القديم للمسلمين).

وأخيرا:

بعد مائة وخمسين سنة، وجدت الفرقة الاسكتلندية نفسها تحارب في أفغانستان (بعد أن تركت العراق)، لكن، هناك تطورات إيجابية: صار بريطانيون كثيرون ينتقدون التدخلات العسكرية في الدول العربية والإسلامية. حتى جنود الفرقة الاسكتلندية أنفسهم صاروا ينتقدون.

في نهاية مسرحية "مراقبة سوداء"، يقول جندي لزميله: "هل سمعت الأوامر (بالانتقال من العراق إلى أفغانستان)؟" ويرد الزميل: "لن يكن هناك فرق."

مبنى الأمم المتحدة (نيويورك) :
سيطرة أمريكا على الأمم المتحدة



(اقرأ: الاستعلاء الأميركي).

(اقرأ: الصين وأمريكا).

(اقرأ: الدولار).

زرت مبنى الأمم المتحدة في نيويورك أول مرة سنة 1972. كنت مع اثنين وعشرين صحفيا أجنبيا دعتهم وزارة الخارجية الأميركية (في برنامج سنوي يقضى فيه الصحفيون أسابيع في الولايات المتحدة، يسكنون مع عائلات أمريكية، ويعملون في صحف أميركية، ويتجولون في بعض الولايات). وكانت زيارة مبنى الأمم المتحدة جزءا من البرنامج.

وبعد سنة 1980، عندما جئت إلى واشنطن مراسلا متفرغا لصحف ومجلات عربية في الشرق الأوسط، كثرت زياراتي.

وركزت على تغطية نشاطات الأمم المتحدة فيما يتعلق بالدول العربية والإسلامية.

وبعد سنة 2003، بعد غزو العراق، وتطور ما سماها الرئيس بوش الابن "الحرب ضد الإرهاب"، بدأت أغير رأيي في أشياء كثيرة عن أمريكا والأمريكيين، ومنها العلاقة مع الأمم المتحدة.

ومع مرور السنوات، تطور رأيي حول هذا الموضوع كالآتي:

في البداية، اعتبرتها علاقة "رائعة"، وذلك بسبب دور الولايات المتحدة في تأسيس الامم المتحدة. وخاصة دور الرئيس فرانكلين روزفلت، وزوجته إلينور روزفلت. ثم دور عائلة روكفلر التي وهبت للأمم المتحدة مكان مبناها الحالي.

ثم بدأت أرى أن الأمم المتحدة ليست إلا أداة في يد أمريكا. صحيح، وجود الأمم المتحدة في نيويورك أعطي ممثلي دول العالم فرصة الحديث في حرية. (يمكن تصور لو كانت الأمم المتحدة في موسكو). ولكن بسبب سيطرة أمريكا على مجلس الأمن، واستخدام الأمم المتحدة في السياسة الأميركية المعادية للعرب والمسلمين:

أولا: بسبب تأييد الولايات المتحدة لإسرائيل، صار مجلس الأمن يصدر قرارات الإدانة ضد الدول، يمينا ويسارا، إلا ضد إسرائيل، رغم أنها غزت أراضي عربية، ولا تزال تحتل بعضها، ولا تزال تضرب بالطائرات والصواريخ غزة ولبنان، وضربت العراق، وتهدد بضرب إيران.

ثانيا: بسبب التدخلات العسكرية الأمريكية في الشرق الأوسط (أولا: لتحرير الكويت، وثانيا: لغزو العراق. وثالثا: لمحاربة "الإرهاب"). صار مجلس الأمن يجد مبررا لهذه التدخلات العسكرية. ولم يصدر قرارا واحدا ضدها.

ربما الذنب ليس ذنب الولايات المتحدة وحدها. ربما ذنب الأمم المتحدة نفسها. لماذا تقبل أن تصير مطية للولايات المتحدة؟ لماذا لم يستقل كوفي أنان، الأمين العام احتجاجا عندما غزت أمريكا العراق بدون تفويض من الأمم المتحدة؟

خلفية تاريخية:

في سنة 1938، ولد كوفي أنان في كوماسي، في غانا، في عائلة "أرستقراطية افريقية." كان جده ووالده من زعماء قبائل أفريقية. ودرس في مدرسة "مفانتسبين" للصفوة الغانية، والتابعة للكنيسة البريطانية (تأسست سنة 1870).

وفي سنة 1957، سنة استقلال غانا، تخرج أنان من المدرسة، وانتقل إلى كلية كوماسي (الآن: جامعة نكروما، قائد الحركة الوطنية التي أدت إلى الاستقلال). وقبل أن يكمل دراسته، فاز بمنحة من مؤسسة "فورد" الأمريكية، وانتقل إلى كلية ماكالستر، في سنت بول (ولاية مينيسوتا). وهي، مثل "مفانستبين"، كلية مسيحية خاصة (تأسست سنة 1874).

ثم انتقل أنان إلى معهد الدراسات الدولية في سويسرا (سنة 1961). ثم عاد إلى أمريكا، ونال ماجستير في إدارة الأعمال من معهد ماساجوستس للتكولوجيا (سنة 1963). ثم عاد إلى جنيف، وعمل مع هيئة الصحة العالمية (سنة 1963). وبعد عشر سنوات، عاد إلى غانا، مديرا لقسم السياحة في غانا (سنة 1974). ثم التحق بالأمم المتحدة في نيويورك، مساعدا للامين العام لشؤون الإدارة والأمن (سنة 1976). ومنذ ذلك الوقت ولعشرين سنة، ظل يعمل في وظائف هامة في الأمم المتحدة: مدير قسم الميزانية، ثم المراجع العام، ثم مدير عمليات السلام.

حتى سنة 1996 عندما اختاره مجلس الأمن أمينا عاما للأمم المتحدة، وكان أول أمين أفريقي (بعد نهاية فترة العربي المصري بطرس بطرس غالي).

من أهم ما قام به أنان، خلال عشر سنوات في المنصب:

أولا: سنة 1996، بدأ يشرف على إدارة برنامج "النفط مقابل الطعام" الذي كان أعلنه الرئيس بيل كلنتون لمنع الرئيس العراقي صدام حسين من استغلال دخل النفط لتقوية قواته المسلحة وتهديد الدول المجاورة.

ثانيا: سنة 2001، أسس صندوق محاربة مرض "إيدز". والذي بسببه اشترك في نيل جائزة نوبل للسلام (مع منظمة الأمم المتحدة نفسها).

ثالثا: سنة 2005، اشرف على إرسال قوات دولية إلى دارفور لمواجهة ما سميت في ذلك الوقت "إبادة"، حملت حكومة السودان مسؤوليتها.

رابعا: سنة 2006، أسس صندوقا تابعا للأمم المتحدة لمحاربة مرض السكري.

انتقادات ضد أنان:

غير أن انان تعرض لانتقادات كثيرة خلال العشر سنوات التي عمل فيها أمينا عاما للأمم المتحدة. وتتركز الانتقادات على أن أنان "موظف دولي ممتاز"، لكنه لا يملك القدرة، أو الشجاعة، أو يملكهما ولا يريد إعلانهما، والعمل بهما، وهو يواجه المشاكل الدولية العملاقة التي تؤثر على شعوب العالم تأثيرات مباشرة وتاريخية.

بداية بفشله في وقف المذبحة القبلية التي شهدتها رواندا (سنة 1994) عندما كان مسؤولا عن القوات الدولية. في وقت لاحق، أصدر روميو دولير، قائد القوات الدولية في رواندا في ذلك الوقت، كتاب مذكراته: "صافح الشيطان: فشل الإنسانية في رواندا"، وشن فيه هجوما عنيفا على أنان.

مما كتب أن أنان رفض:

أولا: السماح للقوات الدولية في رواندا بالتدخل عندما بدأت المذبحة.

ثانيا: تسليح القوات الدولية بأسلحة متطورة.

ثالثا: صرف اعتماد مالية ولوجستيكية.

سنة 2004، بعد عشر سنوات من مذبحة رواندا، اعترف أنان بأنه اخطأ. لكنه قال: "يتحمل المجتمع الدولي الذنب لأنه لم يتحرك." وعندما سئل عن دوره الشخصي، قال: "كنت أعتقد أنني على صواب في ذلك الوقت. لكن، بعد المذبحة، أحسست أن هناك خطوات كان يجب أن اتخذها. كان يجب علي أن أدق ناقوس الخطر، وأحشد الناس."

"النفط مقابل الطعام":

في سنة 1966، بدا أنان الإشراف على برنامج "النفط مقابل الطعام" الذي كان أعلنه الرئيس بيل كلينتون لمنع الرئيس العراقي صدام حسين من استغلال ثروة النفط لتسليح قواته المسلحة، ولتهديد الدول المجاورة. في وقت لاحق، وبسبب ضغوط أمريكية، تبنت الأمم المتحدة البرنامج.

في سنة 2004، كشفت تقارير صحافية أن كوجو أنان، ابن كوفي أنان، كان أسس شركة في سويسرا، واشترك مع شركات سويسرية، منها شركة "كوتيكنا" في الحصول عقودات برنامج "النفط مقابل الطعام".

في البداية، نفى كوفي أنان علمه بخفايا نشاطات ابنه. ونفى أنه كان اجتمع مع مدير "كوتيكنا" لصالح ابنه. وبعد انتقادات خارجية ومن داخل الأمم المتحدة، ومن الكونقرس الأمريكي، اضطر أنان لتشكيل لجنة تحقيق، ترأسها بول فولكر (كان مديرا لمجلس الاحتياطي، البنك المركزي الأمريكي).

خلال التحقيقات، غير أنان رأيه، واعترف بأنه قابل مدير شركة "كوتيكنا"، ليس مرة واحدة، ولكن مرتين.

لم يدن التقرير النهائي أنان "بسبب عدم وجود أدلة كافية". لكنه أدان مدير برنامج "النفط مقابل الطعام" (القبرصي بينان سيفان، الذي كان أنان عينه في المنصب قبل ذلك بأربع سنوات).

ثم حقق مكتب التحقيق الفدرالي (اف بي آى) في الموضوع (لأن مركز الفساد كان في الولايات المتحدة). واتهم سيفان باستلام مائة وخمسين ألف دولار (قالت تقارير أنها مليون دولار) من حكومة صدام حسين للسكوت عن تحويل بلايين الدولارات من مبيعات النفط إلى القوات العراقية المسلحة.

غير أن سيفان أنكر التهمة. وعقد مؤتمرا صحافيا مع محاميه الأمريكي قالا فيه أن سيفان "ليس إلا كبش فداء" حتى لا يدان انان.

مسؤولية أنان:

في وقت لاحق، عزل أنان سيفان (ولكن منحه استحقاقاته المالية من الأمم المتحدة، بالإضافة إلى الحماية الدبلوماسية).

وعندما انتقل سيفان إلى وطنه قبرص، قال أنه يتمتع بحماية دبلوماسية، ولم تقدر "اف بي آى" على اعتقاله بسبب عدم وجود اتفاقية تبادل مجرمين بين الولايات المتحدة وقبرص.

ووجد سيفان تأييدات غير مباشرة من آخرين:

أولا: استقال مارك بايث، عضو لجنة فولكر (التي حققت في فضيحة "النفط مقابل الطعام") من منصبه بعد أن اصدر فولكر تقريره الذي لم يدن فيه أنان "بسبب عدم وجود أدلة كافية." وقال بايث: "لن أسكت على إخفاء الحقيقة."

ثانيا: استقال الباكستاني إقبال رضا، كبير موظفي مكتب أنان، بعد أن ورد اسمه في تحقيقات لجنة فولكر.

أما كوجو أنان (الابن)، نفى أي صلة بعقد الخمسة ملايين دولار الذي وقعته شركة "كوتيكنا" لشراء نفط العراق. غير انه استمر يعمل مع الشركة.

وقال والده إنه يتمنى لو أن ابنه ترك العمل في الشركة وابتعد عن الأضواء. وقال الوالد وكأنه يعتذر: "ماذا نقدر على أن نفعل مع أولادنا عندما يكبرون ولا يسمعون كلامنا؟"

بريئان أو غير بريئين، يظل اسما كوفي انان وكوجو أنان يترددان في أغنية فرقة "ميقاديث" الأمريكية: "يونايتد أبومونيشن" (المكروهون المتحدون، على وزن الأمم المتحدة). وفيها: "أسرى النفط مقابل الطعام. لكن، صحون طعامهم ملأي. ولا دليل على جرائمهم. أليس هذا صحيحا يا كوجو؟"

غزو العراق:

في سنة 2003، قادت الولايات المتحدة غزو العراق بينما كان كوفي أنان أمينا عاما للأمم المتحدة.

قبل الغزو بشهرين، عندما صار واضحا أن الرئيس بوش الابن خطط لغزو العراق، وأمر العسكريين الأمريكيين بالاستعداد للغزو، دعا أنان، في بيان رسمي من مكتبه في الأمم المتحدة، الرئيس بوش ألا يغزو بدون قرار من مجلس الأمن. وفي بداية شهر مارس، قبل ثلاثة أسابيع من الغزو، قال أنان في مؤتمر صحافي: "الحرب يمكن أن تؤدي إلى عواقب غير مقصودة. ويمكن أن تسبب أخطارا أخرى، وتهديدات أخرى."

لكن، لم يفعل أنان أكثر من التصريحات الدبلوماسية. لم يعارض الغزو، ولم يحذر بوش إلا يغزو، ولم يهدد بالاستقالة.

وبعد الغزو، أشرف أنان على قرارات مجلس الأمن التي أضفت "شرعية دولية" على الاحتلال الأمريكي. وعلى تولى القوات الغازية مهمة إدارة العراق "اعتمادا على قانون عمره مائة سنة تقريبا (قانون لاهاي عن الحرب وعن احتلال أراضي العدو).

وفي وقت لاحق، قدم أنان إلى مجلس الأمن مشروع قانون وقف برنامج "النفط مقابل الطعام" بعد أن صار العراق دولة محتلة. ودعا إلى تحويل الحسابات إلى الولايات المتحدة. كانت هذه عشرة مليارات دولار (ما تبقى من برنامج استمر ثماني سنوات، وأشرف على صرف سبعين مليار دولار من عائدات النفط العراقي).

مقابلة "بي بي سي":

وانتظر أنان أكثر من سنة حتى أحرجته، سنة 2004، سوزانا برايس، مراسلة "بي بي سي" (الإذاعة البريطانية) في مقابلة تاريخية. وبعد لف ودوران أثناء المقابلة، قال إن الحرب كانت "غير قانونية، إذا تريدين منى أن أقول ذلك."

ثم قال:"أعتقد أنني فعلت كل ما بوسعي".

وسألته الصحفية البريطانية: "لماذا لم تقف في مجلس الأمن الدولي، وتقول، في عام 2003: 'هذه الحرب غير قانونية بدون قرار من مجلس الأمن؟" وتجنب أنان إجابة مباشرة. وتردد، ثم قال: " قبل الحرب قلت: أن تعلن الولايات المتحدة والحلفاء الحرب بدون موافقة مجلس الأمن لن ينسجم مع ميثاق الأمم المتحدة."

وعندما ضغطت عليه الصحفية، قال محتجا: "يقول مثل أميركي: سهل تحليل مباراة في اليوم التالي. ويشير مثل أميركي آخر إلى الحكم الذي يجلس على كرسي وثير ويصدر الأحكام."

وردا على سؤال آخر، قال: "خرجت الملايين في الشوارع (معارضة الحرب قبل أن تبدأ)، ولم يؤثر ذلك على أي شيء (على إعلان بوش للحرب)".

وقال: "تعلمنا دروسا قاسية، دروسا للولايات المتحدة، وللأمم المتحدة وللدول الأخرى... آمل ألا نرى وضعا يشبه وضع العراق مرة أخرى، وضعا بدون موافقة الأمم المتحدة، وبدون تأييد واسع من المجتمع الدولي."

حلفاء أنان ينتقدونه:

ويا ليت أنان، وهو حريص على منصبه، لم يقل ما قال.

بعد المقابلة، شن مسؤولون غربيون هجوما عنيفا عليه:

أولا: في لندن، قال مسؤول في حكومة توني بلير: "حصلنا على موافقة الأمين العام للأمم المتحدة."

ثانيا: في كانبيرا، قال مسئول في الحكومة الأسترالية: "دخلنا حربا قانونية."

ثالثا: في واشنطن، تساءل متحدث باسم دونالد رمسفيلد، وزير الدفاع الذي اشرف على الغزو: "كيف يتجرأ الأمين العام للأمم المتحدة، الذي يمثل الدول الأعضاء، على أن يغير رأي الدول الأعضاء؟"

وكانت المقابلة الصحفية بداية غضب (ربما احتقار) من جانب الأمريكيين، خاصة في الكونقرس، وخاصة وسط الأعضاء الذين تحمسوا كثيرا لغزو العراق. استغربوا كيف يتجرأ أنان، وهو "الموظف الدولي" على أن يقول ما قال.

هل رد أنان؟ هل هدد بالاستقالة؟ هل استقال؟ استمر يؤدي العمل الذي يجيده: "إنترناشونال سيرفانت" (خادم دولي) كما قال هو نفسه. يطيع أوامر الدول الكبرى التي تسيطر على الأمم المتحدة.

ومرة أخرى لسوء حظ أنان، جاءت فضيحة "النفط مقابل الطعام"، وحققت ست لجان في الكونقرس، وشنت حملات عنيفة ضد أنان.

وعقد أنان مؤتمرا صحفيا في مكتبه في الأمم المتحدة، قال فيه أن هناك أميركيين يشتركون في "لينش موب" (غوغاء يريدون شنقه). هذه عبارة يستخدمها الأمريكيون السود ضد البيض، وهي تشير إلى سنوات "لينش"، خاصة في الولايات الجنوبية (شنق سود من فروع أشجار إذا ارتكبوا جرائم، خاصة مثل اغتصاب امرأة بيضاء).

ومرة أخرى، لسوء حظ أنان، جاءت هذه المواجهة مع الأمريكيين في وقت زاد فيه الحزب الجمهوري حملته ضد الأمم المتحدة. ويبدو أن بعض هؤلاء خلطوا بين أنان وبين الأمم المتحدة، وحملوا أنان ما لا يستحق أن يحمل.

لم تخل الحملة من جوانب عنصرية بسبب لون أنان. ثم بسبب إشارته إلى "موب لينش". وأشارت مواقع محافظة في الإنترنت إلى أن أنان طلق زوجته الغانية، وتزوج سويدية شقراء.

"واشنطن بوست":

في سنة 2005، كتب كولم لينش، مراسل صحيفة "واشنطن بوست" في الأمم المتحدة لعشر سنوات تقريبا، وغطى كل سنوات أنان:

"اقترب كوفي أنان من السماوات العليا مثلما لم يقترب أي دبلوماسي دولي: نال جائزة نوبل للسلام. ظهر في غلاف مجلة "تايم" كشخصية العام. وصار يلقب بأنه "البابا العلماني" لدعوته للسلام والعطف على الفقراء في العالم. لكن، واجه تحقيقات داخل الأمم المتحدة وخارجها. بسبب برنامج "النفط مقابل الغذاء" في العراق. وبسبب فضائح مالية وجنسية (تورط واحد من مساعديه في فضيحة تحرشات جنسية لسكرتيرات كن يعملن معه). ودعا إلى استقالة أنان جمهوريون محافظون، وهددوا بوقف التمويل الأميركي لميزانية الأمم المتحدة (25 في المائة تقريبا)."

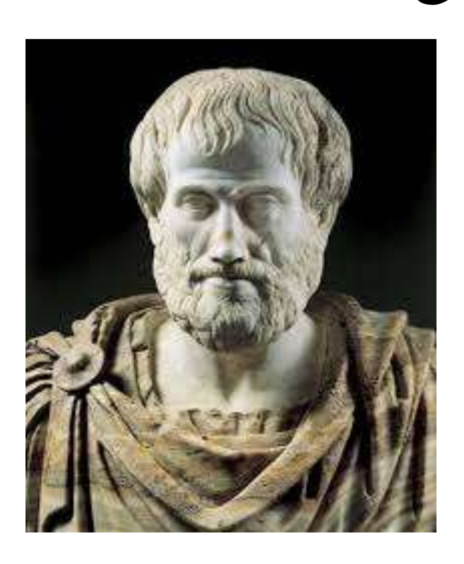
وأضاف لينش: "تبدو قصة أنان مثل مأساة يونانية قديمة: نفس الصفات التي صعد بها ساهمت في هبوطه: تركيزه على إرضاء كل الأطراف. وعلى الحلول الوسط. وخوفه على منصبه من غضب الدول الكبرى (خاصة الولايات المتحدة). وولائه لبيروقراطية الأمم المتحدة (وهو الذي تربي فيها لثلاثين سنة تقريبا)."

وأخيرا:

من مفارقات التاريخ أن دول العالم الثالث، التي رشحت أنان، وأيدته، كأول أفريقي يصير أمينا عاما للأمم المتحدة، صارت، بعد سلسلة الأخطاء والفضائح السابقة الذكر، تنتقده. وخاصة لأنه صار يحاول إرضاء الأمريكيين. رغم أن الأمريكيين ما عادوا يؤيدونه، أو حتى يحترمونه.

لهذا، علاقة أمريكا مع أنان مثال لعلاقة أمريكا مع الأمم المتحدة: تستخدمها لمصالحها أكثر منها لمبادئها. رغم أن الأمم المتحدة تأسست لحماية حقوق الإنسان (وأمريكا نفسها قادت تأسيسها، وتستضيفها).

مقابر فيتسبيرج (ولاية بنسلفانيا) : فصاحة السياسيين



(اقرأ: فضائح السياسيين الجنسية)

(اقرأ: عندما يعتذر السياسيون)

في سنة 1985، جئت إلى هنا، إلى مقبرة قيتسبيرج (ولاية بنسلفانيا). هذه ليست مقبرة مثل بقية المقابر، لأنها اشتهرت بثلاثة أشياء:

أولا: بالقرب منها، وقعت واحدة من أهم معارك الحرب الأهلية الأمريكية (سنوات الحرب: 1861 - 1965) في سنة 1863.

ثانيا: رغم أن الجنود الذين قتلوا في الحرب الأهلية دفنوا في أماكن كثيرة، تعتبر هذه المقبرة الوطنية.

ثالثا: في سنة 1963، ألقى الرئيس ابراهام لتكون "خطبة قيتسبيرج" الشهيرة، واحدة من أهم الخطب في تاريخ أمريكا.

خلال زيارة المكان، زرت المتحف، والمقابر، والقاعة التي فيها معلومات عن الحرب، ومن هذه المعلومات: خطبة لتكون مكتوبة، ومسموعة (بصوت ممثل أميركي). وتعتبر الخطبة ليست فقط من أهم الخطب الأمريكي، ولكن، أيضا، من أكثرها فصاحة.

غير أن فصاحة لتكون ظهرت قبل الخطبة. خاصة سنة 1860، عندما ترشح لرئاسة الجمهورية (وفاز)، واشترك في واحدة من أهم المناظرات الرئاسية.

عرفت هذه المعلومات، وغيرها، بعد أن اشتريت كتبا (أو استلفتها من المكتبة القريبة من منزلنا) لزيادة معلوماتي عن التاريخ الأمريكي. واهتممت بفصاحة لتكون، ومقارنتها بفصاحة رؤساء أميركيين معاصرين، وخاصة الرئيس رونالد ريقان، الذي كان فصيحا لأنه كان ممثلا يحفظ ما يكتب له. وهذا يجعل فصاحته مختلفة عن فصاحة لتكون.

الفصاحة والبلاغة:

أولا: "ريتوريك" (فصاحة): الكلام المرتب، والمنسق، والمنظم.

ثانيا: "إيليكوانس" (بلاغة): الكلام الذي يركز على الإقناع.

وطبعا، تساعد الفصاحة على الإقناع. في نفس الوقت، يمكن أن يكون الإقناع بدون بلاغة، أو ببلاغة أقل. يمكن أن يكون الإقناع عاطفيا (وليس عقلانيا): خوفا أو شجاعة، حبا أو كراهية، انتقاما أو عفوا.

وحسب كتاب "كلاسيكال إيليكوانس" (الفصاحة الكلاسيكية)، هناك أنواع مختلفة لنكلام، منها:

أولا: "توك" (كلام): مع شخص، أو مع عدد قليل من الناس. وكلام الشخص مع نفسه يجب أن يكون مسموعا، وإلا يكون تفكيرا، وليس كلاما.

ثانيا: "أوريتوري" (خطابة): أمام عدد كبير من الناس. وتستعمل أكثر في المجال السياسي. وتميل نحو الارتجال. ونحو البلاغة والفصاحة.

ثالثا: "أدريس" (خطاب): أمام عدد كبير من الناس. وتستعمل أكثر في المجالات غير السياسية. مثل: مدير شركة يخاطب عددا كبيرا من موظفيه. وطبيب، أو مهندس، يشرح عمله.

خلفية تاريخية:

أهم تعريف للفصاحة في الثقافة الأمريكية (والغربية كلها) مصدره أرسطو، الفيلسوف اليوناني القديم، ومؤلف كتاب "أرس ريتوريكا" (فن الفصاحة). وصف الفصاحة بأنها: "القدرة على الإقناع." واصل الكلمة هو "اوريتيكال" (خطابة) والتي أصلها الفعل "ليغو" (يتكلم). وهكذا، ربط أرسطو بين الفصاحة، والخطابة، والكلام.

وقسم أرسطو الإقناع إلى ثلاثة أنواع:

أولا: "لوغو" (منطقي).

ثانيا "باثو" (عاطفي).

ثالثا: "إيثو" (أخلاقي).

من أشهر روايات الفصاحة في العصر اليوناني القديم رواية هيلين، أميرة سبارتا (بنت الإله زيوس والآلهة ليدا) التي خطفها باريس، أمير طروادة. فعل باريس ذلك بعد أن دعاه زيوس (والد هيلين) ليختار أجمل بنت في سبارتا، لأنه أجنبي ومحايد.

تفحص باريس ثلاث جميلات: هيرا، أثينا، أفروديت. واختار الأخيرة. لكنه خطف هيلين (بنت زيوس).

وتظهر فصاحة الرواية في إنها تناقش: هل "خطف" باريس هيلين؟ أو هل "أقنعها"؟ أو هل هي "خطفته"، بمعنى أو آخر؟ وحتى الوقت الحاضر، يتناقش الفلاسفة في هذا الموضوع.

بعد التفسير اليوناني (القرن الرابع قبل الميلاد) جاء التفسير الروماني (القرن الرابع بعد الميلاد). ووضع فلاسفة رومان خمسة أركان للفصاحة: إبداع، ترتيب، تصوير، حفظ، إلقاء.

ومن أشهر فصحاء العصر الروماني، القسيس سنت أوغسطين الذي تخصص في الكتابات الدينية. وكتب واحدا من أشهر تفسيرات الإنجيل. غير انه ينتقد، حتى يومنا هذا، بأنه أسس نظرية التثليث (الأب، الابن، الروح المقدسة) التي، طبعا، نفاها القرآن الكريم.

فصاحة شكسبير:

وهناك فصاحة رويات البريطاني وليام شكسبير (توفى سنة 1616). ليس فقط لأنها شعر، حيث الفصاحة أكثر، ولكن، أيضا، لأن شكسبير بالغ في الفصاحة. خاصة في رواياته الأولى، مثل "تيتوس أندرونيكاس."

في هذه فصاحة، ربما مبالغ فيها، عن شرف الأسياد وعبودية العبيد.

في جانب، هناك إشادات فصيحة بالجنرال الروماني "تيتوس"، الذي كان يريد عرش روما. وتصف الرواية دخوله روما: "اشرف الأشراف، وأنبل النبلاء. لنتبرك كلنا، ولنتشرف كلنا، بمقدمه. أبو الفضيلة، وبطل روما. من مثله يتمتع بالشجاعة والوطنية؟ من مثله يستحق عرش روما؟"

وفي الجانب الآخر، هناك نقد فصيح للعبد "أرون"، خادم الأميرة "تامورا"، التي كانت أيضا تريد عرش روما. لكن، كان "ارون" (وهو من "المور"، سكان شمال إفريقيا السود) أيضا عشيقا سريا الأميرة. وعندما أنجبت له طفلا نصفه أبيض ونصفه اسود، اعتبره الرومان عارا. وقرروا قتله، وقتل والده.

تقول الرواية: "لتطبق العدالة على أرون، ذلك العبد الموري الملعون. ليشرب بوله، وليأكل سوءته." وعن الأميرة: "خائنة روما، وأميرة العار. مقهورة، منحطة، محتقرة."

فصاحة لتكون وسميث:

ووسط السياسيين الأميركيين، لا تذكر الفصاحة، إلا وتذكر مناظرات الانتخابات الرئاسية سنة 1860 بين الرئيس أبراهام لتكون (الحزب الجمهوري)، ومنافسه ستيفن دوقلاس (الحزب الديمقراطي).

وفي غياب الراديو والتلفزيون وحتى الميكرفون، اعتمدت المناظرة على الفصاحة. وحسب مناظرات ذلك الوقت، تحدث كل واحد ساعة. ثم تحدث كل واحد نصف ساعة، للرد على الآخر. كانت المناظرات تجرى أمام أعداد كبيرة من الناس، لهذا، كانت تركز على الخطابة، والفصاحة، والبلاغة. وسط هتافات وتصفيق.

في اول مناظرة، تحدث دوغلاس، وأثار حماس المستمعين بأسئلة مثل: "هل تريدون زنجيا يكون مواطنا متساويا معكم؟" وهتف بعض المستمعين: "لا". "هل تريدون زنوجا يملكون مزارع مثل مزارعكم، وثروة مثل ثرواتكم؟" وهتفوا: "لا".

وعندما جاء دور لتكون، ركز على بنود الحرية والمساواة في إعلان الاستقلال الأمريكي، وفي الدستور الأمريكي. وسأل: "ألم يخلق الله الناس متساوين؟" وهتف البعض: "نعم". وسال: "لماذا لا نلتزم بالدستور وحقوق الإنسان؟" وهتفوا: "نقدر على ذلك، نقدر على ذلك."

في سنة 1860، فاز لتكون برئاسة الجمهورية. وفي سنة 1862، أعلن قانون تحرير العبيد. وفي سنة 1863، ألقى "خطبة قيتسبيرج" المشهورة بفصاحتها.

هذه بداية الخطبة: "قبل أربعة عشرينيات وسبع سنوات، في هذه القارة، أسس آباؤنا امة جديدة في ظل الحرية والإيمان بأن كل الناس خلقوا متساوين. في الوقت الحاضر، نحن نشترك في حرب أهلية هائلة تمتحن عزيمتنا، كما تمتحن كل حرب أهلية عزيمة شعبها ... "

خطب فصيحة أخرى:

سنة 1863: خطاب الرئيس لتكون الذي عتق فيه الرقيق. وفيه عبارات من الإنجيل عن المساواة بين الناس، وعن رسالة الحب والسلام التي جاء بها المسيح.

سنة 1918: خطاب الرئيس وودرو ويلسون مع نهاية الحرب العالمية الأولى، وفيه "نقاط ويلسون الاثنتا عشرة" عن تقرير المصير للشعوب المستعمرة والمضطهدة.

سنة 1932: خطاب الرئيس فرانكلين روزفلت يوم تنصيبه، عن "المذهب الجديد" (السيطرة على الرأسمالية، وحماية الشعب الأميركي من جشعها).

سنة 1941: خطاب روزفلت يوم هجمت القوات اليابانية على القاعدة العسكرية في بيرل هاربر (في هاواي) عن "يوم لا ينسى" (أعلن فيه دخول أميركا الحرب العالمية الثانية ضد اليابان وألمانيا وايطاليا).

سنة 1962: خطاب الوداع الذي القاه الرئيس دوايت أيزنهاور، بعد ثماني سنوات في البيت الأبيض، وعنوانه: "تحذير من سيطرة الشبكة العسكرية الصناعية الأمريكية."

سنة 1962 : خطاب الرئيس جون كنيدي يوم تنصيبه، عن"الآفاق الجديدة" (عن الجيل الشاب في أمريكا، وطموحاته، والوصول إلى القمر).

سنة 1963 : خطاب مالكوم اكس، زعيم زنجي أميركي أسود مسلم، عن "الكراهية التي تولد الكراهية."

سنة 1963 : خطاب الأسقف الأسود مارتن لوثر كينق، زعيم حركة الحقوق المدنية، وعنوانه: "أى هاف دريم" (عندي حلم).

"عندي حلم":

يعتبر خطاب "عندي حلم" واحد من أكثر الخطب السياسية فصاحة في تاريخ أمريكا. وهو ينقسم إلى قسمين: حالة الزنوج، وأمل المستقبل.

القسم الأول عن حالة الزنوج، وقال فيه: "بعد 100 سنة (من إعلان الرئيس لنكون عتق الزنوج)ً لا يزال الزنجي غير حر. لا تزال، للأسف، حياة الزنجي تعرقلها التفرقة، والسلاسل. بعد 100 سنة، الزنجي يعيش على جزيرة منعزلة من الفقر في خضم محيط شاسع من الرخاء المادي. بعد 100 سنة، لا يزال الزنجي يعيش في ركن قصي من أركان المجتمع الأمريكي. بعد 100 سنة، لا يزال الزنجي منفيا في وطنه."

القسم الثاني عن الحلم، وقال فيه: "عندي حلم أنه، يوم ما، سوف ترتفع هذه الأمة، وتعيش المعني الحقيقي لما جاء في إعلان حقوق الإنسان الأمريكي الذي يقول: "

نعتبرها حقائق بديهية، أن كل الرجال خلقوا متساوين. عندي حلم أنه، يوما ما، على التلال الحمراء في ولاية جورجيا، سيجلس معا حول مائدة الأخوة أبناء العبيد السابقين وأبناء مالكي العبيد السابقين. عندي حلم أنه، يوما ما، ستتحول ولاية ميسيسيبي، ولاية الظلم الساخن من الاضطهاد، إلى ولاية الحرية والعدالة. عندي حلم أنه، يوما ما، سيعيش أطفالي الأربعة في بلد لا يحكم عليهم حسب لون بشرتهم ولكن حسب محتوى شخصيتهم."

الفصاحة والإقناع:

حسب كتاب باتريك كوربيت: "كلاسيكال أيليكوانس" (الفصاحة الكلاسيكية)، الهدف الرئيسي من اللغة هو نقل معلومة. والهدف الرئيسي من المعلومة هو الإقناع. وتساعد الفصاحة على الإقناع.

لهذا، نفس مرافعة محام لم تقنع قاضيا يمكن أن تقنع قاضي محكمة استئناف. ونفس خطبة سياسي يمكن أن تفوزه أو تسقطه. ونفس كلمات الغزل يمكن أن تغرى المرأة، أو تنفرها. ونفس الوعظ يمكن أن يشجع على الجهاد أو على القعود.

وتلعب الحقيقة دورا هاما في الإقناع، حسب الآتي: قولها كلها، جزء منها، غيابها، إنكارها، شكوك فيها، إخلاص في قولها، تحاشيها، ادعاؤها، إلخ...

وتلعب البيئة دورا هاما في الإقناع، أيضا: يسهل الإقناع في القرية (حيث تزيد الثقة بسبب قوة العلاقات الاجتماعية) عنها في المدينة (حيث تقل الثقة بسبب كثرة الناس، والمنافسات، والصناعات، والماكينات).

ويختلف تأثير الإقناع إذا كان الاتصال مباشرا، غير مباشر، مصورا، مكتوبا، إلخ...

وطبعا في المجتمع الحر، تصير المهمة صعبة بسبب كثرة الآراء والآراء المضادة. وفي عصر الإنترنت، تصير المهمة أصعب وأكثر تعقيدا.

وتسهل مهمة الفصاحة في الأنظمة الدكتاتورية (أشار الكتاب إلى فصاحة الألماني أدولف هتلر، والكوري كيم إيل سونغ، والإفريقي روبرت موقابي) لأسباب منها: غياب آراء بديلة، والمغالاة في الوطنية، والتركيز على العواطف، والتكرار.

ويؤثر الواعز الديني على أهمية الفصاحة. وأشار الكتاب إلى أن النبي هارون كان أكثر فصاحة من أخيه النبي موسى. وان عيسى كان من أكثر الأنبياء فصاحة، كما في "سيرمون أون ماونت" (خطبة التل). وطبعا كما في القرآن: "ويكلم الناس في المهد".

وعن الفصاحة وسط السياسيين، قال الكتاب إنها يمكن أن تكون اتهامات مثل:

أولا: "ابن كلب." هذا، طبعا، اتهام غير حقيقي.

ثانيا: "عنده بواسير وزهري". هذا اتهام يحتاج إلى فحص معملي لإثبات حقيقته.

ثالثا: "منافق." هذا اتهام ليس سهلا إثباته، خاصة لأن سياسيين كثيرين يوصفون بأنهم منافقون.

لهذا، الفصاحة ليست دائما الحقيقة.

في الجانب الآخر، الحقيقة لا يجب أن تكون فصيحة. مثلا: يقول طبيب لمريض: "عندك ضغط دم." لكن، إذا أضيفت إلي الحقيقة فصاحة، يمكن أن تستهدف هدفا معينا. مثلا: يقول طبيب لمريض: "سمعك ضعيف جدا، أليس هذا مؤسفا؟" (الهدف: اشترى منى سماعة).

وعندما اشتكت أمريكية رجلا بأنه والد الجنين الذي في رحمها، دافع محامي الرجل أمام القاضي بان الرجل كان خارج البلاد قبل ثمانية شهور عندما حملت المرأة. (الهدف: فكروا في ما حدث في الماضي).

وعندما تحو ل اهتمام امرأة، في ملهي ليلي، من صديقها نحو رجل آخر، في فصاحة، قال لها صديقها: أن الرجل سيئ السمعة. (الهدف: فكرى في ما سيحدث في المستقبل).

الأدب العربي:

ولا تذكر الخطابة والفصاحة والبلاغة إلا ويذكر الأدب العربي. وفي كتابه "فن الخطابة"، يشرح د. احمد الحوفي الكلمات الثلاثة:

أولا: الخطابة هي مشافهة الجمهور، وإقناعه، واستمالته. وهي الكلام المنثور، يخاطب به متكلم فصيح جمعاً من الناس لإقناعهم.

ثانيا: الفصاحة هي التركيز على الكلمات والعبارات، على فن الخطابة. وإذا انعدم الفنُّ في الخطابة، تصير تهريجًا. وإذا لا يوجد مستمعين، تصير حديثًا أو وصيةً. وإذا لم تؤثر تأثيرا فعليا، تصير عديمة الثمرة ومضيعة للوقت.

ثالثا: البَلاغة اسم مشتق من فعل بلغ، بمعنى إدراك الغاية، أو الوصول إلى النهاية. والقرآن هو "البلاغ المبين" وهو "بلاغ للناس ولينذروا به ... " وفي الحديث:""إن من البلاغة لسحراً."

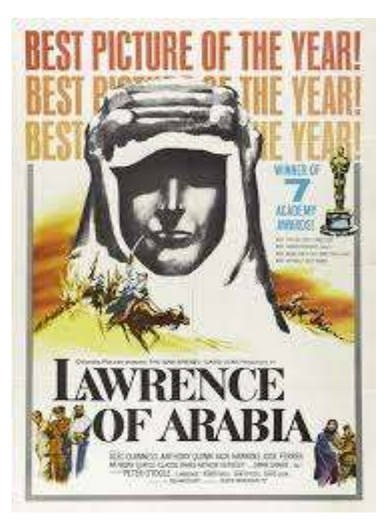
وحسب الكتاب، علم البيان هو زيادة تبيين المعني وتوضيحه. وعلم البديع هو تنسيق الكلام حتى يصير بديعا.

تحديث:

في سنة 2008، فاز الرئيس باراك أوباما بعد حملة انتخابية اشتهر فيها بفصاحته. وكتب كثير من الخبراء والصحافيين بأنه من أفصح الرؤساء الأميركيين. وفي سنة 2012، مع الحملة الانتخابية الرئاسية الثانية لاوباما صدر كتاب "الفصاحة: من أرسطو إلى أوباما"، وفيه كثير من المعلومات السابقة.

لكن، يمكن القول أن المرشح الجمهوري ميت رومني لم يكن أقل فصاحة، خاصة في المناظرات التلفزيونية، والتي تقاسم فيه الرجلان النتائج.

سينما «ريف» فيرفاكس (ولاية فرجينيا) : أمركة لورانس العرب



(اقرأ: أمركة جيمس بوند) .

(اقرأ: هوليوود: فن وتجارة) .

في أواخر سنة 2012، جئت إلى هنا لمشاهدة فيلم "لورنس أوف اريبيا" (لورنس العرب). كان ذلك خلال شهر مهرجان عن الرجل. احتفلت به جامعة تكساس في أوستن (حيث مركز لوثائقه). وأقيمت ندوات عنه. وناقشه طلاب دراسات الشرق الأوسط في جامعات أمريكية. وكتبت عنه كتب، وعلق عليه معلقون.

خلال خمسين سنة، ظل لورنس العرب جزءا من الثقافة الأمريكية، لتدريسه في مقررات تاريخ العالم في المدارس الثانوية، ولشهرة الفيلم، ولمسلسلات تلفزيونية عنه.

ويظل كتاب مذكراته "أعمدة الحكمة السبعة" (صدر سنة 1935) من المراجع الرئيسية للذين يدرسون خلفية العلاقات بين الشرق المسلم والغرب المسيحي.

وزاد الاهتمام الأمريكي بالرجل خلال العشرين سنة الأخيرة، مع التدخل العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط بقيادة الرئيس السابق بوش الأب (بداية بتحرير الكويت من الاحتلال العراقي سنة 1992). وفي سنة 2003، بعد غزو العراق، وزعت القوات الأمريكية المسلحة الفيلم على جنودها في الشرق الأوسط.

ووسط المثقفين الأميركيين، زاد النقاش عنه بعد غزو واحتلال أفغانستان والعراق، ونظريات الرئيس السابق بوش الابن الثلاثة عن الشرق الأوسط:

أولا: نشر الديمقراطية.

ثانيا: "بري امتيف سترايك" (الحرب الاستباقية).

ثالثا: "وور اوف ايدياز" (الحرب الفكرية).

في هذه المناقشات، لم يعد سرا دور بول وولفووتز، نائب وزير الدفاع في إدارة بوش، ومن الذين خططوا (ونفذوا) غزو العراق. وخلال النقاش عن فيلم "لورنس العرب"، وانعكاساته الأمريكية، سماه مثقفون أمريكيون "لورنس العرب الأمريكي" و "وولفووتز العرب" و "لورنس العرب اليهودي" (إشارة إلى يهوديته).

خلفية تاريخية:

ولد توماس إدوارد لورانس في ويلز، عام 1888. ودرس في جامعة أكسفورد، وكان عنوان بحثه الرئيسي: "تأثير الحروب الصليبية على التفكير العسكري الأوروبي." وتجول في فلسطين، وسوريا، ولبنان، والأردن (كانت أجزاء من الخلافة العثمانية) لدراسة الآثار وتعلم اللغة العربية.

مع بداية الحرب العالمية الأولى (عام 1914) التحق بقسم الاستخبارات العسكرية، وأرسل إلى مصر. وهناك عمل ضابط اتصال بين البريطانيين وحلفائهم العرب في حربهم المشتركة ضد الأتراك. وتقرب من الشريف حسين بن على الهاشمي (أمير الحجاز، حتى سنة 1924 عندما هزمه الملك عبد العزيز آل سعود). وتقرب من أبنائه الثلاثة:

أولا: فيصل: عينه البريطانيون، بعد هزيمة الأتراك، ملكا على العراق. وهو جد الملك فيصل الثاني الذي قتل في الثورة التي أطاحت بالملكية (سنة 1958).

ثانيا: عبد الله: عينه البريطانيون، بعد هزيمة الأتراك، ملكا على الأردن. وهو جد الملك حسين (والد الملك الحالي عبد الله). وقتله فلسطيني في المسجد الأقصى (سنة 1951).

ثالثا: على: عينه والده ملكا على الحجاز. لكن، رفض البريطانيون مساعدته. وسقطت الحجاز، وفر إلى العراق حيث عاش مع أخيه الملك فيصل.

***

عمر الشريف:

ساهم فيلم "لورنس العرب" في ارتفاع نجم الممثل المصري عمر الشريف، حيث مثل فيه دور الأمير على. وحسب الفيلم (وحسب التاريخ) كان الأمير فيصل أقرب أولاد الشريف حسين إلى البريطانيين (وإلى لورنس). سماه لورنس "الأمير الأسمر". وفي ملصقات الفيلم لونه أكثر سمرة (ربما ليتأكد الغربيون أنه ليس منهم).

وزاد من شهرة عمر الشريف انه مثل الدور الرئيسي في فيلم "دكتور زيفاجو"، عن الطبيب الروسي زيفاجو الذي وقع (حسب رواية الروسي بوريس باسترناك) في غرام لارا، الشقراء الروسية، خلال الثورة الشيوعية في روسيا (مع نهاية الحرب العالمية الأولى).

ومثل عمر الشريف في فيلم "فاني غيرل" (البنت الطريفة) مع باربرا سترايساند. وأثار ذلك ضجة كبيرة، وانتقدته حكومة الرئيس المصري جمال عبد الناصر (سنة 1968) لأنه مثل دور اليهودي نيكي إمشتاين، وأمام سترايساند اليهودية.

ودافع عمر الشريف عن نفسه بأن الفن من أجل الفن، وأنه يمثل من اجل التمثيل. وان اليهودي إمشتاين تزوج مسيحية، وكان أولادهما مسيحيين. ودافع عمر الشريف عن نفسه، أيضا، باسم التسامح بين الأديان (وهو المسيحي المصري، من أصل لبناني. اسمه الأصلي: مايكل ديمتري شلهوب).

في ندوة قسم وثائق لورنس العرب في جامعة تكساس في أوستن، دار نقاش حول دور عمر الشريف. واعتبر رمزا للتسامح الديني "في شرق أوسطى يغلي من المشاكل والحروب الدينية". وأشير إلى أن عمر الشريف، في سنة 2003 (بعد أربعين سنة من الضجة حول تمثيله مع اليهودية باربرا سترايساند) وكان عمره سبعين سنة، مثل في فيلم "مسيو إبراهيم وزهور القرآن" الفرنسي. والفيلم عن صبي يهودي في باريس، أحب التاجر التركي المسلم إبراهيم (عمر الشريف) أكثر من حبه لوالده اليهودي. وعندما انتحر الوالد اليهودي، اخذ إبراهيم الصبي اليهودي (اسمه موريس، وسماه عمر الشريف "مومو") إلى تركيا حيث أطلعه على القرآن، والإسلام، والمسلمين.

وهكذا، كان مهرجان لورنس العرب في الولايات المتحدة أيضا مهرجانا عن عمر الشريف.

خمس ساعات:

في العرض المنقح للفيلم (طوله أربع ساعات) هناك ساعة إضافية في البداية، عن ظروف تمثيل الفيلم، وعن التحديثات التكنولوجية في الفيلم المنقح، وعن الممثلين الذين مثلوا فيه. توفى أنتوني كوين وآخرين. ومن الذين ظهروا في مقدمة الفيلم عمر الشريف الذي تحدث عن أحداث عمرها نصف قرن. ومرة أخرى، تحدث عن دور الفيلم في تحسين العلاقات بين الشرق والغرب.

وفي مناقشات وسط مثقفين أمريكيين عن الفيلم، كانت هناك إشارات كثيرة إلى عمر الشريف. واعتبر رمزا للتقارب بين الشرق والغرب.

وأشار واحد إلى حفيده الممثل الشاب عمر الشريف الصغير. وأنه اشترك في مظاهرات الثورة المصرية سنة 2011. وانه أعلن أنه مثلي جنسي، ونصف يهودي. (وكان الحفيد يريد انفتاحات عالمية أكثر من جده).

غير أن أكثر الإشادة كانت بعمر الشريف، وانه تحدث مع الرئيس الأمريكي السابق بوش الابن قبل غزو العراق وقال له أنه يعارض الغزو.

ورغم أن فيلم "لورنس العرب" نظرة غربية لأحداث شرق أوسطية، أوضحت المناقشات وسط المثقفين الأمريكيين أن الفيلم، على أي حال، قوي العلاقات بين الشرق والغرب (خيرا أو شرا).

لورنس الأمريكي:

في الفيلم، مثل بيتر اوتول دور لورنس. ومثل انتوني كوين دور الشيخ عوده أبو تاي (شيخ قبيلة الحويتات). ومثل جاك هوكنز دور الجنرال البريطاني اللنبي (قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط، وقائد الحرب ضد الأتراك، حتى انتصر عليهم). ومثل أرثر كنيدي دور الصحفي الأمريكي جاكسون بنتلي (الذي نقل قصة لورنس إلى الأمريكيين).

وفي المناقشات خلال المهرجان سنة 2012، كان الصحفي الأمريكي هو النجم المفضل للأمريكيين. ليس فقط لأنه نقل القصة إليهم، ولكن، أيضا، لأنه صار رمز التدخل الأمريكي الحالي في الشرق الأوسط (بعد ثمانين سنة من أحداث فيلم "لورنس العرب").

أشار إلى ذلك كتاب "كينق ميكرز" (صانعو الملوك) الذي كتبه كارل مايار وشيرين بريساك. اسم الكتاب كاملا: "انيفينشن أوف مودرن ميدل ايست" (اختراع الشرق الأوسط الحديث)، والقصد هو أن شخصيات غربية صنعت ملوكا في الشرق الأوسط.

الكتاب عن لورنس العرب، وعن آخرين، منهم:

أولا: الجاسوس البريطاني كيم فيلبي. بعد دوره في العلاقات البريطانية الروسية، انتقل إلى بيروت (صحفيا وجاسوسا). وخلال الخمسينات والستينات، لعب أدوارا هامة في دعم النظام الملكي في العراق، والنظام الملكي في الأردن، أمام ثورات القومية العربية بقيادة الرئيس المصري جمال عبد الناصر.

ثانيا: الجاسوس الأمريكي مايلز كوبلاند، مؤلف كتاب "قيم اوف نيشنز" (لعبة الأمم) الذي صدر سنة 1970، وفيه تفاصيل دوره في العلاقات الأميركية العربية، وخاصة مع الرئيس المصري جمال عبد الناصر.

ثالثا: بول وولفووتز، نائب وزير الدفاع في إدارة الرئيس السابق بوش الابن. والذي وصف بأنه "عراب غزو العراق". وبأنه "ذكي، ومطيع، ونشيط، ومريب".

مايكل كوردا:

ومن الذين اشتركوا في النقاش عن فيلم "لورنس العرب"، مايكل كوردا، مدير سابق لشركة "سايمون أند شوستر" للنشر في نيويورك. وكتب كتبا كثيرة، منها: "هيرو" (بطل: حياة وانجازات لورنس العرب). الكتاب عملاق، من أكثر من سبعمائة صفحة. ولا يخفى فيه الكاتب (البريطاني الأصل) إعجابه بابن وطنه، منذ أن كان صغيرا.

في الكتاب، وجها لورنس: "الايجابي" الذي أعجب المؤلف. و"السلبى"ا لذي لم يعجبه، لكنه أشار إليه على أي حال:

في جانب: "شجاع، وذكي، ومحارب قدير، وغير خريطة الشرق الأوسط."

وفي جانب: "كذاب، بالغ في دوره في الثورة العربية ضد الأتراك، وخدع العرب الذين وثقوا فيه."

وهذه ملامح من شخصية لورنس:

أولا: ولد طفلا غير شرعي، وتوفي في حادث موتورسايكل (قال بعض الناس أنه انتحر).

ثانيا: عاش سنوات تناقض بين إطاعة أوامر الجنرالات البريطانيين (الذين كانت مصلحة بريطانيا هي همهم الأول)، وبين كسب ثقة الملوك والأمراء العرب (الذين كانوا يريدون الحرية: من الأتراك، ومن البريطانيين).

ثالثا: كانت حياته الخاصة متوترة مثل حياته العامة. واتهم بالمثلية الجنسية. وأنه كان صديق خادمه السوري سليم احمد "الداهوم". ومعنى الاسم "القصير الأسود." لكن، في كتاب مذكراته، قال لورنس أنه لم يحب الجنس أبدا.

صمويل رافاليدس:

بعد أن شاهد الفيلم المنقح، سأل صمويل رافالديس، أستاذ في جامعة ديكنسون (ولاية نيوجيرسي): ماذا كان سيحدث لو حقق لورنس حلمه؟ وأجاب:

أولا: إسراع تقرير المصير للدول العربية (خاصة: مصر وسوريا والأردن والعراق وفلسطين ولبنان). وإسراع إنهاء الاحتلال الفرنسي والبريطاني لهذه الدول.

ثانيا: قيام دولة كردية تجمع أكراد العراق وإيران وسوريا وتركيا.

ثالثا: معارضة تأسيس إسرائيل (وربما عدم تأسيسها).

وقال رافالديس: "لم يكن لورنس عربيا، لكن لا يمكن إنكار دوره في ظهور القومية العربية. في الجانب الآخر، خيرا أو شرا، ساعدت الخلافة التركية على الاستقرار في الشرق الأوسط لأكثر من ستمائة سنة. ها هو الشرق الأوسط يغلي، بعد أن ساعد لورنس العرب على هزيمة الأتراك".

واشترك في النقاش شين تيليز، مساعد رئيس تحرير صحيفة "فالي نيوز" (ولاية كليفورنيا). شاهد فيلم "لورنس العرب" المنقح (عن دور البريطانيين في الشرق الأوسط)، ثم شاهد فيلم "ارقو" (عن دور الأمريكيين في الشرق الأوسط، بعد ذلك بسبعين سنة. خاصة وقت الثورة الإيرانية سنة 1979).

وكتب تيليز: "الفيلم القديم والفيلم الجديد يصوران التدخل الغربي في الشرق الأوسط. ويساعدان على فهم اشتراكنا، نحن الأمريكيين، في حربي العراق وأفغانستان." وأضاف: "كل فيلم يقدم: أولا: قصة مثيرة ربما فيها مبالغات. ثانيا: قصة أساسها تاريخي يساعدنا على فهم التاريخ. ثالثا: فرصة للتأمل والتفكير في علاقتنا مع تلك الشعوب."

وأخيرا:

سمعت بلورنس العرب أول مرة وأنا في السودان، في الستينات، وأنا طالب في مدرسة وادي سيدنا الثانوية. كان يدرسنا عدد من البريطانيين (استقل السودان من بريطانيا سنة 1956). وكانوا يتحدثون عن "أبطال بريطانيين"، مثل لورنس، وكتشنر (الذي قاد حرب "استرجاع السودان" سنة 1898).

وفي الستينات، قرأت أول كتاب تاريخ باللغة الإنجليزية: "العرب في التاريخ" الذي كتبه البريطاني بيرنارد لويس. أول شيء انبهرت به كان قدرتي على أن أقرا كتابا باللغة الإنجليزية. وانبهرت أيضا بتحليلات "أكاديمي بريطاني مرموق".

في الوقت الحاضر، بعد نصف قرن، اختلفت نظرتي إلى لورنس العرب، وإلى دور بريطانيا، وإلى دور الغرب. صرت انظر إلى "بيق بيكشار" (الصورة الكبيرة)، صورة الصراع التاريخي بين الغرب المسيحي والشرق المسلم. ورأيت لورنس العرب جزءا من هذا الصراع.

ولم يعد يثيرني.

في الوقت الحاضر، تغيرت نظرتي إلى بيرنارد لويس. عرفت انه يهودي. وأنه هاجر من بريطانيا إلى أميركا، وصار "أكبر متخصص في الإسلام في أمريكا." وكان من "نيوكون" (المحافظين الجدد: تحالف يهود ومسيحيين متطرفين) الذين خططوا لغزو العراق ونفذوه. واحتقرته.

جامعة أنديانا (ولاية أنديانا) :ديلان المغني الثائر



(اقرأ: أولاد وبنات) .

(اقرأ: لماذا يحب البيض أغاني السود؟) .

(اقرأ: أشهر الأغاني) .

جئت إلى أمريكا ثلاث مرات: سنة 1972 مع عشرين صحافيا أجنبيا بدعوة من وزارة الخارجية الأميركية في جولة استمرت ثلاثة شهور، وكنت محرر الأخبار الخارجية في صحيفة "الصحافة" السودانية. وفي سنة 1973 لأربع سنوات لدراسات عليا في كلية الصحافة في جامعة أنديانا (ولاية أنديانا). وفي سنة 1980 إلى واشنطن العاصمة في وظيفتي الحالية مراسلا لصحف ومجلات في الشرق الأوسط.

في نهاية الستينات وبداية السبعينات، كانت حرب فيتنام، وتدخل القوات الأمريكية فيها، هو أهم حدث في العالم

(بالإضافة إلى، وبسبب، الحرب الباردة بين المعسكرين الشيوعي والرأسمالي). وفي صحيفة "الصحافة"، ولسنوات، غطيت الحرب، وغطيت ردود الفعل في أمريكا، خاصة المظاهرات المعادية. ولم يكن اسم المغني الثائر بوب ديلان غريبا على. ولا اسم المغنية الثائرة (وصديقته) جين بابيز.

لهذا، عندما كنت في جامعة إنديانا، وجاء بوب ديلان لأحياء ليلة غنائية، وكانت أغلبيتها أغانٍ وطنية ضد: حرب فيتنام، والتفرقة ضد الزنوج، وظلم النساء، ومعاناة الفقراء، أحسست أنني صرت جزءا من الخبر، ولم اعد أنقله.

غنى ديلان أغنية "جورج جاكسون"، كان من قادة الزنوج، وقتله حراس في سجن في كليفورنيا. ومن كلماتها:

"صحيت هذا الصباح، ودموع على سريري. قتلوا رجلا أحببته كثيرا. أطلقوا رصاصة في رأسه. يا إلهي، يا إلهي. قالوا إنهم اعتقلوه لأنه سرق سبعين دولار من بنك. أمروه بان يرقد على الأرض. رفض وهو الفخور بنفسه. أطلقوا رصاصة في رأسه. يا الهي، يا أهلي. أحس أن كل العالم سجن كبير. بعضنا حراس، وبعضنا سجناء. يا الهي، يا الهي."

وغنى أغنية "قود ويث اس" (الله معنا). هذه أغنية كان عمرها أكثر من عشر سنوات. لكنه طورها للتعليق على حرب فيتنام، والتدخل الأميركي فيها لان "الله معنا."

في الأغنية الأصلية، غنى:

"أتيت من ولايات الغرب الوسط، وهناك في الريف الأمريكي قالوا لى أن الله معهم. هجم الكاوبويات، وسقط الهنود الحمر، وكانت الدولة شابة، وقالت أن الله معها. في الحرب الأهلية، تسلح جنود الشمال وجنود الجنوب، وقالوا كلهم إن الله معهم. وبعد الحرب العالمية الثانية، بعد أن شوي الألمان ستة ملايين يهودي، قالوا أن الله معهم. خان يهوذا المسيح، وقال أن الله معه. ها أنا الآن أحس بالحيرة، والحزن، والإحباط. لا اعرف إذا كان الله معنا أو مع غيرنا. أنا أقول: عندما تبدأ حرب جديدة، إذا سيكون الله معنا، سيمنعها أن تبدأ."

وعن حرب فيتنام، أضاف الأتي إلى الأغنية:

"هل يقدر أي شخص على أن يقول لي لماذا نحارب في فيتنام؟ مات كثير من شبابنا. بكيت كثير من أمهاتنا. تيتم كثير من أولادنا وبناتنا، ترملت كثير من نسائنا. الآن، أنا أسال هذا السؤال: هل الله معنا؟"

خلفية تاريخية:

ولد بوب ديلان سنة 1941. في عائلة يهودية، وتربي يهوديا، وتحول إلى المسيحية عندما وصل عمره أربعين سنة تقريبا. اسمه الأصلي روبرت زمرمان، وهاجر جدوده إلى أمريكا من روسيا. ويقال أنهم يهود أتراك كانوا يعيشون في اسطنبول.

لماذا غير اسمه؟ لم يقل لأنه اسم يهودي. ولم يقل لأنه اسم طويل لا يناسب اسم الشهرة. لكنه قال: "أحيانا، يولد الإنسان باسم خطأ ومن أم خطأ أو أب خطا. وفي هذه البلاد الأمريكية الحرة، يقدر الإنسان على أن يغير اسمه وأمه وأبيه."

بدأ ديلان يكتب كلمات أغانيه، ويغنيها، وهو في المدرسة الثانوية في ولاية مينيسوتا. وحاول تقليد المغني الفيس بريسلي. وترك الدراسة في جامعة منيسوتا، وسافر إلى نيويورك ليتفرغ للغناء. وفي سنة 1961، عندما كتبت عنه جريدة "نيويورك تايمز"، عرف انه بدأ طريق الشهرة، ليس فقط داخل أمريكا، ولكن، أيضا، في كل العالم.

وزادت شهرته في واشنطن العاصمة سنة 1963، عندما قاد الأسقف الأسود مارتن لوثر كينق مظاهرة الزنوج من اجل الحقوق المدنية. في المظاهرة، غنى بوب ديلان، وكان عمره واحدًا وعشرين سنة. وغنت إلى جانبه جون باييز، وكان عمرها واحد وعشرين سنة أيضا. (تحابا عبر عشرات السنين، لكنهما لم يتزوجا).

غنى بوب ديلان أغنية "أكسفورد سيتي" (مدينة أكسفورد)، دفاعا عن جيمس ميرديث، اول طالب اسود يدخل جامعة مسيسبي (في مدينة أكسفورد في ولاية مسيسبي).

في ذلك الوقت، انسحب خلال مقابلة تلفزيونية مباشرة عندما تطوع ليغنى أغنية ضد منظمة "جون بيرش"، لكنهم منعوه. كانت هذه منظمة بيضاء متطرفة تؤيد اضطهاد السود.

أغنية "مهب الريح":

اشتهر بوب ديلان في شبابه بسبب أغنية أخرى هي: "بلونق أن ذا ويند" (تهب على الرياح). مثل الأغنية السابقة، تتحدث عن الحرب والسلام في عبارات فلسفية ودينية. بعد ظهورها بأربعين سنة، وضعت كتحفة أثرية في متحف "غرامي" للأغاني، وأعلنت مجلة "رولنق ستون" الفنية إنها واحدة من أشهر عشر أغاني في تاريخ أمريكا.

تقول الأغنية التي كتبها، وكان عمره اثنين وعشرين سنة: "كم بحور يجب على الحمامة أن تطير فوقها قبل أن تهبط على رمال وتنام في هدوء؟ كم طلقات يجب أن تطلقها المدافع قبل أن تصمت نهائيا؟ كم أذن يجب أن تكون للإنسان قبل يسمع أصوات الضعفاء؟ كم شخص يجب أن يقتل قبل أن نعرف أن عدد القتلى صار كبيرا؟ كم سنة تبقى الجبال، قبل أن تذيبها الأمطار نحو البحر؟ كم سنة يعيش الإنسان قبل أن يصير حرا؟ كم مرة يدير الإنسان رأسه ليدعي أنه لا يرى الظلم الذي يحيط به؟"

وفي الأغنية، بعد كل مقطع، يردد الكورس: "يا أيها الأصدقاء، توجد الإجابات على مهب الرياح. على مهب الرياح."

أغنية القنبلة النووية:

وهكذا، منذ بداية حياته الفنية، اشتهر بتأييده لحقوق الزنوج. ويقال انه كتب أغنية "على مهب الرياح" اعتمادا على أغنية زنجية قديمة اسمها "نو مور أوكوشن" (انتهي وقت بيع الزنوج في مزادات علنية).

وفي سنة 1963 عندما كادت أن تحدث مواجهة نووية بين اميركا وروسيا بسبب بناء صواريخ روسية في كوبا، غنى بوب ديلان "هارد رين فول" (يهطل مطر غزير)، وفيها: "سألني والدي: ماذا سمعت أيها الصبي ذو العينين الزرقاويين؟ قلت له: سمعت صوت رعد يقود مطرا سيبلل كل الناس. سمعت صوت موجة عملاقة ستغرف كل العالم. سمعت صوت مائة طبل توقظ الناس. سمعت عشرة آلاف همسة، ولا أحد سمعها. سمعت عشرة آلاف جائع يصيح ولا أحد أجاب. سمعت صوت شاعر يموت في زقاق قذر ... "

أغنية "رولنق ستون":

رغم شهرة بوب ديلان السياسية والوطنية، كانت أغلبية أغانية عاطفية. مثل أغنية "رولنق ستون" (صخرة متدحرجة) التي اختارتها مجلة بنفس الاسم في اعلي قائمة أشهر أغاني في تاريخ أمريكا. ووصفته "الحكيم، الأخلاقي، الواعظ" (كما سمته المجلة). في الأغنية، ينصح بنتا أخطأت في علاقتها مع ولد. وكتب، وغنى: "بماذا تحسين؟ بماذا تحسين؟ أنت الآن وحيدة. بدون بوصلة، بدون منزل. مثل صخرة تتدحرج. يوما ما كنت ترتدين أجمل الملابس. وكنت تهملين الأغبياء والصعاليك. وقلت لك: كونوا حذرة. لا تغرنك نفسك. ربما ستهبطين مثلما ارتفعت. لكنك هبطت. وصرت مثل صخرة تتدحرج."

صار مسيحيا:

خلال الثمانينيات، ومع مجئ الرئيس ريقان الجمهوري المحافظ، ومع زيادة التيار الديني المتطرف، أعلن بوب ديلان انه صار مسيحيا. وانتقده كثير من الناس، خاصة اليهود. وتهكموا بأنه صار مثل أغنية "الله معنا" أو أغنية "صخر متدحرج." لكن، قال الرجل انه آمن بأن عيسى جاء ليؤكد رسالة موسى.

من بين الذين انتقدوه جون لينون، نجم فرقة "بيتلز" (الخنافس) البريطانية. وغنى له أغنية: "أنقذ نفسك"، ردا على أغنية ديلان "أريد إنقاذ الناس."

لكن، صار واضحا أن ثائر الستينات والسبعينات تحول إلى واعظ الثمانينات والتسعينات.

في وقت لاحق، دافع ديلان عن تدينه، وقال إنه "على طريقة وليام بليك" (شاعر بريطاني مسيحي علماني توفى سنة 1827. وانتقد كنيسة بريطانيا لأنها تحالفت مع العائلة المالكة. وأيد الكنائس الأمريكية لأنها ابتعدت عن السياسة).

وهكذا، اقتبس المغني ديلان قصيدة من الشاعر بليك، وغنى: "أرى الدنيا في ذرة رمل. أرى الجنة في زهرة برية. أرى الأبدية على كف يدي."

وفي التسعينات، ساعده هذا الميول الديني على مقابلة البابا في الفاتيكان. ثم غنى له أغاني دينية في حفل أمام في ايطاليا أمام نصف مليون شاب وشابة.

صار عجوزا:

زادت أغاني الحزن والسواد في الأغاني ديلان بعد أن كبر سنة، وصار يفكر في الموت كثيرا. مثلما في أغنية "بيوند هيار لايز نوثنق" (لا شيء وراء هنا). وفيها يغني:

" لا شيء وراء هنا. لا شيء نقول، لا شيء نفعل، لا شيء نملك. بعد منتصف الليل، ساغادر في سيارتي. سأشاهد سيارات قديمة على جانبي الشارع. " لكنه خلط التشاؤم بالتفاؤل، وقال أن حبيبته ستكون معه في هذه الرحلة المجهولة. وغنى: "احبك يا صغيرتي الجميلة. أنتي الحب الوحيد الذي عرفته كل حياتي."

يوجد خليط من حزن وفرح في أغنية أخرى هي: "فيل جينج از كامنق" (أحس تغييرا قادما). في جانب يغني: "ما هي فائدة الحلم؟ ما هي فائدة الحب؟ لم تتحق أحلامي أبدا، حتى إذا صارت حقيقة." لكنه، في الجانب الآخر، يعود إلى حبيبته، ويقول إنها رفيقته في الحياة. ويغني لها: "نشارك بعضنا في أشياء كثيرة. نعمل لتحقيق أهدافنا القديمة. لا أكاد انتظر."

وهكذا، صار واضحا أن بوب ديلان وقد قارب السبعين من العمر، صار يميل نحو أغاني الفلسفة، والحكمة. ويبتعد عن أغاني الشباب، والتفاؤل، والمعجزات.

تحديث:

في سنة 2005، مرت أربعون سنة تقريبا منذ أن شاهدت ديلان، المغني الثائر، في جامعة انديانا، وهو يغنى ضد التدخل العسكري الأمريكية في فيتنام. هذه المرة، عارض ديلان التدخل العسكري الأمريكي في العراق. لم يأت إلى واشنطن ليغنى، لكنه غنى في مناسبات خارج واشنطن.

جاءت إلى واشنطن، وغنت ضد التدخل العسكري الأمريكي المغنية الثائرة جين بابيز، صديقة ديلان منذ أن غنيا معا ضد التدخل الأمريكي في فيتنام (قبل ثلاثين سنة تقريبا). وقبل ذلك، غنيا معا في المظاهرة الشهيرة في واشنطن التي قادها القس الأسود مارتن لوثر كينق (قبل أربعين سنة تقريبا).

لكن، خلفية بابيز الثورية أطول وأعمق من خلفية ديلان:

أولا: في سنة 1956 (كان عمرها خمس عشر سنة، سمعت القس الأسود كينغ يخطب، وتأثرت كثيرا، وسالت الدموع من عينيها، وقررت السفر إلى ولاية الباما للاستماع له مباشرة.

ثانيا: في سنة 1957، اشتركت في مظاهرة احتجاج في مدرسة بالو التو الثانوية (ولاية كليفورنيا) حيث كانت تدرس، ضد سباق التسلح النووي بين المعسكرين الشرقي والغربي. ورفضت الاشتراك في تمرينات لإخلاء المدرسة في حالة هجوم نووي روسي. وقالت: "هذا ليس الا كلامًا فارغًا. لماذا تريدون تخويفنا؟"

ثالثا: في سنة 1964، احتجاجا على التدخل العسكري الأميركي في فيتنام، رفضت دفع جزءا من الضريبة الاتحادية المفروضة عليها. وقالت إنه الجزء الذي تصرف الحكومة على الحرب.

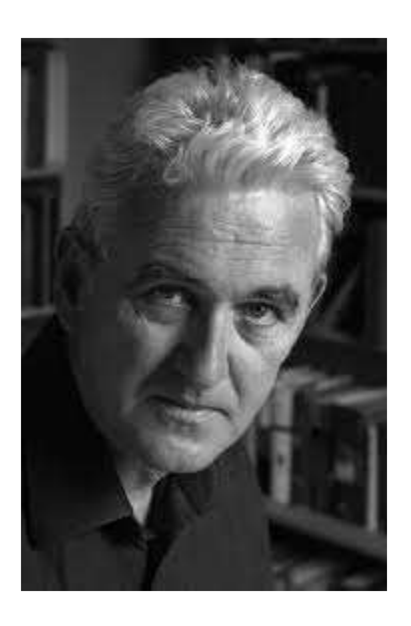
رابعا: في سنة 1967، اعتقلت عندما تظاهرت أمام مركز التجنيد العسكري في اوكلاند (ولاية كليفورنيا)

خامسا: في سنة 1968، رفض مسرح "كونستيتيوشنال هول" في واشنطن العاصمة السماح لها بأن تغنى فيه، تحت ضغوط من منظمات يمينية. وغنت، مجانا، بالقرب من تمثال جورج واشنطن القريب.

سادسا: في سنة 1972، سافرت مع وفد أميركي إلى فيتنام الشمالية لإعلان رفض القصف الأميركي (الذي كان امتدادا للتدخل الأميركي في فيتنام الجنوبية). وأيضا، قدموا هدايا الكريسماس للطيارين الأميركيين المتعلقين، وكانت الصواريخ المضادة للطائرات التابعة لفيتنام الشمالية إسقاط طائراتهم، ونجوا هم.

وعندما جاءت إلى واشنطن لتغني ضد التدخل العسكري الأميركي في العراق سنة 2005، قالت أنها لم تفعل أي شيء جديد. كان كبرت، وشاب شعر رأسها، وبلغ عمرها أكثر من ستين سنة. لكنها قالت: "لا يعرف الظلم حدودا، أو أعمارا، أو زمانا، أو مكانا." وقالت: "الظلم واحد لا يتجزأ."

في جامعة واشنطن لي (ولاية فرجينيا) : الدين والسياسة



(اقرأ: الدولة المسيحية) .

(اقرأ: مانفستو القدر) .

(اقرأ: العقلانية)

في سنة 2003، جئت إلى جامعة "واشنطن لي" في مدينة لكسينقتون (ولاية فرجينيا) التي تبعد عن واشنطن مائتي ميل تقريبا. يشير اسم الجامعة إلى الرئيس الأمريكي الأول جورج واشنطن، والجنرال روبرت لي، قائد قوات الولايات الجنوبية

التي انفصلت عن الولايات المتحدة لرفضها عتق الرقيق. حارب الجنرال لي الحكومة الاتحادية في الحرب الأهلية التي استمرت أربع سنوات (1861-1865). بعد هزيمة (ولم يقدم إلى محاكمة لضمان وحدة الولايات)، صار عميدا لكلية جورج واشنطن في مدينة لكسينقتون. في وقت لاحق، تحول اسم الجامعة ليجمع بين واشنطن والجنرال لي.

جئت إلى جامعة "واشنطن لي" لأنها قريبة من جامعة "جيمس ماديسون" (على اسم الرئيس الرابع، قبل الحرب الأهلية بجيل كامل)، حيث كان ابني يدرس فيها. وفي إحدى زياراتي له، جئت إلى جامعة "واشنطن لي" لمقابلة بروفسير مايكل بيرلاي، الأستاذ الجامعي البريطاني الذي جاء أستاذا زائرا في الجامعة.

بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، واعلان ما سماها الرئيس بوش الأب "الحرب ضد الإرهاب"، اقتنعت بشيئين:

الأول: أنها حرب غير مباشرة ضد المسلمين، إن لم تكن ضد الإسلام.

الثاني: أن الأديان لعبت أدوارا هامة في التاريخ. ولا تزال، في العلاقات الدولية المعاصرة.

كتابان:

في ذلك الوقت، كان بروفسير بيرلاي أصدر كتابين هامين:

الاول: "ايرثي باورز" (قوى أرضية): الصراع بين الدين والسياسة منذ الثورة الفرنسية حتى الحرب العالمية الأولى"

الثاني: "سيكرد كوزيز" (قضايا مقدسة): الصراع بين الدين والسياسة، منذ الحرب العالمية الأولى وحتى حرب الإرهاب."

يتلخص الكتابان في أن كثيرا من القرارات السياسية تخفى وراءها مشاعر دينية. رغم أن الحكام والسياسيين لا يقولون ذلك، ويركزون على فصل الدين عن الدولة. خاصة في اورويا. ورغم أن الشيوعية، والنازية، والفاشية، في حقيقة الأمر، عقائد دينية، أو شبه دينية. وحسب هذه النظرية، يقول بيرلاي أن ما يسميه الأوروبيون والأميركيون "الإرهاب"، بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، هو ظاهرة دينية أكثر منها سياسية، أو أمنية، أو عسكرية. ولهذا، لن يكن سهلا على الدول الغربية فهم "الإرهاب"، أو الدفاع عن نفسها ضده، ما دامت تعتقد أنه بسبب الجهل، والفقر، وكراهية الغرب، وحسد الغربيين على حريتهم وعلى "نسائهم الجميلات".

ولهذا، اقترح بيرلاي إعادة كتابة تاريخ أوروبا "للتركيز أكثر على العوامل الروحية، واقل على العوامل المادية، والأرقام، والتواريخ."

سالت بروفسير بيرلاي: "أليست الحرب ضد الإرهاب التي أعلنها الرئيس بوش بوش هي في الحقيقة حرب ضد المسلمين، إن لم تكن ضد الإسلام؟" وأجاب: "لا أقدر على أن أقول ذلك. لكنى أقول أن الإرهاب له أبعاد دينية، وبالتالي، الحرب ضد الإرهاب لها أبعاد دينية أيضا."

وأضاف: "ليس الأهم هو أن الحرب ضد الإرهاب، أو غيرها من الحروب دينية، أو غير دينية. الأهم هو شيئان: أولا: يقلل المؤرخون الغربيون أهمية الدين في تاريخ الحروب الأوروبية، وربما كل الحروب. ثانيا: يفعل السياسيون المعاصرون نفس الشيء، وأيضا لأنهم يتأثرون بنظرية فصل الدين عن الدولة."

خلفية تاريخية:

ركز بيرلاي على أن الدين ظل جزءا من التاريخ القديم والتاريخ المعاصر في أوروبا وأمريكا. قبل الثورة الفرنسية، وقبل الحرب العالمية الأولى. وانتقد "المؤرخين العلمانيين" الذين كتبوا تاريخ أوروبا وكأن الدين منفصل عن السياسة، أو عن الدولة.

لكنه قال: "ربما معهم حق"، وذلك بسبب فساد رجال الدين في أوروبا قبل الثورة الفرنسية (سنة 1789) وتحالفهم مع الأباطرة، والملوك، والإقطاعيين.

في سنة 1270، قبل خمسمائة سنة من الثورة الفرنسية، وصف البابا سنت لويس الملوك الفرنسيين بأنهم "أكثر المسيحيين مسيحية." وفي سنة 1314، وصف الإمبراطور الفرنسي فيليب "العادل" فرنسا بأنها "ينت الكنيسة الأولى". ووصف الفرنسيين بأنهم "شعب الله المختار."

لكن، بعد الثورة الفرنسية، ظهر ما يسمى "الدين المدني". وكانت له جذور من قبل الثورة. في سنة 1762، كتب الفيلسوف جين جاك روسو: "نحتاج إلى إيمان مدني ... إلى روح اجتماعية تساعد الإنسان ليكون مواطنا صالحا."

روسو هو مؤلف "سوشيال كونتراكت" (العقد الاجتماعي). وهو الذي قال أن "المواطن خليط من الفردية والمصلحة العامة." وعلى خطاه سار أعضاء "جاكوبيان كلوب" (النادي اليعقوبي). ويمكن اعتبار النادي أبا العلمانية. ويسمى أعضاؤه اليعقوبيين (ويمكن اعتبارهم آباء العلمانية). وهم الذين قادوا الثورة الفرنسية.

بالنسبة لهم، لم تكن الثورة الفرنسية فقط ضد الملك لويس السادس عشر (وزوجته ماري أنطوانيت). ولكنها كانت، أيضا، ضد رجال الدين، بسبب تحالفهم مع الدولة. ولهذا، لم يشر اليعقوبيون إلى الكنيسة عندما كتبوا الدستور الفرنسي. كتبوه دستورا يقوم على أساسين:

أولا: العلمانية.

ثانيا: الوطنية.

وكتبوا في ديباجة الدستور: "أساس السيادة هو الوطن. ولا يقدر أي إنسان، وأي هيئة، على وضع قانون لا يعتمد على الوطن."

وقال بيرلاي أن اليعقوبية كانت نوعا من الدين. لأنها تركت الدين الإلهي، ووضعت نفسها مكانه. كانت مثل الشيوعية، والنازية، والفاشستية. وقال أن هذه "أديان" أيضا، تعبد الوطن، أو العرق، أو العائلة المالكة، أو الحاكم. بل، أن الوطنية نفسها نوع من أنواع الدين.

وقال: "بالغ المؤرخون في تصوير أهمية عصر التنوير (بعد الثورة الفرنسية). لم يقدر التنوير على أن هزيمة المسيحية كمؤسسة، ناهيك عن هزيمتها كفكرة."

المؤرخون العلمانيون:

لم ينتقد بيرلاي فقط العلمانية التي سارت على خطا الثورة الفرنسية، ولكن، أيضا، انتقد المؤرخين العلمانيين خلال الثلاثمائة سنة الماضية.

قال أنهم "كتبوا تاريخيا علمانيا لأوروبا، ولما وراء أوروبا." وقال: "كتبوا عن كذبة أن تاريخ أوروبا هو تاريخ الدول والأوطان، بدون أن يضعوا اعتبارات لدور الدين." (سواء في حياة الأوروبيين، أو في سياسات الدول الأوروبية).

وقال: إن الثورة الفرنسية هي التي وضعت أساس "الدين المدني". والذي انتشر، في وقت لاحق، في بقية الدول الغربية. لكن، يظل، "الدين المدني" ليس مثل الدين الإلهي. لكنه يظل قويا لأكثر من سبب:

أولا: كحل وسط بين الدين الإلهي واللادين.

ثانيا: يتماشى مع العلمانية التي تريد فصل الدين عن الدولة.

ثالثا: يحل مشاكل اعتناق دين واحد، ويفتح المجال أمام التعددية والتسامح.

الفطرة الطبيعية:

وقال بيرلاي: "استغلت نظرية "الدين المدني" رغبة الإنسان الفطرية الطبيعية ليعيش في سلام، وليوسس دولة مثالية. حتى الاشتراكيون الأوروبيون اعتمدوا على "دين مدني."

وقال: إن هتلر "نصب نفسه قسيسا علمانيا عندما بدا يدعو للنظرية النازية. ورفع شعارات شبه مسيحية مثل: الصحوة، والميلاد."

وقال: إن الشيوعيين "رفعوا شعارات شبه مسيحية. مثل "كونفيشن" (الاعتراف أمام قسيس)، وسموه النقد الذاتي. ومثل عداء "هيرتكز" (الزنادقة)، وسموهم الرجعيين."

لكن، كان هناك رجال دين معتدلون، رفضوا التحالف مع الأباطرة والملوك والإقطاعيين، وبحثوا عن حل يجمع بين المسيحية والمدنية. وخلال السنوات بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، ساعد هؤلاء على تأسيس أحزاب مسيحية ديمقراطية، لا تزال أغلبيتها موجودة حتى اليوم.

جمعت هذه الأحزاب بين نظريتين:

الأول: "المحافظة". مثل حماية العائلة، وتماسك المجتمع (اعتمادا على مبادئ أخلاقية مسيحية).

الثانية: "الليبرالية". مثل نشر العدالة الاجتماعية، ومساعدة الفقراء (اعتمادا على مبادئ أخلاقية مسيحية أيضا).

"غيتو المهاجرين":

وفي النهاية، قدم بيرلاي النصيحة الآتية:

"صار واضحا أننا، الأوروبيين، غير متأكدين من دور الدين في حياتنا. لهذا، نحن نحتاج إلى أن نكتب اقل عن الحرب العالمية الثانية، وأكثر عن العلاقة التاريخية بين الدين والسياسة. إذا ليس لسبب آخر، لأن المهاجرين (إلى الدول الأوروبية) لن يعرفوا أساس ثقافتنا وحضارتنا. وسيجعلهم هذا يميلون نحو حياة "غيتو" (في أحياء انعزالية). ليس فقط لأنهم قصروا، ولكن لأننا، أيضا، قصرنا."

كمثال، أشار الكتاب إلى "فراغ" في قسم الولاء في بريطانيا. والذي يقول: "أؤمن بالولاء للملكة وللمملكة المتحدة، واحترام حقوقها وحرياتها، وقيمها الديمقراطية، وان أطيع قوانينها، وأنفذ واجباتي والتزاماتي كمواطن بريطاني."

ولاحظ الكتاب انه لا توجد في هذا القسم إشارة إلى حقيقة أن الملكة هي "حامية الإيمان، والحاكمة الأعلى لكنيسة إنجلترا. لهذا، لا يعرف المواطنون الجدد الجذور الدينية لثقافتنا."

وأشار إلى انه، عكس ديباجة الدستور الفرنسي، تشير ديباجة الدستور الأمريكي إلى أن أمريكا بنيت على أسس دينية. وتوجد العبارة الآتية في إعلان الاستقلال الأمريكي: "كجزء من تاريخ الإنسانية، صار ضروريا لشعبنا أن يبحث عن قوى أرضية، منبعثة من قوانين الطبيعة، من إله الطبيعة ... ولهذا، نحن نؤمن بحقائق تبرهن على نفسها بأن كل الناس خلقوا متساوين، وان خالقهم منحهم حقوقا معينة لا تبديل لها."

وأيضا، عكس قسم الولاء البريطاني، يشير قسم الولاء الأمريكي إلى الله، عندما يقول: "أقسم بالولاء لعلم الولايات المتحدة الأمريكية، وللجمهورية التي يمثلها، امة واحدة تحت الله، وغير مقسمة، وتتمتع بالحرية والعدل للجميع." ويوجد قسم مماثل للأجنبي الذي ينال الجنسية الأمريكية، وينتهي القسم بعبارة: "ليساعدني الله."

لكن، قال بيرلاي: "بينما يعود الفضل للأمريكيين لأنهم يلتزمون بالمسيحية أكثر من الأوروبيين، يوجد خطر استغلالهم للمسيحية لخدمة أهداف سياسية."

تحديث:

سنة 2012، كان النقاش عن فصل الدين عن الدولة انتشر في دول "ربيع العرب" (وأنا اسميه "ربيع المسلمين." بل اسميه "الثورة الإسلامية الكبرى." لأنه فتح مرحلة تاريخية جديدة. ولأنه، لأول مرة في تاريخ المسلمين، منذ أيام النبي محمد والخلفاء الراشدين، يتمتع مسلمون بحرية كاملة، ويجرون انتخابات حرة ونزيهة).

في نفس الوقت، أكتب كتابا باللغة الانجليزية اسمه: "الإسلام وأمريكا وأنا: من خلوة القرية إلى دير واشنطن." وفيه فصل اسمه "العودة إلى الإسلام"، بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، وبعد إعلان ما تسمى "الحرب ضد الإرهاب". وفي الفصل أجزاء باني وصلت إلى قناعة انه لا توجد علمانية في القرآن الكريم. وأن القرآن الكريم لا يفصل الدين عن السياسة، وعن الاقتصاد، وعن المجتمع، وحتى عن الجنس.

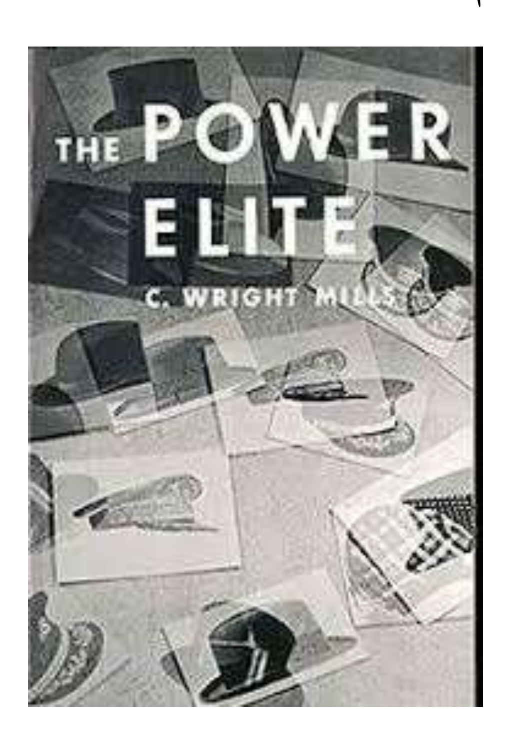
ما هو الحل؟

الحل خياران أمام المسلمين:

الخيار الأول: يؤمنون إيمانا حقيقيا بالقرآن الكريم، وينفذونه كله بحذافيره (لكن، هذا طبعا مستحيل، أو شبه مستحيل، ما دام المسلمون بشرا).

الخيار الثاني: يعترف المسلمون أنهم، حقيقة، "مسلمون"، وليسوا "مؤمنين." كما قسمهم القرآن الكريم نفسه.

فريدوم سكوير (واشنطن) : الصفوة الحاكمة



(اقرأ: الدين والسياسة) .

(اقرأ: الاستعلاء الأمريكي) .

(اقرأ: الحزب الجمهوري يميل يمينا) .

في سنة 2011، جئت إلى "فريدوم سكوير" (ميدان الحرية) في واشنطن. وهو ليس بعيدا من مبنى الصحافة الوطني، حيث مكتبي منذ سنة 1980، مراسلا لصحف ومجلات عربية في الشرق الأوسط.

جئت لإجراء مقابلات صحفية مع قادة منظمة "اوكيوباي وول ستريت" (احتلال شارع المال) التي بدأت في "وول ستريت" في نيويورك. ثم انتقلت إلى واشنطن ومدن أخرى.

وهي منظمة ترى

أن السبب الرئيسي للمشكلة الاقتصادية (التي كانت بدأت سنة 2008) هو طمع البنوك والشركات الكبرى. وفي "فريدوم سكوير" نصب المتظاهرون خيما، وأعلنوا الاعتصام (استمر الاعتصام ستة شهور تقريبا).

عادة، أصل إلى مكتبي في السابعة صباحا تقريبا. وفي ذلك الوقت كان كثير من المعتصمين في "فريدوم سكوير" نائمين في خيامهم. لكن، كانت خيمة أعداد الطعام نشطة. وأحضر متبرعون أشياء كثيرة للإفطار، مثل: خبز، جبنة، قهوة، عصير برتقال.

قدمت نفسي كصحفي، وكنت تناولت الإفطار في منزلي، وشكرتم على دعوة الإفطار، واكتفيت بقهوة. وتحدثت مع مسئول الإعلام. أثناء المقابلة الصحفية، لاحظت انه يحمل كتاب "باور ايليت" (صفو القوة). وقال لى: "هذا هو كتابنا المقدس."

وقال أن الكتاب (الذي صدر سنة 1956) حذر من تحالف بين الصفوة السياسية، والصفوة الاقتصادية، والصفوة العسكرية.

في ذلك الوقت، كنت اجمع معلومات عن هذا التحالف بعد أن حملته مسؤولية ما سماها الرئيس السابق بوش الابن "الحرب ضد الإرهاب." وكنت اقتنعت بان هذه حرب غير مباشرة ضد المسلمين، أن لم تكن ضد الإسلام. وإنها "حرب بدون نهاية." لأنها تخدم ثلاثة أنواع من الصفوة:

أولا: الصفوة السياسية التي تدعي حرصها على امن الشعب الأميركي لتفوز في الانتخابات، مرة بعد مرة بعد مرة.

ثانيا: الصفوة العسكرية التي تريد أن تبرهن على قدرتها على هزيمة "أعداء أميركا" في أي مكان في العالم.

ثالثا: الصفوة الاقتصادية التي تمول هذه الحرب بقروض للحكومة الأميركية (كان تقرير من جامعة برنستون في ذلك الوقت قال: أن حروب الإرهاب وأفغانستان والعراق كلفت الخزينة الأمريكية ثمانية تريليونات دولار).

خلفية تاريخية:

حسب كتاب "باور ايليت" (قوة الصفوة)، كلمة "أيليت" (صفوة) جديدة في القاموس السياسي الغربي. وبدأت تشتهر مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

عرف الكتاب الصفوة بأنها "مجموعة صغيرة من الناس تسيطر سيطرة غير نسبية (بالمقارنة مع بقية الشعب) على القوة الاقتصادية، والسياسية، والعسكرية، والأكاديمية." وان أعضاء هذه المجموعة "يعترفون ببعضهم البعض من منطلق قوتهم. ويفهمون بعضهم البعض من منطلق مستواهم التعليمي، والمالي، والاجتماعي. وأحيانا يتزوجون من بعضهم البعض."

غير أن تعريف "قوة الصفوة" استثنى الأكاديميين، وقال أن قوتهم "نظرية" بالمقارنة مع القوة "الحقيقية" للسياسيين، والعسكريين، ورجال الأعمال.

من أوائل الذين استعملوا كلمة "صفوة" فلاسفة شيوعيين، مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

من بين هؤلاء، نيكولاي بوخارين، الذي كان من قادة الثورة الشيوعية في روسيا (سنة 1917). ثم صار رئيس تحرير "برافدا" (صحيفة الحزب الشيوعي السوفيتي)، ورئيس تحرير "أزفستيا" (صحيفة الحكومة السوفيتية)، وعضوا في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي، ورئيس "كوميونيزيم إنترناشونال" (مكتب الشيوعية الدولية، المكلف بنشر الشيوعية في أنحاء العالم).

كتب بوخارين عن الصفوة البرجوازية في الدول الغربية، وقال أن لابد من إسقاطها، وتاسيس نظام اشتراكي، كمرحلة انتقالية نحو تاسيس نظام شيوعي.

لكن نسى بوخارين، أو تناسى، "الصفوة الشيوعية" التي كانت تحكم روسيا. ثم انتقلت الظاهرة إلى دول شيوعية اخرى. بل صار بوخارين من ضحايا الخلافات وسط الصفوة الروسية. بعد عشرين سنة من الثورة، (سنة 1938) اختلف مع ستالين، وأعدمه ستالين.

الرعاع:

ولا تذكر "أيليت" (الصفوة)، إلا وتذكر "موب" (الرعاع) أو "ماسيس" (الجماهير). وكان من أوائل الذين قسموا هذه التقسيمات الفيلسوف الفرنسي قوستاف لابون الذي كتب في سنة 1895 كتاب "الجماهير: دراسة العقل الشعبي."

ذلك أنه، مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين، صارت الطبقة الوسطى قوة اجتماعية واقتصادية وسياسية. وطبعا، أساسها أوروبي: الثورة الصناعية، والهجرة من المزارع إلى المدن، وزيادة عدد السكان (قلل التطور الطبي نسبة الموتى، وزاد نسبة المواليد). وشرح الكتاب، في جانب، خوف الصفوة من الجماهير (بسبب تطلعات الجماهير). وفي الجانب الآخر، عدم ثقة الجماهير في الصفوة (بسبب استعلاء أو فساد الصفوة).

لم يعارض الكتاب قوة الجماهير، وقال أنها غيرت تاريخ كثير من الدول، وتحدت الملوك والحكام العسكريين. لكنه خاف من الفوضى التي تصحبها. وقال أن "الأرستقراطيين هم القادة الطبيعيون" (بسبب قوتهم وثروتهم وكونهم صفوة). وقال: "الحضارة تحتاج إلى تعقل، وتفهم، واعتدال. مصدر الحضارة دائما هو أقلية ذات ذكاء عال."

لم يستعمل الكتاب كلمة "أيليت" (صفوة). لكنه قال أن "الجماهير تحتاج، بالفطرة، إلى قائد، مثل الكلاب." وقال: "يفضل قائد قوي،واثق من نفسه."

بعد سنة من كتاب الفيلسوف الفرنسي ليون، صدر كتاب زميله الفيلسوف الفرنسي قيتانو موسكا: "أسس علم السياسة." وفيه كلمة "أيليت" (صفوة). وقال: "طبيعيا وعمليا، لا تقدر كل الجماهير على الحصول على شهادات تعلمية عليا، ولا تقدر على اكتساب خبرات وتجارب. ولا تقدر على أن تحكم كلها في نفس الوقت."

باور ايليت:

وفي سنة 1956، صدر كتاب "باور أليت" (صفوة القوة) الذي كتبه رايت ميلز. أستاذ علم اجتماع في جامعة كولمبيا في ذلك الوقت.

هذا هو الكتاب الذي رأيته اول مرة في ميدان "فريدوم سكوير" في واشنطن عندما أجريت مقابلات صحفية مع قادة حركة "اوكيوباي وول ستريت"

ويعتبر ميلز من قادة الفكر الاجتماعي، وكتب كثيرا عن الأفكار الحديثة. وهو الذي نشر عبارة "هوايت كولارز" (الموظفين)، بالمقارنة مع "بلوكولارز" (العمال). وهو الذي نشر في أمريكا عبارة "نيو ليفت" (اليسار الجديد). وكانت العبارة انتشرت وسط المثقفين الأوروبيين.

واتهم بالشيوعية، وأنكر ذلك. لكنه لم ينكر أنه ليبرالي تقدمي، يعارض "صفوة القوة."
ويعتبر خليفة الفيلسوف الألماني ماكس ويبار، من مؤسسي "سوشيولوجي" (علم الاجتماع، وليس "أنثروبولوجي")، والذي وضع نظريات عن العلاقات بين الفردية، والروحية، والرأسمالية.

ودعا ميلز، في كتابه "ايليت باور" (صفوة القوة)، إلى "ديمقراطية مبدعة." غير الديمقراطية التي تسيطر عليها الصفوة السياسية، والعسكرية، والاقتصادية. سماها "ديمقراطية أكاديمية." مثل مجتمع أساتذة الجامعات، فيه "تصفو النفوس، وتتنافس القدرات، وتعلو الأخلاقيات." لكنه قال أنه يعرف أن هذا مستحيل (لان الديمقراطية هي حكم الشعب).

نهاية التاريخ؟:

عندما صدر كتاب "قوة الصفوة" في سنة 1956، كانت أمريكا انتصرت في الحرب العالمية الثانية، وخرجت من الكارثة الاقتصادية، وصارت أكبر قوة اقتصادية واستهلاكية في تاريخ العالم. ووسعت نفوذها العسكري، والاقتصادي، والسياسي، والثقافي، حول العالم. في ذلك الوقت، كتب مثقفون أميركيون كتبا عن "نهاية التاريخ" (انتصرت أمريكا، وانتهى تطور التاريخ).

لهذا، كان كتاب "قوة الصفوة" ردا على هؤلاء. وسأل الكتاب: "كيف ينتهى التاريخ ونحن نعيش وسط تفرقة عنصرية، وسياسية، واقتصادية، وجنسية؟ كيف ينتهي التاريخ وتحالف صفوة سياسية وعسكرية واقتصادية يريد السيطرة على التاريخ؟"

ولم يكن الكتاب هو الوحيد الذي اعترض على نظرية "نهاية التاريخ"، وحذر من "قوة الصفوة." في سنة 1961، بعد خمس سنوات من صدور الكتاب، حذر الرئيس دوايت أيزنهاور، في آخر خطاب من البيت الأبيض، من "التحالف العسكري الصناعي" (زيادة القوة العسكرية والقوة الاقتصادية مع استغلال السياسيين).

بعد نصف قرن تقريبا، اصدر فرانسيس فوكوياما، أستاذ جامعي، كتاب "نهاية التاريخ، وآخر رجل". وقال نفس الشيء تقريبا الذي قاله مثقفون في عهد كتاب "قوة الصفوة." لكن، كان ميلز توفى.

ورد على فوكوياما كتاب الأستاذ الجامعي صمويل هنتنغتون "كلاش أوف سيفيلايزيشن" (صدام الحضارات)، وكما يظهر من عنوانه، التاريخ لم ينته، فقط فتح صفحة جديدة. وربما انتهى التاريخ على الطريقة الأوروبية، وبدأ التاريخ على طريقة العالم الثالث.

نادي النخبة:

وفي سنة 2009، كتب دانيال غولدين، صحافي عريق في صحيفة "وول ستريت جورنال"، كتاب "برايس أوف ادميشان" (ثمن الدخول: نادي النخبة، والذين خارجه)".

وكتب فيه: "يجب إلا تخدعنا عبارات نخبة جامعات هارفارد، وييل، وبرنستون. ليسوا مثاليين، ولم يكونوا. قبل مائة سنة، الم تكن النخبة مسؤولة عن التفرقة ضد السود، وضد النساء؟"

وأشار إلى قضاة المحكمة العليا (التي تفسر الدستور)، وقال: "هذه هي نخبة النخبة. لكنها، حتى سنة 1954، كانت ترى أن مدارس السود يجب أن تكون منفصلة عن مدارس البيض."

لهذا، يمكن أن تكون "النخبة" ظالمة أو عادلة. ويمكن أن تكون علمانية، أو دينية.

حسب هذا الكتاب، كلمة "أيليت" (نخبة) أصلها كلمة "اليكت" (منتخب)، وهي كلمة لاتينية دينية تشير إلى انتخاب قادة الكنيسة. لهذا، الكردينالات في الفاتيكان هم "نخبة دينية"، انتخبتهم كنائس رئيسية في العالم. والبابا أكبرهم.

وهناك أنواع أخرى من النخب:

أولا: عسكرية، مثل خريجي الكليات العسكرية.

ثانيا: تعليمية، مثل حملة الدكتوراة، وأساتذة الجامعات.

ثالثا: لغوية، مثل الذين يتحدثون لغات أجنبية (مثل الفرنسية).

ساره وجون:

في سنة 2008، خلال الحملة الانتخابية (فاز فيها الرئيس أوباما على السناتور الجمهوري ماكين)، شن الجمهوريون حملة ضد "النخبة." وكان ذلك استمرارا لحملتهم ضد "الليبراليين." وقولهم: أن الحزب الجمهوري يريد المحافظة على "العادات والتقاليد"، ويريد الحزب الديمقراطي غير ذلك.

في تلك السنة، زاد نقد الجمهوريين على "الصفوة." وكان واضحا أن قصدهم هو أن أوباما اسود. وانه "تقدمي" (تعني في القاموس السياسي الأمريكي يسار الليبرالية). وانه تخرج من جامعة هارفارد (من جامعات "الصفوة").

في ذلك الوقت، سال بريان وليامز (من النخبة الليبرالية) كبير مذيعي إخبار تلفزيون "ان بي سي"، السناتور ماكين، ونائبته سارة بالين: "ما هي النخبة؟"

أجابت سارة: "الذين يعتقدون أنهم أفضل من أي شخص آخر". وأجاب ماكين: "الذين يعيشون في عاصمة أمتنا، ويذهبون إلى حفلات كوكتيل في جورج تاون (حي راق في واشنطن العاصمة). الذين يملون على الشعب ما يعتقدونه هم، لا ما يعتقد الشعب."

لكن، أليست سارة بالين، والبس جون ماكين من هؤلاء الناس؟ ألا يمكن أن تكون النخبة يمينية، أو حتى نازية؟ ألم يكن المحيطين بالزعيم الألماني هتلر نخبة؟

كنيسة أوكوتنيك ، بيرك (ولاية فرجينيا) : تأبين الموتى



(اقرأ: الجنازة والدفن)

(اقرأ: عيد الموتي)

(اقرأ: الفردية)

في سنة 1995، جئت إلى كنيسة اوكوتنيك في ضاحية بيرك (ولاية فرجينيا)، على مسافة قريبة من منزلى الذي ظلت أعيش فيه مع عائلتي منذ سنة 1980، عندما جئت إلى واشنطن، وحتى اليوم.

جئت لحضور "حفل" تأبين واحد من الذين أسسوا الكنيسة، وكان من كبار الشخصيات فيها.

هذه كنيسة تتبع لطائفة "يونيتاريان" (الموحدين)، وهي طائفة مسيحية صغيرة الحجم، لكنها ليبرالية، بل تقدمية. تؤمن بوحدانية الله، وتعارض التثليث، ولا تعتبر المسيح ابن الله. لا تضع صورته، أو صورة مريم العذراء، أو تمثاليهما، أو أي إشارة لهما، في اي مكان في الكنيسة.

بسبب تربيتي القروية الدينية المحافظة، لم أكن أعرف أي شيء تقريبا عن الدين المسيحي كدين قائم بذاته، وعن ممارساته، وعن تأثيره على الحضارة الغربية.

لكن، طبعا، عرفت المسيح ومريم العذراء، لأن القرآن الكريم فيه سور عنهم، وإشارات احترام كثيرة إليهما. ولأن المسيح، طبعا، من أنبياء الإسلام.

وعندما جئت إلى واشنطن، سنة 1980، في وظيفتي الحالية، رأيت أن أدرس الدين المسيحي، وممارسة المسيحيين له. في البداية، بسبب الفضول. وفيما بعد، بسبب الإيمان بان كتاب الله واحد (وفيه التوراة، والإنجيل، وغيرهما، ثم ختم القرآن هذه الرسالات).

ورأيت أن أبدا بهذه الكنيسة التقدمية الصغيرة.

فيما بعد، ومن وقت وآخر، أحضرت ولدي وبنتيي ليتأكدوا بأن كتاب الله واحد. وكنا نزور الكنيسة من وقت لآخر لسنوات كثيرة، حتى كبروا، وتخرجوا من المدارس الثانوية، وسافروا إلى جامعات بعيدة.

ويوم "حفل" تأبين فقيد الكنيسة، وكانت أول مرة أحضر فيها حفل تأبين مسيحي، استغربت لان التأبين كان، حقيقة، مثل "حفل". واستغربت لان الجثمان كان مكشوفا. وألبسوا الرجل بدلة أنيقة. وجملوا وجهه (لحسن الحظ، لم يكن يبتسم).

بينما كان الجثمان أمامنا داخل نعش، ومع كلمات وعبارات دينية، تبادل الحاضرون الحديث عنه، وعن حبه للنكات. وذكروا بعض النكات، وسط ضحكات الحاضرين. وعزف واحد، على قيثار أحضره معه، قطعة موسيقية قصيرة، قال انه إلفها حزنا على الفقيد. ثم نزلنا إلى أسفل الكنيسة، حيث كانت هناك ألبومات صور عائلة الفقيد، وطعام وشراب فيه نبيذ وبيرة.

واستغربت. ورأيت أن أدرس عادات المسيحيين في تأبين موتاهم.

خلفية تاريخية:

طبعا، لا يمكن القول بأن الأمريكي يحزن على وفاة زوجته أو والده أو والدته اوبنته أو ولده أو صديقه أقل من غير الأمريكي. لكن، في كل ثقافة توجد تقاليد معينة للحزن بسبب الموت، ولتابين الميت، ولوداعه إلى مثواه الخير.

وفي اغلب الاحيان، يؤثر الدين على هذه التقاليد:

حسب كتاب "ويرلد ريليجنز" (أديان العالم) الذي كتبه الأمريكي هيوستن سميث (ولد في الصين لابوين مبشرين مسيحيين)، بالنسبة للمسيحية، الموت واقع، وهو إرادة الله. لكن، الخلود الكامل لا يتحقق إلا بقبول الخلاص من المسيح. لهذا، يبقى المسيحي غير كامل الخلود انتظارا لعودة المسيح.

وبالنسبة للبوذية، لا ينظرون إلى الموت كنهاية لائ شيء، ولكن كنقطة تحول في رحلة لا نهاية لها. إلى حيث ستعيش الروح في أجسام ناس أو حيوانات. لهذا، يحظرون الإفراط في الحداد، خوفا من إعاقة مرور الروح في رحلتها نحو المستقبل

وطبعا، يحسم القرآن الكريم هذه الاختلافات حسما نهائيا، بأنا لله، وإنا إليه راجعون.

موت سقراط:

حسب كتاب "الموت والمتعة في الثقافة الغربية" (جوناثان ديليمور)، تعود جذور نظرة الغربيين للموت إلى الثقافة اليونانية القديمة.

وخاصة سقراط. لأنه دعا إلى عدم الخوف من الموت. وكان سقراط حوكم بالإعدام بتهمة عدم الإيمان بآلهة اليونان القديمة. (قدم له سما، وشربه، ومات). وكان سقراط قال: "الحياة مثل فصول السنة، حيث تتحول نضارة الربيع إلى كهولة الخريف". وان الكهولة قاسية، لكنها أمر واقع. ولهذا، لا داع للخوف منها، ولا بأس من استعجال الموت.

وعندما اعتنقت أوروبا المسيحية، سارت على طريق عيسى المسيح الذي قال (في إنجيل متى): "في بيت أبي توجد قصور وأماكن فاخرة، وكلها مليئة بأشياء كثيرة من الطعام والشراب، لتأكلون، وتشربون، وتشكرون الرب."

ولهذا، صار الحداد مناسبة، ليس فقط للحزن على الميت، ولكن، أيضا، للزهد في الحياة. وتمثل ذلك في طقوس الحداد. وتحملت المرأة العبء الأكبر. كانت الأرامل والبنات والأخوات يرتدين ملابس سوداء خشنة، ويتغطين بالحجاب، ويلبسن زينات مصنوعة من شعر الموتى. كان هذا الحداد يستمر أحيانا لأربع سنوات، حتى إذا كان الأرملة شابة وجميلة. وذلك بهدف منعها من ممارسة الجنس.

في سنة 1861، عندما توفي الملك البرت، ملك بريطانيا، أعلنت أرملته الملكة فيكتوريا الحداد عليه (مع بناتها الخمسة) لسنة كاملة. وتدثرت بملابس سوداء خشنة، وزهدت في الدنيا، حتى إن بريطانيين خافوا من أن تهمل الإمبراطورية التي كانت الشمس لا تغيب عنها (توفت فيكتوريا سنة 1901).

حزن علماني:

لكن، منذ قبل حداد الملكة فيكتوريا المشهور بمئات السنين، ومع الإصلاح الديني، وعصر النهضة، وعصر التنوير، صار التفسير الديني للموت يقل وسط الغربيين. وبدأوا يفسرون الحياة تفسيرات علمانية. منها، كما قال واحد من فلاسفة ذلك الوقت: "الحياة نضال، بدون توقف. وعمل، بدون كسل. ونجاح، بدون فشل. وشجاعة، بدون خوف، حتى الموت."

وصار الغربيون ينظرون إلى الموت من جانبين:

الأول: إنه النهاية، وهذا شيء يدعو للخوف.

الثاني: إنه دافع للعمل والمتعة، وهذا شيء لا بأس منه.

وربط الغربيون بين العمل والمتعة. وقالوا أن المتعة جائزة العمل. وكلما عمل الإنسان أكثر، يقدر على أن يتمتع أكثر. وكلما زاد العمل، زاد الدخل الذي يمكن أن يصرف على المتعة. وأيضا، لان العمل يكفر عن المتعة. ولأن المتعة تساعد على العمل. ولأن عكس المتعة هو العذاب والخطيئة. ولان العقيدة المسيحية تركز على أن الإنسان معذب ويعيش في خطيئة. ولهذا، يمكن أن "يكفر" بالعمل والمتعة.

ومن هنا جاء الصراع عند الغربيين بين الموت والمتعة. الموت فشل نهائي، لكنه يدفع لعدم الفشل في الحياة. لهذا، يجب عدم الخوف من الموت. وكأنهم يقولون إنه يجب الاحتفال بالموت، لأنه يدفع الشخص ليسعد في الحياة.

وكتب كتاب "الموت والمتعة في الثقافة الغربية: "يقبل الغربي الموت وكأنه يتحداه. يتمنى لو أن يقدر على السيطرة عليه. لكنه يعرف انه لا يقدر. لهذا يقول في عقلانية: إذا جاء الموت، أنا مستعد له. سيهزمني، لكنى هزمته بالاستمتاع بالحياة."

حزن الحداثة:

وفي عصر الحداثة (نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين)، ظهرت أفكار غربيين تمردوا على المسيحية، أو، على الأقل، لم يجدوا فيها إجابات على أسئلتهم. ولم يجدوا طمأنة لقلقهم، ولحيرتهم. وأعلن فردريك نيتشه، فيلسوف ألماني (توفى سنة 1900): "الله مات"(يقصد: فشل فشلا نهائيا).

وفي عصر الحداثة، قويت الفردية. وقال عنها جيمس سميت، فيلسوف بريطاني (توفى سنة 1875): "بدون الفردية، لن يقدر الفرد على أن يملك شيئا، وعلى أن يزيد ثروته."

وفي عصر ما بعد الحداثة (بدأت بين الحربين العالميتين الأولى والثانية)، ظهرت "الفردية المتطرفة." وأعلنت أيان راند، فيلسوفة أمريكية من أصل روسي (ولدت سنة 1905):"ها نحن ننتقل، عبر قرون، من "إرادة الله" إلى "إرادة المجتمع" إلى "إرادة الفرد." راند هي صاحبة نظرية "اوبجيكتيفيزم" (الموضوعية، ويمكن أن تكون: الأنانية).

وهكذا، صار الموت موضوعا فرديا، يفسره كل شخص كما يريد. وكان تفسير راند هو أن الحياة "رحلة أنانية". وعندما توفيت وحسب وصيتها، وضعت دولارات داخل كفنها، ورسم دولارًا على قبرها.

الموت عند فرويد:

لكن، لم يؤثر شخص على نظرة الغربيين للموت مثل سيقموند فرويد، أبى الطب النفسي (ولد في النمسا سنة 1956، ثم هاجر إلى أمريكا). قال عكس ما يقول القرآن الكريم. وأفتى بان الحياة الدنيا أهم من الموت (وما بعده). وقال: "نهاية متعة الحياة تزيد متعة الحياة."

وقال: "لا اعرف عن الحياة الأبدية، لكني أعرف أن جمال الطبيعة (في هذه الدنيا) هو الأبدي." وأضاف: "لا افهم لماذا يفقد عمل فني أو إنجاز ثقافي أهميته لأن صاحبه سيموت."

وطبعا، فرويد هو الذي قال أن الجنس هو محور الحياة، وهو متعة الحياة. واسم واحد من كتبه هو: "ما وراء نظرية المتعة."

وعلق على ذلك مؤلف كتاب "الموت والمتعة" قائلا: "لكن، لا توجد نهاية للمتعة وللسعادة. لهذا، يظل الإنسان معذبا طول حياته وهو يبحث عن ما لا نهاية له."

وطبعا، أسس فرويد الطب النفسي ليعالج مشاكل "الانسان المعذب." وهو نفسه توقع ذلك عندما كتب: "ليس سهلا التخلص من القلق والعذاب. لكننا يجب أن نحاول ونحاول."

كتب ذلك في كتاب "الحضارة ونواقصها." وهكذا فتح الباب أمام عيادات الطب النفسي في الغرب والشرق، إلى ما لا نهاية.

جمع المال قبل الموت:

وهناك ماكس ويبر (ولد سنة 1864)، فيلسوف ألماني. نشر نظرية "ويرك اثيكس" (أخلاقيات العمل) المسيحية. وكتب كتاب "أخلاقيات العمل المسيحية وروح الرأسمالية". وقال: إن العمل الجاد يساعد:

أولا: على النجاح في الحياة، قبل الموت.

ثانيا: على الخلاص من الخطيئة، وكسب رضاء عيسى المسيح.

وقال أن دعوة المسيحية للشخص ليخلص نفسه من الخطيئة (بأن يعمل وينجح في الحياة) يمكن أن تطبق على كل المجتمع. ولهذا، فإن الرأسمالية (والإبداع والابتكار) قبل أن تكون من أجل الربح ومن أجل الشهرة، هي من أجل الخلاص الديني.

لهذا، يمكن القول أن هناك أسبابا دينية لعدم انتشار الاشتراكية في أمريكا.

تحديث:

في سنة 2010، سافر الرئيس أوباما إلى ولاية ماساجوستس لتأبين السناتور الراحل ادوارد كنيدي. ورغم أن التأبين كان هادئا ووقورا وفي داخل كنيسة تاريخية، لم يخلو من طرائف وضحك. وذلك عندما تحدث أوباما، وغيره، عن ذكرياتهم عن كنيدي. وأيضا تحدث واحد من أبنائه، وواحدة من حفيداته. تحدثوا عن سياساته، وهواياته، وحتى عن نكاته، وأيضا أضحكت هذه الحاضرين. وخلال كل هذا، كان جثمان كنيدي مسجى أمام الحاضرين.

وفي سنة 2011، سافر الرئيس أوباما إلى توسون (ولاية أريزونا) للحديث في تابين ضحايا المجزرة الدموية هناك التي قتلت ستة أشخاص، وجرحت أربعة عشر، منهم عضو الكونقرس دانييل قيفوردز (تحسنت صحتها في وقت لاحق، رغم أن رصاصة اخترقت رأسها من الخلف إلى الأمام).

شمل التأبين كلمة أوباما، وكانت مؤثرة وعاطفية. وكلمات آخرين مؤثرة أيضا، وموسيقى حزينة، ونشيد مسيحي حزين. لكن، لان التأبين عقد في إستاد في جامعة أريزونا وحضره عشرون ألف شخص تقريبا، كانت هناك هتافات تؤيد أوباما، وتصفيق، وضحك. وصار واضحا أن هذه لا تناسب التأبين الذي يجب أن يكون وقورا وقدسيا.

وهكذا، في كثير من مناسبات التأبين، يكاد الأمريكيون "يحتفلون" بالموت. يلقون خطبا تركز على انجازات الميت، أو يكررون نكاتا كان يقولها، أو يغنون أغاني كان يفضلها، أو يشجعون فريق كرة قدم كان يشجعه، أو يعزفون قطعا موسيقية كان يعزفها. وكثيرا ما يضحك المعزون (وأحيانا يصفقون) وجثمان الميت مسجى أمامهم.

الجامعة الكاثولوكية (واشنطن) : الصدمة الحضارية



(اقرأ: عقدة النقص وسط الأجانب)

(اقرأ: روايات مهاجرين)

(اقرأ: الخوف من الأجانب)

في سنة 2005، جئت إلى "كاثوليك يونيفيرسيتي أوف أميركا" (الجامعة الكاثوليكية الأمريكية) في واشنطن العاصمة لحضور محاضرة بعنوان: "الصدمة الحضارية".

غريبة، بعد قرابة ثلاثين سنة في أمريكا (خمس وعشرين في واشنطن، وأربعة في جامعة أنديانا)، بدأت أدرس موضوع "الصدمة الحضارية". رغم أني، طبعا، تعرضت لها منذ أول يوم في أمريكا.

هل أنكرتها؟ هل تحاشيت دراستها؟ هل خفت من نظريات الأمريكيين عنها؟ هل صرت أمريكيا ولم أعد أعاني منها؟

ربما كل هذه الأسباب، وأيضا لأني بدأت أجمع معلومات كتاب عن سنواتي في أمريكا.

واكتشفت أنني لا زلت أعاني من الصدمة الحضارية. حتى عندما ذهبت إلى هذه المحاضرة في سنة 2005. بعد أن تكبدت المشاق، عرفت أن المحاضرة ليست، حقيقة، عن "الصدمة الحضارية"، ولكن عن نقطة جانبية فيها.

تقع الجامعة الكاثوليكية في شمال العاصمة واشنطن. ومكتبي في مبنى الصحافة الوطني في قلب واشنطن (قرب البيت الأبيض). ومنزلي جنوب واشنطن، في ضاحية بيرك (ولاية فرجينيا) على مسافة عشرين ميلا تقريبا. لهذا، عدت إلى المنزل في الظهر بعد نهاية العمل، ثم ذهبت في المساء بالسيارة إلى الجامعة. لهذا، ارتفعت المسافة إلى ثلاثين ميلا تقريبا.

وهكذا، الصدمة الأولى: موضوع المحاضرة مختلف قليلا. الصدمة الثانية: لم أتأكد أن الجامعة بعيدة. الصدمة الثالثة: لم أتأكد من وجود موقف سيارات قريب من مكان المحاضرة. الصدمة الرابعة: وصلت متأخرا إلى المحاضرة.

بعد ثلاثين سنة في أمريكا!

خلفية تاريخية:

تترجم قواميس عربية كلمة "كلشر شوك" الانجليزية إلى "صدمة حضارية"، لكن، تستعمل قواميس أخري الترجمة الأدق: "صدمة ثقافية." وتشرح قواميس انجليزية "كلشر شوك" بأنها: "تأرجح شخصي لمن يعيش في، أو يزور، بلدا غريبا عليه."

وقسم إندرو بليك، مؤلف كتاب "طلاب أفارقة يدرسون في أمريكا" الصدمة الحضارية إلى خمسة مراحل:

الأولى: "شهر العسل" بين الثقافتين، بسبب انبهار الأجنبي (في الولايات المتحدة) بالحرية، وإطاعة القوانين، والنظام، والتأدب، والطعام، والترفيه البريء، وغير البريء. لكن، "لابد أن ينتهي "شهر العسل" مثلما ينتهي كل شهر عسل."

الثانية: "التوتر" (بعد ما بين نصف سنة وسنة تقريبا) بسبب خرق الأجنبي للقانون (مرور السيارات مثلا)، والنظام (الصفوف المنتظمة مثلا)، والنظافة (في المراحيض مثلا)، والتأدب (الحديث الهادي مثلا). وتسبب هذه الأخطاء إحراجات، ومشاكل (أحيانا مشاكل حقيقية، مع الشرطة مثلا).

الثالثة: "الإحباط". بداية بأمراض نفسية (مثل: الغضب، الوهم، الحيرة، السأم، الشكوى من التوتر، الشوق للوطن، عدم النوم، الكثرة في النوم، التفكير في الانتحار، كراهية أمريكا والأمريكيين، كراهية النفس). ثم أمراض عضوية (مثل: السمنة، ضغط الدم، السكري)

.

الرابعة: "التأقلم". لكن، يستغرق هذا سنوات، ويعتمد على خلفية الأجنبي (يوجد فرق كبير بين فترة تأقلم الغربي، وفترة تأقلم الشرقي، على الحياة في أمريكا). لكن، للتأقلم ثمن، وهو انخفاض العلاقة مع الوطن الأم. وعكس التأقلم هو الانطوائية، والتقوقع، والرفض، والعداء (وربما عداء عنيف).

الخامسة: "المساواة". ليست هذه مرحلة تلقائية بعد "التأقلم" لان التأقلم (آو محاولة التأقلم) ربما لا ينتهي. وليست هي المساواة في الفرص، والعمل، والتصويت، والغني، والفقر. ولا الجنسية الأمريكية وجواز السفر الأمريكي. لكنها إحساس نفسي بعدم النقص، وعدم الدنيوية. وهي ربما أصعب المراحل، لأن الأمريكي ابن البلد يظل ينظر إلى الأجنبي بأنه أجنبي، وانه هو ابن البلد، في استعلاء واضح ("حتى إذا اضطر ليقتلك"، كما قال الكتاب).

الخضوع الثقافي:

لا تذكر "كلشر شوك" (الصدمة الثقافية) الا وتذكر "كلشر كرينج" (الخنوع الثقافي، التبعية الثقافية، عقدة النقص الثقافية). وحسب كتاب "كلاش أوف سيفيلايزيشن" (تصادم الحضارات) الذي كتبه الأستاذ الجامعي الأميركي صمويل هنتنقتون (سنة 1996)، واحد من أسباب تصادم الحضارات هو تمرد شعوب العالم الثالث على الخنوع والخضوع للحضارة الغربية.

وعلى مستوى الأجنبي في الولايات المتحدة، يمكنه أن يسير في طريق الخنوع، ويمكنه أن يسير في طريق البحث عن هوية مستقلة يفتخر بها. وفي الحالتين، يكون الانبهار هو الأساس: انبهار يقود إلى ثلاثة طرق: تبعية، أو تعايش، أو تمرد.

غير أن الموضوع أكثر من شخصي. ويشمل خنوع شعوب وثقافات لشعوب وثقافات. مثل كتاب "مكسيكيون أو أمريكيون؟"، عن استعلاء الأميركيين على المكسيكيين، وخنوع مكسيكيين، وتمرد غيرهم. وأيضا، يناقش مثقفون استراليون خنوعهم للثقافة البريطانية. وهذا موضوع آخر.

صدمات آخرين:

بعد أن زاد اهتمامي بدراسة الصدمة الحضارية، بدأت اشترى كتبا، وأجمع معلومات، عنها. ووجدت إنني ربما أحسن حالا من غيري من الذين جاؤوا إلى أمريكا. وهذا ملخص لتجارب غيري (مع حذف الأسماء):

مصري:

"كنت اعتقد أن اللغة الانجليزية ستكون المشكلة الكبري في الولايات المتحدة. طبعا، بعد عشر سنوات، تحسنت إنجليزيتي. لكن، اكتشف أن الأمريكيين يتخاطبون بطرق غير اللغة الإنجليزية:

الأول: يتخاطبون باللغة "الأمريكية"، بعبارات وكلمات لم تمر على في مقررات اللغة الإنجليزية.

ثانيا: يتخاطبون بدون عبارات أو كلمات. بإيماءات، وتلميحات، وإشارات.

وحيرني هذا كثيرا. قضيت عشر سنوات أتعلم اللغة الانجليزية أكثر. كم سنة سأقضي لأتعلم الإيماءات والتلميحات؟"

فيتنامي:

"قبل ثلاثين سنة، وصلت لاجئا من فيتنام إلى مدينة صغيرة في ولاية ويسكونسن، حسب برنامج لكنيسة تعاونت مع وزارة الخارجية الأمريكية لإيواء اللاجئين.

لم تكن اللغة الانجليزية فقط هي المشكلة، ولكن محتوى اللغة. كنت أقول للأمريكي أو الأمريكية، بالإنجليزية: "ماذا تفعل؟" أو "إلى أين أنتي ذاهبة؟" هذه ترجمات لتحيات فيتنامية. وليس الهدف أن نعرف، حقيقة، إلى أين ذاهب الشخص، أو، حقيقة، ماذا يفعل. أنها مجرد تحية.

بعد إحراجات كثيرة، ونظرات استغراب (وأحيانا ضحكة استهزاء خفيفة من أميركيات)، لجأت إلى "قود مورننغ" (صباح الخير) و "قود أيفننغ" (مساء الخير). وذلك بعد أن ضغط أمريكي على يدي ضغطة قوية، ونظر إلى في عيني، وقال محذرا: "فقط، تأكد إذا كان الوقت صباحا أو مساء."

صيني:

"لم يكن في المدينة الجامعية الصغيرة التي جئت إليها طالبا ببعثة من حكومة الصين مطعم صيني. أكلت "بتزا" مرة واحدة، وأصابني مغص، وتوقفت عن أكلها. وأكلت "هامبيرقر" مرة واحدة، وحدث نفس الشيء. لأسابيع، ما كنت أكل كثيرا. وانخفض وزني. حتى عرفت كيف أستقل حافلة، وأذهب إلى سوق أسيوي بعيد، اشتري منه أطعمة واطبخها في غرفتي.

أتذكر الآن تلك الأيام، وأتأسف على المهاجرين الذين يجيئون إلى الولايات المتحدة أول مرة."

سوري:

"في سوريا، حذروني من العرب يوم سفري إلى أمريكا. وقالوا لى: ابتعد عنهم، مشاكلهم كثيرة. ونفذت ذلك. تحاشيتهم، حتى عندما أسمعهم يتكلمون العربية في الشارع أو الحافلة. وتعمدت الاختلاط مع الأميركيين والأميركيات. كان ذلك قبل ثلاثين سنة. الآن، كبرت، وكبر أولادي وبناتي. أجدت اللغة الانجليزية والتعابير الأميركية، وتحليل مباريات كرة القدم وكرة السلة. لكن، مع كل كلمة انجليزية تعلمتها، نسيت كلمة عربية. أحس إنني ابتعدت عن ثقافتي العربية. أريد أن أعود إليها. أم أن الوقت قد تأخر؟"

فليبيية:

"سكنت لسنة مع عائلة أميركية في مدينة صغيرة. أول صدمة كانت يوم دخلت منزلهم لأول مرة، وخلعت حذائي عند الباب. استغربوا، وقالوا: "لماذا تفعلين ذلك؟" قلت: "هذا ما نفعل في الفيليبين."

فيما بعد، عرفت إننا نفعل ذلك في الفلينيين لأن الشوارع قذرة. حتى صارت عادة المشي بأحذية داخل المنازل عادة منبوذة ومسيئة. لكن، كانت شوارع تلك المدينة الأمريكية الصغيرة نظيفة. ويمشى الناس على أرصفة نظيفة.

في المساء، اقترحت على البنت الأمريكية أن نمشي في شوارع الحي، على الأرصفة النظيفة. واستغربت أنا لأنها مشت حافية. سألتها: "لماذا تمشين حافية في الشارع؟" قالت: "الجو جميل، وأريد أن أمتع قدمي به." وضحكت قائلة: "أريد أن أمتع قدمي بالحرية."

هكذا كانت أول صدمة حضارية بالنسبة لي، في أول يوم: أنا أمشي حافية داخل منزلها، وهي تمشي حافية في الشارع."

هندي:

"منذ أول يوم، لم تكن اللغة الإنجليزية مشكلة بالنسبة لي. وبعد أن حصلت على دكتوراه في الكمبيوتر، وأسست شركة صغيرة، وكبرت الشركة، وتزوجت هندية، وأنجبنا أولادا وبناتا، وعشنا في منزل كبير في حي راق، جاءت الصدمة الحضارية في يوم من الأيام:

كنا نأكل العشاء في المنزل، مع الأولاد والبنات. وتطوعت البنت الصغيرة، والتي مثل كثير من الصغار، تتحدث بكثير من الصراحة، وقالت: "عندما نأكل الغداء في كافتيريا المدرسة، تقول لنا المدرسة: لا تمضغوا الطعام وأفواهكم مفتوحة، ولا تمضغوا الطعام بأصوات عالية."

استغربت لهذه الملاحظة. وساد صمت مفأجئ حول مائدة العشاء. وحاول الولد الكبير أن يلطف الجو، لكنه عقده، وقال: "قبل أيام، اقترح صديقي جيمي: لنذهب إلى مطعم هندي، ونرى الهنود يأكلون بأصوات عالية."

وفهمت. أنا أمضغ الأكل بفم مفتوح، وبصوت عال."

نيجيري:

"في أول يوم في هذه الجامعة، واجهتنا الصدمة الحضارية. تجمعنا نحن أربعة نيجريين نسكن في داخلية واحدة، لنذهب إلى قاعة الطعام، في أول وجبة لنا في الداخلية. عندما تقابلنا في لوبي الداخلية، وكعادتنا، بدأنا نتحدث بلغة اليوربا، وبأصوات عالية، ونضحك ضحكات عالية. ونحن نقف في صف الكافتيريا لنختار الأطعمة، تندرنا على الأكل الأمريكي، وضحكنا بأصوات عالية. وعندما جلسنا لنأكل، تندرنا على الأمريكيين والأمريكيات حولنا، وضحكنا ضحكات عالية.

في الحقيقة، لم نكن نعرف أننا فعلنا ذلك حتى قال لنا نيجري قضي ثلاث سنوات في الجامعة. قال: "يعتبر الأمريكيون الكلام بصوت عال شيء غير مهذب. افعلوا في غرفكم ما تريدون، وتكلموا بأعلى الأصوات، واضحكوا أعلى الضحكات. لكن، ليس هنا."

إماراتي:

"عندما قبلت في هذه الجامعة الأمريكية، وبدأت الاستعدادات للسفر إلى أميركا لأول مرة، قالوا لي في الإمارات إنني لن أحس بصدمة حضارية، لان الأكل الأمريكي متوفر في الخليج: دجاج "كنتاكي" وبتزا "بتزا هات" وساندوتشات "ماكدونالدز".

صحيح، وجدت "ماكدونالدز" و "كنتاكي" و "بتزا هات" في كل شارع. لكن، هناك فرق بين الأكل الأمريكي عندما أريده، وبينه عندما لا يكون هناك غيره. اشتقت للأكل الخليجي. ليس فقط الأكل، ولكن طريقة أكله، وأجوائه.

اشتقت للجلوس على الأرض، والتلاصق مع بعضنا البعض، واختيار قطعة لحم طيبة أضعها في فم الذي يجلس إلى جانبي، حبا وإيثارا. إذا فعلت هذا لأميركي، أو حتى أميركية، تنفر، وتقول لي: "أي ويل فيد ماي سيلف" (سأطعم نفسي). هذا إذا لم تقل لي أن يدي ملأنه بالجراثيم.

ألماني:

"أحببت فتاة أمريكية جميلة وشقراء. وفكرت في أن اعرض عليها الزوج. وسألتها، في دبلوماسية، عن مستقبل علاقتنا، وعن رأيها في أنا. وردت في صراحة لم أتوقعها. قالت: "أحبك، لكنى لست متأكدة إنني أريد أن اقضي بقية حياتي معك." سألت: "لماذا؟" قالت، في جدية، وهي تنظر إلي في عيني: "لا أريد أن أقضي بقية حياتي مع زوج عنصري."

لم أصدق. لكنها، في جدية لم أر مثلها منها، قالت: إنها لا تقبل تعليقاتي المسيئة عن الزنوج، والمكسيكيين، والأسيويين، واليهود.

قالت إنها تريد أن تستمر علاقتنا، لكنها ليست متأكدة من ارتباط قوي ومستقبلي.

وفهمت. وطبيعيا، وتدريجيا، بدأت علاقتنا تقل، حتى توقفت. في جانب، احترمت شجاعتها في أن تضحي بزوج في سبيل مبدأ. وفي الجانب الآخر، وددت لو لم تكن شجاعة هكذا."

كوري:

"عندما كنا في كوريا الجنوبية، وقال لنا والدانا أننا سنهاجر إلى الولايات المتحدة، سألناهما: "إلا نحتاج لتكون لنا أسماء أمريكية؟" قالا: "كل واحد وواحدة تختار اسما أميركيا."

اخترت أنا "باربرا" لأني معجبة بالممثلة والمغنية باربرا سترايساند. واختار شقيقي "كيتون"، وقال إنه اسم الممثل في فيلم "باتمان" (الرجل الوطواط). واختارت شقيقتي "ليز"، اسم الممثلة إليزابيث تايلور.

رحب والدانا بأسمائنا الأمريكية، وسط انبهار وإثارة وفرح الهجرة إلى أميركا. لكن، اعترض جدتي. ولم تفهم كيف سنلغي أسماء اشتركت هي في تسميتنا بها، وكل اسم يعود إلى تاريخ العائلة.

الآن، لن أنسى أبدا منظرها، عند مدخل الطائرة، وهي تودعنا بأسمائنا الكورية، وتبكي (على فراقنا، وفراق أسمائنا".

جيبوتي:

"من جيبوتي الصغيرة إلى أمريكا الكبيرة. هذه ملخص صدمتي الحضارية. كل شيء في جيبوتي صغير: منازلنا، أبوابنا، نوافذنا، شوارعنا، صحون طعامنا، أكوابنا. أول شيء أمريكي كبير كان الطائرة الأميركية. عملاقة، وداخلها عشرات الناس، وكأنها السوق الأسبوعي في جيبوتي. وكان الساندوتش كبير، والموزة كبيرة.

وخرجنا من الطائرة في مطار شياقو، ورأيت قطع البتزا الكبيرة، والساندوشات أكبر وأكبر، وأكواب الكوكا كولا والبيبسي كولا كبيرة، بل عملاقة.

ولاحظت أن الأمريكيين، وخاصة الرجال، كبار في الأحجام. ها نحن نجلس على مقعد داخل المطار في انتظار وصول عفشنا، نحيفين وقصار، وملتصقين مع بعضنا البعض، وشبه مذعورين. وهاهم الأميركيون بكروش كبيرة، وقامات عملاقة.

حتى اليوم، يخيفني الرجل الأمريكي العملاق. اعتقد أن سبب ذلك ليس فقط اختلاف الأحجام، ولكن، أيضا، أهمية الأمريكي في كل العالم، ناهيك عن في جيبوتي الصغيرة. وهو، نفسه، لا يخفى ذلك في تحركاته، وتصرفاته، وطريقة كلامه."

مصرية:

"الصمت هو صدمتي الحضارية الكبرى في أمريكا. ولدت، وتربيت، ودرست وعملت في القاهرة قبل أن أهاجر إلى أمريكا. منذ عشرة سنوات، وحتى اليوم، لا أكاد أصدق صمت الأمريكيين. ليس فقط في المصاعد، والمكاتب، والممرات، والمراحيض، والاجتماعات، ولكن، حتى في الشارع. يكون الشارع مزدحما بالناس، ولا ترى أغلبية الناس تتحدث.

ليس هناك أسهل من خروج مظاهرة في شوارع القاهرة. لأن هناك "مظاهرة" في كل شارع، بحشودها، وصراخها، وأحيانا لافتاتها.

اعمل في مكتب مع أمريكيين وأمريكيات، ولا اصدق الهدوء الذي يجعلني أتوتر أحيانا. نتكلم عندما نذهب إلى دورة الماء، أو إلى مطبخ المكتب الصغير. لكننا، سريعا نعود إلى مكاتبنا، وإلى صمتنا.

استغرب للهدوء في المكاتب الأمريكية، وأيضا استغرب للطريقة التي يمرح بها الأمريكيون في عطلة نهاية الأسبوع.

اعتقد أحيانا إنه مرح أكثر مما يجب. لكنى وجدت أن هناك صلة بين صمت العمل، وصخب المرح."

ياباني:

"بعد خمس وعشرين سنة في أمريكا، وبعد أن تزوجت أمريكية، وأنجبنا أولادا وبناتا، سمعت عبارة "أشيان سمايل" (ابتسامة أسيوية). هذه إشارة إلى ظاهرة ابتسام اليابانيين، والصينيين، والكوريين، في المجتمع الأمريكي.

سمعت العبارة خلال نقاش اشترك فيه أولادي وبناتي:

في جانب، قال بعضهم إن أمريكيين يرون في الابتسامة نوع من أنواع التأدب. وأن أصدقائهم وصديقاتهم الذين يزوروننا في البيت يلاحظون ذلك، ويقولون لهم ذلك.

في الجانب الآخر، قال بعضهم أن أميركيين يسمونها "ابتسامة بلاهة"، بسبب عدم فهم عبارة إنجليزية، أو فهم عادة أمريكية. وإنها تعبر عن عقدة نقص وسط الأسيويين.

أنا الآن في حيرة: هل ابتسامتي دليل على طيبتي؟ أو دليل على بلاهتي؟ وأنا في حيرة اكبر: لماذا لم انتبه لهذه الموضوع خلال خمسة وعشرين سنة في أمريكا؟"

مطار ريقان (واشنطن العاصمة) :أمن المطارات



(اقرأ: "واشنطن بوست": رأيي: ذعر الأمريكيين).

(اقرأ: تغطية حرب الإرهاب)

(اقرأ: إسلاموفوبيا)

في سنة 2002، سافرت بأول رحلة جوية بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، والذي بعده أعلن الرئيس بوش الابن ما سماها "الحرب ضد الإرهاب"، والتي، بعد غزو أفغانستان والعراق، وبعد ضرب باكستان واليمن والصومال، اعتبرتها أنا حربا غير مباشرة ضد المسلمين، أن لم تكن ضد الإسلام.

شملت هذه الحرب المسلمين في الولايات المتحدة. وصاروا

يعانون من الاعتقال، والتفتيش، والاشتباه، والشكوك، والاحتقار، وأقل شئ، الاستعلاء.

ويوم ذهبت من مكتبي، في مبنى الصحافة الوطني في واشنطن العاصمة، إلى مطار ريقان (باسم الرئيس رونالد ريقان) الذي يقع على مسافة قريبة من واشنطن، واشتريت تذكرة للسفر إلى ولاية فلوريدا في مهمة صحافية، بدأت مشاكلي.

وجدت جهازا بيروقراطيا عملاقا ومعقدا، اسمه "ترانسبورت سيكيوريتي ادمينستريشن" (إدارة أمن المواصلات). أو، في الحقيقة، "أمن المطارات"، لأن الجهاز تخصص في تفتيش المسافرين والمسافرات في المطارات. وصار في التفتيش كثير من الإحراج، أن لم يكن الاحتقار.

وقفت في صف طويل، ولاحظت خليطا من الهدوء والتوتر على وجوه كثير الناس. لم ألاحظ الخوف من هجوم إرهابي، وهو سبب كل هذا التفتيش (ربما الخوف من المفتشين أنفسهم). وعندما جاء دوري، أمرت (ولكن، في تأدب) أن أخلع حذائي، وحزامي، وبدلتي، واضعها في صندوق بلاستيكي على الشريط الأمني الذي يمر تحت جهاز تصوير إلكتروني.

وأيضا أن أضع كل شيء فيه معدن (مثل ساعتي، ونظارتي، ونقودي، وقلمي) في الصندوق. وأيضا، تلفوني، والكمبيوتر، والكاميره، والمسجل (في ذلك الوقت، لم يظهر "سمارت فون"، التلفون الذكي الذي فيه كاميرة ومسجل).

وأيضا، كيسا من البلاستيك فيه أنبوبة معجون أسنان صغيرة جدا، وزجاجة عطر صغيرة جدا، ودواء سائل للرشح صغير جدا (كنت درست مسبقا القانون الجديد الذي يحدد كميات صغيرة جدا من أي سائل).

وأيضا، وضعت على الشريط الأمني المتحرك حقيبة ملابسي الصغيرة. ومررت تحت بوابة الأمن التي، لحسن الحظ، لم تطلق صفارة إنذار. لكن، طلب منى أن انتظر حتى يفحص شرطي الأمن صورة حقيبة الملابس كما ظهرت على شاشة أمامه. واختبر شرطي آخر الكمبيوتر، والتلفون، والكاميرا، ومسجل الصوت. فتحهم، وقفلهم، وفتحهم، وقفلهم. في ذلك الوقت، كانت الحقيبة، وبقية ممتلكاتي، خرجت على الجانب الآخر للحزام الأمني المتحرك.

وحمدت الله، واعدت كل شيء إلى مكانه، وارتديت الحزام، والبدلة، والحذاءين.

ولأني لم أكن على عجل، جلست على كرسى، ولبست الحذاءين، وتأملت في الذي يحدث أمامي. وسألت نفسي: "ماذا يحدث؟ ماذا يحدث لأعظم وأكبر دولة في تاريخ العالم؟ لماذا هذا الجيش من الشرطة لتفتيش ناس فقط يريدون السفر؟ لماذا كل هذا الخوف؟ من الذي فعل ذلك؟ ولماذا؟ وإلى متى؟"

وبعد أن انتهى تأملي، ولم أجد إجابة على أسئلتي، مشيت نحو الطائرة.

داخل الطائرة، فحصت تذكرة العودة، وتأكد لي ما لاحظت، وأنا على عجل، في تذكرة السفر. توجد ثلاث حروف "س" باللغة الانجليزية، واحدا بعد الآخر. واستغربت، وحزنت، وغضبت. لكنى حاولت أن أنسى الموضوع.

في رحلات جوية فيما بعد، تكررت نفس إجراءات وضع حاجاتي على الحزام الأمني (وكنت تعودت عليها، رغم استمرار الدهشة، والحزن، والغضب). مرة، أحضرت زجاجة كبيرة من عطري المفضل "شانيل"، لكن، صادرها الشرطي، وقال لي (في تأدب) إن كمية السوائل محددة. ومرة، أمرني شرطي (أيضا، في تأدب) أن امشي تحت بوابة إضافية تكشف مواد نووية (نعم، نووية).

في نفس الوقت، استمرت حروف "اس" الثلاثة تظهر على تذاكري.

وقررت أن اكتب، لأول مرة، رأيا أرسله إلى صحيفة "واشنطن بوست". خلال عشرين سنة في واشنطن، لم اكتب فيها، لأني مثل أي غريب تقريبا، كنت حذرا، ومترددا، وخائفا. وأيضا، لان لغتي الانجليزية لم تكن قوية بالصورة المطلوبة.

كتبت رأيا عن الإجراءات الأمنية المتشددة في شوارع واشنطن، ومبانيها، وحافلاتها، و"مترو" (قطارات تحت الأرض)، والطائرات. وقلت إن هذه الإجراءات الأمنية لا تخيفني (ولا تطمئنني). لكنها تحزنني، وتغضبني. وكتبت: "ماذا حدث لأعظم بلد في تاريخ البشرية؟" وأشرت إلى حروف "اس" الثلاثة على تذاكر سفري بالطائرات.

أثار الرأي الذي كتبته ضجة انعكست في التعليقات الكثيرة (اغلبها عدائي) التي وصلتني.

لم يتصل بي شرطي أو رجل أمن (قلت لنفسي: ربما لا تزال أمريكا بخير).

وعندما سافرت جوا في المرات التالية بعد موضوع "واشنطن بوست"، غابت حروف "اس" الثلاثة من تذاكري (قلت لنفسي: ربما خجل المسؤولون، أو تحاشوا الدخول في مشكلة مع صحفي).

منذ ذلك الوقت، ومن وقت لآخر، أكتب في صحف أميركية عن دهشتي، وحزني، وغضبي، لما وصل إليه حال أعظم دولة في تاريخ العالم (وأكثرها حرية، وعدالة، وتكنولوجيا).

في البداية، لم أكن أعرف كلمة "إسلاموفوبيا" (الخوف من الإسلام والمسلمين). لكن، صار واضحا أن "أعظم دولة في تاريخ العالم" تخاف منا. وطبعا، ما كان يجب أن تخاف. وما كان يجب أن يضربها مسلمون (أو يعادونها، أو ينتقدون سياساتها). لكن، قال الذين ضربوها (ويقول الذين يعادونها، وينتقدون سياساتها) أنهم يفعلون ذلك بسبب تأييدها لإسرائيل، واحتلال إسرائيل لأراضي عربية.

لو لم تكن هناك إسرائيل، ولو لم تؤيدها أمريكا هذا التأييد المبالغ فيه، كانت علاقة أمريكا بالعالم الإسلامي ستكون مثالية. لكن ....

تحديث:

في سنة 2009، أصدرت إدارة امن المطارات (التابعة لوزارة الأمن) أوامر بأن يتعرض المسافرون والمسافرات إلى الولايات المتحدة من أربع عشرة دولة إلى "تفتيش تصويري كامل للجسم".

تنقسم هذه الدول إلى قسمين:

أولا:"قائمة دعم الإرهاب"، وهي: إيران، سوريا، السودان، كوبا.

ثانيا: "قائمة الاهتمام الخاص"، وهي: نيجريا، اليمن، باكستان، أفغانستان، السعودية، الجزائر، العراق، لبنان، ليبيا، الصومال.

لم تفسر وزارة الأمن الأمريكي السبب الحقيقي، لكن صار واضحا:

أولا: كل الدول، ما عدا كوبا، مسلمة.

ثانيا: الدول ذات "الاهتمام الخاص" ليست بالضرورة "إرهابية".

ثالثا: لا توجد خطوط طيران مباشرة بين أمريكا وأغلبية هذه الدول. لكن، يتعرض للتفتيش التصويري كل مسافر كان في أي من هذه الدول، أو مر بها.

رابعا: لم تفرق الوزارة بين "مواطن" و "مسافر". لكنها استعملت "من"، مما يعني أن أي شخص من هذه الدول، أو مر بواحدة منها، في طريقه إلى الولايات المتحدة.

خامسا: لم تشر الوزارة إلى الاسم الرسمي:"التفتيش التصويري الكامل"، واستعملت وصف: "تفتيش أمني إضافي".

عمر الفاروق:

في سنة 2009، بعد محاولة النيجيري عمر الفاروق عبد المطلب تفجير الطائرة الأمريكية التي سافر فيها من أمستردام إلى ديترويت، أمرت وزارة الأمن بتطبيق نوعين جديدين من التفتيش على كل مسافر بكل طائرة إلى كل مطار أميركي:

أولا: المرور عبر بوابة التصوير الإلكتروني الجديدة، مع رفع اليدين إلى أعلى.

ثانيا: التفتيش باليدين فوق الملابس.

ثالثا: التركيز على الأربع عشر دولة: مواطنيها، والقادمين منها، والمارين على مطاراتها.

لكن، منذ أول يوم، واجهت الوزارة حملة انتقادات أمريكية وغير أمريكية:

أولا: قالت منظمات حقوق الإنسان والحقوق الخاصة أن التفتيش التصويري الكامل للجسم يتعدي الحرية الخاصة للإنسان.

ثانيا: قالت شركات طيران أن الإجراءات معقدة، وتستغرق وقتا طويلا، وتكلف أموالا كثيرة.

ما هو التصوير الإلكتروني:

أهم نوعين:

أولا: "ميليميتر ويف" (موجات دقيقة تدور حول الجسم)، وهو الجهاز الأكثر استعمالا.

ثانيا: "باكسكاتر" (موجات على طريقة أشعة "إكس).

تدور موجات "ميليميتر" حول المسافر أو المسافرة. ولا تصور أي ملابس، أو اوراق، أو حجارة، أو زجاج، أو ماء صافي، أو خضروات، أو لحوم، أو فاكهة، أو بذور. لكنها تصور فقط المعادن والمواد الكيماوية. ويعتمد التصوير على ذبذبات عالية جدا، تصل إلى 300 قيقاهيرتز (مليار ذبذبة. هيرتز هو وحدة ذبذبة، والذبذبة هي دورة واحدة كل ثانية. ويوجد كيلوهيرتز، وميقاهيرتز. وأعلاها هو تيراهيرتز).

هذه كلها شحنات كهربائية مغناطيسية، ويقاس بها الضوء والصوت. وطبعا، الضوء هو الذي يصور، ويصور حسب ذبذبات عالية. تحسب بالعشرات (مثل "الأشعة تحت الحمراء"). أو بالآلاف (مثل "الأشعة فوق البنفسجية")

وأعلاها هي أشعة "قاما" التي تحسب بوحدة "إكساهيرتز". ولهذه الأخيرة خطر إضافي لأنها تنبعث من إشعاع ذري. وتستعمل في الطب النووي.

وغير التفتيش الالكتروني، تستعمل الذبذبات الضوئية والصوتية في مجالات أخرى، مثل: الفلك، والاستشعار البعيد، وسفن الفضاء، والاتصالات اللاسلكية، مدنية وعسكرية.

وطبعا، تتطور كل هذه العمليات تطورا سريعا مع تطور التكنولوجيا السريع. وفي سنة 2010، أعلن السلاح الجوي الأميركي اختراع سلاح "اي دي اس" (شحنة إشعاع لا تقتل، ولا تحرق الجسم، لكنها تجعل الإنسان يحس وكأن جسمه يحترق).

الاعضاء التناسلية:

من الذين انتقدوا هذا التصوير الإلكتروني، دورية "أميركان سايتنست" (العالم الأمريكي). قالت: "ربما يكون النجاح سبب الفشل"، إشارة إلى نجاح "موجات ميليميتر" في تصوير المسافر والمسافرة. أي أنها نجحت في تصوير كل شئ. لكن، لا يجب أن يصور كل شيء.

تصور الأعضاء التناسلية والنهدين، وتكشف إذا كان النهدان صناعيين (فيهما مادة سيليكون)، وإذا كانت حلقة معدنية مغروسة في حلمة نهد أو في عضو تناسلى لامرأة.

لكن، دافعت شركة "أل ثري" التي تنتج الجهاز عن الجهاز، وقالت أنها وضعت احتياطات "كافية"، منها:

أولا: خفضت درجة الذبذبة لتخفيض التفاصيل.

ثانيا: مسحت الوجه حتى لا يعرف من هو المسافر أو المسافرة.

ثالثا: منعت نقل أو أو تصوير أو تخزين صور المسافرين والمسافرات. (وقالت إنها تجري تجارب لتغطية الأعضاء التناسلية).

دفاع عن الجهاز:

بسبب حملة الهجوم والنقد ضدها، دافعت وزارة الأمن عن الجهاز. وقالت إنها حريصة على أن يدير شخصان كل جهاز:

الأول: فني (يجلس بعيدا عن الجهاز حتى لا يرى المسافر أو المسافرة)، ويلتقط الصورة، ويراقب أي سلاح أو متفجرات.

الثاني: امني (يجلس بالقرب من المسافر أو المسافرة)، لا يشاهد الصورة، لكنه يتلقى معلومات من الفني إذا كان المسافر أو المسافرة يحمل سلاحا أو متفجرات.

بالإضافة إلى دفاع وزارة الأمن، دافعت شركة "أل ثري" التي تنتج "ميليميتر ويف". وقالت أن الجهاز:

أولا: يوفر الوقت، ويفتش أكثر من أربعمائة مسافر ومسافرة كل ساعة (بالمقارنة مع مائة كل ساعة حسب النظام التقليدي).

ثانيا: أقل "أذى نفسيا وخدشا للحياء" من التفتيش بالمسح باليدين فوق الملابس. و"يوضح المكان الحقيقي لكل شيء."

ثالثا: "حركة واحدة لا تتكرر" (أي لا يطلب ضابط الأمن من المسافر أو المسافرة أن يعود مرة ثانية للتفتيش. ولا يستغرق أكثر من ثانيتين).

رابعا: المواد المشعة التي تصدر منه أقل من التي تصدر من التلفون الموبايل بعشرة آلاف مرة.

المستقبل:

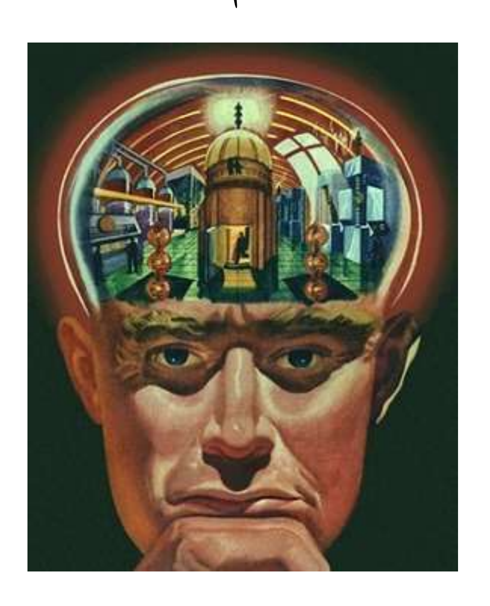
ماذا عن المستقبل، من جانبيه: إجراءات الحكومة الأميركية، وخطط الإرهابيين؟

في جانب الحكومة الأمريكية، ستنتظر وهي مترددة قبل تنفيذ إجراءات أمنية جديدة. وحسب النظام الأمريكي، بالإضافة إلى النقد في الصحف وفي الكونقرس، سترفع منظمات حقوق الإنسان والحقوق الخاصة قضايا ضد وزارة الأمن. لكن، مثلما حدث عندما أرسلت الحكومة الأمريكية متهمين بالإرهاب إلى سجن قوانتانامو العسكري في كوبا، تمر سنوات وسنوات، قبل أن تحسم المحاكم هذه القضايا.

في جانب الإرهابيين، لابد أن يخططوا لخدع أخرى. وربما كما قالت صحيفة "نيويورك تايمز" في سيناريو مثير، سيخططون لوضع قنبلة في مؤخرة جسم الإنسان، يخرجها، ويبول عليها، لتنفجر.

وعن هذه النقطة، كتب بروس شنايار، خبير في شؤون الأمن والإرهاب، ومؤلف كتابين:"ما بعد الخوف"، و"أسرار وأكاذيب"، وهما عن موجة الرعب والخوف التي اجتاحت الأمريكيين بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001. قال: "لو كانت هناك مائة طريقة يستعملها الإرهابيون، ونحن اكتشفنا اثنتين، لابد أنهم سيستعملون الثالثة، والرابعة، ناهيك عن التاسعة والتسعين والمائة. "

متحف «هيرشهوم» (واشنطن) :



(اقرأ: غياب العاطفة)

(اقرأ: الفردية)

في سنة 2002، في يوم صيف حار، ووسط مئات السواح (كل سنة يزور واشنطن مليون سائح تقريبا) الذين ملؤوا مجموعة متاحف "سميثونيان" التي تقع قرب مبنى الكونقرس، على جانبي "ناشونال مول" (الميدان الوطني) في قلب واشنطن، زرت متحف هيرشهوم"، لمشاهدة معرض "الزمان والمكان."

هذا معرض صور وفيديوهات لتصوير أزمنة وأمكنة محددة،كأساس لنظرية إيمانويل كانت (فيلسوف من ألمانيا، عندما كانت بروسيا، توفي سنة 1804) عن "الزمان والمكان." والتي تعتبر من أهم نظريات عصر التنوير في أوروبا، الذي طور ودعم الفكر العقلاني.

شاهدت في المعرض صورا وفيديوهات منها الآتي:

أولا: ساعة ثابتة في الثالثة والنصف.

ثانيا: لوحة عليها فقط تاريخ "24-10-1971".

ثالثا: فيديو يتكرر كل دقيقة، فيه فيل يقف، ثم يجلس، ثم يقف.

رابعا: فيديو شلالات نياقرا (في كندا، أكبر شلالات في العالم) لا تتوقف أبدا.

وقال كتيب وزعه المعرض: " الهدف من المعرض هو تشجيع الزوار على التأمل في صور وفيديوهات عن الأزمنة والأمكنة. الهدف هو التأمل من اللحظة التي أمامهم إلى اللانهائية."

وكتب فيليب كينيكوف، صحفي الشئون الثقافية في صحيفة "واشنطن بوست": "هذه ربما أول مرة تتحول فيها فلسفة إلى صور وفيديوهات. لمئات السنين كان الفلاسفة يكتبون عن المكان والزمان. والآن جاءت الكاميرا لتصور حقيقتين:

أولا: تصور الزمان قبل أن يغيره المكان.

ثانيا: تصور المكان قبل أن يخفيه الزمان.

خلفية تاريخية:

قال كتاب "فليسوفي فور دامز" (الفلسفة للأغبياء) للدكتور توم موريس، مدير مركز باسمه في ويلمنقتون (ولاية ديلاوير)، أن الفيلسوف كانت صار من أكثر فلاسفة أوروبا اهتماما بالزمان والمكان. وانه كتب، قبل مائتي سنة، كتاب "نقد المنطق"، قال فيه أن المكان والزمان هما أساس التفكير. وأنهما يتشابكان مثل خيوط نسيج منبسط، وهو متشابك ومعقد. وكانت هذه النظرية مخرجا للفيلسوف كانت، ولغيره، من نظرية "القفص الحديدي." أن الحياة سجن مغلق (بلا مكان وزمان: لا يتغير المكان، ولا يؤثر عليه الزمان).

حسب نظرية كانت، يقدر الشخص على أن يحدد مكانه وزمانه ويتامل فيهما.

لكن، كما قال صحفي "واشنطن بوست"، مشكلة المكانية والرمانية هي أنها:

أولا: علمية جدا.

ثانيا: تنتقدها الفلسفات الشرقية (الصينية، والهندية، وخاصة الإسلامية).

واعترف الصحفي أنه هو، الغربي العقلاني، فسر المعرض تفسيرات مختلفة عن إذا كان فسره فيلسوف شرقي. وذلك لأن "العقول الشرقية لا تركز على الماديات."

ما هي العقلانية؟

قال الكتاب أن كلمة "عقلانية" فضفاضة جدا، لان كل حيوان يستعمل عقله، ويفكر. وفضل الكتاب عبارة: "عقلانية منطقية": إذا حدث كذا، يحدث كذا. لكن، حتى المنطق موجود بصورة محدودة عند بعض الحيوانات: إذا أطاع الكلب أمر سيده، ينال قطعة لحم.

وينقسم المنطق إلى قسمين:

أولا: "أمبريكاليزم" (التجربة العلمية).

ثانيا: "راشوناليزم" (الفكر العقلاني).

من أشهر الذين قاموا بتجارب علمية في ذلك الوقت: روبرت بويل (بريطاني، توفي سنة 1691)، أبو الكيمياء الحديثة. وإسحق نيوتن (بريطاني، توفى سنة 1727) أبو الفيزياء الحديثة. وجاء الألماني كانت ليسال إمكانية تطبيق المنطق العلمي على النظريات الفلسفية. أي تطبيق الرياضيات على الفلسفات. أي أن يكون التفكير الإنساني مثل التفكير العلمي. لكنه، طبعا، لم ينجح.

وحسب كتاب "فيلوسوفي فور دامز"، تركز العقلانية على "كوقنيشنيزم" (التفكير المنطقي). وتقلل من "ايموشناليزم" (العاطفة)، و"انتويشنيزم" (الفطرة الطبيعية)، و"مستسيزم" (الايمان بالغيب)، و"ميثولوجيزم" (الخرافات والاساطير).

لكن، هناك نقتطتين:

أولا: يمكن القول أن العاطفة، والفطرة، والغيب، والخرافات هي نوع من أنواع التفكير العقلاني. بل نوع من أنواع المنطق. مثلا: عندما يتأمل شخص فيما حوله وفي الغيبيات، ويقوده عقله إلى الذات الإلهية. ومثلا: عندما يعبد شخص شجرة أو بقرة أو صنم.

ثانيا: يبدو أن الفصل بين "العقل" و"القلب" غير صحيح علميا، ومنطقيا. وذلك لان القلب، طبعا، لا يفكر. يفكر العقل، ويميل نحو تفسير علمي، أو عقلاني، أو عاطفي، أو فطري، أو غيبي، أو خرافي.

العقلانية المنطقية الفردية:

في وقت لاحق، ظهرت مشكلة جديدة، وهي وجود اختلاف بين نظرية العقلانية، وتطبيقها. عند تطبيق العقلانية على العلاقات بين الناس (العقلانية الشخصية)، ظهرت التناقضات بين الأنانية في جانب، والمشاركة في الجانب الأخر. بين ما هو كائن في جانب، وما يجب أن يكون في الجانب الآخر.

ما هو الحل؟

ظهرت "العقلانية المنطقية الفردية"، ومعناها أن الفرد هو الذي يفكر ويمنطق. وهكذا، صارت الفردية الغربية ثورة على سيطرة رجال الدين والأباطرة والملوك والإقطاعيين. بدل أن يفكر هؤلاء بالنيابة عن الشخص، يفكر الشخص نفسه عن نفسه.

وصارت العقلانية الغربية مثل دائرة في داخلها دوائر حسب أهميتها. الدائرة الأكبر هي الفرد نفسه. ثم دائرة سلامة الفرد. ثم دائرة حرية الفرد. ثم دوائر القوانين، والعمل، والترفيه، والقيم الأخلاقية. ويقدر كل شخص على أن يغير الدوائر حسب أهميتها بالنسبة له (بما في ذلك دائرة الروحانيات، وصلته بالله).

لكن، كما قال صحفي "واشنطن بوست"، العقلانية الشرقية تختلف كثيرا عن العقلانية الغربية، وربما تتناقض معها. بصورة عامة، يميل الشرقي أقل نحو "كوقنيشنيزم" (التفكير المنطقي)، وأكثر نحو "ايموشناليزم" (التفكير العاطفي)، و"انتويشنيزم" (التفكير الفطري)، و"مستسيزم" (الايمان بالغيب)، و"ميثولوجيزم" (الإيمان بالخرافات).

لهذا، إذا كان الشرقي (المسلم) دائرة في داخلها دوائر حسب أهميتها، تكون الدائرة الأكبر هي الإيمان بالله. وتكون الدوائر الداخلية عن السلامة، والأمن، والحرية، والقوانين، والقيم الأخلاقية، والعمل، والترفيه -- لكنها كلها داخل الدائرة الإلهية.

لهذا، في العقلانية الغربية، يحدد الفرد صلته بالله، وفي العقلانية الشرقية (الإسلام)، يحدد الله كل شيء.

عقلانية ويبر:

إذا كان الألماني كانت من قادة العقلانية النظرية، فإن زميله الألماني بعده بمائة سنة، ماكس ويبر (توفي سنة 1920) من قادة العقلانية العملية الفردية. وقسمها إلى أقسام:

أولا: العقلانية السياسية (وهدفها هو تحقيق الحرية والعدل لكل فرد).

ثانيا: العقلانية الاقتصادية (الرأسمالية، أي الحرية الاقتصادية، وهدفها هو زيادة الربح).

ثالثا: العقلانية الاجتماعية (يحدد كل فرد دوره في المجتمع، وليس العكس).

لكن، هناك سؤالين:

أولا: ماذا عن الإنسان الشرقي الذي تقل عنده الفردية والاستقلالية، وتزيد عنده العلاقات الاجتماعية والدينية؟ (الإجابة: لن تقدر الفردية، مهما طال الأمد، على هزيمة الاستسلام لقدرة مقدسة أعلى).

ثانيا: هل الإنسان الغربي نفسه عقلاني منطقي حقيقة؟ (الإجابة: لا. لأن العقلانية الغربية يبدو أنها لا تقدر على تفسير العواطف، مثل: الحزن والفرح. أو الخوف والطمأنينة. ولا على دحض عقلانية الفطرة، وعقلانية الغيب).

وعكس كانت، اعترف ويبر بالغيبيات (خاصة الدين السماوي). وقال: "يساعد الله من يساعد نفسه".

وهو قال ذلك اعتمادا على تأثير المسيحية الكالفانية. وتقول هذه: العمل أهم من التفلسف. وممارسة الخلاص أهم من البحث عنه. وعبادة الله بالعرق الذي بتصبب أهم من طقوس البخور والنواقيس. والهدف من العمل ليس فقط الربح المادي، ولكن التحرر من القلق والتوتر. ليس شراء رضاء الله بان يثرى الإنسان، ولكن طاعة الله برفع الظلم عن النفس وعن الآخرين. ليس الخلاص المادي، ولكن الخلاص الروحي.

وهكذا، جمع ويبر بين العقلانية الرأسمالية والعقلانية الدينية. رغم أنه ركز على الأولى. وكان من رواد العقلانية كأساس للحضارة الحديثة:

أولا: تأسيس وزارات ومؤسسات لكل جانب من جوانب الحياة، منظمة ومنسقة.

ثانيا: نقل مراكز العمل إلى المكاتب، حيث البيروقراطية، بقوانين وتنظيمات ومسؤوليات.

ثالثا: تحديد الوقت حسب الساعة والدقيقة، وليس بشروق الشمس وغروبها.

رابعا: ظهر الإنسان "الحديث" المتخصص والذي يعمل في إخلاص.

خامسا: ظهرت العائلة "الحديثة" التي تنظم أهدافها، ودخلها، وصرفها.

لكن، يقول نقاد العقلانية أنها غيرت الإنسان "الحديث":

أولا: حولته إلى موظف بيروقراطي، ثم إلى "روبوت".

ثانيا: جعلته يكثر من رفاهيته (البضائع الاستهلاكية) على حساب رفاهية المجتمع.

ثالثا: هزت الارتباطات العائلية والاجتماعية.

ثالثا: إعادته إلى "القفص الحديدي".

وهذا هو نفس "القصف الحديدي" الذي كان حذر منه الألماني كانت، قبل ويبر بمائة سنة.

العقلانية الأمريكية:

من أهم الكتب التي صدرت مؤخرا عن العقلانية الأمريكية كتاب "أمريكان إنريسون" (عدم العقلانية الأمريكية). كتبته الأستاذة الجامعية سوزان جاكوبي. وسبب اسم الكتاب هو إنها تحسرت على انحسار عصر التفكير والمنطق، وعلى ظهور ثقافة المتعة، والترفيه، والأغاني الشعبية، واللامبالاة.

لكنها كتبت عن جذور العقلانية الأمريكية. وقالت أنها تأثرت بالعقلانيين الأوروبيين (مثل كانت وويبر) وبقية فلاسفة عصر التنوير. وان أساس العقلانية الأمريكية هي مناقشات ووثائق "فاوندنق فاثارز" (الآباء المؤسسون، الذي أسسوا الولايات المتحدة)، وخاصة الدستور ووثيقة حقوق الإنسان. ومن أهم خصائص العقلانية الأمريكية:

أولا: عملية وليست نظرية (لأنها أسست دولة).

ثانيا: تضع اعتبارا للدين (لا تفصل بين الدين والدولة، لكن بين الدين والحكومة).

معنى النقطة الأولى هي أن "الآباء المؤسسين" لم يكونوا فلاسفة، ولكن كانوا تجارا ومزارعين. لهذا، أسسوا دولة عقلانية منطقية فردية عملية. مثل بنجامين فرانكلين، الذي ساهم في اختراع الكهرباء، واخترع النظارة المزدوجة، وأجهزة قياس الطقس.

ومعنى النقطة الثانية هي أن العقلانية الأميركية اعتمدت على "الآباء المؤسسين". واعتمد هؤلاء على "الآباء المهاجرين" قبلهم.

مثل القس جون وينثروب (توفي سنة 1650) الذي ركز على عبارة عيسى المسيح: "أنتم نور العالم. المدينة التي بنيت فوق تل لا يمكن أن تخفى." ووضع وينثروب شعار "كريستيان جاريتي" (عمل الخير المسيحي). وشعار "سيتي آبون هيل" (مدينة على الجبل، إشارة إلى أمريكا).

هذا هو أساس الشعار الجديد الذي يرفعه الآن المحافظون واليمينيون (مثل حزب الشاي)، وهو شعار "أمريكان اكسبشناليزم" (الاستثنائية الأمريكية، أي أن أمريكا ليست مثل أي دولة أخرى).

وأخيرا: معرض الصور والفيديوهات عن العقلانية في واشنطن يدعو الزائر لان يتأمل في شلالات نياقرا، وفي فيل يجلس ثم ينهض، وفي تاريخ يوم معين، بهدف التأمل في الزمان والمكان. صحيح، أخرجت العقلانية الإنسان من "القفص الحديدي" الذي تحدث عنه فلاسفة أوروبا القدماء. لكن، ربما يسأل الزائر لمعرض العقلانية: ماذا وراء الزمان والمكان؟ ماذا عن الخطأ والصواب؟ ماذا عن الحق والباطل؟

ما هو الوعي؟ مقدمة قصيرة جدا. سوزان بلاكمور

مشكلة التعريف: هل نستعملها لنعرفها؟ شيء غريب. هل نتخلص منها لنعرفها؟ اغرب ما هو الوعي؟ ما هي الشخصية؟ ما هي الروح؟ ما هي الإرادة؟ ما هي هويتنا الحقيقية؟ الحقيقية؟ هل نحن مسيرون أن هناك قوة تحركنا. إذا كانت وراء الطبيعة تحركها، ألا تقدر على أن تحركنا؟ إذا لن تقدر الطبيعة بدونها، هل نحن نقدر؟

القرن 21: بايلوجي وسايكولوجي ونيورولوجي.

الشقة بين الداخل والخارج، المخ والعقل، موضوعي وشخصي.

الوعي: ما أرى الآن، جالس، اكتب. أنا. تجربتي لا تجربة الآخر.

الفردية. الخصوصية. قهوة نفس القهوة. نفس المكان، لكن رائحة وطعم ولون مختلف عن الآخر. جيد، ممتاز، حارة، باردة، حلوة، مرة. تسمى "كويل": غير معروفة

عين، إذن، لسان، لمس، أنف.

أشياء محسوسة. الحواس. الإحساس.

قياس المحسوسة، وقياس الحواس. لا للإحساس.

عالم نراه، وعالم لا نراه.

الأديان السماوية: الغيب والروح.

الهندوسية: المقدس في داخلنا.

البوذية: لا شيء غير الموجود لايؤمنون بالغيب وبالروح.

الوعي يساوى الروح: عقلاني وديني.

في الحالتين، لا تفسير. ليس مثل العالم الذي حولنا.

خلفية تاريخية:

رينيه ديكارت فرنسي توف

ي 1650: عالمان: المخ والعقل مختلفان المخ تمسكو في يدك. العقل غير محسوس.

قال يلتقيان في مكان خاص في المخ، كيف عرف.

بعد أربعمائة سنة، الأسترالي ديفيد شالمر سنة 1994: المشكلة السهلة (المحسوسة)، المشكلة الكبيرة (غيرها) .

اليوم: الاختلاف يميل نحو قبول العقلاني، المحسوس، المادي، ومحاولة عقلنة غير المحسوس.

لكن، تبقى المشكلة: ليس الوعي يغذيها ويقويها ويسقيها.

والتفكر في خلق السموات والأرض، والإيمان واللاوعي. لكن، الوعي بالمحسوس والوعي باللامحسوس. الذي نعرف ونقيس والذي لا نعرف. لا يوجد شيء اسمه اللاوعي. نعي، لكن لا نقدر على تفسير أو قياس. نعرف الله، لكن

الدين:الروح موجودة، نعرف أن ذكر الله بان الله يعرف الروح ونحن لا نعرفها.

ما هو الوعي؟ ديكارت قال الوعي واحد، مادي، ثابت، نراه وليام جيمس أبو الطب النفسي توفي سنة 1910. قال: مثل ماء يجري.

المخ يغير الوعي. حبوب تغير التفكير. أو عملية جراحية تزيل جزءا وتعرقل وعي معينا هلوسة، كابوس، عدم وعي، اللاوعي الطبي الكلنكي.

هل الوعي متأخر؟ بعد ثانية، بعد سنة، بعد قرن؟

كل الأبحاث حول المخ والعقل لفهم الوسيلة، المخ، وليس لفهم غير المحسوس، الوعي.

بعد فهم العقل، ربما نقدر على فهم الوعي. مائة قرن

النفس: الوعي: الضمير: الاستقامة

قيادة اللاوعي للسيارة. عندما تفكر في شيء آخر، تقود السيارة: وصلت، كيف وصلت.

هل كنت واع وأنا لم أعي أنني واعيًا. هل لم أكن واع كما أعي أنا، لكني كنت واعيا فيما لا أفهم من تفسير؟

وقفت في الضوء. لفيت يمين شمال، مسافة معقولة من السيارة أمامك. السرعة حسب الطلب. قيادة السيارة ليست عملية سهلة. معقدة جدا. نظر، سمع، قرار.

المخ كان يتابع. لكن بدون سيطرتك على المخ. بدون أن تكون أنت واعٍ.

اللاوعي يمكن أن يكون وعيا ونحن لا نعرف

لهذا، الحاسة السادسة، لكنها ليست حاسة سادسة، إنها من الأشياء غير المحسوسة. إنها اللاوعي.

وهكذا، هل العقل والمخ متصلان.

مذبحة السينما في كولورادو: صور الحزن: محسوسة: حزن محسوس: البكاء الدموع. الوسيلة محسوسة: البكاء. لكن غير المحسوس هو الحزن نفسه. ناس حزينة. وسيلة الحزن هي البكاء. لكن، ما هو الحزن؟ كيف، كم، لماذا.

التفكير أساسا ثوت.

عقلي وليس عاطفيًا.

عاطفي: بكيت ليه علشان كده وكده.

كراهية: كرهت ليه، علشان كده وكده.

شجاع: قتل نفسو ليهو: علشان كده وكده.

علم النفس يبحث كيف نفكر.

كونشياصنيس: وعي بكل ما حوله. أيضا: البوصلة الأخلاقية. تفعل الصحيح. تفعتل الخير. لكن، ممكن يكون نفعية: أنت وأنا.

أو ممكن يكون بدون وعي. إذا عاش أنا أعيش علش واترك غيرك يعيش.

كونشيانشياص (ياص: وصف): أن تكون قويا، أن تسيطر على نفسك، ثم على حولك. أول الأخلاق أنت. واعي، فاهم، مفكر، منظم، عاقل، متوازن. الحياة فيها هدف. حكمة، واع من ناحية أخلاقية وسلوكية. السكوك الشخصي ثم السلوك الاجتماعي. كاركتار، شخصية. من أنا. مسئول، مثالي.

يمكن أن تكون من انأ، ومسئوليتي والعمل لا الفاقة.

كونشيانس: اسم: التفكير الذي يفرق بين الخطأ والصواب، إصدار حكم أخلاقي: الضمير: المساعدة، العطف، الإنسانية.

الإنجيل: المنقذ. ساماريتان. تضحية.

الأديان فيها الضمير.

الدين الضمير عند كل الناس: لكن فيها عقاب إذا لم تكن أخلاقي.

أو قصص عن أشياء حدثت، إذا اليهود لا يؤمنوا بعقاب يوم القيامة.

ربنا يعاقب.

أو إذا ما ربنا: الضمير: كيف يعمل الضمير: تجربة نيويورك تايمز.

أو بدون دين.

نفعية.

التجربة العملية أوضحت أن ضمير الإنسان يكره الراجل الكذاب.

وضمير الإنسان يكافي الرجل الثاني في التجربة.

الضمير يكافئ ويعاقب.

الضمير يؤنب ويفضل الخير. لهذا في التجربة الضمير يفضل الأحسن، ويغضب على الكذاب.

الضمير ايجابي أخلاقي.

إنسان ما عندو ضمير.

يعتقد إنها شيء فطري، أو طبيعي. ربما بسبب النفعية. إذا كلنا كذبنا.

العقل والعاطفة

العقل: السببية: الاستطراد: المنطق

أو العقل الفطري: نفسي

السببية أو العقلانية تميل نحو التطبيق للتبرير، للتفسير، للتوضيح. سببية ايجابية.

المنطق: أيضا ايجابي: الوصول إلى شئ. حقائق تقود إلى حقائق. شيء صحيح وعملي

مثل المنطق العلمي

المنطق في العلوم والمنطق في الفلسفة

في العلوم حتى في الكمبيوتر

الفلسفة في المنطق

المنطق انداكتيف نظري

ديداكتيف: أمثلة معينة

إحساس

كونشياصنيس (اسم: نيس): وعي

واعي فاهم من ناحية أخلاقية واضح

في الطب: الوعي يمكن اختباره. واعي أو غير واعي

انيتيويشنن الفطرة علم نفس

بدون سببية وبدون منطق لهذا علم نفس

كونسينشياض أوف أوبجتكور: ضمير المعارض (دائما للحروب)

كونشص (الضمير) كونشيانشياض (وصف، شيء ضميري)

كونشيانشياصنيس: اسم طريقة التصرف حسب "كونشيانص": الاستقامة، تأديب النفس، الحذر، التمعن، التعقل، التفكر، الإنجاز، العمل المفيد، المنجز. الشخصية، الفرد. الشخص المستقيم هو الذي يعمل في جد، وتمكن الثقة فيه.

مثالي، ويركاهوليك، مدمن العمل

العكس: ليس غير أخلاقي أو فاسدًا أو كسلان. ولكن هين ولين وبسيط والنجاح ليس أهم شيء، الاستقرار.

كتاب: "كومباشونيت ليبرالز اند بولايت كونسيرفاتفز" (ليبراليون عاطفيون، ومحافظون جادون)

"كونشياص": موقف، فطرة، رغبة، ميل، إرادة: الهدف التفريق بين الخطأ والصواب. الأخلاق. إحساس الأسف لخطأ، إحساس الراحة لعمل طيب. النزاهة.

كيف الوصول إلى ذلك؟ المنطق، السببية. ريسون

الدين: الضمير في كل إنسان، الخطأ والصواب، طبيعي. حقيقة طبيعية عالمية. لكن الدين غيب وروح. لكن، الواقعيون والعقلانيون يقولون إن ذلك ممكن خارج الدين. التجارب، العلم. ربما علم الوراثة. يمكن أن تعلم، شيء ثقافي. طبيعي وثقافي.

يسمونها "الصوت الداخلي" و "الضوء الداخلي

علم نفس أخلاقي. لماذا؟ موضوع نفعي. للطمأنينة.

لوحة "لا كونشيانص" من قصيدة فكتور هوغو (منتصف القرن التاسع عشر) شخص حيران، وعين عملاقة تراقبه.

"إحساس إيجابي عن مسئوليات حسب عواطف داخلية."

نفسيا: إحساس بالطمأنينة والنزاهة (عكس الكذب).

"هادئ" و "سهل" و "واضح".

فرويد: الحضارة فيها المنافسة والحسد والعدوان والنفاق. قوة مدمرة عملاقة. تبحث عن نقيض لها. "سيوبر ايقو" فوق "ايقو"، فوق المنافسات المدمرة. فوق الأنانية والنفاق. إلا، الإحساس بالذنب. لا راحة مع الإحساس بالذنب. نريد الراحة النفسية. "الخوف من الضمير". نظرية الخوف. لابد أن نخاف لنعيش.

الخوف من الله؟

الخوف من كسر رأي وضعه ضميرك.

في ساوث بورت (ولاية كونيتيكات) :أبو الحلم الأمريكي



(اقرأ: الدولة المسيحية)

(اقرأ: مانفستو القدر)

في سنة 1985، جئت إلى ساوث بورت (ولاية كونيتيكات) بالصدفة. كنت زرت جامعة "بريدج بورت"، في نفس ولاية كونيتيكات، لإجراء مقابلة صحافية مع منوت بول، لاعب كرة سلة سوداني، جاء إلى أمريكا، وبدا يشتهر على المسرح الرياضي الأميركي.

بدأت الزيارة في "نيوهافين"، في نفس الولاية أيضا. وبدل العودة بالطائرة كما ذهبت، قررت أن استأجر سيارة على الطريق البري رقم 95 جنوبا، إلى جامعة "بريدج بورت"، حيث أقابل لاعب كرة السلة. ثم جنوبا، على نفس الطريق البرى، إلى نيويورك.

في مكتبة جامعة "بريدج بورت"، كنت ابحث عن معلومات عن الجامعة وعن الولاية. وعرفت أن من بين مدن الولاية مدينة "ساوث بورت". وأن من أشهر الذين سكنوا فيها الصحافي جيمس أدامز، أول من كتب عبارة "أمريكان دريم" (الحلم الأمريكي)، في سنة 1931.

وعرفت أن المدينة تقع على الطريق البري رقم 95 الذي سأسلكه إلى نيويورك. وقررت أن أزورها لأني كنت أجمع معلومات عن "الحلم الأمريكي"، ومعناه، وتاريخه، ومن أول من استعمله.

لكن لسوء الحظ، عندما وصلت إلى "ساوث بورت"، لم أعثر على متحف الصحفي. حسب الخريطة التي كنت أحملها، صار المنزل متحفا، وهو في شارع "ويلو". لكن، حدث سوء فهم. وفهمت أنه منزل خاص، وليس متحفا، وأحسست بحرج، وتركت المكان.

في ذلك الوقت، كادت الشمس تغيب، وأنا لا أحب قيادة السيارة ليلا. خاصة على طريق برى ضخم مثل رقم 95. وخاصة في منطقة نيويورك المزدحمة جدا. ولهذا، قررت ألا ابحث عن المتحف، وواصلت إلى نيويورك.

خلفية تاريخية:

في سنة 1878، ولد جيمس أدامز، أول من استعمل عبارة "الحلم الأمريكي"، في نيويورك. ثم انتقل إلى جامعة ييل (في نيوهافين، في ولاية كونتيكات) حيث نال شهادة في إدارة الأعمال سنة 1900.

ثم عاد إلى نيويورك، حيث عمل في "وول ستريت" (شارع المال). وخلال عشرين سنة تقريبا، صار شبه مليونير.

ثم تحول من جمع المال إلى الحصول على شهادة في العلوم السياسية. ومرة أخرى، ترك نيويورك وعاد إلى ولايته، ولاية كونيتيكات، حيث التحق بجامعة ييل. فيما بعد، زادت اهتماماته السياسية، وكتاباته الصحافية. وفي سنة 1914، صار مستشارا للرئيس وودرو ويلسون، بعد أن تبرع لحملته الانتخابية تبرعات سخية.

كلفه الرئيس ويلسون أن يجهز لمؤتمر باريس للسلام (الذي عقد بعد نهاية الحرب العالمية الثانية). وإذا اشتهر ويلسون بأنه صاحب "النقاط الاثنتي عشرة" (عن حقوق الإنسان، وتقرير المصير للشعوب المستعمرة، ونشر الحرية والديمقراطية في العالم)، فإن الصحفي أدامز كان يده اليمني في هذا الموضوع.

***

الحلم الأمريكي:

بعد مؤتمر باريس، تفرغ للكتابة الصحفية عن السياسة الأمريكية، الداخلية والخارجية. وفي سنة 1931، كتب كتاب "أيبيك أوف أميركا" (عصر أمريكا).

وكتب في الكتاب:

"الحلم الأمريكي هو حلم بلد فيه الحياة أحسن، والدراسة فضل، والعمل أكثر. الحلم الأمريكي لا يقدره الأغنياء، ولا يفهمه الفقراء. الحلم الأمريكي ليس حلم الحصول على سيارة، أو وظيفة، أو منزل. وليس حلما اقتصاديا. انه حلم اجتماعي. انه نظام اجتماعي، يقدر فيه كل أمريكي على تحقيق ما يريد. رغم اختلاف الخلفيات، والألوان، والمستويات الاجتماعية. وأخيرا، الحلم الأمريكي هو أن يوافق كل أمريكي عليه."

وكتب في الكتاب عن عبارة "مدينة فوق الجبل." هذه هي العبارة التي كان استعملها جون وينثروب، من أوائل البريطانيين الذين هاجروا إلى الدنيا الجديدة. في سنة 1630، عندما وصلت "أرابيلا"، سفينته، سفينة الحجاج الأوائل، إلى ولاية ماساجوستس الحالية. خطب فيهم خطبة دينية. واستشهد بآيات من الإنجيل. وفيها دعا عيسى المسيح الحواريين لتأسيس "مدينة فوق الجبل"، إشارة إلى مدينة مثالية تعيش حسب تعاليم المسيح. وفي خطبته، دعا وينثروب الحجاج، والمهاجرين بعدهم، للعمل لتكون الدنيا الجديدة "مدينة فوق الجبل."

وحسب كتاب الصحفي أدامز، "مدينة فوق الجبل" هي أساس "الحلم الأمريكي."

في سنة 1961، بعد ثلاثين سنة من استعمال الصحفي أدامز لعبارة "الحلم الأمريكي"، استعمل الرئيس كنيدي العبارتين في خطاب تنصيبه. وفي سنة 1982، بعد ثلاثين سنة تقريبا أخرى، استعمل العبارتين الرئيس ريقان في خطاب تنصيبه.

وهذا يدل على شيئين:

أولا، رغم الاختلافات بين الحزب الديمقراطي والحزب الجمهوري، لا يتفقان على شيء مثل اتفاقهم على هذا الإلهام الديني.

ثانيا، رغم كل ما يقال عن العلمانية والعقلانية، وفصل الدين عن الدولة في أمريكا، يظل الإيمان بالله هو الأساس.

"الحلم الأسود":

في سنة 1964، بعد ثلاثين سنة تقريبا من كتاب الصحفي أدامز، وقف مارتن لوثر كينق، القس الأسود وقائد حركة الحقوق المدنية، في ميدان "ناشونال المول"، في قلب واشنطن، بالقرب من البيت الأبيض والكونقرس، وعلى أعتاب تمثال الرئيس لنكون (محرر العبيد)، وصاح:

"عندي حلم اليوم. حلمي هو أن يأتي يوم يجلس فيه، على الهضاب الحمراء في ولاية جورجيا، أولاد الرقيق السابقين، وأولاد تجار الرقيق السابقين. يجلسون معا حول مائدة الأخوة والمساواة."

طبعا، لأكثر من مائتي سنة، لم ينطبق تحقيق الحلم الأمريكي على السود الذين كانوا رقيقا، وحتى بعد أن عتقهم الرئيس إبراهام لنكولن (سنة 1863)، صاروا يعانون من التفرقة العنصرية.

وقبل خطاب كينق بعشرين سنة تقريبا، نشرت رواية "الحلم الأسود". كتبتها أديبة سوداء في سنة 1945، وتتلخص في أن فتاة سوداء ولدت وتربت في حي فقير للسود في شيكاقو. لكنها، بسبب طموحها وتصميمها واجتهادها، نجحت في الحياة، وحققت "الحلم الأسود."

اقتبست الكاتبة اسم الرواية من قصيدة "ريزن اندر ذا صن" (زبيب تحت الشمس) للشاعر الأمريكي الأسود لانقستون هيوز. قال فيها: "ماذا يحدث لحلم لم يتحق؟ هل يجف مثلما يجف الزبيب تحت الشمس؟ أو هل يتعفن مثل لحم قديم؟ أو هل يتحول إلى عسل سائل؟ أو هل ينفجر انفجارا هائلا؟"

أمريكان دريم:

وهكذا، مهما اختلفت تفسيرات الحلم الأمريكي، أصبح جزءا من الثقافة الأمريكية. هناك كرتون "الحلم الأمريكي". و "أمريكان دريم" (اسم الشهرة للملاكم دستي رودز). وفيلم "أمريكان دريم". والمسلسل التلفزيوني "أمريكان دريم". ويكتب الأمريكيون عن "الحلم الأمريكي" رسالات ماجستير ودكتوراه، ويدرسونه في المدارس والجامعات.

فسره المسلسل التلفزيوني "في ظلال الحلم الأمريكي" بأنه: "حياة ناجحة وسعيدة. تعتبر وفرة المال ركنا أساسيا فيها. ليس حبا في المال، ولكن لأن المال يحمي من الخوف من الإفلاس والتشنيع."

وقال المسلسل أن للحلم الأمريكي ثلاثة أعمدة:

أولا، الحرية.

ثانيا، المساواة.

ثالثا، المال.

ولهذا، يقول الأمريكيون أن الشخص إما "يعيش" أو "يريد أن يعيش" الحلم الأميركي. ويقصدون أنه مجموعة من العوامل، وليس عاملا واحدا (ليس المال وحده).

لكن، يعتبر تمثال الحرية (عند مدخل ميناء نيويورك) رمزا للحلم الأمريكي. يعني هذا أن الحلم الأمريكي هو عن الحرية أكثر منه عن الثروة.

انتقادات للحلم الأمريكي:

أولا، يركز الحلم الأمريكي على حياة استهلاكية، يقضي فيها الناس كل عمرهم وهم يشترون، ويشترون، ويشترون.

صار التلفون الثابت (لاند لاين) موضة قديمة. رموه، واشتروا المنقول (بورتابل). ثم صار هذا موضة قديمة. رموه، واشتروا الجوال (موبايل). ثم صار هذا موضة قديمة. رموه، واشتروا تلفون الكاميرا الرقمية (ديجيتال). ثم صار هذا موضة قديمة. رموه، واشتروا التلفون المسجل (أي بود). ثم صار هذا موضة قديمة. رموه، واشتروا التلفون الذكي (آى فون، وسامسونق) الذي فيه كاميرا، ومسجل، وفيديو. وهكذا، لا حدود لتطور التكتولوجيا.

ثانيا، يركز الحلم الأمريكي على أن المال هو أساس السعادة. مثلما قال بول غيتي، بليونير من القرن الماضي: "إذا تقدر على أن تعد فلوسك، لست بليونيرا." واختلط المال بالشهرة، ويظهر ذلك في أماكن مثل هوليوود (عاصمة السينما والتلفزيون). وكما قالت مارلين مونرو، الممثلة الشقراء الشهيرة: "في هوليوود، يشترون القبلة بألف دولار، ويشترون العقل بربع دولار." (ماتت منتحرة).

ثالثا، يركز الحلم الأمريكي على الفردية، بسبب المنافسة بدون وضع اعتبار للعوامل الإنسانية والعاطفية. وكتب غلبيرت جسترتون، فيلسوف ساخر في أوائل القرن الماضي: "هناك فرق بين الخصوصية والفردية. الخصوصية تحمي حياة الإنسان الخاصة. والفردية تمنعه من الانقياد للآخرين، وتجعله مستقلا في رأيه. لكن، بمرور الزمن، تحولت الخصوصية إلى فردية جافة، ولا طعم لها. أصبحت عقيدة، مثل الشيوعية والنازية. خلطت الفردية بين مصلحة النفس والنفس. مصلحة النفس مادة، لكن النفس عزة."

الدولار والحلم:

لكن، رغم انتقادات مادية الحلم الأمريكي، وتركيزه على الدولار، يظل الحلم الأمريكي يركز على الدولار. ويقول المثل الأمريكي: "يوم جديد، دولار جديد."

لكن، تقول فلسفة أخرى أن الهدف ليس الدولار. ولكن العمل الجاد والمخلص لكسب الدولار. ولهذا، صار التعليم والبحث والعلوم طرقا لكسب الدولار. وكلما زاد تعليم الشخص، كلما زاد راتبه، وزادت فرص تحقيقه للحلم الأمريكي.

من وقت لآخر، تنشر وزارة العمل الأمريكية إحصائيات عن رواتب الأمريكيين (مقياس تحقيق الحلم الأمريكي؟)

وأوضحت إحصائية في سنة 2008، أن متوسط دخل الأمريكي هو أربعة آلاف دولار في الشهر. ومتوسط دخل عائلة يعمل فيها الزوج والزوجة ستة آلاف دولار في الشهر. ومتوسط دخل العائلة "الفقيرة" (حسب المقاييس الأمريكية) ألف ونصف ألف دولار في الشهر (يشكل "الفقراء" نسبة عشرين في المائة من الشعب الأمريكي).

في الجانب الآخر، هناك نسبة واحد في المائة من الأميركيين يزيد دخلهم السنوي عن نصف مليون دولار.

حسب إحصائية وزارة العمل، يعتمد الدخل على الشهادة. ومتوسط الراتب الشهري بالدولار: للحاصل على شهادة المدرسة الثانوية ألفان، وللحاصل على بكالريوس ثلاثة آلاف ونصف الألف، وللحاصل على دكتوراه ستة آلاف.

آرثر ميلر:

كتب أرثر ميلر، في رواية "موت بائع" (صدرت سنة 1949) عن تناقضات "الحلم الأمريكي":

كان ويلي لومان، بطل الرواية، بائعا متجولا. وكان يحلم بالثروة والشهرة. لكنه فشل في تحقيق ذلك. وأصيب بإحباط ورغبة في الانتحار. وصار يلح على ابنه "هابي" (معناه السعادة) ليكبر ويجمع أكبر كمية من الملال يقدر على جمعها.

لكن، كررت له زوجته "لندا" أن السعادة ليست كثرة المال، وأن عائلته هي الثروة الحقيقية. وقالت له: "انظر حولك، وافتخر بعائلتك." وقال له ابنه هابي: "بحق السماء اترك حلمك الفارغ."

لكن، حسب الرواية، لم يقتنع ويلي. وخطط لينتحر بهدف أن يحقق وهو ميت ما لم يقدر على أن يحقق وهو حى. توقع أن يثني عليه الناس عندما يموت، ويتجمعون حول جنازته، وترث عائلته التأمين على حياته.

انتحر، لكن جاء إلى جنازته خمسة أشخاص فقط. ولم يثني عليه الواعظ الديني، بل قال: "كان ويلي يحلم حلما خطأ." وسألته أرملته وهو راقد أمامها ميتا: "لماذا فعلت هذا؟"، لكنها كانت تعرف أنه ميت ولن يجيب على سؤالها.

تحولت رواية ميلر، بعد صدورها بسنتين، إلى فيلم سينمائي بنفس الاسم. لا تنتقد الرواية الحلم الأمريكي. لكنها تنتقد تركيزه على الثروة، وإهماله للعلاقات العائلية والإنسانية.

وفي سنة 2007، ظهرت أغنية اسمها "الحلم الأميركي" تقول: "لو مت غنيا من سيرثني؟ لو مت فقيرا، من سيدفنني؟"

في مصنع العملة (واشنطن) : الدولار



(اقرأ: رواتب وثروات)

(اقرأ: رأسماليون أوائل)

(اقرأ: أبو الرأسمالية)

بعد عشرة سنوات في واشنطن، وفي سنة 1990، زرت مصنع العملة (تابع لوزارة الخزانة)، رغم أنه على مسافة ثلاثة شوارع فقط من مبنى الصحافة الوطني الذي فيه مكتبي. كنت أريد كتابة تقرير عن انخفاض قيمة الدولار، وشعرت أنني لا أعرف كثيرا عن الدولار، رغم أني أحمله في جيبي، وأتعامل به.

وكان يوما ربيعيا جميلا، مشيت فيه من مبنى الصحافة الوطني إلى مصنع العملة. وكان موسم إجازات الربيع، حيث ينهمر السواح والطلاب على واشنطن.

اسمه "بيرو أوف انقريفنق أند برنتنق" (مكتب الحفر والطبع). يحفر العملات المعدنية، وهي: سنت (في الدولار مائة سنت)، نيكل (خمسة سنتات)، دايم (عشرة سنتات)،وكوارتر (خمسة وعشرون

سنتا). ويطبع الدولار الورقي، وفئاته: واحد خمسة عشرة، عشرون، خمسون، مائة.

وبالإضافة إلى العملات، يطبع المصنع جوازات السفر، والسندات الحكومية، والأرصدة الائتمانية، وشيكات الضمان الاجتماعي، وشيكات المساعدات الغذائية، والطوابع بمختلف فئاتها.

عندما دخلت المبنى، أول ما لاحظت ضخامته. وأيضا، الحراسة المشددة، بالإضافة إلى جدران من الصلب للوقاية من اللصوص، ومن الحرائق.

استغرقت الجولة داخل المطبعة نفسها قرابة ساعة. وخلالها شاهدت أوراقا لامعة ملفوفة، وضعت في بداية حزام المطبعة، ثم مرت بمراحل طباعة كثيرة ومعقدة. وكانت آخر مرحلة هي قص الورقة العملاقة لتتحول إلى دولارات، مثل التي أضعها في جيبي.

ومن فترة الأسئلة والأجوبة بين السواح ومرشد الجولة، الآتي:

س: كيف تحاربون التزوير؟

ج: توجد "علامات سرية" لا تشاهدها العين المجردة. منها: صورة بومة. وصورة عنكبوت. ونسيج احمر دقيق جدا مزروع داخل كل ورقة.

س: ما هي أعلى فئة؟

ج: مائة دولار، وتسمى "بنجامين"، إشارة إلى بنجامين فرانكلين (من "الآباء المؤسسين"، ومخترع مطبعة العملة).

س: هل كانت هناك فئات غير الحالية؟

ج: كانت هناك فئات خمسمائة، وألف، وخمسة آلاف، وعشرة آلاف. لكنها الغيت سنة 1970.

بعد فترة الأسئلة والأجوبة، تجمع سواح في مكان المرطبات، وتبادلوا نكات الدولار.

منها: قال واحد: هل سمعتم بمسابقة المليون دولار في تلفزيون زمبابوي؟ الإجابة: يعطوك دولار كل سنة لمليون سنة.

خلفية تاريخية:

يظل الدولار، رغم تأرجح قيمته، رمز الرأسمالية الأمريكية (والعالمية).

ظهر الرمز قبل الفيلسوف. ظهر الدولار في أوروبا قبل أكثر من مائتي سنة من آدم سميث، أبو الرأسمالية، ومؤلف كتاب "ويلث أوف نيشن" (ثروة أمه) والذي توفي سنة 1790.

أصل كلمة "دولار" هو أنه في سنة 1520 بنى الألمان مصنعا بدائيا لصناعة عملة بدائية في مدينة "سنت جوشيم" حيث اكتشفوا الفضة لأول مرة، وحفروا منجما لها.

كانت المدينة تسمى أيضا "جوشيمثول". لهذا، سمو العملة "جوشيمثولار". ثم اختصروا اسم العملة إلى "ثولار". وانتقل الاسم، في أشكال مختلفة، إلى الدول المجاورة، وصار "دالدر" في هولندا، و "دالر" في السويد والنرويج والدنمارك، و"تولار" في يوغسلافيا السابقة.

وأشار وليام شكسبير، الروائي البريطاني (توفى سنة 1616) إلى اسم "دولار" في مسرحية "ماكبيث". وصار البريطانيون يطلقون اسم "دولار" على عملتهم، "كراون" (خمسة شلنات). وعندما اكتشف كريستوفر كولومبس الدنيا الجديدة، ووصل سنة 1495 إلى جزر البحر الكاريبي (اعتقد أنها جزر تابعة للهند، وسماها جزر الهند الغربية)، كان يحمل أموالا من عملة "دولار". وفيما بعد سماه الأمريكيون "دولار اسباني". ثم سموه "دولار."

وسماه الهنود الحمر "باك"، إشارة إلى عملة كانوا يستعملونها. ويستعمل بعض الأمريكيين الاسم حتى اليوم عندما يتحدثون عن الدولار. كما يستعملون وصف "غرين باك" (إشارة إلى اللون الأخضر الذي يغلب عليه).

ويسميه بعض اليهود "شماكو"، إشارة إلى كلمة عبرية قديمة. ويسميه سكان هاواي الأصليين "تالا" لأنهم لا يقدرون على نطق حرفي "دال" و "راء".

وتستعمل دول الدولار الأمريكي كعملة رسمية (مثل دول في البحر الكاريبي بسبب تدفق السواح الأمريكيين). وتستعمل دول دولارا غير الدولار الأمريكي (مثل كندا). وتربط دول عملتها بالدولار الأمريكي (مثل الأرجنتين). وتعترف دول باستعمال الدولار بالإضافة إلى عملتها (مثل لبنان).

تبلغ جملة الدولارات التي يتبادلها الناس في كل العالم قرابة ترليون دولار، ثلثها فقط داخل أميركا. ويزيد العدد كل سنة، وتضاعف خلال العشر سنوات الماضية.

دولار جورج:

أشهر فئة دولار هي "دولار جورج" (دولار واحد) لأن عليه صورة الرئيس جورج واشنطن. ولأنه أول الفئات. قبل استقلال أمريكا، كانت على الدولار صورة كرستوفر كولمبس. ولفترة من الزمن، كانت هناك صورة مارثا، زوجة جورج واشنطن، إلى جانبه. ثم ألغيت. وكانت عبارة "آن قود وي ترست" (نثق في الله) في أعلى الدولار باللغة اللاتينية. ثم ترجمت، قبل مائة سنة، إلى الإنجليزية.

وفي الجانب الآخر من الدولار، يرمز الهرم غير المكتمل إلى أن الولايات المتحدة في طريقها نحو الكمال. ويرمز ظل الهرم إلى توسعات لنشر الحضارة (نحو ولايات الغرب).

وترمز الشمس إلى ميلاد شعب جديد. ويرمز النسر الأصلع إلى قوة الولايات المتحدة. ويرمز الدرع إلى القدرة على الدفاع عن النفس. وتقول العبارة اللاتينية فوق النسر: "أي بلوريبوس أونوم" (من كثير إلى واحد). وتعنى اتفاق الجميع على نظام حكم واحد.

ويحمل النسر أغصان زيتون (رمز السلام) بيمينه. وسهام (رمز الاستعداد للحرب) بشماله. وينظر النسر دائما نحو اليمين.

ويرمز الخط الأزرق فوق الدرع إلى دور الشعب الأمريكي (ممثلا في الكونقرس)، لمنع انفراد رئيس الجمهورية بالحكم.

وترمز الثلاث عشرة نجمة إلى عدد الولايات الأميركية يوم الاستقلال.

ويتكرر الرقم 13 كثيرا: عدد النجوم فوق النسر، عدد عتبات الهرم، عدد الخطوط على الدرع، عدد أغصان الزيتون، عدد السهام، عدد التفاحات.

مؤامرة؟:

لكن، يستمر جدل حول رمز العين في أعلى الهرم:

في جانب، قال بعض الناس إنها ترمز إلى أن الولايات المتحدة تطل على العالم، وتريد أن تستفيد منه مثلما تفيده. وفي الجانب الآخر، قال آخرون أن العين ترمز إلى خطة سرية للسيطرة على العالم. أو إلى الماسونية (أو إلى العولمة).

ويستمر جدل أيضا حول عبارتين باللغة اللاتينية فوق الهرم وتحته: تقول الأولى: "بتوفيق من الله"، وتقول الثانية: "نظام جديد للأجيال القادمة":

في جانب، ربط ليبراليون بين عبارة "نظام جديد" ونظرية "النظام الدولي الجديد" (تغيير خريطة العالم بعد سقوط الشيوعية)، والتي بدأها الرئيس بوش الأب.

وفي الجانب الآخر، ربط محافظون بين عبارة "بتوفيق من الله" وفلسفة "القدرة الإلهية" التي تكررت كثيرا في التاريخ السياسي الأميركي. وقالوا إن قدر أميركا قدر مسيحي (وليس علمانيا، أو عقلانيا، أو وضعيا). بل، قال هؤلاء أن العين، في أعلى الهرم، ليست إلا "عين الله"، ترعي الولايات المتحدة.

ثقافة الدولار:

لم يصير الدولار رمز الرأسمالية الأمريكية فقط، لكنه صار، أيضا، رمز الثقافة الأمريكية.

في سنة 1964، مثل الممثل كلنت أيستوود في فيلم "من أجل حفنة من الدولارات". وبعد سنتين، مثل في فيلم "دولارات أكثر." وفي سنة 2004، مثل في فيلم "طفل المليون دولار".

وغنى "ففتي سنتز"، مغني الهيب هوب الأسود، أغنية "قوة الدولار"، وقال فيها: "لا يجب أن تحترم الزنجي، ولكن احترم دولاراته. يقتل الزنجي بألف دولار. أنا أعرف ذلك. أعرف قوة الدولار."

وأعلن جيمس روبرتسون، قاضي محكمة فدرالية في واشنطن العاصمة، أن ميلاني برونسون، رئيسة اتحاد العميان الأميركي، على حق لأنها تريد من وزارة الخزانة (التي تطبع الدولار) وضع علامات على كل ورقة لتسهل على العميان معرفة قيمتها. فرحت ميلاني بقرار القاضي، وقالت: "صار الدولار عملة عالمية. بحق السماء، انصفوا عميان أمريكا وعميان العالم."

مستقبل الدولار:

تقل تدريجيا قيمة الدولار لسببين:

أولا، بسبب المنافسة مع اليورو والين وغيرهما من العملات العالمية الرئيسية.

ثانيا، بسبب استمرار ارتفاع تكاليف المعيشة في كل العالم.

في سنة 1825، شقت الحكومة الأمريكية قناة "إيري"لربط البحيرات الخمس الكبرى بالمحيط الأطلسي. وكلف ذلك سبعة ملايين دولار (كان سيكلف مائة بليون بدولارات اليوم).

وفي سنة 1865، كلفت الحرب الأهلية الأمريكية سبعة بلايين دولار (كانت ستكلف عشرين ترليون بدولارات اليوم).

وفي سنة 1968، بدا برنامج "أبولو" لإرسال إنسان إلى القمر، وكلف عشرين بليون دولار (كان سيكلف أكثر من مائتي بليون بدولارات اليوم).

وفي سنة 1972، كان سعر جالون بنزين السيارات ثلث دولار (كان سيكلف ثلاثين بدولارات اليوم).

وأخيرا، يواجه الدولار، رمز الرأسمالية الأمريكية، ثلاثة أخطار: أولا، منافسة العملات الأجنبية. ثانيا، زيادة تكاليف المعيشة. ثالثا، شراهة مجتمع الاستهلاك الأمريكي.

لكن، قال ملتون فريدمان، فيلسوف الرأسماليين المعاصرين، أن كل ذلك ليس مهما. وسأل في سنة 2006، قبل وفاته بفترة قليلة في مقابلة تلفزيونية: "لماذا نحن قلقون على مستقبل الدولار، وثلثا الدولارات في العالم خارج الولايات المتحدة؟ ألا يعني هذا انتصار الدولار؟"

وأخيرا:

في سنة 1967، تخرجت من جامعة الخرطوم، وعملت في صحيفة "الصحافة" متفرغا في القسم الخارجي (كنت متعاونا خلال سنوات الجامعة). وكان الجنيه السوداني يساوى ثلاثة دولارات.

وفي سنة 1976، عدت إلى السودان لقضاء سنتين بعد نهاية دراستي في جامعة إنديانا الأمريكية. وكان العكس: الدولار يساوى ثلاثة جنيهات.

وفي سنة 1979، عدت من السودان من السعودية، حيث كنت صحفيا مع صحيفة "المدينة". وكان الدولار يساوى عشرة جنيهات.

وفي سنة 1985، عدت إلى السودان من عملي الحالي في واشنطن. وكان الدولار يساوي عشرين جنيها.

وفي سنة 1992، عدت إلى السودان، وكان الدولار يساوى عشرة دينارات. (حل الدينار محل الجنيه. وصار يساوى عشرة جنيهات. يعنى هذا أن الدولار صار يساوى مائة جنيه "قديم").

وفي سنة 2010، عدت إلى السودان، وكان الدولار يساوي خمسة جنيهات "جديدة." (حل الجنيه "الجديد" محل الدينار، وصار يساوى مائة دينار. ولان الدينار كان يساوى عشرة جنيهات "قديمة"، صار الجنيه "الجديد" يساوى ألف "جنيه قديم".

يعنى هذا أن الجنية السوداني، خلال أربعين سنة تقريبا، بعد أن كان يساوي ثلاثة دولارات، صار يساوى واحد في المائة من الدولار.

في ديزني (ولاية فلوريدا) : الفار الذي غزا العالم



جئت إلى هنا، إلى "ديزني ويرلد" (عالم ديزني) قرب أورلاندو (ولاية فلوريدا) أول مرة سنة 1973 (كانت افتتحت سنة 1971). كنت طالب دراسات عليا في جامعة أنديانا (بلومنقتون، ولاية أنديانا). وكنت بدأت ادرس حياة الأمريكيين. وانضممت إلى جمعية تعرف الطلاب الأجانب بكنائس منتشرة في كل أنحاء الولايات المتحدة. كل عيد كرسماس، ترتب كل واحدة من هذه الكنائس لاستقبال عدد من الطلاب الأجانب.

لأسبوع تقريبا، يسكن كل طالب مع عائلة عضو في الكنيسة، وتنظم العائلة، بالإضافة إلى تعريف الطالب بالمسيحية، والصلاة في الكنائس، برنامجا لزيارة معالم المدينة التي فيها الكنيسة.

***

كل سنة، لأربع سنوات، اشتركت في البرنامج: مرة، سكنت مع عائلة في ماديسون (ولاية ويسكونسن). ومرة مع عائلة في بلومنقتون (ولاية منيسوتا) ومرة مع عائلة في سبرنقفيلد (ولاية ميسوري). وهذه المرة، سنة 1973، مع عائلة في أورلاندو (ولاية فلوريدا).

ولا تذكر أورلاندو هذه إلا وتذكر "ديزني ويرلد" (عالم ديزني، أكبر منتزه ترفيهي في العالم) القريب منها، والتي افتتحت سنة 1971. وفي عطلة نهاية الأسبوع، رتبت العائلة زيارة لي، مع ولدها وبنتها.

كانت البنت جميلة شقراء، لها شعر ذهبي، وعينان زرقاوتان، وخدان ورديان. أثارتني ربما أكثر مما اثارتني "ديزني".

قبل ذلك بسنة، في سنة 1972، زرت ديزني الأولى، "ديزني لاند" (ارض ديزني) قرب لوس انجلوس (ولاية كليفورنيا) التي كانت افتتحت سنة 1955. كنت أزور الولايات المتحدة (وأنا مسؤول عن قسم الأخبار الخارجية في صحيفة "الصحافة" السودانية) مع صحفيين من دول كثيرة، حسب برنامج تبادل ثقافي سنوي لوزارة الخارجية الأمريكية. وقضيت أياما في لوس أنجلوس، زرت فيها هوليوود، عاصمة السينما، وماليبو، بلاج نجوم ونجمات السينما، و "ديزني لاند."

عندما زرت الجديدة، عرفت الفرق الهائل بين الجديدة العملاقة والقديمة الصغيرة.

لم أعد إلى القديمة، لكنى عدت إلى الجديدة مرات ومرات. خاصة في زيارات عائلية مع الزوجة والأولاد. وأيضا مع أهل زوجتي. يعيشون في هوليوود، ضاحية من ضواحي ميامي (ولاية فلوريدا)، وهي ليست بعيدة.

عشرون سنة:

ولعشرين سنة تقريبا، كنا نأتي إلى هنا ربما كل سنتين. وفي الوقت الحاضر، تمتلئ صناديق (لا ألبومات) الصور العائلية بعشرات الصور من "ديزني ويرلد". وتسجل مرور السنوات والأولاد يكبرون (وأنا أكبر معهم)،

توجد صورة بنتي الكبرى، وكان عمرها سنتين تقريبا، ونحن في جناح المغرب، وفتاة مغربية بلباس مغربي اقتربت منها، وغنت لها أغنية مغربية. لكن، فجأة، انفجرت بنتي في بكاء بصوت عال، وحيرت المغربية، وحيرتنا.

وهناك صورة ابني، وكان عمره أربع سنوات تقريبا، وهو يصافح ميكي ماوس.

وهناك صورة والد زوجتي وهو يلبس قبعة القراصنة، اشتراها بعد زيارة قسم "قراصنة البحر الكاريبي".

وهناك صورتي في قسم "عالم صغير". في زورق في نهر صناعي صغير، يجوب عالما مصغرا، فيه أهرامات مصر، وتاج محل الهند، وبرج باريس، وبرلمان لندن، وسور الصين العظيم. وأثناء الجولة النهرية، تكرر المكرفونات أغنية "إتز سمول ويرلد أفتر أول" (إنه عالم صغير، على أي حال).

أغنيتي المفضلة لأنها ذات معنى كبير لصبي القرية، حافي القدمين، والذي تعلم، وطاف حول العالم، وهاهو يعيش في أمريكا مع زوجة وأولاد وبنات.

وأغنيتي المفضلة لأنها تصور ملامح أمريكية بهرتني منذ أول مرة، ولا تزال: أولا: المرح. ثانيا: التفاؤل. ثالثا: الفخر. رابعا: العالمية (لان أمريكا، حقيقة، أمة من المهاجرين، ودولة فيها كل الدول).

هذه هي كلمات الأغنية التي لا زلت أستمع إليها من وقت لآخر، بعد ثلاثين سنة تقريبا. واردد كلماتها، وابتسم، وأحرك رأسي ويدي، وكأني في الزورق الصغير في النهر الصناعي الصغير، هناك في "ديزني ويرلد":

"عالم الضحك، عالم الدموع. عالم الأمل، عالم الخوف. تجمعنا أشياء كثيرة. وتذكرنا انه عالم صغير، على أي حال. يجمعنا قمر واحد، وشمس واحدة. وترمز الابتسامة إلى صداقة كل الشعوب. رغم أن الجبال تفرقنا، والمحيطات تفصلنا، انه عالم صغير، على أي حال."

خلفية تاريخية:

الذي يراجع موقع "أمازون" للكتب، يجد انه قد صدر مائة كتاب تقريبا عن الرئيس جون كنيدي، وخمسون كتابا تقريبا عن الرئيس رونالد ريقان. هذان ربما أشهر رئيسين أمريكيين خلال النصف الثاني من القرن العشرين. لكن، خلال نفس الفترة، صدر أكثر من ثلاثمائة كتاب عن "ميكي ماوس". رغم انه اصغر منهما بعشرين سنة تقريبا (ولد سنة 1928).

صدرت كتب مثل: "ميكى ماوس في الهند" و "ميكى ماوس ومينى ماوس (صديقته)" و"قصص ميكي ماوس لتنويم الأطفال"، و "ميكي ماوس على سطح القمر"، و "المهندس ميكي ماوس"، و "دكتور ميكي ماوس"، و "كيف ترسم ميكي ماوس"، وحتى "كيف تكتب كتابا عن ميكي ماوس"

ويعرض "أيباي"، موقع البيع والشراء في الانترنت، حوالي خمسمائة قطعة تذكارية عن الرئيس ريقان، وألف قطعة تذكارية عن الرئيس كنيدي، مقابل أكثر من ستين الف قطعة تذكارية عن "ميكي ماوس".

وسبب رواج قطع "ميكي ماوس" التذكارية هو أن الأميركيين، وغيرهم، يتاجرون في أي شيء تذكاري عليه صورته، مثل: ساعة، ربطة عنق، ملعقة، صحن، كاس، عقد، دبوس، تلفون، جورب، قميص، حقيبة، وملابس داخلية.

هذا بالإضافة إلى تماثيله وهو يتقمص شخصيات مختلفة، مثل: "ميكي ماوس" الطبيب، والبروفسير، والساحر، والكاوبوي، والعم سام، والشرطي، ورجل المطافئ.

وتختلف أحجام التماثيل، من حجم إنسان إلى حجم فأر.

وهناك بالونات "ميكي ماوس" التي يختلف حجمها من بالونة عادية إلى أخرى في حجم منزل، مثل التي ترفع في الهواء في موكب محلات "ماسي" في نيويورك (كل سنة في يوم عيد الشكر).

"ميكي" محور الشر:

حتى اسم "ميكي ماوس" أصبح جزءا من اللغة الانجليزية تقريبا: مرة، انتقدت وزيرة التعليم البريطانية مقررات بعض الجامعات البريطانية، وقالت أنها "مقررات ميكي ماوس". وانتقد صحافي أمريكي حرب الإرهاب التي أعلنها الرئيس جورج بوش الابن (سنة 2001)، وقال إنها "حرب ميكي ماوس".

ونال "ميكي ماوس" نصيبه من المشاحنات العقائدية العالمية:

انتقد صحافي يساري فرنسي ما أسماها سيطرة أمريكا الثقافية على العالم، وقال أن "ميكي ماوس ينتمي إلى محور الشر." واتهمه كاتب إسلامي، وقال إنه "يصور مساوئ الرأسمالية لأن قصصه تركز على البحث عن المال والشهرة. ولأنه يعامل شعوب العالم الثالث باستعلاء واستكبار." وانتقده كاتب يهودي لأنه شاهد صورة الصليب المعقوف (رمز ألمانيا الهتلرية) في واحد من أفلامه.

لكن، في نفس الوقت، تتمنى شعوب كثيرة أن تخلق شخصية مثل "ميكي ماوس"، تكون رمزا لها، وتنشر ثقافتها، وتواجه هذا التسوماني الأمريكي. خلق اليابانيون "بوكيمون". ويفكر الصينيون في واحد. وعند العرب "سمير" و "باسم"، وعندهم أيضا "ميكي ماوس".

لكن، يظل "ميكي ماوس" هو الأول.

ثقافة ميكي ماوس:

كتب جاري أبقار، مؤلف كتاب "ثقافة ميكي ماوس":

"أهم سبب لانتشار هذه الثقافة هو أن ميكي ماوس رمز للعمل الجاد، والتفاؤل، والبحث عن السعادة. هذه هي أسس الشخصية الأمريكية. وهناك سبب آخر، وهو أنه طريف."

مساء يوم 18-11-1928، قدم وولت ديزني، منتج سينمائي لأفلام صامته، "ميكي ماوس"، لأول مرة، في فيلم كارتون أبيض وأسود استغرق ست دقائق، في دار سينما "كولوني" في شارع برودواي في نيويورك.

كان ديزني أنتج أفلام كرتون أخرى، منها "الباخرة ويلي" و "الأرنب أو سيولد". لكنه فكر في شخصية فار عندما زار أستوديو قديم يملكه صديق في شارع برودواي. وشاهد فارا يبحث عن طعام. ولاحظ حذره، ولاحظ، أيضا، إصراره، وضحك لذلك.

وفي اليوم التالي لعرض أول أفلام "ميكي ماوس"، قالت صحيفة"نيويورك تايمز": "هذا فار عبقري. يغضب، ويضحك، وييأس، ويتفاءل." (أخطأت الصحيفة في كتابه أحرف اسمه. وأصبح العدد الذي فيه الخطأ تحفة تباع وتشترى).

وبعد ثلاث سنوات، انضمت إليه صديقته "ميني".

قصيدة شكسبيرية:

بعد أفلام الكارتون، دخل "ميكي ماوس" دنيا الأغاني الأمريكية.

في سنة 1930، غنى كول بورتر: "أنت الأعلى. أنت القمة. أنت إلياذة إغريقية. أنت قصيدة شكسبيرية. أنت ميكي ماوس."

ثم دخل ميكي ماوس دنيا السينما العادية: في سنة 1932، صدر فيلم "مولود"، بطولة كاري قرانت، وكاثرين هيبورن، عملاقا بداية السينما الأميركية. عندما اعتقلهما شرطي بتهمة سرقة بنك، سألهما: "هل اشترك معكما لص ثالث؟"، أجابا: "نعم، ميكي ماوس."

ثم دخل ميكي ماوس دنيا اللوحات الفنية: في سنة 1933، طلبت المكتبة المركزية في نيويورك من توماس بنتون، رسام مشهور في ذلك الوقت، رسم لوحة عملاقة تعلق عند مدخلها، وفاجأ المكتبة وغيرها، ورسم "ميكي ماوس".

بعد ذلك بسنتين، أقيم أول معرض عن لوحات "ميكي ماوس"، وبقية شخصيات وولت ديزني، في مركز شياقو للفنون. ثم تجول المعرض في مدن أميركية رئيسية.

لكن، واجه "ميكي ماوس" نقدا من اليمين ومن اليسار:

في جانب، غضب بعض رجال الدين المسيحي، وانتقدوا "كل هذا الاهتمام بفأر"، كما قال واحد منهم.

وفي الجانب الآخر، انتقده يساريون. وكتب واحد منهم في مجلة "بلاي بوي": "ميكي ماوس يدعو للفاشية. إذا دخلت الفاشية أمريكا، ستدخلها بأذني فأر." (ربما انتقدوه أيضا لأن ديزني كان جمهوريا محافظا).

***

هتلر و "ميكي ماوس":

لكن، انتصر الفأر على اليمين وعلى اليسار، وتغلغل في الثقافة الأمريكية.

غنى أغاني الجاز، مثل لوي أرمسترونغ. ورقص التانقو مع صديقته "ميني". وذهب إلى إفريقيا في فيلم "سر القوريللا". وذهب إلى الشرق الأوسط في فيلم "ميكي العربي"، حيث ركب جملا، ووضع عقالا، ورقص رقصا شرقيا.

وعندما بدأت الحرب العالمية الثانية، طلب الرئيس فرانكلين روزفلت من هوليوود المساهمة في الدعاية للحلفاء، وفي الهجوم على النازية والفاشية. مثل رونالد ريقان (الذي صار رئيسا فيما بعد) في أفلام انتقدت اليابانيين. واخرج ديزني أفلام كرتون، تندر فيها "ميكى ماوس"على هتلر، وعلى شاربه الكثيف، وقلد تحيته العسكرية النازية.

لكن، ربما لم يعرف ديزني أن هتلر كان يحب مشاهدة أفلام "ميكي ماوس." أكدت هذا الحب اليوميات التي كتبها غوبلز، وزير الدعاية في حكومة هتلر. كتب يوم 12-12-1937: "أرسلت إلى الفوهرر 18 فيلما من أفلام "ميكي ماوس"، هدية بمناسبة عيد الكرسماس، لأني أعرف أنه يحب مشاهدتها. ورد الفوهرر بأنه شاكر وسعيد."

رغم ذلك، منع هتلر الشعب الألماني من مشاهدة "ميكي ماوس" بسبب دوره في الأفلام الأمريكية التي هاجمت النازية. لكن بعد نهاية الحرب العالمية الثانية بهزيمة ألمانيا (سنة 1945)، رفع الحلفاء المنتصرون الحظر. وأمطروا الشعب الألماني بأفلامه (باللغة الألمانية). بل أن كلمة السر لغزو ألمانيا كانت "ميكي ماوس".

برامج تلفزيونية:

بعد نهاية الحرب، عندما عاد العسكريون الأمريكيون إلى أمريكا، وكشفوا دور "ميكي ماوس" في الحرب، صار مثل بطل وطني. وبدا الأمريكيون يشترون لأطفالهم تماثيله، خاصة تمثال "ميكي الجندي". واشتروا قمصانه، وأحذيته. وكانت تلك بداية السوق الرائجة لمنتجاته.

وعندما انتشر التلفزيون في الخمسينات، ظهر برنامج "نادي ميكي ماوس"، وتذكر جاري أبقار، مؤلف كتاب "ثقافة ميكي ماوس"، الذي كان صغيرا في ذلك الوقت: "حتى اليوم، أتذكر تفاصيل كثير من تلك المسلسلات التي أصبحت جزءا من التراث الأمريكي، والعالمي أيضا."

وبعد افتتاح مدينة "ديزني لاند" في كليفورنيا(سنة 1955)، ثم شقيقتها "ديزني ويرلد" في فلوريدا (سنة 1971)، غزاهما عشرات الملايين من الناس (أمريكيين وغير أمريكيين). وشاهدوا "ميكى ماوس"، وبقية الشخصيات الكرتونية، يتجولون في شوارع المدينتين، ويتحدثون مع الأطفال.

والتقطوا صورا معهم. وشربوا لبنا وعصير برتقال من أكواب عليها صورة "ميكي". وأكلوا فطائر ساخنة مرسومة عليها صورة "ميكي". واشتروا راديو "ميكي" ليستمعوا إلى "إذاعة ديزني".

سفينة "ميكي":

ترسو، على مسافة قريبة من "ديزني ويرلد" في فلوريدا، سفينة "ديزني" السياحية المحيطية، التي تزور جزر البحر الكاريبي، وعلى مدخنتها رسم "ميكي". وتعتبر السفينة جنة للأطفال (والكبار) لأن كل شيء فيها عن "ميكى ماوس" وبقية شخصيات "ديزني".

وضاعفت المدن والسفن والأفلام أرباح شركة وولت ديزني. فاشترت استوديوهات تلفزيونية وسينمائية، وقنوات تلفزيونية. اشترت شبكة تلفزيون "إي بي سي" العملاقة، وشبكة تلفزيون "اي اس بي ان" الرياضية. ويلغ دخل كل الأقسام 15 بليون دولار كل سنة، منها أكثر من بليوني دولار أرباحا.

ومع زيادة الربح، زاد النقد، ليس لشخصيات مثل "ميكي ماوس"، ولكن لشخصيات مثل مايكل أيزنار، رئيس مجلس الإدارة لأكثر من عشر سنوات. رغم انه قاد التوسع وزاد الربح، اتهم بالتركيز على ذلك. ولهذا ارتبط اسم "ميكي ماوس" في أذهان بعض النقاد بالطمع والجشع.

نقد كتاب قصص:

انتقد "ميكى ماوس" بعض كتاب الروايات الأمريكيين:

انتقده جيمس متشنر، وقال أن "ميكي ماوس كارثة ثقافية"، لأنه يمثل صورة "الأمريكي القمئ، العسكري، التوسعي." وانتقده كيرت فونيقات عندما انتقد سياسة الرئيس بوش الابن الخارجية والحروب التي أعلنها، ضد العراق وأفغانستان وغيرهما. وقال إنها "انقلاب عسكري على طريقة ميكي ماوس للسيطرة على العالم."

لكن، قال توماس زيلار، مؤلف كتاب "العولمة والقرن الأمريكي"، أن "ميكي ماوس" جزء من هذه العولمة. وأنه اشتهر ليس فقط لأنه فار طريف، ولكن لأنه جزء من الثقافة الأمريكية التي تنتشر في العالم. وقال أن 70 في المائة مما يشاهد العالم من أفلام سينمائية ومسلسلات تلفزيونية صدر في أمريكا.

وقالت مجلة "فارايتي" الفنية: "ميكي ماوس أحسن دعاية علنية تملكها أي دولة. وأيضا أحسن دعاية خفية."

وقال رتشارد شنكل، مؤلف كتاب "نظرية ديزني"، أن ديزني لعب دورا اكبر من أي شخص آخر في "تحقيق شيئين في وقت واحد: في جانب، عكس نفسية الشعب الأمريكي. وفي الجانب الآخر، اثر عليها." (وأثر، أيضا، على نفسيات شعوب العالم).

تحديث:

في سنة 2003، عدت مع الزوجة والأولاد إلى "ديزني ويولد" مرة أخرى.

وصادفت الزيارة احتفالات "ميكي ماوس" بعيد ميلاده الخامس والسبعين (رغم أنه لا يزال فأرا صغيرا). وبالإضافة إلى الشموع، والكيك، والبالونات، والألعاب النارية في مدينتى "ديزني لاند" و "ديزن ويرلد"، ناقش مثقفون أمريكيون تأثيره على الثقافة الأمريكية والعالمية. واشتريت كتابين عن هذا الموضوع قبل سفري إلى هناك:

مما كتبت جانيت واسكو، أستاذة في جامعة اوريقون، ومؤلفة كتاب "ديزني: صناعة الفانتازيا"، أن ميكى ماوس "رمز أمريكي في التفاؤل، والقوة، والقدرة، وتجارة الثقافة، وامبريالية الشركات."

ومما كتب هنرى غيرو، أستاذ في جامعة بنسلفانيا ستيت، ومؤلف كتاب "الفأر الذي زأر: نهاية البراءة"، أن "ميكي ماوس البرئ الساذج حول أطفال أمريكا (وربما أطفال كثير من دول العالم) إلى سلع استهلاكية. ونشر ثقافة السوق المفتوح."

حرب الإرهاب:

وبعد بداية حرب الإرهاب، واحتلال أفغانستان والعراق، ظهرت تماثيل من نوع جديد. تمثال "كوماندو ميكي ماوس" يحمل بندقية أوتوماتيكية. وتمثال "ميكي ماوس المناضل" يلف نفسه بعلم أميركي وتمثال "ميكى ماوس يؤدب صدام حسين" عن الإطاحة بالرئيس العراقي.

لكن، لم تكن الحرب ضد الإرهاب كلها خيرا على "ميكي ماوس." بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، انخفض زوار "ديزني لاند" و "ديزني ويرلد"، بسبب خوف الأمريكيين من السفر بالطائرات. ولأن الإجراءات الأمنية خفضت عدد الزوار الأجانب (خاصة العرب والمسلمين).

لكن، قالت صحيفة "لوس انجلوس تايمز" أن هناك أسبابا أخرى لانخفاض الإقبال:

أولا: ظهرت شخصيات العاب أخرى، مثل الياباني "بوكيمون"

ثانيا: ارتفعت قيمة تذكرة الدخول (تضاعفت أربع مرات عما كانت عليه عندما زرنا "ديزني ويرلد" أول مرة.

ثالثا: انتشرت ألعاب الفيديو والإنترنت، والتي أصبحت تحديا حقيقيا وبديلا قويا للسفر إلى "ديزني لاند" و "ديزني ويرلد".

وقالت نفس الصحيفة أن الجنود الأمريكيين في أفغانستان والعراق يقدمون تماثيل وقمصان "ميكي ماوس" للأطفال هناك لكسب عطفهم. وانتقدت ذلك لأنه يستغل براءة الأطفال، ويستغل شخصية "ميكي ماوس".

لكن، يظل يدافع عن "ميكى ماوس" روي ديزنى، ابن أخ وولت ديزني، مؤسس الشركة. مما قال، في ذكرى عيد ميلاد "ميكي ماوس" الخامس والسبعين:"لا تعطوا ميكي ماوس أكثر من حقه. إنه مجرد فأر فكاهي، وصغير، وودود.

قبل خمسين سنة من هذا الدفاع، قال عمه نفس هذه الجملة عندما انتقد آخرون الفأر.

في هيوستن (ولاية تكساس) : الروايات الرومانسية ، وحب الأمريكيات لها



(اقرأ: عرب في الروايات الأميركية)

(اقرأ: الشعر والشعراء)

في سنة 1994، جئت إلى هيوستن (ولاية تكساس) لإجراء مقابلات صحفية مع علماء فضاء في مركز الرئيس جونسون لأبحاث الفضاء. كانت هناك أخبار مخيفة عن مذنب يطوف الكواكب البعيدة، وفي طريقه إلى كوكب الأرض. وأنه احدث اهتزازات في الدوائر المحيطة بكوكب زحل. وكنت أجريت مقابلات صحفية مع علماء فضاء في مركز صواريخ الفضاء في بأسدينا (ولاية كاليفورنيا)، ورأيت أن أتابعها هنا.

لم أكن اعرف، ولا زلت لا أعرف، كثيرا عن الأدب الغربي (الأوروبي والأمريكي). ولم أتعود على قراءة الروايات الغربية. لهذا، كانت الروايات الرومانسية شيئا غريبا بالنسبة لي. صرت عكس ابني، الذي في ذلك الوقت، وكان في المدرسة المتوسطة، بدا يقرأ كميات هائلة من الروايات. وملا غرفته بها، وتخصص فيها في الثانوية، وكتب أطروحة ماجستير عنها في جامعة فيرجينيا (الولاية التي نسكن فيها منذ أن جئت إلى واشنطن سنة 1980). وعندما عمل في صحيفة "واشنطن بوست"، لم يعمل صحفيا، ولكن في قسم له صلة باللغة الإنجليزية، والأدب الإنجليزي.

اهتم ابني بقراءة الروايات أكثر من زوجتي، والتي ظلت تهوى الروايات منذ أن قابلتها، سنة 1975، عندما كانت طالبة في كلية التمريض في جامعة أنديانا، وكنت أنا طالب دراسات عليا في نفس الجامعة.

لهذا، ظل الاثنان ينتقداني كثيرا لعدم اهتمامي بالروايات.

ولهذا، خلال زيارتي لمدينة هيوستن، وعندما عرفت، صدفة، أن في المدينة مقر اتحاد كتاب الروايات الرومانسية، وليس بعيدا من الفندق الذي نزلت فيه، قررت أن أزوره، من باب الفضول، ولأكتب عنه لصفحة الثقافة، ولافتخر أمام زوجتي وابننا.

اتصلت بمقر الاتحاد بالتلفون، ورحبوا بي، وفي اليوم الثاني ذهبت، وقابلت بعض المسئولين عنه. واعترفت لهم باني لا أقرأ الروايات الرومانسية، ولا أعرف كثيرا عن الروايات وبقية الآداب. لكنى أريد أن اكتب تقريرا صحفيا خفيفا عن الموضوع.

وتندرت رئيسة الاتحاد، وقالت أن هناك مثلا أمريكيا يقول أن الصحفي "جاك أوف أوول، ماستر أوف ناثنق"(يعرف قليلا عن كل شيء، ولا يعرف كثيرا عن أي شئ).

وتندرت باني، مثل بقية الرجال، اعتقد أن الرجال فقط هم الذين يكتبون الروايات الرومانسية، وقالت: "أكتب عن كاتبات الروايات الرومانسية." وسألت: "هل تعرف أن ثلثي الذي يقرؤون الروايات الرومانسية نساء؟ لكن، ثلث الذين يكتبونها نساء. لكن، الزحف مستمر."

النساء والرومانسيات:

كتاب "الأخوات: الروايات الرومانسية وتوثيق علاقات القارئات" يقول بأن النساء أكثر من الرجال في الآتي:

أولا: قراءة الروايات الرومانسية.

ثانيا: تخيلها كروايات واقعية.

ثالثا: وضع أنفسهن فيها (كبطلات).

رابعا: الحديث عن الروايات مع بعضهن البعض.

خامسا: الانسجام مع كاتبات الروايات، وكأنهن "صديقات يشربن معهن قهوة الصباح، ويحكين لهن الرواية."

من يقرؤوها؟:

قال الكتاب أن هناك اعتقادات خاطئة عن قارئة الرواية الرومانسية:

أولا: "خلافا للاعتقاد بأنها سلبية، ووحيدة، وانطوائية، وتنتظر في يأس "الفارس" أو "الأمير" الذي سيتزوجها، إنها، حقيقة، نشيطة، واجتماعية، وواعية."

ثانيا: "خلافا للاعتقاد بأن لا هم لها سوى الرجال، هي، حقيقة، أكثر حرصا على علاقات قوية مع النساء."

ثالثا: "خلافا للاعتقاد بأنها غير متزوجة، الأغلبية متزوجات."

رابعا: "خلافا للاعتقاد بأنها ليبرالية، نسبة غير قليلة محافظات (عائليا، وسياسيا، واقتصاديا)."

خلفية تاريخية:

ليس جديدا، وليس خطأ، القول بان العلاقات الإنسانية بين النساء أقوى وأكثر من التي بين الرجال. وتدور أوصاف هذه العلاقات حول كلمات نسائية مثل: "أخوات" و "أمهات" و "قريبات." وهذه الكلمات، طبعا، أقوى من كلمات رجالية مثل: "زميل" و "صديق."

لكن، بسبب سيطرة الرجال على كتابة الروايات، لم تظهر الروايات الرومانسية إلا في وقت متأخرة.

في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في أوروبا، عندما ازدهرت كتابة الروايات، لم تكن هناك روايات رومانسية كثيرة، ولم تكن هناك قارئات لها. وحتى بعد بداية القرن العشرين، وحتى بعد منح الغربيات حق الترشيح والتصويت في الانتخابات (سنة 1919 في الولايات المتحدة)، واجهت كاتبات الروايات الرومانسية هجوما عنيفا من كثير من المهتمين بالموضوع. وتركز الهجوم على أن الروايات الرومانسية التي تكتبها نساء تعاني من الآتي:

أولا: غير هامة، وغير جادة، لأنها عن أشياء منزلية وزوجية.

ثانيا: ضعيفة بسبب قلة الخبرة، وسوء الأسلوب.

ثالثا: فيها عاطفية كثيرة، تؤثر على قرارات وتطورات عقلانية.

***

أول أشهر رواية:

أول أشهر رواية رومانسية نسائية كتبها رجل: البريطاني صمويل رتشاردسون (توفى سنة 1761)، وهي: "فيرشيو ريووارديد" (مكافأة الفضيلة). وصارت لها أهمية تاريخية لأنه كتبها بلسان امرأة. ولأنها كلها كانت عن الحب. وطبعا، وهو الرجل، كان مهتما جدا بشرف المرأة، وعذريتها، وفضيلتها، وأخلاقها.

بعد قرن كامل، كتبت البريطانية جين أوستن (توفت سنة 1817) أول أشهر رواية رومانسية نسائية: "برايد أند بريجيودس" (الفخر والعداء). حتى اليوم، تعتبر من أشهر الروايات النسائية الرومانسية. وتحكى صراع امرأة (في بداية العصر الفكتوري البريطاني المحافظ) مع الحياة والحب. ومع الصراع الأبدي بين الفضيلة والفضيحة.

وبعد قرن آخر، أصدرت البريطانية جورجيت هايار (توفت سنة 1974) أول أشهر روايتين رومانسيتين من وحي واقعي:

أولا: "ذوس أولد شيدز" (تلك الظلال القديمة) عن سنواتها في أوروبا والبلقان.

ثانيا: "كونفينيانت ماريدج" (زواج مصلحة) عن سنواتها في تنجانيقا (الآن تانزانيا)، وقالت إنها كانت أول امرأة بيضاء يشاهدها السود الأفارقة هناك.

بالنسبة للأمريكيين، لم تشتهر الروايات الرومانسية إلا بعد الحرب العالمية الأولى (انتهت سنة 1918). عندما عاد الجنود الأمريكيون من الحرب في أوروبا، عادوا بروايات رومانسية أوروبية. ومثلما حدث في أوروبا، كتب رجال أمريكيون على لسان نساء أمريكيات أول روايات رومانسية. ثم لحقت كاتبات بهم.

في غرفة النوم:

في منتصف القرن العشرين، بدأت ثورة في مجال كاتبات الروايات الرومانسيات. قادت الثورة شركة "أفون" لإنتاج وبيع أدوات التجميل النسائية. وكان هدف الشركة هو الجمع بين جمال المرأة الجسدي (الذي يجعلها فخورة بنفسها)، ومتعة المرأة العقلية (بالاستمتاع بقراءة رواية نسائية رومانسية مثيرة). في سنة 1972، أصدرت الشركة أول رواية: "فليم أند فلور" (اللهب والزهرة) التي كتبتها كاثلين وودويس. وكانت هذه الرواية:

أولا: أول نشر على نطاق واسع لرواية رومانسية بقلم روائية متفرغة.

ثانيا: أول رواية ذات غلاف ورقي شعبي. (لم تعد مثل كتب المشاهير وأساتذة الجامعات ذات الغلاف المقوى).

ثالثا: صارت تباع في المحلات التجارية، والصيدليات، والمطارات، ومحطات السكة الحديدية.

رابعا: أول روايات نسائية "تدخل غرفة النوم"، أي تتحدث عن العلاقات الجنسية.

وهكذا، بدأت موجة من الروايات الرومانسية الجنسية بأقلام روائيات. هذه بعض أسمائها: "الحب المتوحش" و "النار المشتعلة" و "في غرفة نومي".

ومع بداية القرن الحادي والعشرين، صارت أسماء هذه الروايات أكثر إثارة. مثل: "عندما أغمضت عيني" و "رجل فوق امرأة" و "امرأة فوق رجل".

وصارت بعضها أفلاما سينمائية أو مسلسلات تلفزيونية. خلال العشر سنوات الأولى من القرن الحادي والعشرين كان أشهر مسلسل تلفزيوني أمريكي هو "سكس أند ذا سيتي" (الجنس والمدينة) عن مغامرات خيالية جنسية لخمس نساء في نيويورك. كتبت نساء الحلقات، واخرجن بعضها، ومثلن في بعضها.

ووصفت صحيفة "وول ستريت جورنال" (المحترمة التي تتخصص في المواضيع الاقتصادية) هذه الموجة الجديدة من الروايات الرومانسية بأنها: "مثل ساندوتش ماكدونالد: لذيذة، ورخيصة، ومثيرة، وتستهلك خلال وقت قصير، وتشجع للمزيد، وزبائنها بعشرات الملايين، وتنشر حول العالم."

تحديث:

في سنة 2012، بعد قرابة عشرين سنة من زيارتي لمكاتب اتحاد كتاب الروايات الرومانسية في هيوستن (ولاية تكساس)، زرت بونزبورو، ضاحية صغيرة شمال واشنطن (في ولاية ماريلاند). زرتها بالسيارة لأنها ليست بعيدة من مكتبي في واشنطن (بالقرب من البيت الأبيض). تبلغ المسافة بينهما مائة ميل تقريبا.

كان هدفي هو مقابلة نورا روبرتز، أشهر روائية أمريكية معاصرة، بعد أن أصدرت روايتها رقم 200: "لاست بوي فرند" (آخر صديق).

قال لي مسئول في دار النشر التي نظمت المقابلة أن الروائية ستكون في مكتبه "تيرن بيدج" (اقلب الصفحة) للتوقيع على روايتها الجديدة، وربما ستقدر على أن تجيب على أسئلتي، وربما لن تقدر.

وقال لي أن الروائية تعيش في نيويورك، وتأتي من وقت لآخر إلى منطقة واشنطن. لكنها، في الحقيقة، تعود إلى مسقط رأسها، لأنها ولدت في سلفرسبرنغ (من ضواحي واشنطن، وتقع في ولاية ماريلاند).

نورا ونورا وكاتي:

ربما الصدفة فقط هي التي جعلت ثلاثة من أشهر كاتبات الروايات الرومانسية الأمريكية من منطقة واشنطن، أو عشن فيها لفترة من الزمن. بالإضافة إلى نورا روبرتز، هناك:

أولا: كاتي مورتون: كانت زوجة بيتر جيننقز، مذيع أخبار تلفزيون "إي بي سي". ثم صارت عشيقة رتشارد هولبروك، الذي كان سفير أمريكا في الأمم المتحدة. وعندما انكشف السر، وصارا يظهران معا في أندية ومطاعم نيويورك وواشنطن، أصيب زوجها المشهور بحرج كبير، وطلقها. وسارع هولبروك وتزوجها.

ثانيا: نورا أيفرون: كانت زوجة كارل بيرنشتاين، صحفي صحيفة "واشنطن بوست" الذي اشترك في كشف فضيحة "ووترقيت". ثم صارت عشيقة رتشارد كوهين، كاتب عمود في نفس الصحيفة.

غير أن زوجها نفسه كان عشيق مارقريت جاي، زوجة السفير الأمريكي في واشنطن في ذلك الوقت. ثم تطلق كارل بيرنشتاين ونورا أيفرون. ثم تزوج كل واحد زوجا آخرا.

من وحي هذه العلاقات الجنسية، كتبت نورا أيفرون سلسلة روايات رومانسية جنسية. منها:

أولا: "هارت بيرن" (قلب يحترق). وفي وقت لاحق، صارت الرواية فيلما سينمائيا.

ثانيا: "سليبليس أن سياتل" (لا نوم في سياتل)، وهذا أيضا صارت فيلما سينمائيا.

ونفس الشيء بالنسبة لروايات كاتي مورتون. جاءت من وحي علاقتها مع زوجها المذيع التلفزيوني، ومع عشيقها السفير (وغيره). وأيضا، من وحي خلفيتها الأجنبية. لأنها ولدت في بودابست (في المجر)، وتعلمت في جامعة السوربون (في فرنسا). ثم تزوجت مليونيرا أميركيا نقلها إلى نيويورك. ثم تطلقا بسبب علاقة المليونير مع عشيقة. وبسبب علاقتها هي مع النجم التلفزيوني اللمع والأنيق جيننق، الذي تزوجها فيما بعد.

نورا روبرتز:

حتى نورا روبرتز، أشهرهن كلهن، كتبت روايات من وحي حياتها الخاصة: تزوجت رجل أعمال في واشنطن. ثم دخل هو في علاقة غرامية مع عشيقة، ودخلت هي في علاقة غرامية مع عشيق. ثم تطلقا. ثم تزوجت نجارا جاء مرة إلى منزلها لتشييد رفوف لمكتبتها.

غير أن نورا روبرتز نفسها اعترفت بأنها، عكس نورا أيفرون، وعكس كآتي مورتون، لم تدخل الجامعة، ولم تكن مثقفة، ولم تطوف حول العالم.

وهي نفسها قالت أنها صارت كاتبة روايات بالصدفة. قالت إنها، في سنة 1979، عندما كانت تربي أولادها من زوجها الأول، اكتسح واشنطن جليد كثير. وكتبت في وقت لاحق: "ثلاثة أقدام من الجليد منعت الناس من الخروج من منازلهم. نضب مخزون الشكولاته عندي، وأصابني السأم، ورأيت أن اكتب مذكرات يومية."

في وقت لاحق، طورت المذكرات، وصارت رواية. لكنها في البداية، لم تكن محظوظة، وكتبت: "رفضت دار نشر "هارليكوين"، أكبر دار نشر أميركية لنشر الروايات الرومانسية، روايتي. وكتبوا لى مذكرة صغيرة يعتذورن فيها. ثم أرسلتها مرة ثانية. وقلت ربما سيقرأ الرواية شخص غير الذي قرأها في المرة الأولى. لكنهم رفضوا مرة ثانية. ولحسن حظى، لم يرموها، واحتفظوا بها. لهذا، عندما تأسست دار نشر "سيلهويت"، طلبت من دار نشر "هارليكوين" تحويل كل الروايات التي رفضت نشرها إليها. وأعجبتهم روايتي، ونشروها."

قمة الشهرة:

في سنة 2012، وعمرها ستون سنة، نشرت نورا روبرتز الرواية الرومانسية رقم مائتين. وهي أول كاتبة في قائمة "قاعة الشهرة" التي تتبع لاتحاد كتاب الروايات الرومانسية الأمريكي (الذي كنت زرته في هيوستن، في ولاية تكساس).

في سنة 2012، وزعت رواياتها أكثر من أربعمائة مليون نسخة.

وفي سنة واحدة فقط، سنة 2007، كانت رواية "مونتانا سكاي" (سماء مونتانا) وزعت أكثر من خمسة ملايين نسخة.

وفي سنة 2009، وضعتها مجلة "تايم" على غلافها كواحدة من أكثر النساء تأثيرا في العالم. وقالت عنها: "لا يوجد من يقدر على وصف القلب البشري، وتشريحه، وتقطيعه، وإعادة تركيبه مثل نورا روبرتز." وطبعا، قصدت مجلة "تايم" القلب الخيالي، وليس القلب العضوي. وقصدت قلب المرأة، لأنه هو الذي تخصصت فيه نورا. رواية بعد رواية بعد رواية، كتبت عن الحب من وجهة نظر نسائية. ولهذا، لم يكن غريبا أن أغلبية كبيرة من قرائها من الجنس اللطيف.

مركز «ديوك أند ديوك» (ولاية كاليفورنيا) : الحداثة وما بعد الحداثة



(اقرأ: سيطرة العقلانية)

(اقرأ: غياب العاطفة)

في سنة 2010، صدفة، جئت إلى مركز "ديوك أند ديوك" في هوليوود (ولاية كليفورنيا)، بعد أن زرت متحف "قيتي" القريب، الذي يطل على الطريق البري رقم 5، الذي يمتد شمالا وجنوبا بمحاذاة ساحل المحيط الهادي.

لكن، حتى متحف "قيتي" لم يكن هدفي الأساسي.

كنت عائدا بسيارة استأجرتها من مطار لوس أنجلوس، ذهبت بها إلى سيمي فالي، شمال لوس انجلوس، بالقرب من الطريق البري رقم 5. زرت هناك متحف ومكتبة ومركز رونالد ريقان الرئاسي، حيث حضرت ندوة عن الحزب

الجمهوري. تحدث في الندوة قادة الحزب، وكانت أغلبية الحديث عن "حزب الشاي"، الجناح المتطرف في الحزب الجمهوري، والذي اشتهر كرد فعل لفوز الرئيس براك أوباما. ودار نقاش، في حذر واضح، إذا كان تأسيس الحزب رد فعل لفوز أول رئيس أميركي أسود، وإذا كان الحزب عنصريا.

على أي حال، في الطريق عائدا من مركز ريقان، وحسب برنامج مسبق، زرت متحف "قيتي" الذي يقع على سفح جبل، وتمكن رؤيته من الطريق البري، بناءا من الحجز والصخور، عملاق وواضح. زرته لأنه تخصص في الحضارة الأوروبية قبل القرن العشرين. وأنا أحاول فهمها كجزء من محاولة فهم الحضارة الغربية، وخاصة الحضارة الأمريكية التي أعيش في قلبها.

داخل متحف "قيتي"، وجدت كتيبات عن متاحف ومراكز في المنطقة وضعت للسراح الذين يريدون زيارة المعالم القريبة. وفي القائمة، مركز "ديوك أند ديوك" وبأنه يتخصص في فن ما بعد الحداثة. كنت قرأت، في واشنطن، أن الرئيس أوباما وزوجته ميشيل، بعد أن دخلا البيت الأبيض في السنة السابقة، يريدان إعادة تغيير بعض أثاث البيت الأبيض لتكون على طراز ما بعد الحداثة. وأن مركز "ديوك أند ديوك" كسب عقدا لينفذ ذلك.

ما هي ما بعد الحداثة؟ وما هو فن ما بعد الحداثة؟ وما هي الحداثة نفسها؟

هذه مواضيع لم اعرف، ولا زالت لا اعرف، تفاصيلها، وسمعت بها بصورة عامة. لهذا، قلت ربما أسهل على أن أبدا بفهم فن ما بعد الحداثة، خاصة إذا كان عن أثاث البيت الأبيض.

"ديوك أند ديوك":

فوجئت، وأيضا لم أفاجأ، داخل مركز "ديوك أند ديوك." إذا معنى "ما بعد الحداثة" هو "ما بعد المعقول"، أكدت معروضات المركز هذا:

كراسي، وموائد، وكنبات في إشكال غريبة جدا. وأيضا، مصابيح كهربائية في أشكال غريبة جدا. وأيضا، حمامات، ومراحيض، وصحون، وملاعق، وشوك، وسكاكين.

يبدو أن كل شئ صنع فرديا، لأنه ربما لا توجد مصانع تصنع مثل هذه المصنوعات للاستهلاك العام.

ووجدت أن شروح المعروضات لا تقل تعقيدا عن المعروضات نفسها. مثل هذا: " تصميم احتاج إلى كثير من الصبر. هناك صلة بين المتوسط والمتطرف في الأبعاد الفيزيائية، تعكس الإحساس بالحركة."

أثناء جولتي، بعد أن قلت إنني صحافي، رافقني شخص من المتحف، وكأنه عرف إنني لا اعرف كثيرا في أمور الحداثة، وما بعد الحداثة. لهذا، كان شرحه بسيطا. وكان فخورا بان البيت الأبيض تعاقد معهم لإعادة تصميم بعض الأثاث.

خلفية تاريخية:

تتكرر إعادة تصميم بعض غرف البيت الأبيض كلما دخله رئيس جديد. ويختار الرئيس، وزوجته، شركة تصميم. ويقدمان لها خطة، ويتناقشان معها، ويشرفان على العملية، مثلهما مثل أي عائلة تنتقل إلى بيت جديد، وتعيد تصميم البيت الذي تعيش فيه.

وحسب كتاب "بيت الرؤساء: تاريخ" الذي كتبه المؤرخ وليام سيل، كان الرئيس ترومان أول من اختار، مع زوجته، مصمما، واختار مصمما تقليديا. واختار الرئيس أيزنهاور، وزوجته ميمي، مصمما تقليديا أيضا. واختار الرئيس كنيدي، وزوجته جاكلين (ذات الخلفية الفرنسية) مصمما فرنسي الأصل، مشهورا بفن الحداثة. واختار الرئيس كلينتون، وزوجته هيلاري، مصمما ملأ البيت الأبيض بالألوان البراقة. ثم جاء الرئيس بوش الابن، وزوجته لورا، واختار مصمما عاد إلى الألوان الهادئة والتقليدية.

وفي سنة 2009، عندما دخل أوباما، وزوجته ميشيل، البيت الأبيض، قالت ميشيل إنها تريد مصمما "غارقا في الماضي، ويصمم بطريقة حديثة." ومع نهاية السنة، دعت ميشيل الصحافيين لرؤية التصميمات الجديدة.

وصار واضحا إنها "متطورة جدا"، ليس فقط من فن الحداثة (النصف الأول من القرن العشرين)، بل من فن ما بعد الحداثة (النصف الثاني من القرن العشرين). وامتلأ البيت الأبيض بأثاث ولوحات وزينات من إفريقيا، ومن تراث الهنود الحمر، ومن أميركا اللاتينية، ومن الفن الحديث، ومن ما بعد الحديث.

وقالت صحيفة "نيويورك تايمز": "لاحظنا جدلا إذا كانت التصميمات الجديدة حداثية أو بعد حداثية. لكن يبدو أن أوباما وميشيل جعلاها حداثية متطرفة."

وقالت صحيفة "لوس انجلوس تايمز" عن المصمم سميث، مدير مركز "ديوك أند ديوك": "إنه أبعد ما يكون عن الفن التقليدي. انه يستعمل ألوان سيارات، وزجاج طائرات، ومعادن. وبعض المقاعد والطاولات لها أشكال فكاهية. هذا فن ما بعد الحداثة."

ما قبل الحداثة:

يقول كتاب "من الحداثة إلى ما بعد الحداثة" الذي كتبه لورنس كالهون، أستاذ في جامعة "هوليي كروس" (الصليب المقدس) في ولاية ماساجوستس، أن الحداثة وما بعد الحداثة لا تقتصران على الفنون فقط، ولكن، أيضا، على الآداب، وعلى الثقافات. بل على طريقة التفكير.

وان الحداثة بدأت في أوروبا، مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، بسبب التطور الحضاري الذي تمثل في النهضة الصناعية، والتوسعات الاستعمارية الأوروبية في أسيا وإفريقيا، والثورات الأوروبية التي أسست حكومات وطنية ديمقراطية، والحريات الهائلة (ربما بدون حدود)، ليس فقط في مجال السياسة، ولكن، أيضا، في مجالات الأدب والفن والسلوك الفردي.

وقال الكتاب: "تمردت الحداثة على التقاليد، وعلى الواقعية، وعلى الأعمدة الثقافية التي وضعها عصر التنوير. وتمردت على وجود الله القوى الرحيم."

وأشار الكتاب إلى تساؤلات المثقفين عن دمار الحرب العالمية الأولي (1914-1918). كانت تسمى "الحرب الأوروبية الكبرى" و "الحرب التي ستنهي كل الحروب." و "الحرب التي بعدها سيسود السلام في أوروبا إلى الأبد." لكن، دمرت الحرب الدول الأوروبية مثلما لم تدمرها حرب قبلها. وقتلت أوروبيين مثلما لم تقتل حرب قبلها: ثمانين مليون.

لهذا، كانت من بين تساؤلات المثقفين: "إذا كان الله رحيما، لماذا يفعل هذا بنا؟"

وقال بعض هؤلاء أن الأديان والتقاليد هي من أسباب لجوء الأوروبيين إلى القوة لحل المشاكل بينهم. وأيضا من أسباب المشاكل الاجتماعية والفساد، والركوض الفكري.

الحداثة:

وهكذا، مع بداية القرن العشرين، ظهرت أفكار جديدة. قل التفاؤل، والحماس، وحتى الوطنية. وزادت الفردية، والخصوصية. وصار مثقفون وفنانون وأدباء لا يهتمون إذا وصف الناس كتاباتهم ورسوماتهم بأنها "غريبة" أو "شاذة" أو حتى "كافرة."

وخلال المائة سنة التالية، تطورت الحداثة كالآتي:

أولا: ظهرت الروايات الخيالية الرومانسية (تمردا على الواقعية، وعلى استغلال الأغنياء لغيرهم).

ثانيا: ظهرت الفنون السريالية (تمردا على الرسومات التقليدية. مثل الموسيقى السريالية، والرسوم التكعيبية).

ثالثا: ظهرت العودة إلى الطبيعة، بل وتقديسها (سماها مثقفون "الله الحقيقي الذي يرى").

رابعا: ظهرت الوجودية (وجودية الفرد)، تمردا على العقلانية التي تركز على التجارب العلمية، وعلى السلوك البشري، وعلى المنطق الاجتماعي.

وفي عصر الحداثة، اشتهر فنانون، مثل: الفرنسيان إدوارد مانيه (توفي سنة 1883) وهنري ماتيس (توفي سنة 1954). والإسباني بابلو بيكاسو (توفي سنة 1973). وعلماء مثل البريطاني شارلز داروين (توفى سنة 1882). وسياسيون مثل الألماني كارل ماركس (توفي سنة 1883). وكتاب مثل الألماني فردريك نيتشه (توفي سنة 1900)، والنمساوي فرانز كافكا (توفي سنة 1924). والفرنسي جين بول سارتر (توفي سنة 1980) وعشيقته الفرنسية سيمون دي بوفوار (توفيت سنة 1986).

وصارت لوحات النساء العاريات (مانيه)، ونظرية الشيوعية (ماركس)، وأصل الأنواع (داروين)، وعلم النفس (فرويد)، تمثل حركات تمرد على الأديان السماوية، أن لم يكن إلغاء لها.

لكن، في نفس الوقت، شملت الحداثة حركات تمرد إيجابية: كانت موسيقى الجاز من أنواع تمرد الزنوج في أميركا ضد التفرقة العنصرية (التي كانت أحيانا باسم الدين). وساهمت الماركسية في الفكر الاشتراكي الديمقراطي (لعلاج أخطاء الرأسمالية).

وطبعا، الإبداع، والتجديد، والانفتاح (مع الدين، أو ضده) أيضا أشياء إيجابية.

بعد الحداثة:

قال كتاب "الحداثة وما بعد الحداثة" أن مرحلة ما بعد الحداثة بدأت خلال النصف الثاني من القرن العشرين. وأنها ركزت على الفنون والآداب.

ويعتبر معرض "بوب أرت" (الفن الشعبي) الذي أقيم في نيويورك سنة 1962، علامة تاريخية لفن ما بعد الحداثة. غير أن كلمة "شعبي" الأميركية ليست مثل العربية، ولا تعني صناعة الصلات، وتزيين الخيام، وزخرفة الجدران. "بوب أرت" فيه رسومات مقتبسة من أفلام كرتون أمريكية (فيها طائرات وقنابل). ومقتبسة من إعلانات (فيها زجاجات "كوكا كولا" وشوربة "كامبل").

وإذا كان فن الحداثة احل رسومات ومسرحيات فيها نساء عاريات، أو شبه عاريات، احل فن ما بعد الحداثة أكثر من ذلك. مثل مسرحية "تنظيف داخلي" التي عرضت في ذلك الوقت في نيويورك، ولندن، وباريس، وغيرها، وفيها امرأة عارية تماما، وتحمل مكنسة لتنظف داخلها من خلال فرجها.

وظهر فن "ابسيريدزم" (فن العبث) الذي يصور ويرسم ويمثل أشياء بدون سبب، وبدون معنى. ليست للضحك، وليست للحزن، وليست لأي شيء.

وحدث نفس الشيء بالنسبة للتعري: صار أحيانا بدون معنى. ولم يعد التعري فنا، كما كان في العصر التقليدي. مثل تمثال النبي داوود الذي صممه الإيطالي ماكيل انجلو (توفي سنة 1564)

وكتمرد على لوحة "موناليزا" التي رسمها الإيطالي ليوناردو دفنشي (توفى سنة 1519)، ظهرت لوحة "موناليزا العارية" التي رسمها واحد من تلاميذه. ولم تكن أقل فنا من الأولى.

على أي حال، لا يمكن أن يكون كل ما بعد الحداثة تافها، وبدون فائدة، وبدون معني. وكما قال الكتاب: "الذي بدون معنى له معنى."

ضد الحداثة:

أولا: في القرن التاسع عشر، عارض الحداثة رجال الدين في أوروبا وأمريكا. ليس فقط بسبب تعرى النساء، ولكن، أيضا، كما قال واحد منهم، لأنها "تشغل الناس عن التأمل في الله."

ثانيا: رغم أن الشيوعية فكرة حديثة (غير تقليدية)، عارض الحزب الشيوعي الروسي (في عهد ستالين) الحداثة، وقال إنها برجوازية غربية. وظهر ذلك في عمارات موسكو التي خلت من المعمار "المفتوح": الزجاجي، واللامع، والمشمس. وبدت هذه العمارات، حتى يومنا هذا، قاتمة، وحزينة.

ثالثا: عارضتها النازية في ألمانيا. وقالت إنها "فكرة يهودية" و "فكرة زنجية".

رابعا: مع بداية القرن العشرين، ركز اليمين الأمريكي على "غياب الروح" في الحداثة (وما بعد الحداثة). وقال كتاب "الإبداع الثقافي" أن الخلاف هو حول الهدف من إبداع الفرد: هل الإبداع فقط تطور حضاري وتكنولوجي؟ أو هل يهتم أيضا بالعلاقات الإنسانية؟

أوباما "حداثة متطرفة":

في سنة 2009، عرض متحف "سميثونيان" في واشنطن (أكبر مجموعة متاحف في العالم) معرضا عن أنواع الفنون والثقافات. وأوضح، بطرق غير مباشرة، أن هناك ثقافات وفنونا لا تزالت "ضحلة"، خاصة في العالم الثالث

حتى وقت قريب في الولايات المتحدة (وفي دول أوروبية)، كانت هذه الفنون والثقافات تسمى "بدائية". لكن، مؤخرا ومن باب التأدب، قل استعمال هذا الوصف. وصارت توصف بأنها "قبلية".

طبعا، في رأي شعوب العالم الثالث، عندهم كثير من أنواع الثقافة "الراقية". وطبعا، عندما يعرضها الأمريكيون في متاحفهم، يصفونها بأنها "قبلية."

كما أوضح معرض متحف "سميثونيان"، قسم الأمريكيون "القبلية" إلى ثلاثة أقسام: الإفريقية، والباسيفكية، والهندية الحمراء. سموها "ثقافة قبلية" لأنها تعكس عادات وممارسات قبلية. وأيضا، "ثقافة الريف" (عكس "ثقافة الحضر").

قدمت هذا الشرح مجلة "سموثونيان" الشهرية التي تصدرها الإدارة المشتركة للمتاحف. وقالت: "ليس الهدف الإساءة إلى أي ثقافة، ولكن يمكن وصف ثقافة بأنها من الريف أو من المدينة، رمزا لمرحلتين حضاريتين مختلفتين."

أخيرا:

كانت صحيفة "نيويورك تايمز" متأدبة ودبلوماسية عندما وصفت الأثاث واللوحات والسجاجيد والتماثيل من إفريقيا ومن مستوطنات الهنود الحمر، التي وضعها أوباما وميشيل في البيت الأبيض، بأنها "إكستريم موردرنيزم" (حداثة متطرفة).

في شارع «برودواي» شارع المسارح (نيويورك) :

أولاد وبنات المهاجرين العرب



(اقرأ: الرابطة القلمية العربية)

(اقرأ: إدوارد سعيد، المناضل)

(اقرأ: أولاد وبنات)

سنة 2004، جئت إلى نيويورك لحضور جلسات الجمعية العامة للأمم المتحدة، بعد سنة من غزو العراق. وكالعادة، كلما أزور نيويورك، استمتع بمشاهدة ثلاثة أشياء:

أولا: العمارات العالية، "ناطحات السحاب." حسب قانون بلدية واشنطن، لا يزيد ارتفاع أعلى عمارة عن ثلاثة عشر طابقا، والهدف هو إعطاء المدينة العاصمة نكهة خاصة، وحتى لا يعلو مبنى على تمثال جورج واشنطن وتماثيل تذكارية تاريخية أخرى.

لهذا، أتجول في شوارع نيويورك، وأحيانا أرفع رأسي لأري ارتفاع العمارات، مع خليط من الانبهار والخوف، رغم أنى أمشي على الأرض.

ثانيا: أستمتع في نيويورك بمشاهدة عشرات الآلاف من الناس، بمختلف الألوان، والأشكال، والملابس، واللغات، والتصرفات، وأنواع الأطعمة، وأنواع المشروبات، وممارساتهم الدينية. وألاحظ دائما أن البيض، في المدينة التي بنوها ويديرونها، وفي قلب حضاراتهم، ليسوا إلا أقلية وسط السود، والسمر، والصفر.

ثالثا: يجذبني إلى نيويورك شارع "برودواي"، أكبر شارع مسارح في العالم. لا اعرف كثيرا عن الفن المسرحي، ولا عن بقية أنواع الفنون والآداب. لكنى أحاول، من باب الفضول، ولكتابة تقارير صحفية، ولزيادة معرفتي بالثقافة الأمريكية. أحاول مشاهدة مسرحيات سمعت الأمريكيين يتناقشون حولها في التلفزيونات، وفي الصحف، والإذاعات، وأيضا في مناسبات اجتماعية (حتى لا أحس باني أجنبي غريب، حقيقة).

خلال أكثر من عشرين سنة، شاهدت في شارع "برودواي" مسرحيات مشهورة، منها: "ساوث باسيفيك" (جنوب المحيط الهادي)، "لا ميزرابيلز" (البؤساء)، "كاتز" (القطط)، "مسز سايقون" (فيتنامية)، "ماما ميا" (ايطالية)، "بيوتي أند بيست" (الجميلة والوحش). هذه المرة، لم أشاهد مسرحية مشهورة. لكن شاهدت "مهرجان الكوميديا الأمريكية العربية"، في مسرح "أمبروف." رسميا، ليس هذا المسرح جزءا من مسارح "برودواي"، لكنه ليس بعيدا منها) هذا ثاني مهرجان سنوى تقيمه جمعية المهرجانات الأمريكية العربية (مكتبها ليس بعيدا من شارع "برودواي").

رب ضارة نافعة:

خيرا أو شرا، ساعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2011، والحرب ضد الإرهاب التي أعلنها الرئيس السابق بوش الابن، على نشر الثقافة الإسلامية العربية وسط الشعب الأمريكي. وفي خليط من الخوف والفخر، بدا مهاجرون عرب ومسلمون في أمريكا يلجؤون للفكاهة لمواجهة الشكوك فيهم.

في الحقيقة، بدأ أولادهم وبناتهم. لا يحدث هذا وسط الجيل الأول من المهاجرين، مثلي. وذلك لأن أغلبيتنا تعاني من ثلاث مشاكل:

أولا: عقدة الخواجة.

ثانيا: الصدمة الحضارية.

ثالثا: محاولة الأمركة (تبدو الأمركة الكاملة مستحيلة).

لكن، أولادنا وبناتنا الذين ولدوا في أمريكا، أو جاؤوا إليها وهم صغار في السن، صارت أغلبيتهم أمريكية مائة في المائة:

ناولا: لا يتعقدون من الأمريكيين لأنهم أمريكيون.

ثانيا: لا تصدمهم الحضارة الأميركية لأنهم ولدوا وتربوا فيها.

ثالثا: لا يحتاجون لأن تأمركوا لأنهم ولدوا أمريكيين.

أولادنا وبناتنا:

لهذا، فرحت، حقيقة، وأنا أشاهد أولاد وبنات الجيل الجديد من المهاجرين وهم يردون على "إسلاموفوبيا" (خوف الأمريكيين من الإسلام والمسلمين). يردون في عفوية، وحرية، وفردية، وخصوصية، وفخر (وربما استعلاء) هي أساس التصرف والتفكير الأمريكي.

بمناسبة المهرجان الفكاهي العربي الذي شاهدته في نيويورك، وفي خليط من الفضول والشكوك عن المسلمين، نشرت صحيفة "نيويورك تايمز" تقريرا عن الموضوع، وعن هذا الجيل الجديد:

أولا: ناجين فرساد. أميركية مسلمة من أصل إيراني، ورئيسة فرقة فكاهية تجوب الولايات المتحدة تتندر على خوف الأمريكيين من الإسلام والمسلمين. في سنة 2004، تعاونت مع آخرين مثلها لإصدار فيلم "موسليمز ار كامننق" (المسلمون قادمون) الوثائقي عن ظاهرة "اسلاموفوبيا."

لم تكن هذه أول تجربة إنتاج فيلم بالنسبة لها. كانت أنتجت وأدارت مسلسلات تلفزيونية منها: "نيردكور" عن فناني الهيب هوب. و"أكبر يلعب الكركيت" عن ظاهرة اللعبة البريطانية في إيران. و"إيرانيات" عن تأثير أصلها عليها.

ثانيا: دين عبيد الله. أمريكي إيطالي فلسطيني. والده فلسطيني ولد في الضفة الغربية، ووالدته ايطالية ولدت في جزيرة صقلية.

وكتبت عنه صحيفة "نيويورك تايمز" بأنه: "يسير على خطا فكاهيي أقليات مضطهدة في التاريخ الأمريكي، قرروا أن الفكاهة يمكن أن تساعد على إنهاء اصطادهم." وأضافت الصحيفة: "في الستينات، تندر الأسودان، ديك قريقوري ورتشارد بريورار، على اضطهاد البيض للزنوج. الآن، يبدأ شبان وشابات من أصول عربية إضحاك الأغلبية التي تظل تنظر إليهم في شك واضح."

العرض الفكاهي:

في العرض الفكاهي الذي شاهدته، شاهدت ناجين تضحك عددا كبيرا من المتفرجين، بيض، وسمر، وسود. كانت تلبس فستانا قصيرا كشف جزءا كبيرا من فخذيها. ويبدو أن هذا جعل كثيرا من المهاجرين الكبار يتململون في مقاعدهم. وأيضا، لأنها كررت شتائم وقصص جنسية على الطريقة الأمريكية.

وكتبت صحيفة "نيويورك تايمز": "المجتمعات الإسلامية التقليدية تتقبل في غير ارتياح، ومع بعض الألم، فكاهيات الجيل الثاني من المهاجرين إلى الولايات المتحدة." وقالت أن التندر على الأمريكيين المسلمين من جانبهم هم أنفسهم "ظاهرة جديدة نسبيا. وتنتشر وسط الجيل الثاني من المهاجرين الذين هم أمريكيين فخورين بأنفسهم لدرجة أنهم لا يحسون بالحرج من التندر على أنفسهم."

وعن هذا، قال عبيد الله: "نحن على ثقة بأننا نقدر على التندر على أنفسنا. صحيح أن المهاجر الجديد أقل ثقة في استخدام الفكاهة لتحدي التصورات والانطباعات عن المسلمين. لكن، نحن أمريكيون طبعا. ونعرف ما هو معنى ذلك. ونقدر على مواجهة أولئك الذين نرى أن سلوكهم أقل مما هو مطلوب حسب القيم الأمريكية."

وقال عبيد الله إن انتشار فكاهيات المسلمين عن أنفسهم بدأت بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2011. وقال: "لم يكن هناك أبدا اي مجموعة فكاهية مسلمة قبل ذلك. نمت الظاهرة حقا نظراً لرد الفعل العنيف ضد المسلمين. أعتقد أن كثيرا من الناس في مجتمعنا المسلم بدؤوا هذا النوع من النشاط كشكل من أشكال النشاط السياسي."

وقال أن زيارات الفرق الفكاهية للولايات الغربية الوسطي والجنوبية المحافظة "فيه بعض التحدي" بسبب آراء سلبية أكثر عن الإسلام والمسلمين في هذه الولايات. وأضاف: "كيف ينظر إلينا الناس هناك؟ نواجه بعض الناس الغاضبين الذين يقولون لنا: "قو باك هوم" (عودوا إلى بلادكم). كيف نعود إلى بلادنا وأمريكا هي بلدنا؟"

وأضاف: "في الحقيقة، نحن لا نهتم. ولا حتى نرد عليهم."

تحديث:

في سنة 2012، بعد ثمان سنوات من مشاهدة المهرجان الفكاهي العربي في نيويورك، عدت إلى نيويورك مرة أخرى. وذهبت إلى "شارع برودواي" (شارع المسارح) مرة أخرى. وشاهدت عرضا جديدا لأولاد وبنات المهاجرين مرة أخرى.

مسرحية "فود أند فدوى" (الطعام وفدوى) هي أول مسرحية فلسطينية تعرض في "شارع برودواي". رغم أن المسرح الذي تعرض فيه المسرحية ليس حقيقة على الشارع الهام، ولكن في شارع جانبي، يظل في المنطقة الهامة التي يرتادها الناس، وربما لهذا، أثارت المسرحية اهتمام التلفزيونات، والإذاعات، والصحف، ومواقع الإنترنت.

سبب آخر للاهتمام هو ما حدث قبل ست سنوات، عندما رفض نفس المسرح عرض مسرحية "اسمي راكيل كوري". هذه مسرحية بريطانية (عرضت في بريطانيا، ونالت الإعجاب) عن طالبة جامعية أمريكية ذهبت، في سنة 2003، إلى غزة للدفاع عن الفلسطنيين. واشتركت في مظاهرة واجهتها قوات إسرائيلية بدبابات وتراكتورات، ودهسها تراكتور.

هذه المرة، كتبت مسرحية "فود وفدوى" أمريكية فلسطينية وأمريكي فلسطيني: لاميس إسحق، ويعقوب قادر (أول عمل مسرحي يشتركان فيه).

وانتهجتها شركة "مسرح نور" الأمريكية العربية (أول عمل مسرحي رئيسي لها).

ولعبت دور "مها" الفلسطينية مها شهلاوي (أول عمل مسرحي لها).

ولعبت دور "فدوى" لاميس نفسها (أول جمع بين سيناريو وتمثيل لها).

في مقابلة مع صحيفة "نيويورك تايمز"، تذكرت مها شهلاوي، وقالت إنها كانت في نيويورك، وكانت تريد مشاهدة مسرحية "راكيل كوري." وعندما ألغيت، صار واضحا لها أن اللوبي اليهودي وأصدقاء إسرائيل وراء ذلك.

وقالت: "غضبت وحزنت. لكن، سالت نفسي: ماذا ينفع الغضب والحزن؟ وقلت لنفسي: فعلي شيئا. فكرت في أن أكتب في الصحف، وأظهر في التلفزيون، وأتظاهر، وأوزع منشورات. لكن، سألت نفسي: أليس هناك شيء أتفرغ له في بقية حياتي، ويكون مهنتي، ويكون نضالي في نفس الوقت؟" وأضافت: "كانت تلك الأفكار، قبل أربع سنوات، هي البذرة التي أنتجت هذه المسرحية."

المسرحية:

مسرحية "فود أند فدوى" هي عن الحياة تحت الاحتلال الإسرائيلي. وتمثل شهلاوي دور "مها"، عروس فلسطينية شابة عرقلت إجراءات أمنية إسرائيلية حفل زفافها في بيت لحم في الضفة الغربية.

وقالت لميس إسحاق، التي اشتركت في كتابة المسرحية، ومثلت دور "فدوى": "كنا نعرف أن الموضوع الأساسي هو فلسطين. لكن، قررنا أن تكون المسرحية شخصية، عن حياة فلسطينيين عاديين. ثم نترك للمشاهد أن يكمل الصورة، بدون تكرار كثير للاحتلال. قررنا ألا تكون مسرحية سياسية."

وقال يعقوب قادر: "بدون تخطيط مسبق، عرفنا معنى أن نكون فلسطينيين، التقينا بدون أن نقدم أنفسنا بأننا فلسطينيون. بعد ذكريات الآباء والأمهات والجدود والجدات، وربما زيارات إلى فلسطين، أحسسنا بأننا ننتمي إلى فلسطين. وإننا يجب أن نفعل شيئا. لم نركز على الجانب السياسي، ولم نتناقش، ولم ندخل في تعقيدات الماضي. مجرد إحساس داخلي، ربما بدون تفسير عقلاني."

وأضاف: "اعتمادا على هذا الإحساس الداخلي (ربما بوجود ظلم، أي ظلم، على أي شعب، ومن أي جهة) رأينا أن نتحدث باسم أهلنا هناك، بدون أن نقدم عملا سياسيا مباشرا."

وقالت هيثار رافو، أمريكية عراقية مثلت دور "حياة" العمة التي هاجرت من فلسطين إلى أمريكا وهي صغيرة. وتربت أمريكية مائة في المائة، وفتحت مطعما صار هم حياتها. لكن، "في لحظة غضب، تحولت من اهتمامات مترفة إلى التفكير في الظلم."

المائدة الفلسطينية:

ربما أكثر ما يثير هذا المدخل لشرح القضية الفلسطينية للشعب الأميركي هو اسم المسرحية: "فود أند فدوى" (الطعام وفدوى). ذلك أن جزءا كبيرا من المسرحية عن حب "فدوى" (بطلة المسرحية) للطعام. حب أكله، وحب إعداده، وحب الحديث عنه. وتذكرت "فدوى": "أدمنت مشاهدة قنوات الطعام، وقادني هذا إلى إعداد الطعام الفلسطيني، وقادني هذا إلى المسرحية."

أول شخصية رئيسية في المسرحية هي "بابا"، والدها، في بيت لحم، الذي بسببه قررت ألا تهاجر إلى أميركا، وان تبقى في فلسطين، وتطبخ له الفطور والغداء والعشاء.

"بابا" نفسه كان صاحب مطعم. وفي مطعمه تعلمت البنتان "فدوى" و "مها" الطبخ الفلسطيني. لكن، بعد أن كبر في السن، وأغلق المطعم، وأصيب بمرض عقلي (لأنه لم يعد يقدر على طبخ الطعام الفلسطيني)، صارت البنتان تطبخان له.

البنتان تضبخان، و "بابا" يأكل، ويحكي قصص الآباء والأجداد.

ثم سافرت "مها" إلى نيويورك لتدرس في جامعة كولمبيا. وبدأت تعمل خلال ساعات فراغها في مطعم عمتها "حياة". هذه هي العمة التي تربت في أمريكا، وتعمدت أن تنسى كل شيء عن فلسطين. لكن، ذكرتها بنت أختها "مها" بوجبات "بابا." وتدريجيا، صارت العمة تغير طريقة تفكيرها، وتبدأ في طبخ الأكل الفلسطيني.

ولم تكن صدفة شهرة المسرحية لصلتها بالطعام. وذلك لشهرة أفلام سينمائية مؤخرا عن الطعام، بعضه نال الأوسكار. مثل: "سفر وطعام وحب" و "جوليا وجوليا" و "عرس يوناني" و "عرس أعز صديقاتي."

وهكذا، برهن أولاد وبنات المهاجرين المسلمين بأن في الإمكان كسب الشعب الأمريكي بدون الهتافات والشعارات والمظاهرات، وطبعا، بدون الإرهاب.

ها هم يشرحون المشكلة الفلسطينية مع مناظر (وروائح): الكبة، والمنسف، والمسخن، والطعمية، والحمص، والشاورمة، والمحشي.

في مطبعة جامعة أنديانا : النشر الإلكتروني



(اقرأ: تطور الكمبيوتر).

(اقرأ: الانترنت واللغة الجديدة).

في سنة 1985، جئت إلى بلومنقتون (ولاية أنديانا) حيث الفرع الرئيسي لجامعة أنديانا لحضور مؤتمر للمسلمين في الولايات المتحدة. تحتل هذه الجامعة مكانا خاصا في عقلي وفي قلبي: خلال السنوات 1973-1976، درست في قسم الدراسات العليا في كلية الصحافة. وخلال تلك السنوات قابلت فتاة أميركية جميلة، وشقراء، وراقية، ومتحررة، جاءت من ولاية فلوريدا، وكانت تدرس في كلية التمريض. فيما بعد، صارت زوجتي، وأم أطفالنا الثلاثة، ولا تزال حتى الآن، بعد أربعين سنة تقريبا).

خلال الأيام القليلة التي قضيتها في بلومنقتون في سنة 1985، قابلت أساتذة وزملاء قدامى. منهم واحد أنهى دراسته هنا، ثم عمل في مطبعة الجامعة. وخلال عشر سنوات تقريبا، ترقى حتى وصل إلى مرتبة عالية في المطبعة. قال لي: "تعال زرني في مكتبي، ونقوم بجولة في المطبعة لتعرف نشاطاتها ومطبوعاتها."

ما كنت زرت "مطبعة جامعة أنديانا"، لكنى كنت أتذكر مبانيها العملاق المبنى من الطوب الأحمر، في شارع مورتن، القريب من الجامعة.

في سنة 1950، تأسست المطبعة، وهي واحدة من اكبر مطابع الجامعات الأمريكية. لكنها ليست الأكبر. الأكبر هي مطبعة جامعة هارفارد التي تأسست قبل أنديانا بعشرين سنة تقريبا. (زرتها بعد عشر سنوات من زيارة أنديانا). والأكبر في العالم هي مطبعة جامعة أكسفورد، التي تأسست قبل أكثر من أربعمائة سنة.

لكن، أكثر نشر للكتب في أمريكا هو الذي تقوم به شركات النشر، خاصة التي في نيويورك، مثل: "سايمون اند شوستر" و "ماكميلان" و "بنجوين" و"بالانتاين" و "راندوم" و "هاربر كولنز".

الأكبر هي "سايمون أند شوستر" التي تنشر أكثر من ألفي كتاب كل سنة، في أربعين قسما تقريبا في كل مجالات العلوم.

خلفية تاريخية:

لا تذكر الطباعة، ألا ويذكر جوهانز قوتنبيرق، الألماني الذي اخترع الطباعة في القرن الخامس عشر (قبل سنوات قليلة من اكتشاف الدنيا الجديدة). كان حداد حديد، ثم صار صائغ ذهب، ثم صار طابع أقمشة، ثم عمل في مصنع عملة بدائي يصك عملات من النحاس.

وهكذا، ساعدته هذه الخبرات على اختراع المطبعة. مع بعض الدوافع الدينية. كان يصقل معادن توضع داخل كنائس، لتعكس ما كان الناس يعتقدون بأنه نور الله، عندما تنعكس أشعة الشمس داخل كنيسة. وفيما بعد قال: "فكرة المطبعة كانت مثل نور مقدس."

وعندما وصل قوتنبيرق مرحلة تشغيل المطبعة، استدان عشرة آلاف غلدر (عملة ألمانية وهولندية، تساوى عشرة آلاف دولار تقريبا بمقياس بداية القرن الحادي والعشرين).

وفي سنة 1455، كان أول عمل رئيسي طبعه قوتنبيرق هو الإنجيل. استغرقت الطباعة سنتين. وطبع مائتي نسخة خلال العشرين سنة التالية. وتوجد نسخة في مكتبة نيويورك، اشتراها ثرى أميركي قبل مائة وخمسين سنة (رأيتها في واحدة من زيارتي للمكتبة)

وخلال القرون التالية، تطورت تكنولوجيا الطباعة، ونشرت المطابع أشياء، منها: كتب، صحف، مجلات، دوريات، قواميس، مقررات مدرسية.

في الوقت الحاضر، في 23 أبريل كل سنة، وتحت إشراف اليونسكو، يحتفل العالم بيوم الكتاب (يوم وفاة الروائي الاسباني الحاصل على نوبل ميقويل كيرفانتيز، ويوم ميلاد ووفاة الروائي البريطاني وليام شكسبير).

وحسب إحصائيات اليونسكو، توجد الولايات المتحدة في رأس قائمة الدول التي تنشر كتبا جديدة كل سنة: ثلاثمائة ألف كتاب تقريبا. ثم مائتا ألف كتاب تقريبا في بريطانيا. ثم مائة ألف كتاب في كل من الصين وروسيا.

وسط الدول المسلمة، تأتي إيران في المقدمة (سبعين ألف كتاب)، ثم تركيا (خمسة وأربعين ألف كتاب). ووسط الدول العربية، مصر في المقدمة (عشرة آلاف)، ثم السعودية (أربعة آلاف)، ثم لبنان (ثلاثة ألاف ونصف ألف).

تحديث:

في سنة 2012، بعد قرابة ثلاثين سنة من زيارتي لمطبعة جامعة أنديانا، تغير كثيرا نشر الكتب، والمجلات، والصحف، والدوريات، والنشرات، والقواميس، والمفكرات، وغيرها. ظهر النشر الالكتروني.

ما هو النشر الالكتروني؟

يسمى "الكترونيك بليشنق" (نشر الكتروني)، أو "ديجيتال بليشنق" (نشر رقمي). وهناك "اي بوك" (كتاب اليكتروني)، و"ديجيتال لايبراري" (مكتبة رقمية).

كتب بدون ورق، ومكتبات بدون مباني، ودور نشر بدون مطبعة، وبدون حبر، وبدون دبابيس، وبدون صمغ.

وتوجد أربع وسائل، لنشر هذه الكتب: الانترنت، و"سي دي" (أقراص مدمجة)، و "دي في دي" (أقراص مدمجة مصورة)، و"أي بوك" (كتب إلكترونية).

وتوجد ثلاث أنواع كتب، حسب الشركة التي تنشرها: "كيندل" هو اسم كتب شركة "أمازون"، و "اي بوك" هو اسم كتب شركة "أبيل"، و "أندرويد" هو اسم كتب شركة "مايكروسوفت"

وقالت إحصائيات أنه، بعد سنوات قليلة، سيتوفر الآتي إلكترونيا في الولايات المتحدة:

أولا: ربع الكتب.

ثانيا: نصف الصحف والمجلات والدوريات.

ثالثا: أكثر من نصف كل أنواع القراءة.

وقللت المطبوعات الإلكترونية فترة الانتظار (من تقديم المادة وحتى نشرها) بالمقارنة مع نشر المطبوعات الورقية. خاصة بالنسبة للدوريات العلمية التي تستغرق فترة الانتظار أحيانا سنتين. وخاصة بالنسبة للأبحاث في مجالات متطورة، مثل الطب، حيث تصبح المعلومات قديمة سريعا. وطبعا، أيضا، في مجال التطور الإلكتروني نفسه.

ورغم أن قاموس "أكسفورد" يعرف المطبوعة الإلكترونية بأنها "نسخة الكترونية من مطبوعة ورقية"، أحيانا تنشر مطبوعة الكترونيا بدون أن تنشر ورقيا.

أول كتاب الكتروني:

في خمسينات القرن الماضي، نشر أول كتاب الكتروني: مؤلفات توماس أكويناس (كبير قساوسة ايطالي، عاش في القرن الثالث عشر، ووضع أسس التفسير المسيحي للحياة وللقانون الطبيعي). لكن، كان الكتاب تصنيف كلمات الكترونيا وترتيبها وتنسيقها ،أكثر منه كتابا الكترونيا عاديا.

وقبل سنة 1981، نشر أول كتاب الكتروني بفهرسة، ومحتويات، وفصول.

وقبل سنة 1992، نشر أول كتاب الكتروني برسومات وخرائط وجداول.

وفي سنة 1999، كان أندرياس فاندام أول من استعمل وصف "إليكترونيك بوك" (كتاب الكتروني). أميركي من أصل هولندي، من رواد النشر الالكتروني، ونائب رئيس جامعة براون (ولاية رود أيلاند)، ومن الكتب التي كتبها: "رسومات الكمبيوتر: نظريات وتطبيقات".

في الحقيقة، لسنوات، كانت جامعة براون مركز تطور وتطبيق النشر الإلكتروني. وساعدت خبراء الجامعة في هذا المجال قروض من وزارة الدفاع التي كانت تريد تطوير نشر خططها الإستراتيجية، وبحوثها، ووثائقها.

ونافست جامعة براون جامعة أللينوي، حيث اشتهر الخبير الإلكتروني مايكل هارت، الذي كتب، لأول مرة، في سنة 1971 وثيقة الاستقلال الأميركي كتابة الكترونية. طبعا، ليست الوثيقة كتابا، لكنها كانت أول خطوة.

"مشروع قوتنبيرق":

أول مكتبة إلكترونية بدأت سنة 1971 كانت تحت اسم "مشروع قوتنبرق" في جامعة أللينوي بقيادة مايكل هارت. وكان الهدف هو نشر كتب إلكترونية لتقرأ مجانا. وفي سنة 2102، نشر المشروع ما جملته أربعين ألف كتاب إلكتروني.

ورغم أن هارت لم يكن متدينا مثل قوتنبيرق (أو لم يكن عصره متدينا مثل عصر قوتنبيرق)، طور جزءا من التكنولوجيا في كلية أللينوي الدينية (بالقرب من شيكاقو). ومرة أخرى، كان الإنجيل من أوائل الكتب الإلكترونية التي طورها. لكنه لم يسمه باسمه مثل اسم "إنجيل قوتنبيرق" قبله بستمائة سنة.

في سنة 2002، نشر "مشروع قوتنبيرق" أول كتاب في "سي دي" (قرص مدمج)، وبعد سنتين، أول كتاب في "دي في دي" (قرص مدمج مصور).

وكتب مايكل هارت: "هدفنا البعيد المدى هو أن يكون كل كتاب ورقي متوفر إلكترونيا، بمختلف الوسائل، وبمختلف اللغات، وفي مختلف الدول." ورفع شعار: "تحطيم حاجز الجهل والأمية"

حقوق النشر:

واجهت "مشروع قوتنبيرق" مشكلة حقوق النشر، وخاصة في الولايات المتحدة حيث تتشدد دور النشر (الورقية) في المحافظة على حقوق النشر. غير أن هارت قال، منذ البداية، انه لا يريد أن يدخل في منافسات مع دور النشر الورقية. وحرص على الحصول على موافقة كل دار نشر يحول كتابها إلى كتاب إلكتروني.

وتواجه هذه المشكلة شركات النشر الإلكترونية الرئيسية الأخرى. مثل: "امازون" و "أبيل" و "مايكروسوفت". رغم أن هذه الشركات نشرت، خلال سنوات قليلة، أضعاف ما نشر "مشروع قوتنبيرق". لكنها تواجه أمام المحاكم الأميركية قضايا كثيرة عن سرقة حقوق النشر (وصل بعضها إلى المحكمة العليا التي تفسر الدستور).

وهناك "كتب قوقل" التي تنشر الكتب الإلكترونية بتصوير الكتب الورقية بمعدل ألف صفحة كل ساعة.

مع بداية هذه السنة، صورت ونشرت "كتب قوقل" أكثر من عشرين مليون كتاب. ويعتقد أن في العالم ما جملته أكثر من مائة وثلاثين مليون كتاب رئيسي. يعنى هذا أن ما نشر اقل من نسبة عشرين في المائة. لكن، مع تطور تكنولوجيا التصوير والنشر، يتوقع أن يستغرق نشر بقية الكتب ما بين عشرة وعشرين سنة.

وكحل لمشكلة حقوق النشر، تنسق "قوقل" مع مطابع جامعية رئيسية، مثل مطبعة جامعة أكسفورد، ومطبعة جامعة هارفارد، ومطبعة جامعة كاليفورنيا (الأخيرة فيها خمسة وثلاثين مليون كتاب). وأيضا، مكتبة نيويورك (فيها ستون مليون كتاب تقريبا)، ومكتبة الكونقرس، اكبر مكتبة في العالم (فيها أكثر من مائة وخمسين مليون كتاب وملف ودورية).

انتقادات:

مثل مطبعة "قوتنبرق" التي ساعدت على نشر اللغة الألمانية، ساعد النشر الإلكتروني في الولايات المتحدة على نشر اللغة الإنجليزية. وخاصة ملايين الكتب التي صورها ونشرها "مشروع قوقل". لكن، يواجه المشروع الأخير انتقادات من دول لا تتكلم الإنجليزية كلغة رئيسية.

ومن المفارقات أن الألمان يشتكون الآن من هذا التركيز على اللغة الإنجليزية.

وظهرت مشكلة جديدة، وهي تصنيف الكتب الإلكترونية في الإنترنت. وباتفاق شركات كبرى مثل "أبيل" و "قوقل"، وشركات غير أمريكية، تأسس "انترنت أركايفز" (وثائق الانترنت).

يصنف هذا المشروع إلف كتاب كل يوم. وفي سنة 2011، بلغت جملة هذه الكتب التي وضعت في الانترنت أكثر من عشرة ملايين كتاب. هذا غير ملايين الخرائط، والرسومات، والفيديوهات، والاسطوانات، والتحف. وبالنسبة لهذه، تضاف عشرة آلاف وثيقة كل شهر.

وهناك التغيير في المكتبات العامة:

مع بداية القرن الحادي والعشرين، بدأت مكتبات عامة في الولايات المتحدة توفير كتب إلكترونية مجانية للجمهور، وذلك من خلال مواقع هذه المكتبات في الإنترنت. في البداية، كانت أغلبية هذه الكتب الإلكترونية علمية، أو تكنولوجية، أو مهنية، ولم يكن سهلا تنزيلها. (أيضا، بسبب الخوف من التعدي على حقوق النشر لشركات النشر التي نشرت هذه الكتب). لكن، مؤخرا، بدأت مكتبات عامة في تقديم "خدمات شعبية"، وذلك بتوفير روايات وكتب شعبية، ويمكن تنزيلها مجانا.

وفي سنة 2012، قالت إحصائية في أن سبعين في المائة تقريبا من المكتبات العامة في الولايات المتحدة تقدم كتبا إلكترونية مجانية لزوارها (سواء في مبانيها، أو في مواقعها في الإنترنت).

بعد ستمائة سنة:

مؤخرا، نشر جون مان كتاب: "ثورة قوتنبيرق: الاختراع الذي غير العالم" (نشره ورقيا، وفيما بعد الكترونيا). وكتب في المقدمة: "خلال المائة سنة الأولى بعد مطبعة قوتنبيرق، بدا عصر النهضة، وبدا عصر الإصلاح الديني، وبدأ عصر التنوير، وبدأت الثورة الصناعية. تصوروا، ماذا سيحدث خلال المائة سنة القادمة، ونحن الآن بدأنا المطبعة الإلكترونية."

وأضاف: "للذي يريد أن يتصور أكثر، ليتصور الستمائة سنة التي مضت منذ اختراع المطبعة. وليحاول أن يتصور، ليحاول أن يتصور (كرر الجملة) ماذا سيحدث بعد ستمائة سنة."

جاينا تاون» (مدينة الصين) ، واشنطن : الصين تغزو أمريكا؟

أو أمريكا تغزو الصين



(اقرأ: سيطرة أمريكا على الأمم المتحدة).

(اقرأ: الاستعلاء الأمريكي).

جئت إلى "جاينا تاون" (مدينة الصين) في أول يوم لي في واشنطن، سنة 1980. وهي عبارة عن منطقة ثلاثة أو أربع شوارع متعاكسة تمتلئ بمطاعم ومحلات ومكاتب صينية. في ذلك اليوم، كنت ذهبت إلى الكونقرس، ولأول مرة، حضرت جلسة في مجلس الشيوخ.

ثم خرجت من الكونقرس، وتجولت في "ناشونال مول" (الميدان الوطني). هذا واحد من أكبر وأجمل ميادين المدن في العالم. يمتد من الكونقرس في الشرق، عبر تمثال جورج واشنطن التذكاري، وعبر البيت الأبيض، حتى تمثال أبراهام لنكولن في الغرب.

***

كان اليوم صيفا، وكان الأمريكيون والأمريكيات يرتدون ملابس صيفية. وذهلت وأنا أشاهد ملابس الأمريكيات تكاد تكشف أكثر من نصف أجسادهن: شورتات قصيرة تكشف أجزاء كبيرة من الأفخاذ، وقمصان "تي شيرت" تكشف أجزاء كبيرة من الصدور. (انظر حلقة "التعري").

ومن "ناشونال مول"، مشيت غربا، حتى وصلت إلى "جاينا تاون." واستغربت إذا كنت أنا في واشنطن أو الصين. وإذا كانت الصين غزت أمريكا: مطاعم، ومتاجر، ومكاتب، ولافتات، وملابس، وأشكال ناس، كلها صينية. وخلال السنوات التالية، زرت "جاينا تاون" في نيويورك (أكبر)، وزرت أخرى في سانفراسسكو (الأكبر).

قادني فضولي لأجرب أول أكلة صينية. وما كنت اعرف اسمها أول مرة. دخلت المكان، وبلغة انجليزية مكسرة، طلبت "جاينيز ميل" (وجبة صينية). ورد علي الصيني بلغة إنجليزية أكثر تكسيرا، ليعرف أي نوع من الوجبات الصينية، لان هناك عشرات منها. وتدخل ثالث، وشرح له ما أردت، وشرح لي ما قال. وطلب منى صاحب المطعم أن اجلس. وجاء بوجبة "جيكين نودلز" (سباقتي صيني، بدجاج، وبهارات وخضروات صينية، وزيت السمسم، وزيت الصويا المصنوع من فول الصويا).

في ذلك الوقت، لم أكن أعرف حتى ما هي الوجبة الصينية. لكن، فيما بعد، أحببت الطعام الصيني. وبعد الزواج والأطفال، صرنا نذهب إلى مطاعم صينية ربما مرة كل أسبوع. أو نطلبه في المنزل، أو نشتريه ونأكله في المنزل. ووجدت أنه صحي أكثر من الوجبة الأمريكية التي يكثر فيها اللحم والزيت والزبدة. وفيما بعد، بدأت أطبخ وجبات صينية، مثل "شاومين" و "سشوان" و "هونان" و "موقوقايبان". وحتى البط الصيني.

تحديث:

في سنة 1986، عدت إلى "جاينا تاون" (مدينة الصين،) لأشهد احتفال تشييد "جاينا غيت" (بوابة الصين). هذه بوابة عملاقة، كلفت أكثر من مليون دولار، وصممها مهندس معماري صيني هاجر إلى أمريكا. وفيها زخارف وتماثيل وعبارات صينية. واعتبرت دليلا على الصداقة بين الشعبين الأمريكي والصيني. ومع بداية كل سنة صينية (تسمى كل سنة باسم حيوان: سنة الأرنب، سنة الثعلب، سنة الكلب، إلخ ...) صار يقام "جاينيز فيستيفال" (مهرجان صيني)، وفيه موكب يتقدمه تمثال تنين، يطوف بشوارع واشنطن الرئيسية، وينتهي عند بوابة الصين.

ومنذ ذلك الوقت، بدا الخبراء والسياسيون والصحافيون يتساءلون:

هل ستغزو الصين أمريكا؟

أو ستغزو أمريكا الصين؟

تحديث:

في سنة 2011، عدت إلى "جاينا تاون"، ربما للمرة المائة. هذه المرة

"جاينا تاون" (مدينة الصين)، واشنطن:

مع احتفالات السنة الصينية الجديدة، بمناسبة بناء مبنى التلفزيون الصيني (سي سي تي في) العملاق الذي سيذيع قنوات باللغة الإنجليزية، على مسافة ليست بعيدة من الكونغرس والبيت الأبيض. هذه ظاهرة صينية جديدة: بسبب إعجابهم بقوة الإعلام الأمريكي، قرروا منافسته في عقر داره.

في نفس السنة، بدأ الصينيون يصدرون صحيفة "جاينا توداي" (الصين اليوم) من مبنى الصحافة الوطني في واشنطن (مكتبها في نفس الطابق الذي فيه مكتبي، وصرت أتعود على رؤية عدد كبير من الصينيين في الطابق.

رغم أن الصحيفة صغيرة، وتركز على الدعاية للصين، يمكن في المستقبل أن تكون بداية لصحيفة أمريكية يمولها صينيون (مثل صحيفة "واشنطن تايمز" التي يمولها كوريون).

وهكذا، صارت واشنطن عاصمة التلفزيون الصيني باللغة الإنجليزية لكل العالم. وهدف الصينيين هو منافسة تلفزيون "سي إن إن" الأمريكي (أكبر شبكة تلفزيون تغطى العالم).

جاينا تاون" (حي الصين) في واشنطن العاصمة، وعن هذا قال ديفيد بانداروسكي، خبير أميركي متخصص في الإعلام الصيني ويعمل في هونغ كونغ، لصحيفة "واشنطن بوست": "يحب الصينيون أشياء كثيرة في الثقافة الأمريكية. لكنهم يحبونها وهم مكرهون. ليست صينية، لكنها تسيطر على العالم."

هل تغزو الصين أمريكا؟

أو هل تغزو أمريكا الصين؟

شركة "كرافت":

في سنة 2001، بنت شركة "كرافت" الأمريكية (مما تصنع: جبنة، كيك، بسكويت) مصنعا عملاقا في الصين لبيع منتوجاتها. وركزت على بسكويت "أوريو" الذي وجد إقبالا كبيرا من الصينيين. وهو بسكويت مثل ساندوتش صغير. دائرى الشكل، خارجه بسكويت شكولاته سوداء، وداخله كريمة بيضاء.

بعد سنوات، زادت شكوى الصينيين بان الكريمة حلوة جدا، وإن الشيكولاتة سوداء جدا. واضطرت الشركة إلى صناعة "أوريو" فيه ألوان براقة، مثل بسكويت احمر، وكريمة صفراء (لوني العلم الصيني).

في الثقافة الأمريكية، توجد صلة صامتة بين بسكويت "أوريو" (الأسود والأبيض) والعلاقة المتأزمة بين البيض والسود. وتوجد رموز جنسية صامته بين غطاء الشيكولاتة الأسود القوي، وبين الكريمة البيضاء والحلوة جدا. ويسمى أميركيون أوباما بأنه "أوريو". لأن والده أسود ووالدته بيضاء. وأيضا، لأن سلوكه اقرب إلى سلوك البيض منه إلى سلوك السود (أسود في الخارج، وأبيض في الداخل).

لم يفسر الصينيون "أوريو" تفسيرا عرقيا. لكن، التناقض بين اللونين الأسود والأبيض ليس مثيرا بالنسبة لهم. والحلويات الصينية ليست حلوة جدا مثل الأمريكية (التي يكثر فيها السكر). ومتعددة الألوان البراقة.

على أي حال، اضطرار شركة "كرافت" الأمريكية للتأقلم مع الثقافة الصينية مثال لماركة هائلة تتعرض لها الصين:

أولا: ليس شغف الصينيين فقط بالمأكولات والمشروبات الأمريكية. ولكن، أيضا، بملابس الأمريكيين، وعاداتهم. وأيضا بلونهم الأبيض وشعرهم الأشقر.

ثانيا: لم تتردد الشركات الأمريكية في التأقلم على الذوق الصيني. ربما لأن المثل الأمريكي يقول: "لون الدولار أخضر"، إشارة إلى أن الربح لا يعرف ألوانا. سواء سواد الأميركيين الزنوج، أو صفار الصينيين، أو ألوان غيرهم.

ويبدو أن هناك مثلا مشابها في الصين، لأن الصينيين، بعد زيادة قوتهم الاقتصادية والسياسية، لم يتعقدوا بسبب لونهم الأصفر، وعيونهم الضيقة، وقاماتهم القصيرة، ولغتهم المعقدة. بالعكس، بدؤوا يغزون العالم (خاصة وسط سود إفريقيا، وسمر أمريكا الجنوبية). وخلال السنوات القليلة الماضية، بدؤوا يغزون أمريكا (خاصة لأنها تستدين منهم مليارات الدولارات). ليس فقط بشراء ناطحات سحاب، ومصانع، ولكن أيضا بزيادة قوتهم السياسية والإعلامية (خاصة في واشنطن العاصمة).

شركات أخرى:

كرافت:

بالإضافة إلى شركة "كرافت" وبسكويتها وكيكها، هناك:

مثلا: شركة "أمواي" (ترجمتها: الطريقة الأمريكية) التي تبيع أشياء مثل معجون أسنان "كولقيت" وشيكولاتة "سنكرز".

مثلا: شركة "أيفون" التي تبيع منتجات نسائية تجميلية. ولا يهتم الصينيون بأن معظم هذه للبشرة البيضاء والشعر الأشقر. الموضة الجديدة وسط الصينيات هي تبيض بشرتهن، وتذهيب شعورهن. وهناك عيادات تجميل لزيادة فتحة العين، ولتطويل القامة.أخرى:

وعن هذا قال جيمس واتسون، أستاذ علم اجتماع في جامعة هارفارد، ومتخصص في شغف الصينيين بالثقافة الغربية: "يريدون أن يقلدونا في كل شيء، ما نأكل، ونشرب، ونلبس. لقد سئموا عشرات السنين من سيطرة الحزب الشيوعي، وبدلة ماو، والإعلام الحمراء."

وأضاف: "مع المشكلة الاقتصادية الحالية هنا، لم يعد سهلا تطبيق الحلم الأمريكي. لكنهم في الصين يريدون تطبيق الحلم الأمريكي. ويقدرون على ذلك لأنهم لا يواجهون مشكلة اقتصادية. كيف يواجهون مشكلة ونحن نقترض منهم تريليونات الدولارات؟"

وأضاف البروفسير واتسون: "سهل عليهم شراء بنطلونات الجينز وقمصان تي شيرت. لكن، كيف سيقدرون على شراء الروح الأمريكية (أمريكان سبيريت) التي هي في جيناتنا؟"

يقصد البروفسير واتسون شيئين:

أولا: يقصد النظرة الأمريكية الاستعلائية نحو الصين. لكن، من باب التأدب، لا يريد أن يقول ذلك مباشرة. (هذه النظرة الاستعلائية الأمريكية تشمل ربما كل الدول).

ثانيا: يقصد عقدة النقص وسط الصينيين عند نظرتهم للأمريكيين. لكن، من باب التأدب، لا يريد أن يقول ذلك مباشرة. (عقدة النقص أمام الأمريكيين توجد ربما في كل دولة).

عقدة النقص:

عن هذه كتب رونالد قريقمان، صحفي أمريكي متخصص في الصين، وقضى عشرين سنة فيها، ولا يزال. قال إن عقدة النقص وسط الصينيين نحو الأمريكيين تجعلهم:

أولا: يشكون في قدرتهم، رغم مالهم وعددهم.

ثانيا: يحتارون في هويتهم.

ثالثا: يميلون نحو الدفاع عن أنفسهم ضد ما يرونه هجوما عليهم، أو إساءة لهم، حتى إذا لم يكن كذلك.

رابعا: يحسون أنهم "غرباء" على الثقافة الأمريكية، أو، في الحقيقة، "دخلاء" عليها.

وكتب هنرى هام يونغ، أمريكي من أصل صيني، وأستاذ في جامعة كليفورنيا، أن انبهار الصينيين بالأمريكيين، ومحاولة تقليدهم، لهما سببان متناقضان:

في جانب، حب الثقافة الأمريكية.

في الجانب الآخر، منافستها.

لكنه قال أن الصينيين لا يعتبرون ذلك تناقضا. وقال: "إنهم يفكرون بطريقة مختلفة جدا عن طريقة تفكير الأمريكيين."

الحلم الأمريكي:

ربما لهذا قال الصيني كينغ لاي، مدير فرع شركة "ساعاتي ساعاتي" البريطانية للإعلانات في الصين: "بالنسبة لتفكير الصينيين، يريدون ليس فقط تحقيق الحلم الأميركي، ولكن، أيضا، تقمص الروح الأمريكية (سبيريت أوف أميركا)".

وقال إنه غريب أن ثقافة تختلف كثيرا عن ثقافة أخرى تريد تقليدها. بل الانتصار عليها. هذا ربما لم يحدث من قبل في تاريخ الثقافات.

وكتب فريدمان، الصحفي الأمريكي الذي يعيش في الصين، أن الذي يتجول في شوارع شنغهاي، يرى فروع مطاعم "بلانيت"، ومقاهي "ستارباك"، وأيس كريم "باسكين روبنز"، وبتزا "دومينو"، وأندية "نيويورك نيويورك". ويرى لوحات إعلانية عملاقة عن سيجارة "مارلبورو"، وحذاء "نايكي"، ومشروب "كوكا كولا"، وساندوتشات "ماكدونالد"، وشيكولاتة "هيرشي"، ودجاج "كنتاكي". وأيضا "كوان دان"، الاسم الصيني للاعب كرة القدم الأمريكي الأسود مايكل جوردون.

وفى استفتاء محلي عن الشخصية المفضلة، فاز جوردون على ماوتسي تونغ، قائد ثورة الصين.

باميلا أندرسون:

وتعرض دور السينما والانترنت آخر الأفلام الأمريكية. ويتمتع توم كروز، وسلفستر ستالون بشعبية كبيرة. وأيضا، الشقراء باميلا أندرسون، التي يبدو أن كل بنات الصين يردن شعرها الذهبي وبشرتها البيضاء وعينيها الزرقاوتين. كما يبدو أن كل شباب الصين يرغب فيها.

وهناك الشقراء الأمريكية الأبدية: مارلين مونرو.

حسب التقاليد الأمريكية، كل شتاء عندما ينهمر الجليد كثيرا، يبنى الأطفال تماثيل من الجليد. مثل "سنومان" (رجل الجليد) و "سانتاكلوز" (بابا نويل).

وفي الصين، في منتصف الشتاء في مدينة هاربين، يقام معرض لمشاهير ومشهورات مصنوعين من الثلج. وفي قلب الميدان الرئيسي يقف تمثال جليد عملاق للنجمة السينمائية مارلين مونرو (توفيت في منتصف القرن الماضي) وهي تستعرض جسدها بطريقة مثيرة. وأيضا، هي بيضاء مثل بياض الثلج.

لكن، قال كتاب "الصين: صدمة حضارية" للأمريكية انجي إيقان: "بالتأكيد، يوجد عداء لنا، خاصة وسط الجيل القديم. وأيضا، بسبب سيطرة الحزب الشيوعي، ونشاطات مثقفين يساريين. يستغل هؤلاء حقيقة أننا ننظر إلى الصينيين نظرة استعلائية. لكنهم، رغم انتقاداتهم لما يرونه عندنا من إباحية، وتعرية، وأغاني خليعة، وفردية جافة، يعترفون بان جامعاتنا هي الأحسن. وأيضا، يحترمون حريتنا المتمثلة في دستورنا، وقوانيننا، وعدالتنا، وتأدبنا."

وقال الكتاب أن ثقافة الصين تتردد بين "أميركافيليا" (حب الأمريكي) و"أميركافوبيا" (الخوف من الأمريكي). وأن الجيل الجديد يميل نحو الأول، ولهذا يسمى "الجيل المحظوظ"، جيل الإنترنت والتلفزيونات الفضائية والتلفونات الذكية.

كتاب البوابة الذهبية:

وعودة إلى جيمس واتسون، أستاذ علم الاجتماع في جامعة هارفارد المتخصص في الثقافات. سأل: "لماذا نقول أن الثقافة الأمريكية تغزو الصين؟ ألم تصير الثقافة الأمريكية ثقافة عالمية؟ بل ربما ثقافة صينية أيضا؟"

وأضاف: "عندما يتربي طفل في الصين على مسلسل "سيسيمي ستريت" (شارع السمسم) في التلفزيون كل يوم، يصير جزءا من ثقافته الصينية. وعندما يأكل الطفل ساندوتش ماكدونالد، بالنسبة له، ليس الساندوتش أمريكيا.

ربما لأنه لا يعرف حتى ابن أمريكا. لهذا، يصير الساندوتش جزءا من ثقافته الصينية. أو، في الحقيقة، جزءا من ثقافته الشخصية، لأنه ربما لا يعرف حتى انتماءه الوطني."

وأضاف: "عندما يكبر هذا الطفل، ويعرف أن هذا الساندوتش الذي يحبه هو ساندوتش أمريكي، يمكن أن يقول أن الأمريكيين لابد أن يكونوا أكثر تطورا وحضارة. لا يجب أن يقولها، ويمكن فقط أن يحس بها. تصبح جزءا من جيناته."

يعرف بروفسير واتسون كثيرا عن هذا الموضوع لأنه كتب مؤخرا كتاب "قولدن أرش" (البوابة الذهبية في شرق أسيا). ليس إشارة إلى "جاينا تاون" (بوابة الصين) في واشنطن. لكن، إشارة إلى علامة مطاعم ماكدونالد التي انتشرت في كل الصين.

أمام البيت الأبيض : «دورن» تصيد المسلمين من السماء



(اقرأ: إسلاموفوبيا).

(أقرا: سيطرة أمريكا على الأمم المتحدة).

(اقرأ: سجن قوانتانامو).

في سنة 2012، بعد غياب سنة تقريبا، عدت لاقف أمام البيت الأبيض، أحمل لافتتي العملاقة التي تسأل في جانب "ما هو الإرهاب"، وفي الجانب الآخر "ما هو الإسلام؟" بالنسبة لي، صار هذا المكان مثل "عيادة نفسية". آتي إلى هنا كلما زاد غضبي وحزني على سياسة الحكومة الأمريكية نحو المسلمين.

هذه المرة، أغضبتي تصريحات ليون بانيا، وزير الدفاع، وهو يزور الهند وأفغانستان:

أولا: قال: "لن نعتذر عن الدفاع عن أمننا الوطني". وكرر استمرار ضرب طائرات "درون" على "الإرهابيين" في باكستان

وأفغانستان.

ثانيا: قال: "نفذ صبرنا مع باكستان"، في تهديد واضح بأن باكستان تتعاون مع "الإرهابيين" لضرب القوات الأمريكية في أفغانستان.

ثالثا: قال: "حان وقت زيادة تعاوننا مع الهند"، كجزء من خطة تحالف أميركي هندي ضد باكستان، وإيران، وأفغانستان (مستقبلا).

وهكذا، عاد وزير الدفاع الأمريكي إلى خطة الرئيس السابق بوش الابن، الذي كان أعلن "الكرت الهندي."

بعد سنوات قليلة من إعلان الرئيس يوش الابن، بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، ما سماها "الحرب ضد الإرهاب"، صرت أؤمن إيمانا قويا بأنها ليست ألا حربا غير مباشرة، وخفية، ضد المسلمين، إن لم يكن ضد الإسلام. لهذا، اقتنعت بأن "الكرت الهندي" ليس إلا خطة بوش "المسيحي" بتحالف المسيحيين والهندوس ضد المسلمين في تلك المنطقة.

كان هذا هو السبب الأول لحزني وغضبي الذي أعادني إلى "الجهاد الصامت أمام البيت الأبيض". وكان السبب الثاني هو استمرار ضرب طائرات "درون" الأمريكية لأفغانستان وباكستان، وهي ضربات تقتل كثيرا من المدنيين، بالإضافة إلى ما تسميهم أمريكا "الإرهابيين."

الحقيقة هي أن "درون" تصطاد المسلمين من السماء. وأحيانا هم نيام مع نسائهم، وأولادهم، وبناتهم.

وها هو الرئيس باراك أوباما يضاعف ضربات "درون" عشرة مرات عما كانت عليه في عهد بوش. لكن، على الأقل، بوش كان واضحا في أن الله يؤيده فيما كان يفعل بالمسلمين (كتب الرئيس الفرنسي السابق شيراك في مذكراته أنه، أيام غزو العراق، سنة 2003، الذي عارضه، اتصل به بوش تلفونيان، وقال له إن الله أمره بغزو العراق).

لكن، يقتل أوباما المسلمين، وخاصة بطائرات "درون" ويقول أن الموضوع ليست له صلة بالدين.

لهذا، إذا كان بوش عدوا فإن أوباما منافق.

لا اعتقد أن أوباما، وهو في الطابق الثاني في البيت الأبيض (الطابق العائلي)، شاهدني وأنا أعلن "الجهاد الصامت" أمام البيت الأبيض. لكنني سأستمر فيه "حتى الموت!"، كما كتبت في اللافتة. وأعود إليه كلما زاد غضبي، وهذه المرة عليه، وعلى طائرات "درون" التي يقتل بها المسلمون.

قائمة القتل:

لكن، مؤخرا، وجدت بارقة أمل. بعد صمت الأمريكيين لسنوات على اصطياد "درون" للمسلمين، بدا يناقشون الموضوع.

ويرجع الفضل لتقرير رئيسي وطويل نشرته صحيفة "نيويورك تايمز" وفيه تصريحات توماس دونيلون، مستشار الرئيس أوباما للأمن الوطني، بأن أوباما يختار شخصيا أسماء الذين تستهدفهم طائرات "درون". وفيه الإشارة إلى "تيروريست تيوسداي" (ثلاثاء الإرهاب)، إشارة إلى اجتماع أسبوعي يناقش القائمة. في الاجتماع، يدرس أوباما بطاقات، على كل بطاقة اسم الشخص المستهدف، وصورته ومعلومات عنه. ويحدد أوباما من حان وقت قتله، ومن لم يحن، ومن لا يستحق القتل.

وقال وليام ديلي، الرئيس السابق لموظفي البيت الأبيض: "عندما يقتل الشخص المستهدف رقم 20 حسب أهميته، ويقتل سائقه معه، ترتفع أهمية السابق إلى الرقم 21" (رغم أن دوره الإرهابي ربما لا يكون بحسب هذه الأهمية). وقال: "إلى متى نظل نملأ الوعاء بأرقام؟"

خلفية تاريخية:

حسب تقرير الجيش الأمريكي، "عيون الجيش: خريطة طريق أنظمة الطائرات بدون طيار من سنة 2010 إلى سنة 2035"، الاسم الرسمي لطائرات "درون" هو "أنمانذ إيركرافت فيكل" (مركبة طائرة بدون طيار)، ويختصرها العسكريون باسم "يو ايه في" وهو الأحرف الأولى للاسم.

ويقول التقرير: "في غياب طيار، تمكن السيطرة على مركبة هوائية أما بأجهزة داخل المركبة، أو عن طريق "ريموت كنترول" (سيطرة من على بعد) يديره ضابط عمليات عسكرية (طيار عسكري) داخل طائرة أخرى، أو على الأرض."

وحسب كتاب "جين: أجهزة تدار من على بعد"، توجد تطبيقات أخرى لهذا النوع من الطائرات غير التطبيق العسكري. مثل: مكافحة الحرائق، والمحافظة على الأمن، ومراقبة أنابيب النفط الممتدة على مسافات طويلة. وتوجد أسباب غير الخوف على حياة طيار داخل طائرة في عملية عسكرية. مثل أن العملية روتينية، أو رتيبة، أو لا تستحق توظيفا، و رواتب، وتدريبات، وتأمينات على الحياة.

النحلة النارية:

في سنة 1951، اخترع الأمريكيون أول طائرة نفاثة بدون طيار، وسلحوها، وطلوها بلون أحمر، وسموها "فايار بي" (النحلة النارية). إشارة إلى أن "درون"، حقيقة، نحل ذكر، لا يلسع، ولا ينتج عسلا، لكن يقدر على أن يقتل، ويدمر.

في ذلك الوقت، لم تكن "درون" تقلع وتهبط تلقائيا كما تفعل اليوم. كانت تحملها طائرة، ثم تطلقها في الجو. وبعد نهاية مهمتها، تلتقطها طائرة هليكوبتر، أو تهبط بمظلات فيها.

في سنة 1960، ضاعف السلاح الجوي الأمريكي تطوير طائرة "درون" بعد أن أسقط الروس طائرة "يوت تو" التابعة لوكالة الاستخبارات الأمريكية (سى آى إيه)، والتي كان يقودها فرانسيس باورز. كانت تتجسس على القواعد العسكرية الروسية. وفشل باورز في تدمير الطائرة وهي تسقط، لكنه هبط سالما، وأسره الروس. وبدأت ضجة عالمية بين المعسكرين الغربي والشيوعي.

خلال حرب فيتنام (1962-1975)، زاد تطوير طائرة "درون". وبدا العسكريون يستعلمون اسمها الرسمي المشار إليه بالأحرف "يو إيه في". وكان الهدف هو تحاشي إسقاط صواريخ "سام" الروسية، التي كانت تملكها فيتنام الشمالية، للطائرات الأمريكية التي كانت تضرب فيتنام الشمالية.

"الطيار كنز ثمين":

حتى سنة 2012، لم يعقد الكونقرس جلسة استجواب حول "درون" التي تظل تستعمل في أفغانستان، وباكستان، واليمن، والصومال (وربما في أماكن غيرها ليست معروفة). لكن، في جلسة استجواب في الكونقرس في سنة 1973 عن استعمال "درون" في حرب فيتنام، قال عسكريون أمريكيون ما يمكن أن يقوله عسكريون أمريكيون اليوم:

أولا: قال الجنرال جورج براون، قائد العمليات الجوية الأمريكية: "خلال الحرب (وكانت في نهايتها)، وبعد قرابة أربعة آلاف هجوم جوي، قتل خمسة آلاف طيار أميركي، وفقد ألف طيار أميركي. خلال نفس الفترة، أرسلنا تقريبا أربعة آلاف طائرة يو أي في (درون)، وفقدنا منها خمسمائة تقريبا. كما هو واضح، هذه نسبة خسارة أقل كثيرا."

ثانيا: قال الجنرال جون مايار، قائد السلاح الجوي: "نحن نتعمد أن تقوم طائرات "درون" بالعمليات الخطرة التي تشمل حجما كبيرا من المغامرة. نعم، يسقطون (الفيتناميون الشماليون) نسبة كبيرة منها. لكنها تنقذ أرواحا غالية."

"أرواح غالية":

خلال سنوات الرئيس رونالد ريقان (1988–1980) ومع زيادة الميزانية العسكرية، صار شعار "أرواح غالية" هو شعار العسكريين الأمريكيين لتطوير طائرات "درون"، بهدف تخفيض عدد الطيارين الذين يقتلون في المعارك.

ورغم أن "درون" لم تشتهر إلا بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، كانت جاهزة للعمل منذ قبل خمسة عشرة سنة تقريبا. منذ سنة 1995 عندما تسلم البنتاقون من شركة "جنرال أتوميكز" طائرة "بريديتور" (المفترس). وكانت مزودة بصواريخ "هيل فايار" (نار الجحيم).

وحسب كتابا "غوست وورز" (حروب الشبح) الذي كتبه ستيف كول، صحفي كان يعمل في صحيفة "واشنطن بوست"، تمتاز "بريديتور" عن سابقاتها بالآتي:

أولا: تساوي قوة صاروخ "هيل فايار" قوة الصاروخ المضاد للدبابات.

ثانيا: تكشف الكاميرا وجود شخص (بسبب حرارة جسمه) من مسافة ميلين في الجو.

ثالثا: تسيطر على الأرض لمسافة عشرة آلاف ميل تقريبا.

رابعا: ترتبط بأقمار فضائية، وشبكة "جي سى إس" (تحديد المواقع).

خامسا: تستعمل أشعة ليزر لتحديد الهدف، وتدميره.

سادسا: تطير بدون هبوط لخمسمائة ميل تقريبا.

سابعا: تحلق لخمسين ساعة بدون هبوط .

صيد الرجال:

في تاريخ الحروب، ليس صيد قادة القاعدة وطالبان أول صيد لرجال تعتبرهم دولة خطرا عليها. لكن، هذه أول مرة يكون فيها الصيد عن طريق طائرات بدون طيار، بصواريخ من الجو، وأحيانا في الظلام.

وفي تاريخ الحروب، صارت كلمة "مان هانت" (صيد الرجال) كلمة عسكرية:

استهدف الإسكندر الأكبر المقدوني عدوه اللدود داريوس، ملك الفرس، حتى قتله.

واستهدف الرومان عدوهم اللدود هانيبال الإفريقي، حاكم قرطاجنة الذي غزاهم، حتى قتلوه.

واستهدف الأمريكيون زعيم الهنود الحمر جيرونيمو، حتى قتلوه (بعد مائة سنة، كان اسمه هو اسم عملية قتل بن لادن).

واستهدف البريطانيون، بعد أن غزوا السودان في نهاية القرن التاسع عشر، حاكم الدولة المهدية الخليفة عبد الله التعايشي، الذي هرب إلى دارفور، حتى قتلوه.

واستهدف ستالين، دكتاتور روسيا، زميله في قيادة الثورة الشيوعية، بعد أن هرب إلى المكسيك، حتى قتله.

واستهدف الحلفاء في الحرب العالمية الثانية الجنرال الياباني ياماموتو، الذي اشرف على الهجوم على القاعدة الأمريكية في بيرل هاربر، وتابعوه عندما زار جزر سولومون (في المحيط الهادي)، وقتلوه.

واستهدفت حكومة بوليفيا، الموالية للولايات المتحدة شي قيفارا، الثائر اليساري، حتى قتلته (بمساعدة "سى أى إيه).

وفي العراق، بعد غزوه، استهدف الأمريكيون قصي وعدى، ابني الرئيس العراقي صدام حسين، حتى قتلوهما. واستهدفوا "إرهابيين"، منهم: أبو مصعب الزرقاوي، وأبو أيوب المصري، وأبو عمر البغدادي، حتى قتلوهم.

واستهدفت إسرائيل قادة فلسطينيين، مثل: يوسف نجار، وعلى حسن سلامة، وكمال ناصر، وخليل الوزير، وفتحي الشقاقي، ويحي عياش، وأحمد ياسين، وعبد العزيز الرنتيسي، حتى قتلتهم.

نقاش وسط الأمريكيين:

رغم أن المحكمة العليا في إسرائيل قالت أن استهداف الأفراد لقتلهم دستوري، لم يصل الموضوع إلى المحكمة العليا الأمريكية. ولا يعتقد أنها ستقول ذلك عندما يصل الموضوع إليها. ولا يتوقع أن يحدث ذلك قريبا. حتى سنة 2012، لم يصل الموضوع إلى المحاكم. لكن، تعد منظمات حقوق الإنسان الأمريكية (مثل: الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية، وهيومان رايتز ووتش، والمركز الدستوري) العدة لذلك.

وقال جوش بيل، متحدث باسم الاتحاد الأمريكي للحريات المدنية (إيه سى أل يو): "لم نرفع قضية محددة ضد القتل الاستهداف الذي تقوم به الحكومة. رأينا أن نبدأ من الخطوة الأولي، وهي أن نعرف ماذا تفعل الحكومة حقيقة.

لهذا، رفعنا قضية بان تفرج الحكومة عن أي وثائق لها صلة بالموضوع، وذلك حسب قانون حرية المعلومات." وأضاف: "لكن، صار واضحا أن وزارة العدل تتلكأ، ونحن، طبعا، سنواصل مهمتنا."

وقال بيل أن الموضوع سيأخذ سنوات وسنوات. ولهذا، قرروا أن يبدؤوا باستهداف وقتل مواطنين أمريكيين، مثل: أنور العولقي، وابنه عبد الرحمن العولقي (16 سنة)، وسمير خان.

في الجانب الآخر، قال جيمس كارافانو، مدير قسم السياسة الخارجية في معهد "هيرتدج" المحافظ في واشنطن: "لا يمكن الانتصار في أي حرب بخطة دفاعية فقط. لابد من خطة هجومية أيضا. لان الهجوم يحول العدو إلى مدافع، بدلا عن أن يكون مهاجما." وأضاف: "بشهادة جون برينان، مستشار البيت الأبيض ضد الإرهاب، ضربات القاعدة بطائرات "درون" جعلت منظمة القاعدة تتحول من مهاجمة إلى مدافعة. صار هذا واضحا في باكستان، والآن يبدو واضحا في اليمن."

وأضاف: "لا نحتاج لان نعتذر لأي احد. ولا يجب لأي أحد أن يطلب منا أن نعتذر."

مثل هذا الاستعلاء والظلم الأمريكي على المسلمين هو الذي يحيرني، ويغضبني، ويحزنني، ويجعلني أعود إلى "الجهاد الصامت" أمام البيت الأبيض، وأسال: "ما هو الإرهاب؟" و "ما هو الإسلام؟"

هذه هي عيادتي النفسية التي تخفف من حزني ومن غضبي، بعد التوكل على الله.

موقع «أمازون» : كتب الرؤساء ، وكتب عنهم

(اقرأ: فضائح السياسيين الجنسية)

(اقرأ: عندما يعتذر السياسيون)

في عام 2012، ذهبت إلى موقع "أمازون" بحثا عن عدد الكتب التي صدرت عن رؤساء أمريكيين. لا اعتقد انه، في أي مكان، وفي أي زمان، كتب الناس كتبا عن رؤسائهم (وملوكهم، وأمرائهم) مثلما كتب الأمريكيون. وأيضا، كتب رؤساء (وملوك وأمراء) عن أنفسهم مثلما كتب الأمريكيون.

خلفية تاريخية:

منذ تأسيس الولايات المتحدة (سنة 1767)، وتحت الدستور الأمريكي، ظلت الحرية الأمريكية هي الأكثر، والأعلى، والأهم، في كل العالم، وفي تاريخ العالم. وخاصة حرية التجمع، والتظاهر، والكلام، والكتابة. وخاصة حرية الصحافة. حتى أكثر من بريطانيا (أم الديمقراطيات)، لا تنتقد صحف رؤسائها مثلما تنتقد الصحف الأمريكية رؤسائها.

لكن، ظاهرة كتابة كتب عن الرؤساء، وبأقلام الرؤساء، ظاهرة جديدة. حتى منتصف القرن العشرين لم يكن الرؤساء يكتبون عن أنفسهم بعد نهاية فتراتهم في البيت الأبيض (طبعا، كتب بعضهم قبل أن يصبحوا رؤساء. إما قبيل الحملات الانتخابية، كنوع من الدعاية، أو لأنهم كانوا كتابا، أو أساتذة جامعات. مثل الرئيس وودرو ويلسون (1913-1921) الذي كان أستاذ تاريخ في جامعة برنستون (ولاية نيوجيرسي)، ثم رئيسا لها.

لكن، لم يكتب كتابا بعد أن خرج من البيت الأبيض.

ولم تكتب عنه كتب إلا بعد سنوات من وفاته. وأحسن كتب كتبت عنه كانت بعد مرور أكثر من ثلاثين سنة على خروجه من البيت الأبيض (حسب قانون الوثائق الأمريكية، تنشر الوثائق الحكومية بعد مرور ثلاثين سنة من كتابتها).

ونفس الشيء تقريبا عن الرئيس فرانكلين روزفلت (1933-1945). كتب كتابا واحدا قبل أن يصير رئيسا. ولم يكتب أي كتاب بعد أن خرج من البيت الأبيض (طبعا، ترك خطبا، وتقارير، وأراء، وتصريحات).

غير أن الرئيس هاري ترومان (1945-1953) لم يكتب كتبًا، لا قبل أن يدخل البيت الأبيض، ولا بعد أن خرج منه (كان يسمى "الرئيس الشعبي" لأنه كان مزارعا في ولاية ميسوري قبل أن يبدأ العمل السياسي.

ونفس الشيء تقريبا عن الرئيس دوايت أيزنهاور (1953-1960). وهو "الرئيس الجنرال" لأنه قاد قوات الحلفاء، وانتصر، ضد تحالف ألمانيا النازية، وايطاليا الفاشية، واليابان الإمبريالية. وغريب أنه لم يكتب عن هذا السجل الطويل والمكثف من إسهامات عسكرية وسياسية، كانت نادرة في التاريخ الأمريكي.

غير أن الرئيس جون كنيدي (1961-1963) كان أول رئيس من "الجيل الجديد" (رؤساء ولدوا خلال القرن العشرين) الذي رسخ عادة كتابة رؤساء لكتب قبل أن يدخلوا البيت الأبيض، كجزء من دعايات انتخابية، ولتسجيل انجازات رآها هامة. (طبعا، لم يكتب كتبا بعد أن اغتيل عام 1963). من كتب كنيدي: "قصص في الشجاعة" عن السنوات التي قضاها يحارب في الحرب العالمية الثانية في المحيط الهادي ضد اليابان.

بعد كنيدي، جف قلم الرئيس لندون جونسون (1963-1968).

ثم جاء الرئيس رتشارد نيكسون (1968-1974) ليسجل رقما قياسيا في عدد الكتب التي كتبها، قبل وبعد البيت الأبيض. كتب أكثر من عشرة كتب رصينة، غير مجموعات خطبه، وتصريحاته، وتقاريره. من الكتب التي كتبها بعد البيت الأبيض: "لنستغل الفرصة: التحدي أمام أمريكا بعد أن صارت الدولة العظمى الوحيدة" (سنة 1992).

كتب الرئيس جيرالد فورد (1974-1976) كتابا واحدا بعد أن خرج من البيت الأبيض.

ثم جاء الرئيس جيمي كارتر (1976-1980) ليسجل رقما قياسيا، ويتفوق على الرئيس نيكسون. كتب، ولا يزال يكتب (حتى سنة 2012) خمس عشرة كتابا. واحدا منها مع زوجته روزلين، وواحد مع بنتهما أيمي.

وكتب الرئيس رونالد ريقان (1980-1988) كتبا قبل أن يدخل البيت الأبيض. وبعد أن خرج من البيت الأبيض، كتب قصة حياته، وجمع آخرون أوراقه، وخطبه، وخطاباته، وكتبوا كتبا باسمه.

لم يكتب الرئيس بوش الأب (1988-1992) كتابا، لا قبل ولا بعد خروجه من البيت الأبيض،غير كتاب، بعد البيت الأبيض بالاشتراك مع برنت سكروكوف، صديقه ومستشاره.

وكتب الرئيس بيل كلينتون (1992-2000) كتبا قبل وبعد البيت الأبيض. منها كتاب "بين الأمل والتاريخ"، قبل البيت الأبيض، وبعد البيت الأبيض، كتاب مذكراته: "حياتي"، ثم "التبرع: كيف يستطع كل واحد منا أن يغير العالم".

وكتب الرئيس بوش الابن (2001-2009) كتبا قليلة، منها واحدا بعد أن ترك البيت الأبيض، عن تاريخ حياته: "نقاط إصدار قرارات".

وكتب الرئيس باراك أوباما (2009، 1916) كتاب "أحلام والدي" وكتاب "جرأة أن نحلم" قبل أن يدخل البيت الأبيض. ولابد أن يكتب كتبا، ربما كثيرة، بعد أن يخرج (وهو في البيت الأبيض، كتب: "أغني لكما: خطابات إلى بنتيي").

كتب عن رؤساء:

حسب إحصائية موقع "أمازون":

كتب ثمانمائة كتاب تقريبا عن أوباما، وسياساته (وهو لا يزال في البيت الأبيض).

وخمسمائة كتاب تقريبا عن بوش الابن (أغلبها عن حروب الإرهاب وأفغانستان والعراق).

وأربعمائة كتاب تقريبا عن كلينتون (بعضها عن علاقاته الجنسية مع نساء غير زوجته).

ومائة كتاب تقريبا عن بوش الأب (أقل الرؤساء في التاريخ الحديث كتابة عن نفسه، وكتابة عنه).

وسبعمائة كتاب تقريبا عن ريقان (أكثر الرؤساء في الكتابة عنه).

كتب عن روزفلت:

لم تكن هناك "صحافة شفافية"، ولم تكن هناك "كتب شفافية"، عندما كان روزفلت رئيسا، لتحاسبه. وكان أكثر موضوع يستحق المحاسبة هو تقصير حماية القاعدة العسكرية الأميركية في بيرل هاربر عندما هجم عليها اليابانيون.

لكن، لم تنتقد صحيفة روزفلت في هذا الموضوع أو أي موضوع آخر.

ومضت ست سنوات على بيرل هاربر، وسنتان على وفاة روزفلت، قبل أن يصدر الصحافي جورج مورقنشتيرن كتاب "بيرل هاربر: قصة الحرب السرية". وانتقد ديمقراطيين الكتاب والمؤلف. وقالوا أن المؤلف "يميني يعمل في جريدة يمينية (شيكاغو تربيون)".

وحتى عندما اصدر، بعد ذلك بسنة، شارلز بيرد، ليبرالي، وأستاذ تاريخ في جامعة ييل (ولاية كونيتيكات) كتاب "روزفلت وتوقع الحرب"، وكرر نفس النقد، اتهمه ديمقراطيون ب"مراجعة التاريخ."

لكن، انتظر التاريخ ستين سنة، حتى أصدر، في سنة 1999، روبرت ستينيت، صحافي جمهوري، وصديق للرئيس بوش الأب، كتاب "حقيقة روزفلت وبيرل هاربر". واعتمد الكتاب على وثائق قديمة كشفت أن ضابطا في الاستخبارات الأمريكية قدم تقريرا إلى روزفلت عن أهمية الاستعداد لهجوم على بيرل هاربر، قبل الهجوم بسنة. لكن، لم يهتم روزفلت بذلك.

ولان قانون الوثائق الأمريكية يسمح بكشفها بعد ثلاثين سنة، وجد المؤلف، وغيره، معلومات كثيرة لم يكن في الإمكان نشرها في الماضي. بل، وربما حتى إذا كان ذلك ممكنا، لم يكن نقد الرؤساء مقبولا (خاصة لان سنوات رئاسة روزفلت كانت سنوات الحرب العالمية الثانية. والأمريكيون، مثل أي شعب آخر، يفضل الوقوف وراء رئيسه وقت الكوارث).

كتب عشيقتي روزفلت:

بالإضافة إلى الوثائق، بعد وفاة روزفلت، كتب عنه ناس كانوا يعرفونه. كان أهم واحد هو جوناثان داينال، الذي عمل مساعدا لروزفلت. وكشف كتابه "الوقت بين الحربين (العالميتين: الأولى والثانية) تفاصيل عشيقتين لروزفلت:

الأولى: لوسي ميرسر، خلال سنوات الحرب العالمية الأولى، وقبل أن يصبح رئيسا، كانت سكرتيرة زوجته إلينور روزفلت. وبعد أن كشفتها الزوجة، ومرات كثيرة هددت الزوجة الزوج بالطلاق إن لم يوقف علاقته مع العشيقة. لكن، تدخلت أم روزفلت بحجة أن كشف الفضيحة سيؤثر على فرص زوجها السياسية في المستقبل (عندما توفى روزفلت، بعد ذلك بأكثر من عشرين سنة، كانت العشيقة حاضرة.

الثانية: مارجريت ستاكلي، خلال الحرب العالمية الثانية، وقبلها بقليل، عندما صار روزفلت رئيسا، كانت مساعدته، وعشيقته. وفصل كتاب "هايد بارك أون هدسون" (منزل آل روزفلت الذي يقع على نهر هدسون في ولاية نيويورك) العلاقة. ومرة أخرى، كانت الزوجة إلينور تعرف، ولكنها، هذه المرة، لم تهدد بالطلاق. كانت كبرت، وأيضا كبر زوجها. ومثل العشيقة الأولى، عندما توفى روزفلت، كانت حاضرة.

كتب عشيقة أيزنهاور:

مثل ما حدث لروزفلت، غابت "كتب الشفافية"، واستمرت "الكتب المؤدبة" لثلاثين سنة بعد وفاة الرئيس دوايت أيزنهاور. ولم يجرؤ صحافي، أو يستقيل موظف، لكشف أسرار إدارة الرئيس أيزنهاور التي استمرت ثمانية سنوات (1960-1954).

حتى صدر كتاب "أيزنهاور" الذي كتبه بيتر بويل، وكشف فيه خطابات سرية وشخصية كتبها أيزنهاور لوزرائه، وأصدقائه، وأفراد عائلته. وكشف الكتاب أن أيزنهاور لم يهتم في البيت الأبيض كثيرا بإدارة البلاد.، وقضى وقتا كثيرا يلعب الغولف. ولم يهتم بالتفرقة العنصرية التي عاني منها السود، خاصة في ولايات الجنوب.

لكن الكتاب لم يركز على أخطاء أيزنهاور، بل ركز على "سجله كرئيس أميركي بنى أميركا القوية، وكان مثل الأب للشعب." وبرر الكتاب تقصير أيزنهاور في الدفاع عن حقوق السود بأنه كان لإرضاء أعضاء الكونغرس من ولايات الجنوب.

ومثل علاقات روزفلت الجنسية مع نساء غير زوجته، أهملت الصحف والكتب علاقات مشابه للرئيس أيزنهاور. خاصة، عشيقته البريطانية كيت سمربي. كان ذلك خلال الحرب العالمية الثانية، عندما كان الجنرال أيزنهاور قائدا لقوات الحلفاء في أوروبا (كانت قيادتهم في لندن)، وكانت سمربي جندية تقود السيارة العسكرية الخاصة بأيزنهاور.

حتى سنة 1948، عندما كتبت السائقة كتاب مذكراتها، وعنوانه: "أيزنهاور واز ماي بوص" (أيزنهاور كان رئيسي). ولم تكتب فيه أي شيء عن أي علاقة جنسية.

لكن، بعد عشرين سنة، بعد أن صار أيزنهاور رئيسا للولايات المتحدة لثماني سنوات، وبعد تقاعده، وبعد وفاته، كتبت كتاب مذكرات آخر، وعنوانه: "قصة غرامي مع الجنرال أيزنهاور". وفيه كتبت تفاصيل العلاقة. وقالت أنها لم تكتب عن العلاقة في الكتاب الأول حتى لا تسيء إلى سمعة أيزنهاور وهو ينوى أن يدخل العمل السياسي.

كتب عشيقات كنيدي:

وبعد أيزنهاور، كان بنجامين برادلى، مدير تحرير تنفيذي في جريدة "واشنطن بوست" يقدر على كتابة كتاب يكشف أسرار الرئيس جون كنيدي (1963-1960). ويقدر،أيضا، على نشر تقارير مثيرة في الجريدة عن هذا الموضوع. وخاصة عن مغامرات كنيدي الجنسية.

لكن برادلي لم يفعل ذلك لأنه كان صديق كنيدي. ولأن زوجته "توني" كانت شقيقة ماري مايار، واحدة من عشيقات كنيدي، وكان قابلها في منزلهما.

لم يملك برادلي الشجاعة لكشف أسرار صديقه الرئيس. حتى بعد أن قدمت له العشيقة مذكراتها الخاصة وفيها تفاصيل مثيرة. وحتى بعد أن اغتيلت العشيقة في ظروف غامضة لم تكشف.

لكن، بعد اغتيال كنيدي صدرت كتب كثيرة عن مغامرات الجنسية (انظر: فضائح السياسيين).

كتب عن نيكسون:

من أهم الكتب التي كتبت عن الرئيس نيكسون كتاب فضيحة "ووترقيت" التي سببت في استقالته سنة 1974: "كل رجال الرئيس" الذي كتبه الصحفيان وودوورد وبيرنشتاين، الصحفيان في صحيفة "واشنطن بوست". وكشفا فيه أن نيكسون كان يعلم بسرقة وثائق من مكاتب الحزب الجمهوري في مبنى ووترقيت. رغم أن نيكسون نفى ذلك، وهدد بالتحقيق مع برادلي، رئيس تحرير "واشنطن بوست."

(لماذا حرص برادلي على كشف أسرار نيكسون الجمهوري، لا أسرار كنيدي الديمقراطي؟ أجاب برادلي، في كتاب مذكراته، بأن الصحفيين في زمن كنيدي كانوا يفصلون بين المواضيع السياسية والمواضيع الشخصية).

كتب عن ريقان:

لكن الرئيس ريقان (1980-1988) كان جمهوريا أيضا، لكنه كان أكثر شعبية من نيكسون (ربما لأنه كان ممثلا سينمائيا لامعا). ولم يجرؤ، ربما لهذا السبب، صحفي، أو يستقيل موظف، لكشف أسرار إدارته.

لكن، في سنة 1989، استقال دونالد رقان، وزير الخزانة، وكتب كتاب "للتاريخ" عن بعض الأسرار، منها أن نانسي ريقان، زوجة الرئيس، كانت تعتمد على قارئة كف في كاليفورنيا لتحديد برنامج زوجها، خوفا من "العين الشريرة". لكن، لم يملك الوزير الشجاعة ليصدر الكتاب، حتى خرج ريقان من البيت الأبيض. (ولهذا لم يهزه).

وفي عهد ريقان، كتب وودوورد كتاب "الحجاب"، وكشف فيه دور وكالة الاستخبارات المركزية في نيكاراقوا والسلفادور والشرق الأوسط. لكن، لم يملك وودوورد الشجاعة لينتقد ريقان مباشرة (انتقد وليام كيسي، مدير الاستخبارات المركزية)، ولم يصدر كتابه إلا بعد أن خرج ريقان من البيت الأبيض أيضا. (ولهذا لم يهزه).

ومن المفارقات أن الشخص الذي كلفه ريغان بكتابة قصة حياته، أدموند موريس، كتب أسرارا عنه أكثر من غيره. قال أن ريقان كان ينام خلال اجتماعات مجلس الوزراء. ولم يجرؤ وزير علي نقده خلال اجتماعات مجلس الوزراء. واهتم بإلقاء الخطب أكثر من إدارة الدولة. ولم يحب شيئا مثل أن يجلس إلى جوار نانسي، ويتغطيا بلحاف مشترك، ويشاهدا أفلام الكاوبوي القديمة.

"حالة إنكار":

لم يهز كتاب البيت الأبيض مثلما هزه كتاب "حالة إنكار"، عن الرئيس بوش الابن، الذي أصدره، سنة 2007، بوب وودوورد، مساعد مدير تحرير جريدة "واشنطن بوست". أصدر البيت الأبيض، يوم صدور الكتاب، تقريرا رد على مواضيع في الكتاب، نقطة بعد نقطة. وظهر مسؤولون من البيت الأبيض في قنوات تلفزيونية للدفاع عن بوش. وصار الكتاب جزءا من الحملة الانتخابية التي ستجرى في الأسبوع الأول من الشهر القادم.

كشف الكتاب، اعتمادا على مقابلات مع مسؤولين كبار في البيت الأبيض، أن بوش لم يقل الحقيقة عندما طمأن الأمريكيين عن الوضع في العراق. وأنه كان يعرف أن أخطاء كثيرة ارتكبت هناك. وأنه رفض فصل دونالد رمسفيلد، وزير الدفاع، أو طلب استقالته، رغم أن بعض وزرائه ومستشاريه نصحوه بذلك. (ونصحته بذلك، أيضا، زوجته لورا).

لكن، أصدر وودوورد، قبل هذا الكتاب، كتابين لم يهزا البيت الأبيض، بل وأفرحاه: الأول: "بوش في الحرب"، عن غزو أفغانستان.

والثاني: "خطة الهجوم"، عن غزو العراق.

اشترى البيت الأبيض مئات النسخ من الكتابين. وشجع قادة الحزب الجمهوري على شراء وتوزيع الكتابين. وفعلا، استعمل هؤلاء فقرات إيجابية عن بوش في الكتابين في الانتخابات.

وهكذا، قدم وودوورد دعاية كبيرة لبوش في الكتابين، وأظهره وكأنه "بطل الحربين": أفغانستان والعراق. بينما هز الكتاب الثالث البيت الأبيض لأنه قدم بوش وكأنه "كذاب" و "ناكر" لنتائج كذبه.

"حالة حرب":

وفي سنة 2008، هز البيت الأبيض، مرة أخرى، كتاب "حالة حرب" الذي كتبه جيمس ريسين، مراسل جريدة "نيويورك تايمز" في واشنطن. كشف الكتاب تجسس الحكومة الأميركية على اتصالات التلفون، والإنترنت الدولية بين الولايات المتحدة ودول أخرى (خاصة الدول الإسلامية). وعلى اتصالات داخل أمريكا. (كتب المؤلف، قبل صدور الكتاب، تقريرا عن الموضوع في جريدته).

لكن البيت الأبيض عرف، مسبقا، أن الصحافي ريسين حصل على هذه المعلومات، وطلب من رئيس تحرير جريدة "نيويورك تايمز" عدم نشرها، أو تأجيل نشرها. وانتظر رئيس التحرير سنة كاملة قبل أن ينشرها في الجريدة. وعندما نشرها، انتقدها البيت الأبيض، وطلب أعضاء ينتمون إلى الحزب الجمهوري في الكونقرس من مكتب التحقيق الاتحادي (أف بي آى) التحقيق مع رئيس التحرير.

"رجال بيض أغبياء":

أول كتاب هز بوش، بل وهز الشعب الأميركي كله، كان كتاب "رجال بيض أغبياء" الذي الفه، في سنة 2001، مايكل مور، صحافي ومخرج سينمائي. (اخرج، بعد ذلك بسنتين، فيلم "911"، الذي أيضا هز بوش والشعب الأمريكي. وأيضا، شن عليه البيت الأبيض هجوما عنيفا).

كتب مور كتابه الأول قبل هجوم 11 سبتمبر. وانتقد الشهور الستة الأولى من إدارة بوش، وقال: "هناك رجال بيض أغبياء يسيطرون على حكم الأمة، وعلى رأسهم رئيس الأمة." لكن، قالت دار نشر "هاربر آند كولنز": "يحتم الهجوم الإرهابي تأجيل نشر هذا الكتاب بسبب حساسية الموضوع للشعب الأميركي." وطلبت من المؤلف حذف أجزاء الكتاب التي تنتقد بوش لأنها "مؤذية سياسيا خلال هذه الظروف الحرجة". ورفض المؤلف، وساعدت المشكلة على زيادة توزيع الكتاب عندما صدر بعد الهجوم بستة شهور.

***

"استعلاء إمبراطوري":

في سنة 2007، أيضا هز البيت الأبيض كتاب :"استعلاء إمبراطوري: لماذا يخسر الغرب الحرب ضد الإرهاب؟" الذي كتبه مايكل شوير الذي كان مسئولا عن قسم متابعة أسامة بن لادن في رئاسة وكالة الاستخبارات المركزية (سي آي إيه). وقال الكتاب أن خطة الرئيس بوش لمحاربة الإرهاب تزيد الإرهاب. وانتقد الكتاب غزو العراق لأنه حول الأنظار عن بن لادن.

هز الكتاب البيت الأبيض لسببين:

أولا، للأسرار التي كشفها.

ثانيا، لأن جورج تينيت، مدير الاستخبارات المركزية السابق، سمح لمؤلف الكتاب إصدار كتابه كرد على حملة البيت الأبيض ضد تبنيت (وقول البيت الأبيض أن تبنيت يتحمل مسؤولية تقديم معلومات كاذبة عن أسلحة الدمار الشامل في العراق).

"كاسر الفك":

وواجه البيت الأبيض، و "سي أي إيه" انتقادات عنيفة في كتاب صدر سنة 2007: "كاسر الفك: مطاردة بن لادن: سرد شخصي لمسؤول في الاستخبارات المركزية." كتب الكتاب غاري بيرنستين، الذي كان مسؤولا في الاستخبارات المركزية عن مطاردة بن لادن على الحدود بين أفغانستان وباكستان. وقال، مثلما قال الكتاب الأول، أن حرب العراق قللت من جهود مطاردة بن لادن.

في نفس الوقت، رفع مؤلف الكتاب قضية ضد الاستخبارات المركزية. وقال إنها رفضت نشر أكثر من ستين صفحة (بحجة حماية الأمن الوطني) مما جعل الكتاب ناقصا.

وقدم محامي الاستخبارات المركزية ردا قال فيه: "لا يرفض المدير (مدير الوكالة) طلب الموظفين لنشر كتب عن سنواتهم مع الوكالة. لكن، يلتزم المدير بالمحافظة على المصادر والمعلومات الاستخباراتية، مما يحتم مراجعة ما سينشر الموظفون قبل نشره. غير أن ذلك سيكون بطريقة بسيطة وعقلانية."

لهذا، يبدو أن المشكلة ليست فقط أن ينشر شخص صحفي كتابا يهز الحكومة، ولكن، أيضا، أن ينشر مثل هذه الكتب موظف عمل فيها. وبينما لا تقدر الحكومة على منع الصحفي من ذلك، تقدر على منع موظفها (ولهذا يستقيل الموظف الذي يريد نشر كتاب ينتقد الحكومة). وبينما يركز الكتاب الذي يكتبه صحفي على كشف أسرار، يركز الكتاب الذي يكتبه موظف على التفاصيل. وبينما يعتمد الصحفي على مصادر موثوقة بها، يعتبر الموظف نفسه مصدرا موثوقا به.

"ثمن الولاء":

واحد من الموظفين الذين استقالوا خلال إدارة بوش الابن وكتب كتابا هز البيت الأبيض، كان بول أونيل، وزير الخزانة، الذي أصدر كتاب "ثمن الولاء. قال فيه أن بوش دخل، خلال الشهور الأولى لرئاسته، اجتماعا لمجلس الوزراء، واستعمل إصبعه الوسط ليسيئ إلى الرئيس العراقي صدام حسين، ويقول إنه سيقضي عليه. وصار الكتاب أول مصدر موثوق به يؤكد أن بوش نوى غزو العراق حتى قبل هجوم 11 سبتمبر سنة 2001.

وفي سنة 2002، استقال، أيضا، رتشارد كلارك، مستشار البيت الأبيض للإرهاب، وكتب كتاب "ضد كل الأعداء". وقال إنه، عندما كان يعمل مستشارا للرئيس كلينتون، جمع معلومات عن توقع هجوم إرهابي كبير على أمريكا، وقدم المعلومات إلى الرئيس الجديد بوش، لكن، لم يفعل بوش شيئا حتى وقع هجوم 11 سبتمبر.

وجمع اسم الكتاب، "كل الأعداء"، بين أعداء أمريكا، وأعداء مؤلف الكتاب، لأن بوش قال إن كلينتون (ومستشاريه، وكان مؤلف الكتاب واحدا منهم) قصروا في عدم قتل بن لادن قبل هجوم 11 سبتمبر.

في «وول ستريت» (شارع المال في نيويورك) : ثقافة المال



(اقرأ: رأسماليون قدامى)

(اقرأ: أبو الفكر الرأسمالي)

(اقرأ: الصين وأمريكا)

جئت إلى "وول ستريت" (شارع المال في نيويورك) أول مرة سنة 1981. ثم زرته بعد ذلك مرات كثيرة. زرت "ستوك أكسجينج" (سوق الأوراق المالية)، الأكبر في العالم. لكن، أكثر المرات كانت لحضور مؤتمرات اقتصادية، وخاصة للغرفة التجارية العربية، ولاتحاد البنوك الأمريكية العربية.

ويمكن اعتبار "وول ستريت" قلعة الرأسمالية الأمريكية. ويمكن اعتبار الرأسمالية من أركان الحضارة الأمريكية، بالإضافة إلى أركان أخرى، مثل: العدالة، والحرية، والعلوم، وحكم القانون، والثقافة، والعمل، والترفيه، حتى وقت قريب، لم أكن اعرف الأهمية الحقيقية للرأسمالية في الحضارة الأمريكية. رغم أني أعيشها يوما بعد يوم. عرفت أهمية

البنوك، والقروض، والأرصدة، والاستثمارات من الممارسات اليومية، مثل شراء بيت، أو سيارة، أو الحصول على قروض تعليم الأولاد في الجامعات.

لكن في سنة 2008، وقعت الأزمة المالية الأمريكية والعالمية. وكاد النظام المالي الأمريكي أن ينهار (لولا قروض من الحكومة، ترليون دولار تقريبا). وكادت دول مثل أيسلندا، وأيرلندا أن تفلس (لولا قروض من البنك الأوروبي وصندوق النقد الدولي).

عندها، سألت نفسي: هل يعقل أن تفلس دولة "متحضرة ومتطورة ومتقدمة" مثل أيسلندا، وايرلندا (ثم إيطاليا، وإسبانيا، والبرتغال، واليونان)؟

وبدأت أحاول معرفة الرأسمالية معرفة حقيقية.

في سنة 1992، بعد زيارة إلى "وول ستريت" (شارع المال في نيويورك)، قرأت كتاب "موني كلشر" (ثقافة المال) الذي كتبه الصحافي مايكل لويس، الذي يعمل في صحيفة "نيويورك تايمز". في ذلك الوقت، كادت أن تحدث أزمة اقتصادية أخرى عندما انخفضت الأسهم في "وول ستريت"

بعد إفلاس "سيفنغ آند لون" (بنوك توفير وتسليف صغيرة، انتشرت هنا وهناك، ثم عجزت عن تمويل نفسها، ومثلما حدث سنة 2008، تدخلت الحكومة، وأنقذتها).

إرهابيون اقتصاديون:

قبل عشرة سنوات من هجوم 11 سبتمبر (سنة 2001) على أمريكا، وإعلان بوش الحرب ضد الإرهاب، نشر كتاب "ثقافة المال" عبارة "إرهابيين اقتصاديين"، إشارة إلى رؤساء ومديري بنوك ومؤسسات استشارية تعمل في "وول ستريت". وقال أنهم:

أولا: طماعون.

ثانيا: غير مسؤولين.

ثالثا: إرهابيون، تجب محاكمتهم وسجنهم.

لكن، حمل الكتاب المواطن الأمريكي العادي المسؤولية أيضا. وقال: "كل من يقبل عرضا مغريا من شخص غريب يجب أن يشك في العرض وفي الشخص."

وقال انه يعرف ما يكتب لأنه، لعدة سنوات، عمل سمسارا في بنك "سولون" الاستشاري (أفلس مؤخرا) في نيويورك.

خلال تلك السنوات، اكتشف، مثلا، أن بطاقة "أمريكان إكسبرس" انتشرت بسبب خطة نفسية تهدف إلى إقناع الناس بأن الذين يحملونها هم أكثر الناس تعليما، وثقافة، و"حضارة."

وخلال تلك السنوات، نال نصيبه من "وول ستريت كرسماس" (في نهاية كل سنة، توزع البنوك والمؤسسات الاستثمارية مكافآت خيالية، بالإضافة إلى الرواتب الخيالية.) وخلال تلك السنوات، كان مؤلف الكتاب مستثمرا شابا. كان تخرج مؤخر أمن كلية إدارة الأعمال في جامعة هارفارد، واشترى منزلا بمليون دولار، وسيارتي "بي إم دبليو".

الاستعلاء:

شرح كتاب "ثقافة المال" ثقافة المال في أربع كلمات: أولا: استعلاء. ثانيا: ترف. ثالثا: طمع. رابعا: خوف.

وقال أن الأمريكي العادي يعتقد (دائما، وكثيرا، وبدون تفكير، وكأنما هو شيء طبيعي) انه، وسط بقية سكان العالم، الأقوى عسكريا، والأغنى اقتصاديا، والأكثر حرية، والأعلى حضارة. لم يعترض الكتاب على ذلك. لكنه فرق بين شيئين:

أولا: "سيوبيريوريتي" (التعالي): التفوق على الآخرين.

ثانيا: "سيوبيريوريتي كوملبكس" (عقدة التعالي، أو الاستعلاء): الإحساس بالتفوق على الآخرين.

وفرق الكتاب، أيضا بين الاستعلاء والوطنية. وقال أن الوطنية موجودة في أي وطن. لكن، يعتقد كثير من الأمريكيين أنهم أكثر وطنية من غيرهم.

واحدة من أشهر الأغاني الوطنية الأمريكية هي: "بورن أن ذا يو إس إيه" (ولدت في الولايات المتحدة الأمريكية)التي يغنيها بروس سبرنقستين. رغم أن جزءا كبيرا منها ضد التدخل الأمريكي في فيتنام، وضد ظاهرة الفقر والبؤس في شوارع أمريكا، تعتبر الأغنية وطنية جدا. ويردد الأمريكيون "بورن أن ذي يو إس إيه" مرات، ومرات، ومرات، في فخر ربما لا يجاريه فخر آخر.

ويردد الأمريكيون، أيضا، أغنية وطنية قديمة هي: "أميركا ذا بيوتفيل" (أمريكا الجميلة)، وعمرها أكثر من مائة سنة. تقول بعض مقاطعها: "أيتها الجميلة. حلم الأبطال. إلى ما وراء السنين. ليصب الله رحمته عليك. ويضع تاج الخير فوق تاج الإخوة. من بحر إلى بحر."

قال كتاب "ثقافة المال" أن إحساس الوطنية والفخر عند الأمريكي ربما لا يختلف عن إحساس غير الأمريكي. لكن، يؤمن الأمريكي إيمانا قويا بأن إحساسه هو الأحسن. وربما لن تكن هذه مشكلة إذا لم يعتقد أن ذلك "رخصة" له ليفعل ما يريد.

المتعة:

وربط الكتاب بين الاستعلاء والنظام الرأسمالي. وقال أن الأميركي يعتقد أن الاستعلاء "رخصة" له ليستمتع بالحياة أكثر من غيره. وقال الكتاب: "يفعل الأمريكي ما يريد بأن يستمتع بالحياة كما يريد."

وتقول أغنية أمريكية مشهورة: "أريد أن العب البولو مع رالف لورين (مصمم أزياء). أريد أكثر سيارة رفاهية في العالم. سيارة تطير بي إلى فلوريدا. لأشرب أحسن النبيذ. وأحسن الويسكي. وانزل في أفخم الفنادق. وأقابل أجمل البنات ... "

لكن، إنصافا للثقافة الرأسمالية، تربط بين الترف والعمل الجاد. يخلص الأمريكي في العمل مثلما يخلص في الترفيه. وبسبب تأثيرات مسيحية، يرى الأمريكي الآتي:

أولا: العمل جزء من عبادة الله، يكافئ الله عنه في الآخرة.

ثانيا: الترف جزء من العمل، يكافئ الإنسان نفسه عنه في الدنيا.

في نفس الأغنية السابقة، مقاطع تؤكد ذلك، وتقول: "لست كسولا. أعمل سبعة أيام في الأسبوع." وتقول: "نصف العالم لا يفعل شيئا. نصف العالم يحرق الفلوس". إشارة إلى عيب عند الذي يرفه عن نفسه بدون أن يتعب ويكدح.

لهذا، أحسن ما في ترفيه الأمريكي هو أنه يربطه بالعمل.

لكن، أسوأ ما في ترفيه الأمريكي أنه لم يعد يستعمل دخله من العمل للترفيه. صار يستدين ليشتري الرفاهية، وكماليات الحياة. وكلما استدان أكثر، كلما رفه عن نفسه أكثر.

في كثير من دول العالم الثالث، يعمل الشخص، ثم يوفر، ثم يشترى سيارة أو منزلا. كان ذلك حال الأمريكي في الماضي. لكن، الآن تستغل البنوك وشركات الاستثمار حب الأمريكي للمتعة، وتغريه ببطاقات الديون البلاستيكية.

لهذا، الآن، صار الأمريكي يرفه عن نفسه، ويشتري الضروريات والكماليات مع إحساس بأن الأغلى معناه الأفضل.

الطمع:

وقال الكتاب أن الطمع من أعمدة الرأسمالية الأمريكية:

أولا: لأن الطمع غريزة طبيعية.

ثانيا: لأن النظام الرأسمالي يحدد أهمية الشخص حسب ثروته.

وللطمع جانبان:

في جانب: الذي يستدين ويستدين، ليشتري ويشتري.

في جانب: الذي يدين ويزيد سعر الفائدة لتزيد أرباحه.

يصور أيس كيوب، مغني أغاني "هيب هوب"، ذلك في أغنية تقول بعض مقاطعها: "لتتكوم الدولارات في حديقة منزلي. وليأكل السمك الكبير السمك الصغير." ووراءه، يردد الكورس: "الطمع يحقق ما أريد. الطمع يحقق ما أريد." وفي نهاية الأغنية، يرددون كلهم: "أعطني أكثر. أعطني أكثر."

طبعا، الطمع طبيعي عند البشر، وهو مغروس في كل الثقافات.

في الثقافة الغربية، كتب عنه فلاسفة، مثل توماس هوبز، صاحب نظرية "شريعة الغابة." بل قال فلاسفة أن الطمع أخلاقي ومطلوب.

وقال كارل ماركس، مؤسس الفكرة الشيوعية، أن العلاقات المادية هي التي تدفع التاريخ، وخاصة بين الأغنياء والفقراء. (بدلا من أن يقول أن القيم الأخلاقية هي التي تدفع التاريخ).

وفي سنة 1984، قال الرئيس الأمريكي ريقان أن حرية جمع المال جزء من الحرية الأمريكية. (بدلا من أن يشترط بأن الهدف من جمع المال يجب أن يكون إنسانيا).

وفي سنة 1987، صدر فيلم "وول ستريت"، وفيه يصيح الممثل غوردون قيكو، الذي يمثل دور رجل استثمارات: "الطمع شيء طيب."

الخوف:

وقال الكتاب إنه لن يدخل في جدل حول أخلاقية القروض والديون. لكن، من وجهة نظر واقعية، يجب أن تكون لهذه حدود. مثلا:

أولا: لا تورط صاحبها في ديون لا يقدر على دفعها.

ثانيا: لا تقوده إلى الخوف من الإفلاس.

لكن، صار الخوف من أركان الرأسمالية، لأنها تعتمد على خوف الدائن من عدم قدرة المدين على دفع ديونه (ومن إفلاسه). وأيضا، خوف المدين من عدم قدرته على دفع ديونه (ومن إفلاسه أيضا). ويوجد عامل آخر ينتشر في الدول الرأسمالية، وهو ضعف العلاقات العائلية والاجتماعية: لان الأولاد والبنات يصيرون مستقلين عن والديهم مع دخولهم الجامعات. ولأن الفردية تجعل كل أمريكي مسؤولا عن نفسه. ولأن كبار السن يجب أن يعتمدوا على أنفسهم، لا على أولادهم وبناتهم. ولأن الدولة ليست ملزمة بمساعدة كل محتاج، وكل فقير.

من بين الذين اعترفوا بالخوف، وغنوا له، المغنية جاسمين سالفر. قالت بعض مقاطع أغنية لها: "لا تكذب على وتقول أنك لا تخاف. كلنا نخاف. ليس إنسانا من لا يخاف. أخاف من الكلام حتى لا اكشف السر. أخاف من المحاولة حتى لا أفشل. أخاف من الجنس حتى لا أحمل. أخاف من الخمر حتى لا أسكر. أخاف من الزواج حتى لا أفشل. أخاف من الإنجاب حتى لا أخسر. أخاف من الكبر حتى لا أخرف ...

تحديث:

في هذه السنة، سنة 2012، تظل المشكلة المالية مستمرة، بعد أربع سنوات من بدايتها. وأسال نفسي: هل أنا أيضا أخاف في هذا النظام الرأسمالي؟

نعم، أخاف من فقدان وظيفتي. وأخاف من مرض يقعدني. وأخاف من كارثة كبيرة. وأخاف أن تحدث هذه لزوجتي أو أولادنا.

لكن:

إذا فقدت وظيفتي، سأحصل على مساعدة شهرية من الحكومة تستمر لسنة تقريبا (بسبب قانون التأمين ضد العطالة).

وإذا مرضت، سأتعالج في أحسن المستشفيات (بسبب التأمين الصحي).

وإذا كبرت وعجزت عن العمل، سأنال معاشا شهريا (بسبب التأمين الاجتماعي).

لكن، في نفس الوقت، أخاف من الاعتماد على المال لحل مشاكلي.

في سانتا في (ولاية نيومكسيكو) :جاسوسات حسناوات



(اقرأ: الشقراوات)

(اقرأ: تغطية حرب العراق)

في سنة 2008، جئت إلى سانتا في (ولاية نيومكسيكو) لإجراء مقابلة صحفية مع الشقراء الأمريكية التي أفضلها على غيرها من الشقراوات الأمريكيات (بعد زوجتي). أسميها "الشقراء الذكية".

في الثقافة الأمريكية، توجد إشارات متناقضة عن الشقراوات (اقرأ موضوع "الشقراوات"): في جانب، يفضل كثير من الرجال الأمريكيين البنات البيضاوات، ذوات الشعر الذهبي، على ذوات الشعر الأسود، أو البني، أو الأحمر. ويظل فيلم "الرجال يفضلون الشقراوات" (صدر سنة 1953) من أكثر الأفلام الأمريكية شهرة.

***

في الجانب الآخر، وربما لهذا السبب، يتندر الأمريكيون بأن الشقراوات جميلات جدا، لكنهن غبيات جدا. في موقع في الإنترنت، توجد آلاف النكت عن غباء الشقراوات.

لهذا، قلت "الشقراء الذكية"، وأقصد فاليري بلوم (التي كانت جاسوسة في وكالة الاستخبارات المركزية، سي آى إيه)، والتي أجريت معها مقابلة في منزلها، وزوجها جوزيف ويلسون (السفير الأمريكي السابق في دول في الشرق الأوسط).

كتاب "فير قيم"

كانت مناسبة سفرى لإجراء المقابلة صدور كتاب مذكراتها: "فير قيم" (لعبة غير عادلة). هذه إشارة إلى عبارة "قريت قيم" (لعبة عظيمة) التي تطلق على قدرة المرأة على إغراء الرجل (طبعا أكثر من قدرة الرجل على إغراء المرأة). لكن، ليست في الكتاب أي إشارة إلى حيل نسائية مثيرة استعملتها لجمع الأسرار.

وقالت في المقابلة: "لا توجد في كتابي أي إشارة إلى الوسائل التي جمعت بها معلومات. لكن، تأكد أنها وسائل لا صلة لها بالجنس. هذه الوسائل من أسرار المهنة، ولا يمكن أن أكشفها. وأيضا، لم يكن عملي فرديا. كنت أعمل مع آخرين في شبكة فيها خبراء يقدمون خلفيات تاريخية، وفنيون يوفرون تكنولوجيا التجسس، ورجال أمن يراقبون ويحمون أعضاء الشبكة." وقالت: "عندما كنت أدخل مطعما لأقابل شخصا لأجمع منه معلومات، لم أكن وحيدة. كان هناك حرس سري، ومراقب سري، وفني سري، وفنى تكنولوجيا للصوت والصورة، وهكذا. لكن، راقبني الأعداء أو لم يراقبوني، لم يكن الجنس جزءا من وسائل التجسس التي استعملتها."

القصة العلنية:

بدأت قصة فاليري بليم (العلنية) في سنة 2003، عندما كتب زوجها جوزيف ويلسون، سفير أمريكي سابق في العراق، قبيل غزو العراق، رأيا في صحيفة "نيويورك تايمز"، وعارض الغزو.

وكشف أن وكالة الاستخبارات المركزية (سي أي إيه) أرسلته في مهمة سرية إلى دولة النيجر للتأكد من أخبار بأن الرئيس العراقي السابق صدام حسين يشترى يورانيوم من النيجر لإنتاج قنبلة نووية. وكتب الزوج إنه لم يجد أي دليل على ذلك. ولهذا، قال أن غزو العراق سيكون اعتمادا على أكاذيب.

اغضب هذا نائب الرئيس ديك شيني ومستشاريه. وقرروا الانتقام منه بان سربوا إلى صحفي أن زوجته، فاليري، جاسوسة في "سي آى إيه."

ورفعت هي وزوجها قضية ضدهم (كشف اسم جاسوسة جريمة في القانون الأميركي).

ورغم أن أصابع الاتهام وصلت إلى نائب الرئيس السابق ديك شيني، صار واضحا أنه لن يصاب بأذى. واضطرت الزوجة لأن تستقيل من "سي آى إيه." وتحالفت مع زوجها في حملة إعلامية شجاعة لمعارضة غزو العراق (في وقت كان فيه كثير من الأمريكيين لا يملكون شجاعة نقد غزو العراق، أو لم يكونوا يعرفون تفاصيل المؤامرة.

أسرار الجاسوسات:

مثل حالة الشقراء فاليري، لا يعرف الناس كثيرا عن أسرار الجاسوسات، وحيلهن، وخططهن. لأنهن لم يكتبن أو يتحدثن علنا عنها. وإذا كتبن أو تحدثن، يتحاشين الأسرار الخفية والأفعال المثيرة (لأسباب وطنية وأمنية، بالإضافة إلى خوف من عار، أو فضيحة).

وكتبت روزي هوايت، مؤلفة كتاب "نساء عنيفات: الجاسوسات في الثقافة الشعبية"، أن تفاصيل ما تفعل الجاسوسات للحصول على معلومات هي خليط من إشاعات وخيالات. خاصة في الأفلام السينمائية، والمسلسلات التلفزيونية.

مثل أفلام الجاسوس جيمس بوند وصديقاته الشقراوات.

وكتبت: "بينما يوصف الجاسوس بالرجولة والشجاعة، توصف الجاسوسة بالإغراء والأنوثة. يحصل هو على أسرار لأنه شجاع، وتحصل هي عليها لأنها مثيرة جنسيا. أو لأنها عنيفة ومسترجلة."

وأضافت: "لكن الحقيقة هي أن المرأة الغربية، منذ منتصف القرن الماضي، تركت مرحلة الإثارة، ودخلت مرحلة المهنية والاحتراف. ليس فقط في التجسس، ولكن أيضا في كل مجال تقريبا. وصارت المرأة تتفوق على الرجل في الهندسة، والطب، ليست لأنها مثيرة جنسية، وتغرى أساتذتها، ولكن لأنها ذكية."

وأضافت: "الذين لا يزالون يعيشون بعقول رجالية بدائية عليهم أن يشيروا إلى الذكاء، لا الإثارة الجنسية، عند الحديث عن الجاسوسات الناجحات."

وأشارت إلى ديم رمنقتون، الجاسوسة البريطانية التي نجحت، وترقت، حتى وصلت إلى منصب مديرة "إم 15" (الاستخبارات البريطانية). وقالت أن رمنقتون ستضحك إذا قال لها رجل (أو امرأة) أن نجاحها كان بسبب أنوثتها. لكنها لن تنكر وجود انطباعات رجالية (ونسائية) كثيرة بأن الأنوثة هي سبب نجاحها.

جاسوسات جيمس بوند:

وكتبت كرستين بولد، مؤلفة كتاب "نساء جيمس بوند"، أنه من الصعب وضع خط أحمر فاصل بين الأنوثة والتجسس. وسألت: ما هو التجسس. وأجابت بأن أستاذ الجامعة "يتجسس" عندما يبحث عن وثائق ومعلومات مخفية عن الناس.

لكن، توجد نظرية "قريت قيم" (اللعبة العظيمة) التي تقول أن المرأة، بسبب صفات طبيعية، تقدر على الإغراء أكثر من الرجل. وأن هذا لابد أن يساعد الجاسوسة، بصرف النظر عن استعمال الجنس.

وكتبت عن الفرق بين "سكس" (جنس) و "فليرت" (إغراء، غزل). وقالت أن الإغراء، في نظر المرأة الغربية الحديثة، ليس الجنس.

ونقلت هذا المقارنة على لسان شقراء كانت جاسوسة سابقة طلبت عدم نشر اسمها: "أدخل غرفة فيها رجال. وأحس أنهم يكادوا يبلعونني بنظراتهم. وفي الحال، أتأكد مما اعرف دائما، وهو أنني مثل أميرة وسط رعاع. وأقدر على أن أجعلهم عبيدا لي. لكني أضع خطا أحمرا واضحا بين رغبة الرجل الجنسية في، وبين علاقة العمل معه. لحسن الحظ، أنا الذي أرسم هذا الخط الأحمر. هذه الحقيقة التي أفتخر بها أهم من الأسرار التي أجمعها، أو لا أجمعها."

خلفية تاريخية:

حسب كتاب "فورقيت مي نوت"(لا تنسوني) الذي كتبه، سنة 1848، الألماني ألفريد فيليبس، كان الزعيم الفرنسي نابليون بونابيرت أول من اعتمد على جاسوسات محترفات. لكنهن سببن له مشاكل كثيرة. وقال الكتاب: "واحد من أكبر أخطاء هذا القائد الفرنسي الذي وصل بقواته إلى أبواب موسكو، أنه لم يكن يثق في مساعديه. لهذا، كان يريد أن يعرف كل شئ يحدث في غيابه. كل سر. وخاصة أسرار وكالة التجسس التي كانت تقدم له المعلومات."

لهذا، وضع نابليون خطتين في وكالة التجسس:

الأولى: يتجسس النصف على النصف الثاني.

الثانية: تتجسس النساء على الرجال، وأيضا على زميلاتهن.

وأضاف الكتاب: "اعتمد هذا التجسس الإمبراطوري البونابرتي على الشباب، والجمال، والإغراء، والتأدب، والتحضر. ولا بأس من نساء غير غنيات، لأنهن يحتجن إلى المال بأي طريقة. ولهذا، يقدمن كل خدمة لسيدهن الإمبراطور. والذي، عندما يكن معه، يرتبك ويفقد وقاره."

في سنة 1809، عندما كان نابليون في قمة قوته، منع صدور كتاب عن جاسوساته. لكن، تسربت أجزاء منه، خاصة عن "مادموزيل د" (ربما أول جاسوسة متفرغة). وقال الكتاب عنها الآتي: "أعطتها الطبيعة كل ما تريد. ولم يقف أمامها شئ لإشباع رغباتها في الزينة، والأناقة، والذوق، والجنس. لم تكن تريد الإشباع فقط، كانت تريد الاستمرار فيه."

حسب الكتاب، استفاد منها نابليون في التجسس على الألمان، وذلك بسبب إتقانها للغة الألمانية. وأعطاها جواز سفر تحت اسم "بريجيت سولنيار"، وكتبت فيه أنها أرملة ضابط سابق في جيش نابليون."

وفي الكتاب، الأمر المكتوب الآتي الذي أصدره لها نابليون: "سافري إلى ألمانيا. وابحثي عن منزل رجل الأعمال شولستر. وعندما تقابلينه، قولى له أنك جئت حبا في نسيم ألمانيا العليل. وانك تريدين قضاء شهور هناك. وتسألينه إذا كان يعرف مكانا قريبا من قصره لتسكني فيه. افعلي كل شئ لتكسبيه. ونحن سنقدر ذلك، ولن نخيب أملك فينا...."

الجاسوسة "ماتا هاري":

كتبت تامي بروكتر، مؤلفة كتاب "استخبارات نسائية: النساء والتجسس خلال الحرب العالمية الأولى"، وركزت فيه على جاسوسات بريطانيات: "صفتان يجب نفيهما عن الجاسوسات، رغم الاعتقاد العام: الأولى: أنهن مدمنات جنس. الثاني: أنهن بطلات عذراوات."

وفي الكتاب تفاصيل عن جاسوسات بريطانيات، مثل: أفرا بيهم، اليزابيت ليو، سيتلا رمنقتون. هدف الكتاب فكري أكثر منه جنسيًا، وهو أن المرأة الغربية، مع مجئ القرن العشرين، صارت تقدر على كل شئ. وهدف الكتاب، أيضا، هو أنصاف الجاسوسات، والإشادة بشجاعتهن، رغم كل السلبيات.

ولا تذكر جاسوسات الحرب العالمية الأولى ألا وتذكر "ماتا هاري".

هذا اسم حركي للحسناء الهولندية مارغريتا زيلي، التي كانت راقصة في ملهي ليلي في باريس. لأن هولندا كانت محايدة خلال الحرب، استطاعت "ماتا هاري" التنقل من دولة إلى أخرى وهي تحمل جواز سفر هولندي ولا تثير الشكوك. ولأن عشاقها كانوا سياسيين كبارا، وقادة عسكريين، استرعت انتباه استخبارات كثير من الدول الأوروبية التي كانت تزورها.

لكن، اكتشفت الاستخبارات الفرنسية أنها جاسوسة مزدوجة لأنها كانت أيضا تتجسس للاستخبارات الألمانية المعادية. واعتقلتها، وقدمتها إلى محكمة عسكرية.

ويوم 15-10-1917، وعمرها أربعين سنة، أعدمت عندما أطلق عليها عشرون جنديا فرنسيا النار عليها في نفس الوقت (حتى لا يقول جندي واحد أنه قتلها).

وعندما لم يتقدم أحد لاستلام جثتها، نقلت الجثة إلى معمل تشريح طبي في باريس، استفاد من أعضاء الجسم، لكنه احتفظ بالرأس. ولخمسين سنة، ظل الرأس في متحف طبي فرنسي. حتى سنة 2000، عندما اختفى الرأس، ولم يعثر عليه.

ولأنها أثارت الناس قبل وبعد وفاتها، صارت "ماتا هاري" بطلة كتب وأفلام سينمائية ومسلسلات تلفزيونية ركزت على جمالها، ومغامراتها الجنسية، و"خيانتها". ولم تخلو هذه من إشاعات مثيرة عن يوم إعدامها:

قالوا إنها أرسلت قبلات في الهواء إلى الجنود الذين أعدموها.

وقالوا إنها كشفت عن نهديها، وقالت لهم: "تقتلونها بعد أن كنتم ترضعونها." وقالوا أن آخر جملة قالتها كانت: "ربما عاهرة، لكنى لست خائنة."

لكن، قالت كتب كثيرة إنها في الحقيقة، كانت كبش فداء لرجال الاستخبارات الفرنسية الذين فشلوا أمام الاستخبارات الألمانية، وحملوا "ماتا هاري" مسؤولية فشلهم.

الجاسوسة فرجينيا هول:

إذا صورت الهولندية "ماتي هاري" جاسوسات الحرب العالمية الأولى (ولكن سلبيا)، صورت الأمريكية "فرجينيا هول" جاسوسات الحرب العالمية الثانية (ولكن ايجابيا).

وقالت جوديث بيرسون، أستاذة تاريخ في جامعة أريزونا ستيت، ومؤلفة كتاب عنها اسمه: "ذئاب على الباب"، إشارة إلى رجال استخبارات هتلر الذين اعتبروها الأخطر وسط الجاسوسات، والجواسيس.

رغم أن فرجينيا كانت جميلة، لم تكثر حولها إشاعات الجنس والإثارة. ربما لأنها كانت فقدت ساقا خلال رحلة صيد، وكانت تعتمد على قدم خشبية سمتها "كاثبرت". وكانت تشير إلى الاسم في رسائلها السرية، وتقول إنها تسير برفقة "كاثبرت". لهذا، اعتقد بعض الناس انه اسم عشيقها الذي كان يرافقها إلى كل مكان ذهبت إليه.

عندما بدأت الحرب العالمية الثانية، كانت تعمل في السفارة الأمريكية في فرنسا. ومن هناك بدأت العمل جاسوسة، خاصة خلال حكومة فيشي (التي أسسها الألمان بعد أن غزو فرنسا واحتلوها).

وهناك كان "جستابو" ألمانيا يبحث عنها. لكنهم لم يقدروا على القبض عليها. وبقيت في فرنسا حتى هزمت قوات الحلفاء هتلر، واسترجعت فرنسا.

الشقراء البطلة:

إذا كانت "ماتي هاري" نجمة جاسوسات الحرب العالمية الأولى، وكانت فرجينيا هول نجمة جاسوسات الحرب العالمية الثانية، يمكن القول أن فاليري بليم (الشقراء التي أجريت معها مقابلة صحفية) هي نجمة جاسوسات الحروب الأمريكية في الشرق الأوسط.

إنها، طبعا، ليست "شقراء غبية". إنها "شقراء ذكية." أيضا، "شقراء بطلة". ضحت بوظيفتها الهامة في "سي آى إيه". وتحالفت مع زوجها لتحدي الرئيس السابق بوش الابن، وقراره بغزو العراق، في وقت كان فيه عدد كبير من الأمريكيين لا يملك الشجاعة ليفعل ذلك بسبب حملة حكومية وإعلامية ونفسية مكثفة قادها بوش لإقناع الشعب الأمريكي بغزو العراق.

تحديث:

في سنة 2009، سافرت إلى رالي (ولاية نورث كارولينا) لتغطية المؤتمر السنوى لخبراء التجسس (أغلبيتهم جواسيس سابقين). تشرف على المؤتمرات مجلة "رالي" التي تصدر في نفس المدينة، وتراس المؤتمر بيرني ريفز، رئيس تحرير المجلة.

كان موضوع المؤتمر هو:"سكس أسبيوناج" (التجسس باستعمال الجنس).

تحدث في المؤتمر هنري جوانيديو، أستاذ تاريخ متقاعد كان يدرس في جامعة كاليفورنيا. وقال: "توجد جاسوسات مباشرات، وتوجد جاسوسات غير مباشرات. مثل زوجات وبنات الجواسيس. خلال الحرب الباردة بيننا وروسيا، تخصص جواسيس روس في التعرف على زوجات وبنات جواسيس "سي آى إيه" . وجمعوا معلومات منهن عن زوجاتهن وآبائهن. كان الروس يقولون أن المراة، جاسوسة أو غير جاسوسة، تعرف المعلومات الشخصية أكثر من الرجل، أي رجل. استطيع أن أقول أنهم صدقوا في هذا، إذا لم يصدقوا في أي شئ آخر غيره."

وقال أن المرأة تنجح في التجسس أكثر من الرجل لأنها:

أولا: تحفظ الأسرار أكثر لأنها تعتبرها أشياء خاصة.

ثانيا: تنقل الإشاعات أكثر لأنها تعتبرها تواصلا اجتماعيا.

ثالثا: تراقب الرجال أكثر لأنها لا تثق فيهم كثيرا.

رابعا: تجيد التسلسل التاريخي أكثر لأنها تركز على العائلة.

خامسا: لا تفتخر بإنجازاتها مثل الرجل.

سادسا: لا تتنافس منافسات شديدة مثل الرجل.

عاهرات وساقطات:

وتحدث في المؤتمر بريان كيلي، الذي كان جاسوسا في "سي أى إيه"، في القسم الروسي. وقال: "لا يجيد الجواسيس الأمريكيون استخدام العاهرات والساقطات والحراميات مثل الجواسيس الروس. أعتقد أن السبب هو أننا نضع اعتبارا كبيرا للجانب الأخلاقي. أن لم يكن لسبب آخر، لأن عدم الثقة في العاهرة لابد أن يكون سبب عدم ثقة في الأسرار التي تحصل عليها."

وتحدث في المؤتمر أي سي سميث، الذي كان محققا في مكتب التحقيقات الفدرالية (إف بي أي). وقال: "يبدو أن الصينيين يشبهون الروس في التركيز على الجاسوسات. مثل كاترينا ليونغ، التي أغرت اثنين من شرطة "إف بي آى". كانوا يسمونها "بارميد" (خدامة الصالون) لأنها كانت تركز على خدمتهم في طاعة تشبه طاعة نساء الشرق. كانت تبتسم دائما، وتحنى رأسها دائما. وفي المقابل، حصلت منهم على معلومات كثيرة."

وتحدث نيجيل ويست، بريطاني كتب كتاب "قاموس تاريخي للتجسس باستعمال الجنس". وقال: "ليس سهلا وضع خط فاصل بين التجسس والجنس. ويجب ألا نخدع أنفسنا. الحقيقة هي أن المرأة تتفوق على الرجل بجمالها وقدرتها على الإغراء. لهذا، تتفوق الجاسوسة على الجاسوس. ولا بأس إذا كانت الجاسوسة عاهرة. أو إذا كانت العاهرة جاسوسة. من منا ينسى كيف خان جون سيموند وطنه ووطننا (يقصد بريطانيا)؟ وقع في شباك عاهرة من "كي جي بي" (الاستخبارات الروسية سابقا). وبعد أن كان يتجسس لصالح ملكة بريطانيا، صار يتجسس لصالح الحزب الشيوعي السوفيتي."

كان آخر من تحدث في المؤتمر جين بوتست، رئيس الجمعية. ويبدو أنه حاول إنصاف الجاسوسات (وكل النساء). قال: "جاسوس أو جاسوسة، رجل أو امرأة، أهم شئ هو الشجاعة. وبعض النساء أكثر شجاعة من الرجال."

جامعة هاوارد (واشنطن) : لماذا يحب البيض أغاني السود؟



(اقرأ: تجارة الرقيق).

(اقرأ: أغاني الزنوج).

في سنة 2006، جئت إلى جامعة هاوارد في واشنطن العاصمة لمقابلة باكاري كتوانا، رئيس تحرير مجلة "سورس" (مصدر) الموسيقية، وأستاذ علوم سياسية في جامعة كنت، ومؤلف كتاب: "لماذا يحب الشباب البيض أغاني هيب هوب؟" كان ألقى محاضرة عن الكتاب، ووافق على مقابلة صحفية قصيرة معه بعد المحاضرة.

جامعة هاوارد من أكبر الجامعات الأمريكية "السوداء". هذه جامعات للسود، تأسست بعد نهاية الحرب الأهلية (سنة 1865)، التي انتصر فيها الرئيس أبراهام لنكولن (محرر الزنوج) على الولايات الجنوبية الانفصالية، التي كانت رفضت إلغاء تجارة الرقيق.

سميت الجامعة على اسم أوليفر هواراد، الجنرال الأبيض في جيش لنكولن، والذي كان متدينا، وكان يقول أن تجارة الرقيق ضد المسيحية.

في البداية، كانت جامعة هاوارد مدرسة تابعة لكنيسة بيضاء. وقرر الجنرال هاوارد تحويلها إلى معهد لاهوتي لتدريب القساوسة السود. ثم صارت مدرسة للسود. ثم صارت جامعة لهم.

باكاري كيتوانا:

عبر تاريخها، ظلت جامعة هوارد مركزا تعليميا، وأيضا، اجتماعيا وثقافيا للسود. وخلال سنواتي في واشنطن (منذ سنة 1980) ذهبت إليها كثيرا لتغطية نشاطاتهم. هناك، في سنة 1981، قابلت لأول مرة الزعيم المسلم الأسود لويس فرخان، وكان ألقى خطبة نارية انتقد فيها البيض واليهود. ورغم انه مسلم، وأغلبية طلاب الجامعة مسيحيين، هتفوا وصفقوا له، ربما أكثر لشجاعته، وثقته بنفسه (وتركيزه على إسلامه، لا على لونه).

وعندما حضرت محاضرة باكاري كيتوانا، مؤلف كتاب "لماذا يحب الشباب البيض أغاني هيب هوب؟"، كان الجو أيضا حماسيا (مع إشارات عنصرية، بعضها كراهية للبيض، وبعضها عدم ارتياح لهم).

قبل هذا الكتاب، كتب كيتوانا كتابي: "جيل هيب هوب" و " هيب هوب العصابات". وهو واحد من أهم المتخصصين في فن الراب والهيب هوب.

لم يفرح لحب الشباب البيض لأغاني السود، ولم يحزن. ونظر إلى الموضوع نظرة فلسفية. وقال: "خلال تاريخ السود في أمريكا، استعبدنا الرجل الأبيض، واحتقرنا. لكنه اخذ منا أشياء. موسيقى الجاز هي، أصلا، موسيقانا. وترانيم الكنائس الحماسية هي، أصلا، ترانيمنا."

وقال: "في العصر الحديث، قلدنا البيض أيضا: كشف السرة وسط البنات، وحلقات الأذن وسط الأولاد. لكن، لم يهتموا بأصل السرة، واصل حلقات الأذن. ولم يفكروا كثيرا في الموضوع. ولم يحللوه ويفلسفوه. وجدوها أشياء جديدة، ومثيرة، تقلل من الملل الذي يعانون منه في حياتهم اليومية، وتبنوها."

وقال: "ليس ذما القول أن ثقافة الرجل الأبيض فيها جوانب سلبية. تخلق فرديته، واستقلاليته، وقلة علاقاته العائلية، كثيرا من السأم والضجر. وليس ذما القول أن الدافع المالي القوي للرجل الأبيض يقلل علاقاته الإنسانية. ولهذا يصير المرح متنفثا له من مشاكله. ولهذا، يريد أن يمرح بدون أن يحلل، وبدون أن يفلسف."

وقال: "شعار الرجل الأبيض هو: لنمرح معا، ولا داعي للنقاش. لكن، شعارنا هو: لنمرح، لكن عندنا قضايا."

***

مشكلة هوية؟:

لماذا يحب البيض موسيقى السود؟ طبعا، لا يريدون أن يكونوا سودا. لكن، هل يريدون أن يتصرفوا مثل السود؟ هل يعانون من مشكلة هوية؟

في تقرير نشرته صحيفة "نيويورك تايمز" سنة 2005، أجاب على السؤال "جاي زي"، مغنى "هيب هوب" أسود، وقال: "الموسيقى شئ يحس، ولا يقرأ أو يلمس. وموسيقى "هيب هوب" مثل الموسيقى الكلاسيكية، رغم أن فيها كلمات، ورغم إنها صاخبة. لكنك، تضع سماعتك في أذنيك، وتغلق عينيك، وتعيش عالم فنطازيا. يطل عليك عملاق عظيم، هو المغني. لا يؤذيك، ولا تؤذيه. كل شئ يصير مثل روحانية بينك وبين سماوات عليا. وبمجرد أن تخلع السماعة من أذنيك، تعود إلى عالم الواقع."

وقال الشاب الأبيض جيرمي ميلار، الذي يسكن في ولاية نيو جيرسي، ويعمل في نيويورك، أنه يمر كل يوم بمختلف قطاعات الناس: منازل الأغنياء في حي "كولونيا"، ومنازل الطبقة الوسطى في حي "وودبريدج"، ومنازل الفقراء، والمشردين والعاهرات في حي "ليندين". وخلال كل هذه الرحلة يسمع من راديو السيارة أغاني السود، لكنه لا يراها أغاني سود. ولا يراها أغاني طبقة معينة. يراها مرحا وترفيها.

التناقض:

وأشار تقرير في صحيفة "واشنطن بوست" إلى التناقض بين حب الشباب البيض لموسيقى السود، وبين كراهية الرجال البيض لجرائم السود، ومخدراتهم، وتفكك عائلاتهم، واستعمالهم ألفاظا بذيئة. طبعا، ينفر البيض من هذه الأشياء، وطبعا، يؤثر هذا النفور على رأيهم في السود بصورة عامة (وهو رأي ربما لا ينصف السود).

لكن، مع بداية القرن الحادي والعشرين، وبعد نصف قرن تقريبا من "ثورة السود السياسة" (حركة الحقوق المدنية بقيادة القس الأسود مارتن لوثر كينق)، وظهور جيل جديد وسط البيض والسود، بدأت المفاهيم تتغير (من الجانبين).

واختلطت المفاهيم الجديدة مع "ثورة السود الغنائية" (هيب هوب).

لم يكن هذا هو الحال قبل ذلك. في سنة 1992، في مؤتمر الحزب الجمهوري، قال دان كويل، نائب الرئيس بوش الأب، قال عن تابوك شاكور، مغنى هيب هوب الأسود: "ليس لهذه الموسيقى مكان في مجتمعنا." في ذلك الوقت، قتل أسود شرطيا أبيضا في ولاية تكساس. وفي المحكمة، قال محامي الأسود أن أغنية "كيل ذا كوب" (اقتل الشرطة) التي يغنيها شاكور شجعت الأسود على القتل. ولهذا، ربط نائب الرئيس الأمريكي بين العنف وهيب هوب.

هل كان نائب الرئيس يهتم بالقيم الأخلاقية الأمريكية؟ أم كان يريد كسب أصوات البيض (وخاصة المتطرفين) ليفوز في الانتخابات؟

في تلك الانتخابات، سقط الرئيس بوش ونائبه كويل، وفاز الرئيس كلينتون (الليبرالي، القادم من ولاية أركنسا، واحدة من ولايات تجارة الرقيق، وظلت، لفترة طويلة، من ولايات العنصرية ضد السود). وأحب السود كلينتون، وسموه "الرئيس الأسود."

لكن، لم ينتهي عداء كثير من البيض للسود، وخاصة موسيقى هيب هوب. وفي سنة 1996، كتب بيل بينيت، من الجناح المحافظ في الحزب الجمهوري، وكان وزيرا للتربية في حكومة الرئيس بوش الأب: "هيب هوب ليست موسيقي، إنها قذارة." من المفارقات أنه كتب ذلك في كتابه "الفضائل." كان نصب نفسه حاميا للقيم الأخلاقية الأميركية الفاضلة.

كتاب الهروب:

وكتب هاكي ماذوبوتي، مؤلف كتاب "الهروب نحو الخوف": "لا يولد الناس عنصريين. يتعلم الناس العنصرية، وخاصة الصغار من الكبار. وعندما يكبر الصبي الأبيض، ويسمع أغاني "هيب هوب" ويحبها، لا ينظر إليها كأغاني سود، ولكن ينظر إليها كأغاني يحبها."

وقال الكتاب الأتي عن الموضوع:

أولا: تشبه موجة "هيب هوب" وسط الجيل الجديد من البيض موجة "روك أند رول" وسط آبائهم، وموجة موسيقى الجاز وسط جدودهم.

ثانيا: لا يفكر الشباب البيض في أن حب "هيب هوب" سيجعلهم مثل السود، أو تؤثر عليهم أجواء المخدرات والجرائم المنتشرة وسط السود، أو يصيرون "همجا" مثل السود.

وخلال استطلاعات ميدانية في الكتاب، قالت بنت بيضاء: "وقعت في غرام موسيقى السود. لكني لم أقع في جرائمهم ومخدراتهم." وقال ولد أبيض: "أتحاشي العبارات البذيئة، ولا تعجبني شتائمهم واحتقارهم لبناتهم." وقال ولد أسود: "ربما البيض أذكى منا، أو ربما ليست عندهم عقدة النقص التي عندنا."

كتاب "العرق والمكان":

وقال ميوراي فورمان، مؤلف كتاب "العرق والمكان وهيب هوب": "هيب هوب لا تهتم بالاعتبارات السياسية للتقسيمات العرقية. إنها مجرد موسيقي."

وقال الكتاب إن كلمة "نيقر" (عبد) التي يرددها بعض فناني هيب هوب السود تجد عدم ارتياح وسط البيض:

أولا: لأنهم يرونها مسيئة.

ثانيا: لأنهم لا يفهمون لماذا يخاطب بها السود بعضهم البعض.

ثالثا: لأنهم، حتى إذا رددوها، لن يقبلها السود منهم.

مثل أغنية تقول: "ارقصي على الأرض. أيتها الكلبة. يا بنت العاهرة. صاحب المقهي عنصري. الشرطة عنصرية. يا "نيقر" (عبد)". يرى كثير من الشباب البيض مثل هذه الكلمات غير مقبولة. لكنهم يقولون إنهم لا يهتمون بالكلمات، فقط بالموسيقى.

في الجانب الآخر، سال طالب جامعي أسود: "لا أفهم هؤلاء البيض. يكرهوننا، وفي نفس الوقت يحبون موسيقانا." وقال أسود عجوز: "سرقوا موسيقانا."

كتاب "قنبلة":

وقال وليام ويمسات، مؤلف كتاب "قنبلة في الضواحي": " الضواحي في الثقافة الأمريكية مجتمع قائم بذاته. فيها هدوء أكثر من المدينة، ووسائل ترفيه أكثر، وأمن أكثر، وود بين الجيران أكثر. لكن، فيها أيضا فردية واستقلالية وخصوصية أكثر. هذه تسبب ضحالة في التفكير، وسذاجة في فهم تعقيدات الحياة، وملل لعدم وجود أشياء مثيرة. وهكذا، صارت موسيقى هيب هوب تردد في الضواحي، رغم أن نسبة السكان السود ربما واحد في المائة. ورغم أن نسبة السود في فن هيب هيب تكاد تكون مائة في المائة."

وقال مؤلف الكتاب: "تساوى أزمة هوية هيب هوب أزمة هوية كل واحد فينا. كان هناك جيل ديزني. في جيل "بيضاء الجليد" و "سندريلا." كان هناك الجيل الذي يحلم بالزواج، والأطفال، والمعاش، والراحة، والطواف حول العالم. ثم جاء الجيل الذي يؤجل الزواج، هذا إذا أيده. والذي لا يوفر للمستقبل، هذا إذا فكر في ذلك. ولا يريد معرفة الكثير عن الشعوب الأخرى، هذا إذا عرف عنها."

تحديث:

في سنة 2012، سألتني بنتي الثانية، ولا تزال تدرس في الجامعة (الأولى تخرجت قبل سنتين) عن "هيب هوب." وجرى بيننا الحوار الأتي:

س: ما هي ميزة "هيب هوب"؟

ج: موسيقى مختلفة، وكلمات مختلفة، وحركات مختلفة.

س: ماذا عن الكلمات البذيئة فيها؟

ج: لا أهتم بها كثيرا. أحيانا أقول لنفسي أن هذه الكلمات لا داع لها. وأحيانا ولا حتى أقول ذلك، وفقط استمتع بالموسيقى، لا بالكلمات.

س: أي أنواعها تفضلين؟

ج: ليست التي عن المال والبنات والسيارات. لكن التي عن قضايا الظلم والعدل، والحرية والاستغلال.

س: هل يتساوى الأولاد والبنات في حب "هيب هوب"؟

ج: يحبها الأولاد أكثر من البنات. أعتقد أن البنت، بطبيعتها، تنفر أكثر من الكلمات المسيئة، وخاصة التي تسيئ إلى البنات.

س: ماذا عن كلمة "نيقر" (عبد)؟

ج: لا أقولها، ولا أريد الآخرين أن يقولوها. لكنهم أحرار يقولون ما يريدون.

س: يستغرب البيض لأن السود يقولونها لبعضهم البعض؟

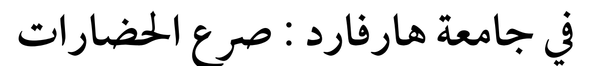
ج: كل واحد حر يقول ما يريد. ولا يجب أن يحكم ناس على ناس.

س: الكبار لا يحبون "هيب هوب"، ولا يحبون بناتهم وأولادهم يحبونها؟

ج: تنتشر خلال سنوات المرحلة الثانوية والجامعة، ثم تزول بعد ذلك. إنها مرحلة عابرة.

س: ماذا بعد المرحلة العابرة؟

ج: مثل شقيقي، كبر، وتحول إلى موسيقى روك آند رول. ربما عندما يكبر أكثر سيميل أكثر نحو الموسيقى الكلاسيكية. وهكذا، كلها مراحل، مرحلة بعد أخرى. ولا داعي للقلق، ولا داعي للحكم على الآخرين.



في جامعة هارفارد : صرع الحضارات



(اقرأ: النخبة المسيطرة).

(اقرأ: الاستعلاء الأمريكي).

(اقرأ: إسلاموفوبيا).

في سنة 1996، جئت إلى جامعة هارفارد (ولاية ماساجوستس) لإجراء مقابلة صحفية مع بروفسير صمويل هنتنقتون، أستاذ العلوم السياسية في الجامعة، بمناسبة صدور كتابه "صراع الحضارات".

أثار الكتاب نقاشا كثيرا داخل وخارج أمريكا. لكن، قبل "صراع الحضارات"، كتب كتبا أخرى، منها: "النظام السياسي في مجتمعات متغيرة". بعد "صراع الحضارات" كتب: "من نحن؟ من هم الأميركيون الحقيقيون؟".

وأثارت هذه الكتب نقاشات كثيرة. وقال كثير من ناقديه أن كتبه:

أولا: تشكك في "الأكاديمية المحايدة" التي يدعيها.

ثانيا: تقلل من قيم حضارات شعوب العالم الثالث.

ثالثا: تركز على استعلاء ثقافي أمريكي، بصورة خاصة، وغربي، بصورة عامة.

لكن، قال آخرون أن هنتفتون عكس رأيا معينا. لكن، ليس سهلا وصفه بأنه متطرف، ولا عقائدي، ولا يميني.

من هو؟

في سنة 1927، ولد هنتنقتون في نيويورك. وكان ذكيا منذ صباه. تخطى ثلاثة سنوات في المدرسة الثانوية، ودخل جامعة ييل (ولاية كونيتيكات). ثم تخطى سنة اخرى، ونال بكلريوس بدرجة شرف وعمره ثمان عشرة سنة. ثم انتقل إلى جامعة هارفارد، ونال الدكتوراه في العلوم السياسية وعمره ثلاث وعشرون سنة.

ومنذ سنة 1950، ولأكثر من نصف قرن، كان أستاذا في قسم العلوم السياسية في جامعة هارفارد. وترك هارفارد مرتين:

المرة الأولى: في عهد الرئيس جونسون، عمل مستشارا في الخارجية الأمريكية (واهتم بالتدخل الأمريكي في فيتنام).

المرة الثانية: في عهد الرئيس كارتر، عمل مستشارا في مجلس الأمن الوطني في البيت الأبيض (واهتم بثورة آية الله الخميني في إيران سنة 1979).

الكتاب الأول:

قبل كتاب "صراع الحضارات"، كتب كتبا أخرى أثارت أيضا نقاشات كثيرة:

في سنة 1968، كتب "النظام السياسي في مجتمعات متغيرة". وعارض فيه نظريات "التحديث" لأساتذة العلوم السياسية في الغرب. يقول هؤلاء أن التنمية الاقتصادية، والتطور التكنولوجي، والتغيير الاجتماعي هي أساس الحضارة الغربية. لهذا، يجب التركيز عليها لتطوير دول العالم الثالث.

لكن، قال هنتنقتون أن دول العالم الثالث ليست مؤهلة. ولابد من "مرور حقب كثيرة" قبل أن تتطور. ودعا إلى عدم استعجال تطبيق الديمقراطية. واقترح البداية بحزب واحد قوي. وركز على دولتين:

أولا: المكسيك: أشاد بسيطرة حزب واحد رئيسي على الحكم منذ أكثر من ستين سنة، مع انتخابات غير نزيهة.

ثانيا: البرازيل: كانت تحكمها حكومة عسكرية، واقترح أن تكون مثل المكسيك، وتعتمد على حزب واحد رئيسي.

إذا كان هذا رأيه في المكسيك والبرازيل، فما بالك بدول العالم الثالث الأقل تطورا، وأكثر فقرا؟

من بين أساتذة الجامعات الذين انتقدوه، الأكاديمي البريطاني ألان هوبر، مؤلف كتاب "الإعلام والعسكريون". وقال فيه الآتي:

أولا: ليست هناك أنواع للديمقراطية. الديمقراطية واحدة لا تتغير. في الدول الأوروبية وفي دول العالم الثالث، في المجتمعات الحضارية وفي المجتمعات البدائية.

ثانيا: ليست هناك خطوات لتطبيق الديمقراطية. أما توجد ديمقراطية، أو لا توجد. وليس الحل هو البداية بحزب واحد قوي، حتى إذا كانت هناك انتخابات حرة، لان ذلك يؤثر على حقوق أحزاب الأقليات.

ثالثا: ليست هناك ديمقراطية بدون فكرة تعتمد عليها. الديمقراطية فكرة قبل أن تكون نظام حكم. وعند "تصدير" الديمقراطية الغربية إلى دول العالم الثالث، يجب ألا تصدر كنظام حكم، بدون فكرة تعتمد عليها. يجب ألا تصدر مثل سلعة. يجب أن تصدر كنظرية واضحة بأنه ليس هناك أفضل من الحرية والعدل، لكل شخص، وفي كل زمان ومكان.

الكتاب الثاني:

في سنة 1970، أصدر هنتنقتون كتاب "دفاع مشترك: برنامج استراتيجي للسياسة الوطنية". في ذلك الوقت، كانت القوات الأمريكية تحارب في فيتنام.

واقترح الكتاب، مرة أخرى، "تطورا ديمقراطيا بطيئا" في فيتنام. بداية بفصل ثوار "فيات كونق" الشيوعيين عن بقية السكان. وعقد اتفاقية "دفاع مشترك" مع حكومة فيتنام الجنوبية اليمينية. والتعاون معها للقضاء على الثوار. ثم مساعدة الحكومة تدريجيا، لتطبيق الديمقراطية.

في ذلك الوقت، كان هنتنقتون مستشارا في وزارة الخارجية الأمريكية.

ومن الذين انتقدوا الكتاب، هاري سامرز، أستاذ جامعي، ومؤلف كتاب:"إعادة تقييم حرب فيتنام". وكتب فيه الآتي:

أولا: بحكم عمل هنتنقتون في وزارة الخارجية، كان لابد أن يؤيد تدخل الحكومة الأمريكية في فيتنام، لأنه "ليس أستاذا نزيها في جامعة هارفارد."

ثانيا: كيف يريد هنتنقتون تطبيق "الدفاع المشترك" مع حكومة تنتظر يوم سقوطها على أيدي ثوار "فيات كونق" الشيوعيين. (سقطت بعد ثلاث سنوات من تأليف كتاب هنتنقتون).

ثالثا: أخطا هنتنقتون في تقسيم الفيتناميين إلى أقسام، وفي تقسيم الديمقراطية إلى مراحل.

رابعا: خلط هنتنقتون بين عدائه الشخصي للشيوعية وبين حل مشكلة فيتنام حسب رغبة الشعب الفيتنامي.

الكتاب الثالث:

في سنة 1996، اصدر هنتنقتون كتاب "صراع الحضارات".

كتب فيه أنه بعد نهاية الحرب الباردة (بين المعسكرين الغربي الرأسمالي والشرقي الشيوعي)، بدأت حروب بين الحضارات: مسيحية بروتستانتية (غرب أوربا وأميركا وكندا)، ومسيحية كاثوليكية (أمريكا الوسطى والجنوبية)، ومسيحية أرثوذكسية (روسيا وشرق أوروبا)، وهندوسية (الهند)، وبوذية (الصين)، وتاوية (اليابان)، وافريقية (جنوب الصحراء)، وإسلامية (من المغرب إلى أندونيسيا، ومن كازاخستان إلى الصومال).

وكتب:"أساس صراع الحضارات هو الثقافة، أو الهوية، التي تحكم كل حضارة ... الهويات الثقافية هي هويات حضارية. وهي التي تشكل أساس تماسك الأمة."

وكتب عن ظهور ثلاثة عوامل جديدة في العلاقات الدولية:

أولا: بعد أن كانت تعتمد على قطبين، صارت متعددة الأقطاب، ومتعددة الحضارات.

ثانيا: بعد أن كان أساسها اختلافات عقائدية، صار اختلافات ثقافية (دينية).

ثالثا: بعد أن كان استعمال القوة يعتمد على الاختلافات العقائدية، صار يعتمد على الاختلافات الثقافية (الدينية).

وكتب هنتنقتون: "لنفهم (نحن الغربيون) النزاع في عصرنا وفي المستقبل، يجب أن نفهم الاختلافات الثقافية. بدلا عن الدولة، صار التركيز على الثقافة. وبدلا عن الدولة الوطنية، صار التركيز على الدولة الثقافية." وخلص إلى الآتي: "ربما ستفقد الدول الغربية زعامتها إذا فشلت في فهم هذه التغييرات الكبيرة والخطيرة."

انتقادات:

من بين الذين انتقدوا كتاب "صراع الحضارات" مقالات في مجلة "لوموند دبلوماتيك" الفرنسية، قالت أن الكتاب "يريد شرعنة عدوان الغرب بقيادة الولايات المتحدة على الصين، وعلى العالم الإسلامي."

وانتقد الكتاب، أيضا، إدوارد سعيد، من قادة الأمريكيين الفلسطينيين، وأستاذ في جامعة كولومبيا (في نيويورك).

بعد أن ذهبت إلى جامعة هارفارد، وقابلت هنتنقتون، ذهبت إلى جامعة كولومبيا، وقابلت سعيد. وكنت اعرف مسبقا أن سعيد، المناضل الشجاع، لن يتفق مع هنتنقتون.

قارن سعيد بين الأمريكي هنتنقتون والبريطاني أرنولد توينبي (توفى سنة 1975). وقال أن توينبي، مؤلف سلسلة كتب "دراسة التاريخ"، درس التاريخ من وجهة نظر مسيحية غربية. ومما قال توينبي: "إذا جاءت البوذية (الصين) إلى الغرب، ستكون أهم حدث في القرن العشرين."

وقال سعيد أن هنتنقتون وسع نظرية توينبي لتشمل أديانا أخرى. وان هنتنقتون وتوينبي تركا، لفترات قصيرة، التدريس الجامعي، وعملا موظفين في حكومتي بلديهما. عمل هنتنقتنون في الخارجية الأمريكية في إدارة الرئيس جونسون، وعمل في البيت الأبيض في إدارة الرئيس كارتر. وعمل توينبي في الاستخبارات البريطانية، ثم في الخارجية البريطانية. ولم ينس سعيد، الفلسطيني الفخور، بأن توينبي اشترك في تطبيق الوصاية البريطانية في فلسطين.

هنتنقتون والإسلام:

قبل مقابلة سعيد، كان نشر رأيا في كتاب "صراع الحضارات" سماه "صراع الجهل". وقال فيه: "ليست مشكلة هنتنقتون هي صراع الحضارات، ولكن هوية الحضارات. ما هي الحضارة؟" وأضاف سعيد: "يبدو أن هنتنقتون لم يكتب هذا الكتاب عن الحضارات كلها. يبدو أنه يريد التركيز على ما يسميه الصراع بين الغرب والإسلام. في الحقيقة، جزء كبير من الكتاب عن هذا الموضوع. هنتنقتون يسير على خطا زميله بيرنارد لويس."

مثلما ركز سعيد على العلاقة الفكرية بين هنتنقتون وتوينبي، ركز على العلاقة الفكرية بين هنتنقتون وبيرنارد لويس (اليهودي). وكان سعيد أعلن الحرب على المستشرقين، القدامى والجدد. واتهمهم بالتقليل من مكانة الحضارة العربية (والإسلامية).

لنصف قرن تقريبا، ظل لويس "الخبير الأمريكي الأول" عن الشرق الأوسط. وظل كتابه "الإسلام والغرب" مصدر آراء كثير من الأمريكيين عن الموضوع. ومنهم هنتنقتون نفسه، والذي اعتمد، في كتاب "صراع الحضارات، على رأي كان كتبه لويس عنوانه: "جذور الغضب الإسلامي."

وكتب سعيد: "اتفق الاثنان على أن "صراع الحضارات" هو أساسا صراع بين "الغرب" و "الإسلام". بدون أن يحددا ما هو الغرب، وبدون أن يعرفا ما هو الإسلام.

تحديث:

في سنة 2004، أصدر هنتنقتون كتاب: "من نحن؟ تحديات الهوية الوطنية الأمريكية." وهو عن معنى هذه الهوية. وعن التهديد المحتمل الذي تشكله الهجرة الضخمة من المكسيك وبقية دول أمريكا اللاتينية. وحذر هنتنقتون من أن هذه الهجرة "تقسم الولايات المتحدة إلى شعبين، بثقافتين، وبلغتين."

وكتب في الكتاب: "تواجه الثقافة الأمريكية غزوا خارجيا من كل جانب. قبلنا، واجه الاتحاد السوفيتي نفس المشكلة. كان متعدد الأديان، والأعراق، والثقافات. لكن، لم تكن عقيدته قوية، ولهذا انهار. الآن، نحن علينا أن نفعل شيئين: أولا: نمنع التقسيمات الثقافية. ثانيا: نقوي عقيدتنا."

مثل كتاب "صراع الحضارات"، أثار الكتاب الجديد نقاشا كبيرا. واتهم البعض هنتنقتون بأنه مصاب بمرض "أكسونوفيا" (الخوف من الأجانب). وأنه يعلي مكانة الهوية الأنجلوسكسونية لأمريكا، ويقلل من الهويات والحضارات. ورغم أنه لا يقول ذلك علنا، يريد أن يعلي الهوية البيضاء على الهويات السمراء، والصفراء، والسوداء.

ومن تناقضات التاريخ، أن هنتنقتون الذي كتب في كتاب "النظام السياسي في مجتمعات متغيرة" أن تطبيق الديمقراطية في المكسيك والبرازيل يجب أن يكون تدريجيا (تلميح: "إنهم غير متطورين مثلنا")، خاف، بعد أربعين سنة في كتاب "تحديات الهوية الأميركية"، من هجرة الملايين من هذه الدول وغيرها من دول العالم الثالث إلى أمريكا.

إنصافا لهنتنقتون:

لكن، لم يكن هنتقنتون متطرفا، ومناكفا، ويمينيا، ومحافظا.

في نفس كتاب "صراع الحضارات" انتقد الحضارة الغربية، ومما قال:

أولا: "لم يسيطر الغرب على العالم بسبب أفكاره وآرائه ودينه، ولكن بسبب تفوقه العسكري. دائما ينسى الغربيون هذه النقطة، لكن، لا ينساها أبدا غيرهم."

ثانيا: "يجب أن يقوي الغرب نفسه داخلياً، ويتخلى عن عالمية الديمقراطية، ويتخلى عن التدخل المباشر في شؤون الدول الأخرى" (خاصة دول العالم الثالث).

ثالثا: "ليس الإسلاميون هم التهديد الحقيقي للغرب، ولكنه الإسلام، الحضارة المختلفة التي يؤمن أصحابها أن ثقافتهم هي الأعلى، لكنهم يحسون بحرج كبير بسبب ضعفهم."

رابعا: "يعاني الغرب في سياسته نحو دول العالم الثالث من النفاق. يريد تطبيق الديمقراطية، لكن، يجب ألا يفوز فيها الإسلاميون. يعارض قنبلة نووية إيرانية أو عراقية، لكن لا مانع من قنبلة إسرائيلية. يؤيد التجارة الحرة، لكنه يدعم المزارعين الغربيين. ينتقد الصين لأنها لا تحترم حقوق الإنسان، لكنه لا ينتقد دولا خليجية مثلها. حشد قواته لوقف تدخل العراق في الكويت الغنية بالنفط، لكنه لم يتدخل (إلا مؤخرا) لوقف تدخل الصرب في البوسنة التي ليس فيها نفط."

وأضاف: "صار النفاق في التطبيق هو ثمن تطبيق المبادئ، أو ادعاء تطبيقها."

وأخيرا: كان هنتنقتون شيئين في نفس الوقت:

أولا: أمريكيا استعلائيا على الآخرين.

ثانيا: أمريكيا صريحا مع نفسه، وربما كان لابد أن يكون كذلك. (أليس هكذا الأمريكيون؟)

توفي هنتنقتون في سنة 2008 (بعد خمس سنوات من وفاة إدوارد سعيد).

في جامعة جورج مايسون (ولاية فرجينيا) :

تعذيب المسلمين في قوانتانامو



(اقرأ: إسلاموفوبيا).

(اقرأ: سيطرة أمريكا على الأمم المتحدة).

في سنة 2008، جئت إلى فيرفاكس (ولاية فرجينيا)، إلى جامعة جورج مايسون، لإجراء مقابلة صحفية مع ماهفيش خان. هذه محامية أمريكية، ولدت في أمريكا، وكان والدها هاجرا من أفغانستان.

ومؤخرا كتبت كتاب: "يومياتي من قوانتانامو: المعتقلون والقصص التي قالوها لي."

جاءت إلى جامعة جورج مايسون لإلقاء محاضرة عن كتابها، وللتوقيع على النسخ التي يشتريها الأساتذة والطلاب. انتظرت حتى انتهت المحاضرة. وبعد ذلك جلسنا في المقهي القريب، وسألتها عن والديها، وعن نفسها، وعن الكتاب، وعن أمريكا.

خلفية تاريخية:

أول ما قالت لي: "اقرأ مقدمة الكتاب، واقرأ ما نقلت على لسان والدتي. أنا كتبت في المقدمة: "علمتني والدتي الأفغانية ألا اصمت عندما أرى خطأ."

قالت أن والديها، طبيب وطبيبة، هاجرا، في سنة 1977 إلى أميركا من أفغانستان. وينتميان إلى قبيلة البشتون (التي تنتشر في كل من باكستان وأفغانستان). كانا، في سنة 1976، تقابلا في كلية الطب في جامعة كابول. وفي نفس السنة، تزوجا، وفي السنة التالية هاجرا إلى أمريكا، هروبا من النظام الشيوعي والاحتلال الروسي لوطنهما.

وقالت أنها ولدت في بولتيمور (ولاية ماريلاند)؟ وتربت تربية أمريكية، مع تأثيرات إسلامية وأفغانية. وتخرجت محامية من جامعة ميشيفان.

بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، عملت في القاعدة العسكرية الأمريكية في قوانتانامو (في كوبا)، حيث كان العسكريون الأمريكيون أسسوا سجنا لنقل المتهمين بالإرهاب. وكان عدد ليس قليلا منهم من قبيلتهأ، قبيلة البشتون" (ينتمى إلى القبيلة الملا محمد عمر، زعيم منظمة "طالبان"، وعدد كبير من أتباعه. وينتمى اليها أيضا، من المفارقات، الرئيس الأفغاني حميد كرزاي).

قالت انها عملت في قوانتانامو مساعدة قانونية ومترجمة، وذلك لانها تجيد اجادة كاملة لغة البشتون. وزارت قوانتانامو عشرات المرات. وقالت:"قابلت الذين وصفهم رمسفيلد، وزير الدفاع السابق، بأنهم "أسوأ الأسوأ".

قالت أنها، في البداية، كانت مجرد مترجمة ومستشارة قانونية، تفعل ما يطلب منها العسكريون الأمريكيون. لكن، بعد سنوات قليلة، بدأت تفكر وتحلل. وبدأت تشك في أن المعتقلين هم "أسوأ الأسوأ." وبدأت تجمع معلومات وصورا ووثائق (المسموح بها)، وتدون تجربتها على امل أن تنشرها في كتاب.

الكتاب:

قالت أن الكتاب اعتمد على رأي كتبته في صحيفة "واشنطن بوست" عن تجربتها في قوانتانامو. وبعد أن لاحظت اهتمام الناس بما كتبت، قررت أن توسعه ليكون كتابا يسجل معلومات "لا تشرف الولايات المتحدة، ولم يشاهدها غير عدد قليل من الناس"، هي واحدة منهم.

أثناء الحديث معها، تبدو مثل كتابها، خليط من عقلانية أمريكية وعاطفة أفغانية. وأوضحت أن تجربتها في قوانتانامو خليط من "معتقلين يعرفون فقط حسب أرقامهم التي أعطاها لهم الأمريكيون،" و "معتقلين هم آباء وإخوان وأعمام وخلان في بلادهم."

وبمساعدة الكتاب، شرحت لي تجربتها مع المعتقلين، حسب أرقامهم.

كتبت عن الرقم 1156:

"في قوانتانامو، كان هذا الرقم مجرد رقم: قيدوه، حرموه من الطعام، عذبوه، حلقوا شعر رأسه، بصقوا في وجهه، احتقروا عاداته، أساؤوا إلى دينه. وافق، تراجع، تمرد، ضحك، بكي، اضرب عن الطعام، توقف عن الإضراب. لكنه، في أفغانستان، كان دكتور على شاه موسافي، أخصائي أمراض أطفال في كابول. هو زوج، ووالد، وأخ، وعم، وخال، وجار، وصديق، وشخصية مشهورة، ومحترمة، ووطنية."

وقالت، في الحقيقة، عارض دكتور موسافي حكومة طالبان عندما تولت الحكم في أفغانستان سنة 1996. وعندما ضايقته حكومة طالبان، ترك وظيفته، وخرج من وطنه. ومن خارج الوطن، عمل لإسقاط حكومة طالبان. وبطريقتين:

أولا: عندما كان لاجئا سياسيا في إيران.

ثانيا: عندما عمل خبيرا مع الأمم المتحدة.

اعتقال موسافي:

وفي سنة 2003، بعد سنتين من الغزو الأمريكي لأفغانستان، وإسقاط حكومة طالبان، عاد موسافي إلى وطنه ليشترك في بنائه. لكن، في نفس السنة، اعتقلته القوات الأميركية، وأرسلته إلى قوانتانامو. مقابل خمسة وعشرين ألف دولار، رشوة أمريكية إلى شخص مجهول قال أن موسافي يؤيد طالبان، وأنه إرهابي.

كتبت ماهفيش خان عن القصص الحزينة وراء أرقام أخرى: 1150، 1103، 1092 ، وغيرها.

لكن، ركزت على الرقم 1154 (دكتور موسافي) لأنه كان أول معتقل تقابله عندما ذهبت إلى قوانتانامو أول مرة.

قالت إنه كان أول "إرهابي" تقابله في حياتها. ذهبت مع جندي أمريكي إلى الزنزانة رقم 1154، لترجمة جلسة أخرى من جلسات التحقيق. وكانت مستعدة لمقابلة "إسلامي متطرف"، أو "طالباني متشدد." لكن، وجدته رجلا في عمر والدها. طويل القامة، ووسيم الطلعة، ومرفوع الرأس، وله ذقن صغير أنيق. لكن، كانت رجلاه مقيدتين بسلاسل غليظة مثبتة على ارض الزنزانة. وكان هناك قفص حديدي صغير في الزنزانة، يدخلونه فيه، بعد نهاية التحقيق، وهو مقيد.

قالت إنه ابتسم عندما شاهد ملامحها الشرقية و"الشال" الأفغاني الذي كانت تلبسه. وبادرت وحييته تحية الإسلام: "السلام عليكم." ورد بالمثل.

شاي باللبن:

تعمدت أن تفعل ذلك ليحس بالاطمئنان لها. وأخذت إذنا من العسكريين الأمريكيين بان تشتري له كوب "تي لاتيه" (شاي باللبن) من مقهي "ستارباك" الموجود داخل القاعدة. وذلك لأنه اقرب شاي في أمريكا إلى شاي أفغانستان. وأحضرت، أيضا، بقلاوة وكعك.

وقالت إنها لاحظت ابتسامة وارتياحا على وجه دكتور موسافي. وفي كرم أفغاني ذكرها بأفغانستان وبوالدها، رفض أن يأكل بمفرده. ودعاها، والجندي الأمريكي، ليقاسموه البقلاوة والكعك.

وبعد أن أكل وشرب، حكى لها قصة تعذيبه. قال أنها بدأت في قاعدة "باقرام" الأمريكية خارج كابول. وان أمريكيين، عسكريين وغير عسكريين يرتدون ملابس مدنية، عذبوه، واحتقروه، وأساؤوأ له. وقالوا له: "أنت لست في أفغانستان. أنت في أمريكا. هذه ارض أمريكية." واستغرب كيف يكون ذلك وباقرام في أفغانستان. ثم زاد التعذيب والاحتقار والإساءة بعد أن نقلوه إلى قوانتانامو.

"لا اله إلا الله":

وقال موسافي أن الأمريكيين قالوا له أنهم يريدون معلومات عن "الإرهابيين" وراء هجوم 11 سبتمبر، وإذا سيقومون بهجمات أخرى. لكن، تحول جمع المعلومات إلى تعذيب وتحقير. أكثر ما أغضبه إساءتهم للإسلام. وإشاعات وفضائح جنسية عن عائلته قالوها له. ومع كل ضربة من حذاء عسكري ضخم، كان يكرر: "لا إله ألا الله". لكن، يبدو أن ذلك كان يزيد الضرب.

كان الجندي الأمريكي يستمع له وهو يحكى قصته. وسال ماهفيش عن معنى "لا إله ألا الله". وشرحت له معناها، وقالت أنها "الشهادة". وإنها أول جملة يسمعها الولد أو البنت بعد الولادة لأنها تؤذن في الإذن. وسمع الجندي الأمريكي الشرح في صمت، ولم يقل شيئا.

وتحدث موسافي عن تعريته وبقية المعتقلين. ودمعت عيناه، لكنه حولها بعيدا منعا للحرج. قال إن الجنود الأمريكيين كانوا يأمرونهم بالوقوف في صف، ثم يطوفوا في ساحة السجن، عرايا كما ولدتهم أمهاتهم. وقال: "كمسلم يغضبني هذا، وكرجل من قبيلة البشتون يغضبني أيضا."

ومرة أخرى، سال الجندي هافيش عن معنى هذا. وقالت له، في عدم ارتياح: "الذي لا يعرف الإسلام، ولا يعرف قبيلة البشتون، لا يعرف ما يقول دكتور موسافي."

وقال موسافي أن الصلاة والصبر يساعدانه كثيرا. وأنه ينتظر في شوق إلى صوت الآذان من ميكرفون مسجل في السجن، ليصلى مع مجموعة من المعتقلين في القسم رقم (4) في السجن. وبعد نهاية المقابلة، ودعته، وقال لها: "لم أكن أعرف أن في أمريكا بنات أفغانستانيات مثلك". وردت: "لم أكن اعرف أن في قوانتنامو رجالا مثلك." لم يقدر على أن يمشي إلى باب الزنزانة، لأن رجليه كانتا مقيدتين مع الأرض. وفي تأدب وهدوء وفخر وأناقة، رفع يديه وقال لها: "صلي لي."

وتذكرت هافيش تلك اللحظات القاسية، وقالت: "خرجت ودمعة في عيني، وحاولت ألا يراها الجندي الأمريكي." وفي صمت قالت لنفسها: "خدعتني حكومتي." تقصد الحكومة الأمريكية.

وكانت تلك اللحظة بداية فكرة الكتابة عن تجربتها، ليعرف الأمريكيون، وغير الأمريكيين، حقيقة قوانتانامو.

في متجر «بيست باي» في فيرفاكس (ولاية فرجينيا) :

الحروب الإلكترونية



(اقرأ: تطور الكمبيوتر).

(اقرأ: الإنترنت واللغة الجديدة).

في سنة 2012، جئت إلى متجر "بيست باي" في فيرفاكس (ولاية فرجينيا) لإصلاح كمبيوتري "لاب توب" بسبب فيروس دخل فيه. ووجدت فرصة لأتحدث مع مهندس كمبيوتر أمريكي، ليس فقط عن فيروس كمبيوتري، ولكن، أيضا، عن الفيروسات وأنواعها، وخاصة لأن الأخبار كانت تتحدث عن اكتشاف فيروسات خطيرة تتجسس على الدول الأخرى، أو تدمر منشأتها.

يعمل المهندس مع شركة "قيك سكواد" (فرقة المهووسين).وهذا اسم فكاهي لمجموعة من شباب الكمبيوتر هم الذين أسسوا الشركة. وعندما اشترتها شركة "بيست باي" العملاقة، رأت الاحتفاظ بالاسم.

قلت للمهندس أن "مهندس كمبيوتر" اتصل بي تلفونيا، وكان يتكلم بلكنة هندية، وأعتقد أن أنه كان يتكلم من الهند. وعرض على أن اشترى برنامج لوقاية الكمبيوتر من الفيروسات. ووافقت، وما كان يجب أن أوافق. وحسب طلبه، وفي سذاجة من لا يعرف كثيرا عن هذه المواضيع، سمحت له أن يدخل على كمبيوتري "لينظفه من الفيروسات". وليبرهن لي فعالية البرنامج الجديد. ووافقت.

بعد يوم، اكتشفت سذاجتي باني اشتريت برنامجا من شركة لا اعرفها. وأنني أعطيت رقم بطاقة الائتمان، ورقم الحساب في البنك إلى شخص في الهند. واتصلت بالهندي، وغيرت رأيي، وألغيت كل شيء.

بعد يومين، اكتشفت أن فيروسا أصاب الكمبيوتر، وجعله عاجزا عن العمل. هل انتقم منى الهندي لأني غيرت رأيي؟ أو هل وضع الفيروس ليقدر البرنامج على تنظيفه؟ لا اعرف.

حكيت هذه القصة لمهندس شركة "قيك سكواد" الأمريكي. وكان واضحا أنه ليس متحمسا "للمهندس الهندي". وطبعا، كان يريدني أن اشترى برامج الوقاية منه، وليس من شخص لا أعرفه، وما كان يجب أن أثق فيه.

وساقنا الحديث على الفيروسات التي تتناقلها الأخبار. وقلت له: أنا صحفي، وأريد أن اكتب عن الموضوع، وأود أن أدعوه إلى غداء، وأجري معه مقابلة صحفية عن الموضوع. وفي الأسبوع التالي، تقابلنا في مطعم "ريد روبن" المجاور، والمشهور بساندوتشات هامبيرقر عملاقة.

تحدثنا عن أخبار بأن الاستخبارات الصينية أرسلت فيروسات للتجسس على وزارات ومؤسسات أمريكية. وبان الاستخبارات الأمريكية أرسلت فيروسات إلى إيران للتجسس على مفاعلاتها النووية، ولتدمير منشئاتها النووية، والكهربائية.

خلفية تاريخية:

قبل المقابلة بسنة، كان خبراء كمبيوتر عالميون كشفوا فيروس "فليم" (اللهب). وقالوا أن وكالة الاستخبارات الأمريكية (سى اى إيه) تستعمله للتجسس على إيران، كجزء من الضغوط الأمريكية عليها حتى لا تنتج قنبلة نووية. هذا بالإضافة إلى الضغوط الأمريكية الدبلوماسية، والتهديدات العسكرية، والعقوبات الاقتصادية، بهدف قفل صادرات النفط الإيراني نهائيا.

يملك فيروس "فليم" إمكانيات تجسس هائلة، ليس فقط على الإمكانيات النووية الإيرانية، ولكن، أيضا، على كل جوانب الحكم والحياة في إيران.

وكانت صحيفة "واشنطن بوست" نشرت، على لسان خبراء كمبيوتر في الولايات المتحدة، وروسيا، وشرق أوروبا، ودول أخري، بأن فيروس "فليم" متطور 20 مرة بالمقارنة مع فيروس "ستوكسنيت". هذا هو الفيروس الذي كان عطل أجهزة الطرد المركزي في منشأة نووية إيرانية.

لكن، عكس "ستوكسنيت" الذي يستعمل للتدمير، يستخدم "فليم" للتجسس. ويسمى، أيضا، "سكاي وايبر" (ماسح السماء)، إشارة إلى قدرته على التجسس ربما على أي شيء. يمسح الأرض والسماء بميكرفونات وكاميرات نفس أجهزة الكمبيوتر التي يدخلها، ويسيطر عليها.

وهو أكبر فيروس، وأكثر تعقيداً من أي فيروس آخر.

وقال هؤلاء الخبراء العالميين إنهم يعتقدون أن الاستخبارات الأمريكية، بالتعاون مع الاستخبارات الإسرائيلية، هي التي أنتجت الفيروس، وأنها فعلا تستعمله في "غزو" كمبيوترات إيران، خاصة الكمبيوترات الحكومية والعسكرية والنووية.

تقرير البنتاقون:

وحسب التقرير الاستراتيجي السنوي لعام 2012 الذي أصدره البنتاقون، صار دمج التقنيات الكومبيوترية في الهيكل الرسمي للقدرات العسكرية الأمريكية هو "أهم تطور في العمليات العسكرية الإلكترونية منذ سنوات." وأشار التقرير إلى انه، قبل إعلان الحرب التقليدية، لابد للعسكريين من الحصول على موافقة رئيس الجمهورية،

والذي بدوره، حسب الدستور، عليه الحصول على موافقة الكونقرس. لكن، قال التقرير، أن العسكريين لا يحتاجون إلى موافقة من هذا النوع لاختراق الشبكات الخارجية الإلكترونية.

وعن هذا، قال مسئول استخباراتي أمريكي: "في الحرب التقليدية، نعم، الموافقة هامة. لكن، في الحرب الالكترونية، نقدر على أن نفعل كل ما نريد بدون موافقة احد." يعنى هذا أن حربا الكترونية يمكن أن تنشب بدون أن يسمع بها أحد. وأن دولا يمكن أن "تغزو" أو "تنصر" أو "تنهزم" بدون إراقة دماء، وبدون إطلاق رصاصة أو مدفع أو صاروخ.

وقال المسؤول: "تعمل الولايات المتحدة في نشاط، في تطوير وتنفيذ" هذه القدرات الالكترونية. والهدف هو "ردع أو منع أي عدو محتمل من القدرة على استخدام أنظمته الكومبيوترية للهجوم على الولايات المتحدة."

كتاب "سايباروور":

حسب كتاب "سايباروور" (الحرب الإلكترونية) الذي كتبه رتشادر كلارك، الذي كان مستشارا لشئون الإرهاب في البيت الأبيض في عهد الرئيس السابق بوش الابن، تعريف الاسم هو أنها "عمليات إلكترونية تقوم بها دولة للتغلغل داخل الكترونات دولة أخرى بهدف التدمير أو التجسس."

ورغم أن هذه الحرب بدأت في عهد بوش الابن، تكثفت في عهد الرئيس باراك أوباما. في سنة 2009 (أول سنة له في البيت الأبيض) أعلن أن حرب الإنترنت صارت "جزءا من التخطيط الاستراتيجي الوطني."

وبعد ذلك بسنة، أسس البنتاقون "يو اس سايبركوم" (قيادة الولايات المتحدة الإلكترونية). ولأن البنتاقون لا يقدر دستوريا على العمل داخل الولايات المتحدة، يركز على الحروب الخارجية، سواء للتدمير أو التجسس. وتركز وزارة الأمن على الدفاع عن الوزارات، والمؤسسات، والشركات الأميركية ضد الهجمات الخارجية.

ولم يعد سرا أن دولا أخرى، وخاصة روسيا والصين، دخلت هذه الحرب الالكترونية، وقسمتها أيضا إلى دفاع وهجوم وتخريب وتجسس. (مثل الأمريكيين، لا يعترفون رسميا بالعمليات الهجومية التي يقومون بها). ولم يعد سرا أن إسرائيل، وحدها، وبالتحالف مع الولايات المتحدة، تقوم بهجمات إلكترونية على إيران ودول عربية.

حتى إيران نفسها، وحسب معلومات مجلة "إيكونوميست" البريطانية، تقول أنها تملك ثاني جيش هجومي إلكتروني في العالم.

وقالت المجلة أن "القرن الحالي، القرن الحادي والعشرين، سيكون قرن الصين في قيادة الحرب الإلكترونية، والانتصار فيها." وفعلا، بسبب هذا الخطر الالكتروني الصيني (والروسي)، بدأت الولايات المتحدة تنسق مع دول الاتحاد الأوروبي. وكان الحرب الباردة عادت في صورة جديدة، وخطيرة.

وحذر مايكل هايدن، مدير سابق لوكالة الاستخبارات المركزية (سي أى إيه) بان الولايات المتحدة تحتاج إلى المزيد من الاستعدادات لمواجهة الحرب الجديدة. وقال أن هناك ألف تكنولوجي أميركي فقط متخصصين في هذا المجال، بينما توجد حاجة إلى ثلاثين ألف.

حروب "هاكرز" (القراصنة):

بالإضافة إلى أن الحكومة الأمريكية تغزو دولا أخرى غزوات إلكترونية، تغزو حكومات أجنبية الولايات المتحدة أيضا غزوات الكترونية. وبالإضافة إلى غزوات الحكومات، هناك غزوات الأفراد.

وتتعرض وزارت ومؤسسات وشركات في الولايات المتحدة إلى هجمات "الهاكرز" (قراصنة الإنترنت). وبعضها خطر جدا لأنه يهدد البنتاقون نفسه.

وكان قراصنة اخترقوا موقع شركة "ستراتفور" الأمنية الأميركية الهامة. وقالوا أنهم فعلوا ذلك بهدف جمع أموال من الشركة، وتوزيعها على الفقراء، بمناسبة الكريسماس. حدث ذلك رغم أن الشركة كانت وضعت حواجز أمنية إلكترونية، واعتقدت أن القراصنة لن يقدروا على اختراقها.

واعتبر الهجوم خطرا كبيرا لأن الشركة كانت وقعت عقودات مع مؤسسات حكومية أمنية لضمان المحافظة على مواقعهم من القرصنة. وصارت وكأن "باب النجار مخلع."

من بين الشركات والمؤسسات التي تعاقدت مع شركة "ستراتفور": شركة "ابيل" لصناعة الكمبيوترات والتلفونات الذكية، والسلاح الجوي الأمريكي، وشرطة ميامي (ولاية فلوريدا).

ورغم أن القراصنة لم يعلنوا عن هوياتهم، أوضحوا في رسائل في موقع "تويتر" تابع لهم أنهم "يعارضون الطمع، والظلم، والفساد، في المجتمع الأمريكي." وقالت رسالة أخرى: "ليس هناك سر، وليست هناك خصوصية، بعد اليوم."

ونشر القراصنة أسماء عملاء لشركة "ستراتفور." وقالوا أنهم سينشرون أسماء أخرى. وان مهمتهم كانت سهلة لأن الشركة كانت نشرت أسماء العملاء وأرقام بطاقات الائتمان في موقعها بدون أن تحميها حماية كافية.

وقال خبير أمني أنه "مضحك ومؤسف" أن الشركة العملاقة وضعت أسماء وأرقام بدون تشفيرها.

عصابة مكسيكية:

وهناك مثال آخر للحرب الالكترونية من قبل أفراد عاديين. في سنة 2010، أدانت محكمة أميركية ألبرتو قونزاليز، أمريكي من أصل مكسيكي، وشخصين من روسيا، بتهمة وصفتها وزارة العدل الأمريكية بأنها "أكبر قضية تزوير للبطاقات." حسب وثيقة الاتهام، استطاع الثلاثة اختراق مواقع سرية لشركة "هارتلاند" التي تنسق البيع والشراء بالبطاقات لمئات الشركات والمتاجر الأميركية. من بينها حسابات متاجر "سيفن اليفين" (متاجر صغيرة توجد في مختلف المدن والمقاطعات الأمريكية). ومن بينها بطاقات شركة "هامرفورد" (أكثر من 130 مليون بطاقة)،

كان قونزاليز، كبير العصابة، تورط في عمليات اختراق أخرى قبل تلك العملية. وتسلل إلى مواقع إلكترونية سرية لشركات مثل "تي جي ماكس" للأزياء، و "بي جي" لمخازن الجملة، و "بوسطن ماركت" لبيع الفراخ المشوية، و"بارنز أند نوبل" للمكتبات، و"سبورتز أوثوروتي" للأدوات الرياضية، و "دي إس دبليو" للأحذية.

وقال رالف مارا، نائب المدعي العام الفدرالي في ولاية نيوجيرسي، الذي قدم المتهمين للمحاكمة: "تدل هذه القضية على قدرة السلطات الفدرالية ومؤسسات الأمن والقانون على متابعة واعتقال الذين يغامرون في مجال المعلومات الإلكترونية السرية حول العالم."

"المجهولون":

وهناك مثال آخر يوضح أنه، بالإضافة إلى تهديدات الحكومات، توجد تهديدات الأفراد. اكتشف مكتب التحقيق الفدرالي (إف بى أى) واحدة من أكبر مراكز "الهاكرز" (القراصنة) في الإنترنت: "أنونيماص" (المجهولين).

أولا، عرفت، وكسبت، "إف بي آي" واحدا من قادة المركز. وعن طريقه، تابعت نشاطات المركز. وبالتعاون مع شرطة دول أخرى، اعتقلت خمسة من كبار المسؤولين فيه: اثنين من بريطانيا، واثنين من أيرلندا، وواحدا من شيكاغو. ووجهت لهم تهمة سرقة معلومات سرية من الحكومة الأمريكية، ومن شركات أمريكية. وأنهم، أكثر من مرة، سيطروا على مواقع حكومية أمريكية، وأغلقوها لفترة من الزمن.

وقال مسئول في "اف بي آي" أنهم تغلغلوا داخل الشبكة عن طريق فكتور خافيير مونسيقور، في نيويورك، الذي كانوا اعتقلوه، ثم بدا سرا يقدم لهم معلومات عن زملائه. وأضاف المسؤول: "تعمل هذه المجموعات في اتحاد كونفدرالي فضفاض. إنهم يعرفون بعضهم البعض فقط من خلال الأحاديث في الإنترنت. هم في الولايات المتحدة، وبريطانيا، وأيرلندا وغيرها. لكنهم يشعرون بأنهم عائلة واحدة، ولا هم لهم سوى نشر المعلومات السرية، حكومية أو غير حكومية، أمريكية أو غير أمريكية."

وقال رتشارد ستينون، خبير قرصنة في الانترنت وكان يتابع، لسنوات، قراصنة "أنونيماص": "هذا هو أهم قبض على قراصنة منذ أي وقت مضى. لكن، لنتصور عدد القراصنة الذين لم يعتقلوا، ولنتصور عدد القراصنة في المستقبل. كلما تتطور التكنولوجيا، تتطور إمكانيات "إف بي آي" في اكتشاف القراصنة. لكن، في نفس الوقت، تتطور إمكانيات القراصنة في القرصنة."

منازل شعبية:

خلفية مونسيقور توضح أن أي شخص تقريبا يقدر على أن يهدد البنتاقون. كان يعيش في منطقة منازل شعبية فقيرة تدعمها الحكومة في نيويورك. لكنه، مرة، بينما كان يكتب في الإنترنت، نسى أن يخفي عنوانه البروتوكولي. وكانت الشرطة تتابعه، بعد أن بدأت تشك في أنه يعمل مع العصابة. وفي الحال، حصلت الشرطة على العنوان. وفي وقت لاحق، اعتقلته، وهددته بالحكم بالسجن المؤبد، أو يتعاون مع "إف بي آى". ووافق على التعاون، وعلى التجسس على بقية أعضاء العصابة.

بعد إعلان اكتشاف العصابة، هبت في الإنترنت عاصفة من المحتجين والعاطفين عليهم. واتهم بعضهم مونسيقور بالخيانة لأنه تعاون مع الشرطة. وقال غريغ هاوش، أحد نشطاء سابقين من الذين على اتصال بأعضاء الشبكة: "سابو (اسم مونسيقور الحركي) كان في كل مكان. كان الناس يريدون الحديث معه، والتعرف إليه، ومساعدته.

الآن بعد اعتقاله، يريد كل شخص حذف البيانات عن الاتصال معه. يريدون التخلص من البريد الإلكتروني، ومن الأقراص الثابتة، ومن أجهزة الكمبيوتر. يخافون من الشرطة. ويتوجه بعضهم إلى جبال بعيدة للاختفاء لبضعة أسابيع."

وقال أن مونسيقور اشتهر في الانترنت وفي مواقع الاتصالات الاجتماعية بسبب ما كان سماها "معركة ضد الشر"، قاصدا حكومات، أغلبها غربية، قال أنها تنشر "الشر" في العالم. وتعهد بكشف إسرارها.

وبسبب شهرته، وصل عدد الذين كانوا يتابعون صفحته في موقع "تويتر" أكثر من 45000. وكان بعض هؤلاء يتابعون اكتشافاته، وآخرون ينفذون طلباته باختراق المواقع الحكومية وغير الحكومية الهامة، وكشف وثائقها. وأكثر من مرة، زاد الإقبال على الصفحة حتى عطلها.

وكان مونسيقور اشترك في حملة ضد مواقع شركات "فيزا" و "ماستر كارد" و"باي بال" التي كانت قاطعت موقع "ويكيليكس"، ورفضت تحويل تبرعات الناس إليه، وذلك بسبب غضبها، وغضب الحكومة الأمريكية، على "ويكيليكس" بعد أن نشر عشرات الآلاف من وثائق الخارجية الأمريكية السرية.

وأخيرا، يمكن أن تكون الحرب القادمة حربا إلكترونية بين دول. لكنها يمكن أن تكون بين دولة وشخص عادي، يعيش في منزل شعبي، وعنده جهاز كمبيوتر، ويقدر به على أن "يغزو" أي مؤسسة، وأي شركة، وأي وزارة، وأي وطن كامل.

مركز «جمعية اللغويات الأميريكية»

(واشنطن العاصمة) : أوكي



(اقرأ: الهدوء).

(أقرأ: الفردية).

في سنة 1987، جئت أول مرة إلى مركز "أل إس إيه" (جمعية اللغويات الأمريكية) في واشنطن. بعد ذلك، جئت مرات كثيرة. هذه هي أكبر جمعية لغوية في أمريكا، وفي العالم. لا أعرف كثيرا عن اللغويات، لكنى جئت لحضور مناسبة سنوية عن أهم الكلمات الانجليزية التي اشتهرت في العام السابق.

لكن، في سنة 1987، كان هناك موضوع آخر. عارضت الجمعية حملة بدأها الرئيس الأمريكي (الجمهوري المحافظ) رونالد ريقان تحت شعار "إنقليش أونلي" (فقط الإنجليزية). تشير هذه إلى حملة لمنع انتشار لغات أخرى في الولايات المتحدة، خاصة اللغة الإسبانية (بسبب كثرة المهاجرين، قانونيين وغير قانونيين من المكسيك ودول أخرى في أمريكا الجنوبية والوسطى).

غير أن جمعية اللغويات الأمريكية فاجأت الأمريكيين، وعارضت الحملة. وقالت في بيان شهير: "نحن مع كل اللغويات، لا اللغة الانجليزية فقط. نحن مع انفتاح اللغات، وتسامحها، وتنافسها، في حرية ونزاهة."

عبر السنوات، وفي نهاية كل سنة، تعلن الجمعية أشهر كلمات دخلت اللغة الانجليزية (الأمريكية): من كلمات سنة 2001 "شاد" (أوراق اقتراح غير واضحة، في الانتخابات الرئاسية في تلك السنة). سنة 2001: "غراوند زيرو" (موقع هجوم 11 سبتمبر). سنة 2002: "ناشونال سيكيوريتي" (الأمن الوطني). سنة 2003: "أمبديد" (مرافقة صحفيين للجنود الأمريكيين في العراق وأفغانستان). سنة 2004: "أنسيفيليتي" (عدم التحضر). سنة 2005: "ريفيوجيز" (لاجئون). سنة 2006: "هيريد" (سيارات توفر الطاقة). سنة 2007 "سستين" (استمرار، في القتال). سنة 2008: "جينج" (التغيير، شعار الرئيس أوباما). سنة 2009: "تويتر". سنة 2010: "كلايميت جينج" (التغيير المناخي). سنة 2011: "أوكيوباي" (احتلال متظاهرين في "وول ستريت").

تحديث:

في سنة 2012، لكتابة موضوع عن كلمة "أوكي" الأمريكية التي صارت أكثر كلمة اشتراكا في كل لغات العالم، عدت إلى "أل إس إيه." ليس المكان، ولكن الموقع في الانترنت. كتبت كلكة "أوكي" في مكان البحث.

لكن، واجهت الرفض الآتي: "الرجاء كتابة كلمة تتكون من ثلاثة حروف على الأقل." ونصيحة: "تأكد بان الكلمة صحيحة."

لكن، في نفس الموقع، يوجد خياران للخروج من الموقع: "نو" (لا) و "أوكي" (نعم). ذهبت إلى موقع "أمازون" (الكتب). ووجدت أن الآن ميتكالف، أستاذ اللغة الانجليزية في كلية ماكميري (ولاية أللينوي)، كتب كتابا كاملا عن الكلمة: "أوكي: القصة المستحيلة لأعظم كلمة أمريكية." وعرفت أنه هو من مؤسسي وقادة "أمريكان ديالكتيك سوسايتي" (جمعية اللغة الأمريكية الدارجة).

عكس الجمعية الرئيسية، تعترف هذه الجمعية الفرعية بكلمة "أوكي." ووصفتها بأنها "أكثر كلمة تقال، أو تكتب، على سطح الكرة الأرضية." وأكثر تداولا من كلمة "ماما" أو "ما"، أول كلمة يقولها الطفل. وأكثر تداولا من كلمة "كولا" (بيبسي كولا، كوكا كولا، دايات كولا، إلخ...)

أصل إفريقي؟:

يقول كثير من الناس أن أصل كلمة "أوكي" هو حرفي "أو" و "كي"، الحرفان الأولان من الكلمتين الإنجليزيتين "أوول كوريكت" (كل شيء صحيح). لكن، قالت دراسات جديدة أن أصل الكلمة ربما حتى ليس إنجليزيا، ربما إفريقي، أو من لغة الهنود الحمر.

توجد في قاموس أمريكي جمع لغة الهنود الحمر (لغة غير مكتوبة) كلمة "أوكيه." يرددها الهندي الأحمر في نهاية كلام شخص آخر، ويعنى انه يوافق على ما قال الشخص الآخر.

غير أن الرحالة البريطاني جوزيف سميث، الذي تجول في الولايات المتحدة بعد سنوات قليلة من استقلالها (سنة 1767) كتب كتابا (سنة 1784) قال فيه انه شاهد ، في ولاية نورث كارولينا، زنجيا من الرقيق يسترجي سيده الأبيض ألا يعاقبه، ويصيح مرددا: "كي ماسا "(نعم يا سيدي).

وفي وقت لاحق، قال علماء لغات، منهم الأميركي جوزيف هالاوي، مؤلف قاموس "الأصول الإفريقية في اللغة الانجليزية الأمريكية" (عام 1993) أن أصل "كي" هو "وأوكي" التي تعود إلى لغة قبيلة "وولف" في غرب إفريقيا، أكثر القبائل الإفريقية التي نقل أعضاؤها رقيقا إلى الدنيا الجديدة.

أصل لاتيني:

غير أن أكثر علماء اللغات قالوا أن أصل الكلمة لاتيني. وإنها موجودة في اللغة اليونانية: "أولا كولا" (كل شئ طيب). وفي اللغة الانجليزية الايرلندية: "أوك ياي" (أوه نعم).

وقال بعضهم أن مثقفين أمريكيين في بوسطن (ولاية ماساجوستس) بدأوا، بعد استقلال أمريكا (سنة 1767) عادة اختصار كلمات انجليزية. منها "أن جي" (الحرفان الأولان في "لست ذاهبا"). و "اس بي" (الحرفان الأولان في "بطاطس صغيرة"). و "أوكي" (ألحرفان الأولان في "كل شيء صحيح"). ونشرت الكلمة أول مرة في صحيفة "بوسطن مورننق نيوز) في سنة 1839، في تعليق قال: "إذا عاد رئيس لجنة المحاضرات الخيرية إلى بوسطن، نقول له "أوكي."

وفي الانتخابات الرئاسية سنة 1840، انتشر استعمال "أو كي"، الحرفين الأولين في "أولد كندرهوك"، لقب الرئيس مارتن فان دورن الذي ترشح في الانتخابات.

مع النقاش حول أصل الكلمة، يوجد نقاش حول طريقة كتابتها. وتختلف هذه من بلد إلى بلد:

في الولايات المتحدة: "أوكي"، "أو كي"، "أوكي دوكي"، "كي كي"، "كي".

وتختلف صورة الكلمة في اللغات اللاتينية: في بولندا"أوكيج"، في النرويج "أوك"، في اسبانيا"أوكيس"، في السويد "أوكييج"، في فنلندا "أوكو"، في سلوفاكيا وجمهورية التشيك "أوكج"، في جنوب إفريقيا، وسط البيض "أواي."

غير أن فرنسيين أكثر حرصا على لغتهم، يقولون "أوكي داكورد"، خليطا من انجليزية وفرنسية. ويضيف فليبينيون كلمة فليبينية، ويقولون: "أوكي لانق."

في آسيا:

وتنتشر الكلمة في اللغات غير اللاتينية أيضا، مثل: الصينية، الفيتنامية، الكورية، الهندية، العربية. وتستعمل في أكثر الحالات بدلا عن كلمات محلية تعنى "مقبول." لكن، لا توجد حروف لها في اللغة الصينية الماندرية، ويستعملون أحرفا صينية تنطق "كالاأوهاكي". ويستعملها هنود بصورة يعتبرها البعض غير مؤدبة، في نهاية الجملة، وكأنها اختبار لذكاء الشخص هل فيهم الجملة أو لم يفهما.

لكن، في الولايات المتحدة، تختلف طريقة استعمال كلمة "أوكي". أكثر استعمال هو "مقبول" (مثل: مقبول هذا الكلام الذي قلته). وتستعمل أيضا بدلا عن كلمة "نعم" (مثل: نعم، سأفعل هذا). و"معقول" (مثل: الفيلم الذي شاهدته ليس جيدا، انه معقول). ويمكن أن تكون فعلا (مثل: مدير المكتب وافق). وسؤالا (مثل: هل هذا مقبول؟). وللتحية (مثل: هل أنت بخير؟) وللسخرية (مثل: أي شئ تقول). وبدلا عن "قف" (مثل: لا تتقدم أكثر). ولاسترعاء انتباه المستمع (مثل: هل أنت تتابعني؟ هل أنت تفهمني؟)

ودخلت "أوكي" لغة الإشارة: لمس السبابة بالإبهام. وتكوين شكل دائرة، حرف "أو" باللغة الانجليزية (أول حروف "أو كي").

ومع انتشار الانترنت والتلفون الذكي، صار أمريكيون يستعملون "كي" (حرف واحد) بدلا عن "أوكي"، خاصة في الرسائل التلفونية المكتوبة. وأيضا، صارت مواقع تفضلها في خانتي "لا" و "نعم."

كلمات اخرى:

توجد كلمات انجليزية أخرى مختصرة، لكنها لم تنتشر مثل "أوكي"، مثل: "بروف" (بروفسير)، "ريف" (قسيس)، "ستوب" (قف)، حتى كلمات مثل "مستر" و"مسز"، رغم انتشارها، لم تدخل لغات عالمية كثيرة. والسبب الرئيسي هنا هو تفضيل هذه اللغات استعمال كلماتها، مثل "سيد" و "مونسيور" و "سنيور." وأيضا، لم تنتشر في لغات أخرى حروف مختصرة مثل "يو أن" (الأمم المتحدة) و "يو أس" (الولايات المتحدة).

لكن، طبعا، أنشرت كلمات مثل: "أكاديمي" و "أوتوموبيل" و "شوكوليت" و"دكتيتور" و "هوسبيتال" و "هوتيل" و "مترو" و "مايكروسكوب" و "ساندوتش" و"بوليس" و "راديو" و "تيليفيشان" و "تلفون" و "تنس".

ومع عصر الترفيه الراقي، انتشرت كلمات مثل: "سونا" و "كروز" و "كلوب." ومع عولمة الطعام الأميركي، انتشرت كلمات مثل: "بتزا" و "هامبيرقر" و "كوكا كولا" و "بيبسي كولا". ومع عصر الانترنت، انتشرت كلمات مثل: "إنترنت" و"ياهو" و "قوقل" و "تويتر" و "فيسبوك" و "بلوق". وفي سنة 2012، صارت "هاشتاق"، كما أعلنت جمعية اللغة الأمريكية الدارجة، أكثر كلمة شعبية جديدة.

"أوكي":

لكن، قال مؤلف كتاب "أوكي: أعظم كلمة أمريكية" أن "أوكي" هي الأولى في العالم، كتابة وقولا (ليس حسب وجودها في لغات أجنبية، ولكن حسب استعمالها). وقال: "أنها ردنا على شكسبير. فلسفة أمريكية كاملة اختصرتاها في حرفين. فيها تعاون، وتسامح، وتأدب، وتواصل، وانسجام في حياتنا اليومية. أنها مثل حرف في نوتة موسيقية تنسق علاقاتنا، وكأننا نرقص على أنغامها. شيء غريب؟ لا، شيء أميركي، شئ أوكي."

ودخلت "أوكي" الحرب ضد الإرهاب (التي أعلنتها الحكومة الأمريكية بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001). كتبت كتب، وصدر فيلم، عن سقوط طائرة "أميركيان يوناتيد" في ذلك اليوم في ولاية بنسلفانيا. وهي الطائرة التي يعتقد أنها كانت متوجهة إلى واشنطن لتدمير البيت الأبيض أو مبني الكونقرس. عندما تأكد للمسافرين (عبر اتصالات تلفونية مع أقرباء وأصدقاء) هدف الطائرة، صرخ المسافر تود بريمر: "أوكي، لت إس رول" (أوكي، لنتحرك)، قاصدا الهجوم على غرفة قيادة الطائرة، والتغلب على الخاطفين. وبعد أن دخلوا الغرفة، وخلال عراك، سقطت الطائرة.

ويتفلسف الأمريكيون في استعمال الكلمة. مثل نكتة جرسونين في مطعم، أشار واحد إلى امرأة تأكل في نهم. وقال: "أوكي، فمها يمتلئ بالطعام. اذهب وأسألها إذا كان الطعام أوكي."

أغاني:

تقول كلمات أغنية "سلفربيرد" للمغنيين فرانك سلفار وايرفنغ كوهين (واحدة من أشهر الأغاني الأمريكية): "في شارعنا متجر للفواكه. يديره مهاجر من اليونان. كل شيء ممتاز. لكن، لا يقدر اليوناني على الكلام الفصيح. تسأله عن أي شيء يقول: "أوكي." يكررها حتى يكاد يقتلك بها."

وتقول كلمات أغنية "أوكي" لفرقة "بومهابي" الأمريكية السويدية: "أوكي، أوكي، أوكي، أوكي، أوكي، ..." لا شئ غير تكرار الكلمة.

وتقول كلمات أغنية "كل شئ" للمغنية الأمريكية جوليانا هاتفيلد: "أوكي، أي شئ. أوكي، فعلتها أو لم أفعلها. أوكي، كذبت أو لم أكذب. أوكي، وافقت أو عارضت. أوكي، جئت أو ذهبت. أوكي، قلت أو لم اقل. أوكي، أي شئ."

وفي "ترجمة حديثة" للكتاب المسيحي المقدس، اسمها "ميسيدج" (الرسالة)، جاء في ترجمة التوراة (العهد القديم)، في إصحاح صمويل: "قال أهيماز لأيوب: لا يهمني، دعنى أهرب. ورد أيوب: أوكي، اهرب. وهرب أهيماز."

وفي ترجمة الإنجيل (العهد الجديد)، في إصحاح الأفعال: "وسمعت صوتا من أعلي يقول لي: يا بطرس، اقتل الحيوان وكله. وأنا قلت: يا سيدي، لا أقدر، لابد أن يكون ذلك على الطريقة اليهودية. وقال الصوت: إذا قال الله أوكي، أوكي."

أوباما:

خلال انتخابات سنة 2008، وفي خطاب أمام أمريكيين سود، استعمل أوباما كلمة "أوكي دوكي" في إشارة إلى مساواة السود بالبيض. أصل "أوكي دوكي" هو "أوكي." لكن، يستعملها أكثر البيض في الولايات الجنوبية. وصارت لها صلة بالعنصرية ضد السود.

لكن، في سنة 2009، بعد أن صار رئيسا، وفي أول مؤتمر صحافي له، مع رئيس وزراء كندا، ستيفن هاربر، كان أوباما حذرا. وأعطى الإذن لأول صحافي ليسأله سؤالا، وقال: "أوكي، بن فيلار" (مراسل وكالة أسوشيتدبرس).

ومثلما استعملها الرئيس أوباما، استعملها المغني الأسود سبايك لي عندما غنى: "اضطهدونا (البيض) وسرقونا، وأساؤوا لنا، هذه أوكي دوكي." وغنى المغني الأسود أيس كيوب (قطعة الثلج): "يضحكون عليك (البيض). يغمزون وراء ظهرك. أنهم أوكي دوكي."

وخلال مظاهرات الحقوق المدنية في ستينات القرن الماضي (بقيادة القس الأسود مارتن لوثر كينق)، انتشرت عبارة "آي أم أوكي، يو أر أوكي" (أنا مرتاح، أنت مرتاح)، إشارة إلى أن الأسود يمكن أن يكون متساويا للأبيض. وكان عكسها يعنى أن الأبيض يقبل نفسه، لكنه لا يقبل الأسود.

وحسب كتاب "كلمات أمريكية" الذي كتبه ديفيد تانز: "أوكي واحدة من أكثر عشرة كلمات تستعملها المرأة الأمريكية. لكن، أي امرأة تستعملها يجب أن تكون حذرة. إنها كلمة خطيرة جدا."

وبالنسبة للأجانب الذين يأتون للولايات المتحدة، قال الكتاب أن كلمة "أوكي" لها أكثر من فهم:

أولا: لا يستعملونها كثيرا مثل "هاي"، كلمة أمريكية أخرى مشهورة.

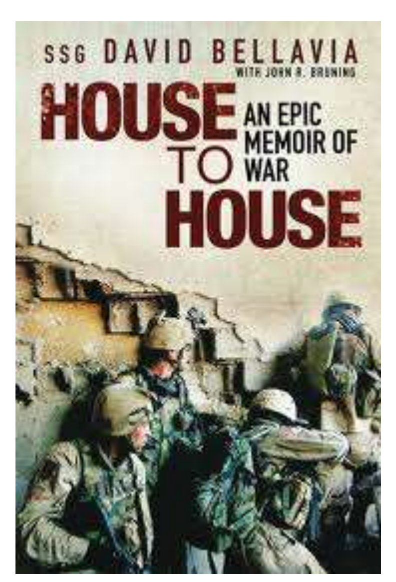
ثانيا: حذرون في استعمالها خوفا من أن تعنى الخنوع أمام الأمريكي. مثل خوفهم من استعمال كلمة "يس" (نعم) و "سير" (يا سيدي).

ثالثا: يتأثرون، خاصة المهاجرين من إفريقيا، بتاريخ الكلمة السلبي بالنسبة للسود. لأن "يس سير" (نعم يا سيدي) حساسة وسط السود، وتذكرهم بأيام تجارة الرقيق.

على أي حال، قال الكتاب أن سنوات كثيرة يمكن أن تمر على الأجنبي في أمريكا حتى يستعمل "أوكي" كما يستعملها الأميركيون. وذلك لأنها "رمز الثقة بالنفس."

في كولدج بارك (ولاية ماريلاند) :

نضال العراقيين ضد الاحتلال الأمريكي



(اقرأ: تغطية حرب العراق).

(اقرأ: قصائد حرب العراق).

في سنة 2008، جئت إلى كولدج بارك (ولاية ماريلاند) لحضور محاضرة ألقاها "سيرجنت" (عريف) ديفيد بلافيا، قائد "بلتون" (فصيل) اشترك في الهجوم على مدينة الفلوجة في العراق سنة 2004 (بعد سنة من غزو العراق).

ثم عاد إلى أمريكا، وكتب كتاب: "هاوس تو هاوس" (من منزل إلى منزل)، عن واحدة من أكبر المعارك بين قوات الاحتلال الأمريكي والمقاتلين العراقيين.

هذه المحاضرة واحدة من سلسلة محاضرات ألقاها كجزء من الدعاية للكتاب، بالإضافة إلى مؤتمرات صحفية ومقابلات في التلفزيون والإذاعة. اشتريت الكتاب، ليس لأقرأ عن

"بطولاته"، ولكن، لأبحث بين السطور عن بطولات العراقيين الذين قاوموا الاحتلال الأمريكي.

حتى الآن، صدرت كتب كثيرة كتبها عسكريون أمريكيون حاربوا في أفغانستان أو العراق. وكلهم أشادوا بأدوارهم في الحرب، وجعلوا من أنفسهم أبطالا. وافهم هذا. وافهم أنهم لا يريدون الكتابة عن نضال الأفغان، أو العراقيين، ضد الاحتلال الأمريكي. لكني ظللت اشتري هذه الكتب، واقلب صفحاتها، وابحث عن أي إشارات إلى نضال الأفغان والعراقيين.

اعتقد أن سنوات طويلة سوف تمر قبل أن يكتب أفغاني أو عراقي كتابا باللغة الانجليزية في أميركا عن هذا النضال. وربما لن يحدث هذا. لهذا، رأيت أن المصدر الوحيد المتوفر في كتب أمريكية عن هذا النضال سيكون إشارات هنا وهناك في كتب الأمريكيين الذين حاربوا هناك.

لم يندم:

الذي ألقى المحاضرة، مؤلف الكتاب، هو جندي عادي، وصريح. قال إنه لم يندم على قتل عراقيين، ومستعد ليعود مرة ثانية إلى العراق ليفعل نفس الشيء "في سبيل أمريكا." وكتب: "أنا جندي محترف. بندقيتي مستعدة للضرب، وأسناني مستعدة للعض، ولساني مستعد للشتم. أحب أمريكا، وأحب الجنود معي. وأكره الصحافيين الليبراليين الذين يعارضون هذه الحرب."

وقالت الدار التي نشرت الكتاب: "هذه مذكرات واقعية، وقاسية. وترضي فضول الذين يحبون الحروب."

وهنا مقتطفات من أحداث يوم 11-11-2004 في الفلوجة، وهي تصور نضال العراقيين:

سطوح المنزل:

"... عند الفجر، صعدت إلى سطح المنزل الذي استوليتا عليه أثناء معركة الفالوجة لاستكشف المنطقة. رأيت منازل قريبة يسيطر عليه الأعداء. وضعوا تحصينات، وأكياس رمل فوق سطوحها. أعتقد أنهم لم يكونوا يعرفون أننا، خلال الليل، استولينا على المنزل. تحدثت مع "جو"، الذي كان يحرس السطوح خلال الليل، وقلت له: "صوب تصويبا دقيقا، واطمئن، قبل أن تطلق الرصاص." ("جو" قناص متخصص في القتل من على بعد). قال: "سمعا وطاعة ياعريف."

لم يخب أملنا. بعد فترة، رأينا شخصا يمشي نحونا. يلبس ملابس طويلة وكثيفة، وكأنه شبح يتحرك في الظلام. كان يردد بصوت عال: "الله، الله، الله." في الحقيقة، سمعنا صوته، في صمت الفجر، قبل أن نراه. شعرت بقشعريرة في كل جسمي. وأحسست بشيء مثل تيار كهربائي داخل عمودي الفقري، من رأسي إلى قدمي. أصبت برعب. هذا صوت عال، وفيه تصميم. هذا صوت "مؤمن".

عندما اقترب، شاهدناه، مع ضوء الفجر، يحمل بندقية "آر جي"، وشريط من الرصاص يتدلى من على كتفيه. كان مثل "رامبو". وقف في منتصف الشارع، وأشار بإصبعه نحونا، وكأنه يأمرنا بقتله.

لم نصدق ما شاهدنا. لم يفكر حتى في أن يحتمي بحائط، أو شجرة. ناهيك عن أن يحفر خندقا خلال الليل. احتمينا نحن، لأنه كان يؤشر، وهو يصوب بندقيته نحونا. كان يحمل البندقية، ولا يحس بثقلها، وكأنه يحمل عصا صغيرة.

لماذا يفعل هذا؟ ... "

احترام الأعداء:

" ... حتى الآن، كنت أحس بالاحتقار نحو أعدائنا. وعندما شاهدت هذا الرجل، أحسست بأني احترمه. محارب، يعرف أن قضيته تحتاج إلى تضحية، وأنه مستعد لأن يضحى، ليس فقط بوقته، وليس فقط بماله، ولكن، أهم من ذلك كله، بحياته.

نحن، أيضا، مثله.

لهذا، يجب أن نقتله.

كان وصل إلى مسافة مائة متر. خف صوته، لكنه لا يزال يردد: "الله، الله، الله." لم نشاهد أي دليل على أي خوف.

دربونا، في حرب الأحراش والشوارع، على أن ننتظر العدو في حذر. وإذا لم نكن متأكدين من مكانه، نطلق رصاصات عشوائية، ليتحرك العدو، ونعرف مكانه. نسمي ذلك "استكشاف بالرصاص." ويبدو أن الأعداء يستعملون نفس التكتيك. لم يعرفوا أي منزل احتللنا خلال الليل. لهذا، أرسلوا هذا الانتحاري يمشي في الشارع، لنقتله، ويعرف الأعداء إننا نحتل هذا المنزل. ثم يهجمون علينا.

لكن، أليست هذه طريقة غريبة في التكتيك العسكري؟ كيف يجعلون من رجل "طعمة" لاختبارنا؟ كيف يريدون منه أن يموت مثل كبش فداء؟

فكرت في ذلك، وأحسست بخوف أكثر. وقلت لنفسي: "هؤلاء ليسوا هواة". وقف الرجل أمامنا يردد دعاء. أود لو عرفت ماذا يقول ... "

كفاية:

" ... قلت لنفسي: "كفاية". والتفت نحو "جو"، وقلت له: "أعطي هذا الرجل ما يريد. اقتله." وأسرع "جو"، القناص المحترف، وقبل مرور أكثر من ثانية واحدة، ومع صوت عال يصم الآذان، شاهدت طلقات الرصاص تخرق الأسفلت أمام الرجل.

كان "جو" يريد أن يعطيه فرصة أخيرة ليهرب، أو يلقى مدفعه. لكن الرجل صاح في احتجاج. لا اعرف ماذا قال. هل غضب على "جو" لأنه لم يقتله سريعا؟ هل تهكم من قوتنا؟

لا أعرف. لكنى أعرف أنه كان غاضبا. من ماذا؟ منا؟ من نفسه؟ ومرة أخرى، شعرت بقشعريرة في عمودي الفقري، مثل تيار كهربائي، من رأسي إلى قدمي.

وفي غضبه، بدأ الرجل يطلق الرصاص على "جو"، الذي أطلق عليه وابلا من الرصاص، قطع رجليه. وشاهدت عظام رجليه بيضاء، ناصعة البياض.

وقع على الأرض وهو يصرخ في ألم. لكنه لم يتوقف على إطلاق الرصاص نحو "جو". أحاطت به بركة من الدم، لكنه لم يتوقف. وللمرة الثالثة، أطلق عليه "جو" وابلا من الرصاص. هذه المرة، في صدره.

في هذه اللحظة، صعد إلى سطح المنزل "جاميسون". واشترك في القضاء على الرجل. ثم صعد "ستيفن"، وانضم إلى الاثنين. صار الشارع بحيرة من دم، وتناثرت فيه أجزاء الرجل، لكن، ظلت يده اليمنى تمسك بالبندقية.

وظل جنودي الأربع يطلقون الرصاص. غضبت، وصرخت فيهم: "أوقفوا! أوقفوا!" لم يفهموا غضبي، لكنهم، على أي حال، أوقفوا إطلاق الرصاص. وعم المكان هدوء هو خليط بين انتصار وهزيمة (لا أعرف هل انتصرنا عليه، أو انتصر هو علينا).

لكن، لم يدم الهدوء طويلا. انطلقت نحونا سيول من الرصاص من المنازل المجاورة ".

كبش فداء:

" ... تأكد لي ما اعتقدت. أرسل الأعداء الرجل "كبش فداء"، ليكتشفوا المنزل الذي سيطرنا عليه في الليلة الماضية.

وبدأت الحرب الحقيقية.

قضينا اليوم كله نستهدفهم، وهم يستهدفونا. قتلنا رجالا، ونسفنا منازل، وساعدتنا دبابات وطائرات. دمرت دبابات "برادلي" كل منزل يصوب منه الأعداء نحونا... ثم اقتربت منا دبابة أميركية لحماية المنزل الذي حولناه إلى قاعدة مؤقتة. ولاحظنا أن هناك ستة أو سبعة من الأعداء يختبون وراءها. كانوا يريدونها ستارا لهم وهي تقترب من المنزل. اعتقد أنهم كانوا قادرون على الاستيلاء عليها. لكنهم فضلوا الاختباء وراءها. لسوء حظهم، اكتشفنا حيلتهم، وعندما اقتربوا من وراء الدبابة، أطلقنا عليهم وابلا من الرصاص. أعتقد أنهم كانوا سبعة، ونحن قتلنا منهم اثنين أو ثلاثة، وهرب الباقون ...

استمر اليوم، واستمر القتال. لاحظت دبابة مجموعة من الأعداء وصوبت نحوهم صاروخ "تاو" المضاد للدبابات. هذا صاروخ يوجه بإشارات لاسلكية، ويستعمل في حرب الدبابات. لكننا، في مدن العراق، استعملناه ضد الأعداء. ينسفهم نسفا.

وأصاب "رويز"، الذي كان يقف بالقرب مني، واحدا منهم كان يرتدي نعلا مفتوحا. لم يساعده النعل على الهروب، وقضى عليه "رويز". وهتفنا كلنا، وشتمناه، وهو يموت أمامنا ..."

"سي إن إن":

" ... كان معنا مايكل وير، مراسل تلفزيون "سي إن إن"، يغطي غزو الفلوجة. و"ابرناتي"، جندي طبي. و"برات"، الذي كان من أشجع جنودي، حتى أصابته رصاصة في عضوه التناسلي.

صور مراسل "سي أن ان" الحادث، بكل التفاصيل، لكنه لم يصور وجه "برات"، احتراما له. طلبت أنا طائرة هليكوبتر طبية لنقله إلى المستشفى العسكري.

سألوني: "لماذا؟" قلت" أصيب إصابة خطيرة". قالوا: "أين". قلت: "في مكان حساس". قالوا: "القانون يقول اننا ننقل الجندي بطائرة هليكوبتر طبية في ثلاث حالات: قتل، أو عمى، أو إصابة خطيرة. مكان حساس ليس إصابة خطيرة. سنرسل إسعافا."

لحسن الحظ، كان هناك "أبرناتي" الجندي الطبي الذي ضمد جراح "برات"، في انتظار الإسعاف الطبي.

حكي لنا مراسل "سي إن إن" عن الأعداء. سماهم "مجاهدين". لهذا نحن سميناهم "موج" (اختصار للاسم). شرح لنا بأنهم محترفون، وإنهم من السنة، وإنهم من خارج العراق. وقال: "جاءوا إلى هنا ليموتوا. بالنسبة لهم، هذا هو الجهاد الحقيقي." وأضاف: "يعرفون أنهم لن ينتصروا عليكم. لكنهم يريدون قتلكم واحدا، واحدا. قتل واحد منكم لن يضعف الجيش الأميركي، لكنه، بالنسبة لهم النصر، وكل النصر."

أنا، بصراحة، لا أحب الصحفيين. وكنت أقول أنهم مثل العاهرات، يكذبون، ويقولون أي شيء لتزيد رواتبهم، أو حتى لا يفصلوا. لكن "وير" قال لنا أشياء ما كنا نعرفها. أنه يعرف أكثر من ما تعرف استخباراتنا ..."

غروب الشمس:

" ... واستمرت الحرب حتى غابت الشمس. وصلنا خبر قتل راموند سيفين، قائد فرقتنا العسكرية في جبهة أخرى في الفلوجة. ثم خبر قتل الضابط فولكنبيرغ. هذا هو قائدنا الأعلى في المنطقة.

حزنا. لكن، لم يزدنا حزننا غير التصميم على النصر. وعلى قتل كل "موج" نشاهده ونحن في سطح المنزل.

أنا، على أقل تقدير، قتلت واحدا. رأيته أمامي مباشرة على سطح منزل مجاور. صرخت فيه: "يا ابن الكلبة (استعمل كلمة أكثر بذاءة). أنا الموت الذي يدمر العالم." هذه عبارة روبرت اوبنهايمر (مخترع القنبلة النووية) نقلها عن الفيلسوف الصيني فيشنو. لكن، لا يعرف أولاد الكلب مثل هذه العبارات الحضارية."

وحل الظلام.

كان "فيت" يقف إلى جانبي، عندما إصابته رصاصة. لم يكن يخاف في الماضي. حتى بعد أن نجا من الموت ثلاث مرات. لكن، هذه المرة، إصابته رصاصة في ساقه، وسال الدم منه كثيرا. وكان صامتا، عندما جاء "أبرناثي" الجندي الطبي، ليحققنا حقن "تيتانوس".

خفت أن ينهزم "فيت" هذه المرة، ويكشف خوفه. حتى لا أحس أنا نفسي بالخوف. وخفت أن تشاهد بقية الفرقة "فيت" وهو في هذه الحالة. أنهم خائفون بدون أن يروه. بالإضافة إلى ذلك، هذه ليلة قاسية في الفلوجة: ظلام، ورصاص، ومتفجرات، وصيحات "الله اكبر".

صعدوا إلى منزلنا:

" ... خلال الليل، شعرنا بحركات وأصوات. وعرفنا، ويا للهول، أن الأعداء صعدوا إلى سطح المنزل. صعدوا بسلم من الخارج. ثم نزلوا إلى الطابق الأعلى. وتبادلنا معهم الرصاص ببنادقنا الأوتوماتيكية. وعندما لاحظت أن أعدادهم كبيرة، اضطررنا للنزول إلى الطابق الأسفل. وكانت الخطوة التالية هي أن نخرج من المنزل، لكننا، قبل ذلك، كنا لابد أن نؤمن خروجنا وسلامتنا.

حسب تدريباتنا العسكرية. كان يجب أن اطلب قصفا جويا يدمر الأعداء. لكن، لن يقدر القصف على قتل الأعداء بدون إصابتنا. لهذا، ليس أمامنا سوى معركة شرسة بها نحمل من بنادق "ام 16"، وبها يحملون من بنادق "اي كي 47".

بينما "فيت" يتألم، قال "ميسا" أنه سيقذف قنبلة إلى الطابق الأعلى. صرخ "فيت: "بحق السماء لا تفعل ذلك. سيتلقفون القنبلة، ويرمونها نحونا. أنت لا تعرف أين هم. ربما هنا في أسفل السلم." ونصح "هول" كلا من "وير" و "يوري": "ابتعدا عن السلم." وصاح الطبيب "ابرناثي": هل اصيب احد؟"

في هذه اللحظة، أطلق الأعداء رصاصات نحونا بالقرب من السلم. لم تصبنا، لكن أصابنا وهجها، وأضاءت المكان، وهي تنعكس، مثل شرارات طائرة، من حائط إلى حائط. نظرت إلى أعلي السلم، وبندقيتي في يدي، ورأيت واحدا من الأعداء، وهو يبتسم. وعكس ضوء الرصاص سنانا بيضاء ناصعة البياض.

قلت لنفسي: "عندي طبيب أسنان، وعندي تأمين صحي على أسناني، وأنظف أسناني كل صباح. كيف، بحق السماء، تكون أسنان "ابن الكلب" (استعمل كلمة أكثر بذاءة) هذا أكثر بياضا من أسناني؟ ... "

فلاش بانق:

" ... تذكرت أن الضابط "دياز"، قبل أن ندخل الفلوجة، زودنا بقنابل "فلاش بانق". أنها قنابل لا تقتل، لكنها تشل لفترة قصيرة. أخذت واحدة من حقيبة ظهرى، لأرميها نحو "أولاد الكلب"، حتى نقدر على الهروب من المنزل. لكن، تذكرت أنني لم استعمل مثل هذه القنبلة في الماضي. ماذا إذا لم أقدر على نزع الفتيل في الوقت المناسب؟

وماذا إذا فجرتها في وجهي؟ سيصاب كل "البلاتون" بالشلل، وسيتفنن "أولاد الكلب" في قتلنا، واحدا بعد آخر.

الآن، دخل "ماكدانيال" سريعا من الخارج، وانضم إلينا داخل المنزل. ورأيت "ماثيو" متعبا. عمره أربعون سنة. لابد أن حرب العراق أنهكته، خاصة لأنه يتنافس معنا وأعمارنا نصف عمره تقريبا.

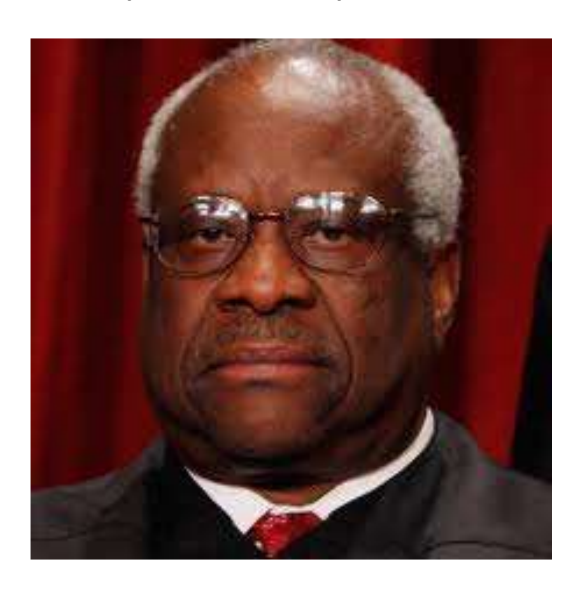
طلبت دبابات ومصفحات لإخراجنا من المنزل بمساعدة "نايت فيشن" (مناظير الليل). سيكون صعبا إخراجنا بعد أن تشرق الشمس. كما أن ذخيرتنا كادت أن تنتهي.

اقتربت دبابة "برادلي" من المنزل، وغطت خروجنا إلى مصفحات. وحسبت رجالي واحدا واحدا، سالمين وجرحى.

واتجهنا نحو قاعدة عسكرية مؤقتة في الطريق رقم عشرة. هذا هو الطريق الذي يقسم الفلوجة إلى قسمين. سيطرت القوات الأمريكية على قسم، وبداية من يوم غد، سنبدأ في السيطرة على القسم الثاني ..."

في مكتبة «بوكز أند بروز» (واشنطن العاصمة) :

عقدة اللون وسط السود



(اقرأ: تجارة الرقيق).

(اقرأ: الاستعلاء الأمريكي).

في سنة 2007، جئت إلى مكتبة "بوكز آند بروز" (واشنطن العاصمة)، قرب شارع كونيتيكات الرئيسي، لحضور ندوة أقامها كلارنس توماس، قاضي المحكمة العليا الأسود، بمناسبة صدور كتابه "ماي قراندفاثر صن" (ابن جدي). ويقصد باسم الكتاب أن والده طلق والدته عندما كان عمره سنتين. ولم يره بعد ذلك. وكانت والدته خادمة، ولم تقدر على تربيته، فأرسلته إلى بيت والديها. وبعد وفاة والدتها، تولى والدها (جده) تربيته.

بعد الندوة، اشتريت الكتاب، ووجدت أنه، بقدر ما يصور قصة نجاح (من سنوات التفرقة إلى المحكمة العليا التي تفسر
الدستور)، يصور قصة معاناة بسبب اللون.

ملخص الكتاب: رغم أن الجد كان فقيرا، ويكسب رزقه من قيادة سيارات تنقل البنزين، قال توماس أنه غرس فيه ما اسماها "القيم المحافظة". وأن هذه جعلته محافظا. وأقنعته بالانضمام إلى الحزب الجمهوري (عكس 95 في المائة من السود الذين ينتمون إلى الحزب الديمقراطي). وجعلته أكثر قضاة المحكمة العليا محافظة.

لكنها سببت له عداء كثير من السود، والليبراليين، والصحفيين.

مدارس كاثوليكية:

كان جد توماس متدينا. أرسله إلى مدرسة "سنت جونز" الكاثوليكية بالقرب من سافنا (ولاية جورجيا). ثم إلى مدرسة "كونسبشن" الكاثوليكية (ولاية ميسوري). ثم درس في كلية "هولي كروس" الكاثوليكية في ووركستر (ولاية ماساجوستس). ثم درس القانون في جامعة ييل (ولاية كونيتيكت). ثم عمل محاميا في مكتب جون دانفورث النائب العام في ولاية ميسورى.

ورغم أنه كان كاثوليكيا، تأثر بتدين دانفورث البروتستانتي. ومثله، انتظم عضوا في الحزب الجمهوري.

وعندما صار دانفورث سناتورا، جاء معه إلى واشنطن، مستشارا قانونيا. وقابل الرئيس ريقان الذي أعجب به كواحد من سود قلائل ينتمون إلى الحزب الجمهوري. ثم ساعده دانفورث في الحصول على منصب مساعد وزير للتربية. ثم مديرا لمكتب الفرص المتساوية (بين البيض والسود) في واشنطن. ثم قاضيا في المحكمة العليا (سنة 1990).

لكن، عارض أعضاء الحزب الديمقراطي في الكونفرس اختياره للمنصب (فاز بأغلبية قليلة). وعارض الاختيار ليبراليون، وصحفيون، ومنظمات نسائية. وأهم من ذلك، عارضه كل القادة السود (مثل: القس جيسي جاكسون، والقس آل شاربتون).

اتهامات بالنفاق:

واتهمه معارضوه بالنفاق:

أولا: رغم أنه دخل كلية "هولي كروس" وجامعة ييل بطريقة خاصة (لأنه اسود)، في وقت لاحق، تنكر لذلك، وقال أن المعاملة الخاصة للسود غير دستورية.

ثانيا: رغم أنه طلق زوجته الأولى، وهو الكاثوليكي الممنوع من الطلاق، قال أن دينه الكاثوليكي يمنعه من تأييد الإجهاض.

قال توماس في كتابه أنه تأثر بفيلسوفة، وبفيلسوف:

أولا: إيان راند (اسمها الأصلي: أليسا روزنبلوم): يهودية ولدت في روسيا سنة 1905. وهاجرت إلى أمريكا. لم تؤمن بنظرية "أنديفيديواليزم" (الفردية) فقط، بل وضعت نظرية "اوبجيكتيفزم" (الموضوعية). وملخصها أن مصلحة الإنسان أهم من كل شيء. وان كل شخص يحدد قيمه الأخلاقية. ولهذا، يمكن أن تسمى نظرية "الأنانية."

ثانيا: توماس سويل، فيلسوف اسود، ويعمل أستاذا في جامعة ستانفورد (ولاية كليفورنيا). لم يؤمن بنظرية الفردية فقط، بل وضع نظرية "بلاك أنديفيديواليزم" (الفردية السوداء). ومخلصها أن السود يجب ألا يعتمدوا على الحكومة لرفع مستواهم، ولكن على أنفسهم.

مشاكل السود:

تحالف توماس مع أرمرسترونق ويليامز، صحفي ومقدم برامج تلفزيونية. ومثله، اسود. ومثله، ينتمي إلى الحزب الجمهوري.

وعندما اصدر توماس كتابه، أقام له وليامز حفلا في منزله، دعا له بعض قادة السود، مثل القس جاكسون، والقس آل شاربتون، وجوليان بوند. كان يريد أن يكون صدور الكتاب فرصة للتوفيق بين توماس والقادة السود. لكنه لم ينجح، لان الخلاف عميق.

الخلاف عميق، لكن لاتزال مشاكل الأميركيين السود عميقة أيضا، وتزيد عمقا. مثلما توضح هذه الأرقام:

خمسون في المائة من طلاب المرحلة الثانوية لا يكملونها.

خمسون في المائة من الشباب في السجون.

سبعون في المائة من العائلات بدون زوج أو أب.

ستون في المائة من الأطفال ولدوا بدون زواج.

وصار واضحا أن هذه حلقة مغلقة لا تتوقف. لأن كل مشكلة تخلق مشكلة أخرى. وصار واضحا أن القادة والسياسيين السود يتحملون جزءا كبيرا من المسؤولية. وصار واضحا أنهم فشلوا في حل هذه المشاكل:

أولا: لأنهم يربطونها بالماضي، وبايام تجارة الرقيق والتفرقة العنصرية.

ثانيا: لأنهم يحملون البيض المسؤولية.

ثالثا: لأنهم يركزون على سواد لونهم، ويجعلونه أساس هويتهم.

***

عقدة اللون:

صار واضحا أن عقدة اللون وسط السود تؤثر عليهم نفسيا، وفكريا، واجتماعيا.

كتب توماس في كتابه: "يقولون أن السواد تفكير وليس لون. لكن الكوكلس كلان العنصرية لا تفرق حسب التفكير. ولكن حسب اللون."

وأضاف: "مهما فكرنا، سيرانا الناس سودا. لأن عندنا ملامح سوداء واضحة، مثل الشعر، والأنف، والشفتان. هذا شيء طبيعي. يفرق الناس بين الأسود والأبيض مثلما يفرقون بين الرجل والمرأة، وبين الطويل والقصير."

لكن، نسي توماس شيئين:

أولا: نسي أن هناك فرقا بين المظهر والتفكير. وأن الرجل يختلف عن المرأة، لكنهما يمكن أن يتفقا. وان الطويل يختلف عن القصير، لكنهما يمكن أن يتفقا.

ثانيا: نسي أن الهوية في العقل، وليست في اللون. وان أساس الهوية هو الإيمان (بالله، أو بالنفس، أو باي شيء آخر). وبعد الإيمان تأتي الثقافة، والوطن. كل شئ، ألا اللون.

لكن، يركز كل كتاب توماس على أن سواد لونه هو أساس هويته (وأساس هوية السود، في كل مكان، وكل زمان). وجعله هذا يصور العلاقة بين البيض والسود على ساس إنها علاقة لون بلون. وجعله هذا غاضبا على البيض. ومتشككا في نواياهم. وحذرا عند التعامل معهم.

"كتاب غاضب":

وطبعا، تلاحظ الأغلبية البيضاء ذلك (لكنها، تأدبا، لا تتكلم عنها علنا). ولاحظ ذلك الذين كتبوا عن :

كتاب توماس:

كتبت صحيفة "واشنطن بوست" في صفحتها الأولى خبرا عن صدور الكتاب عنوانه: "القاضي توماس ناكف وانتصر ... في كتاب غاضب."

وقالت نينا توتنبيرغ، في إذاعة "إن بي آر": "هذا كتاب لغته جميلة، لكن أسلوبه غاضب ومرير."

وكتبت المعلقة الصحافية روث ماركوس: "نار تلتهب مثل فرن. هذا هو كتاب القاضي توماس."

وكتبت مونا شارين، مؤلفة كتب عن الليبراليين والمحافظين: "لا يغضب ألا الذي يتلذذ بالغضب."

أكثر صحفيين يعرفان توماس هما: كيفين ميريدا، ومايكل فتلشر، الصحفيين في صحيفة "واشنطن بوست." كتبا عنه كتاب " روح توماس المتناقضة". وواضح من اسم الكتاب أنهما لا يرتاحان له. كتبا عنه:

"محافظ، لكنه غير مطمئن. صامت، لكنه غير مرتاح. هادئ، لكنه كثير الشكوك. أما لأنه منافق، أو لأنه غير مؤهل. لا يثق في البيض، ولا يثق فيه السود. لا يحب الصحفيين، ولا يحبه الصحفيون."

لكنهما أنصفا توماس عندما قالا أن مشكلة اللون والعرق ليست مشكلته وحده، إنما مشكلة كل أمريكا. وان فشل توماس في حل مشكلته يعكس فشل أمريكا في حل مشكلتها.

"أنيتا" و "جيني":

ليس سهلا التقليل من أحاسيس توماس:

كانت والدته خادمة. وهرب والده مع عشيقته. وكتب توماس أنه حتى يتذكر وجه والده. وكتب انه تربي في ريف ولاية جورجيا العنصري. ومشي حافيا. ولعب في الطين. وسكنت ديدان أمعاءه. وزرع البطاطس وسط الثعابين. ونظف السمك على ضوء لمبه خافته تجذب الحشرات.

ربما جعله هذا يحس بعقدة النقص، ليس فقط نحو البيض، ولكن، أيضا، نحو السود الأحسن حالا. مثل مشكلته مع مساعدته المحامية السوداء، أنيتا هيل، التي تنتمي إلى الطبقة المتوسطة. عندما اختاره الرئيس بوش الأب قاضيا للمحكمة العليا، وعقد الكونفرس جلسات للموافقة على ذلك، شهدت ضده. وقالت انه عاكسها معاكسات جنسية.

في وقت لاحق، كتبت أنيتا هيل (صارت أستاذه قانون في جامعة برانديس، في ولاية ماساجوستس) كتاب مذكراتها: "قلت الحقيقة". وفصلت فيه هذه الاتهامات. لكنها نفت أنها شهدت ضده لأنه رفض أن يتزوجها. ونفت أنها غارت على "جيني" البيضاء التي تزوجها.

ثم دخلت على الخط "جيني"، زوجة توماس البيضاء، وقالت ما معناه أن "أنيتا" كانت تريد من توماس أن يتزوجها، وأنها غضبت لأنه تزوجها هي.

وفي كتابه، قال توماس إن "أنيتا" كانت أكثر سوادا منه. وان، لهذا، كانت تغير عندما يصادق بناتا اقل سوادا. وغارت كثيرا عندما صادق، ثم تزوج، "جيني" البيضاء.

وقال آخرون أن توماس تزوج "جيني" البيضاء لأنه مصاب بعقدة اللون.

في كتابه، نفى توماس ذلك. لكنه قال: "كلما استقل مع جيني الزورق الخاص بنا، ونذهب بعيدا، أحس بالحرية الحقيقية."

هل يجعله هذا يتذكر حرمانه من الاقتراب من أي بنت بيضاء عندما ولد وتربي في ريف ولاية جورجيا؟

هويته:

في كتابه، خصص توماس فصلا كاملا عن هويته. ووصف نفسه بأنه: "أولا، إنسان، وثانيا، رجل، وثالثا، اسود، ورابعا، أمريكي." (يعنى أن لونه هو أساس هويته، واهم حتى من أمريكيته. ونسى إيمانه بالله، وهو الذي درس في مدارس كاثوليكية).

واشتكى بأن البيض "يعتقدون بأني عبد مثقف." واشتكي بأن إخوانه السود "يعتقدون باني أنكل توم (العم توم. صفة يطلقها السود للأسود الذي يدافع عن البيض)".

وفي فصل آخر من كتابه، عنوانه "كرامة مجروحة"، تحدث عن مشاكل النفسية. وقال انه، عندما يقرأ عن هجوم السود عليه (ناهيك عن هجوم البيض)، لا يكاد ينام بالليل.

وقالت الزوجة المسكينة: "لا اعرف ماذا أفعل. أصلي دائما له. أعتقد أن عنده عقدة ذنب لم يقدر على أن يتخلص منها." وقالت: "إحساسه بتحقير الناس له يكاد يقتله. يسأل كل يوم: "لماذا يريدون أن يدمروني؟"

تعليق من هذا المسلم الأمريكي العربي الإفريقي:

نسي توماس (ونسيت زوجته) شيئين:

أولا: إنه رجل غير محايد. لأنه محافظ، ينتقده الليبراليون. ولأنه جمهوري، ينتقده الديمقراطيون. يصمت كثيرا، لكنه عندما يتكلم يناكف ويستفز. ولا ينجو من يستفز من أن يستفز، مهما كان لونه: أسودا، أو أبيضا، أو أخضرا، أو بنفسجيا.

ثانيا: إنه رجل يعتبر لونه الأسود أساس هويته. ولهذا، يكون حساسا عند الحديث عن الألوان. ويحس بالنقص إذا هاجم إنسان لونه. ولهذا، لا يلزمن ألا نفسه.

ما هي هويتي أنا؟

أولا: أساس هويتي هو أنني مسلم. ديني هو أساس هويتي.

ثانيا: الدين (أو الإيمان) يجب أن يكون أساس هوية كل شخص.

ثالثا: هو كذلك، حتى بدون أن يعى الشخص. وذلك لان الذي يعبد الله، أو بقرة، أو بوذا، لابد أنه يضع عبادته فوق الاعتبارات الأخرى (ما دام لا يعبد نفسه).

رابعا: ينطبق نفس الشيء على الدول. ليس صدفة أن الدول المسيحية، أو الإسلامية، تتكتل مع بعضها البعض.

خامسا: يؤثر الانتماء الديني على السياسة الخارجية لكل دولة، وأثر على التطورات والحروب التاريخية.

سادسا: اعتبر ما تسمى "الحرب ضد الإرهاب" التي أعلنها الرئيس بوش الابن بعد هجوم 11 سبتمبر (سنة 2001) حربا غير مباشرة، وصامتة، ضد المسلمين، أن لم تكن ضد الإسلام. بدعم من اليهود وأغلبية الكنائس المسيحية.

ماذا بعد ديني؟

ثقافتي: أميركية، ثم عربية، ثم أفريقية:

أولا: أمريكية لأنى قضيت أكثر من ثلاثين سنة في أمريكا، وتأمركت كثيرا (بصرف النظر علن الجنسية الأمريكية، وجواز السفر الأمريكي).

ثانيا: عربية. الحمد لله، لم أتوقف عن العمل صحفيا في صحف عربية. ربما لو عملت مع صحيفة "واشنطن بوست"، كنت اشتهرت أكثر، لكن كان عروبتي ستقل كثيرا.

ثالثا: افريقية، لكنها ليست هامة. وذلك لأن الثقافة السودانية، أساسا،إسلامية وعربية. ثم هناك التأثير الإفريقي. طبعا، أنا أقل عروبة من ثقافة أهل الشام أو أهل الجزيرة العربية. لكن عربي فخور بعروبتي.

أين لوني الأسود في كل هذا؟

أولا: ليست للوني أي صلة بهويتي. إنه مجرد لون. (إذا سرقت بنكا، ستوزع الشرطة بيانات عنى بأنى اسود).

ثانيا: لا أستيقظ كل صباح وانظر إلى وجهي في المرآة لارى لوني.

ثالثا: هذا هو الفرق الكبير بيني وبين كلارنس توماس، قاضي المحكمة العليا (التي تفسر الدستور). ليته عاد إلى دينه وجعله أساس هويته، بدلا عن الإصرار على أن لونه هو أساس هويته.

لكن، العاقل هو الذي يفصل بين لونه وهويته. والذي لا يفعل ذلك، لا يلوم ألا نفسه.

جامعة لويولا (شيكاغو) : السيطرة على العاطفة



(اقرأ: سيطرة العقلانية).

(اقرأ: الفردية).

في سنة 2012، جئت إلى جامعة لويولا في شيكاقو لمقابلة باربرا روزنواين، أستاذة التاريخ الأوروبي القديم، ومؤلفة كتاب "تاريخ العاطفة." هذه واحدة من مرات قليلة أغادر فيها واشنطن، حيث مكتبي (في مبنى الصحافة الوطني) ليوم واحد فقط بالطائرة وأعود في نفس اليوم. ولا حتى كانت مقابلة رسمية (دفعت تكاليفها من جيبي).

رغم إني، في وقت لاحق، كتبت موضوعا عن "غياب العاطفة في الثقافة الأمريكية" لصفحة الثقافة في صحيفة "الشرق الأوسط" التي أعمل مراسلا لها في واشنطن لعشر سنوات (من جملة أكثر من ثلاثين سنة صحفيا متفرغا في واشنطن).

لماذا هذا الاهتمام الشخصي بهذا الموضوع؟

غريبة!

بعد كل هذه السنوات في أمريكا (جملة قرابة أربعين سنة)، يظل يحيرني موضوعان عن طريقة تفكير الأمريكيين.

الأول: سيطرة العقلانية (ربما في كل مجال).

الثاني: غياب العاطفة (أو قلتها).

غريبة، ليس فقط لأن الموضوع حيرني، ولكن، أيضا، لأني لم أفكر فيه تفكيرا عميقا ألا خلال السنتين أو الثلاث سنوات الأخيرة.

طبعا، هذا موضوع فلسفي، وظللت، كل هذه السنوات، أكتب الأخبار والتعليقات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية. وأبيضا، لا أعرف كثيرا عن الفلسفة والنظريات.

في الحقيقة، بسبب هذه الحيرة، وهذا الجهل، زادت مشاكلي النفسية في التعود على حياة الأمريكيين. الحمد لله، مر عقد التسعينات (عقد الإحباط والتوتر. وهو فصل كامل في كتاب أكتبه باللغة الانجليزية عن صبي القرية السودانية الذي صار يسكن ضاحية راقية خارج واشنطن).

لكن، من وقت لأخر، يصيبني توتر (وغضب) بسبب ظلم أمريكا للمسلمين. وبسبب عدم مقدرتي على التعود على عقلانية الأميركيين (لكن، بدون غضب. بفضول الصحفي).

جامعة لويولا:

لهذا، بعد أن قرأت كتاب "تاريخ العاطفة"، جئت إلى جامعة لويولا في شيكاقو لأتحدث، وجها لوجه، مع المؤلفة.

أول سؤال: "ما هي العاطفة؟"

أجابت: "إحساس سريع بأن شخصا ما، أو شيئا ما، يؤثر على حياتي، بصورة أو أخرى، سلبا أو إيجابا."

س: "كيف؟"

ج: "إذا رأيت أسدا في قفص في حديقة، أتأمل في لونه وتصرفاته (تاملا "عقلانيا"). لكن، إذا رأيته في غابة وهو يسرع نحوي، أحس أنه يهدد حياتي، وتسيطر "العاطفة" على، وأسرع نحو شجرة، وأتسلقها. هذا "إحساس خوف"، هذه "عاطفة الخوف."

س: هل تتأثر عاطفة الخوف من بلد إلى بلد، من ثقافة إلى ثقافة؟

ج: نعم. إذا خرج إفريقي إلى غابة، يحمل حربة طويلة، ويبحث عن أسد يصطاده، ورأى الأسد، لن يخاف. سيفرح، ويصوب حربته نحو الأسد.

س: هل تتأثر عاطفة الشخص بعواطف الذين يعيش وسطهم؟

ج: كلما كانت علاقة الشخص قوية مع الذين يعيش وسطهم، كلما زاد التشابه. وطبعا، توجد علاقات اجتماعية قوية في دول الشرق بالمقارنة مع الدول الغربية. وطبعا، تختلف عواطف مجتمع عن مجتمع آخر. لهذا، يمكن الحديث عن "عاطفة اجتماعية."

س: ما العواطف؟

ج: العواطف ستة: خوف (العكس شجاعة)، غضب (العكس ارتياح)، حزن (العكس فرح)، شقاء (العكس سعادة)، عذاب (العكس متعة).

خلفية تاريخية:

وقالت باربرا روزنواين أنه، حتى وقت قريب، لم تكن العاطفة نفسها موضوعا هاما في الدراسات الثقافية الغربية. وذلك لأنها أهملت لأكثر من خمسمائة سنة. بتهمة أنها كانت مسئولة عن القرون المظلمة في أوروبا.

في القرن الخامس الميلادي، سقطت الإمبراطورية الرومانية. ولألف سنة تقريبا عاشت أوروبا في الظلام. في جهل، وفوضي، وإباحية، وإقطاعية، ورقيق، وسحر، وشعوذة، ووثنية، وعبادة أصنام (قضت المسيحية قرونا كثيرة حتى انتشرت في كل أوروبا).

ثم جاءت الحضارة الغربية الحديثة، حضارة العلوم، والاختراعات، والاكتشافات. بداية بعصر النهضة (في القرن الرابع عشر، مع اختراع الطباعة في ألمانيا). ثم الإصلاح الديني (في القرن الخامس عشر، مع تمرد القس مارتن لوثر في ألمانيا أيضا).

وسادت العقلانية حتى يومنا هذا.

العاطفة والعقلانية:

حسب كتاب "كونشياصنيس (الوعي): مقدمة قصيرة جدا"، الذي كتبته الأستاذة الجامعية سوزان بلاكمور، توجد نظريتان تتشابهان في الأسماء:

أولا: "كونشياصنيس" (الوعي). بداية بالوعى الكلينيكي، عندما يعلن الطبيب أن شخصا قد عاد إليه وعيه. ثم الوعي بمعناه الكبير، أي وعي الإنسان بما حوله. ليس فقط القرية، أو المدينة، أو الوطن، ولكن الصورة العالمية الكاملة (الجغرافية والتاريخية).

ثانيا: "كونشيانص" (الضمير). تفكير الإنسان لتحديد مكانه ومصيره على ضوء الوعي بما حوله. ويعتبر الضمير المقياس الأخلاقي لتفكير الإنسان.

كيف يفكر الإنسان؟

أولا: "لوجيك" (المنطق، مثل التحليل العلمي). أو "ريسون" (السببية، شيء يقود إلى شيء). ولا يوجد اختلاف كبير بين "ريسون" و "راشونال" (عقلاني).

ثانيا: "إيموشن" (العاطفة)، مثل: الخوف أو الشجاعة، الحزن أو السعادة، الحب أو الكراهية، الغضب أو الفرح، الانتقام أو العفو.

حسب الكتاب، هذا هو أساس الاختلاف التاريخي الثقافي الفلسفي بين ما هو عقلي ("راشونال") وما هو عاطفي ("إيموشنال").

وبسبب "غضب" الغربيين على العاطفة التي حملوها مسؤولية قرون الظلام (القرون الوسطى)، ركزوا على العقلانية.

الدولة الحديثة:

ساعد على نبذ العاطفة وزيادة العقلانية تأسيس الدولة الحديثة. الدولة التي تجمع الضرائب بدون وضع اعتبار للعواطف، وتبني المدارس والمستشفيات، بدون وضع اعتبار للعواطف، وترسي مبادئ العدالة والمساواة بدون وضع اعتبار للعواطف. صارت الدولة هي رمز الهيكل الإنساني العقلاني. رمز القوة. وخضع لها كل الناس، بدون وضع اعتبار لعواطفهم. وصارت الدولة أقوى من العلاقات الثقافية، والقبلية، والأخلاقية، والعاطفية.

وهكذا، صارت الحضارة هي قلة العاطفة. وكما جاء في كتاب"تاريخ العاطفة": "تاريخ الغرب هو تاريخ كبت العاطفة."

ثم جاء ماكس ويبار (فيلسوف ألماني توفى سنة 1920)، بفلسفة الدولة الحديثة، الدولة البيروقراطية. وكتب عن "الحقائق العقلانية"، عن أن الشخص عضو في ماكينة عملاقة.

ثم جاء مايكل فوكو (فيلسوف فرنسي توفي سنة 1984). وكتب عن القوة، والمعرفة، ولم يكتب جملة واحدة عن العواطف. كتب عن التجلد والاستقامة، وحذر من الانقياد وراء العاطفة.

وفي كتابه "تاريخ الجنس"، فصل بين الجنس والعاطفة. وانتقد العصور الوسطي (عصور الظلام)، وقال إن الجنس فيها كان إباحيا، وفوضويا. وأن الجنس الحضاري هو الجنس العقلاني. ودعا إلى كبت العواطف الجنسية. وحلل العواطف والممارسات الجنسية. وأسس حلقات يتحدث فيها الرجال والنساء عن تجاربهم الجنسية بهدف تحليلها. وليس بهدف إثارة بعضهم البعض. بهدف البحث عن "حقيقة الجنس". وظهر "سكسولوجي" (علم الجنس)، وكأنه فيزياء أو كيمياء.

وقال فوكو، وهو يحاول عقلنة الجنس: "قبل أن يكون الجنس عاطفة، هو قوة، أو مصدر قوة." (مثل قوة المال، وقوة الحكم، والقوة العسكرية).

فرويد وعقلنة العاطفة:

وهناك سيفموند فرويد (نمساوي يعتبر أبو علم النفس، توفي سنة 1939)، وقال: "الحضارة ليست المتعة الفورية. الحضارة هي السيطرة العقلانية على النفس."

في محاولة أخرى لعقلنة العاطفة، قال فرويد إن علم النفس هو علم العاطفة. وحذر من "قوة" العاطفة. وقال إنها لا تقل عن "قوة" العقلانية.

صحيح، قوة العقلانية تعتمد على المنطق، والسببية، والعلم، والأرقام. لكن، يمكن أن تكون قوة العاطفة أقوى من قوة العقلانية: الغضب يمكن أن يدمر. والانتقام يمكن أن يكون رهيبا. والخوف يمكن أن يثير هلعا لا تمكن السيطرة عليه.

(حتى ايجابيات العاطفة، يمكن أن تكون مدمرة: العفو يمكن أن يكون دليلا على الضعف. والشجاعة يمكن أن تقود صاحبها إلى الهلاك. والحب يمكن أن يقتل، و "من الحب ما قتل."

وقال فرويد أن كتمان العاطفة من أسباب التوتر في الحضارة الغربية. وذلك لأن هذه الحضارة تركز على المنافسة المادية. وتسبب هذه المنافسة في عواطف "خطيرة" مثل: الحسد، والطمع، والنفاق، والعدوان.

وقال إن هذه العواطف "قوة عملاقة مدمرة تبحث عن نقيض لها." وفرق بين "أيقو" (الأنا) و"سيوبر أيقو" (الأنا العليا). وقال أن الأخيرة فوق المنافسات المدمرة، فوق الأنانية، فوق النفاق. وسبب الإحساس بالذنب. ولا راحة مع الإحساس بالذنب. ولابد من الراحة النفسية.

ويمكن القول أن فرويد نفسه كان "عاطفيا" (من النوع الأناني) عندما أسس علم النفس. وذلك لأنه أسس علما يكسب منه، ويشتهر به. ولم يكن "منطقيا" أن يقول فرويد أن علم النفس كلام فارغ.

ثقافة بلا عاطفة:

وسط هذه المحاولات لعقلنة العاطفة (وأغلبيتها من علماء نفس)، بدأ مؤرخون يتساءلون عن غياب العاطفة في الثقافة الغربية.

مثل كتاب "تاريخ العاطفة" السالف الذكر الذي كتبته الأستاذة الجامعية باربرا روزينواين. والتي اعتمدت على كتاب "إعادة النظر في تاريخ العاطفة" الذي كتبه لوسيان فيفار (فيلسوف فرنسي توفى سنة 1956).

ومثل كتاب "السيطرة على العواطف في التاريخ الأمريكي" الذي كتبه زوجان، أستاذ وأستاذة جامعية: بيتر ستيرن، وكارول ستيرن. وفيما بعد كتبا كتاب "مانفستو العاطفة." ويعود لهما الفضل في تطوير "إيموشنولوجي" (علم العواطف). وفصلوه عن "سايكولوجي" (علم النفس)، و "سوشيولوجي" (علم الاجتماع).

من أسباب إهمال العاطفة في تاريخ الثقافة:

أولا: التاريخ هو كتابة التطورات السياسية والعلاقات بين الدول. ولهذا، ظلت كتب التاريخ الاجتماعي والتاريخ الثقافي وتاريخ العاطفة قليلة جدا.

ثانيا: بسبب النفور من العاطفة بسبب العصور المظلمة في أوروبا، صارت دراسة العواطف تقلل من قيمة التاريخ العقلاني.

ثالثا: الخوف من أن دراسة العاطفة تسبب "مناقشات عاطفية" وسط المؤرخين والخبراء. وان هذه المناقشات يمكن أن تتحول إلى غضب وعنف.

أهمية العاطفة:

لكن، رغم هذه العوامل، كما تقول الكتب السابقة، تظل العاطفة شيئا أساسيا في شخصية الإنسان، وفي علاقته مع الآخرين.

ماذا عن الروايات العاطفية والرومانسية التي ظلت جزءا من الثقافة الغربية والأميركية؟ ليست "إيموشنولوجي" (علم العاطفة)، ليست دراسة عميقة، ليست أحاسيس حقيقية. لهذا، تعتبر الروايات والقصائد العاطفية جزءا من "تاريخ ثقافي"، وليست جزءا من "تاريخ عاطفي."

من المسؤول عن إهمال تاريخ العاطفة؟ الحكام، والصفوة، والتركيز على الوطنية، والدولة، والعقلانية، والعلمانية، والواقعية. صار كل شيء من اجل الوطن. ولا مكان للعاطفة غير حب الوطن. مثل قول ستيفن ديكاتور (جنرال أميركي توفى سنة 1820): "أنا مع وطني، صائبا أو خطأ."

وطبعا، هذا على حساب الأخلاقيات، على حساب الخطأ والصواب، والحق والباطل.

لكن، في الجانب الآخر، يقول العقلانيون: الأخلاق، والعاطفة، والدين، غير عقلانية، لأنها ليست علمية، ولا يمكن أن تقاس، وتحسب.

غربيون وشرقيون:

واحد من كتب قليلة عن الاختلافات العاطفية الثقافية هو الذي كتبه الأمريكي بوث روثبومك "العلاقات الاجتماعية في الولايات المتحدة واليابان." ومما جاء في الكتاب:

أولا: يتعلم الطفل الأمريكي، من روضة الأطفال، الثقة بنفسه، والاعتماد على نفسه، والتعبير عن عواطفه في حرية. لهذا، عندما يبتسم (وهو سعيد)، يبتسم ابتسامة كبيرة. لكن، ابتسامة الطفل الياباني باهتة.

ثانيا: عندما سأل طفل أمريكي: ماذا تحس؟ أجاب: أحس بأني سعيد. لكن، أجاب الياباني: كلنا على ما يرام (يقصد: نحن سعداء).

ثالثا: تقيس الأم الأمريكية مستوى ابنها بمقدار نجاحه (في المدرسة، في لعبة رياضية). لكن، تقيس الأم اليابانية مستوى ابنها بمقدار طاعته (لها، ولمجتمعها).

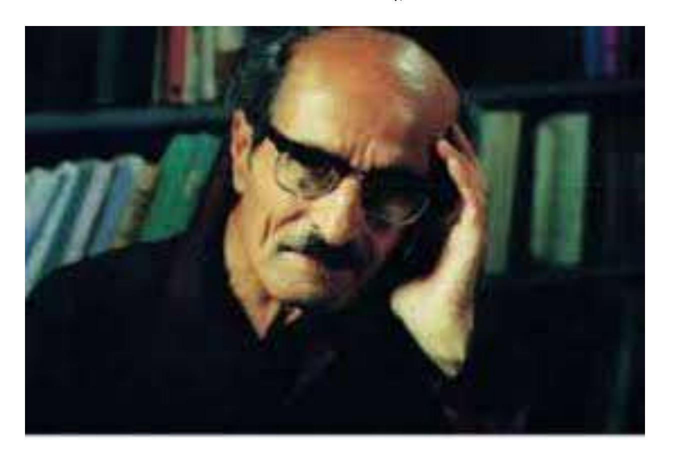
ثالثا: العاطفة بالنسبة للأمريكي عملية تفاعلية داخلية فردية، يسيطر عليها، ويعلنها إذا أراد، ولا يعلنها إذا لا يريد. لكن، في اليابان، العاطفة أحاسيس مشتركة. لهذا، يجب أن يكون الطفل حذرا في الحديث عن أحاسيسه (حتى لا يحرج عائلته، أو مجتمعه).

رابعا: بسبب فردية الأمريكي، يحكم على عواطف الشخص الآخر بالنظر إلى وجهه وتصرفاته، ويحكم عليه حكما مباشرا. لكن، يحاول الياباني تحليل شخصية الآخر. لهذا، كأن الأمريكي يسأل مستغربا: "ماذا تريد؟"، لكن، كان الياباني يقول: "الموضوع ليس بهذا البساطة. حاول أن تفهمني."

تحديث:

لم أعثر على كتاب أو دراسة تقارن العاطفة وسط الأمريكيين بالعاطفة وسط العرب والمسلمين. لكن، ربما تشبه المقارنة بين الأمريكيين واليابانيين، حسب الكتاب السابق الذكر. ويمكن تلخيصها في الآتي: ينظر الأمريكي إلى العربي نظرة مباشرة في عينيه، ويسأل: "ماذا تريد؟". ويستغرب العربي للطريقة المباشرة، ويتلعثم، وينظر إلى زملائه، ويجيب:"افهمنا" (لا يقول: افهمني أنا، لكن، افهمني أنا وإخواني). وطبعا، لا يفهمهم الأمريكي.

في الرابطة القلمية العربية (نيويورك) : الريحاني ، وأبو ماضي، وميخائيل نعيمة



(اقرأ: جبران خليل جبران).

(اقرأ: أولاد وبنات المهاجرين العرب).

(اقرأ: روايات أمريكية عن العرب).

(اقرأ: روايات عربية عن الأمريكيين).

في سنة 1993، وقفت أمام شقة في المبنى رقم 48، في الشارع رقم 76، في نيويورك، حيث كان مقر "الرابطة القلمية العربية"، أول تجمع للأدباء العرب الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة في بداية القرن العشرين. مثل: جبران خليل جبران، إيليا أبو ماضي، ميخائيل نعيمة،وأمين الريحاني.

عندما كنت في مدرسة ارقوا المتوسطة (في ارقوا، على نهر النيل، في شمال السودان، إلى الجنوب من الحدود السودانية المصرية)، قرأت، وحفظت بعض أشعار هؤلاء، أتذكر منها: "وطن النجوم" لإيليا أبو ماضي. و"لست ادري" لميخائيل نعيمة.

ومنذ أن جئت صحفيا إلى واشنطن سنة 1980، كنت أريد أن اعرف مزيدا عن هؤلاء، وعن غيرهم من المهاجرين العرب الشعراء والأدباء.

في وقت لاحق، زاد فضولي، وصار جادا. ليس فقط لكتابة تقارير صحفية، ولكن، أيضا، لموضوع شخصي. في بداية التسعينات، بعد عشرة سنوات في واشنطن، نلت الجنسية الأمريكية، وأقسمت بالولاء للولايات المتحدة. وبدأت أسأل نفسي عن هويتي الحقيقية. وزادت مشاكل بسبب خلفيتي الإفريقية. وذلك لأني وجدت الأمريكيين السود يركزون على لونهم. وأغضبني ذلك، وأحزنني، وحيرني:

ناولا: لأني في السودان لم أضع أي اعتبار للوني.

ثانيا: لأني في أمريكا حاولت تجنب أهمية لوني.

وفيما بعد، اقتنعت بان لوني ليست له أي صلة بهويتي. وان أساس هويتي هو ديني، ثم العروبة، ثم الإفريقية (الثقافة، لا اللون).

عدت إلى إسلام القرية (وادي حاج، قرب أرقو). وأهملت أي دور للوني. ولهذا، كان لابد أن أركز على لغتي العربية (ماذا سأكون في أمريكا وأنا لا أتكلم اللغة العربية؟)

وهكذا، عدت لأبحث عن الشعراء المهاجرين الذين حفظت بعض أشعارهم وأنا في مدرسة أرقو المتوسطة.

"الرابطة القلمية":

في مرة من مرات زياراتي لنيويورك (احضر كثيرا لتغطية اجتماعات الأمم المتحدة)، بحثت عن "الرابطة القلمية"، حتى وصلت إلى هذا العنوان في الشارع رقم 76 في نيويورك.

في الحقيقة، كانت الشقة منزلا سكن فيه أمين الريحاني، وأسس فيه مقر "الرابطة القلمية." وكانت الشقة أيضا رئاسة "أوثرز كلوب" (نادي المؤلفين، وهو نادي بريطاني، انضم إليه الريحاني، وجعل شقته مقرا له).

مشيت شمالا، من فندق نزلت فيه قرب "تايمز سكوير" (قلب نيويورك)، على شارع "برودواي"(شارع المسارح). وبعد مسافة طويلة، بعد ميدان "سنترال بارك"، عرجت على الشارع 76.

كنت أعرف أن الرابطة القلمية، ونادي الكتاب، لم يعودا هناك، منذ نصف قرن تقريبا، خاصة بعد أن عاد أمين الروحاني وميخائيل نعيمة إلى لبنان. لكن، رايت أن اذهب، واقف، والتقط صورة. وأحاول أن اربط صحفيا عربيا هاجر من السودان مع شعراء وأدباء عرب هاجروا من لبنان، قبل مائة سنة تقريبا.

خلفية تاريخية:

في الولايات المتحدة، إذا يشتهر جبران خليل جبران بديوان "النبي"، يشتهر أمين الريحاني بقصة "كتاب خالد".

في سنة 1911، في نيويورك، نشرتها دار نشر "دود أند ميد"، وكانت أول رواية عربية تصدر بالانجليزية في الولايات المتحدة. وتصور الرواية مشاكل هجرة العرب إلى أمريكا مع بداية القرن العشرين.

ولد الريحاني سنة 1876 في فريكيه، قرب بيروت، في جبل لبنان، عندما كان لبنان جزءا من الإمبراطورية التركية العثمانية. وهاجر، عندما بلغ عمره اثنتي عشرة سنة، إلى أمريكا مع عمه. ثم، بعد سنة، انضم إليهما والده.

مثل كثير من العرب المهاجرين في ذلك الوقت، عمل أمين الريحاني في بيع الخردوات في "سوريا الصغيرة" في نيويورك. وكان، وهو غير المتعلم، يدفع طاولة بعجلات، وعليها خردوات، ويتجول الأحياء، وهو يصيح للدعاية لخردواته.

في وقت لاحق، زاد تعليمه، وتخصص في القانون، وترجم أشعار أبو العلا المعرى إلى اللغة الإنجليزية. في سنة 1910، عندما كان عمره 32 سنة، نشر كتاب "ريحانيات" باللغة العربية عن عودته إلى مسقط رأسه، حيث قضى سنوات دون خلالها ذكريات وانطباعات. بعد ذلك بسنة، نشر كتاب "كتاب خالد" باللغة الانجليزية. ورسم لوحة الغلاف صديقه جبران خليل جبران، الذي كتب رويات وقصائد، منها "النبي" (سنة 1923)، وتحدث عن تأثير الريحاني عليه.

لم يكن الريحاني بعيدا عن السياسة. كتب، وتحدث، وتظاهر، ضد سيطرة الأتراك على الدول العربية. وضد زيادة هجرة اليهود إلى فلسطين. وتنبأ بأن عواقب الهجرة ستكون وخيمة (توفى قبل سبع سنوات من تأسيس إسرائيل سنة 1947).

صور الريحاني نفسه حلقة وصل بين الشرق والغرب. وخاصة بين العرب والأمريكيين. وكان كذلك. وكان من أوائل الذين جادلوا بإمكانية التعايش والتعاون بين العرب والغرب، رغم اختلاف الأديان، واللغات، والثقافات.

ومما كتب، هذا السؤال الهام: "من الذي يقدر على أن يقدم، من شرقيين وغربيين، أدلة على أن ليبرالية الغرب وعلومه لا تناسب قيم الشرق الدينية؟"

"كتاب خالد":

في الرواية، هاجر "خالد" و"شكيب" من بعلبك إلى نيويورك. (قال كثير من الذين كتبوا عن الريحاني أن الرواية ترمز إلى قصة حياته، أن لم تكن تصورها).

وقضيا أسابيع في السفينة، ثم قضيا ساعات في الصفوف الطويلة في جزيرة "أليس." هناك كانت ترسو السفن التي تحمل المهاجرين. وكان موظفو الهجرة يسجلون أسماء المهاجرين الجدد. ويسألون المهاجرين أسئلة حرجة، خاصة عن "الأسماء الغريبة." واضطر بعض المهاجرين العرب إلى أن يغيروا أسمائهم، التي بدأت معقدة لموظفي الهجرة، إلى أسماء انجليزية سهلة النطق والكتابة.

وفي "الدنيا الجديدة" عاش خالد وشكيب الحياة الجديدة بجانبيها:

الاول: كسب العيش (بطاولة عجلات، تحمل خردوات، وتطوف من شارع إلى شارع).

الثاني: صراع الهوية (هل انا عربي؟ هل أنا أمريكي؟).

وكانا يتحدثان عن جانبي الحياة: في جانب: كسب العيش، والسكن، والأكل، والشراب. وفي جانب: معنى الحياة، والهدف منها، وأولها، وآخرها.

رغم أن الصبيين عملا في البداية معا في بيع الخردوات، في وقت لاحق، تفرقا:

الأول، شكيب، ركز على التجارة.

والثاني، خالد، ركز على القراءة والكتابة. (ثم أحرق عربة الخردوات، وقال إن التجارة فيها كثير من خداع الناس، وكثير من عدم الأمانة).

لكن، ربما مثل كل مهاجر عربي إلى أمريكا، لم تكن الأمركة سهلة للاثنين. كانت أصعب بالنسبة لخالد لأنه كان ينتقد الرأسمالية الأمريكية.

بالنسبة لشكيب، كانت الأمركة أسهل لأنه أيد النظام الرأسمالي، واستفاد منه، وكون ثروة ساعدته على التحول.

خالد وشكيب:

وبينما صار شكيب رجل أعمال ناجح، صار خالد بوهيميا، يبحث عن الحقيقة في زهد ولا مبالاة.

وعندما دخل خالد مجال السياسة، واجه مشكلة ثالثة، وهي فساد السياسيين ونفاقهم. وتآمر ضده سياسيون، واتهموه هو نفسه بالفساد و"أكل المال العام". واعتقل وسجن. ونشرت صحف نيويورك تقارير يومية عن "العربي اللص"، بإيعاز من أعدائه، خاصة في نيويورك حيث المنافسات السياسية وكأنها قتال.

وأسرع شكيب ودفع غرامة خالد، وخرج خالد من السجن.

ورغم أن خالد قضى فترة قصيرة في السجن، كانت كافية ليتأمل فيما وصلت إليه حياته في "الدنيا الجديدة". وكتب: "مع الحرية يوجد الفساد، ومع العدل يوجد الظلم، ومع التفاؤل يوجد التشاؤم".

واعتبر أن هذا هو درس أمريكا الأول.

(رأيي أنا، بعد أكثر من ثلاثين سنة في أمريكا، أن الحرية أكثر من الفساد، والعدل أكثر من الظلم، والتفاؤل أكثر من التشاؤم، ومحاسن أمريكا أكثر من مساوئها كثيرا).

لكن، تغلب نصف كوب الريحاني الفارغ على نصفه الملآن، وتغلب التشاؤم عليه، وترك أمريكا، وعاد إلى لبنان.

ياليته لم يعد. كان يعتقد انه لا يزال لبنانيا، رغم أنه تأمرك كثيرا. لكن، نظر إليه اللبنانيون الذين كان تركهم، منذ سنوات وسنوات، كأمريكي. وفشل فشلا ذريعا في أن يثبت لهم بأنه لا يزال لبنانيا.

ومثل صراع الهوية الذي عانى منه في نيويورك، عاني من صراع هوية جديد في بيروت.

ثم عانى من صراع ثاني، ليس مع نفسه، ولكن مع كنيسته المارونية. رغم انه لم يغير دينه في أمريكا، كان تشبع بروح التسامح الديني. ولهذا، عندما عاد إلى بيروت، تمرد على التشدد، ليس فقط داخل الكنيسة المارونية، ولكن، أيضا، في علاقتها مع طوائف مسيحية أخرى، ناهيك عن علاقتها مع المسلمين.

ثم عانى من صراع ثالث: مع الإمبراطورية التركية، عندما بدا يلقى محاضرات، ويقود مظاهرات ضد الأتراك. ومثلما فصله القساوسة المارونيون، اعتقله الحكام الأتراك.

ثم عاني من صراع رابع واهم: مع الحياة كلها. لأنه، في نهاية الرواية، اختفى.

هدف الرواية:

وهكذا يبدو واضحا أن الموضوع الرئيسي لرواية الريحاني هو محاولة التوفيق بين القيم الغربية والقيم العربية. لكن، كانت المحاولة صعبة. وسببت كثيرا من القلق، والتوتر، والإحباط. وانعكس هذا في كثير من كتابات الريحاني. وكتابات، وأشعار، وروايات غيره من المهاجرين العرب الأوائل، مثل جبران خليل جبران.

وأود أن أضيف اسمي المتواضع إلى هؤلاء.

لكنى اختلف مع تشاؤم خالد في الرواية وعودته إلى لبنان (وأيضا، عاد الريحاني إلى لبنان).

في الرواية، خالد تأمل كثيرا في محاسن ومساوئ الحياة الأمريكية. ثم غضب بسبب المساوئ، وأنا أقول: ما كان يجب أن يغضب. ربما كان عليه أن يعتبر أن المحاسن والمساوئ "توازن" بعضها البعض. أو أن المحاسن أكثر من المساوئ. أو أن "الحسنات يذهبن السيئات."

غير أن الريحاني ("خالد") نفسه، ربما من غير أن يدري، أثبت كثرة محاسن أميركا، وخاصة:

أولا: الحرية. والتي كانت هدفه الأول بعد أن عاد إلى لبنان، حيث اشترك مع العالم العربي في صراعه ضد الإمبراطورية العثمانية.

ثانيا: التسامح الديني. والذي ظهر في مشاكله مع الكنيسة المارونية، وفي دعوته للتسامح وسط المسيحيين ومع المسلمين. ولم يتردد، خلال سنوات النضال ضد الأتراك، في زيارة مساجد ومخاطبة المسلمين هناك.

مثل غيره من المهاجرين العرب إلى أمريكا، دفع الريحاني ("خالد) الثمن. ثم زاد عليهم ودفع ثمنا آخر لأنه عاد إلى الوطن الأم.

وماذا اشتهر الريحاني بسبب "كتاب خالد"، وكتب أخرى في أمريكا، اشتهر أيضا بسبب رحلاته في الجزيرة العربية، ومنها صداقته مع الملك عبد العزيز آل سعود، مؤسس المملكة العربية السعودية.

تحديث:

بعد عشر سنوات من وقوفي أمام مكان "رابطة القلم العربية" في نيويورك، وفي سنة 2011، ذهبت إلى مكتبة الكونغرس (في واشنطن) لحضور حفل بمناسبة مرور مائة سنة على أول رواية عربية أمريكية ("كتاب خالد") التي كتبها أمين الريحاني.

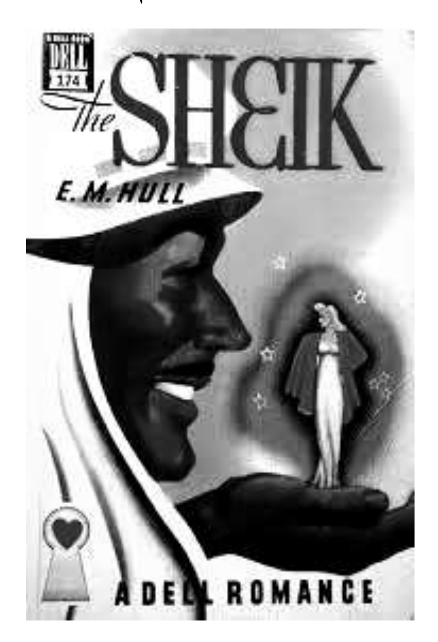
شمل احتفال مكتبة الكونغرس محاضرات وندوات استمرت يوما كاملا. وأشرف عليها قسم الشرق الأوسط ومعهد أمين الريحاني. ومن الذين تحدثوا: سهيل بشروي، أستاذ في جامعة ماريلاند، وكتب كتبا عن الريحاني، وروجر ألين، أستاذ الفكر الاجتماعي في جامعة بنسلفانيا، وأنطوان شديد، سفير لبنان في الولايات المتحدة.

ومثل حضوري لكثير من المناسبات العربية الأمريكية، كتبت عنها، وتأملت فيها. تأملت في عروبتي.

وحمدت الله أنها، بعد أكثر من ثلاثين سنة، لم تضعف (ربما زادت، وذلك بسبب القول بأن العربي لا يقدر عروبته حتى يخرج من بلاد العرب، والمسلم لا يقدر إسلامه حتى يعيش وسط الأميركيين).

وها أنا فخور بعمالقة المهاجرين العرب إلى أمريكا.

صحيفة «الصحافة» (الخرطوم) : الأمريكي القبيح



(اقرأ: جنديات في العراق).

(اقرأ: مقاومة العراقيين للاحتلال الأمريكي).

(اقرأ: الاستعلاء الأمريكي).

في سنة 1961، كنت طالبا في مدرسة وادي سيدنا الثانوية (على نهر النيل، شمال الخرطوم بعشرين كيلومترا تقريبا)، وكنت أتعاون مع صحيفة "الصحافة" (في الخرطوم) في كتابة مواضيع عن العلاقات الدولية. كانت لغتي الإنجليزية ضعيفة. لكنها تحسنت في وقت لاحق، وصرت أترجم مواضيع من مجلة "تايم" ومجلة "نيوزويك".

كان أستاذي في الترجمة في الصحيفة خالي عبد الحفيظ باشرى. وتابعت (واستفدت من) ترجمته لكتاب "اقلي

أمريكان" (الأمريكي القبيح. هو ترجمها "الأمريكي القمئ"، وكأنه تعمد زيادة القبح).

الكتاب عن مغامرات أمريكي في جنوب شرق آسيا، ويصور استعلاء الأمريكيين. ويصور احتقارهم لشعوب العالم الثالث (باسم محاربة انتشار الشيوعية هناك). في ذلك الوقت، كانت أمريكا أرسلت "مستشارين عسكريين" لمساعدة الاحتلال الفرنسي. وبعد هزيمة الفرنسيين (مثل في معركة "دان بيان فو" التاريخية، سنة 1954)، زاد التدخل العسكري الأمريكي.

والكتاب خليط من حقائق ورواية خيالية، عن "مستشار أميركي" كان، حقيقة، ضابطا في وكالة الاستخبارات الأمريكية (سي أى إيه).

لم يجعلني الكتاب أكره الأمريكيين، ولكنه زاد معلوماتي عنهم. وكان رد فعلي خليطا من انبهار وكراهية (انبهار بحياة الأميركي الحديثة، وحريته، وشجاعته. وكراهية لاستعلائه على شعوب العالم الثالث، وظلمه لهم).

منذ ذلك الوقت، عرفت جيدا كيف أفرق بين حرية أمريكا وبين سياستها الخارجية (خاصة نحو شعوب العالم الثالث). وكيف أفرق بين محاسن ومساوئ الأمريكيين (وأي شعب، وأي شخص). في ذلك الوقت، أثر على الانبهار بأمريكا أكثر من كراهية أميركا.

وحتى، خلال السنوات التالية، عندما تخرجت من جامعة الخرطوم، وصرت صحفيا متفرغا بالقسم الخارجي في نفس صحيفة "الصحافة"، وغطيت التدخل الأمريكي في فيتنام لسبع سنوات تقريبا. لكني، أيضا، عارضت هذا التدخل، وكتبت ضده في "الصحافة"، وتظاهرت ضده في شوارع الخرطوم، واقتحمت السفارة الأمريكية مع متظاهرين، نزعوا العلم الأمريكي، وحرقوه (عدت إلى "الصحافة" وكتبت الخبر لينشر في اليوم التالي).

رغم ذلك لم يقل انبهاري بأمريكا. وكنت دائما أريد أن آتي إليها، وأتعلم فيها، ليس فقط لماجستير أو دكتوراه، ولكن، أيضا، لأصير شخصا حديثا، ومتطورا. ليس فقط في الأكل والشراب والسكن واللباس، ولكن، أيضا، للاستمتاع بالحرية، وإطاعة القانون، والالتزام بالنظام (ثم أن أريد ذلك لغيري في دول العالم الثالث).

وبعد عشرين سنة تقريبا من قراءة حلقات "الأمريكي القبيح"، تحقق حلمي، وجئت إلى واشنطن صحفيا متفرغا، حتى اليوم.

"الأمريكي القبيح" مرة أخرى:

بعد عشر سنوات تقريبا في واشنطن، ولأول مرة في التاريخ، وفي سنة 1990، تدخلت الولايات المتحدة عسكريا في دولة عربية (باسم تحرير الكويت من احتلال العراق).

ومثلما عارضت التدخل الأمريكي في فيتنام، عارضت هذا التدخل. وبقوة أكثر. لأنه لم يكن لمحاربة الشيوعية، ولا لنشر الحرية، ولا حبا في الشعب الكويتي أو العراقي أو الخليجي. ولكن، لحماية آبار البترول، ولقف زحف الثورة التاريخية الحتمية: القضاء على سيطرة ملوك وأمراء (يتوارثون العروش) في دول الخليج.

ومثلما اشتركت في مظاهرات في الخرطوم أمام السفارة الأمريكية، اشتركت في مظاهرات أمام البيت البيض.

ومثلما قرأت في ذلك الوقت ترجمة كتاب "الأمريكي القبيح"، قرأت هذه المرة النسخة الإنجليزية الأصلية.

ثم شاهدت الفيلم الذي اعتمد على الكتاب، وبنفس الاسم (صدر سنة 1963، وسمعت عندما كنت في السودان). بطل الفيلم هو الممثل القدير الراحل مارلون براندو (جرى في عروقه دم الهنود الحمر، واهتم، في أفلامه ونشاطاته الاجتماعية والسياسية بقضايا الهنود الحمر، وشعوب العالم الثالث).

وكأني شاهدت فيلما عن التدخل العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط سنة 1990، وليس في فيتنام قبل ذلك بأربعين سنة تقريبا.

خلال نقاش ساخن بين "المستشار" (الجاسوس) الأمريكي في بانجكوك (عاصمة تايلاند) وصحفي تايلندي، قال الصحفي: "لسبب ما، ليس الأمريكيون الذين قابلتهم في أمريكا مثل الذين قابلتهم هنا في تايلاند. هنا، يتغيرون تغييرا سحريا. ينعزلون عن الناس، ويتعالون عليهم، ويرفهون عن أنفسهم على حسابنا."

غير أن الصحفي التايلندي لم يقل "يقتلونهم" لأن أميركا لم تتدخل في تايلاند، رغم أنها تدخلت في فيتنام ولاوس وكمبوديا المجاورة.

في سنة 1995 (بعد أربع سنوات من بداية التدخل العسكري الأميركي في الشرق الأوسط، قابلت روبرت ماكنمارا، وزير الدفاع الأمريكي خلال حرب فيتنام. وكانت المناسبة إصداره كتاب مذكراته: "ريتروسبكيتف" (نظرة إلى الوراء).

ومما قال أن ثلاثة ملايين فيتنامي قتلوا خلال حرب فيتنام (كان الاعتقاد العام هو مليون فقط). وعن الحرب، كتب "رونق. تيريبلي رونق" (خطا. خطأ فظيع).

تحديث:

في سنة 2000 (بعد عشر سنوات تقريبا من حرب تحرير الكويت)، نشرت معلومات موثوق بها بأن مائة ألف عراقي قتلوا، في الكويت والعراق.

وفي هذه السنة، سنة 2012، نشرت معلومات موثوق بها بأن ما تسمى "الحرب ضد الإرهاب" (حسب التعريف الأمريكي، تشمل أفغانستان، والعراق، وأي مكان آخر) قتلت نصف مليون شخص (مسلم) تقريبا. منهم ربع مليون تقريبا عراقي (حتى انسحبت القوات الأمريكية سنة 2010). وخمسمائة ألف أفغاني (لم تنسحب القوات الأميركية حتى سنة 2012)، وخمسة آلاف باكستاني (لم تتوقف الغارات الجوية بعد)، وسبعة آلاف في الصومال (لم تنتهي الحرب بعد)، وخمسة آلاف في أماكن أخرى (تستمر الحرب ضد الإرهاب في اليمن، ودول الصحراء الإفريقية).

"الأميركي القبيح" مرة أخرى:

في سنة 2011، ذهبت إلى الكونقرس لحضور جلسة استجواب مع نهاية التدخل العسكري الأمريكي في العراق.

كان هناك الجنرال جيمس ماتيس، القائد الجديد للقيادة الأمريكية الوسطى (سنتكوم). وكان آثار نقاشا حادا بسبب تصريحات عن حرب العراق، يمكن أن تجعله "أميركي قبيح" حقيقة. في سنة 2003، ألقى خطابا أمام قوات المارينز التي قادها قبيل غزو العراق. كانت القوات في الكويت، وقبيل أن تعبر الحدود، خطب فيها، وقال الآتي:

"لعشرات السنين، عذب صدام حسين الشعب العراقي، وسجنه، واغتصبه، وقتله. وغزا دولا مجاورة بدون تحرش، وهدد العالم بأسلحة الدمار الشامل. الآن، جاء وقت نهاية عصره الإرهابي. وعلى أكتافكم تقع أماني كل الجنس البشري."

وأضاف: "عندما أصدر أمر التحرك، سنعبر "خط البداية" ونواجه القوات التي اختارت أن تواجهنا، وندمرها."

وأضاف: "لنتوقع أسلحة كيماوية، وغدرا، ودروعا بشرية، وتكتيكات غير أخلاقية. يجب ألا تهكم هذه. كونوا الصيادين، لا الصيد."

وأضاف: "انتم جزء من أكبر قوة في العالم، والأكثر تخويفا،والأكثر نزاهة. حاربوا بقلب سعيد وروح قوية."

وأضاف: "برهنوا للعالم أنه لايوجد صديق أحسن من المارينز، ولا يوجد عدو أسوأ من المارينز."

وزير الدفاع:

في سنة 2009، عندما اقسم الجنرال ماتيس عند تعيينه قائدا لقوات القيادة الوسطى، كان هناك روبرت غيتس، وزير الدفاع، الذي وصفه بأنه "واحد من أهم الاستراتيجيين العسكريين المفكرين في بلدنا. وليس جديدا على القيادة الوسطى لأنه عمل فيها في الماضي في إخلاص."

قال وزير الدفاع ذلك رغم انه، في سنة 2005، عندما كان في قاعدة سان دييقو، قال واحدة من عبارات كثيرة قالها وأثارت ضجة، وجعلت بعض الناس يصفونه بأنه "الأميركي القمئ" أو "الأميركي المتعجرف".

في تلك المرة، وأثناء محاضرة عسكرية عامة القاها، قال: "ذهبت إلى أفغانستان، وشاهدت رجالا يصفعون النساء لأنهن لا يغطين وجوههن لخمس سنوات (أيام حكومة طالبان). مثل هؤلاء الرجال ليسوا في الحقيقة رجالا. لهذا، تلذذت بقتلهم. حقيقة، تلذذت بالحرب هناك." وأضاف: "أتلذذ بقتل بعض الناس الذين لا يستحقون الحياة." وأضاف: "أقول لكم بصراحة: أحب "برولنق" (المشاكسة والمناكفة).

ربما ما كان هذا التعليق يثير ضجة لو لم يكن في القاعة صحفي نشر الخبر. وعندما أثار ضجة، أصدر الجنرال مايكل هاقي، قائد قوات المارينز بيانا لم يعاقبه فيه، ولكن طلب منه "انتقاء الكلمات في حذر".

مجلة "أتلانتيك":

لكن، يبدو أن الجنرال ماتيس لم يسمع كلام قائده.

لهذا، في سنة 2009، بمناسبة اختياره قائدا للقيادة الوسطي، نشرت مجلة "أتلانتيك" الشهرية المحترمة قائمة "16 قولا مفزعا للجنرال ماتيس"، أغلبيتها خلال عمله في العراق وأفغانستان، تحت عنوان "ماتيسمات":

1. "جئتكم احمل السلام. لم أحضر معي مدفعية. أتوسل إليكم ودموع في عيني: إذا أغضبتموني، سأقتلكم كلكم."

2. "عندما يأتي الجنرال أبريال ليحل محلي، لا تتوقعوا منى أن اقبله واحضنه، ولا تقولوا له أنا قلت ذلك."

3. "كونوا مؤدبين، وكونوا مهنيين. لكن، خططوا دائما لقتل كل من تقابلوا"

4. "أول مرة تقتلون فيها شخصا يجب أن تكون لحظة هامة في تاريخكم."

5. "اختصر ما تعلمت خلا 35 سنة في العمل العسكري في كلمة واحدة: ارتجال، ارتجال، ارتجال."

6. "لا تصلني معلومات سرية عن طريق الأقمار الفضائية. العراقيون يقولون لي من هو العدو."

7. "أعتقد أن منظمة القاعدة غبية."

8. "أنتم أكثر قوات العالم قوة، وأكثر قوات العالم نزاهة."

9. "لا تنتهي حرب حتى يقول العدو أنها انتهت."

10. "لا تعرف قوات المارينز كيف تتهجى كلمة "هزيمة".

11: "برهنوا للعالم أن المارينز أحسن صديق وأسوأ عدو."

12. "قوات المارينز غير المتعلمة وغير المتمرنة أسوأ من العدو."

13. "يتخلص كل شيء في الإرادة: أي إرادة ستنكسر أولا؟ إرادتنا أو إرادة العدو؟"

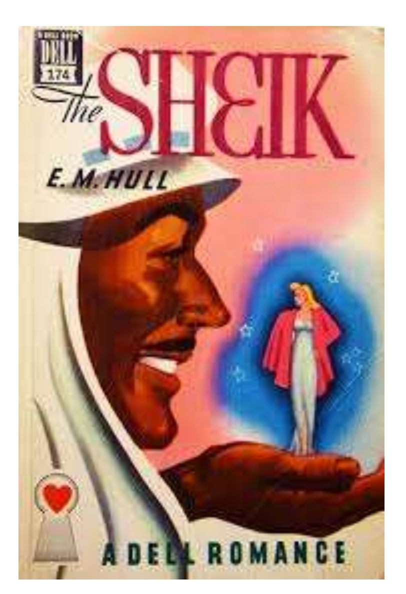
14. "الدولة التي تحالفت مع ستالين ضد هتلر تقدر على أن تتحالف مع أعداء القاعدة ضد القاعدة."

15. "كونوا صيادين، ولا تكونوا الصيد."

وأخيرا، ولهذا، يمكن القول أن "الأمريكي القبيح" ليس فقط في الكتاب والفيلم قبل ستين سنة.

في أمهيرست (ولاية ماساجوستس) :

عرب في الروايات الرومانسية



(اقرأ: روايات عربية عن الغرب)

(اقرأ: الروايات الرومانسية)

في سنة 1982، بعد سنتين من بداية عملي في واشنطن كصحفي متفرغ، جئت إلى جامعة ماساجوستس (فرع أمهيرست) لحضور مؤتمر عن الثقافة العربية. وكان جزءا من المؤتمر عن شخصيات عربية في الروايات الرومانسية الأمريكية.

في ذلك الوقت، كانت هذه الجامعة واحدة من جامعات أمريكية قليلة جدا تهتهم بالثقافات الأجنبية. فيما بعد، أسست الجامعة مركز "دايفيرسيتي" (التنوع). وفيما بعد، زرت هذه الجامعة مرات كثيرة لتغطية نشاطات في نفس هذه المواضيع.

من بين الروايات التي نوقشت في مؤتمر الثقافة العربية، رواية ليز فيلدنق:"خطيبة الشيخ غير المناسبة." وتتخلص الرواية في أن "الشيخ زاهر الخطيب" (اسم خيالي)، من دولة "ريشان" (اسم خيالي) زار واشنطن. وفي يوم من الأيام، قابل "دايان"، شقراء وحمية، وسائقة سيارة أجرة. وإثارته، ووقع في شركها. وخلال أيام، أحبها، وأحبته. وفكر في الزواج بها.

لكن، كيف يتزوج زعيم قبيلة عربية فخورة سائقة سيارة؟ وماذا يقول لأهله؟ حتى إذا كانت جميلة، وغربية، و"متحضرة"؟ في نهاية الرواية، عاد إلى الشيخ الخطيب إلى قبيلته التي كانت جهزت له بنت عمه ليتزوجها. وتزوجها. لكن، بقى قلبه مع "دايان"

في وقت لاحق، أصدرت نفس المؤلفة رواية "قلب الشيخ". وتتخلص هذه في أن "لوسي"، الأمريكية الجميلة الشقراء، زارت دولة "رمال" (اسم خيالي). وقابلت أميرها "الشيخ حنيف" (اسم خيالي). وأثارته، ووقع في شباكها. ومثل "الشيخ الخطيب"، كان يريد أن يتزوجها. لكن، مثله، عرقلت التقاليد حلمه.

أمثلة من روايات:

وفي رواية أخرى، "مكافأة الشيخ"، كان "الشيخ على" (اسم خيالي)، أمير إمارة "قمر" (اسم خيالي) كريما، وشهما. وعندما قابل سائحة أمريكية جاءت لزيارة بلده، أحبها. ثم أسكنها في منزله مع الحريم. ولم تعرف الأمريكية هل هذا سجن مؤقت، بسبب فضولها لمعرفة تقاليد الحريم العربية؟ أو هل يريد أن يتزوجها مع زوجاته العربيات؟

وفي رواية "أوامر الشيخ"، كان "الأمير رفيع بن إبراهيم" (اسم خيالي)، أمير إمارة "منير" (اسم خيالي) عنده كل الحريم. لكنه فضل الأمريكية "بريانا". وقالت عن ذلك الكاتبة جيسيكا تايلور:"تنتصر الثقافة الغربية كلما يفضل عربي أمريكية واحدة على بيت من الحريم الشرقيات. كم شرقية تساوي أمريكية واحدة؟"

وفي رواية "أوامر الشيخ"، اعترف "الشيخ"، في خجل، للأمريكية: "نساء وطني يختلفن عنكن. بصراحة، نعم، توجد أخطاء في مجتمعنا. لكن، أنتمي أنا إلى الجيل الجديد. أنا فاهم، وواعي. واحترم حق المرأة في الاستقلال."

وفي رواية "عشيقة عربية"، قال أمير إمارة "جومار" الغنية بالبترول (اسم خيالي) لصديقته "فاي" الأمريكية: "نسائي العربيات غير مرئيات. إنهن وراء أسوار عالية، وأبواب مغلقة." سألت الأمريكية: "هل ستضعني مع الحريم؟" وعندما أبطأ في الإجابة على سؤالها، قالت، في غضب: "هل أنت مجنون؟ مجرد أن تفكر في ذلك، ناهيك عن أن تفعله، يدعو للقرف."

وحاول الأمير الدفاع عن نفسه. وقال: "أنا رجل متحضر. والدتي بنت دبلوماسية لبنانية. وراقية، وأنيقة، ومتحضرة. وقادت حركة تحرير المرأة في إمارتي."

وكأنه يقول أن أمريكية واحدة أحسن من كل نساء إمارته؟

خلفية تاريخية:

في القرن التاسع عشر، كان "انقلابا ثقافيا" مجرد أن يكون بطل رواية رومانسية أمريكية مهاجر من ايطاليا. والسبب هو أن نظرة الأمريكيين نحو الإيطاليين كانت في ذلك الوقت نظرة استعلاء. (لأنهم كاثوليك وسط أغلبية بروتستانتينية، وشعورهم سوداء وسط نسبة كبيرة من الشعر الأشقر، وعاطفيين أكثر، بالمقاييس الأمريكية. بالإضافة إلى تاريخ المافيا العريق.

في جانب، عكست هذه الروايات "الايطالي الجذاب". وفي الجانب الآخر، عكست المافيا، والفوضى، والكلام بصوت عال، والعاطفة المبالغ فيها.

ومع نهاية القرن العشرين، ظهر في الروايات الرومانسية الأمريكية البطل اليهودي. لكن بدون إشارة مباشرة إلى أنه يهودي. وهو دائم رجل يصادق مسيحية بيضاء. ويدعوها لحضور حفلات يهودية. وتذهب هي مجاملة، ومن باب الفضول. وتشترك، في احترام وتأدب. وتسأل أسئلة "بريئة" عن التقاليد اليهودية، بدون أن تتحدث عن الدين اليهودي (وتتحاشي المواضيع "الحرجة"، مثل عدم اعتراف اليهود بعيسى المسيح، ومثل دور اليهود في صلبه).

وبسبب "حساسية" الأميركيين نحو اليهود، تتحاشى كثير من هذه الروايات أن يتزوج البطل اليهودي صديقته المسيحية (لأن اليهود يخشون من استمرار قلة عددهم. خاصة بسبب زواج كثير من اليهود من مسيحيات لا يحرصن على أن يكون أولادها وبناتها يهودا).

الزنجي:

ألان، صارت الروايات الرومانسية الأمريكية تقبل اليهود، والايطاليين، والبولنديين، وغيرهم من الشعوب غير الأنجلوساكسونية. أحيانا في صور سلبية، وأحيانا ايجابية.

لكنها لا تقبل الزنجي، سلبيا أو إيجابيا.

حتى اليوم، لا يوجد أسود إلى جانب شقراء على غلاف أي رواية رومانسية أمريكية مشهورة.

وأحيانا، تشير روايات إلى سود. ولكنها تتحاشى أي علاقة غرامية أو جنسية.

لكن، يحصل العكس في الروايات والأفلام الجنسية التي لا تباع في الأماكن العامة (والتي انتشرت مؤخرا في الإنترنت). تثير هذه الناس بعرض مناظر جنسية بين زنجي وبيضاء. وتركز على فحولة الزنجي، وعلى ميوعة وإباحية البيضاء.

رغم اختفاء قوانين التفرقة العنصرية في الولايات المتحدة، تظل نظرة البيض العامة نحو السود نظرة استعلاء. ورغم بداية ظهور ممثلين وممثلات بيض وسود جنبا إلى جنب في أفلام سينمائية، وفي مسلسلات تلفزيونية، تظل العلاقات غير شخصية، وغير عاطفية (وغير جنسية).

البطل العربي:

وجود العربي في الروايات الرومانسية الأمريكية أصله قصص قديمة كتبها رحالة أوروبيون وأمريكيون زاروا الدول العربية والإسلامية، وكتبوا على "الشيخ" و"الحريم" و"الجواري" و "المخنثين." وأعطت هذه الروايات الأمريكية إثارة معينة، تنطبق مع الانطباع الشعبي العام عن العرب (ستيريوتايب) بأنهم:

أولا: يدمنون الجنس.

ثانيا: يحتقرون زوجاتهم وعامة النساء.

ثالثا: يستعبدون الخدم والحشم.

لكن، توجد في الروايات الرومانسية الأمريكية عن العرب أشياء تثير القارئة الأمريكية (ربما كل الذين يشترون هذه الروايات نساء). أشياء مثل:"الصحراء" و"الخيل" و "الفارس" و "السماء الصافية." وتضيف هذه "لونا رومانسيا حقيقيا"، بصرف النظر عن الجانب الجنسي.

لهذا، إذا انطباع البنت الأمريكية عن الرجل الأسود جنسي أكثر منه عاطفيًا، انطباعها عن الرجل العربي عاطفي أكثر منه جنسيًا.

ولهذا، تفضل قارئة الروايات الأمريكية غراما في الصحراء (تحت النجوم، على سجادة عجمية، داخل خيمة عربية، بالقرب من حصان أصيل) على غرام في الأحراش (وسط حيوانات متوحشة، وأشجار كثيفة).

تفضل العربي داخل عباءة فضفاضة (فيه غموض وسحر) على إفريقي شبه عاري (ومباشر). تفضل الجنس الرومانسي على الجنس المباشر.

الأسود قريب منها في أمريكا، لكنه "حرام". والعربي بعيد، لكنه "ممكن".

لقاء واحد مع الأسود، ثم تودعه (ليعود إلى أحراشه، وأفياله، وأسوده). لكن، لقاءات مع العربي (ليحملها على ظهر حصان أبيض، ويختفيان معا وراء الأفق).

***

لون العربي:

لهذا، تظهر أهمية ظاهرة "الشيخ" في الروايات الرومانسية الأمريكية. ليس البطل العربي في هذه الروايات أبيضا. وليس أسودا. لكنه خليط من الاثنين. يوصف أحيانا بأنه "براون" (أسمر)، أو "دارك" (غامق).

في سنة 1919، مع بداية صناعة الأفلام السينمائية في هوليوود، ظهر الفيلم الأمريكي "الشيخ". ولأول مرة، عرفت الأمريكية أن العربي مثير. ليس بالضرورة جنسيا. ولكن، أيضا، عاطفيا ورومانسيا.

كتبت راكيل أندرسون، مؤلفة كتاب: "خفقات القلب البنفسجي: ما يسمى أدب الحب": "في سنة 1919، كان فيلم "الشيخ" أول من وضع الصحراء على الخريطة كأحسن مكان لممارسة الجنس. قصة امرأة بيضاء تحب رجلا ربما اسود، وربما أسمر. لكنه ليس أبيضا مثلها."

هذه إشارة إلى أن بطلة الرواية بريطانية ارستقراطية. لكن، لم يكن البطل (الشيخ احمد بن حسن) اسودا. ولم يكن أسمرا. كان نصف ابيض ونصف أسمر، لان أبوه أسكتلدني وأمه عربية من أسبانيا.

ومنذ رواية "الشيخ" وحتى اليوم، يظل البطل العربي ليس ابيضا مثل بياض الغربيين. يظل أسمرا. (وليس أسودا "محرما").

العربي والأمريكية:

ربما تأدبا، أو زيادة في الخيال، لا تركز الروايات على عربي معين، ولا على دولة معينة، ولا على الإسلام والمسلمين. لكنها تستعمل اسم "الشيخ"، وهو اسم خيالي يدل، دائما، على عربي، ومسلم، وفي دولة صحراوية، وغنية بالبترول.

وفي الجانب الآخر، هناك العشيقة الأمريكية، دائما شقراء جميلة، ودائما "متحضرة".

وأشهر من كتبت روايات رومانسية فيها عرب هي كارول غريس. كتبت: "عشيقة الشيخ" و "سقوط الشيخ" و "بأوامر الشيخ". وكتبت باربرا ماكماهون رواية "سر الشيخ." وكتبت كيت ووكر رواية "الشيخ ومربية أطفاله".

وهناك روايات أخرى مثل: "شيوخ تكساس" و "زوجة متعاقدة للشيخ" و "بين ذراعي الشيخ" و "زوجة الشيخ المتمردة" و "مديرها الشيخ" و"ابن الشيخ غير الشرعي" و "حاملة بابن الشيخ" و "اشتراها الشيخ" و "بيعت إلى الشيخ" و "عبده الشيخ".

وهناك كتب نصائح، مثل: "كيف تتزوجين شيخا؟" و "كيف يحب الشيخ؟" و"كيف يمارس الشيخ الجنس" و "كيف تقضين ليلة مع شيخ؟" و "دليلك إلى الشيخ" و "كيف تقعين في غرام شيخ؟"

جيسيكا تايلور:

كتبت جيسيكا تايلور، أستاذة أدب انجليزي في جامعة تورنتو (كندا)، بحثا عن مثل هذه الروايات. ولاحظت الآتي:

أولا: يربط الحب بين عربي أسمر، وأمريكية بيضاء.

ثانيا: تتضمن العلاقة خليطا من الواقع والخيال.

ثالثا: تتناقض الإحداث بين الاستشراق والرومانسية الغربية.

رابعا: "تروض" الأمريكية العربي، و"تحضره".

رابعا: تواجه "الرجولة" الشرقية "الإثارة" الغربية، وتنهزم أمامها.

وأيضا، كتبت عن الموضوع إيفلين باخ، مؤلفة كتابين: "الاستشراق والأنوثة"، و"الإثارة في رومانسيات الصحراء." ولاحظت أن الأمريكية، في هذه الروايات الرومانسية، ترى الشرقي مثيرا وغريبا في نفس الوقت.

يستعمل الأمريكيون كلمة "أكسوتيك" (غريب مثير). والقصد هنا هو الأمريكية تري في العربي الرجولة المثيرة التي تفقدها في الأمريكي.

ولا تعرف الأمريكية في هذه الروايات المرأة الشرقية. ولو عرفتها، تعرف إنها مثيرة (لابد أن تكون كذلك لتقدر على إشباع رغبات زوجها المثير). ثم تنساها (من باب الغيرة، حتى تنفرد بزوجها).

ولهذا، فإن "الحرب" في هذه الروايات هي بين رجولة العربي وإثارة الأمريكية.

ما هو السر؟

وسألت إيفلين باخ عدة أسئلة:

أولا: "ماهو سر هذه العلاقة بين شيخ الصحراء وشقراء أمريكا؟ بين غير متحضر ومتحضرة؟"

ثانيا: "كيف ساهمت خيالات الشرق في خيالات المرأة الأمريكية؟"

ثالثا: "من يستعلى على من؟ أنثى أمريكية متحضر؟ أو رجل من الشرق البدائي؟"

وأجابت بان "الأمريكية ترى في الشرق الإثارة، والغنج، والدلع، الذي فقدته (بسبب مئات السنين من التطور، والصناعة، والحضارة، والعلم، والتكنولوجيا)".

وهكذا، في بلاد العرب الإثارة الجنسية التي فقدتها الأمريكية. وفي أمريكا الرجولة التي يبدو أن الأمريكي فقدها (بسبب منافسة المرأة له، أو مساواتها معه، أو فوزها عليه، في العمل، والشارع، والبيت، وسرير النوم).

لهذا، عندما تقرأ الأمريكية هذه الروايات الرومانسية، تقرأ عن "هذه الحرب بين الغرب والشرق. بين إغراء الغرب ورجولة الشرق. بين الأنا والآخر."

وكتبت إيفلين باخ عن خلفية الموضوع التاريخية. وأشارت إلى مرحلة الاستشراق. وقالت: "يعني الاستشراق رؤية الغرب للشرق من وجهة نظر أجنبية، وعابرة، ومتعالية. درس المستشرقون الشرق بدون أن يدرسوا إمكانية التعايش والاختلاط بين النقيضين: بين المتحضر وغير المتحضر. بين الرجل والانثى. بين الأسمر والبيضاء."

أهمل المستشرقون ذلك. وركزوا على اللوحات الفنية، وترجمة قصص "ألف ليلة وليلة"، ومغامرات الرجل الغربي (لا المرأة الغربية)، مثل "لورنس العرب". وتحاشى المستشرقون أي اختلاط بين المرأة الغربية والرجل الشرقي. (وطبعا، تحاشوا أي اختلاط بين الرجل الغربي والمرأة الشرقية).

لهذا، بالنسبة للأمريكية التي تقرأ هذه الروايات الرومانسية، تراها انتقاما لإهمال المستشرقين لسر الحب وقوة الجنس. وبالنسبة للأمريكية التي تزور بلاد العرب، وتقابل العربيات، ترى فيهن الإثارة الجنسية التي فقدتها. ترى غنجًا، ودلعًا، ورقص شرقي، وهز بطن، و"نعنشة" و"سكر نبات".

وربما تحسدهن في أعماقها. لكنها، بالتأكيد، تلاحظ التفاعل المثير: في جانب، الأمريكية المستقلة، وفي الجانب الآخر، المجتمع الشرقي المتماسك.

وكما كتبت إيفلين باخ: "كأنها تنظر إلى نفسها في المرآة، وترى نقيضتها."

نساء يكتبن لنساء:

كتبت كاثي لنتز، مؤلفة كتاب "مسرح الروايات: حقائق وأرقام"، أن أغلبية مؤلفات الروايات الرومانسية نساء. وأغلبية قارئاتها نساء. وتتلخص أغلبيتها في "فتى يقابل فتاة. ويتحابان. لكن، تظهر مشاكل. لكن، يسود الحب، وينتهي بسعادة أبدية."

في الجانب الآخر، قلل آخرون من أهمية، أو جدية، الروايات الرومانسية. وقالوا أنها "كلام فارغ" أو "خيال مراهقات" أو "أحلام بنات يردن جنسا" أو "أحلام بنات يردن زواجا"

وقالت جانيس رادواي، مؤلفة كتاب: "قراءة في الروايات الرومانسية" أن هذه الروايات:

أولا: من امرأة إلى امرأة.

ثانيا: خيال وسط واقع معقد.

ثالثا: هروب من مشاكل الحياة.

رابعا: انتقام من الرجال (قلة الإثارة الجنسية معهم؟)

وسالت: "هل لاحظتم أن هذه الروايات تتجاهل الاختلافات والمشاكل العرقية والدينية بين البطل والبطلة؟" وأجابت بأن هناك سببين:

الأول: الهدف هو تحاشي مشاكل الحياة الواقعية.

ثانيا: كل المؤلفات وكل القارئات تقريبا بيضاوات. "هذه ثقافة ناصعة البياض."

أين العربية؟:

وسالت جيسيكا تايلور: "أين العربية في هذه الروايات الرومانسية؟ لماذا البطل عربي والبطلة أمريكية؟ لماذا ليس العكس؟"

وأجابت على أسئلتها بالآتي:

أولا: "بصورة أو أخرى، لا تزال المرأة العربية في الحريم. لا تزال بدون استقلالية. ولهذا فان دورها في أي رواية رومانسية سيكون دورا سلبيا."

ثانيا: "يجب ألا ننسى الجانب العرقي. تظل البيضاء أكثر حضارة من السمراء (ومن الأسمر)".

وكتبت: "يخطئ من يقول أن البطل العربي الأسمر، في أي رواية رومانسية أمريكية، يقدر على أن يهزم الأمريكية البيضاء. ويمارس عليها استعلاءه النفسي والجنسي. ويخطئ من يقول أن الأمريكية تنهزم. لأنها لا تنهزم. هي التي تبادر، وتغري، وهي التي تسيطر، حتى إذا اعتقد العربي أنه هو الذي يسيطر."

وقالت: "الذي يقول غير ذلك لايعرف البنت الأمريكية."

وقالت: "لهذا، ليست صدفة أن العربي، وليست العربية، هو البطل، لأنه هو الذي يلبي رغبات الأمريكية. ولا باس أن يكون أميرا، أو شيخا، أو حاكما فاسدا، أو شرها، وذلك لتزيد الرومانسية، ويزيد خيال الأمريكية. وكأنها تقول لنفسها: ها أنا مجرد فتاة من مدينة صغيرة جعلت هذا الأمير خاتما في صباعي."

درست جيسكا تايلور روايات رومانسية كثيرة عن "الشيخ". ولاحظت الآتي: يكبر البطل البطلة بعشر سنوات تقريبا. ويتمتع البطل بأناقة، وثروة، وسلطة. وفيه غموض، وسر خفي. وهو دائما خبير في شؤون الغرام والجنس.

لكنها قالت: "تأتي نقطة التحول في الرواية في منتصفها، عندما تتعاكس الأدوار. تهزم الأمريكية العربي عندما يعترف بحبه لها. مجرد كلمة "آي لف يو" هي تنازل، وربما هزيمة من جانب العربي أمام الأمريكية."

وقالت: "لا يغزو العربي الأمريكية مثلما يعتقد، لكنها تغزوه. ولا يستعمرها، لكنها تستعمره. ولا ينتصر التأخر على الحضارة أبدا."

واتفقت الكاتبة جويس ميلمان اتفاقا كاملا مع الكاتبة جيسيكا تايلور. وكتبت: "كيف ينظر الشرقي إلى جسد الغربية؟ في جانب، يحب إثارتها الجنسية. وفي الجانب الآخر، يخاف من سيطرتها عليه. كيف تنظر الغربية إلى الشرقي؟ في جانب، تحب إثارته الجنسية، وفي الجانب الآخر، تخاف من سيطرته. وترفضها."

"شيء طبيعي"؟:

واتفقت معهما مريان فرينزيار في كتابها:"البطل والبطلة في الروايات الرومانسية الأمريكية". وكتبت: "تنظر الغربية إلى الشرقي في أعماق عينيه. وتحيط جسمه بيدها. وتريده لها وحدها. صحيح، في الرواية الرومانسية، تلعب الغربية دورا ثانويا. لكنها، في واقع الثقافة الغربية، تلعب الدور الرئيسي."

وقالت أن ذلك شيء "طبيعي". وذلك لأن العربي غريب على ثقافة الأمريكية. رغم إنها ذهبت إلى وطنه، وقابلته هناك. وطبعا، إذا جاء هو إلى وطنها، يكون غريبا حقيقية. يكون خليطا من حبيب وأجنبي، في نفس الوقت. تحبه وتعطف عليه في نفس الوقت."

وقالت: "يزيد هذا عقدة الاستعلاء عند الأمريكية. لا تسأله، لكنها تسأل نفسها: لماذا ترك وطنه وجاء إلى وطني؟ لماذا ترك بنات وطنه واختارني؟ لابد أنني أحسن منهن. لابد أنني أحسن منه." (هذا بالإضافة إلى أنها تقول دائما لنفسها، وليس له، أن أمريكا أحسن من وطنه، وأحسن من أي وطن آخر).

وقالت جيسيكا تايلور أن كل الروايات الرومانسية عن العربي والأميركية تصور العربي "منفصم الشخصية، وغير مفهوم. لا هو هنا، ولا هو هناك."

من الفائز؟:

من الفائز؟ العربي؟ أو الأمريكية؟

قالت جيسيكا تايلور أن هناك فرقا بين مفهوم الرجل العربي ومفهوم المرأة الأمريكية لكلمات مثل "حب" و "انتصار" و "هزيمة":

أولا: تميل هذه الروايات (كتبتها نساء، لتقرؤها نساء) نحو أن تكون البطلة "محترمة". ربما تنهزم في البداية، لكنها تنتصر في النهاية. "انتصار نسائيا، لا يفهمه الرجل الذي ربما يعتقد انه هو الذي انتصر."

ثانيا: طبعا، أقوى سلاح عند المرأة الجميلة هو جمالها، وإثارتها الجنسية. ولهذا تقدر على "تجعل أخطر، وأقوى، وأخشن، وأغنى رجل في العالم يركع تحت قدميها... ثم تجبره على أن يعترف بقوتها كامراة."

وماذا بعد ذلك؟

أولا: يعترف بأنه يحبها.

ثانيا: يتبنى ثقافتها.

ثالثا: يتجنس بجنسية وطنها.

وهكذا، يصير واضحا أن الأمريكية "جعلته متحضرا ليكون مناسبا لبنت بيضاء."

ثم ماذا بعد ذلك؟

تحاول الأمريكية تغيير "الجانب البدائي" فيه، بعد أن اكتشفت انه "نبيل في أعماقه." وتفرق بينه وبين ثقافة وطنه، وبينه وبين أصدقائه.

صحيح، لا يزال أجنبيا، لكنه "أجنبي تحت كفالتها."

تحديث:

في سنة 1974، بينما كنت طالبا في الدراسات العليا في كلية الصحافة في جامعة إنديانا (ولاية إنديانا)، قابلت طالبة في كلية التمريض، أمريكية، وجميلة، وشقراء، ومتحضرة، وهادئة. أحببنا بعضنا البعض،

وتزوجنا بعد ذلك بسنة. وحتى اليوم. وعندنا ولد وبنتان.

في سنة 2012، بدأت كتابة مسودة كتاب عن حياتي: "من قرية سودانية إلى ضواحي واشنطن."

وفي نفس السنة، خلال عشاء في منزلنا، تندر ابني، وعنده ماجستير في اللغة الإنجليزية من جامعة فرجينيا، ويعمل في صحيفة "واشنطن بوست"، بان كتابا عن زوجتي سيكون أكثر متعة من كتابي. وتندر بان اسم الكتاب يمكن أن يكون: "زوجي المسلم، العربي، الإفريقي." وتندر بأن الناس ربما سيعتقدون أنها تزوجت ثلاثة رجال، حتى يعرفون أنه رجل واحد. وقال إنه ربما، حقيقة يوما ما، سيكتب كتابا عن والدته.

نعم، في هذا الموضوع عن العرب والسود في الروايات الرومانسية الأمريكية، أجد نفسي "بطلا حقيقيا"، بسبب جانبي العربي، وبسبب جانبي الإفريقي.

ولابد أن أشير إلى هذا الموضوع في مسودة كتابي.

في مهرجان «قرامي» السنوي : أشهر الأغاني



(اقرأ: أعمدة الثقافة الأمريكية)

(اقرأ: المغنى الثائر)

(اقرأ: لماذا يحب البيض أغاني السود؟)

في سنة 2010، جئت إلى "ستيبلز سنتر" (في لوس انجلوس) لحضور مهرجان "قرامي" السنوي (لأحسن الأغاني خلال السنة). كل سنة، يقيم "ناشونال أكاديمي أوف ريكوردنق أرتز آند سيانسيس" (الأكاديمية الوطنية للآداب والفنون المسجلة). وهذه السنة، أقامه في لوس انجلوس.

لم آت كضيف يجلس في القاعة الكبرى وسط الممثلين والممثلات. ولكن كصحفي يغطي المناسبة. ويقف عند مدخل القاعة، يشاهد الممثلين والممثلات وهم يرتدون أحسن الملابس (بالنسبة لبعض الممثلات، أكثرها إثارة).

كل سنة، توزع في المهرجان جوائز أحسن الأغاني، وأحسن الألبومات، وأحسن المغنين والمغنيات، في مختلف أنواع الموسيقى الأمريكية. وعادة، يشاهد البرنامج في التلفزيون الأمريكي خمسون مليون شخص تقريبا. وأكثر من ذلك في التلفزيونات الأجنبية. بالإضافة إلى أفلام فيديو عن المهرجان تعرض في كثير من الدول، وبالإضافة إلى تسجيلات تعرض في الإنترنت.

عبر السنوات، صارت عولمة الأغاني الأمريكية من أهم أركان العولمة. وفي كتاب "أشهر خمسمائة أغنية في العالم"، كانت أكثر من الثلثين أغاني أمريكية.

وفي قائمة أشهر عشرة أغاني في العالم، كانت كلها أمريكية أو بريطانية، غناها: بوب ديلان، رولنق ستون، جون لينون، مارفين غاي، أريثا فرانكلين، بيتش بويز، شاك باري، الخنافس، نيرافا، راي شارلز.

ماذا تقول كلمات هذه الأغاني؟ وماذا يردد عشرات الملايين من الناس، في أمريكا وفي غير أمريكا؟ كان المهرجان السنوي لجوائز "قرامي" فرصة مناسبة للبحث عن إجابات

.

أغاني "روك أند رول":

في المهرجان، فاز بجائزة أحسن مغني "روك آند رول" كريس براون (عمره ثماني عشرة سنة). يسمي "الفيس الأسود"، لان الفيس بريسلي، ملك الروك أند رول، بدأ يغني في المناسبات العامة وعمره كان أيضا ثمان عشرة سنة. كان ذلك في بداية النصف الثاني من القرن الماضي.

وألفيس هو الذي ادخل الجيتار في أغاني الروك آند رول. ثم غنى بالجيتار الكهربائي. ولم يعش ليغني بالجيتار الالكتروني.

وأيضا، نشر "البيتلز" (الخنافس) البريطانيين أغاني "روك آند رول". نشر الفيس اغنية "آر يو لونسوم تونايت؟" (هل أنت وحيدة الليلة؟). ونشر الخنافس "آي وانت تو هولد يور هاند" (أريد أن امسك يدك).

وفي المهرجان، فازت كريس براون بأغنية "فور ايفر" (إلى الأبد). وتقول مقاطع منها:

"أنت وأنا. نتحرك بسرعة الضوء نحو الأبد. الليلة هي الليلة. لتكوني معي في قلب اللذة. هل أنت مستعدة؟ لا تخافي. أنا هنا معك. سنذهب معا إلى أي مكان. إلى كل مكان. انتظرت كل حياتي لهذه الليلة. أنت، وأنا، وساحة الرقص. إنها ليلة واحدة. لنضاعف البهجة. لنضاعف المتعة ... "

تمثل هذه كلمات الأغنية فن الرومانسية القديمة. مع إضافات فيها إثارة، ومع صوت الجيتار الصاخب، ومع سرعة الحركة والنغمات والكلمات.

وفازت بجائزة أحسن مغنية "روك اند رول" ماريا كاري(عمرها أربعون سنة). وتعتبر من الجيل القديم في هذا المجال. وأيضا، أغانيها "رومانسية صاخبة". مع وجود اختلاف طبيعي بين كريس براون (الرجل) وهو يطمئن حبيبته، بينما تتظلم ماريا كاري (المرأة) من حبيبها. لكنها تريد أن تغفر له، وتفتح صفحة جديدة معه.

في المهرجان، فازت أغنيتها "آي ليف أن لف" (أعيش في الحب)، وتقول بعض كلماتها:

"أموت في أعماقي لأني لا أقدر على الصبر. لا اقدر على الخصام يوما والصلح يوما. اعمل كل ما أستطيع ليستمر حبنا يا حبيبي. إذا لم تعرفني حتى الآن، متى ستعرفني؟ لن تعرفني أبدا. أريد منك أن تحبني بدون أي شرط. أريد منك ألا تتركني. أريد منك أن تعود لي. أريد أن اغفر لك كلما تخطئ في حقي ... "

أغاني "بوب":

لا يوجد اختلاف كبير بين أغاني "روك آند رول" وأغاني "بوب". ربما "بوب" أكثر شعبية. لأنها اختصار لكلمة "بوبيولار" (شعبي). ولأن تاريخها يعود إلى القرن السابع عشر عندما أنتج الإيطاليون أول أوبرا شعبية، وذلك لأن الأوبرا كانت، ولا تزال، "ارستقراطية".

وفي القرن الماضي، ظهرت فرق "بوب" أمريكية مثل "كاليفورنيا غيرلز" (بنات كليفورنيا)، و"وندي" (اسم رئيسة الفرقة).

وفي الوقت الحاضر، أكثر الأغاني شعبية هي أغاني "بوب". ويرتبط تاريخها الحديث بفرقة "آبا" السويدية التي نشرت، في كل العالم، أغاني ذات كلمات بسيطة، ولغة واضحة، وعواطف طبيعية.

وفي هذا المهرجان، فازت ريحانة بجائزة أحسن مغنية "بوب"، وهي نصف سوداء ونصف بيضاء، من جزيرة بربادوس (في البحر الكاريبي). عمرها عشرون سنة. وقالت أنها تأثرت بالمغني الأسود بوب مارلي، من جزيرة جمايكا (في البحر الكاريبي أيضا).

في المهرجان، فازت أغنيتها "ريهاب" (إعادة تأهيل). وتقول بعض كلماتها:

"أنت حبيبي، وأنت صديقي، وأنت عشيقي. كلهم في علبة واحد. في علبة مغلقة، وملفوفة، ومربوطة. لكنك، فجأة، تركتني. كأنك قتلتني برصاصة عمدا. لهذا، أحس أن قلبي خرج من جسدي. أحس أنني خاوية في الداخل. أنت مرضي. أنت سبب دخولي مستشفى إعادة التأهيل ... "

ومرة أخرى، يوجد اختلاف طبيعي واضح بين عواطف المرأة وهي تشتكي، وعواطف الرجل وهو يطمئن. مثل أغنية "أوول سمار لونق" (كل الصيف) التي يغنيها ريد روك (عمره أربعون سنة) وفاز بجائزة أحسن أغنية "بوب". ومن كلماتها:

"سنة 1989، كنت أصغر، وكان شعري أطول. كان عمري سبع عشرة سنة. كنا على بلاج شمال ولاية ميشيقان في منتصف الصيف. نسبح بالنهار. وبالليل نجلس على البلاج حول نار فروع الأشجار. كان ضوء القمر ينعكس على شعرك. شربنا كل شيء، وأكلنا كل شيء، وفعلنا كل شيء ... "

أغاني الريف:

ربما مثل ما في كل الدول، يوجد في أمريكا اختلاف واضح بين أغاني المدن وأغاني الريف. ويسميها الأمريكيون: "كانتري" (الريف).

ينتشر هذا النوع من الأغاني في ولايات الجنوب، الأكثر تقليدية، وأكثر تدينا، وأكثر محافظة.

ربما هذا النوع من الأغاني هو أساس كل الأغاني. وموسيقاه من أقدم أنواع الموسيقى. خليط من أغاني رعاة الأبقار (كاوبوي) ومزارعي القطن والتبغ (بلانتشان).

في الوقت الحاضر، صارت ناشفيل (ولاية تنيسي) عاصمة لها. وصار من نجومها: جوني كاش (أبيض) وشارلي رتش (أسود).

وربما مثل أغاني "بوب"، كلمات هذا النوع من الأغاني أكثر بساطة، ومعانيها اكثر وضوحا. وفي نفس الوقت، بطيئة، وهادئة، وقصصية.

وفي المهرجان، فاز بالجائزة السنوية في أغاني "كانتري" (الريف) برادي بيسلي، وعمره أربعون سنة تقريبا. وغنى "ستارت باند" (تأسيس فرقة موسيقية). وهي أغنية قصصية تحكي عن تأسيس فرقة موسيقية. وتقول بعض كلماتها:

"لم أكن جادا في حياتي، لم أكن تلميذا نجيبا. لم يعطف على مدرس أو مدرسة. لم أكن رياضيا ناجحا. كنت سأحتاج إلى عشرين سنة لأنال شهادة في القانون. لهذا، جلست مع والدي ووالدتي. كانت نصائحهم مثالية أكثر مما يجب. كنت اعرف أنني لن أقدر على تنفيذها. لكن، جاءت أحسن نصيحة من صديق شقيقتي

قال لي: اشتري غيثارة، وتعلم كيف تغني، وألبس جينز مخروق، وملابس غير مهندمة، وأبحث عن اسم غريب لفرقتك. مثل "ستارت باند" (تاسيس فرقة موسيقية). كانت كل البنات يرفضن الاقتراب منى. ناهيك عن الحديث معي. وناهيك عن ممارسة الحب معي. لكن، الآن، يقفن صفوفا طويلة أمام المسرح في انتظار خروجي ... "

نفس النهج القصصي الذي تشتهر به أغاني "كانتري" (الريف) جاء في أغنية "لاف ستوري" (قصة حب) للمغنية تايلور سويفت. عمرها تسع عشرة سنة، وفازت بجائزة أحسن مغنية "كانتري". وتقول بعض كلمات الأغنية:

"كنا صغارا عندما رأيتك. أغمضت عيني، وتذكرت الماضي. كنت أقف على بلكونة، وتهب على نسمة صيف. واقتربت أنت، وقلت هالو. لم أكن أعرفك انك ستكون مثل روميو، وأنا سأكون مثل جوليت. بدأت تلعب معي فقاعات الصابون. في تندر، قال لك والدي: يا روميو ابتعد عن جوليت. عندما ودعتك، قلت لك من فضلك لا تذهب وتتركني وحيدة. الآن، أنا انتظرك. ستكون أنت روميو، وآنا جوليت. ستكون أنت الأمير، وأنا الأميرة ... "

أغاني "هيب هوب":

في تاريخ الأغاني، أحدث أنواع الأغاني هي "هيب هوب" (تسمى أيضا "راب"). ظهرت في سبعينات القرن الماضي، في حي هارلم (حي الزنوج) في نيويورك. وهي كلمات أكثر منها موسيقى، ورقص سريع مثير أكثر منه رقص رومانسي بطيئ.

وهي نوعان:

الأول: "ترايدشنال" (تقليدي).

الثاني: "قانقستار" (عنيف).

آسفا، اشتهر النوع الثاني من أغاني "هيب هوب". لكن، ليست أغلبية "هيب هوب" عنيفة. بل إنسانية، وودية، واجتماعية. وتعالج قضايا الجريمة، والمخدرات، والظلم. خاصة ظلم البيض للزنوج، منذ أيام تجارة الرقيق، وحتى الوقت الحاضر، حيث لا تزال التفرقة العنصرية موجودة، لكنها صامتة وليست علنية.

في الجانب الأخر، أقلية أغاني "هيب هوب" فيها الكلمات البذيئة. مثل: "نيقر" (عبد) لوصف السود. و "بيتش" (كلبة) لوصف البنات. و"ديفيل" (شيطان) لوصف البيض. و"تارقيت" (هدف) لوصف رجال الشرطة، أي إنهم هدف للذين يريدون الانتقام منهم، وخاصة السود الذين يتظلمون كثيرا من سوء معاملتهم لهم.

خلال العشر سنوات الماضية، اشتهر بهذا النوع من "هيب هوب" مغنون مثل "آيس تي" و "نيقر اتيتيود" (زنجي مناكف).

وفي المهرجان، فاز المغني الأسود كانيا ويست (عمره ثلاثون سنة) بجائزة أحسن مغني "هيب هوب". لا توجد جائزة لأحسن مغنية، وربما يمكن فهم السبب.

لكن، مؤخرا، ظهرت مغنيات يغنين لظلم الرجل للمرأة. وربما يوما ما ستكون هناك جائزة لهن. وستكون هذه حركة إصلاحية في هذا المجال لأنه، بصورة عامة، مجال رجالي أكثر مما يجب، وغوغائي، ومناكف.

بيض وسود:

في السنة الماضية، قال كتاب "لماذا يحب البيض أغاني السود؟" أن الأولاد والبنات الذي يحبون هذه الأغاني لا يفكرون كثيرا في معاني كلماتها. ولا يتفلسفون في تحليلها. بل وأحيانا لا يعرفون كلماتها. وإنما فقط كلمات للغناء والرقص.

تقول بعض كلمات أغنية "هارتليس" (بدون قلب) التي فاز صاحبها كانيا ويست:

"عندما هب إعصار كاترينا على نيواورلينز، لم يهتم الرئيس بوش بالسود. تركهم جثثا سوداء تطفو على سطح الماء. بوش لا يحب السود. والرئيس ريقان لم يكن يحب السود أيضا. هذه موسيقي مخدرات، أيها العبد (نيقر). هذه موسيقى السود، أيها العبد. نشروا المخدرات في أحياء العبيد. استثمر البيض في المخدرات مثلما استثمروا في بنك "ميريل لنش." يعلقوننا من فروع الأشجار. في الماضي، والآن. لهذا، صارت الموسيقى هي سلوانا. هي صلاتنا. هي علاجنا. في البيت غاب الأب، وخرجت الأم إلى العمل. نعيش في سجن اسمه البيت. ويرسلون لنا المخدرات لنظل مدمنين طول حياتنا. حتى لا نزعجهم، ولا نخيفهم. ريقان باع لنا المخدرات. وبوش تركنا نغرق. من أعطى صدام حسين الانثراكس (كيماوى)؟ اسألوا بوش ... "

أغاني الروك البديل:

وكانت هناك جائزة "أولترنيتف روك" (الروك البديل). وكما هو واضح من الاسم، هذه أغاني غريبة. منها: "نيو ويف" (الموجة الجديدة) التي بدأت خلال ستينات القرن الماضي. كانت تلك سنوات المظاهرات ضد التدخل الأمريكي في فيتنام، وضد التفرقة العنصرية، وضد ظلم النساء للرجال.

ليست هذه أغاني فوضوية، لكنها يسارية متطرفة. ويعتقد أنها بدأت في بريطانيا أيام المظاهرات ضد التدخل العسكري الأمريكي في فيتنام. ومنها كانت أغنية "إعلان الحرب على أمريكا."

وفي المهرجان، فازت بالجائزة فرقة "لنكون بارك"، التي كانت اشتهرت بأغنية "توردز ريفوليوشن" (الطريق نحو الثورة). وتقول بعض كلمات الأغنية التي فازت، وهي أغنية "وات أي هاف دن" (هذا هو ما فعلت):

"لا عذر. لا توضيح، ولا تلميح. الذنب ذنبي. الخطيئة خطيئتي. فشلت في الوصول إلى الحقيقة. كيف أصل إلى الحقيقة وأمامي ألف كذبة؟ كيف أصل إلى الحقيقة وأمامي ألف كذاب؟ لا مخرج سوى الرحمة لنفسي. رحمة تغسلني، وتنظفني، وتطهرني. سأغسل جسمي بيدي، حتى أصير نظيفا وطاهرا. لكن، يدي ليستا متأكدتين مما تفعلان ... "

الأغاني المعاصرة:

رغم أغاني التطرف، والغضب، والإباحية، والثورة، تبقى وتزدهر أغاني "كونتمبوراري" (الحديثة المعاصرة). تعود جذورها إلى أوروبا الرومانسية، قبل أكثر من مائتي سنة. إلى وصف (ورسم) البنت الجميلة البريئة، ووصف خدودها الوردية، وشعرها الذهبي. إلى أيام الكلمات البريئة عن حب رومانسي لفتاة، وزواج، وأولاد وبنات، وسعادة أبدية.

في أمريكا بعد الحرب العالمية الثانية، صارت هذه الأغاني حديثة ومعاصرة. صارت "نيو كلاسيك" (الكلاسيكية الجديدة) عاطفية، ورومانسية، وحديثة. وصار فرانك سيناترا، ربما أشهر من غني هذا النوع من الأغاني. وهو الذي غنى واحدة من أشهر الأغاني في التاريخ: "سترينجرز أن ذا نايت" (غريبان في الليل). وتقول بعض كلماتها:

"غريبان في الليل يتبادلان الأنظار. غريبان في الليل يفكران في الفرص المتوفرة. هل سيتقاسمان الحب قبل نهاية الليل؟ شيء في عينيك يرحب بي. شيء في ابتسامتك يثيرني. شيء في قلبي يقول أنني يجب أن أفوز بك قبل نهاية الليل."

في المهرجان، فازت بجائزة الأغنية المعاصرة جوردين سباركز (عمرها عشرون سنة). والدها لاعب كرة قدم اسود، ووالدتها ممرضة بيضاء. تلبس خاتم العذرية، وهو تقليد وسط بعض بنات أمريكا يعنى رفضهن ممارسة الجنس قبل الزواج.

تقول بعض كلمات أغنية "ون ستيب أت تايم" (خطوة، خطوة):

"تقول لي انك تريد أن تكون مشهورا. اصبر. خطوة خطوة. تقفل الأبواب أمامك، لكنك تعرف انك ستقدر. تحس بالغضب والقلق، لكنك تقدر على الصبر. خطوة، خطوة. مثل تعلم الطيران. مثل الوقوع في شرك الحب ... "

الأغاني الدينية:

في المهرجان، فازت فرقة "ثيرد داي" (اليوم الثالث) بجائزة أغاني "سبريتشواليزم" (الروح). اشتهرت الفرقة لأغانيها في فيلم "باشون اوف كرايست" (حب المسيح).

وطبعا، الأغاني الدينية هي أول الأغاني الأمريكية. جاء بها المهاجرون الأوائل، قبل خمسمائة سنة تقريبا. وغنوها وهم الهاربون من الكبت الديني في أوروبا (خاصة من جانب الكاثوليك بقيادة بابا روما). وغنوها وهم يستمتعون بالحرية في أمريكا، واعتبروا هذه الحرية رحمة من الله.

ربما يبدو غريبا توزيع جوائز لأغاني دينية في نفس المهرجان الذي وزعت فيه جوائز لأغاني العنف، والجنس، والتطرف، والثورة.

لكن، حسب استفتاء في سنة 2009 أجرته مؤسسة "بيو" في واشنطن، يؤمن أكثر من تسعين في المائة من الأمريكيين بالله. ويذهب أكثر من سبعين في المائة إلى الكنائس بصورة غير منتظمة. وأكثر من ستين في المائة بصورة منتظمة.

لهذا، يمكن القول أن الأغنية المسيحية هي أساس الأغنية الأمريكية. مثلما أن الفكر المسيحي هو أساس الفكر الأمريكي. ومثلما أن الثقافة المسيحية هي أساس الثقافة الأمريكية.

تقول بعض كلمات الأغنية الدينية التي فازت في المهرجان، وهي أغنية "ماونتين اوف قود" (جبل الله):

"كنت وحيدا، خائفا، فاشلا، وأنا أسير في الوادي. لكنك كنت معي ، نعم كنت معي. لم أكن اعرف أني فقدت طريقي. لكنك كنت معي. نعم كنت معي. رغم أن الرحلة طويلة. والطريق وعر. والوادي موحش. لكنك أمامي. وخلفي. وفوقي. الآن، عرفت الحقيقة. سأسير في الوادي. حتى أصل إلى جبل الله."

في شارع «برودواي» (نيويورك) : مهرجان الأفلام المخيفة



(اقرأ: هوليوود: فن وتجارة)

(اقرأ: الروايات الرومانسية)

في سنة 2003، جئت إلى نيويورك مرة أخرى، في سلسة زيارات من وقت لآخر، لحضور جلسات الأمم المتحدة، أو مهرجانات، أو مؤتمرات. هذه المرة حضرت مهرجان الأفلام المخيفة. في هذه السنة، عرض المهرجان خمسين فيلما مخيفا تقريبا. ذهبت إلى المهرجان، في شارع "برودواي" (شارع المسارح، وقاعات السينما) من باب الفضول. لأنني لا أحب الأفلام المخيفة، (ولا الروايات المخيفة).

منذ سنة 1960، عندما كنت طالبا في مدرسة وادي سيدنا الثانوية في السودان. في تلك السنة، رتبت داخلية "عبد الرحمن الداخل" (التي قضيت فيها أربع سنوات، حسب نظام الداخليات

البريطاني) رحلة إلى غابة الخرطوم، في طرف المدينة. حيث عسكرنا ليومين. وكنا نطبخ طعامنا وسط الأشجار، وعلى نار الحطب، ونحضر الماء من النيل الأبيض القريب، وننام على الأرض، بينما يحرس بعضنا بعضا بالتناوب.

وكنا ممنوعين من زيارة المدينة. لكننا، ونحن في سن المراهقة والتمرد، تحدينا الممنوع. وبعد غروب الشمس هربت مجموعة منا لمشاهدة فيلم في سينما "كولزيوم". وكان الفيلم "دراكيولا" المخيف.

كان أول فيلم مخيف أشاهده، بل كان من الأفلام المخيفة القليلة التي شاهدتها في حياتي، وأنا ابن القرية (وادي حاج، قرب أرقو، على نهر النيل، في شمال السودان، جنوب الحدود مع مصر).

لابد أنها كانت صدمة كبيرة بالنسبة لي أن أشاهد مناظر دراكيولا وهو يمص دماء الناس، وخاصة الفتيات الجميلات. وذلك لأنني لم أقدر على النوم بالليل لعدة ليالي، وخاصة ليالي الغابة.

بعد أربعين سنة تقريبا، وجدت نفسي في واشنطن، مع عائلتي ومع الأولاد، وهم صغار السن. لكنهم، عكسي تماما، مولعون بالأفلام المخيفة. حكيت لهم مرات كثيرة قصتي مع فيلم "دراكيولا". وقلت لهم إنه كان أول وآخر فيلم مخيف شاهدته.

بعد ذلك بعشر سنوات، جئت إلى نيويورك، وقرأت عن مهرجان الأفلام المخيفة. ولم يكن هدفي مشاهدة فيلم مخيف بقدر ما كان الكتابة عن الأفلام المخيفة. وعن سر ولع الأمريكيين (بما في ذلك عائلتي) بها.

خلفية تاريخية:

قبل أفلام الرعب وقبل حرب الإرهاب، في سنة 1826، فرقت آن رادكليف، كاتبة بريطانية، بين الاثنين:

أولا: "هورور" (رعب): التقزز والنفور من شيء مخيف، مثل جثة متعفنة، أو صوت هادر مفاجئ.

ثانيا: "تيرور" (إرهاب): توقع شيء مخيف، مثل انفجار قنبلة، أو زلزال.

وقالت رادكليف أن الإنسان "يرعب" عندما يمر بتجربة مخيفة، و"يرهب" عندما يتوقع تجربة مخيفة.

وأحيانا، يجتمع الرعب والإرهاب معا. مثل أن يمشي إنسان وحيدا في غابة كثيفة، مع مطر غزير، وصوت رعد صاخب، ولمعان برق يخطف الأنظار. يرعبه الرعد والبرق، ويرهبه توقع أن يصعقه برق.

وعن هذا كتبت رادكليف: "لو كان هذا الإنسان متأكدا أن البرق لا يصعق، لما أحس بالإرهاب. كان سيحس بالرعب فقط بسبب ما حوله."

عرفت رادكيف هاتين الكلمتين لأنها تعتبر من أشهر كاتبات روايات الرعب في القرن السابع عشر. وتوصف هذه الروايات بأنها "غوثيك" (قوطية). يعني هذا أنها من الثقافة الأوروبية التي تمردت على رجال الدين المسيحيين المتطرفين في ذلك الوقت.

وانعكس التمرد على الروايات، والمعمار، والسلوك، والأكل، والشراب.

قبل ذلك، وخاصة خلال القرون الوسطى، سيطر القساوسة المتطرفين على كل جوانب الحياة تقريبا. وقسموا كل شيء إلى خير وشر. وقالوا أن الشيطان هو عدو الإنسان الأول. ووصفوا الأشباح والخرافات بأنها شياطين، أو من عمل الشياطين. لهذا، عندما جاء العصر القوطي (بعد انخفاض دور رجال الدين)، انتشرت روايات الأشباح، والخرافات، وكل ما يرعب الناس.

ليس تخويف الناس:

ربما مثل الوقت الحاضر، لم يكن الهدف في ذلك الوقت تخويف الناس، بقدرما كان إدخال الناس في تجارب لم يتعودوا عليها. وليثبوا الآتي:

أولا: الاستقلال عن رجال الدين المتطرفين.

ثانيا: التمتع بالحرية الجديدة.

ثالثا: السيطرة على النفس بدون واعز خارجي، ديني أو غير ديني.

وهكذا، ابتعدت روايات الرعب عن الدين.

وأيضا، ابتعدت الروايات الرومانسية عن الدين. وصارت تركز على حرية الناس ليحبوا، وليتزوجوا، كما يشاؤون. وصارت تروي قصص الفارس الشجاع الذي يحب الأميرة الجميلة، ثم يخطفها من خارج قلعة عائلتها، ثم يحملها على ظهر حصانه الأبيض، ثم يتزوجها، ثم يعيشان في سعادة أبدية.

وصارت الروايات الرومانسية، أيضا، تنشر قصص الخيانة الزوجية وسط الملوك، والأمراء، والارستقراطيين (مثل رواية "دون كيشوت" والأميرة دولسينيا، سنة 1615). وشمل ذلك روايات عن القصور، والقلاع، والإقطاعيات.

وهكذا، بعد مائة سنة تقريبا من كتابات البريطانية رادكليف عن الفرق بين "إرعاب" و "إرهاب"، وفي سنة 1897، كتب البريطاني برام ستروكر رواية "دراكيولا"، عن غراميات دموية في قصور وقلاع وإقطاعيات. وصارت الرواية واحدة من أشهر وأقدم روايات الرعب. وفي سنة 1930، تحولت إلى فيلم أبيض وأسود. وفي سنة 1958، إلى فيلم ملون. كان دراكيولا ارستقراطيا يعيش في قلعة جبال "كاربيثيان" (الآن رومانيا). كان إنسانا وشيطانا (مصاص دماء) في نفس الوقت. وعاش مع ثلاث فتيات حسناوات شيطانات أيضا. وعندما أحب زوجة المحامي البريطاني باركر، عضها، ليخلط دمه بدمها، ويضمن حبها له. لكن، في وقت لاحق، انتقم المحامي البريطاني، بمساعدة قسيس بريطاني. وحول دراكيولا إلى رماد.

ماذا يرعب الناس؟:

ماذا يرعب الناس في أفلام الرعب؟

أولا: اختراعات علمية مخيفة. مثل: فيلم "فرانكنشتاين" (في سنة 1818، صدر رواية، وفي سنة 1931، صار فيلما). ويحكى قصة د. فكتور فرانكنشتاين، والمعمل الذي كان يصنع فيه مخلوقات مثل رجال ونساء. واعتبر الفيلم تمردا ونقدا للثورة الصناعية في أوروبا في ذلك الوقت.

ثانيا: خرافات. مثل: فيلم "أنيفيشان أوف بودي سناتشرز" (غزو خاطفي الناس) سنة 1956. ويحكي قصة سكان سانتا ميرا (ولاية كليفورنيا) حيث اشتكى ناس أن بعض جيرانهم عندهم أرواح أخرى، شريرة. وان هذه الأرواح الشريرة تخرج بالليل، وتجوب شوارع المدينة، وتخطف الناس. وأنها تخطط للزحف على المدن المجاورة.

ثالثا: الخوف من الحبيب الغادر. مثل فيلم "سايكو" (سنة 1960). ويحكي قصة "ماريون" التي سرقت أربعين ألف دولار من المكتب الذي تعمل فيه في ولاية أريزونا. وهربت إلى حبيبها العاطل في ولاية أخرى ليتزوجا. لكن، عندما قضت ليلة في فندق في طريقها إلى حبيبها، قابلها "نورمان" الذي أحبها في الحال. وطلب منها نسيان حبيبها. وعندما رفضت، قتلها وهي تستحم في حمام غرفتها في الفندق.

رابعا: الخوف من الشياطين. مثل فيلم: "أكسورسست" (طارد الأرواح الشريرة) سنة 1973. ويحكى قصة البنت "ميغان" التي، في البداية، اعتقد والداها انها مصابة بإحباط وتوتر عصبي. لكن، في وقت لاحق عرف الوالدان أن البنت "ديمونك" (سكنها شيطان). وقال لهما قسيس أن ساكن البنت شيطان اسمه "بازوزو". وبعد أن اخرج القسيس "بازوزو" من البنت، سكن هو نفسه فيها.

خامسا: الخوف من الأعداء. كانت هذه أقل الأفلام خوفا، وذلك لأن أمريكا كانت تنتصر في حروبها الخارجية. مثل أفلام: "إغراق الباخرة بزمارك" (الانتصار على ألمانيا) و "رمال أيوجيما" (الانتصار على اليابان) و "غرين بيريت" (الانتصار في حرب فيتنام). لكن بعد أن أعلنت أمريكا الحرب على الإرهاب وغزت أفغانستان والعراق وضربت دولا عربية وإسلامية أخرى، صارت أفلام الخوف من الأعداء تخيف حقيقة. مثل أفلام: "إرهابي نيويورك" و "خاطف الطائرة المتطرف."

أفلام رعب أخرى:

بالإضافة إلى أفلام الرعب السابقة، هناك أفلام أخرى:

مثل فيلم "كاندي مان" (أغرى رجل شرير بناتا بالحلوى).

ومثل "رنق" (أرسل مجهول فيديو مخيف إلى أولاد وبنات. وبدأ يقتلهم، واحدا واحدا، مثلما في الفيديو).

ومثل فيلم "نايتمير أيلم ستريت" (أفزع فريدي كورغر أولادا وبنات شارع إيلم).

ومثل فيلم "يوم الجمعة 13" (يوم الجمعة 13 يونيو سنة 1958، ذهب أولاد وبنات إلى بحيرة للنزهة. وهجم عليهم رجل شرير، وقتل بعضهم).

وهناك أفلام رعب نصفها رعب ونصفها فكاهة، تسمى "بلاك كوميدي" (فكاهة سوداء). ويوجد فيها قتل، واغتصاب، وانتحار، وحرب، وموت، لكنها لا ترعب بقدر ما تضحك:

مثل فيلم "غودوت": أراد رجل أن ينتحر، وعلق نفسه من حزام بنطلونه. لكن، سقط البنطلون، وتركه عاريا معلقا.

ومثل فيلم "دكتور سترينجلاف": عالم ذرة، بدل أن يضغط على زر لمنع وقوع حرب نووية، ضغط على زر أشعل الحرب.

ومثل فيلم "غوستباستر" (قاهر الأشباح): ثلاثة أطباء تخصصوا في قتل الأشباح بطريقة فكاهية.

نظرية فرويد:

لماذا يحب الأمريكيون والأمريكيات (خاصة الشباب والشابات) أفلام الرعب؟

كتب سيقموند فرويد، مؤسس علم النفس، عن "سايكلوجيكال هورور" (علم نفس الرعب). وكما قالت البريطانية رادكليف، قبله بمائة سنة تقريبا، قال فرويد أن هناك فرقا بين "هورور" (رعب) و "تيرور" (إرهاب). لكن، يهدد الاثنان ثقة الإنسان في نفسه. ويشككانه في هويته. ويؤثران على استقلاليته.

وتحدث فرويد عن "أيقو" (ثقة الإنسان في نفسه، واستعلائه على غيره). وقال أن الخوف من الأفلام المخيفة يقلل من هذه الثقة. وفي المجتمع الغربي التنافسي، يريد الإنسان أن يثبت انه لا يخاف.

وهكذا، لان المجتمع الأمريكي فردي أكثر منه اجتماعي، وتنافسي أكثر من تكافلي، وعقلاني أكثر منه عاطفي، صارت أفلام الرعب محبوبة لأنها:

أولا: تختبر شجاة الفرد.

ثانيا: تشجع المنافسة ضد الآخرين، والفوز عليهم.

ثالثا: تستهزئ من الخوف وبقية العواطف.

تحديث:

حتى اليوم، في سنة 2012، لا أطيق الحديث عن فيلم مخيف، ناهيك عن أن أشاهده. وحتى اليوم، بعد أن كبر الأولاد، يظلوا ولعين بالأفلام المخيفة. وربما كما قال فرويد، هذا جزء من الفردية، والاستقلالية، والاستعلاء الأمريكي.

جزيرة باربادوس (البحر الكاريبي) : تبييض بشرة النساء



(اقرأ: عقدة اللون وسط السود).

(اقرأ: الاستعلاء).

(اقرأ: عقدة النقص وسط الأجانب).

في سنة 2011، جئت إلى جزيرة "باربادوس" في البحر الكاريبي، مع العائلة، في "كروز شيب" (سفينة سياحية محيطية عملاقة). منذ عشر سنوات تقريبا، صارت هذه عادة عائلية. كل سنة، نزور بعض جزر البحر الكاريبي في واحدة من هذه السفن.

كل سفينة تشبه فندقا عائما عملاقا بدرجة خمسة نجوم. وتسع لثلاثة آلاف شخص تقريبا (أغلبيتهم من الأمريكيين)، ويخدمهم ألفا شخص تقريبا (أغلبيتهم من شعوب العالم الثالث).

نفضل نحن سفن شركة "برنسيس"، لأنها تعطينا تخفيضات كلما زدنا السفر فيها. ولان في كل سفينة "موفيز

أندر ستارز" (أفلام تحت النجوم): شاشة عملاقة تعرض فيها كل ليلة أفلاما سينمائية. بينما تقدم للسواح المأكولات والمشروبات الفاخرة. يجلس مشاهدون على كراسي، ويقف مشاهدون داخل حوض سباحة عملاق أمام الشاشة.

في البحر الكاريبي قرابة عشرين جزيرة رئيسية (دولة حرة مستقلة). أكبرها كوبا، ثم جمايكا، ثم بهاما، وجزر أخرى مثل: قرينادا، أوروبا، بونير، ترينيداد، سنت لوشيا، سنت كيتز، أنقويلا، دومنيكا، باربادوس.

هذه الأخيرة زرناها هذه المرة، مع أربع جزر أخرى.

يقول المثل الأمريكي: "سي ون، سي أوول" (تشاهد واحدة وكأنك شاهدتهم كلهم)، إشارة إلى أن جزر البحر الكاريبي تشبه بعضها البعض: صغيرة، خضراء، بلاجئتها جميلة، أغلبية سكانها سود (بينما ربما كل السواح بيض).

وهذا يقودنا إلى "الصراع اللوني"، بين البيض في جانب، والبيض والسود والسمر والصفر في جانب آخر. بين استعلاء اللون الأبيض (بسبب استعلاء الحضارة الغربية)، وانبهار بعض شعوب العالم الثالث باللون الأبيض (بسبب عقدة النقص).

وهذا يقودنا إلى جزيرة باربادوس التي زرناها، مع خمس جزر أخرى، هذه السنة. من هذه الجزيرة هاجرت إلى أمريكا المغنية ريحانة، واحدة من أشهر المغنيات في الولايات المتحدة وفي كل العالم. والدها أبيض، ووالدتها سوداء، وصار لونها أسمرا جميلا.

لكن، انتقدها عدد كبير من الأمريكيين مؤخرا بعد أن بيضت بشرتها، وصارت أكثر بياضا. واتهمها البعض بعقدة النقص، أو بحب الشهرة (قالت أن المخرجين السينمائيين والتلفزيونيين يفضلون الأكثر بياضا. وهذه ربما حقيقة، أو لا).

وفي الحالتين، يقول ناقدوها إنها تسيء إلى معجبيها السود والسمر. وخاصة صغيرات السن اللائي يردن تقليدها.

خلفية تاريخية:

مؤخرا، صدر كتاب "مستري أوف سكين كالار" (لغز لون البشرة) عن تبييض أجساد النساء السمراوات والسوداوات والصفراوات. كتبته د. ثيينا هو، أمريكية من أصل فيتنامي، وحاصلة على دكتوراه في التغذية العلمية. ومن عيادتها في سانفراسسكو، تقدم استشارات عن تخفيض الوزن وتبييض البشرة.

في أمريكا، يعتبر تبيض النساء ظاهرة جديدة. وذلك لأن أغلبية الأمريكيات بيضاوات. وفي الماضي، حتى لو بيضت نساء سوداوات أجسادهن، فعلن ذلك بطريقة سرية أو شبه سرية. لكن، مؤخرا، صار تبيض بشرة النساء معاهدا، ومؤسسات، ومحاضرات، وندوات، ومقررات جامعية، وشركات أدوية، وأرباح، واستثمارات.

لماذا؟

أولا: زادت هجرة شعوب العالم الثالث السوداء والسمراء والصفراء إلى الدول الغربية (البيضاء). وزاد إحساس الكثير منهم بالدونية. إما بسبب تفرقة عنصرية علنية، أو تفرقة عنصرية خفيه، يلعب لون البيض فيها دورا رئيسيا وصامتا، أو شبه صامت.

ثانيا: ظهرت نساء سوداوات يقلن علنا ما كن يقلن سرا: تسبب شعورهن ولونهن لهن حرجا. وبعد فيلم "قود هير" (الشعر الجميل)، صار الموضوع عاما. هذا فيلم واقعي، أخرجه المخرج الأسود كريس روك. وسال سودا وسوداوات عن الموضوع.

ثالثا: لسبب ما، لا تحس كثير من النساء الآسيويات (مثل الصينيات، والفيتناميات، والكوريات، والفلبينيات) بحرج في تبييض ألوانهن علنا. ولهذا، ربما ما كانت ستكتب كتابا كاملا، وجريئا، عن هذا الموضوع غير ثيينا هو الأمريكية الفيتنامية.

على أي حال، صار الموضوع تجارة. وتكتب عنه الشركات التي تبيع المواد الكيماوية التي تبيض الجسم. وحتى نساء بيضاوات يكتبن عن تبييض آثار جروح على أجسادهن، أو كدمات، أو بقع شمسية (لأنهن يردن لونهن الطبيعي).

مواد كيماوية:

قال الكتاب أن التبييض لا يجب أن يكون بمسحوقات وبودرات وبوهيات ودهانات. وأن أبحاثا علمية أثبتت أن بعض الكيماويات تجعل البشرة قبيحة، بدلا عن أن تبييضها. ولهذا، اقترح الكتاب أطعمة خاصة، ونشاطات رياضية خاصة تساعد على التبييض.

الكلمة الانجليزية هي "هوايتننق" (تبييض) من "هوايت" (أبيض).

على غلاف الكتاب صورتان جميلتان للمؤلفة: صورة قبل التبييض، وصورة بعدها. وبينما الأقل بياضا حزينة، الأكثر بياضا ضاحكة. (ولم تنس أن تكبر شفتيها لتبدوان وكأنهما شفتي حسناء عربية).

هذه بعض فصول الكتاب:

أولا: لون البشرة ليس دائما.

ثانيا: خلفية تاريخية وجغرافية لألوان الناس.

ثالثا: تأثير "الميلانين" (الذي يقى الجلد من الشمس)

رابعا: تأثير "السلفار" (معدن الكبريت الذي يعتقد أنه يبيض).

كتبت المؤلفة في المقدمة: "صدقوا أو لا تصدقوا، لون البشرة ليس دائما. ويقدر كل إنسان على أن يغير لونه. وحتى بدون كيماويات وصيدليات وهرمونات."

وكتبت عن خلفيات تاريخية وجغرافية بأن "لون نساء شمال اروبا واليابان الأبيض ليس فقط بسبب المناخ، ولكن، أيضا، بسبب الغذاء والتطور الحضاري والحياة السهلة والسعادة."

وكتبت عن "حب الرجل للمرأة الأكثر بياضا." وقالت أنها عندما كانت في فيتنام، لم يهتم الرجال بها لأن لونها كان اقل بياضا من لون صديقاتها.

كتاب غريب:

يتكون الكتاب من ثلاثمائة صفحة تقريبا، منها مائة صفحة تقريبا رسومات وبيانات وإحصائيات، وأربعون صفحة تقريبا عن المراجع التي اعتمد عليها.

لكن، يسهل جمع مراجع وإحصائيات عن أي شيء في هذه الدنيا.

ويبدو غريبا كل هذا الاهتمام باللون. ويدل هذا على عقدة اللون. وتدل عقدة اللون على عدم الثقة بالنفس. ويدل عدم الثقة بالنفس على قلة الإيمان بالنفس (ناهيك عن دين أو نظرية أو مذهب).

لم يثبت علميا أن للون أي صلة بأي إيمان، وأي سعادة، وأي نجاح، وأي ثراء، وأي علم، وأي سلطة، وأي قوة.

بل ثبت علميا أن الذين يركزون على ألوانهم يعانون من مشاكل نفسية تؤثر أحيانا على صحتهم.

وحتى لو ثبت أن الرجل يفضل المرأة الأكثر بياضا، لم يثبت أنها ستجعله سعيدا أو قويا أو عالما أو محترما.

وربما لهذا، وجد الكتاب نقدا من أساتذة جامعات، وعلماء أجناس، وعلماء نفس، وبيض، خاصة من الدول الاسكندينافية الأكثر بياضا.

قال واحد: "حتى بعد أن جئت إلى أمريكا، لم أكن اعرف أن اللون الأبيض له مثل هذه الأهمية. نعم، انتبه عندما أرى شخصا أسودا أو أسمرا، لكنه انتباه عابر، وليس له معنى، غير الفضول ربما."

وقال ثاني: "تبقى حقيقة هامة في أمريكا، وهي انه رغم وجود كثير من الألوان، يظل اللون الأبيض الأكثر مكانة وأهمية. ربما لهذا، يريد غير البيض تبيض ألوانهم. لكنى أرجو أن يفعلوا ذلك بما لا يؤذي أجسامهم، بسبب كل هذه الكيماويات والمساحيق."

المسيح "الأبيض":

لكن، آثار الكتاب نقطة هامة، وهي دور الثقافة الغربية (البيضاء) في تفضيل اللون الأكثر بياضا. وفي كارثة عقدة اللون التي يبدو أنها وقعت على كل من ليس ابيضا.

حتى عيسى المسيح، وهو الفلسطيني الأسمر ذو الشعر الأسود واللون الحنطي ، رسموه ابيضا، بشعر أشقر وعينين زرقاوين. وثبت أن هذا يعرقل انتشار المسيحية في الدول الإفريقية (ويزيد من قدرة الإسلام على الانتشار هناك):

كيف يعلق إفريقي بائس صورة رجل أبيض، ويعبده؟ وكيف يكون جزءًا من الله المثلث أبيضا؟ ولماذا لا يكون المسيح أسودا في لون الظلام الداكن؟ وهل لو كان كذلك، كان لونه سيقلل من أهميته؟

لكن، لم تنتشر صور المسيح الأبيض في الدول الإفريقية والآسيوية مثلما انتشرت صور "سندريلا" و "بيضاء الثلج" و "الجمال النائم"، وبقية الروايات والكتب والأفلام السينمائية، والمسلسلات التلفزيونية، والحلقات الكرتونية، التي صارت مثل الأكل والشراب لشعوب تنبهر بالحضارة الغربية.

"سندريلا" الشقراء:

ربما لم تشتهر بيضاء مثل "سندريلا".

أصدرت استوديوهات "ديزني" أول فيلم بهذا الاسم. ومؤخرا، أصدرت فيلم:"سندريلا تصير حقيقة." ثم فيلم: "سندريلا تعصف بها الرياح". هذا غير مسلسلات سندريلا، وكارتونات سندريلا، ومسرحيات سندريلا، وفرقة غنائية اسمها سندريلا، ومتحف سندريلا، وقسم في جامعة سنترال مسيسبي متخصص في دور سندريلا في الثقافة الأمريكية.

وغنى ستيفن شابمان": "بنتي سندريلا". وتقول بدايتها: "نادتني بنتي: يا أبي. انظر إلى فستاني الأبيض الجميل. ألن يثيره؟ ألن يغريه؟ تنتظرني العربة في الخارج لتأخذني إلى القصر. لابد أن أكون هناك قبل منتصف الليل."

حتى الباكستاني ساجد على، غنى: "كيسي أور كي دلهان با بان جانا". ويردد الكورس" "أوه سندريلا، أوه سندريلا."

وغنت برتني سبيرز، الأميركية الشقراء التي تشبه سندريلا:

"كنت صديقتك، وكنت تناديني، سندريلا. وكنت أسرع كلما تناديني. لكني لم أعد أصدق الروايات الخيالية. الآن، ليس أمامنا سوى الأمر الواقع. أطلب منك أن تغفر لي. لأني لن أبقى معك بعد اليوم. أطلب منك أن تغفر لي لأني سأهرب غدا. صارت سندريلا حرة ومستقلة."

مشكلة سندريلا:

وكتبت إليزابيث قروارهولتز، أستاذة الثقافة الأمريكية في جامعة بيردو (ولاية أنديانا) عن "بطلات الروايات الخيالية." وانتقدت هذه الروايات لأنها:

أولا: تقدس البنت البيضاء ذات الشعر الأشقر، والعينين الزرقاوات، والخدين الوردين.

ثانيا: تقدس الجمال، وكأن البنت غير الجميلة، أو ذات الجمال المتوسط، لا أمل لها في الحياة.

ثالثا: توحي بأن أفضل الرجال هم الأمراء، والذين يعيشون في القصور.

رابعا: تسبب عقدة نقص وسط النساء (وخاصة البنات) غير البيضاوات.

ولاحظ البحث أن هذه القصص ليست فيها بنتا سمراء، أو سوداء، أو صفراء. وان البنات القبيحات هن الشريرات.

سندرلات العالم الثالث:

لكن، خلال السنوات القليلة الماضية، ظهرت روايات وأفلام جديدة، خاصة أفلام "ديزني" عن حسناوات من العالم الثالث، مثل: ياسمين، العربية السمراء، في فيلم "علاء الدين"، و"مولان" الصينية، و "بوكاهانا" من الهنود الحمر.

غير أن أي واحدة من هذه الروايات لم تجد شهرة روايات البنات البيضاوات.

ولا تزال روايات الأطفال الخيالية الأميركية تسيطر على البيضاوات. ولا تزال العولمة التي صدرت "الهامبيرقر" و "بيبسي كولا" و "كوكا كولا" و "البتزا"، تصدر "سندريلا" الشقراء.

وظهرت خلال السنوات القليلة الماضية، تقارير في الصحف والدوريات عن هذه المشكلة. وسموها "عقدة سندريلا".

كتبت دورية "فورين بوليسي" (السياسة الخارجية) التي يصدرها مركز "كارنقي" في واشنطن (الدورية محترمة، والمركز محترم) عن ظاهرة "التبييض" في العالم الثالث.

وحذرت إدارة الطعام والأدوية الفدرالية الأميركية أن بعض الكريمات والدهانات التي تستعمل فيها زئبق يؤذي الجسم.

***

صحف أميركية:

وقالت صحيفة "بوسطن قلوب" أن كثيرا من النساء في دول العالم الثالث يشاهدن الممثلات البيضاوات في السينما والتلفزيون، ويردن أن يكن مثلهن في اللون. وقالت أن روايات الأطفال الخيالية، مثل "سندريلا" تؤثر على تفكير البنات، وتجعلهن يعتقدن أن الشعر الأشقر والخدين الورديين والعينيين الزرقاوات هما الطريق نحو قلب الرجل.

وقالت الصحيفة: "إذا كان هذا هو الحال وسط البنات الأمريكيات، لابد أن التأثير اكبر، واخطر، وسط بنات العالم الثالث."

وكتبت صحيفة "نيويورك تايمز" عن بانيا بوشان، فتاة في تايلاند فصلها مدير الشركة لأن لون جسمها صار قبيحا بعد أن استعملت كريم تبيض فيه زئبق. وكتبت صحيفة "واشنطن بوست" عن الفتاة الهندية مرهام شاروكي، في الهند، التي تستعمل كريم تبيض، ونشرت مع التقرير صورتها وهي تحمل في يدها مجلة فيها صورة سندريلا، وقالت إنها تريد أن تكون مثلها.

وأخيرا، لا بأس أن تريد الأميركيات البيضاوات السير على خطى "سندريلا". وتجميل أنفسهن، وشراء أجمل الفساتين لإغراء الرجال. لكن، هذا شئ، وان تعتقد النساء السمراوات، والسوداوات، والصفراوات أن الطريق إلى قلب الرجال هو تبيض بشهرتهن. وكما أوضح كتاب "فك لغز لون البشرة" أن أساس الموضوع هو عقدة لون، وقلة ثقة بالنفس، وقلة إيمان.

"بلانكيمنتو":

ولايذكر "هوايتننق" (تبييض البشرة) ألا ويذكر "بلانكيمنتو" (زواج سود أو سمر من بيض لتبييض أولادهم وبناتهم).

من الذين كتبوا عن الموضوع الثاني الأستاذان في جامعة تكساس: إدوارد كودينا، وفرانك مونتالفو. الاثنان أمريكيان من أصل مكسيكي. وكتبا أن كثيرا من المهاجرين إلى أمريكا من المكسيك ودول أخرى في أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية يتحدثون (ليس علنا) عن هذا الموضوع.

وكتبا: "ليس الذنب ذنبنا، نحن المهاجرين اللاتينيين. هذه ظاهرة موجودة في دول كثيرة وسط الشعوب السمراء والصفراء والسوداء. لا يوجد دليل أن هذه كان الحال قبل ألف سنة، عندما كان الأوروبيون يعيشون في العصور الوسطي. كنا في المكسيك نفخر بحضارة الأزتكز، ولوننا الأسمر. وكانوا في مصر فخورين بحضارة الفراعنة، ولونهم الأسود. وكانوا في الصين فخورين بحضارة هوان، ولونهم الأصفر. لكن، اليوم، يسيطر الأوروبيون على سياسات العالم، واقتصاده، وثقافته، ومنها تفضيل لون بشرتهم البيضاء."

وكتبا: "عندما جاء الأسبان إلى المكسيك، وبقية دول أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية، ظهر اعتقاد بان نقطة دم إسبانية في عرق مكسيكي ترفعه من البدائية."

لهذا، وحتى اليوم، يوجد في المكسيك نظام شبه طبقى يعتمد على لون البشرة. وأثر على نظرة المكسيكيين الذين هاجروا إلى الولايات المتحدة.

وحسب بحث أجراه الأستاذان وسط المهاجرين من المكسيك، ربط هؤلاء بين اللون والمستوى الاجتماعي في الولايات المتحدة. وأشاروا إلى أشياء مثل: الطبقة الاجتماعية، الثروة، الزواج، الحالة النفسية.

وأجرت بحثا أيضا جينيفيف كاناليز، أستاذة في جامعة واشنطن ستيت، بحثا عن هذا الموضوع، قالت فيه: "كلما يتأمرك المهاجر المكسيكي، كلما يتعامل مثل الأميركيين في علاقته العاطفية والجنسية.

عقدة اللون:

كتبت كاثي راسل في كتابها "كولار كومبلكس" (عقدة اللون): "صار واضحا أن ردة فعل انتشار الحضارة الغربية البيضاء في العالم الثالث الأسمر والأصفر والأسود هي خلط دماء هؤلاء بالدم الأبيض، وخاصة السود." وأضافت: "ربما الذنب ليس ذنب هؤلاء، ولكنه ذنب الغربيين البيض الذين، أن لم يقولوا علنا، يؤمنون باستعلاء لونهم، وبصورة أو أخرى، يربطونه بحضارتهم."

وأشارت إلى أن "الخطر" بدأ في البرازيل حيث أدى الاختلاط إلى "أغلبية سمراء" هي خليط من بيض وسود وأيضا بقايا الهنود الحمر. وأشارت إلى "خطر" آخر بدأ، قبل ألف سنة تقريبا، في إسبانيا (أيام حكم المسلمين لبلاد الأندلس). واستعملت الكلمة الغربية "مور" (من "المرابطين"، العرب الذين غزوا إسبانيا). وقالت أن "المور" جعلوا الأسبان "أقل بياضا من سكان شمال أوروبا."

وقالت أن بريطانيا "ظلت بيضاء نقية".

وان "الخطر" انتقل إلى أمريكا، خاصة خلال الخمسين سنة الماضية، بعد زيادة زواج البيض والسود، ثم زواج البيض والمكسيكيين، وحتى السود والمكسيكيين.

غير أن عقدة الاستعلاء وسط البيض (وعقدة النقص وسط السود، والمكسيكيين، وغيرهم) تظل تؤثر على العلاقات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، والثقافية.

وتتلخص عقدة النقص في الانبهار بالبشرة البيضاء الناصعة البياض (الشقراوات)، والشعر الذهبي، والعيون الزرقاء، والخدود الوردية، والأنف المستقيم.

واشتهر المغنى الأسود مايكل جاكسون باستعمال كيماويات لتغيير بشرته، وتطليق شعره، وبعمليات جراحية ليكون أنفه مستقيما.

وهاهي مغنية البحر الكاريبي، المولودة في جزيرة باربادوس، "ريحانة"، تبيض بشرتها، رغم أنها سمراء جميلة (والدها ابيض، ووالدتها سوداء)

وهاهي المغنية الأمريكية المولودة في ولاية تكساس، "بيونسيه"، أيضا تبيض بشرتها، رغم أنها سمراء جميلة (والدها أسود، ووالدتها خليط من أسود وأبيض).

تحديث:

في السودان، يوجد بعض التفضيل للون الأكثر بياضا. ويظهر ذلك في بعض الأغاني، حيث كلمة "اخضر" معناها الأسمر، أو الأقل سودا. مثل أغنية: "خداري ألبي حالي ما هو داري"

وأغنية "في اللون الأسمر ضيعت شبابي" وأغنية "الأخدر الليموني مشنقل الطاقية").

توجد الظاهرة في مصر أيضا. وتظهر في الأغاني أيضا. مثل أغنية: "أسمر يا أسمراني" وأغنية "آه يا أسمراني اللون."

وغنت لبنانية أغنية مشهورة فيها: "بدي عريس أسمر عربي."

يقول بعض العرب أن اللون الأسود يرتبط بالليل، والظلام، والخوف، والقبح، والشر. لكن، ينسى هؤلاء أن هذا ليست له أي صلة بهوية الإنسان، وكيانه، واحترامه لنفسه.

ويقول بعض العرب أن القرآن الكريم فرق بين "تبيض وجوه" و "تسود وجوه". لكن، ينسى هؤلاء أن الله تعالي أرفع من أن يشترك في نقاش بين الناس. (وهذا، على أي حال، نقاش تافه).

كما أن الله يحكم على الناس حسب تقربهم منه، وليس حسب ألوانهم.

ولهذا، يجب ألا تكون لأي لون أي صلة بأي هوية.

والأسود الذي يعتقد أن سواد لونه يجعله أقل من غيره لا يقل احتقارا لنفسه من الأبيض الذي يعتقد أن بياض لونه يجعله أفضل من غيره.

والأسود الذي يربط هويته بلونه يجب ألا يلومن الآخرين إذا أساؤوا إليه بسبب لونه (لأن لونه، مثل أي لون، ليس إلا لونا).

هذا رأي عربي أسود!

دير ليك (ولاية بنسلفانيا) : مايكل جاكسون

الأسود الأبيض



(اقرأ: عقدة اللون وسط السود).

(اقرأ: أشهر الأغاني).

(اقرأ: أغاني الزنوج).

جئت إلى مدينة دير ليك الصغيرة جدا (ولاية بنسلفانيا) سنة 1984. إلى مزرعة الملاكم محمد علي كلاي، حيث كان يتدرب. حسب ترتيب "عبد القادر"، مهاجر من المغرب، وصار من مساعدى كلاني، جئت من واشنطن بالطائرة إلى لانكستر (ولاية بنسلفانيا).

ومن هناك، استأجرت سيارة إلى فندق صغير جدا بالقرب من مزرعة كلاي. وخلال يومين زرت معسكر كلاي مرات كثيرة، وأجريت معه مقابلات، والتقطت صورا.

في اليوم الثاني، جاء إلى المعسكر الفنان مايكل جاكسون. كانت تلك أول وآخر مرة أقابله فيها. لم أكن

أعرف كثيرا عن الأغاني الأمريكية، ولا كثيرا عن جاكسون نفسه. لكنه، طبعا، كان اشتهر. وذكرته أنني كنت أشاهده في تلفزيون أبيض وأسود في داخلية "أيقينهان"، في جامعة أنديانا، قبل ذلك بعشر سنوات تقريبا. كنت طالبا في كلية الدراسات العليا في الصحافة في الجامعة. وفي ذلك الوقت، كان مايكل جاكسون صغيرا، وكان يغنى مع بعض إخوانه، فيما عرف باسم "جاكسون فايف" (أولاد جاكسون الخمسة).

ومنذ ذلك اللقاء العابر في مزرعة الملاكم محمد علي كلاي، غطيت أخباره، ليس كمعجب بأغانيه، لأنني، حتى اليوم، لا أعرف كثيرا في الأغاني الأمريكية. ولكن، بحكم أنه شخصية مشهورة.

وبعد وفاته، كتبت عنه أكثر من مرة، وخاصة بعد أن اشتريت مجموعة كتب كانت صدرت عنه: واحد عنه كانسان، وواحد كفنان، وواحد كمسرحي، وهكذا.

بعد يوم من وفاته، قال القس الأسود شاربتون، من قادة الأميركيين السود، وصديق عائلة جاكسون: "أكبر نجاح لمايكل ليس في عدد الاسطوانات التي باعها. وليس في عشرات الملايين من عشاق أغانية داخل وخارج أميركا. اكبر نجاح هو أنه وضع الثقافة فوق العرق. لم يقل أبيض أنه لا يحب أغانيه لأنه اسود. ولم يقل أسود أنه يجب أن يكون فنان السود فقط."

وأضاف شاربتون: "قبل أن يكسر تايقر وود حاجز اللون في المجال الرياضي، ويفوز ببطولات في القولف، وقبل أن يكسر باراك أوباما حاجز اللون في السياسة ويفوز بالبيت الأبيض، كسر مايكل جاكسون حاجز اللون في المجال الثقافي."

ما هو سر نجاح مايكل جاكسون؟

حتى الآن، صدرت عشرات الكتب عن مايكل جاكسون. وهذه ملخصات بعضها:

"مايكل جاكسون: المؤامرة":

على غلاف كتاب"مايكل جاكسون: المؤامرة"، صورة له، ويداه ممتدتان على جانبيه، ورأسه ملقى نحو الخلف، ودم ينزف من فمه، وكأنه ميت. صورة قريبة من صورة عيسى المسيح وهو مصلوب.

الهدف من الغلاف، كما يقول الكتاب، هو أن أجهزة الإعلام، تلفزيونات، وإذاعات، وصحف، هي "المسؤولة" عن المشاكل التي مر بها جاكسون، وأنه وراء "مؤامرة" لتدميره (صدر الكتاب قبل وفاته).

وقال الكتاب أن الإعلام اهتم بالحياة الشخصية لهذا الفنان أكثر مما يجب. وطاردته الكاميرات في كل مكان. وطاردت عائلته (مرة، اضطر جاكسون لان يغطى ولده بملاية حتى لا يراه المصورون والفضوليون).

وأضاف الكتاب: "خلال السنوات العشرين الماضية، ظهرت علاقة حب وكراهية بين مايكل جاكسون والصحفيين. في جانب، الرجل مشهور وثري. وفي جانب، مصاب بالنرجسية، وربما الطفولية. لكن، تندر الصحفيون على لونه الأسود، ثم على لونه الأبيض. وتندروا على ميوله الجنسية نحو البنات، ثم على ميوله الجنسية نحو الأولاد."

وفصل الكتاب التغطية الصحافية المكثفة لمحاكمة جاكسون بتهمة الاعتداء الجنسي على صبي. وللطرق التي أنجب بها أطفاله، ومنها ما يشبه "تأجير" ممرضة بيضاء لتحمل بواحد من أولاده. وغرآمن بارتداء ملابس عسكرية، ونياشين، وشرائط، ونجوم. وأيضا، صوته شبه النسائي.

وقال الكتاب: "أهمل الصحفيون الدور التاريخي لمايكل جاكسون في تحسين العلاقات بين البيض والسود، ليس فقط داخل أمريكا، ولكن، أيضا، خارجها." وأشار الكتاب إلى الآتي:

أولا: حول جاكسون غناء "بوب" (الغناء الجماهيري) من أبيض بقيادة ألفيس بريسلي إلى اسود بقيادته.

ثانيا: تزوج "بريسلا"، بنت بريسلي، وقال إن الحب لا يعرف الألوان (رغم أنها رفضت الإنجاب منه، ربما خوفا من إنجاب طفل نصف اسود ونصف ابيض).

ثالثا: غنى أغنية "لا ابيض ولا اسود" ليؤكد عدم أهمية الأعراق والألوان.

رابعا: غنى أغنية "نحن العالم"، دليلا على أحاسيسه الإنسانية، وأحاسيس الفنانين الذين اشتركوا معه، نحو الجوعى والمرضى في إفريقيا.

خامسا: لم يغنى ولا أغنية واحدة يفهم منها أنه يشجع على عنف، أو جريمة، أو حرب.

"مايكل جاكسون: الموسيقى":

وصدر كتاب: "مايكل جاكسون: الموسيقى"، وكما يوضح عنوانه، يركز على الرجل كفنان. لكن، قال الكتاب أن حياة الرجل الخاصة أثرت عليه كفنان. وأن له جانبين:

الجانب الفني: أبدع موسيقيا، وصار من أشهر الفنانين في العالم، ومن أشهر الناس في العالم.

الجانب الأخلاقي: فشل بسبب مشاكله الجنسية والعائلية.

وقال الكتاب أن المعجبين بمايكل جاكسون ركزوا على أغانيه، بينما ركز الصحفيون على أخلاقياته. وسأل الكتاب: أيهما أهم: الترفيه أو الأخلاق؟ وأجاب إجابتين:

في جانب: لا تقلل الأخطاء الأخلاقية من الإبداع الفني، والإنجاز الثقافي.

في جانب: لا يمكن فصل الأخلاق عن سلوك الفنانين (والسياسيين والعلماء).

وخلص الكتاب إلى أن التاريخ هو الذي يصدر الحكم النهائي على الناس، خاصة المشاهير. وأشار إلى أمثلة كثيرة، منها:

أولا: كان توماس جفرسون، الرئيس الأمريكي الثالث، وكاتب الدستور الأمريكي، وأبو الليبرالية، يملك عبيدا.

ثانيا: كان أوسكار وايلد، أديب ايرلندا المشهور، مصابا بالشذوذ الجنسي، وسجن بسبب ذلك.

ثالثا: كان فرانكلين روزفلت، من أشهر رؤساء أميركا، ومؤسس البرامج الحكومية الاجتماعية، يخون زوجته مع أكثر من امرأة.

وخلص الكتاب إلى أن التاريخ سوف يغلب إبداعات مايكل جاكسون على أخطائه، أخلاقية وغير أخلاقية.

لهذا، ركز الكتاب على هذه الإبداعات، منذ بدايتها:

"في سنة 1967، ولأول مرة، دخل مايكل جاكسون أستوديو لتسجيل أغنية مع إخوانه، وكان عمره تسعة سنوات. وبعد سنتين، سجل مع إخوانه رقما قياسيا في اسطوانة "أي وونت يو باك" (أريد أن تعود لي). ثم بدأ يتسلق سلم الشهرة حتى باع سبعمائة وخمسين مليون اسطوانة وشريط وقرص."

وقال الكتاب: "ليس كل الذين اشتروا هذه أغبياء، أو مجاملين. لابد أن في موسيقى جاكسون ما يجعلهم يصرفون مئات الملايين من الدولارات على موسيقاه."

ماذا في موسيقاه؟

قسم الكتاب موسيقاه إلى أربع مراحل:

الأولى "موتاون": أغانيه مع إخوانه على مسرح "أبولو" في نيويورك.

الثانية: "سي بي إس": عندما كانوا يغنون في هذه القناة التلفزيونية.

الثالثة: "سونيك": عندما ادخل مايكل جاكسون الأجهزة الموسيقية الحديثة، بعد أن انفصل عن إخوانه

الرابعة: "إم تي في": عندما استغل قناة تلفزيون الأغاني التي صارت أهم قناة من نوعها في العالم.

الخامسة: "فيديو كليب": عندما صار يخرج فيلما سينمائيا قصيرا عن كل أغنية يصدرها.

"مايكل جاكسون على المسرح":

ركز كتاب "مايكل جاكسون على المسرح" على إسهامات جاكسون في تطوير الأغنية الأمريكية (والعالمية). وشرح مراحل هذا التطوير:

وقال الكتاب: "في الماضي، كان أي مغني يحمل أداة موسيقية، عودا أو جيتارا، ويقف على المسرح، ويغني للمتفرجين بينما هم جالسون في مقاعدهم صامتين.

ثم، قبل خمسين سنة، جاء ألفيس بريسلي، يحمل جيتارا، ويحرك رجلية وجسمه يمينا وشمالا. والمتفرجون جالسون على مقاعدهم صامتين، لكنهم يمتايلون يمينا وشمالا. ثم، قبل أربعين سنة، بدا مايكل جاكسون وإخوانه يرقصون على المسرح. وحولوا الغناء إلى رقص وحركات تمثيلية. وصار المتفرجون يقفون من على مقاعدهم ويرقصون. ثم قبل ثلاثين سنة، استغل جاكسون التطورات الفنية والتكنولوجية، وحول الغناء إلى مسرحية، فيها غناء، ورقص، وقفز، على خشبة المسرح. وصار المتفرجون يغنون ويرقصون ويقفزون."

وبالصور، شرح الكتاب بعض الأمثلة:

أولا: في بودابست (المجر): ظهر جاكسون على خشبة المسرح، وصحبته ألعاب نارية وبالونات وأضواء براقة. وكاد أن ينشب حريق كبير، لولا أن فرقة المطافي أسرعت وأخمدت لهبا تطاير عندما قفز جاكسون من فوقه. وهو يغني.

ثانيا: في سيول (كوريا الجنوبية): رفعت ستارة المسرح، وظهر مكوك فضاء عملاق على المسرح. ومضت عشر دقائق والمتفرجون لا يعرفون ماذا يجري. وفجأة، انفتح المكوك، وخرج منه جاكسون في ملابس رائد فضاء. وهو يغني.

ثالثا: في كوالالامبور (ماليزيا): لبس جاكسون لباس رائد فضاء ليغني أغنية "مون ووك" (مشى على سطح القمر). وكأن المسرح مثل سطح القمر، وكوكب الأرض يبدو بعيدا في الخلف (مرسوما على شاشة المسرح الخلفية). وبدل أن يمشى إلى الإمام، كان يمشى إلى الخلف، وهو يغني ويرقص.

خامسا: في لندن: تحول المسرح إلى فيلم "ستار وورز" (حرب النجوم). وخرج جاكسون من "نجم"، وهو يرتدي عباءة سوداء عملاقة، مثل التي يرتديها بطل الفيلم "دارت فيدر". وكان جاكسون يرقص ويغني.

***

"مايكل جاكسون: وراء القناع":

ركز كتاب "مايكل جاكسون: الرجل وراء القناع" على أن أهم إسهامات جاكسون الثقافية، بالإضافة إلى تطوير فن الغناء، هي نشر كلمات الحب والسلام والفرح، وتحاشي كلمات العنف والغضب والحروب. كتب الكتاب بوب جونز، الذي عرف جاكسون لأكثر من ثلاثين سنة، وكان مدير العلاقات العامة في مكتبه. واختار الكتاب أغاني ليرهن على رأيه، منها:

من أغنية "آي وانط يو باك" (أريدك أن تعودي لي): "أعطيني يا حبيبتي فرصة أخرى. لأؤكد حبى لك. من فضلك، أعطيني فرصة أخرى. لأعود إلى قلبك. كنت أعمى عندما تركت تذهبين. لكن، عندما شاهدته يمسك يديك، غضبت. أريدك أن تعودي لي."

ومن أغنية "وي آر ذا ويرلد" (نحن العالم)، بعد أن اجتاح الجوع دولا افريقية: "يأتي وقت نسمع فيه نداء. يأتي وقت يجب فيه على العالم أن يتوحد. الآن الناس يموتون. الآن نسمع النداء. لنساعدهم. هذه أكبر هدية لهم."

ومن أغنية "كيب ذا فيث" (حافظوا على إيمانكم): "توجد في الإيمان قوة. أعطى نفسك فرصة. لأنك تقدر على أن تصعد إلى أعلى جبل. لأنك تقدر على أن تسبح في أعمق المحيطات. فقط تحتاج إلى تصميم. فقط تحتاج إلى ثقة بالنفس. فقط تحتاج إلى إيمان."

ومن أغنية "إليزابيث، أي لف يو" (احبك يا إليزابيث): "جاءو بك إلى هوليوود. قالوا انك نجمة لامعة، باعوك. لكني أحبك. ألا تعرفين؟ ألا تصدقين؟ أنا أحبك يا إليزابيث."

ومن أغنية "غيرل فرند" (صديقة): "سأقول لصديقك ما حدث بيننا. ليلة جلسنا على البلاج تحت ضوء القمر. سأقول له إنني أحبك وأنك تحبيني. لنقول له معا. لنقول لها أننا نحب بعضنا. لأقول له أنك صديقتي، لا صديقته"

الحب لا يعرف اللون:

وقال الكتاب أن جاكسون، مثلما استغل التقدم التكنولوجي على المسرح، استغل عواطف الناس.

وقال، وغنى، أن الحب لا يعرف اللون، والجنس، والدين، والوطن.

لم يهتم بالنقاش والجدل والمنطق والعقلانية والواقعية. لكن، ركز على الحب. ووجد أن الإنسان، في كل العالم، رغم جدية حياته اليومية والعملية، يريد، في أعماقه، شخصا يحب ويحبه. وأشار إلى أغنية تقول: "عندما امسك يديك، اغمض عيني وأتنفس نفسا عميقا، وأحس كأنني دخلت الجنة."

وهناك أغنية "بلاك أور هوايت" (أسود وأبيض) التي، بسببها، اتهم جاكسون بعقدة النقص، مثل سود آخرين، أمام البيض. واتهم بالنفاق لأنه غير لونه من أسود إلى أبيض، رغم انه قال أن اللون لا يهم.

لكن، قال الكتاب أن الذي يتمعن في كلمات الأغنية لا يرى فيها نفاقا. ولكن، يرى أنها تدعو للتقارب، وللحب، بين الناس، رغم اختلافات اللون، والدين، والوطن.

ونقل الكتاب هذه الكلمات من الأغنية، وواضح فيها أن صديقة جاكسون كانت بيضاء: "أخذت حبيبتي إلى حفل ليلة سبت. سألوني: هذه حبيبتك؟ قلت: نعم نحن اثنين في واحد. نحن متساوون ومندمجون. قلت: إذا تريد أن تتكلم عن حبيبتي، لايهم إذا كنت أسودا أو أبيضا".

داخل البيت الأبيض (واشنطن) : أخطاء واعتذارات السياسيين



(اقرأ: فضائح السياسيين).

(اقرأ: الدين والسياسة).

في سنة 1998، جئت إلى البيت الأبيض لتغطية مؤتمر صحافي عن فضيحة العلاقة الجنسية بين الرئيس بيل كلينتون ومونيكا لوينسكي، سكرتيرة البيت الأبيض. لا احضر إلى البيت الأبيض كثيرا، لأني لست صحفيا معتمدا هناك، ولأن جزءا كبيرا من عملي لا يشمل البيت الأبيض، ولان وكالات الإخبار تنقل أخباره يوميا.

وقف الرئيس كلنتون، وأشار بإصبعه، وقال: "ليست عندي علاقة جنسية مع هذه المرأة، لونسكي." لم يكن كلينتون يكذب فقط، لكنه كذب مرات كثيرة في أوقات لاحقة: عندما نفى علاقات جنسية مع سكرتيرات في مكتبه وهو حاكم لولاية أركنسا. وعندما نفى تحرشات جنسية بسكرتيرات ومساعدات في مكتبه في البيت الأبيض. وأهم من ذلك، عندما نفى هذه الاتهامات أمام قاضي بعد أن أدى القسم.

فيما بعد، بالإضافة إلى أكاذيبه، القانونية والأخلاقية، رفض أن يعتذر. وحتى في كتاب مذكراته، لم يعتذر. رغم انه قال انه اعتذر لزوجته ولبنتهما، "لأن هذا موضوع شخصي." ولأن "كل الضجة كانت حربا سياسية علي."

لكن، لم يكن كلينتون أول رئيس أو سياسي أمريكي، أو غير أمريكي، يخطئ، وعندما يكتشف خطأه، ينفيه، ويرفض الاعتذار، أو يعتذر اعتذارا غير صادق.

خلفية تاريخية:

ربما أشهر اعتذار في التاريخ هو عندما اعتذر سقراط، واحد من أعمدة الفكر الغربي، سنة 399 قبل الميلاد. لكن، حتى اليوم يستمر النقاش عن إذا كان اعتذر أو لم يعتذر.

كان حكماء وحكام أثينا وجهوا له اتهامين رئيسين:

أولا: لا يؤمن بالآلهة اليونانية.

ثانيا: يفسد شباب أثينا.

خلال المحاكمة، اعتذر سقراط عن إفساد الشباب، لكنه لم يعتذر عن رفضه الإيمان بالآلهة اليونانية. وفي رواية أخرى، قال إنه يؤمن بالآلهة، لكنه لا يؤمن بقدرتهم على أن يفعلوا أي شيء.

وفي الأديان، خاصة الأديان السماوية، نصائح كثيرة عن الاعتراف بالخطأ، والاعتذار، والتوبة. لكن، لا يتحدث الأمريكيون كثيرا عن "ريبنتانس" (التوبة)، ربما بسبب مغزاها الديني. غير أنهم يتحدثون عن "كونتريشن" (الندم). ويسألون: هل اعتذار شخص عن خطأ ارتكبه هو مجرد اعتذار، أو فيه ندم؟

وطبعا، في القرآن الكريم سورة "التوبة"، وفيها أن التوبة الحقيقية هي الرجوع إلى طاعة الله بعد عصيانه. وذلك لأن أخطاء مثل الإساءة، والكذب، والسرقة، والزنا معصيات لأوامر الله، قبل أن تكون إساءة إلى شخص أو جماعة. وفي القرآن الكريم الآية: "إن الله يحب التوابين، ويحب المتطهرين."

ومن قصص الاعتذار وسط المسيحيين، اعتذار الإمبراطور الروماني هنري الرابع للبابا لأخطاء ارتكبها. أولا، أرسل خطاب اعتذار، ثم وقف، حافي القدمين فوق الجليد، لثلاث أيام أمام باب الفاتيكان.

اعتذارات تاريخية:

وفي التاريخ السياسي، اعتذرت ألمانيا (في معاهدة فرساي) عن دورها في بداية الحرب العالمية الأولى، ووافقت على دفع تعويضات. واعتذرت ألمانيا مرة أخرى، بعد الحرب العالمية الثانية، عن محرقة اليهود، ووافقت على دفع تعويضات (لا تزال تدفعها لحكومة إسرائيل).

وفي التاريخ الأمريكي، اعتذر الرئيس أبراهام لنكولن عن الحرب الأهلية. وطلب الغفران من عائلات ضحاياها (من الجانبين). وسن أجازة عيد الشكر السنوية "للتوبة عن خطايانا." واعتذر الرئيس يوليسيس قرانت عن فضائح اجتاحت إدارته. لكنه، وهو السياسي المحنك، حسب كلماته حسابا. اعتذار عن "أخطاء ارتكبت"، وقال: "اعترف وأقول واكرر أن أخطاء قد ارتكبت." (لم يقل انه هو ارتكبها).

واستعمل الرئيس رتشارد نيكسون نفس العبارة، عندما واجه فضيحة ووترقيت (التي استقال بسببها). واعتذر رون زيقلار، المتحدث الصحفي باسم نيكسون، لصحيفة "واشنطن بوست" التي قادت كشف الفضيحة. وقال: "أود أن اعتذر لصحيفة "واشنطن بوست." علينا جميعا أن نقول أن اخطأ ارتكبت فيما يتعلق بتعليقات صدرت منى، أو من مسؤولين آخرين في البيت الأبيض. وأنا شخصيا كنت متحمسا في بعض تعليقاتي، لا سيما إذا وضعنا في الاعتبار الظروف غير العادية والتطورات السريعة."

واعتذر الرئيس رونالد ريقان بسبب فضيحة "ايران قيت" (محاولة تحسين العلاقات مع إيران سرا، حتى كشفت). وقال: "مؤكد أن محاولة إطلاق سراح مواطنينا المعتقلين في دولة بربرية ليس خطأ. لكننا، في البداية، لم نحقق ما نريد. وارتكبت أخطاء خطيرة في محاولة للقيام بذلك. وسوف نصل إلى أعماق هذا الموضوع. وأنا سأتخذ كل خطوة ممكنة لتحقيق ذلك."

وتمكن ملاحظة استعمال "نحن" أحيانا، و "أنا" أحيانا، وفعل المجهول أحيانا. وأيضا قال أن "أخطاء ارتكبت" ولم يقل "أنا ارتكبت اخطأ".

اعتذارات قبلت:

لكن، هناك أخطاء قبلت وسط السياسيين الأمريكيين:

اعتذر كلنتون للصين، بعد أن ضربت الطائرات الأمريكية سفارتها في بلغراد خلال حرب البلقان. واعتذر لقواتيمالا، لأن حكومات أمريكية سابقة أيدت نظاما عسكريا هناك استمر 40 سنة. واعتذر للأميركيين السود عن تجارة الرقيق. واعتذر للأفارقة (خلال زيارة إلى إفريقيا) عن استعمار الرجل الأبيض.

واعتذر الرئيس بوش الأب لليابان بعد أن أغرقت غواصة أميركية سفينة صيد يابانية بالقرب من جزر هاواي. واعتذر لكوريا الجنوبية بعد أن قتلت سيارة عسكرية أمريكية بنتين كوريتين هناك.

وخارج أميركا، اعتذر البابا جون بولص عن دور الكنيسة الكاثوليكية في تجارة الرقيق في إفريقيا. واعتذر، في "خطاب إلى كل امرأة" عن سوء معاملة الكنيسة الكاثوليكية للنساء عبر تاريخها.

وفي جنوب إفريقيا، اعتذر دي كليرك، رئيس الحكومة البيضاء العنصرية، عن سنوات التفرقة ضد السود. واعتذر نلسون مانديلا عن ما لحق بالأبرياء خلال عمليات المقاومة المسلحة.

رفضوا الاعتذار:

لكن، هناك سياسيين رفضوا الاعتذار:

في سنة 1963، رفض الرئيس كنيدي الاعتذار عن إرسال طائرة تجسس فوق روسيا (كما طلب الزعيم الروسي خروتشوف).

وحتى اليوم، رفضت إسرائيل الاعتذار للعرب عن شن حرب 1967 (كما طلبت الجامعة العربية منذ ذلك الوقت).

وفي سنة 1979، رفض الرئيس كارتر الاعتذار لإيران، عندما كانت تعتقل الدبلوماسيين الأميركيين، عن سياسات الحكومات الأميركية السابقة، (كما طلبت ايران، كشرط لإطلاق الدبلوماسيين).

وفي سنة 1988، رفض الهنود الحمر في كندا اعتذار كنيسة كندا لدورها في طردهم عندما تأسست كندا (اعترفوا باعتذار الكنيسة. لكنهم لم يقبلوه).

وفي سنة 1996، رفض الرئيس كلينتون الاعتذار لليابان عن إلقاء قنبلة هيروشيما النووية عليها مع نهاية الحرب العالمية الثانية.

وفي سنة 1999، رفض الفاتيكان الاعتذار عن "عداء مسيحيين لمعتنقي اليهودية"، لكنه اعتذر لأنه لم يعارض محرقة اليهود في ألمانيا (أي أنه فرق بين اليهود كعرق وبين الدين اليهودي).

ظلم الغرب:

وهناك اعتذارات عن أحداث تاريخية لها صلة بظلم الغربيين لشعوب العالم الثالث:

اعتذرت حكومة أستراليا لسكان البلاد الأصليين بعد أن طلبوا ذلك منها. واعتذرت حكومة كندا للهنود الحمر بعد أن طلبوا ذلك منها. واعتذرت الحكومة الأميركية لاعتقال الأميركيين اليابانيين بعد أن طلبوا ذلك منها.

لكن بريطانيا ونيوزيلندا اعتذرتا لسكان نيوزيلندا الأصليين بدون أن يطلبوا ذلك. واعتذرت الحكومة الأميركية للهنود الحمر بدون أن يطلبوا منها ذلك.

ولم يطلب الهنود الحمر في دول أميركا الجنوبية اعتذار حكومات تلك الدول لأن معظمهم اختلط ببقية السكان. ولأن كثيرا من الدول هناك تنتهج، أو تشجع، سياسة "إدماج" مواطنيها، رغم اختلاف خلفياتهم. ويعتبر معظم سكان البرازيل ومعظم سكان كوبا خليطا من شعوب أسبانية وإفريقية وهندية.

ولم يطلب الأميركيون السود اعتذار الحكومة الأميركية (بدأ عدد قليل منهم يفعل ذلك خلال السنوات القليلة الماضية). ولا يعتقد أن الحكومة الأميركية ستعتذر لأن معنى ذلك هو الاعتراف بالخطأ، وبالتالي المطالبة بتعويضات كثيرة.

زادت الاعتذارات:

وقالت د. ميليسا نوبلز، أستاذة علوم سياسية في معهد ماساجوستس للتكنولوجيا، ومؤلفة كتاب "أنواع المواطنة"، أن الاعتذارات زادت مع نهاية القرن العشرين لأكثر من سبب:

أولا، زاد عدد الدول الديمقراطية، وتعمقت الديمقراطية في الدول التي كانت فيها.

ثانيا: كشفت وثائق جديدة أخطاء في حروب مثل أخطاء الحرب العالمية الثانية.

ثالثا: سقط الاتحاد السوفيتي، وفتحت ملفات أجهزة الأمن القومي في دول كثيرة.

رابعا: زادت موجة الشفافية وسط الدول والمنظمات الدولية والمؤسسات الدينية.

وأحصت نوبلز أهم ستين اعتذارا خلال الخمسين سنة الماضية. ووجدت أن أكثر من نصفها جاء على لسان ملوك ورؤساء، وجاء ربعها من حكومات. وقالت أن النوع الأول بدون التزام، والهدف منه ترضية سياسية، لكن النوع الثاني يأتي بعد مناقشات، وهو أقوى، ويشمل تعويضات مالية.

فن الاعتذار:

في سنة 2008، كتب لورين بلوم، محامي ورجل أعمال في واشنطن، وعمل لسنوات كثيرة مستشارا وخبيرا لأعضاء في الكونقرس، كتاب "أرث أوف أبولوجي" (فن الاعتذار). وكتب فيه: "يوجد فرق بين أن تعتذر إذا أسئت إلى شخص، وتعتذر لأنك أخطأت. عندما تقول لشخص انك آسف، كأنك تنقل جزءا من المسئولية إلى الشخص. كأنك تقول انك أخطأت، لكن خطأك ربما لم يسيء إلى احد غير هذا الشخص."

وأضاف الكتاب: "لهذا، الأهم هو الاعتذار عن الإساءة نفسها، ولكل الناس، وليس للشخص المعني فقط."

وأضاف: "في الحقيقة، ونظريا، يجب أن يكون الإنسان مستعدا لان يعتذر في اي لحظة. والسبب هو أننا جميعا نخطيء: في المنزل، في مكان العمل، في مكان اللهو. وأيضا، لأننا نؤذي الآخرين بالكذب، والمماطلة، ونكث الوعود، والإساءة. لهذا، يجب أن تكون مستعدا لأن تعتذر. لكن، كثير من الناس لا يعرفون متى، أو كيف، أو بأي طريقة، يقولون كلمة "صوري" (أسف)."

وبالنسبة للسياسيين، قال: "خلال معاملاتي مع السياسيين من الشارع "كي" (شارع مكاتب المحامين ومكاتب اللوبي في واشنطن)، استطيع أن اجزم بأنه لا يوجد من يستعلى على الناس مثل السياسيين. يعتقدون أنهم هم الأذكى، والأقوى، والأفصح.

وطبعا، هم في الحقيقة يقودون هذه البلاد. وفي كل العالم، يقودون بلادهم، رضينا أو أبينا، نؤيدهم أو نعارضهم. لهذا، ليس الاعتذار صعبا بالنسبة لهم. لا أشك أن السياسي يعتذر لزوجته إذا أخطأ في حقها. لكن، هذا شيء والاعتذار لعامة الناس شيء."

ولهذا، كتب صحافيون يتابعون السياسيين، وخبراء في علم النفس يدرسون تصرفات السياسيين، عن ظاهرة "نان أبولوجي ابولوجي" (الاعتذار الذي ليس هو اعتذار). ومن الذين كتبوا عنه بروس ماكيل، الذي كتب في مطبوعات أمريكية منها: صحيفة "نيويورك تايمز" ومجلة "فانيتي فير".

قال: "الاعتذار الذي ليس هو اعتذار هو اعتذار بدون ندم. وهو كثير وسط السياسيين. يقول السياسي انه أسف، ليس عن تصرفه، ولكن للأذى الذي لحق بشخص أو جماعة بسبب هذا التصرف. وفقط لأن الشخص أو الجماعة طالبوا بالاعتذار. وربما هددوا برفع قضية تعويض."

جمال عبد الناصر:

وفي التاريخ الحديث للعرب، تحمل الرئيس المصري جمال عبد الناصر المسؤولية يوم تنحي عن رئاسة الجمهورية بعد هزيمة حرب 1967. لكنه لم يعتذر. ثم عاد إلى الحكم.

يوم تنحيه، قال: "أقول لكم بصدق إنني على استعداد لتحمل المسؤولية كلها. لقد قررت أن أتنحى تماما ونهائيا عن أي منصب رسمي وأي دور سياسي، وأن أعود إلى صفوف الجماهير، أودي واجبي معها كأي مواطن آخر." تحمل المسئولية، لكنه لم يعتذر. وبالتالي، لم يندم، ولم يتب لأنه، إذا كان فعل ذلك، ما كان سيعود إلى الحكم.

في اليوم التالي لاستقالته، وبسبب مظاهرات ضخمة في مصر وخارج مصر، أرسل خطابا إلى مجلس الشعب قال فيه: "أنا مقتنع بالأسباب التى بنيت عليها قراري، وفى نفس الوقت فإن صوت جماهير شعبنا بالنسبة لي أمر لا يرد."

وبصورة عامة، يبدو أن الاعتذارات، مباشرة أو غير مباشرة، قليلة جدا وسط السياسيين العرب.

تحديث:

بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، وغزو أفغانستان والعراق، صار أكثر اعتذار مطلوب أو غير مطلوب، ومتوقع أو غير متوقع، وسط السياسيين الأميركيين المعاصرين هو عن غزو العراق سنة 2003. (ليس بالضرورة عن أفغانستان، لأن من أفغانستان انطلق هجوم 11 سبتمبر. لكن، لم يثبت أن العراق اشترك في هذا الهجوم)

بعد أربع سنوات من الغزو، قال الرئيس بوش الابن (الذي أعلن وقاد الغزو): "إذا كانت هناك أخطاء ارتكبت، أنا مسئول عنها." وحتى اليوم، لم يغير بوش موقفه هذا. وكرره في كتاب مذكراته. ولابد أن هذا الموضوع سيستمر يواجه بوش، وذلك بسبب حملات عالمية (وليست حقيقة أميركية) بان بوش يجب أن يقدم إلى المحكمة الجنائية الدولية بسبب ما تصفه هذه الحملات العالمية بأنه "مليون قتيل عراقي، وخمسة ملايين لاجئ عراقي، داخل وخارج العراق".

وحاول السناتور الجمهوري جون ماكين الاعتذار، أو عدم الاعتذار، عن تأييده لغزو العراق. وقال، بعد سنتين من الغزو، في مقابلة تلفزيونية مع المذيع تيم روسيت: "أعتقد أن واحدا من الأخطاء التي ارتكبت كانت تضخيم توقعات الحرب، بأنها ستكون مثل قضاء يوم عائلي على البلاج."

وعندما سأله روسيت عن اعتذار، أو اعدم اعتذار، الرئيس بوش، قال ماكين: "اعترف الرئيس بأن أخطاء ارتكبت." وسال روسيت: "أليس الرئيس هو القائد الأعلى؟ الم يفشل؟ ألم يخطئ؟" وأجاب ماكين: "تقع المسؤولية على كل من هو مسؤول. في كل حرب، ترتكب أخطاء. وفي هذه الحرب، ارتكبت أخطاء ضخمة. لكننا يمكن أن نكون متفائلين، وأن نحقق انجازات (في العراق أثناء الاحتلال)".

ولم يقل: "يمكن أن نتعظ من أخطائنا." وطبعا، لم يعتذر. لكن، كيف يعتذر وهو لم يعترف بأنه هو أخطا، أو أن الرئيس بوش أخطا؟

"نيوكون":

وتظل مسؤولية غزو العراق معلقة، أيضا، فوق رؤوس غير السياسيين، فوق رؤوس الخبراء الذين ملؤوا شاشات التلفزيونات الأمريكية يؤيدون الغزو. مثل رتشارد بيرل، الخبير اليهودي الذي كتب مؤخرا: "أود أن أكون واضحا هنا. هناك أخطاء ارتكبت.

لكن، لم يرتكبها "نيوكون" (المحافظون الجدد، وهم تحالف يهود ورجال دين مسيحيين متطرفين وجمهوريين متطرفين). لم يكن "نيوكون" مسئولين عن الحكم في واشنطن، ولم يكونوا مسؤولين عن ما حدث بعد الغزو."

بعد نهاية الاحتلال الأمريكي للعراق، تستمر مشكلة اعتذار السياسيين والعسكريين حول الحرب في أفغانستان. أن لم يكن عن الغزو (ردا على هجمات 11 سبتمبر)، عن الجرائم التي ارتكبت. وخاصة بعد تقارير من منظمات حقوق الإنسان بان العمليات العسكرية الأمريكية قتلت كثيرا من المدنيين.

في سنة 2009، بعد غارة على حفل زواج أفغاني. قال الجنرال ديفيد ريتشاردز: "في ضباب الحرب، ارتكبت أخطاء."

باول وأنان:

في سنة 2012، أصدر كوفي أنان، الأمين العام السابق للأمم المتحدة، كتاب مذكراته. وفي الفصل الخاص بحرب العراق، تحدث عن "ضغوط أميركية" عليه عندما أصدر مجلس الأمن قرارا بعد قرار عن العراق قبل غزوها. وتحدث عن "عدم ارتياح" لان الرئيس بوش أمر بغزو العراق بدون قرار من مجلس الأمن. تحدث وكأنه شاهد (وليس مشتركا). تحدث، ولم يتحمل أي مسؤولية، وطبعا، لم يعتذر.

وفي الكتاب، تحدث أنان عن يوم زاره في مكتبه كولين باول، وزير الخارجية الأمريكية، بعد غزو العراق بسنتين. وتحدث أنان عن "عدم ارتياح" من جانب باول لأنه، بأول، كان من قادة غزو العراق.

ومثلما لم يعترف أنان بأي مسئولية، لم يعترف باول أيضا.

وحتى اليوم، يطارد الموضوع باول. وقال مؤخرا انه ليس مسئولا عن خطأ تقديم معلومات إلى مجلس الأمن عن أسلحة العراق الكيماوية لأن وكالة الاستخبارات المركزية (سي آى ايه) قدمتها له.

الاعتذار الحقيقي:

وكتب قراهام دودز، أستاذ علوم سياسية في جامعة كونكورديا في كندا: "الاعتذار الحقيقي هو أن يقول الشخص: أنا أخطأت، وأنا آسف لذلك، وأتعهد ألا أكرر الخطأ، واطلب منكم المغفرة."

وفرق بين "اعتذار سياسي" وبين "اعتذار أخلاقي"، وقال أن الأول يكون أحيانا "نصف اعتذار" أو "شبه اعتذار". وقال أن هذا ينطبق على باول.

واستبعد أن يعتذر بوش عن دوره في حرب العراق "لان بوش يعتقد أنه لم يرتكب خطأ. كيف يعتذر من يعتقد أنه برئ؟ هل بوش كاذب لأنه يعتقد أنه برئ؟ ربما. ولكن ربما السبب الحقيقي هو أن أيا من مساعديه أو مستشاريه لم ينظر إليه في عينيه، ويقول له: أنت أخطأت. ولكن لا تنس أن بوش تخلص من الذين عارضوا حرب العراق،

وأبقي الذين أيدوها، وأبقي للذين ينفذون أوامره حتى إذا عارضوها." (ربما مثل باول).

وعن اعتذار كلينتون في الفضيحة الجنسية، قال دودز أن كلينتون حتى اليوم لم يعترف بأن علاقته مع مونيكا كانت جنسية. وحتى اليوم، لم يقل أنه "ندم" على مافعل. وأوضح استفتاء أن أغلبية الأميركيين تعتقد أنه غير "نادم"، أي أنه اعتذر لأن الفضيحة اكتشفت، وربما سيكرر ما فعل.

وأخيرا، بالنسبة لى أنا كأمريكي مسلم، وعربي، وإفريقي، يحزنني، ويغضبني، أن اثنين من أشهر السياسيين والدبلوماسيين السود في الوقت الحاضر، يتورطان في غزو العراق (وفي ما تسمى الحرب ضد الإرهاب، التي صرت أومن بأنها حرب غير مباشرة ضد المسلمين، أن لم تكن ضد الإسلام).

يتورطان، ثم يرفضان الاعتراف بدورهما. وطبعا، يرفضان الاعتذار.

وها هو زعيم أسود آخر، الرئيس باراك أوباما، يقتل النساء والأطفال والرجال الأبرياء في عمليات طائرات "درون" (بدون طيار) في أفغانستان، وباكستان، واليمن، والصومال، وفي دول الصحراء الإفريقية.

إذا لم يعتذر أوباما عن خروجه عن دين والده، وقوله: إن والده لم يكن مسلما، كيف سيعتذر عن غير ذلك؟

داخل صحيفة «واشنطن بوست» :

حوار مع رئيس التحرير : الصحافة والحكومة



(اقرأ: تغطية حرب العراق في "واشنطن بوست").

(اقرأ: كاتب عمود في "واشنطن بوست") .

في سنة 2007، بعد قرابة ثلاثين سنة في واشنطن صحفيا متفرغا، نجحت في إجراء مقابلة مع رئيس تحرير صحيفة "واشنطن بوست". خلال هذه السنوات، زرت مباني الصحيفة مرات كثيرة، وقابلت صحفيين آخرين، وبحثت في مكتبتها. ولم أخف شيئين هامين:

أولا: انبهاري.

ثانيا: احترامي.

تظل "واشنطن بوست" هي الصحيفة الأولى في العالم بالنسبة لي.

لسنوات كثيرة، بعد أن جئت إلى واشنطن، كان حلمي أن اعمل صحافيا فيها. لكنى كنت اعرف أن لغتي الانجليزية الضعيفة، وخبرتي المحدودة، وعدم تعودي على الحياة الأمريكية، لن يساعدوني على ذلك.

لكن، خلال السنوات القليلة الماضية، بدأت احمد الله لأني لم أعمل في "واشنطن بوست"، لكنى أعمل في صحيفة "الشرق الأوسط". اعتقد أن سبب ذلك هو إحساسي (مع كبر سني، ومع زيادة فخري بإسلامي وعروبتي) بان ثقافتي الإسلامية والعربية أهم لي، ولهويتي، ولفكري، من ثقافتي الأمريكية.

رئيس التحرير:

حسب موعد سابق، خرج ليونارد (يناديه المقربون منه "لين") داوني، مدير التحرير التنفيذي لجريدة "واشنطن بوست"، من مكتبه في الطابق الخامس في مبني الجريدة، واتجه نحو المصعد ليقابلني، وعاد معي إلى مكتبه وهو يتحدث في "ود غير عادي" (بسبب انبهاري). لكنى أحسست أنه ود صادق.

يطل مكتبه الكبير الهادئ، عبر نوافذ زجاجية، على "نيوزروم" (غرفة الأخبار) المزدحمة بالصحفيين (800 صحفي تقريبا).

لاحظت أن الرجل طويل القامة، وضخم الجسم، وعال الصوت، وكثير الثقة بنفسه وجاد جدا، من النوع الذي يفرض نفسه على من حوله. لكنه، في نفس الوقت، متواضع، وخاص، ومن النوع "غير الاجتماعي" (اعترف بذلك).

داوني يرأس تحرير الجريدة الأولى في العالم تقريبا من ناحية التأثير على السياسة الأمريكية، داخليا وخارجيا. وظل في منصبه لخمس عشرة سنة (أطول فترة لرئيس تحرير جريدة رئيسية)، وعاصر ثلاثة رؤساء أمريكيين: بوش الأب، وبيل كلينتون، وبوش الابن.

حددت سكرتيرته ميعاد المقابلة قبل شهر، وكأن مقابلة الرئيس بوش أسهل من ذلك. وحدد هو وقت المقابلة بثلاثين دقيقة، وجري الحوار كآلاتي:

س وج:

- آسف، سأعطيك ثلاثين دقيقة فقط لأن عندي ميعادًا مع شخص آخر.

- أنا عندي ثلاثين سؤالا؟

- أنت تسأل سريعا، وأنا أجيب سريعا. ربما دقيقة لكل سؤال، ربما نقدر معا على الانتصار على الوقت.

- ما هو رأيك في إعلان وزير العدل بأنه سيقاضي "واشنطن بوست" لأنها كشفت خبر السجون السرية في شرق أوروبا، والمغرب، والأردن، التي تسجن فيها وكالة الاستخبارات المركزية المتهمين بالإرهاب؟ (كانت هذه المقابلة قبل أن يعترف الرئيس بوش بوجود هذه السجون. وقبل أن يتراجع، ويأمر وزير العدل بعدم رفع القضية ضد "واشنطن بوست").

- نشرنا الخبر بعد أن اقتنعنا بأنه يخدم الشعب الأمريكي. ويقدم معلومات عن قضية هامة تقول الحكومة نفسها أنها هامة، وهي الحرب ضد الإرهاب؟

- ألم تضغط عليكم الحكومة بألا تنشروا الخبر؟

- لا أستعمل أنا كلمة "ضغط". أنا أستعمل كلمة "نقاش". إذا شعرنا أن هناك خبرا نريد نشره، لكنه يحتاج إلى رأي الحكومة، نتصل بالحكومة. هذه عادة هنا عمرها عشرات السنين. نحن، في الحقيقة، نتصل دائما بالحكومة لنعرف رأيها في خبر يتعلق بها، قبل أن ننشره. لا أتصل أنا بوزير أو مدير. لكن، الصحفي الذي يكتب الخبر يتصل بمسئول في الوزارة أو المصلحة التي لها صلة بالخبر، ليعرف رأي المسؤول. ليس للحصول على موافقته، ولكن حتى يكون الخبر محايدا. هذه، أيضا، عادة هنا عمرها عشرات السنين. لابد من رأي ورأي مضاد في الخبر، حتى يقدر القارئ على أن يحكم بنفسه على محتوى الخبر.

"نقاش" مع البيت الأبيض:

- هل "تناقشتم" مع البيت الأبيض قبل نشر خبر السجون السرية خارج أمريكا؟

- اتصلت دانا بريست، التي كتبت الخبر (ونالت جائزة "بولتزر" السنوية الصحفية مكافأة لها). وهي كتبت في الخبر أنها اتصلت مع البيت الأبيض. وإنهم طلبوا منها عدم نشر بعض التفاصيل في الخبر، وهي أسماء الدول التي فيها السجون السرية. وفعلا لم ننشر أسماء هذه الدول.

- قالت الحكومة أن الخبر هدد الأمن القومي الأمريكي لأن المعلومات عن السجون السرية تفيد الإرهابيين.

- هذا ليس صحيحا. من ناحيتين: أولا، ليس صحيحا إننا لم نستشر الحكومة لأن "دانا"، كما قلت لك، تحدثت مع مسؤولين في الحكومة قبل نشر الخبر. وثانيا، ليس صحيحا إننا لم نضع الأمن القومي في اعتبارنا. وضعناه طبعا، لكننا، كما قلت لك، رأينا أن الخبر يزود الشعب الأمريكي بمعلومات هامة عن حرب الإرهاب التي نتفق جميعا على أنها موضوع هام.

أنتم أو الحكومة؟:

- من يعرف الأمن القومي أكثر: أنتم أو الحكومة؟

- لم يعط الدستور الأمريكي الحكومة حق تعريف الخطأ والصواب. أعطانا الدستور كلنا، حكومة وصحافة وشعبا، حق أن نقول رأينا في حرية. ونعم، نحن قررنا أن نشر الخبر يفيد الشعب الأمريكي. لم نقل رأينا، لم نقل أن هذا خبر مفيد أو مؤذي، إيجابي أو سلبي، طيب أو سيء. نحن قلنا هذا هو الخبر. وتركنا للشعب أن يفسره كما يريد.

- هل صحيح أن البيت الأبيض استدعاك لمقابلة بوش في موضوع خبر السجون السرية؟ (قالت أخبار في ذلك الوقت أن بوش قابل داوني بحضور بورتر قروس، مدير الاستخبارات المركزية في ذلك الوقت).

- أنا لن أقول لك من قابلت، ومن لم أقابل. لكني أقول أن مسؤولين في الحكومة أثاروا الموضوع، ونحن اجتمعنا معهم، واجبنا على أسئلتهم. ولأن هذه الاجتماعات كانت عن الأمن القومي، اتفقنا نحن وهؤلاء المسئولين على ألا نكتب نحن عنها، وعلى ألا يتحدثوا هم عنها.

- هل تواجهون مشاكل كثيرة مع الحكومة، مثل مشكلة خبر السجون السرية؟

- أنا لا اعتبرها مشكلة. أنا أعتبرها بحثًا عن رأي الحكومة. ونحن، كما قلت لك، نريد أن نعرف رأي الحكومة، ونريد أن ننشره. ونحن مستعدون للوصول إلى حلول معقولة مع الحكومة، لكن، ليس على حساب حرية الصحافة. يجب أن تعلم أن هناك خطا واضحا يفصل الصحافة عن الحكومة.

تسريب المعلومات:

- قالت وزارة العدل انها تحقق في موضوع الموظفين الحكوميين الذين يسربون معلومات سرية إلى الصحفيين. مثل الذين سربوا خبر السجون السرية لكم؟

- يوجد سوء فهم هنا. نحن لا نعتمد علي مصادر متطوعة وتقدم لنا أخبارا لننشرها. الصحفيون الذين يعملون معنا يقابلون، ويسألون، ويلحون، ويتعبون، ويسهرون بالليل، ويسافرون، للحصول على معلومة معينة من مصدر معين. نحن لا نعتبر ذلك تطوعا من المسؤول. نحن نعتبره نتيجة إلحاح. نحن نعتبر أن الفضول، والإلحاح، والبحث عن الحقيقة، هي أعمدة العمل الصحفي. ويجب أن تجرى في دم الصحفي الحقيقي.

نادرا جدا أن يتصل بنا مسئول، ويتطوع، ويقدم معلومة. ولا تأت أغلبية المعلومات إلينا في صحن من فضة. وأعود، مرة أخرى، إلى "دانا" وخبر السجون السرية: لم يتطوع مسئول، ويقدم لها الخبر. "دانا" تعبت في الخبر لشهور، وجمعت معلوماته كلها، معلومة بعد معلومة، من موظفين حكوميين وغير موظفين حكوميين، حتى وصلت إلى ما وصلت إليه.

الافتتاحيات:

- رغم أن أخبار "واشنطن بوست" عن حرب العراق يمكن أن توصف بأنها معقولة، أيدت افتتاحيات الصحيفة الحرب. ولم تغير رأيها حتى الآن. رغم أن افتتاحيات صحيفة "نيويورك تايمز" عارضت الحرب منذ قبل أن تبدأ؟

- لا تسألني عن افتتاحية صحيفتنا. هناك خط فاصل بين أخبار الجريدة ورأي الجريدة. اذهب إلى الذين يكتبون "رأي واشنطن بوست"، واسألهم.

- ألا يؤثر رأي الجريدة على إخباركم، واتجاهاتها؟

- لا يؤثر على أخبارنا سوى واجبنا الصحافي بأن نقدم الحقيقة للقارئ. ونحن، كما قلت لك، نترك للقارئ مهمة أن يحكم على ما نقدم. أكرر: هناك خط فاصل بين الصحفيين الذين يعملون في قسم الأخبار، وبين كتاب الرأي الذين يعملون في قسم الافتتاحية.

- ماهو معنى "خط فاصل"؟ ألا تتكلمون مع بعضكم البعض؟ ماذا إذا تقابلتم في حفل؟

- نتكلم، طبعا، مع بعضنا البعض، ولكن عن كل شيء غير رأينا في افتتاحياتهم، وغير رأيهم في طريقة كتابة أخبارنا. نتكلم عن العائلات والأولاد، والرياضة، والطقس. يجب أن تعلم إنني أعني ما أقول عندما أقول "خط فاصل".

- هل هناك "خط فاصل" أيضا بينكم وبين مديري شركة واشنطن بوست؟

- تدير الشركة الصحيفة، وتصرف عليها. ونعم، هناك "خط فاصل" بين أخبار وأراء الصحيفة وبين الشركة.

- الم يقولوا لك: "اكتب هذا" أو "لا تكتب هذا"؟

- لم يحدث هذا أبدا.

إفلاس الصحف؟:

- هذا غلاف مجلة "أيكونوميست" البريطانية الأخير الذي تنبأ بنهاية عصر الصحف بسبب ثورة التكنولوجيا، والفضائيات، والإنترنت؟

- قرأته، لكن لا أتفق معه. نعم، أثرت الفضائيات والإنترنت على الصحف، وقل عدد الذين يقرؤونها. وسمعنا الناس يقولون أن هذه ستكون نهاية الصحف. لكن الناس قالوا ذلك عندما ظهرت الإذاعة، ولم تختف الصحف. وقالوه عندما ظهر التلفزيون، ولم تختف الصحف ولا الإذاعة. ولا اعتقد أن التلفزيون والإذاعة والصحف ستختفي بسبب الإنترنت.

- قال فيليب مايار، مؤلف كتاب "الصحف المنقرضة" أن الصحف في أمريكا سوف تنقرض سنة 2043؟

- سيكون عمري مائة سنة، سنة 2043، وستكون هناك صحف في أمريكا، وغير أمريكا. أنا لا أقول ذلك لأني صحفي. ولكني أقوله لأن المطبعة التي اخترعها الألماني غوتنبرغ أصبحت أساسا من أسس الحضارة الحديثة. وظل الكتاب كتابا، وظلت الصحيفة صحيفة، لأكثر من خمسمائة سنة. لهذا، لا اعتقد أن أي اختراع جديد سيغير ذلك.

- ألم تفلس وتتوقف صحف رئيسية في مدن رئيسية، مثل "واشنطن ستار"؟

- نعم، توقفت صحف رئيسية في مدن رئيسية. لكن، بالقرب من هنا، في ضواحي واشنطن، ظهرت صحف فرعية. مثل: "أكزامنينار" و "كونيكشن." في الحقيقة، ساعدت التكنولوجيا والإنترنت على صدور هذه الصحف الصغيرة، لأن جمع الأخبار، وطباعة الصحف، وتوزيعها صارت سهلة.

نجوم ومشاهير:

- الم تكثر "واشنطن بوست" مؤخرا من الصور وأخبار الترفية، والنجوم، والناس، لجذب القراء الذين لا يهتمون كثيرا بالسياسة؟

- نعم زاد اهتمامنا بالأخبار الترفيهية. ولكن، زاد أيضا اهتمامنا بالأخبار السياسية والجادة. أصبحنا ننشر أخبارا سياسية أكثر من أي وقت في تاريخنا.

- ألا تركز "واشنطن بوست" على موقعها في الإنترنت لجذب قراء الإنترنت؟

- نعم نفعل ذلك، بل ونرى أن الصحيفة والموقع جزءان من شيء واحد. في الحقيقة، اقدر على أن أقول أن الموقع يزيد اهتمام قرائه بالصحيفة، وتزيد الصحيفة اهتمام قرائها بالموقع.

- ألم يقل الاهتمام بالتحقيقات الصحفية الجريئة التي اشتهرت بها "واشنطن بوست" بسبب زيادة اهتمام الناس بالإنترنت؟

- لا. حدث العكس. أصبحت تحقيقاتنا الصحفية تستفيد من مواقع في الإنترنت تخصصت في نشر أخبار، وأسرار، ووثائق جديدة.

عرب وإسرائيليون:

- تتهم "واشنطن بوست" بأنها، أولا، لا تغطي أخبار العرب والمسلمين تغطية كافية، وثانيا، تنحاز إلى جانب إسرائيل، وثالثا، لا تعين صحفيين عرب، وإذا عينت، تعين مسيحيين؟

- أولا: لم نغط أخبار الشرق الأوسط في تاريخنا مثلما نغطيها الآن (بعد هجوم 11 سبتمبر، وغزو أفغانستان، وغزو العراق، وحرب الإرهاب).

ثانيا: ينظر كثير من قرائنا إلى المشكلة بين إسرائيل والدول العربية نظرة عاطفية، إذا مع إسرائيل، أو إذا مع العرب. لهذا، صعب علينا أن نرضي الطرفين. يعتقد كل جانب أن التغطية "المحايدة" هي "المنحازة" نحوه.

ثالثا: عينا صحفيين عرب أكثر من أي وقت في تاريخنا. وأنا، عندما أعين أي شخص، لا اهتم بدينه، أو لونه، أو البلد الذي جاء منه. عندنا مسيحيون، ومسلمون، ويهود، وناس لا يؤمنون بالله.

- نشرتم، مؤخرا، عن تقرير أستاذين في جامعة هارفارد عن قوة تأثير اللوبي الإسرائيلي على الحكومة والكونقرس. إذا كان اللوبي اليهودي قويا هكذا، ألا يؤثر على "واشنطن بوست" أيضا؟

- إذا كانت الحكومة الأميركية لا تقدر على أن تؤثر علينا، لن تقدر أي جهة أخرى أن تؤثر علينا. نعم، نرحب بآراء كل جانب وجانب مضاد حتى تكون أخبارنا متوازنة. لكن، ليس معنى الاستماع الطاعة.

- ألا تتفوق عليكم صحيفة"نيويورك تايمز" في تغطية أخبار الشرق الأوسط وغيرها بسبب كثرة مراسليها والمتعاونين معها؟

- نحن لا نقل عن "نيويورك تايمز" في متابعة أخبار الشرق الأوسط. لكننا، لا نملك مثل فلوسهم وإمكانياتهم.

"واشنطن تايمز":

- ألم تصبح صحيفة "واشنطن تايمز" منافسة لكم هنا في واشنطن، خاصة لأنها صحيفة جمهوريين، والجمهوريون يسيطرون على البيت الأبيض والكونقرس في الوقت الحاضر؟

- إذا كانت هناك ميزة واحدة لجريدة "واشنطن تايمز"، هي أن مسؤولين في الإدارة يسربون إليها، من وقت لآخر، أخبارا عن الأمن القومي. لكنهم يفعلون ذلك لخدمة أهداف حزبية، وليس من منطلق مهني صحافي. هذه نقطة. النقطة الثانية هي أن "واشنطن تايمز" تملكها الكنيسة اليونيفيكيشنية (الكورية) المحافظة. وعلى أي حال، هي صحيفة خاسرة، ولم تربح في حياتها. والنقطة الثالثة هي أن توزيعهم سبع توزيعنا. والنقطة الرابعة هي أنني أقرؤها نادرا.

- ألا تفضلون أن تكون هناك صحيفة غير "واشنطن بوست" الليبرالية؟ صحيفة محافظة لخلق توازن في الرأي في هذه المدينة الهامة؟

- أنا لا أقول أن "واشنطن بوست" صحيفة ليبرالية. أنا أقول أنها صحيفة مستقلة، وتعرض وجهات النظر الليبرالية والمحافظة وغيرها. وعلى اي حال، لا يهمني ماذا تفعل "واشنطن تايمز"، وماذا تريد، ومن تمثل؟ اذهب واسألهم.

اتهامات:

- اتهمك صحفيون يعملون تحتك هنا بأنك رئيس صعب (نوع "أ"): كثير الحركة، وكثير الكلام، وتأمر وتنهي، وتتدخل في كل شيء؟

- نعم، أحب الصحافة وأحب الرئاسة. لكني أعتقد بأني رئيس طيب (نوع "ب")، رغم أنهم ربما لن يقولوا لك ذلك.

– أيضا، اتهمك صحفيون هنا بأنك لا تثق فيهم، ولا تفوض سلطاتك، وتحرص على الإدارة المباشرة؟

– أدير مباشرة أحيانا، وأفوض مسئولياتي أحيانا أخرى. مثلا: أفوض غيري لرئاسة اجتماعات التحرير اليومية (في الثانية ظهرا لتحديد ما سينشر في عدد اليوم التالي). لكني أحيانا أرأس هذه الاجتماعات لأكون قريبا من زملائي. ليس سهلا، على أي حال، إدارة 800 صحافي.

– أيضا، اتهمك صحفيون هنا بأنك لم تدافع عنهم عندما قررت الشركة فصل عدد كبيرا منهم؟

– قالت الشركة أنها اضطرت لذلك لأسباب مالية. وأنا فهمت ذلك لأني أؤمن بأن الشركة يجب أن تنجح ماليا. لأنها إذا لم تنجح ماليا، لن تقدر على إصدار الصحيفة. وعلى أي حال، لم نستغني ألا عن خدمات نسبة قليلة من 800 صحفي.

محاسن ومساوئ:

– ما هي محاسن عملك، وماهي مساوئه؟

– أحب الصحافة. واعتقد أنها واحدة من أحسن المهن في الدنيا، لأنها تبحث عن الحقيقة. وأحب العمل مع زملائي الصحفيين: ماذا سننشر غدا؟ ولماذا؟ وماذا لن ننشر غدا؟ ولماذا؟ أحس بأني مايسترو أحسن فرقة اوركسترا في العالم.

وأفعل ذلك في أهم عاصمة في العالم. نحن لا نراقب حكومة أمريكا فقط، ولكن كل حكومات العالم. وليس السياسيين فقط، ولكن رجال الأعمال، والرياضيين، ونجوم التلفزيون، والسينما، والمشاهير. نحن مع الشفافية والمحاسبة، وهذا إحساس لا يقدره ألا الذي يؤمن به.

في الجانب الآخر، تأخذ الصحافة منى وقتا كثيرا. وعلى أي حال، أنا لست رجلا اجتماعيا، وعدد أصدقائي محدود، وليست عندي نشاطات اجتماعية كثيرة. لكني أدفع الثمن عائليا لأني أعمل في المكتب كثيرا.

- هل كنت تحلم بأن تصل إلى هذا المنصب منذ أن كنت صغيرا؟

- ليس هذا المنصب بالتحديد، لكن، نعم، حب الصحافة بدأ عندي وعمري عشر سنوات، عندما كنت صحافيا في صحيفة مدرسة ابتدائية في كليفلاند (ولاية أوهايو) حيث ولدت. وأصبحت، في السنة التالية، رئيس تحريرها.

- هل يريد أولادك أن يكونوا صحفيين مثلك؟

- عندي ستة أولاد، كبروا كلهم، ولم يرد اي واحد منهم أن يكون صحفيا، ربما لأني كنت أعود إلى البيت متأخرا، وما كانوا يروني كثيرا.

في سطور:

- ولد سنة 1942 في كليفلاند (ولاية اوهايو).

- حصل على بكالريوس وماجستير صحافة من جامعة اوهايو ستيت.

- تدرب في "واشنطن بوست" عندما كان طالبا خلال اجازة صيف سنة 1964.

- التحق بالجريدة بعد ذلك بثلاث سنوات، وعمل في مختلف أقسام الجريدة، ونال جوائز على أعمال صحافية نشرت له.

- أشرف على تغطية أخبار فضيحة "ووترقيت" التي أجبرت الرئيس نيكسون على الاستقالة سنة 1973.

- عمل مديرا للتحرير لعشر سنوات، ثم رئيس تحرير تنفيذي لسبع عشرة سنة.

- كتب أربع كتب: "عدل غائب" (عن الحقوق المدنية)، و "رهن أمريكا" (عن مشاكل اقتصادية)، و "المحققون الجدد" (عن التحقيقات الصحافية) و "أخبار عن الأخبار" (عن الصحافة الأمريكية).

تحديث:

بعد هذه المقابلة بثلاث سنوات، ترك داوني العمل رئيسا للتحرير. ويعمل الآن أستاذ صحافة في جامعة أريزونا ستيت. وتقديرا لسنواته ثلاثة وثلاثين مع الصحيفة، عين عضو شرف في مجلس إدارتها.

جامعة أنديانا (ولاية أنديانا) : الزنجية



(اقرأ: عقدة اللون وسط السود).

(اقرأ: استعلاء البيض).

(اقرأ: تجارة الرقيق).

في سنة 1975، اشتركت في نقاش عن الزنجية في جامعة أنديانا (في بلومنقتون، ولاية أنديانا).

جئت إلى الجامعة مرتين:

سنة 1972، مع عشرين صحفيا أجنبيا في دعوة من الخارجية الأمريكية، لتغطية الانتخابات في تلك السنة، والقيام بجولة في ولايات أمريكية كثيرة.

وسنة 1973، طالب دراسات عليا في كلية الصحافة في نفس الجامعة.

خلال زيارة سنة 1972 التي استمرت لثلاثة شهور، قدمت طلب دخول الكلية، وقبلتني الكلية. واستطعت أن أوفر ثلاثة

آلاف دولار من "راتب" وزارة الخارجية (ألفان دولار كل شهر). وتركتها مع بروفسير فلويد أربان، الأستاذ في كلية الصحافة، والذي كان يشرف على برنامج وزارة الخارجية. وقلت له (وكأني أعلم الغيب) إني سأعود للدراسة. وفي سذاجة القروي السوداني، وثقت فيه، ولم اطلب إيصالا، ولم يصدق هو، ولم يصدق الذين عرفوا بالموضوع في كلية الصحافة. وبعد اقل من سنة، وبتوفيق من الله، عدت ببعثة دراسية من وزارة الإعلام السودانية. وطبعا، كانت الثلاثة آلاف دولار في انتظاري. ومرة أخرى، لم يصدق بروفسير أربان، وآخرين في كلية الصحافة.

الزنجية:

في سنة 1975، خلال دراستي في الجامعة، اشتركت في ندوة عن "نيقروتيود" (الزنجية) أقامها قسم الدراسات الإفريقية. مثلت اتحاد الطلاب الأفارقة في الجامعة (كنت أيضا، مع سودانيين، عضوا في اتحاد الطلاب العرب في الجامعة).

كنا اثنين: أنا، ممثل الطلاب الأفارقة، وطالب أمريكي أسود، ممثل الأميركيين السود.

منذ أول سنة في الجامعة، تأكد لي (ولبقية الطلاب القادمين من إفريقيا) أن هناك هوة كبيرة بين الأفارقة الأمريكيين والأفارقة الأصليين. هوة ثقافية، وحضارية، وتاريخية، وليست فقط جغرافية.

حتى الطالبات الأمريكيات السوداوات انتقدن الطلاب القادمين من إفريقيا، وقالوا أنهم يصادقون الأمريكيات البيضاوات، وينسون أنهن هن "أخواتهم".

لكن، ندوة "الزنجية" لم تكن عن البنات أو الجنس. كانت عن هذه الحركة الوطنية الإفريقية التي بدأها أفارقة كانوا يدرسون في فرنسا. لم تنتقل إلى أفارقة أمريكا، لكن كانت لها صلة بنظرية "نيو نيقرو" (الزنجي الجديد).

خلفية تاريخية:

بدأت حركة "الزنجي الجديد" في هارلم (حي الزنوج في نيويورك) مع ثلاثينات القرن الماضي، ومن أشهر قادتها الشاعر لانقستون هيوز.

وبدأت حركة "الزنجية" في فرنسا بعد ذلك بعشرين سنة تقريبا، ومن أشهر قادتها الشاعر ليوبولد سنغور.

ظل هيوز فيلسوف حركته الأمريكية، لكنه، لم يكن سياسيا، ولم يلعب دورا كبيرا في حركة الحقوق المدنية. (في وقت لاحق، قاد تلميذه القس مارتن لوثر كينق، حركة الحقوق المدنية). لكن، جمع سنغور بين الشعر والسياسة، وقاد الحركة الوطنية في السنغال، ثم صار رئيسا للجمهورية هناك لعشرين سنة.

ورغم أن سنغور كان مسيحيا، قاد نضال عشرين مليون سنغالى مسلم، وكان رئيسا لهم لعشرين سنة (أربعة في المائة فقط من السنغاليين مسيحيون). لكنه، اختلف مع منافسه المسلم محمدو ضيا، واعتقله، وأعلن حكومة الحزب الواحد. وجاء بعده رؤساء مسلمون، منهم: عبدو ضيوف، وعبد الله وادي.

مسيحي ومسلمة:

كان والد سنغور مسيحيا، ووالدته مسلمة. عندما صار عمره ثمان سنوات، أرسله والده إلى مدرسة مسيحية. وبعد عشرين سنة في مدارس مسيحية، سافر في بعثة دراسية إلى باريس. كان في المدرسة زميل جورج بومبيدو (صار، بعد أربعين سنة، رئيسا لفرنسا).

حارب سنغور، خلال الحرب العالمية الثانية، مع الفرنسيين ضد الألمان. واعتقله الألمان، وكانوا يريدون إعدامه، غير انه هتف بالفرنسية: "تعيش فرنسا، تعيش إفريقيا السوداء." عطف عليه الألمان، ربما لهذا السبب، وأعادوه إلى فرنسا.

كان أول إفريقي يدخل الأكاديمية الفرنسية. وعمل مستشارا في حكومة مايكل دبري، وفي حكومة ادجار فور. وتزوج فرنسية بيضاء من نورماندي. وعندما تقاعد من رئاسة الجمهورية، ومع زوجته، هاجر إلى نورماندي، وتوفي هناك.

كتب سنغور السلام الجمهوري السنغالي، وبدايته: " زأر الأسد الأحمر في السافنا. تضيء الشمس الظلام. وتحيا أمنا إفريقيا. جدودنا عظماء مثل الأبنوس. أقوياء مثل الفرسان. كلنا إخوان: بانتو، وعرب، وبيض."

أصل "الزنجية":

درس مع سنغور في باريس طالبان أسودان، وصارا من قادة "الزنجية":

الأول: ايمي سيزار (من جزيرة "مارتنيك" الفرنسية في البحر الكاريبي).

الثاني: ليون داماس (من مستعمرة غيانا الفرنسية في أمريكا الجنوبية).

كان سيزار أول من استعمل كلمة "نيقروتيود" في جريدة "لا تيودانت نوير" (الطالب الأسود) سنة 1935. وكانت الجريدة ضد "أسيميليشن" (استيعاب، داخل الثقافة الفرنسية).

قال أن كلمة "نيقر" (زنجي) يجب أن تكون إيجابية، لأنها سلبية في أمريكا، ويستعملها البيض للإساءة إلى السود. ولهذا، يجب أن يفتخر الزنوج بأنهم زنوج. وقال: "الافتخار بها يقلل من أثار الإساءة بها."

قال سنغور: "فلسفة الزنجية جعلتني أجلس مع الفرنسيين على مائدة واحدة، وافتخر بلوني، وأحس بأني متساوي معهم (في اللون)".

وجد سنغور تشجيعا من جين بول سارتر، فيلسوف فرنسي (وملحد، وشيوعي، ووجودي). لكن، احتار سارتر كيف يؤيد حركة عنصرية لمواجهة عنصرية أخرى. ووصف سارتر سنغور في كتاب (صدر سنة 1948) بأنه "أورفيس الأسود" (إشارة إلى اله الفلسفة عند اليونانيين القدماء.).

وقال، في تردد واضح: "الزنجية ضد العرقية والعنصرية. إنها عنصرية مضادة للعنصرية. لكنها خطوة أولى نحو المساواة بين الأعراق." واستعمل العبارة الفرنسية "ريسزمي انتيريسيتي" (عنصرية ضد عنصرية).

لانقستون هيوز:

إذا كان سنغور هو فيلسوف "الزنجية"، وشاعرها، بداية من مقاهي باريس، فان لانقستون هيوز هو فيلسوف "الزنجي الجديد"، وشاعرها، بداية من مقاهي هارلم (حي السود في نيويورك).

ولد قبل سنغور بأربع سنوات، وعاش خمسة وستين سنة، بينما عاش سنغور خمسة وتسعين سنة.

مثل سنغور، عاني هيوز من التفرقة العنصرية.

ومثل سنغور، دعا هيوز إلى الثورة. وكتب قصيدة "حلم مؤجل"، وفيها: "ماذا يحدث لحلم مؤجل؟ هل يجف مثل زبيب تحت الشمس؟ أو يبقي مثل جرح لا يندمل؟ هل يتعفن مثل لحم قديم؟ أو يسيل مثل عسل حلو؟ أو هل ينفجر؟؟"

ومثل سنغور، كان هيوز اشتراكيا. بل، وذهب إلى روسيا لإنتاج فيلم سينمائي عن التفرقة العنصرية في أميركا. لكنه رفض ضغوط اعتناق الشيوعية. قال: "هذا نظام دقيق وملزم، ولا أقدر عليه أنا الكاتب الحر."

ومثل سنغور، لم يجد هيوز في الاشتراكية (والشيوعية) الحل الحقيقي.

ومثل سنغور، تأثر هيوز بالمسيحية، لكنه ظل علمانيا. (عكس القس مارتن لوثر كينغ، تلميذ هيوز، الذي أضاف أخلاقيات دينية قوية لفلسفته، ساعدته في قيادة حركة الحقوق المدنية. وفي نجاحها).

عكس سنغور:

لكن هيوز، عكس سنغور، لم يعتبر التفرقة ضد السود "شخصية"، ولم يكن دفاعيا.

بل نظر إلى المشكلة نظرة أخلاقية، وقال أن البيض الذين يكرهون السود لا يفعلون ذلك لأن اللون الأبيض أحسن. ولكن لأن أخلاقهم أسوأ. (أي أن التفرقة ليست من الأخلاق في شيء).

وعكس سنغور، كان هيوز أكثر انفتاحا، إلى ما وراء إفريقيا واللون الأسود. وكتب قصيدة "زنجي والأنهار"، وقال فيها: "استحممت في الفرات مع شروق الشمس. وبنيت كوخا على نهر الكونغو. ورأيت النيل والأهرامات فوقه. وسمعت غناء المسيسبي. روحي عميقة مثل عمق هذه الأنهار."

دافع هيوز عن "كلشرال ناشوناليزم" (القومية الثقافية، السوداء). لكنه لم يكن من أنصار "النيقريتيود" (القومية الزنجية). ودافع عن "النيو نيقرو" (الزنجي الجديد). لكنه لم يكن من أنصار "بلاك بورجوازي" (البرجوازيين السود).

وكأنه يقصد سنغور عندما انتقد هؤلاء. انتقد السود (في أميركا وإفريقيا) الذين يتعلمون، ثم يتعالون على شعوبهم.

أسود وأبيض:

طبعا، لم ينكر هيوز أن لونه أسود. بل أفتخر بسواد لونه.

وربما كان لابد من الافتخار بسواد اللون أمام الثقافة الغربية البيضاء العملاقة، التي ترى أن كل ما هو أبيض هو أجمل، وأحسن، وأعلى مكانة، وأكثر حضارة، (وحتى أكثر أخلاقية). حتى صار الشعر الأشقر، والعيون الزرقاء، والخدود الوردية، والأنف المستقيم وكأنها مقاييس عالمية للجمال.

لكن، لم تهزم هذه "المقاييس العالمية" هيوز.

لم يحتقر لونه (ونفسه). ولم يحول سواد اللون إلى مبدأ، وعقيدة، ونظرية.

أحب إخوانه السود، ودعاهم للافتخار بلونهم. وقال في قصيدة: "الليل جميل، ووجوه إخواني جميلة. النجوم جميلة، وعيون إخواني جميلة. الشمس جميلة، وأرواح إخواني جميلة."

لكن سواد لونه لم يمنعه من التأقلم مع البيض، والتوافق معهم، والاستفادة من حضارتهم. (رغم أنه قال، أحيانا، عكس ذلك).

كانت أغلبية كتاباته انفتاحية. وقال في قصيدة "أغنية جديدة": "ثوروا تمردوا. كلكم، حول العالم. سيكون العالم الأسود والعالم الأبيض عالما واحدا. يا عمال العالم اتحدوا. ذهب الماضي. حلم جديد يشتعل. في مواجهة الشمس."

لماذا؟

لماذا كان هيوز مختلفا عن سنغور؟

نظر هيوز إلى نفسه "كأمريكي أولا، ثم كأسود ثانيا"، كما قال الكتاب. لكن، نظر سنغور إلى نفسه كأسود، نصفه في فرنسا ونصفه في السنغال.

عندما كان هيوز طفلا في ريف لورنس (ولاية كانساس)، كانت جدته، ماري لانقستون، تحكي له قصص السود، وتذكره أنه ليس أقل من الطفل الأبيض.

ولم يشكك هيوز في انتمائه لأميركا.

ورغم أن عاش في المكسيك (مع والده الذي كان غاضبا على أميركا بسبب التفرقة ضد السود فيها). ورغم انه عاش في فرنسا (قبل عشرين سنة من سنغور). ورغم انه عاش في روسيا (ومدح عدم وجود تفرقة ضد السود). لكنه عاد، في نهاية المطاف إلى وطنه، إلى أميركا.

لم يحس هيوز بعقدة اللون الأسود بقدر ما أحس بظلم الرجل الأبيض. ولهذا، كان فخورا بنفسه، إلى درجة "تحدي" الرجل الأبيض.

"مانفستو هيوز":

وربما أشهر رأي كتبه هيوز كان في جريدة "نيشن" (سنة 1926): قال فيه: "لنعبر عن أنفسنا، رغم سواد لوننا، بدون خوف أو خجل. لنسعد إذا رضي البيض عنا. ولنسعد إذا لم يرضو عنا. لا يهم رأي البيض فينا."

لا تزال قصاصة الجريدة موجودة في "متحف هيوز" في جامعة لنكون (ولاية بنسلفانيا)، حيث نال الدكتوراه. ويسميها البعض "مانفستو هيوز": افتخر بلونه الأسود، ودعا إلى المساواة، واعتبر نفسه ليس أقل أميركية من أي أبيض.

في الجانب الآخر، تعلم سنغور في مدارس مسيحية فرنسية (في بلد كله مسلمون تقريبا). وبعد أن سافر إلى فرنسا، وتعلم فيها، وعمل فيها، تأكد له بأن الفرنسيين أكثر حضارة من الأفارقة. لكنه ظل غريبا في بلد غريب.

وكان أمام خيارين:

أولا، يعلن انه ليس "غريبا"، ويصبح مواطنا فرنسيا، ويستقر نهائيا في فرنسا، ويصبح جزءا من الحضارة الفرنسية (ليس فقط الثقافة الفرنسية). وربما حتى ينظر نظرة الاستعلاء الفرنسي لكل ماهو إفريقي وأسود.

ثانيا، يعود إلى وطنه، ليعيش "شبه غريب" (حتى عندما أصبح رئيسا للجمهورية، ولعشرين سنة). ثم يعود مع زوجته الفرنسية إلى فرنسا ليموت هناك.

واختار الخيار الثاني.

"اسيميليشن":

ولا تذكر الزنجية وسنغور، ألا ويذكر "أسيميليشن" (استيعاب) التي مارسها المستعمرون الفرنسيون في إفريقيا أكثر من المستعمرين البريطانيين وغيرهم. لكن، ربما ترجمة الكلمة إلى "استيعاب" ليست كافية. ربما أفضل كلمة "امتصاص" أو كلمة "هضم.

وعن هذا قال كتاب "بوندز أند بريدجز" (روابط وكباري) الذي كتبه أستاذ جامعي نيجري عمل محاضرا في جامعات أمريكية: "يظل هدف العنصريين البيض هو أن يخجل السود من أنفسهم، ويجهلوا تاريخ وجذور لونهم وعرقهم."

وأضاف الكتاب: "ركز السود في أمريكا على لونهم لأن البيض احتقروه. واهتم السود بالبحث عن معنى لونهم، وتاريخه، وثقافته، لمنافسة معنى وتاريخ وثقافة اللون الأبيض."

لكن، يبدو أن هذا الحل قاد السود إلى طريق مسدود:

أولا، لأن تركيز السود على لونهم فيه عنصرية ربما لا تقل عن عنصرية البيض.

ثانيا، لأن القول بأن كل البيض عنصريون ربما لا يكون حقيقة.

ثالثا، لأن البيض ربما لا يحتقرون اللون الأسود بقدر ما يحتقرون الثقافة الإفريقية لأنهم يرونها أقل أهمية من الثقافة الغربية.

رابعا، لأن السود ربما يجب أن يفرقوا بين اللون الأبيض والثقافة الأمريكية: يتجاهلون الأولى، ويستفيدون من الثانية.

خامسا، لأن الثقافة الأمريكية تقوم على المسيحية، وعلى الحضارة الغربية. وربما يجب على السود الاعتراف بذلك. ثم الاستفادة من الاثنين: من المبادئ الأخلاقية المسيحية (اعتمد عليها القس مارتن لوثر كينق عندما قاد مظاهرات الحقوق المدنية). ومن الحضارة الغربية (التي لن يكن سهلا تجاهلها، ناهيك عن الانتصار عليها).

"الزنجية":

يعتمد دعاة "الزنجية" على ثلاث عوامل: اللون الأسود. والثقافة الإفريقية. والحضارة الإفريقية:

أولا، تركز "الزنجية" على اللون أكثر من أي شيء آخر. لكن، ليس اللون مبدأ، أو نظرية، أو عقيدة. (ليس فيه خطأ وصواب. وليس فيه حق وباطل. هل الأسود أحسن من الأبيض، أو هل الأبيض أحسن من الأسود؟). ثم أن اللون ليس هوية، لأن الهوية في العقل، وليست في الوجه. أساس الهوية هو الإيمان (بالنفس، أو بالله، أو بأي شيء آخر)، ثم تأتي اللغة، ثم تأتي العادات والتقاليد.

ثانيا، تعتمد "الزنجية" على الثقافة الإفريقية. وطبعا، الثقافة الإفريقية أصلية، لأن الثقافات الأجنبية لم تؤثر عليها. لكن، الثقافة الإفريقية لا تقدر على منافسة الثقافات الأخرى (مثل الثقافة الغربية، والثقافة العربية). لا توجد لغة افريقية تجمعها كلها (مثل اللغات اللاتينية واللغة العربية). ولا يوجد مبدأ ديني أو أخلاقي يجمعها كلها (مثل المسيحية والإسلام).

ثالثا، تعتمد "الزنجية" على الحضارة الإفريقية. لكن، لم تشهد إفريقيا، عبر تاريخها، حضارة رئيسية أثرت وتأثرت بحضارات غيرها. (غير الفراعنة، وهم شرق أوسطيون أكثر منهم أفارقة). ظهرت حضارات أكسوم، ووداي، وتمبكتو. لكنها لم تغزو أوروبا، ولم تغزو الشرق الأوسط. أما في جنوب الصحراء، لم تظهر أي حضارة رئيسية (هناك آثار حضارة محلية في زمبابوي).

أربعة أخطاء:

يمكن القول أن سنغور ارتكب أربعة أخطاء تاريخية:

الخطأ الأول: كان من قادة الاشتراكية الإفريقية. لكنه لم يركز على الحرية (وهي أهم من الاشتراكية، وأهم من الإفريقية). وأخطأ معه آخرون، مثل: الرئيس الغاني كوامي نكروما، والرئيس الغيني أحمد سيكوتوري، والرئيس المالي موديبو كيتا، والرئيس المصري جمال عبد الناصر (ركز على القومية العربية أكثر من الحرية).

الخطأ الثاني: قلل سنغور من أهمية الإسلام في تاريخ السنغال. وخاصة في الثورات ضد الاستعمار الفرنسي. (مثل ثورة الحاج عمر تال الذي سمى جماعته "مجاهدين". لكن الفرنسيين سحقوه).

الخطأ الثالث: كان سنغور من قادة القومية الإفريقية. لكنه ركز على اللون. وقاد حركة "نيقريتيود" (الزنجية). واعترف بأنه فعل ذلك: "تحت ضغط الثقافة الفرنسية القوية. قالوا لنا أن إفريقيا ليست لها ثقافة، أو ليست لها ثقافة تنافس الثقافة الفرنسية."

الخطأ الرابع: لم يفرق كثيرا بين الثقافة الإفريقية (وهي عميقة الجذور)، وبين الحضارة الإفريقية (لم توجد حضارة في أحراش إفريقيا). بطريقة دفاعية قال أن الفراعنة أفارقة (رغم أنهم شرق أوسطيون أكثر منهم أفارقة). وقال أن إفريقيا هي أصل الحضارة (غير صحيح. فقط أصل الإنسان). وأن حضارة الفراعنة أفريقية (غير صحيح). وإنها ذهبت إلى اليونان، ومن هناك إلى أوروبا (غير صحيح). أخطاء

***

تناقضات "الزنجية":

بالإضافة إلى الأخطاء، هناك تناقضات في نظرية "الزنجية"، في الماضي، وحتى يومنا هذا:

أولا، يوجد تناقض في استعمال عنصرية (سوداء) لمواجهة عنصرية (بيضاء).

ثانيا، يوجد تناقض في استعمال كلمة غربية "نيقرويزم" لمواجهة الثقافة الغربية.

ثالثا، يوجد تناقض بين كتابات سنغور وبين تصرفاته.

نعاه، عندما توفي سنة 2001، في جريدة "الأهرام" المصرية، جمال نكروما (ابن الرئيس الغاني كوامي نكروما، وأمه مصرية: فتحية نكروما). وقال: "كان سنغور خليطا من التناقضات بين إفريقيا والغرب."

وقدم جمال نكروما التناقضات الآتية في حياة سنغور:

"كان مع إفريقيا علنا، ومع فرنسا سرا." كان أبو القومية الإفريقية، لكنه تشبع بالثقافة الفرنسية. كتب قصائد عن جمال المرأة الإفريقية (قال في واحدة: "سوداء عارية، مثل تفاحة طازجة")، لكنه تزوج فرنسية. وعندما تقاعد، هاجر نهائيا إلى فرنسا، وتوفي هناك. قال: "أريد أن أكون فرنسيا أسودا"، لكنه عاد إلى إفريقيا. قال: "الإفريقي عاطفي والأوروبي عقلاني"، لكنه لم يقدر على أن يحدد أين هو.

"الزنجية" والعرب:

ولاحظ جمال نكروما أن سنغور اتفق مع عبد الناصر في النضال ضد الاستعمار، وفي الاشتراكية. لكنه عارض القومية العربية (رغم أنه أيد القومية الإفريقية). واتهم العرب بأنهم "تجار رقيق، أفسدوا نقاء الثقافة الإفريقية."

في الجانب الآخر، كتب جمال عبد الناصر في كتاب "فلسفة الثورة" أن مصر جزء من ثلاث حلقات: العربية، والإسلامية، والإفريقية.

وقال جمال نكروما أن جمال عبد الناصر، بهذا، تفوق على سنغور (وأيضا على والده نكروما) لأنه ربط بين الدين والقومية.

لهذا، يمكن القول أن "الزنجية"، وكل فلسفة تعتمد على اللون الأسود، فيها أكثر من خطأ:

أولا: غياب الدين.

ثانيا: عقدة اللون.

ثالثا: الانغلاق.

رابعا: الإحساس بالنقص.

خامسا: الخوف من الآخرين.

سادسا: "سيلف هيت" (كراهية النفس).

وقال سنغور نفسه أن "الزنجية" بدأت في فرنسا بسبب احتقار الفرنسيين له كأسود.

تحديث:

بالنسبة لي كسوداني، وبالنسبة لبقية السودانيين (نحن خليط عربي إفريقي من نوع نادر في تاريخ العالم)، هناك دروس وعبر من تركيز سنغور على "الزنجية."

أولا: ركز سنغور على اللون أكثر من أي شيء آخر. لكن، ليس اللون جزءا من الهوية. الهوية في العقل، لا في الوجه. ويجب أن يعرف السودانيون ذلك، خاصة لأن اسمهم بسبب لونهم.

لا بأس من الاسم (إنه مجرد اسم، مجرد وصف خارجي). لكن اللون ليس هو الهوية. الهوية السودانية ليست سوداء (اللون). أنها، أولا: إسلامية، وثانيا:عربية، وثالثا: افريقية (الثقافة).

ثانيا: ركز على "الزنجية" بدون دين، أو إيمان، أو روح. اعتنق الاشتراكية، لكنها ليست دينا أو روحا (إنها مجرد نظرية اقتصادية). واقترب من الشيوعية، والتي يمكن اعتبارها دينا أو عقيدة. لكنها فشلت، كما صار واضحا (لأنها لا تقوم على الحرية).

ثالثا: عاش سنغور في فرنسا، لكنه نسى مبادئ الثورة الفرنسية الثلاثة (الحرية، والمساواة، والإخاء). وبعد أن قاد السنغال نحو الحرية، تنكر لها، وسجن معارضيه، وأعلن نظام الحزب الواحد.

ثالثا: كان طبيعيا أن يشتكي سنغور من احتقار الفرنسيين له كأسود. وذلك لأنه ركز على لونه. لهذا، السوداني الذي يعتبر لونه هو أساس هويته يجب ألا يستغرب إذا فعل ذلك الآخرين. وإذا وأساؤوا إليه بسبب لونه. لكن، السوداني الذي يعتبر إسلامه هو أساس هويته يقدر على أن يفتخر بهويته أمام أي هوية أخرى. وإذا تعرض لإساءات بسبب إسلامه، يقدر على أن يتعالي عليها وعليهم، ويتفهمها ويتفهمهم.

تليفزيون «إم تي في» (نيويورك) : هل يفسد الأخلاق؟



(اقرأ: هوليوود: فن وتجارة)

(اقرأ: أولاد وبنات)

(اقرأ: التعري)

في سنة 1995، زرت رئاسة تلفزيون "إم تي في" (التلفزيون الموسيقي) في نيويورك، خلال واحدة من زياراتي إلى نيويورك. وأغلبيتها لتغطية اجتماعات مجلس الأمن والجمعية العامة للأمم المتحدة.

ما كنت حتى اعرف أن هناك قناة اسمها "إم تي في." لكن، كبر أولادي (ولد وبنتان)، وبدا بعضهم، واصدقا وهم، يتحولون من مشاهدة برامج الأطفال، والمسلسلات الكرتونية، إلى مشاهدة "إم تي في".

وأول ما لاحظت هو إباحية غير عادية. أو، على الأقل، إباحية لم أتعود أنا عليها. وتململت وأنا أشاهدهم يشاهدون هذه القناة.

وسالت نفسي أسئلة كثيرة (خلال سنوات كنت أنا، نفسي، أعاني من القلق والتوتر والإحباط، بحثا عن هوية في المجتمع الأمريكي، أنا المسلم، العربي، الإفريقي، صبي القرية الحافي القدمين (قرية وادي حاج، قرب مدينة أرقو، على نهر النيل في شمال السودان جنوب الحدود مع مصر).

وعن أولادي و تلفزيون "إم تي في"، بدأت اسأل نفسي الأسئلة الآتية:

هل أمنعهم من مشاهدة هذه القناة؟

هل أشترى جهاز السيطرة على التلفزيون؟

هل أقدر على السيطرة على ما يشاهدون مع أصدقائهم وصديقاتهم خارج منزلنا؟

هل ألقي عليهم محاضرات عن الإباحية، وفساد الأخلاق الأمريكية؟

ألا أنتقد إمامهم مدرسي مدرسة يوم الأحد الإسلامية التي آخذهم إليها ليتعلموا الإسلام واللغة العربية؟

ألا يطلبون من التلاميذ والتلميذات ألا يحتفلوا بأعياد "الكفار"؟

ألا يطلبون منهم ألا يأكلوا سندوتشات "هامبيرقر" (لان زيت خنزير يستعمل في إعدادها)؟

وفي النهاية، انتصرت قيمي الصحفية: البحث عن الحقيقة. حقيقة تلفزيون "إم تي في": ما هو؟ وماذا يقدم؟ وهل كله إباحية؟ وماذا يقول المسؤولون عنه؟

ولهذا، كانت زيارتي لرئاسة "إم تي في" في نيويورك مهمة صحفية، وأيضا، مهمة عائلية.

جدل وسط الأمريكيين:

وبحثت، وعرفت انه، في كل أمريكا، يثير تلفزيون "إم تي في" نقاشا كبيرا، بين معارضين ومؤيدين ومحايدين (ربما مثلي). وذلك بسبب مناظر البنات شبه العاريات. ويستمر النقد رغم أن القناة تشعبت، ونجحت في مجالين آخرين غير فيديوهات الأغاني الموسيقية:

أولا: "إنترآكتف" (الاتصال مع المشاهدين، وإقامة ندوات ومحاضرات، بالإضافة إلى نشرات الأخبار).

ثانيا: "ريالتي" (برامج واقعية) عن حياة الناس العادية. رغم أنها تركز على الشباب، وعلى أشياء مثيرة، إما عن الجنس، أو مغامرات جريئة، أو تصرفات سخيفة.

لكن، كانت الإثارة هي هدف القناة منذ البداية.

يوم 1-8-1981 بدأت قناة "إم تي في" من استوديوهات شركة "وارنر" في نيويورك.

وكانت أول جملة قالها المذيع هي: "سيداتي وسادتي: روك أند رول". وكانت أول أغنية فيديو هي: "قتل التلفزيون الراديو"، ثم أغنية "قتلت الصورة قلبي". وتعمدت القناة أن تكرر ذلك خلال سنواتها الأولى لتبرهن على:

أولا: ستكتسح أغاني الفيديو في التلفزيون أغاني الراديو الصوتية (ونجحت في ذلك).

ثانيا: مثلما اكتسحت الصورة الكلام في جذب الانتباه (صورة تساوى ألف كلمة)، سيكتسح الفيديو الصورة (فيديو يساوى ألف صورة).

وفي أول يوم، رفعت القناة شعارها: صورة رجل فضاء على سطح القمر، وبدل أن يرفع العلم الأميركي، رفع علما عليه شعار القناة: أحرف "إم تي في". وكان واضحا أن القناة تريد مخاطبة الشباب (من 15 إلى 25 سنة).

وكانت أول مغنية مشهورة ظهرت هي "مادونا." لكن، ليس مؤكدا هل اشتهرت المغنية بسبب القناة، أو اشتهرت القناة، خلال سنواتها الأولى، بسبب "مادونا". غنت فيها أغانيها المثيرة المصورة، مثل: "لايك أفيرجن" (مثل عذراء)، و"ماتيرياليستك قيرل" (بنت مادية). وسمي البعض القناة "تلفزيون مادونا."

مايكل جاكسون:

وبعد سنوات، قدم المغني مايكل جاكسون سلسلة أغاني مصورة، مثل: "ثريلار" و "بيت أت" و "بيلي جين" و "بلاك أور هوايت." (قال، وهو الأسود، في الأغنية الأخيرة انه لا يهم إذا كان الإنسان أبيض أو أسود).

ومرت عشر سنوات حتى صار تلفزيون "إم تي في " عالميا، وذلك يوم 14-11-1991، عندما شاهد 500 مليون شخص، في 27 دولة، أغنية "بلاك أور هوايت". وكان ذلك اكبر عدد يشاهد أغنية تلفزيونية على الهواء في تاريخ العالم.

كان مايكل جاكسون مشهورا قبل قناة "إم تي في"، لكن، بسببها نجح أكثر، ونجح فنانون مثل: بوي جورج، ودوران دوران. وكانت شركات الأفلام السينمائية في هوليوود توزع أفلامها في شرائط فيديو، لكن بسبب "إم تي في" نجح توزيع شرائط فيديو الأغاني. وكانت شركات الأفلام السينمائية تقدم مهرجان "أوسكار" السنوي لأحسن الأفلام، لكن بسبب "إم تي في" بدأ المهرجان السنوي لأحسن أغاني الفيديو.

ثم ظهر "كومباكت ديسك" (القرص المدمج)، وحل محل شرائط الفيديو. ثم ظهرت أغاني الفيديو في الانترنت. ومؤخرا ظهرت أغاني الفيديو في التلفون الموبايل. واستغلت قناة "إم تي في" هذه الاختراعات، ووجدت سوقا رائجة لتوزيع الأغاني المصورة.

لكن، كما يقول المثل الأميركي، صارت القناة "ضحية نجاحها". وذلك لأن بعض الفنانين أسسوا شركات توزع أغانيهم: يبيعونها في أقراص، وينشرونها في الانترنت، ويرسلونها إلى تلفونات الموبايل (مقابل مبلغ قليل).

شركة "فياكوم":

في سنة 1985، باعت شركة "وارنر" تلفزيون "إم تي في" إلى شركة "فياكوم"، بحجة أنها تريد أن "ترفع مستوى الأعمال التي تقدم" (تقصد أنها تريد الارتفاع من مستوى البنات، والأولاد، والأغاني، والرقصات). وتحالفت مع مجلة "تايم" لتأسيس مجموعة "تايم وورنر". لكن يبدو أنها لم تقدر أهمية الشباب والشابات، ليس فقط في السوق، وفي بيع وشراء الأغاني، ولكن، أيضا، في التأثير على التيار العام للثقافة الأمريكية.

على أي حال، أصابت شركة "فياكوم" في شراء تلفزيون "إم تي في"، وحولته إلى ماكينة عملاقة، ليس فقط لنقل أغاني الفيديو، ولكن، أيضا، للتأثير على ملايين الشبان والشابات داخل أميركا، ثم خارجها.

وفي وقت لاحق، أسست "إم تي في 2" و "إم تي في 3"، ثم قناة "نيكيولدوين"، وشبكة تلفزيونات فضائية، وشبكة تلفزيونات كيبل. وكانت من أوائل القنوات التي قدمت "ريالتي في" (التلفزيون الواقعي).

المسلسلات الواقعية:

قدم تلفزيون "إم تي في"، اول ما قدم، مسلسل "عائلة أوزي اوسبورن." وتابعت الكاميرا عائلة الفنان المشهور صباحا ومساء، كل كبيرة وصغيرة، وكل جاد وتافه. ولأن العائلة لم تكن مثالية، بل كانت غريبة، كان المسلسل غريبا وسخيفا (لكن هناك من يحب الغريب والسخيف، ولهذا نجح).

ثم جاء مسلسل "عائلة نيك وجيسيكا"، حيث تابعت الكاميرا الممثلة والمغنية الشقراء جيسيكا سمبسون، وزوجها. ولم تكن أقل غرابة وسخفا من الأولى، لكن نجح المسلسل أيضا.

في الحقيقة، نجحت المسلسلات الواقعية إلى درجة أنها اكتسحت أغاني الفيديو. ومثلما انتقد بعض الناس القناة، قبل عشر سنوات، لأنها تركز على الأغاني، انتقدها، مؤخرا، بعض الناس لأنها تركز على المسلسلات الواقعية، وتهمل الأغاني.

وفي بداية سنة 1995، في المهرجان السنوى الذي يقدمه تلفزيون "إم تي في"، وقف المغني جستين تمبرليك على خشبة المسرح، وسأل: "أين الأغاني؟".

الثقافة الأمريكية:

على أي حال، صار تلفزيون "إم تي في" جزءا هاما في الثقافة الأمريكية، لأنه:

أولا: استفاد من الاختراعات الجديدة.

ثانيا: ركز على الشباب.

ثالثا: دخل السياسة.

قدم، خلال انتخابات رئاسة الجمهورية سنة 1992، بيل كلينتون في برنامج أسئلة وأجوبة حضره خمسة آلاف شاب وشابة. وكانت أغلبية الأسئلة شبابية. سأل واحد: "هل تعطي بنتك "جلسي" حرية كاملة؟" وأجاب كلينتون: "حرية في حدود." وسألت واحدة: "هل ترتدي سروالا داخليا طويلا أو قصيرا؟" وأجاب كلينتون: "قصيرا."

وثارت عاصفة في أميركا بسبب سروال كلينتون. وقال بعض الناس أن البنت أخطأت عندما سألت السؤال. وقال آخرون إن كلينتون اخطأ عندما أجاب على السؤال. وقال آخرون أن المرشح السياسي الذي يريد أصوات الأولاد والبنات يجب أن يخاطبهم بالطريقة التي يتحدثون فيها مع بعضهم البعض.

في الجانب الآخر، رفض الرئيس جورج بوش الأب الظهور في القناة (ربما حتى لا يحرج بسؤال عن سرواله الداخلي، أو عن أشياء خاصة أخرى). ويعتقد أن من أسباب فوز كلينتون على بوش تصويت أغلبية الشباب له.

بنات شبه عاريات:

انتقد بعض الناس تلفزيون "ام تي في" بسبب مناظر البنات شبه العاريات. وانتقده آخرون لسبب فلسفي، وهو أن الأغنية التي تسمع أفضل من الأغنية التي تشاهد.

وكان من بين هؤلاء الفنان جيلو بيافرا، الذي غنى أغنية "إم تي في شت أب" (اخرس). وأهدى الأغنية للقناة. وقال: "ليس هناك عداء شخصي بيني وبين "أم تي في". لكني اعتقد أنها أفسدت الهدف الأساسي من الأغنية، وهو قدرة الفنان على مخاطبة عقل المستمع. وأفسدت تواصلا روحيا تنقله كل أغنية." وأضاف: "كنت مغنيا، وصرت ممثلا. كنت أغني، وأتمعن في الكلمات التي أقولها، وانسجم مع الموسيقى التي تصاحبها. لكنى صرت ممثلا، وصارت كل أغنية أغنيها فيلما صغيرا، فيه إخراج وإنتاج، وفيه أولاد وبنات."

وكتب جيسون يلوم، كاتب أغاني، في كتاب "تجارة كتابة الأغاني": "يوجد فرق بين الأغنية المسموعة والأغنية المرئية. تقل كلمات الثانية، وتعتمد على التكرار وعلى العبارات السريعة. لكن، الأغنية المسموعة فيها تأمل وشبه عبادة."

وأضاف: "تلتقط الأذن كلمات الأغنية المسموعة، وتلتقط العين كلمات أغنية الفيديو. واعتقد أن الأذن أكثر تعقلا من العين، وأن العين أكثر شرها من الأذن."

حدود التعري:

ومع العولمة، والفضايات، والعالم الذي صار قرية، صار تلفزيون "إم تي في" يشكل تحديا للشعوب خارج الولايات المتحدة. وخاصة في العالم الثالث (وخاصة الدول الإسلامية والعربية)، وذلك لأنه يستمتع بحرية أميركية بدون حدود تقريبا. ولأن هذه الحرية تسمح له بأن يعرض أي شيء تقريبا، مثله مثل الشركات الأخرى التي تعمل في مجالات التلفزيون، والسينما، والإذاعة، والكتب، والصحف.

ما هي حدود هذه الحرية؟

كان الكونقرس ناقش الموضوع، وأصدر قانونا ضاعف عشر مرات الغرامة على أي قناة تلفزيونية تعرض منظرا إباحيا (تتراوح الغرامة بين ثلاثين ألف وثلاثمائة ألف دولار). وتاريخ الكونقرس مليء بقوانين عن هذا الموضوع. منذ أكثر من خمسين سنة، منعت المادة 18 من القانون الجنائي الأمريكي الإذاعات والتلفزيونات (كانت التلفزيونات ظهرت جديدة) من إذاعة أو عرض أي "إباحية، وقلة أدب، وخلاعة".

لكن لم يقدر الأمريكيون على الاتفاق على تفسير هذه الأوصاف. وفي بداية سبعينات القرن الماضي، وصل الموضوع إلى المحكمة العليا. وقالت: "نحكم على الشيء الإباحي عندما نراه." معنى ذلك أن الإباحية تعتمد على مكان معين، وزمان معين، وشخص معين.

إباحية بدون حدود:

يعتمد الأميركيون على مقاييس عقلانية لتحديد حدود حريتهم. لكن، تتغير هذه المقاييس بمرور الزمن.

وكانت مجلة "تايم" الأمريكية كتبت عن هذا الموضوع. وقالت: "أشياء كانت غير مباحة تصبح مباحة خلال خمسين سنة." (وربما أقل من ذلك). وأشارت المجلة إلى أن لباس البحر (المايوه) كان، في بداية القرن العشرين، يغطى ساقي المرأة. ومع منتصف القرن، صار يكشف عن الساقين والفخذين. وبعد ذلك بسنوات قليلة، ظهر المايوه "بيكني" (من قطعتين صغيرتين). وبعد ذلك بسنوات قليلة سمحت بلاجات عامة لنساء بكشف نهودهن (هذا غير البلاجات الخاصة التي يفعل فيها الناس ما يريدون).

لهذا، يبدو أن حدود حرية قناة تلفزيون "إم تي في" هي نفس حدود حرية المغنية بريتني سبيرز. انتقدت لأنها تظهر شبه عارية عندما تغني في القناة. لكنها احتمت بقرار المحكمة العليا الذي فشل في تعريف واحد وواضح لكلمة "إباحية". وقالت أن الدستور الأميركي يعطيها حق أن تفعل ما تريد.

ماذا عن صغار السن، معجبيها وغير معجبيها؟ سألت: "هل أنا لست مربية أطفال؟ لماذا لا يحمي الآباء والأمهات أولادهم وبناتهم؟" وأضافت: "يقدر كل شخص لا يريد أن يشاهدني على مشاهدة قناة تلفزيون أخرى".

وهكذا، يبدو أن البرامج التلفزيونية الأمريكية، وكل الثقافة الأمريكية، تقوم على خليط من الحرية والعقلانية: حرية بدون حدود، وعقلانية ترسم الحدود (او تحاول).

ولن يكن سهلا نقل هذه الفلسفة إلى دول فيها حرية قليلة وعقلانية محدودة.

تحديث:

في سنة 2004، زاد النقاش عن الإباحية عندما شاهد في التلفزيون أكثر من مائتي مليون شخص في كل العالم، خلال فترة استراحة "سيوبر بول" (نهائي منافسات كرة القدم الأمريكية) واحدا من نهدي المغنية جانيت جاكسون. كانت تغني في منتصف الإستاد، وفجأة نزع بلوزتها زميلها المغني جستين تمبرليك، حسب سيناريو وضع مسبقا.

عرضت المباراة قناة "سي بي إس"، لكن قدمت الفاصل الغنائي قناة "إم تي في"، ولهذا تحملت "ام تي في" المسئولية. وبالإضافة إلى كثير من الغضب الشعبي، عاقبتها لجنة الاتصالات الفدرالية (إف سي سي) التي تراقب التلفزيونات والإذاعات.

وفي السنة التالية، بدأ مجلس "بارنت تيليفيشن" (مراقبة الوالدين للبرامج التلفزيونية) حملة مكثفة ضد قناة "إم تي في". وقدم أرقاما فيها أن البرامج فيها كلمة بذيئة كل ثلاث دقائق.

وقال برنت بوزيل، مدير المجلس: "هل يشاهد المسئولون عن هذه القناة برامجها؟

وذهب بوزيل إلى الكونقرس، وقدم شهادة ضد القناة قال فيها: "إنهم يستهدفون المراهقين والمراهقات ببرامج إباحية."

وانضم إلى الحملة مركز "اميركان فاميليز" (اتحاد العائلات)، وقال: "هذه قناة ضد العائلة، ومع الجنس." وأيضا، انضم إلى الحملة مركز "فاميلي فوكس" (التركيز على العائلة)، الذي قال: "رسالة إم تي في وسط الأولاد والبنات رسالة خطيرة."

تحديث:

في سنة 2007، بدأت قناة "إم تي في العربية."

وكتبت عن ذلك مجلة "تايم" الأمريكية، بعد أن قابلت مسئولين عن القناة العربية. ومنهم عبد اللطيف الصائغ، مدير شركة "عرب ميديا" التي تعاقدت مع الشركة الأمريكية، وعبد اللطيف الملا، مدير مجموعة "تيكوم" التي تتبع لها شركة "عرب ميديا"، ورشا الإمام، منتجة سعودية، وخالد المطوع، سائق سيارات سباق إماراتي، وجوزيف حبيقة، لبناني سيعلمه المطوع قيادة سيارات السباق في مسلسل "الحلم" الجديد.

هذا، مثل مسلسلات وبرامج أخرى، منقول من القناة الأمريكية، مع بعض التعديلات ليناسب الذوق العربي. ويبدو أن هذا أكبر تحدي يواجه هذه القناة، وأي قناة عربية (وغير عربية) تقلد القنوات الأمريكية. والسبب هو، طبعا، الاختلاف الجذري بين أسس الثقافة الأمريكية وأسس الثقافات الأخرى، خاصة ثقافات دول العالم الثالث.

وينعكس هذا الاختلاف في حرية المرأة: ليست لها حدود في أمريكا، لكنها مقيدة في كثير من الدول العربية، لأسباب دينية أو ثقافية أو الاثنين معا. لهذا، قالت "إم تي في العربية" أنها لن تقدم مسلسلات أمريكية مثل: "ريال لايف" (أولاد وبنات يسكنون في مكان واحد).

و"ديت ماي موم" (بنات يبحث عن أصدقاء لأمهاتهن). و"كايا" (مغامرات بنت غير متزوجة). و "تيلا تاكيلا" (بنت لا تفرق بين الأولاد والبنات في علاقاتها الجنسية). و"لاقونا بيتش" (بنات وأولاد على بلاج كاليفورني).

لكن، قالت القناة العربية انها ستقدم مسلسلات ليس فيها جنس، مثل: "وانا بي ميد" (احلم أن أكون. مثل الذي سيعلم فيه المطوع الإماراتي حبيقة اللبناني قيادة سيارات سباق). و"كريب شيت" (عن حياة الترف وسط النجوم، مثل المغني الأمريكي الذي يستورد ماء من جزر البهاما لملء حوض السباحة في منزله).

لكن، ماذا عن الأغاني؟ مثل فيديو المغنية "برتني سبيرز" الذي تغني فيه شبه عارية؟ وماذا عن المسلسلات؟ مثل "مس تين" الذي يصور المراهقات بمايوهات السباحة؟

سألت مجلة "تايم" المسئولين في القناة العربية عن ذلك، وقال واحد منهم يعمل في رقابة المسلسلات الأمريكية: "عندنا قانون اسمه: واحد، اثنين، ثلاثة، أربعة."

سألت المجلة: ما هو؟

أجاب: إذا كانت هناك بنت تلبس مايوه سباحة "بيكيني" عن قرب، نعرض المنظر لمدة ثانية واحدة، لا ثانيتين. وإذا كانت بعيدة، نعرض المنظر لثلاث ثواني، لا أربعة.

وقال مسئول آخر: "لا تنس الآذان. لابد أن نقطع البرامج لذلك."

وأخيرا: هل يقدر الأذان على مواجهة إباحية تلفزيون "إم تي في؟"

في مقابر بلومنقتون (ولاية أنديانا) : طقوس الكفن والدفن



(اقرأ: حب أفلام الرعب).

(اقرأ: هالاوين، عيد الخوف).

(اقرأ: تابين الموتى) .

في سنة 1985 ، جئت إلى بلومنقتون، حيث جامعة أنديانا، لحضور المؤتمر السنوي للدائرة الإسلامية لأمريكا الشمالية (إسنا)، والذي اختار هذه السنة هذا الجامعة. ليست الجامعة بعيده من رئاسة "إسنا"، في بلينفيلد (ولاية أنديانا).

تحتل الجامعة مكانة خاصة في عقلي وفي قلبي. قبل عشرة سنوات، كنت هنا، طالبا في قسم الدراسات العليا في كلية الصحافة.

خلال أيام المؤتمر، تجولت، وأنا احمل الذكريات، في أركان هذه الجامعة العريقة والكبيرة (أكثر من ثلاثين ألف طالب، مقسمين على بضعة فروع في ولاية أنديانا. والفرع الرئيسي هو هنا، في بلومنقتون).

زرت داخلية "أيقنهان" التي سكنت فيها ثلاث سنوات (مخصصة لطلبة وطالبات الدراسات العليا). وزرت شقق "دانهيل" التي سكنت فيها سنة (وتعلمت فيها الطبخ، وأحببته). وزرت مبنى "إيرني بايل"، حيث كلية الصحافة (إيرني بايل صحافي أمريكي اشتهر بتغطية الحرب العالمية الثانية). وزرت داخلية "ويلكيز" التي سكنت فيها فتاة أمريكية شقراء، وجميلة، وراقية، وهادئة، جاءت من ولاية فلوريدا، وكانت تدرس في كلية التمريض (صارت زوجتي، وأم أطفالنا الثلاثة، ولا تزال، بعد أربعين سنة تقريبا).

في عصر آخر يوم لي هنا، مشيت لمسافة ثلاثة أميال تقريبا، على الشارع الرابع، إلى الطرف الجنوبي من المدينة، حيث مقبرة "روزهيل"، لقراءة الفاتحة على قبر خضر السيد.

قبل عشر سنوات كان معنا هنا، طالبا في جامعة أنديانا. وكنا خمسة طلبة سودانيين فقط. وكان أصيب بمرض عضال، ثم توفى في مستشفى الجامعة، ثم نقل جثمانه إلى "فيونرال هوم" (بيت إعداد الموتى للدفن)، ثم، في اليوم التالي، نقل الجثمان إلى مقابر "روزهيل" حيث دفن.

الطقوس الجنائزية:

كانت تلك أول مرة أشاهد فيها الطقوس الجنائزية في أمريكا: طقوس الكفن والدفن. واستغربت لانهم لا يفعلون مثلما نفعل نحن المسلمون في السودان:

أولا: استغربت لأننا ننقل الجثمان إلى المنزل، ونغسله، ونكفنه، ثم ننقله إلى المقابر، قبل غروب الشمس إذا كان ذلك ممكنا. ولا يبقى الجثمان في المنزل حتى الصباح، لأن هذه عادة غير مستحبة. لكن، وجدت أن الأميركيين ينقلون الجثمان من المستشفى إلى "فيونرال هوم" (بيت إعداد الموتى للدفن). ويمكن أن يبقى الجثمان يوما أو أياما.

ثانيا: استغربت عندما زرت بيت إعداد الموتى للدفن، لأنه بيت كبير، وأنيق، ونظيف. ومقسم إلى غرف للغسيل، والانتظار، والصلاة، والنعوش. غرفة النعوش فيها مختلف إشكال، وألوان، وأحجام النعوش. والنعوش مفتوحة، ليختار أهل الميت النوع الذي يريدون وضع الجثمان فيه. وبعضها مصنوع من خشب راقي، ومقابض ذهبية، وكسوة داخلية حريرية.

ثالثا: استغربت لطقوس إعداد الجثمان. نحن نغسل الجثمان، ثم نكفنه بكفن أبيض. لكن، يلبس الأمريكيون موتاهم ملابس رسمية (بدلة كاملة للرجل، وفستانا أنيقا للمرأة). ويتركون صندوق النعش مفتوحا، ليلقى الناس نظراتهم الأخيرة.

رابعا: استغربت لأننا نحفر قبرا، ونضع الجثمان المكفن، ونغطيه بالتراب. ويفعل ذلك الرجال، ولا تذهب النساء إلى المقبرة وقت الدفن. لكن، يذهب الأمريكيون والأمريكيات إلى المقابر. وتوجد شركات تنظم الدفن. عمالها يحفرون القبر مسبقا بحافرات وجرارات عملاقة. ويضعون عند القبر كراسي يجلس عليها أقرباء وقريبات الميت. ولا يخرجون الجثمان من صندوق النعش، بل يضعونه في "صندوق خرساني" وضعوه مسبقا داخل الحفرة. ولأن صندوق النعش كبير وثقيل، يستعملون رافعات لرفعه، وإنزاله. ثم يضعون غطاء الخرسانة. ثم يهيلون التراب. (تمنع قوانين الصحة دفن الجثمان في التراب مباشرة).

خلفية تاريخية:

لا تشترط كل الثقافات دفن الموتى. حتى هيئة الصحة العالمية (دبليو إتش أو) لا تشترط أن يدفن كل ميت، ألا الذي يموت بمرض، ويخشى أن ينتشر المرض. لكن، تقول "دبليو اتش أو" أن هناك أسبابا "طبيعية" تستوجب الدفن:

أولا، إذا لم يدفن الميت، يمكن أن تأكله الكلاب والوحوش. ويتعفن، وتملأ رائحته المكان.

ثانيا، يقلل الدفن الحزن على الميت، ويضع "نهاية رمزية" للحزن.

ثالثا، تؤمن كثير من الأديان أن الدفن لابد منه، لأنه خطوة نحو الحياة الأخيرة.

وكتب د. دونالد جوهانسون، أستاذ علم الأجناس في جامعة أريزونا ستيت، ومؤلف كتاب "بدايات الجنس البشري"، أن الإنسان البدائي في إفريقيا كان يدفن الموتى، قبل أن يهاجر إلى الشرق الأوسط، ثم إلى وأوروبا.

وجاء في التوراة: "عاشت سارة لمائة وسبعة وعشرين سنة، وتوفيت في كريات عربة (الخليل) في ارض كنعان. وقال إبراهيم للحيثيين: "أنا أجنبي وغريب. بيعوا لي قطعة ارض لأدفنها فيه." ومقابل أربعمائة شيكل، اشتري إبراهيم مزرعة لنفسه، وأيضا كهفا لدفن سارة، وهو بعدها."

وجاء في الإنجيل عن عيسى المسيح: "وضعوه في قبره الجديد الذي كانوا نحتوه في الصخرة، ثم دحرجوا حجرا كبيرا على باب القبر، و عادوا إلى من حيث أتوا."

وجاء في القرآن: "فبعث الله غرابا يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه. قال يا ويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب، فأواري سوءة أخي، فأصبح من النادمين."

حرق الجثة:

كان اليابانيون، حتى وقت قريب، يرمون جثث الموتى في البحر أو وسط الجبال. وفي مدينة كيوتو بقايا مقبرة مكشوفة كانت ترمي فيها الجثث تحت تمثال عملاق لبوذا.

وتدعو البوذية والهندوسية إلى حرق الجثمان. ومؤخرا، انتقلت العادة إلى أميركيين قالوا إنها تساعد على نظافة البيئة. لكن، مع نهاية القرن العشرين، بدأ أمريكيون يستعملون "القبر الطبيعي". يدفنون الجثمان ملفوفا بكفن فقط (مثلما يفعل السودانيون ومسلمون آخرون). ثم يزرعون شجرة فوق القبر لتتغذى من بقايا الجثمان.

لكن، هذه عادة استثنائية وجديدة.

من أين جاءت عادة وضع الجثمان في نعش مفتوح بعد أن يلبس بدلة كاملة إذا كان رجلا، وفستانا أنيقا ومحتشما إذا كان امرأة؟

كتبت جاكلين سمبسون، أستاذة علم الأجناس في جامعة ميشيقان، في دورية "أمريكان فولكلور" (الفن الشعبي الأمريكي) الأسباب الآتية:

أولا، في آخر نظرة للميت، يفضل الأمريكيون أن يشاهدوه وهو في أحسن مظهر.

ثانيا، تعتقد بعض الثقافات أن الميت سيعود للحياة وهو يلبس الملابس التي دفن فيها.

ثالثا، مارست حضارات قديمة عادة وضع أغلي ممتلكات الميت معه قبل دفنه. وكان فراعنة يوصون بوضع زوجاتهم، أو عبيدهم، معهم في قبورهم. إما طواعية، كرمز للولاء، أو إجبارهم على ذلك لأنهم كانوا مجرد ممتلكات.

وكتبت أنه، في ظل الرأسمالية الأمريكية، ومثل كل شئ آخرا تقريبا، الذي يدفع أكثر، يضمن لجثمانه نعشا أفخم. ويضمن قبرا بشاهد عملاق وأنيق. ويضمن قبرا على تل، أو قرب نهر، أو تحت شجرة. ويوفر للمعزين مكانا مريحا وأنيقا لمشاهدة جثمانه. ويستأجر سيارات ليموزين أكبر وأكثر لموكب تشييع جثمانه.

تكاليف الدفن:

يقلق الأمريكي العادي بسبب مكان دفنه. وذلك لأكثر من سبب:

أولا: تستمر قيمة أرض القبر وتكاليف الدفن في الزيادة (ستة آلاف دولار في مع بداية القرن الحادي والعشرين، وكانت نصف ذلك قبل ذلك بعشر سنوات).

ثانيا: لأن نسبة كبيرة من الأمريكيين تتنقل من مكان لمكان، لا يقدرون على شراء ارض قبر مسبقا، وبسعر أقل.

ثالثا: مثل أشياء كثيرة في الحياة، ترتفع قيمة أرض القبر مع ارتفاع المنظر. مثلا: "ريقيولار" (عادي) و "ريسونابل" (مناسب) و "رسبيكتابول" (محترم) و"اليقانت" (راقي).

وقالت اودري وايلي، صاحبة ومديرة دار للدفن: "تحس كثير من العائلات الفقيرة بالعار والخجل عندما لا تقدر على توفير تكاليف الدفن." واعترفت بأنها اضطرت أكثر من مرة للف موتي بأقمشة رخيصة، لأن عائلاتهم لم تقدر على دفع أكثر من خمسمائة دولار. وقالت: "من لا يقدر على مقابري يذهب إلى مقابر الفقراء."

هذه إشارة إلى مقابر في طرف المدينة تشرف عليها حكومة المقاطعة، وهي للذين لا يقدرون على دفع حتى تكاليف ارخص نعش. لكن، قالت وايلي: "يخشي حتى الفقراء من دفن أقاربهم في مقابر الفقراء. ويخشون من زيارتهم إذا دفنوا هناك."

التأمين على القبر:

لهذا، ظهرت شركات تأمين الموت. ليست مثل شركات تأمين الحياة التي تدفع لعائلة الشخص المؤمن مبلغا (حسب القسط الشهري الذي كان يدفعه) عندما يموت. تبيع هذه الشركات شهادات تأمين على الموت، وتدفع لعائلة الميت مبلغا لتغطية تكاليف الدفن (حسب القسط الشهري). وزاد إقبال الفقراء على النوع الأخير لأن القسط الشهري قليل، وهو أقل من عشرة دولارات كل شهر. ربما لأن الفقراء قلقون على الدفن أكثر من قلقهم على حياتهم.

وفي مقابلة مع صحيفة أمريكية، قالت فيكي هوايت أنها بدأت دفع أقساط تأمين قبر لحفيدتها منذ يوم ولادتها. وسالت: "ماذا افعل؟ ألا يجب أن أضمن لها قبرا محترما عندما تموت؟"

وقال هوارد كاتشينغ، صاحب ومدير شركة تأمين، عن زبائنه: "اسألهم: تأمين على الحياة؟ يقولون: لا. أسألهم: تأمين على الدفن؟ يقولون نعم. أعتقد أن الإنسان، بطبيعته، يخاف من ألا يدفن في مكان محترم."

تحديث:

مقبرة نجوم السينما والتلفزيون:

في سنة 1990، بعد خمس سنوات من زيارة مقبرة "روزهيل" قرب جامعة أنديانا في بلومنقتون، زرت هوليوود (عاصمة الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية، في ولاية كاليفورنيا) لإجراء مقابلات مع ممثلين وممثلات.

في مدخل فندق "بيفرلي هيلز" دليل لمنازل كبار الممثلين والممثلات. ومن أمام الفندق، تتحرك حافلة ليشاهد السواح هذه المنازل، وهم يعرفون أنهم لن يقدروا على دخول المنازل (كلها محاطة بأسوار عالية ومحروسة حراسة شديدة). والذي يدفع أكثر للحافلة، تحمله إلى مقبرة "هولي كروس" (الصليب المقدس)، حيث دفن مشاهير الممثلين والممثلات. وتوجد في المقبرة التاريخية (تأسست سنة 1939) خريطة توزع على الزوار لتسهل عليهم معرفة القبور.

في مجموعتنا، سأل سواح عن تكاليف الدفن. وقال مرافق في المقبرة أنهم يقسمون القبور من "ترادیشنال" (تقليدي)، ويكلف سبعة آلاف دولار، إلى "اليقانس" (راقي)، ويكلف ثلاثين ألف دولار.

ورغم أن القبر قبر، هذه بعض الاختلافات:

أولا: مكان القبر: مثل أن يطل على بحيرة، أو تحت شجرة.

ثانيا: دفتر تسجيل أسماء المعزين: عادي أو جلدي مذهب.

ثالثا: النعش: عادي، أو مذهب، أو مرصع بجواهر.

رابعا: موكب التشييع: هديه فيديو صور مراسيم الدفن، عازف قيثارة اثناء المراسيم، موكب شبه عسكري، وحمامات سلام تطلق بعد الدفن

.

من مدفون هنا؟:

هذه ربما أجمل مقبرة في العالم. فيها أشجارا كثيرة وعملاقة، ومرتفعات وأودية، وبحيرات وانهار. ودفع كثير من المشاهير ملايين الدولارات ليدفنوا قرب نهر، أو على طرف بحيرة، أو في تل يشرف على هوليوود واستوديوهاتها.

يزور أكثر من مليون شخص المقبرة كل سنة. وتحول المكان من رمز للموت إلى رمز للفرح عندما يعبر الزوار عن فرحهم وهم يشاهدون قبر ممثلهم المفضل أو ممثلتهم المفضلة. وتحولت الكنيسة الصغيرة داخل المقبرة من مكان للرثاء على الموتى إلى مكان للزواج.

توضح ملفات الكنيسة أن أكثر من ستين ألف رجل وامرأة تزوجوا هناك خلال الثلاثين سنة الماضية.

لكن، حسب معلومات المرافق، أوصي مشاهير بدفنهم حسب شروط مختلفة:

أولا: في مقابر مجهولة، حتى لا يضايقهم الفضوليون. مثل إمبراطور الترفيه ولت ديزني (مؤسس منتزهات ديزني).

ثاني: في ضريح محاط بسور عال، ليشاهد الزوار الضريح بدون أن يلمسوه. مثل الممثلة ماري بكفورد.

ثالثا: منع اقتراب أي شخص من الضريح. مثل الممثل همفري بوغارت.

رابعا: حرق الجثمان ووضع الرماد داخل حائط من الرخام، وعليه معلومات بها الذهب.

خامسا: حرق الجثمان ورمي الرماد في المحيط الهادي المجاور، أو جبال روكي المجاورة.

في المقبرة قبور مشاهير مثل: كلارك غيبل، وجيمي ستيورات، وسبنسر تراسي، وجورج بيرنز، وغيرهم.

مقبرة فورد:

في سنة 2007، زرت الجالية العربية في ديترويت (أكبر جالية عربية في الولايات المتحدة). وكنت استأجرت سيارة من مطار المدينة. وبعد نهاية الزيارة، وعلى الطريق البري رقم 96، زرت لانسنق، حيث جامعة ميشيقان ستيت. ثم قراند رابيدز، حيث مقبرة الرئيس جيرالد فورد.

قبل وفاته، اشرف على بناء متحف جورج فورد الرئاسي. وبعد وفاته دفن في قبر خلف المتحف، على طرف هضبة فيها أشجار كثيفة. ويطل على نهر قراند، وعلى مدينة قراند رابدز.

كتب على جانبه، بالإضافة إلى الاسم وتاريخي الميلاد والوفاة: "وهب حياته لله والعائلة والوطن." وقال سكوت قورلاند، محامي في المدينة جاء لزيارة القبر: "هذا مكان رائع. يطل على النهر الذي سبح فيه عندما كان صغيرا، وعلى المدينة التي مثلها في الكونقرس عندما كان كبيرا."

وأشار إلى مكان قرب القبر، قال إن بيتي فورد، أرملة الرئيس فورد، أعدته لتدفن فيه. بعد ذلك بأربع سنوات، في سنة 2011، توفيت ودفنت إلى جوار زوجها.

قبور كلاب وقطط:

في سنة 1996، زرت أتلانتا (ولاية جورجيا) لتغطية دورة الألعاب الاولمبية. وصلت قبل أيام، ورأيت أن استفيد منها في جولات سياحية في المدينة. ولأنني كنت أصبحت شبه متخصص في زيارة القبور، زرت مقبرة للكلاب والقطط وبقية الحيوانات الأليفة في شامبلي، من ضواحي أتلانتا.

وعرفت فيما بعد أن في أتلانتا الجمعية العالمية لأصحاب قبور الحيوانات الأليفة.

على مسافة قريبة من بقايا حقول القطن وتجارة الرقيق، وحيث يعيش السود في فقر واضح، قال لي دويل شوغارت، مدير "بيت فيونرال هوم" (بيت دفن الحيوانات): "يدفع بعض الأغنياء مبالغ لدفن حيواناتهم تساوى أضعاف ما يدفع الشخص لمقبرة عادية."

وقال إن هناك أغنياء أوصوا بأن يدفنوا إلى جوار حيواناتهم. وأطلعني على قصاصة من صحيفة عن ايه. آر. لامورا، رجل أعمال في نيويورك، قال: "سأدفع كل ما اقدر لأوفر لكلبتي "ساندي" قبرا محترما. أصابها السرطان،

وستموت قريبا حسب كلام الطبيب البطري الخاص بها. لهذا، طلبت أن يصمم لها ضريحًا مثل ضريح عائلتي. من حجر القرانيت. ومطلي بالفضة والذهب." رفض لامورا أن يحدد تكاليف هذا المشروع، لكنه يعتقد أنها لا تقل عن ربع مليون دولار.

وقال ديفيد لومس، مستشار استثمارات في "وول ستريت" (شارع المال في نيويورك) أن إقبال الأمريكيين على دفن كلابهم وقططهم في مقابر (ومقابر راقية) يضيف كل سنة أكثر من ستمائة مليون دولار إلى تجارة الحيوانات المنزلية. هذه التجارة، متمثلة في متاجر، مثل "بيتزمارت" (سوق الحيوانات الأليفة).

هذا سوق عملاق، ويبلغ حجمه أكثر من ثلاثين بليون دولار في السنة. ويشمل طعام هذه الحيوانات، وعلاجها، ودور حضانتها، وفنادقها، ومربييها ومربياتها، ومقابرها.

هيوستن (ولاية تكساس) : الخوف من الأجانب



(اقرأ: عقدة النقص عند الأجنبي).

في سنة 1988، جئت إلى هنا لحضور المؤتمر السنوي لاتحاد المحامين الأمريكيين المتخصصين في شئون الهجرة والمهاجرين. هذه أول مرة احضر فيها المؤتمر، كجزء من كتاباتي عن وضع الأجانب والمهاجرين في الولايات المتحدة.

(خلال سنوات لاحقة، حضرت مؤتمرات أخرى عن هذا الموضوع. آخرها مؤتمر سنة 2010 في ناشونال هاربر، من ضواحي واشنطن العاصمة. كان أول مؤتمر عن المشاكل النفسية التي يعاني منها الأجانب، واعتبر أن السبب الرئيسي لها هو "سيوبريوريتي كومبلكس"، عقدة الاستعلاء، من جانب الأغلبية الأمريكية البيضاء. وهذا موضوع آخر).

"زينوفوبيا":

يقول كتاب "أيميقريشن اند زينوفوبيا" (الهجرة والخوف من الغريب في التاريخ الأمريكي) أن "زينوفوبيا" أصلها الكلمتان اللاتينيتان: "زينو" (الأجنبي) و "فوبيا" (الخوف).

وان الخوف ليس هو خوف الإنسان، أي إنسان، من الأجنبي، بقدر ما هو خوف الإنسان من زوال هويته، أو كيانه، أو "نقائه"، أو "طهارته." ولأن "النقاء" له صلة قوية بالدم، والعائلة، والقبيلة، والعنصر، توجد صلة قوية بين خوف الإنسان، أي إنسان، من الأجنبي وبين تفضيل الإنسان لعرقه. وعبر التاريخ، يوجد نوعان من هذا الخوف:

أولا: الخوف بين الدول. ويمكن أن يتسبب في منافسات، ومشاحنات، وغزوات، واحتلال، وطرد، وإبادة.

ثانيا: الخوف ين الثقافات. ويمكن أن يكون داخل الدولة الواحدة، بين ثقافة الأغلبية وثقافة أجنبية. ربما لا يسبب هذا الخوف حروبا، لكنه يسبب تفرقة دينية، أو عرقية، أو لغوية. وربما تصير قوانين. وربما لا تصير، لكنها تظل مخفية، أو تحت السطح، أو غير مباشرة. لهذا تعتبر "زينوفوبيا" أحيانا مرضا نفسيا. في هذه الحالة، يحدث واحد من اثنين: أما انعزالية وتقوقع، أو انفتاح وتفاؤل.

وحسب الكتاب، أصل الخوف الأمريكي من الأجانب هو الخوف الأوروبي. وهذا زاد بعد بداية الثورة الصناعية. انتقل الناس من المزارع والأرياف (حيث كانوا يعيشون في هدوء، ويعرفون بعضهم البعض، ويطمئنون لبعضهم البعض) إلى المدن والمصانع (حيث الضجيج، والمنافسة، وعدم الثقة، والخوف من الآخر، بل الاقتتال).

خلفية تاريخية:

في القرن الثامن عشر في بريطانيا، بسبب هذا الخوف، صدر قانون ضد الأجانب، وضع عليهم شروطا قاسية، وحرمهم من الجنسية البريطانية. وفي القرن التاسع عشر في ألمانيا، حدث نفس الشيء، وخاصة ضد البولنديين الذين كان (ولا يزال) الألمان يستعلون عليهم. وفي الحالتين، كان الدين من الأسباب: بريطانيا البروتستانتينية وجنوب أوروبا الكاثوليكي، وألمانيا البروتستانتينية وشرق أرويا الأرثوذكسي.

وطبعا، في القرن العشرين، مع بداية هجرة المسلمين والعرب إلى أوروبا وأميركا، صار الخوف من الإسلام "اسلاموفوبيا" سببا رئيسيا.

وفي كتاب "أميركان نيتيفيزم اند ريسيزم" (الوطنية المتطرفة والعنصرية الأمريكية)، إشارة إلى انه، في كثير من الأحيان، كانت (وتظل) التفرقة ضد الأجنبي غير مباشرة. مثل اتهام الأجنبي بأنه:

أولا: ينافس أهل البلد في الوظائف.

ثانيا: يزيد الجريمة.

ثالثا: لا يتعلم لغة البلد.

رابعا: لا يدين بالولاء لوطنه الجديد.

خامسا: يتجسس للبلد الذي جاء منه.

محظوظون في أمريكا:

لكن، قال الكتاب: "ليسعد كل أجنبي جاء إلى الولايات المتحدة، لأننا نعامله أحسن من معاملته إذا كان ذهب إلى دول أخرى. وليسعد أيضا لأنه جاء مع نهاية القرن العشرين وبداية القرن الحادي والعشرين، لأنه إذا كان جاء في القرن الثامن عشر..."

ذلك لأن الكونغرس، مباشرة بعد استقلال أمريكا، أصدر، من وقت لآخر قوانين تبرهن على الخوف من الأجانب:

في سنة 1798، أصدر قانون "آليان أند سيدي شن" (الأجانب والخيانة) المعادي للمهاجرين من فرنسا وايرلندا (كاثوليك)، لا بريطانيا وألمانيا (بروتستانت). وواضح في اسم القانون الربط بين الأجنبي والخيانة (خيانة الأجنبي لأمريكا).

في سنة 1882، أصدر قانون "جاينيز اكسكلوشن" (منع الصينيين من الهجرة إلى أمريكا).

في سنة 1921، أصدر قانون "أميرجنسي كوتا" (كوتا للمهاجرين كل سنة، حتى من دول أروبية).

لكن، خلال النصف الثاني من القرن العشرين، اصدر الكونغرس سلسلة قوانين ليبرالية:

في سنة 1952، أصدر قانونا زاد هجرة الأسيويين.

في سنة 1965، أصدر قانونا زاد الهجرة من دول العالم الثالث.

في سنة 1986، أصدر قانونا أعفى عن ثلاثة مليون أجنبي (أغلبيتهم من المكسيك) كانوا يعيشون في الولايات المتحدة بطريقة غير قانونية.

تحديث:

مع بداية القرن الحادي والعشرين، ومع زيادة تأثير المحافظين (مثل قوة الجناح اليميني في الحزب الجمهوري)، تغير المزاج الأمريكي مرة أخرى نحو الأجانب. يظلون إما لا يرتاحون لهم، أو يشكون فيهم، أو يكرهونهم. ورغم اختفاء الكراهية العلنية أو المباشرة، تبقى أشياء سلبية تحت السطح.

مثل قانون ولاية أريزونا (سنة 2011) الذي استهدف المهاجرين من المكسيك. ومثل حزب الشاي (ظهر سنة 2009) الذي يريد تجميد الهجرة إلى أمريكا. ومثل برنامج الحزب الجمهوري (في انتخابات سنة 2012) الذي يركز على وقف، أو تخفيض المساعدات الحكومية (للأجانب وغيرهم). ومثل المرشح الجمهوري في تلك الانتخابات، ميت رومني الذي اقترح "الإبعاد الذاتي" (يغادر طوعا كل أجنبي يعيش في أمريكا بطريقة غير قانونية، حتى لا تضطر الحكومة لإبعاده، والدخول في متاهات قانونية عن حقوق الإنسان).

أفلام الكرتون:

طبعا، يوجد وسط الأمريكيين من يعارض الاستعلاء على الأجانب، ويقلل من الخوف منهم. وينتشر هؤلاء وسط الجيل الجديد. ويبدو أن هؤلاء تأثروا بثقافة القرن الحادي والعشرين: الانفتاح، والتسامح، والتعددية.

وينعكس ذلك في أفلام ومسلسلات المغامرات الكرتونية. والتي لا يمكن تقليل أثرها الثقافي على شباب أمريكا. وتشمل بعض المسلسلات الكرتونية شخصية "الأجنبي":

في جانب، أصدرت شركة "مار فيل" مسلسل كرتوني اسمه "فورينا" (الأجنبي). وفيه الأجنبي صعلوك، ومغامر، وقاتل، لكنه ذكي. ويظهر "سبايدرمان" (الرجل العنكبوت) ويمثل الأمريكي الحقيقي، ويحارب الأجنبي، وينتصر عليه.

وفي جانب، أصدرت شركة "دي سي" مسلسل كرتون اسمه "أوتسايدرز" (الخارجين). هؤلاء أقل شرا، ويريدون تقديم صورة ايجابية للأجانب. ويتحالفون مع "باتمان" (الرجل الوطواط)، الذي يستغلهم، لكنه يستفيد منهم.

وهناك شخصية الأجنبي في الأفلام والمسلسلات التلفزيونية، وهي أكثر من نوع:

أولا: فكاهية (عن بلاهة، أو غباء، أو عدم تحضر الأجنبي).

ثانيا: جادة (عن خطر دولة أجنبية أو جماعات أجنبية).ا

ثالثا: عن خوف الأجنبي من الأمريكيين (والتندر على مشاكل الأمركة).

رابعا: عن خوف الأمريكي من الأجانب (من الأعداء الأجانب، و "الخونة" و "المتآمرين" و "الإرهابين").

خلال ثمانينات القرن الماضي، شن الرئيس رونالد ريقان هجوما عنيفا على روسيا (الشيوعية). وتوترت العلاقات بين المعسكر الشرقي الشيوعي والغربي الرأسمالي. وظهر فيلم "ربد دون" (الفجر الأحمر) عن غزو دول المعسكر الشيوعي للولايات المتحدة. وفيه تخويف واضح للأميركيين من الشيوعية "عدوة المسيحية."

وبعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، ظهرت أفلام سينمائية عن الإرهاب والإرهابيين. وكانت (ولا تزال) كلها عن مسلمين وعرب. وطبعا، هذه حلقة مغلقة: تزيد الأفلام والإعلام خوف الأمريكيين من المسلمين والعرب. وعندما يزيد خوف الأمريكيين من هؤلاء، ينعكس ذلك في الأفلام والإعلام.

علاج الخوف من الأجانب:

مؤخرا، ظهرت عيادات نفسية تتخصص في هذا النوع من الخوف.

وهذه دعاية لواحدة من هذه العيادات:

"توجد طريقتان لمساعدتكم في التخلص من الخوف من الأجانب: تقدرون على أن تأتوا إلى عيادتنا للمشاركة في نقاش وعلاج جماعي. أو نذهب نحن إلى منازلكم، لعلاجات فردية. عندنا متخصصون في هذا المجال من الأمراض النفسية الشخصية. كيف يعالجونكم؟ الأساس هو تغير طريقة تفكيركم. على السطح، تعرفون أن خوفكم من الأجانب ليس منطقيا. لكن، في عقلكم الباطني توجد كميات هائلة من الأحاسيس السلبية عن أشياء كثيرة، ومنها الأجانب والغرباء. نحن لا نداوي. نحن نعالج. أنتم وحدكم تقدرون على علاج أنفسكم، وعلى تغيير نظراتكم نحو الأجانب. نحن فقط نرشدهم خلال عملية تفكير عميقة، ومنطقية، وخطوة بعد خطوة."

ويستمر الإعلان:

"هذه الخطوات تشمل الآتي: الثقة بالنفس. استقلالية التفكير. الهدوء. السعادة. التخلص من الغضب، والحزن، والخوف، والأذي، والإحساس بالذنب، والقلق. نعرف أن هذه الأحاسيس عششت في أعماقكم. عن الأجانب وعن غير الأجانب."

ويستمر الإعلان:

"في كثير من الأحيان، أساس الخوف هو تجربة شخصية. لكن أحيانا، يوجد الخوف بدون إي تجربة، وبدون أي دليل. ونحن نبدأ بهذه الأسئلة، قبل الدخول في العلاج: هل تحس بالخوف عندما ترى أجنبيا أو غريبا؟ هل تنصبب عرقا، أو يجف حلقك، أو ترتجف يديك، أو يدق قلبك دقات سريعة؟"

ويستمر الإعلان:

"هذه علامات ظاهرة. لكن أحيانا، لا توجد علامات ظاهرة. توجد أشياء داخلية لا تقدرون على تفسيرها، ناهيك عن قولها. على أي حال، تعالوا لنا. نحن هنا لخدمتك."

نيل سيداكا:

في سنة 2012، اصدر المغني الأمريكي نيل سيداكا البوم "ريال سيداكا" (سيداكا الحقيقي). وفيه أغانٍ قديمة وأغانٍ جديدة، ومن القديمة أغنية "فور ينار" (الأجنبي)". خلفية سيداكا (عمره 73 سنة) يهودية تركية، واصل اسمه هو "صدقة". وفي كثير من أغانيه، يصور قصة الأجنبي في الثقافة الأمريكية. وخاصة الأجنبي الشرق أوسطي.

يغني في أغنية "الأجنبي": "كانت الموانى تفتح للأجنبي الشاب المهاجر. يريد أن يعيش على ضوء شعلة تمثال الحرية. في السهول الشاسعة، وتحت السماوات المفتوحة. كان وقت الترحيب بالأجنبي. تعزف له الموسيقى الفرحة. الآن، يرى الأجنبي الموانى أغلقت. "لا نريدك. امتلأ المكان، وكثرت المشاكل." يعود، ويتذكر أنه إذا كان جاء في الماضي...."

يمكن اختصار وضع الأجنبي في الثقافة الأمريكية من ناجيتن:

في ناحية: "نيتيف" (ابن البلد)، ومشكلته هي "زينوفوبيا" (الخوف من الغريب).

في ناحية أخرى: "فور ينار" (أجنبي)، ومشكلته هي "إنفيريوريتي كومبلكس" (عقدة النقص).

وجهة نظر الأجانب:

خلال العشرين سنة الأخيرة، بدأ أجانب يتحدثون عن تجاربهم، بدلا من أن يتحدث الأمريكيون عنهم. هؤلاء هم الجيل الثاني من المهاجرين الذين:

أولا: ولدوا في أمريكا.

ثانيا: أكثر فخرا بأمريكا من آبائهم وأمهاتهم.

ثالثا: أكثر شجاعة في النقد (نقد أمريكا، ونقد آبائهم وأمهاتهم، وبلاد آبائهم وأمهاتهم.

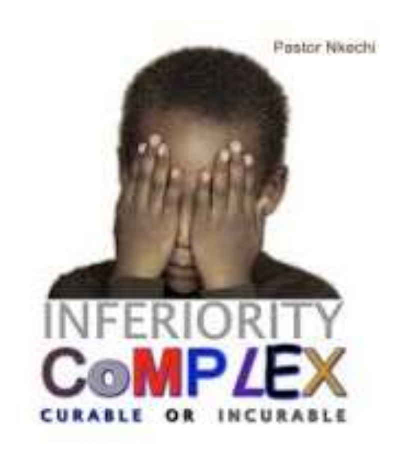
مثل فرانسيس لين (هاجر والداها من الصين) التي كتبت رواية "فورينار" (الأجنبي).

هذه عن صيني هاجر إلى أميركا، لكنه فشل في الاندماج في المجتمع الأمريكي، وانغلق على نفسه. غير أنه حرص على زيارته والدته الكبيرة السن كل أسبوع. وعندما توفيت، وحسب وصيتها، وعلى مضض، حمل رماد جثتها إلى الصين ليدفنه هناك. وهناك قابل أخاه الذي كان افترق عنه قبل أربعين سنة. وعرض أخاه عليه اقتسام ورثة العائلة، والهجرة من أمريكا إلى الصين. واحتار في الفرق بين ثقافتين: واحدة حرة تجعله يفعل ما يشاء. والثانية غير حرة بسبب الروابط العائلية والاجتماعية، لكنها تجعله يحس بالانتماء إلى غيره.

اقرأ: عقدة النقص عند الأجنبي في أمريكا

كنيسة «سنت بول» : بوتوماك (ولاية ماريلاند):

عقدة النقص عند الأجنبي



(اقرأ: الخوف من الأجنبي)

جئت إلى هنا سنة 2004 للاستماع إلى رالف نادر، من القادة السياسيين الأمريكيين، ومن أصل لبناني. ترشح لرئاسة الجمهورية باسم الحزب الأخضر، رغم أنه كان من قادة الحزب الديمقراطي. لكنه، بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، وما تسمى "الحرب ضد الإرهاب" التي أعلنها الرئيس بوش الابن، والظلم الذي وقع على العرب والمسلمين، زاد هجومه على بوش. وأيضا، انتقد الحزب الديمقراطي لأن أغلبية قادته أيدت بوش في غزو العراق. وأيضا، انتقد تأييد بوش القوي لإسرائيل.

تحدث نادر إلى جمهور أغلبيتهم من الشباب والشابات، وأغلبيتهم مسيحيون ومسيحيات (وهو المسيحي الارثودكسي). لكنه قال لهم أن سياسة أمريكا المعادية في الشرق الأوسط تهم المسلمين والعرب. ودعا الحاضرين إلى خيارين:

أولا: "التقوقع" و "الوقوع ضحية عقدة النقص".

ثانيا: "الشجاعة لمواجهة الظلم".

وطبعا، دعاهم إلى مواجهة الظلم.

وفي ندوة إقامتها منظمة "إي دي سي" العربية الأمريكية، من اكبر منظمات الأمريكيين العرب في الولايات المتحدة، خلال نفس الفترة، وأيضا تحدث فيها نادر، نوقش موضوع "عقدة النقص". وكانت هناك دعوة شاملة للتخلص منها، وللحصول على الشجاعة لانتقاد أخطاء الحكومة الأمريكية، رغم الفخر بالولايات المتحدة، وبالانتماء لها.

خلفية تاريخية:

إذا كان سيقموند فرويد هو أبو الطب النفسي، فإن زميله الفرد ألدر هو أب الطب النفس الشخصي. (الاثنان يهوديان من النمسا).

كتب فوريد نظريات عامة. وتمرد عليه ألدر، وركز على نفسية الشخص. وفيما بعد أسس جمعية "انديفيديوال سايكلولوجي" (علم النفس الفردي). وشملت دراساته "عقدة النقص"، وصار صاحب العبارة. ومن كتبه: "نيوريتيك كار أكتر" (الشخصية العصبية)

.

وكتب ألدر أن شكوى من أجنبي عاش في فينا هي التي جعلته يتخصص في موضوع "عقدة النقص". كتب: "قال لي أنه يدخل غرفة، وسريعا، يفحص بعينيه المكان. يرى ناسا يلبسون أحسن منه، الرجال في بدلات أنيقة، والنساء في فساتين جميلة. يشربون الشمبانيا والنبيذ، ويأكلون أكلاً راقيا. ويختلطون مع بعضها البعض. كلهم بيض، ويميل لونه إلى اللون الأسمر. قال: منذ البداية، أحس بأني "غريب" و "اقل مكانة." حتى إذا غير ذلك، وحتى إذا أردت أن اختلط معهم، كيف أفعل ولغتي الألمانية ضعيفة؟ أحس أنهم يتهامسون، إن ليس عن مظهري، ولكن عن لغتي الألمانية الضعيفة. لكن، ربما هم عكس ذلك، ربما هم طيبون. لكن، ما هو معنى طيبين؟ هل معناه أنهم يعطفون علي؟ إذا، لابد إنني اقل مكانة، ولهذا هم يعطفون على!"

وسأل ألدر: ما هي عقدة النقص؟ وأجاب: مصطلح يستخدم لوصف الدونية التي يشعر بها الشخص عن نفسه تجاه الآخرين. أنها تدور حول المركز الاجتماعي، والقوة، والأنا، والهيمنة. إنها إحساس بأن الآخرين أفضل، وأرقى، وأكثر حضارة.

وعن الأجنبي الذي كان سأله، كتب بأن البيض الذين دخل عليهم، وفجأة أحس بعقدة النقص، ربما لم يهتموا به لأنهم لم يريدوا، وليس لسبب يتعلق به. وربما هم في الحقيقة كانوا يميلون نحو الصمت، وحديثهم مع بعضهم البعض لم يكن هرج ومرجا، ولكن كان رسميا. وربما حديث النمساويين، حسب طبيعتهم، أقل من حديث الشرقيين (يبدو أن الأجنبي كان تركيا أو عربيا)."

نوعان من الخوف:

قال كتاب "أمريكان نيتيفيزم أند ريسيزم" (الوطنية الأمريكية المتطرفة والعنصرية) أن هناك نوعين من الخوف:

أولا: خوف الأمريكي من الأجنبي.

ثانيا: خوف الأجنبي من الأمريكي.

وربط الكتاب الخوف الأول بما سماه "سيوبريوريتي كومبلكس" (عقدة الاستعلاء)، والخوف الثاني بما أسماه "انفيريوريتي كومبلكس" (عقدة النقص).

وفي هذا، لا تختلف الثقافتان الأميركية والأوربية. صورت عقدة نقص الجانبي في اروونا مؤلفات مثل "أوتسايدر" (الخارجي) التي كتبها البريطاني كولين ويلسون، والتي تحلل نفسية الأجنبي. كتب ويلسون: "غمرني إحساس اللامكان، والانتماء، واللاهوية." وشبه نفسه بشخصية "أندرقراوند مان" (رجل تحت الأرض) في روايات الروسي فيدور ديستوفسكي، لا يقدر على الخروج من تحت الأرض لمواجهة المجتمع الذي يعيش فيه.

وكتب كتاب "الوطنية المتطرفة": "يظهر التوتر النفسي عند الأجنبي بسبب الصراع بين طموحه ليكون مثل الأمريكيين، وبين خوفه من أن يرفضه الأمريكيون (أو، على الأقل، يسحرون منه، أو، على الأقل، لا يهتمون به، أو، على الأقل، حتى لا ينظرون إليه في عينيه)".

يقول البعض أن سبب عقدة النقص هذه هو "استعلاء شخص على آخر." لكن يقول غيرهم أن لها صلة بالخوف، وان السبب هو "الخوف من الفشل."

وهكذا، يتعادل الخوفان: الخوف من الأجنبي، وخوف الأجنبي.

طبيعية، لا بيئية:

ويتفق الجانبان على أن عقدة النقص "طبيعية" وليست "بيئية":

أولا: منذ أول وهلة، يحس الطفل الصغير بضعفه، واعتماده على غيره.

ثانيا: عندما يكبر، يتنافس مع غيره في مجالات مثل: التعليم، والحب، والمال، والأطفال. ويجتهد ليتحاشى أن يكون هو الفاشل والناقص.

ثالثا: ليست عقدة النقص فقط إحساس شخص نحو آخر. يمكن أن تكون إحساس شخص نحو مجتمع، أو نحو دولة (مثل أمريكا العملاقة والمؤثر جدا على الدول الأخرى).

رابعا: ليست عقدة النقص فقط وسط الأجانب. توجد أيضا وسط الأقليات، مثل السود واللاتينيين.

وعن النقطة الأخيرة، كتب حوشوا أوبرقانق، أستاذ علم نفس": "بالنسبة للسود، ليس سهلا نسيان أكثر من مائتي سنة من الرقيق والاستعباد والشنق من فروع الأشجار. حتى إذا تخلص الشخص منها، تبقى في ذاكرة الجماعة، وتؤثر عليها جيلا بعد جيل. وبالنسبة للاتينيين،

ليست هناك خلفية تاريخية عن استعباد. هناك خلفية عن منافسات، لأن الأمريكيين ينكرون أن أمريكا كانت تابعة لغيرهم، سواء الهنود الحمر أو الأسبان، وإنهم أخذوها بالقوة."

الجيل الجديد:

خلال العشرين سنة الأخيرة، بدأ أجانب يتحدثون عن تجاربهم، بدلا من أن يتحدث الأمريكيون عنهم. هؤلاء هم الجيل الثاني من المهاجرين الذين: أولا: ولدوا في أمريكا. ثانيا: أكثر فخرا بأمريكا من أبائهم وأمهاتهم. ثالثا: أكثر شجاعة في النقد (نقد أميركا، ونقد آبائهم وأمهاتهم).

مثل فرانسيس لين (هاجر والداها من الصين) التي كتبت رواية "فور ينار" (الأجنبي). هذه الرواية عن صيني هاجر إلى أميركا، لكنه فشل في الاندماج في المجتمع الأمريكي، وانغلق على نفسه. وعندما أحس بعقدة النقص إمام المجتمع الأمريكي، رفض الاعتراف بان الذنب ذنبه. وحمل المجتمع الأمريكي المسؤولية. قال: "يكرهونني لأني صيني، ولأني بوذي، ولأني لست أنيقا، ولأني أكل اكلآ غريبا، وبدون شوكة وسكين، بأخشاب صينية. يكرهونني لأني لا أتكلم اللغة الإنجليزية مثلهم."

وهكذا، تطورت مشكلة عقدة النقص إلى مشكلة التنصل من المسئولية. ثم إلى مشكلة القناعة بعدم القدرة على حل المشكلتين. وصارت كل المشاكل تدور في دائرة مغلقة.

غير أن صاحبنا حرص على زيارته والدته الكبيرة السن كل أسبوع. وعندما توفيت، وحسب وصيتها، وعلى مضض، حمل رماد جثتها إلى الصين ليدفنه هناك. وهناك قابل أخاه الذي كان افترق عنه قبل أربعين سنة. وعرض أخاه عليه اقتسام ورثة العائلة، والهجرة من أمريكا إلى الصين.

واحتار في الفرق بين ثقافتين:

الأولى: تجعله حرا، يفعل ما يشاء.

الثانية: تعقدها الروابط العائلية والاجتماعية، لكنها تجعله يحس بالانتماء إلى غيره.

وإنهم أخذوها بالقوة."لأن الامرنكرون أن أمريكا كانت تابعة لغيرهم، سواء الهنود الحمر أو الأسبان."أو.اللاتنيين. مثل المكسيك.

شكاوي:

خلال ثمانينات القرن الماضي، اشتكى فرانك سيناترا، من أشهر المغنين الأميركيين، وهو من أصل ايطالي (هو ووالده وجده ولدوا في أميركا). اشتكى بأنه نجح في تحقيق "الحلم الأميركي"، لكن يظل "الايطالي".

وفي رواية، اشتكو أمريكي من أصل أيرلندي أن الثقافة الأمريكية تفصل بين "ألايرلندي الراقي" و "الأيرلندي الخشن"، رغم أن كل هؤلاء مولودون في أمريكا. بل ولد أباؤهم وأجدادهم في أمريكا.

وفي رواية، اشتكى مهاجر من البلقان من معاملة الأمريكيين له، وحذر البلقان ألا يهاجروا إلى أمريكا.

وفي رواية، اشتكت اليهودية انزيا ييزاريسكا من المشاكل النفسية التي يعاني منها اليهود في أمريكا.

وكتب بيتر فريدمان، محامٍ أميركي يهودي، أن أكثر الأمريكيين معاناة لعقدة النقص هم اليهود، وان ذلك لأسباب تاريخية (رغم الثراء والنفوذ السياسي).

وكتب ديمتري كالداموكوف، مهاجر من بلغاريا: "بدأت عقدة النقص عندي في بلغاريا، قبل أمريكا. لمئات السنين، كان البلغار مستعمرين، استعمرنا الأتراك، ثم الروس (باسم الشيوعية). وبعد أن جئت إلى أمريكا، لا أزال لا أقدر على أن أدافع عن صورة بلادي في ذهن الأمريكي. ولا في ذهني. أنا نفسي انظر إلى مواطني البلغار بأنهم متأخرون، وفوضويون، ويسرقون، ويكذبون. كيف أدافع عنهم في أمريكا؟ وكيف يقبلني الأمريكي إذا أنا مصاب بعقدة النفس لأني بلغاري؟"

وبسبب انتشار ظاهرة "هوايتننغ" (تبييض، تفتيح، البشرة)، وخاصة وسط المهاجرات من دول العالم الثالث، زادت إعلانات الشركات المنتجة لهذه البودرات والمراهم. وبعض هذه الإعلانات تتحدث، صراحة، عن أن اللون غير الأبيض من أسباب عقدة النقص وسط الأجنبيات (وغيرهن) في أمريكا.

وفي مقابلة في تلفزيون "سي إن إن"، وخلال جولة في الولايات المتحدة، قالت المغنية "ننتيكا" (والدها نيجيري ووالدتها ألمانية) أنها عانت من عقدة النقص عندما تركت والدها في نيجريا وانضمت إلى والدتها في ألمانيا. وان عقدة النقص أدت إلى الآتي:

أولا: "أنكرت أنني نيجرية، وكرهت تراثي الإفريقي، وشعري الإفريقي الكثيف."

ثانيا: "كيف أقدر على الدفاع عن نيجريا، وكل أسئلة الناس عنها هي عن الفساد والفوضى والبدائية؟"

ثالثا: "لم تقل عنصرية الألمان لي لأن والدتي ألمانية، ولأني حصلت على الجنسية الألمانية."

لكن، قلت مشاكلها بعد أن ركزت على الإفريقية في أغانيها. وبعد أن عبرت عن غضبها في بعض الأغاني ("مثل غضب الأميركيين السود"). وبعد أن شاهدت الألمان يرقصون على نغمات أغانيها ("ولا يهتمون لكلمات الأغاني").

وكتب عمير حيدر، مهاجر من باكستان: "ليست هي فقط مشكلة عقدة النقص، أو الاستعلاء، وسط الأجانب. لاحظت أن الأجانب أنفسهم ينقسمون إلى مصابين بعقدة نقص، ومصابين بعقدة استعلاء. الذين جاءوا قبل غيرهم يستعلون على الذين جاؤوا بعدهم. وصار الذين جاؤوا بعدهم يواجهون عقدتي نقص: بسبب هؤلاء، وبسبب سكان البلاد البيض."

وكتب مهاجر من أكوادور (في أمريكا اللاتينية) وهو من "ميستيزو" (الهنود الحمر): "انتقلت عقدة النقص معي من أكوادور إلى أمريكا. يستعلى على المهاجرون البيض الأكوادوريون في أمريكا. لكن، كلنا الأكوادوريون، هنود حمر وأسبان بيض، نعاني من عقدة النقص أمام المهاجرين من دول لاتينية متحضرة أكثر، مثل المكسيك. ويعتقد المهاجرون من الأرجنتين أنهم الأحسن. لكن، كلنا نعاني عقدة النقص أمام الأمريكي."

وكتب اندي لي، مهاجر من الصين: "أعتقد أن الأسيوي في أمريكا يعاني عقدة النقص أكثر من أقليات أخرى، مثل: السود، واللاتنيين. هؤلاء يركزون على الدين والعائلة، وكثرة العدد. لكن، كلنا نعاني من عقدة النقص أمام الأمريكي الأبيض، وحتى أمام الأمريكية البيضاء."

وكتب جوزيف جحا، روائي أميركي من أصل لبناني، في روايته "قصص توليدو" (في ولاية ميشيقان، حيث أكبر جالية عربية في أمريكا) عن عقدة النقص وسط الأمريكيين العرب، ناهيك عن وسط المهاجرين الجدد.

في القاعة الوطنية للفنون (واشنطن) : الإحباط



(اقرأ: الفردية)

(اقرأ: سيطرة العقلانية)

(اقرأ: غياب العاطفة)

جئت، في سنة 2008، إلى "ناشونال قالاري اوف أرتز" (القاعة الوطنية للفنون)، وهي واحدة من سلسلة متاحف "سميثونيان" التي تقع في "ناشونال مول" (الميدان الوطني)

بالقرب من مبنى الكونغرس. جئت لمشاهدة أول معرض في الولايات المتحدة عن "دادا"، فن الإحباط (الاكتئاب، الكآبة) الذي بدأ في أوروبا خلال الحرب العالمية الأولى (1914-1919).

كانت حروب أوروبا قبل ذلك حروب فرسان، ودروع، وراجمات. لكنها، مع الحرب العالمية الأولى صارت "حربا حديثة"، اشتركت فيها دبابات ومدرعات وطائرات. لهذا، كانت الحرب العالمية الأولى مرحلة انتقالية من الحروب التقليدية إلى الحروب التكنولوجية. من الشخص إلى الماكينة، من الموت بطعنة سيف إلى الموت برصاصة، من الموت الفردي إلى الموت الجماعي.

لهذا، اعتقد الأوروبيون، عندما بدأت الحرب العالمية الأولى، أنها ستكون قصيرة. وستكون "الحرب التي أنهت كل الحروب". وسموها "الحرب العظمى". لكنها استمرت خمس سنوات، وكانت بطيئة، وخندق جنود متحاربون في خنادق لسنوات. وقتلت قرابة أربعين مليون شخص (رقم قياسي في الحروب، حتى ذلك الوقت).

دمرت الحرب الدول الأوروبية، المنهزمة والمنتصرة. ولم تنه كل الحروب. وضاعفت المشاكل بدلا عن حلها. وساد أوروبا الإحباط.

وكانت الحرب العالمية الأولى، أيضا، مرحلة انتقالية بالنسبة للفن الأوروبي. سبقها الفن الرومانسي: فن الطبيعة، والجمال، والحب العذري. وجاء بعدها فن الحياة اليومية والصناعة والتجارة. وانتقلت أوروبا من الفن الرومانسي إلى الفن العملي.

وظهر نوعان من الأدباء والفنانين:

أولا: غاضبون (لأنهم شاهدوا القتل والدمار في كل مكان).

ثانيا: متشائمون (لأنهم اعتقدوا بأن التكنولوجيا الجديدة لن تنقذ الإنسان من نفسه).

تجمع عدد كبير من هؤلاء في مقاهي باريس، وزيورخ، وبرلين (وحتى في نيويورك). لكن نقطة تجمعهم وتمردهم كانت "كباريه فولتير" في زيورخ، بعد أن هربوا إلى سويسرا المحايدة، والتي لم تتأثر بالحرب كثيرا. ينشدون، ويغنون، ويتناقشون.

"كباريه فولتير":

خلال سنوات الحرب الأولى، كانت قصائد وأغاني الكباريه عن الوطنية، والنصر، والسلام، والحب. وعندما طالت الحرب، تحولت إلى انتظار الحبيب، والحزن على وفاته. وعندما انتهت الحر، وعم الخراب، تحولت إلى تشاؤم واكتئاب، صورته أغنية قالت: "فشل عصر الإحباط هذا في أن يكسب احترامنا".

وظهرت مجلة "فولتير دادا" التي نشرت "مانفستو (بيان) دادا"، والذي قال: "هذه مجرد كلمة ترمز إلى حركة عالمية جديدة. كل شيء يمكن أن يكون "دادا": نحن، ألمانيا، علم النفس، الأدب، أصدقاؤنا، زوجاتنا." وأضاف المانفستو: "ماذا نريد؟ نريد أن نغرس عقولنا في أعماق الشيء الذي نتحدث عنه، بدلا من أن ندور حوله. نريد أن نكون صريحين مع أنفسنا، ومع الآخرين."

وقال مراسيل جانكو، من قادة الحركة: "فقدنا الثقة في ثقافتنا. لابد أن ندمر كل شيء، ونبدأ من جديد. لابد أن نتمرد على عقولنا، والرأي العام، والتعليم، والمؤسسات. باختصار، لابد أن نتمرد على كل شيء."

"دادا":

وهكذا ظهرت فنون وآداب "دادا". لتعكس أحاسيس المثقفين المتمردين في عصر الإحباط. لتعكس غضبهم على الارستقراطيين والبرجوازيين وأغنياء الحرب الذين بدأ لهم وكأنهم الفئات الوحيدة التي استفادت من الحرب العالمية الأولى. وتحول "دادا" من اجتماعات وندوات متمردة إلى ثقافة متمردة كاملة: شعرا، ورواية، ومسرحا، وفنا.

لماذا سمي "دادا"؟

سال، في سنة 1916، فنان زميله في "كبارية فولتير" في زيورخ في ألمانيا: "ماذا نسمي هذا الفن المتمرد؟" أجاب زميله "نخلق له اسما". واخذ زميله سكين طعام كانت على المائدة أمامه، واخذ قاموسا فرنسيا ألمانيا كان على المائدة أيضا، وقال: "سأغرس هذه السكين في هذا القاموس، ونختار الكلمة التي سيغرسها السكين."

وكانت الكلمة هي "دادا" (حصان باللغة الفرنسية). لكن معنى الكلمة لم يكن هاما مادامت الكلمة عشوائية تعبر عن تمردهم.

من زيورخ، انتقلت ثقافة الإحباط إلى برلين. وظهر "نادي دادا"، وصدرت مجلة "دير دادا"، وشعارها: "كرة قدم لكل رجل؟ أو كل رجل كرة قدمه؟" وانتقل نفس الفن إلى نيويورك، وظهرت مجلات مثل "نيويورك دادا" و "الرجل الأعمى" و "خطأ في خطأ." وهكذا أصبح "دادا" الأساس الذي قام عليه، خلال العقود التالية، الفن السيريالي، والفن الشعبي "بوب"، والسينما التعبيرية، والموسيقى المستقبلية.

جنون أو عبقرية؟:

وانقسم المثقفون بين معارض ومؤيد لفن "دادا".

في جانب، قالت مجلة "أميركا آرت" أنه "حثالة الفكر الإنساني." وقال كاتب أميركي أنه "لا يفرق بين الإنسان وفرشة الأسنان." وقال آخر أنه "فن مجنون لانتحار جماعي."

وفي الجانب الآخر، قال كاتب ألماني "هذا إعصار يدمر كل شيء في طريقه." وقال آخر أنه "تمرد على العالم الذي لا يكاد يشبع من التقزز."

في ألمانيا خاصة، لم يكن "دادا" فقط فنا وأدبا. صار برنامجا سياسيا بعد هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى. وانتقد شروط استسلام ألمانيا المجحفة (بقيادة فرنسا). وكان من الأسباب التي قادت إلى ظهور هتلر، وحملته ضد اليهود.

ولا يذكر فن "دادا" ألا ويذكر تصميم "فاونتين" (النافورة). وهو أصلا مكان للتبول. لكن، سال مصممها: "هل هناك فرق بين الميدان العام والمرحاض؟ هل هناك فرق بين النافورة ومكان التبول؟ بين العام والخاص؟" وأجاب على أسئلته: "الخاص الطبيعي اصدق من العام الصناعي. لكننا نخفي الخاص ونظهر العام."

انتقد فنانون ومثقفون محافظون التصميم في ذلك الوقت، وظلوا ينتقدونه حتى الآن. لكن لجنة فنية عالمية في لندن أعلنت، في بداية القرن العشرين، أن تصميم "النافورة أهم قطعة في الفن الحديث."

لوحات "دادا":

بالإضافة إلى "النافورة"، صورت لوحات وقطع المعرض الذي شاهدته في واشنطن الإحباط. ومنها:

أولا: "عريس وعروس برجوازيان": امرأة كشفت عن ساقيها، ورجل أخفى وجهه بيديه.

ثانيا: "القناع": رجل أخفى عينا وكشف الأخرى، وتبسم من جانب فمه، وغضب من الجانب الآخر.

"عارية تنزل على السلم": كان الفرنسي مارشيل دوشانب رسم لوحة فيها امرأة عارية تنزل على سلم. لكنه، في عصر الإحباط، رسمها مرة ثانية في صورة خطوط وظلال ليس لها أي معنى تقليدي.

ثالثا: لوحة "موناليزا" المشهورة، وعلى وجهها شارب وذقن.

رابعا: "معوقات": ستون حمالة ملابس خشبية علقت وكأنها معوقات حقيقية ترمز إلى اعتذارات الناس، وأعذارهم، وحججهم الواهية.

خامسا: "عارية تنزل على السلم": كان الفرنسي مارشيل دوشانب رسم لوحة فيها امرأة عارية تنزل على سلم. لكنه، في عصر الإحباط، رسمها مرة ثانية في صورة خطوط وظلال ليس لها أي معنى تقليدي.

سادسا: "بدون اسم": قطعة معدنية ثقيلة وعملاقة، صممتها الفنانة صوفيا توبر. تعمدت الفنانة ألا تصمم شيئا أنثويا من قماش أو حرير، وان تصمم شيئا رجاليا، وكان ذلك، في حد ذاته، دليلا على تمرد المرأة في ذلك الوقت. ثم أضافت اسم "بدون اسم" رمزا لمزيد من التحدي والتمرد على سيطرة الرجل (الذي كان يتوقع شيئا جنسيا مثيرا في اللوحة).

أدب "دادا":

في المعرض، بالإضافة إلى فن الإحباط، هناك أدب الإحباط ، مثل:

أولا: كتب فرانسيس بيكابيا: "نحن لا شيء، ولا نحس بأي شيء. آمالنا لا شيء، وأحلامنا لا شيء، ومستقبلنا لا شيء."

ثانيا: كتب ترسدان تزارا: "يتهموننا بأننا غير متجانسين. لكن كل شيء غير متجانس."

ثالثا: كتبت مارغري ريكس: "سيلحق بك التمرد وان هربت منه."

رابعا: كتب بيرت شوتزقر: "تحطم كل شيء، ولابد من أشياء جديدة."

خامسا: أوصى مان راي أن يكتب على قبره: "لم يكن يهتم بما حوله، لكنه كان يتابعه."

حرب العراق:

واحدة من غرف معرض "دادا" في واشنطن عكست الإحباط الذي سببته الحرب العالمية الأولى. وفي الغرفة صور جندي مقتول، وكمام غاز لطفل، ويد مقطوعة من البلاستيك عليها بقايا دم، وجندي بدون رأس، وجندي اختفى نصف وجهه، ورجل بأنف صناعية. وكتب مراسل مجلة "واشنطن سيتي بيبر" (الصغيرة التقدمية) أن هذه الغرفة "يمكن أن تسمي غرفة حرب العراق." وقال: "الذين أعدوا هذا المعرض إلى واشنطن لا يريدون فقط أن يذكرونا بالماضي، وبمآسي الحرب العالمية الأولى. يريدون أيضا، وهذا هو الأهم، أن يربطوا الماضي بالحاضر. "دادا" لم يمت بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، ولا الثانية، ولا حرب كوريا، ولا حرب فيتنام. "دادا" عاش معنا قرابة مائة سنة ليشهد حرب العراق." ونصح مراسل صحيفة "واشنطن بوست"، بعد أن زار المعرض، كل من يزور المعرض أن "يتذكر سجن أبو غريب". واقترح على زوار المعرض أن يعبروا عن إحباطهم وتمردهم، وذلك بالآتي:

أولا: "يلبس كل رجل بيجامة نسائية وردية، وأحذية عسكرية، ويضع على صدره حمالة نهود كانت ترتديها جدته."

ثانيا: "تلبس كل امرأة سروالا رجاليا كان يرتديه جدها، وترسم شاربا وذقنا على وجهها" (مثل لوحة "موناليزا المتمردة" في المعرض).

تحديث:

الاكتئاب الأمريكي الجديد:

في سنة 2012، ومع نهاية الاحتلال الأمريكي للعراق، وقرب نهاية الاحتلال الأمريكي (وحلف الناتو) لأفغانستان، بدأت تظهر آداب وفنون عن الكآبة التي حلت بالأميركيين، بصورة عامة، بعد هجمات 11 سبتمبر سنة 2001، وبعد إعلانهم ما يسمونها "الحرب ضد الإرهاب"، وبعد موجة "إسلاموفوبيا" التي ترهبهم حقيقة. وبعد قتلهم ربع مليون شخص في العراق، وربع مليون آخرين في أفغانستان، وباكستان، والصومال، واليمن (والآن دول الصحراء الإفريقية). وبعد تعاونهم مع حكومات أخرى تقتل وتعذب المسلمين في الفليبين، والشيشان، وسيكيانق. بل حكومات في دول إسلامية تقتل وتعذب مسلمين.

يمكن القول أن الاكتئاب الأميركي الجديد خليط من عوامل كثيرة:

أولا: فشل ما سماها الأمريكيون "الحرب ضد الإرهاب". توسع ما سماه الأميركيون "القاعدة والمرتبطين بها." وانتقلوا من أفغانستان إلى باكستان، واليمن، والصومال، والآن في دول الصحراء الإفريقية.

ثانيا: يعيش الأمريكيون حالة إنكار لما ارتكبوه في حق المسلمين الذين قتلوهم، واعتقلوهم، وعذبوهم، واحتقروهم، وأساؤوا اليهم.

ثالثا: يخاف الأمريكيون، حقيقة، من الإسلام والمسلمين، "إسلاموفبيا." والحمد لله.

رابعا: لا يفهم الأمريكيون إبعاد "ربيع العرب." وهم محتارون بين اعتباره حرية وديمقراطية، وبين اعتباره "لايت تيروريزم" (إرهاب خفيف).

خامسا: يظهر إحساس بالذنب وسط الأمريكيين، خفي لا يعلن، لكنه لا يخفى. فجأة، واجهوا دينا لم يكونوا يعرفونه. واتهموا الدين بالإرهاب. وقتلوا أتباع الدين، واعتقلوهم، وعذبوهم. ولا يزالوا لا يعرفون هل هو دين إرهابي؟ أو هو خاتم الأديان والرسالات؟

تقصير الصحفيين:

عندما بدأ عصر الكآبة، بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، اتهم مثقفون الصحفيين بأنهم لم ينقلوا الصورة الحقيقية للحرب. قالوا أن الصحفيين كانوا ينقلون أرقام القتلى، وتصريحا السياسيين. ولم يهتموا كثيرا بموضوعين:

أولا: الصورة الكبيرة لخلفية الحرب التي كانت، في الحقيقة، حلقة أخرى من حلقات صراع تاريخي وإستراتيجي مستمر.

ثانيا: العوامل النفسية، متمثلة في أحاسيس الجنود الذين حاربوا وقتلوا.

والآن، مع اقتراب نهاية الحروب الأمريكية ضد المسلمين، أو، على الأقل، احتلال أمريكا لبلاد المسلمين، يواجه الإعلام الأمريكي نفس النقد. نقل الحروب الأمريكية بلغة الأرقام: عدد الضحايا، والميزانيات العسكرية، ونوع الأسلحة، وعدد الجنود. لكن، لم يهتم الإعلام الأميركي بشيئين:

أولا: الصورة الكبيرة.

ثانيا: العوامل النفسية.

قصر الصحفيون، وتولى الروائيون والفنانون التعويض عن التقصير. في الحالتين: الحرب العالمية الأولى، والحرب ضد الإرهاب.

من بين الروايات التي كتبها أمريكيون عن هذه الكآبة الأمريكية الجديدة:

أولا: "بيلي لين" التي كتبها بنجامين فاونتين.

ثانيا: "يالو بيردز" (الطيور الصفراء) التي كتبها كيفين باورز.

ثالثا: "فوبيت" التي كتبها ديفيد أبراهام.

رابعا: "فايار اند فورقيت" (اقتل وانسى) التي كتبها هنري جونسون.

خامسا: "اليفين ديز" (احد عشر يوما) التي كتبتها ليا كاربنتر.

"الطيور الصفراء":

قال باورز، مؤلف رواية "الطيور الصفراء" أنه كتب روايته، وأن آخرين يكتبون روايات عن حروب أميركا الخارجية بعد هجمات 11 سبتمبر سنة 2001، "لان الصحفيين فشلوا في شرح إبعاد هذه الحروب."

وقال: "ليس صدفة أن رواية "الطيور الصفراء" نجحت، ونالت أكثر من جائزة. إنها تساعد الأمريكيين على فهم ما حدث أكثر مما قدم لهم الصحفيون. من أسباب كتابتي لهذه الرواية هي أسئلة الناس: كيف الحرب؟ ما هو إحساس الأمريكي وهو يحارب؟ كيف يقتل الأمريكي العدو؟ من هو العدو؟"

وقال: "لم تكن مشكلة الحرب هي نقص المعلومات. قرأنا صفحات وصفحات، وشاهدنا فيديوهات وفيديوهات. لكن، كانت مشكلة الحرب هي أن الناس يريدون أن يحسوا بها. وكيف أثرت على الجنود، ليس فقط جسمانيا، ولكن، أيضا، عقليا ونفسيا."

خوف وقلق:

وكتب بول هاريس، صحفي بريطاني يراسل صحيفة "قارديان" من نيويورك "مثلما في كل روايات عن الحروب الكبرى، تجربة الجنود الشخصية (جسمانية، ونفسية) تصور تجربة الدولة (جسمانيا، ونفسيا)."

وقال: "لابد لقارئ مثل هذه الروايات أن يربط بين وعد الحكومة الأميركية، وعدم محافظتها على وعدها. لم تنفذ وعد أن كل شيء سيكون سهلا، وان الهدف سيتحقق." وقال: "مع نهاية عقد من الحروب، يجد الأمريكيون الوقت ليتأملوا. انتهت مرحلة الصحفيين، ونقل أخبار الحرب، وجاءت مرحلة الأدباء والفنانين. انتهت الخطط، والأرقام، والأخبار اليومية، وجاءت مرحلة الانفعالات العاطفية. هذا خليط من حزن، وغضب، وإدانة، وحيرة، وخوف."

وقال جونسون، مؤلف رواية "اقتل وانسى": "ليست صدفة أن روايات الحرب بدأت بعد نهاية الحرب. نحتاج لبعض الوقت لنتأمل، ثم نكتب. أرهقتنا عناوين الصحف ونشرات الأخبار في التلفزيون، يوما بعد يوم، نشرة أخبار بعد نشرة أخبار. دبابات، وطائرات، وقتلى، ودمار، وخراب. نريد أن نتنفس قليلا، ثم نكتب."

في رواية "اقتل وأنسى" قصص شخصية عن جنود أمريكيين: واحد قتل طفلا عراقيا، وواحد عاد إلى أمريكا وذهب إلى "مول" (مركز تجاري)، وشاهد عربا يتكلمون بلغة عربية، وارتبك، وواحد عاد إلى أمريكا، وسأل أصدقائه: "ما هو معنى ما فعلت في العراق؟"وقالت مارقوت نوريس، أستاذة الأدب في جامعة كليفورنيا، والتي كتبت عن روايات ما بعد الحروب، منذ الحرب العالمية الأولى: "نعم، جاء وقت كتابة الروايات عن الحرب بعد نهاية الحرب. لكن، سيكون ذلك قاسيا على الشعب الأمريكي."

"بول شيت":

وتتحدث رواية "بيلي لين" ليس عن تجربة الجنود الأمريكيين وهم يحاربون في العراق (وغيره)، ولكن تجربة الجنود الذين عادوا. وفيه قصص إحباط، واكتئاب، وكآبة. وقال بنجامين فاونتين، مؤلف الرواية: "بسبب هجمات11 سبتمبر، غزونا دولة لا صلة لها بهجمات 11 سبتمبر."

وقال: "هناك إحساس عام بالحزن في هذه الروايات. هناك مناخوليا تفزع وتخيف. لكن، لا توجد روايات عن ما بعد الحزن، عن الدروس المستفادة." وقال: "أنا نفسي، صرت ضحية الغضب. وهذا هو ما جعلني اكتب هذه الرواية. ربما الذين سيكتبون بعدي، سيكتبون عن الدروس لأولادنا وأحفادنا."

ووصف حرب العراق بأنها "بول شيت وور" (حرب براز البقر). وقال: "قرأت رواية هومر عن حرب طروادة. قرأت عن حشد الجنود للانتقام بسبب خطف هيلين، زوجة الملك منالوسس، ملك طروادة. قرأت عن لماذا ضحى الآلاف بأرواحهم لن امرأة خطفت. قرأت عن الحزن والاكتشاف الذي عاناه الجنود وهم عائدون إلى وطنهم. لماذا حاربنا؟ لماذا قتلنا؟ لماذا قتلنا؟"

وقال: اعتقد أن حرب طروادة أيضا كانت "بول شيت وور" (حرب براز البقر)."

فندق «مايفلاور» (واشنطن العاصمة) :

ذواقو الطعام والشراب



(اقرأ: عشاء البيت الأبيض)

(اقرأ: قمة الترفيه)

(اقرأ: حب الشكولاته)

في سنة 1985، جئت إلى فندق "مايفلاور" في واشنطن العاصمة، واحد من أكبر وأفخم فنادقها، لحضور مؤتمر "لا كلوب دا جيف دا جيف" (نادي طباخي الطباخين العالمي). هذا نادي يجع طباخي الملوك والرؤساء. وفي مؤتمر واشنطن، كان طباخ الرئيس الأمريكي رونالد ريغان رئيس النادي، ويتبادل الطباخون الرئاسة حسب الدولة التي يعقدون فيها مؤتمراتهم السنوية.

وكان جزءا من المؤتمر إعداد الطهاة أطعمة ومشروبات ليتذوقها الأعضاء، والصحفيون الذين دعوا لحضور المؤتمر. وكنت أنا، كمراسل لصحيفة سعودية، واحدا منهم، لأن الطباخ الخاص للأمير عبد الله بن عبد العزيز أل سعود اشترك في المؤتمر.

داخل الفندق،عرفت أن هناك مؤتمرا آخرا: الاتحاد الأمريكي لذواقيي الطعام والشراب. واستغربت للصدفة: مؤتمر طباخين ومؤتمر ذواقين.

قضيت أكثر الوقت في المؤتمر الثاني حيث كان الذواقون يتذوقون مختلف أنواع الطعام والشراب (ويسمحون للصحفيين بالأكل والشرب ليكتبوا عن المؤتمر). وأيضا، لأني، طبعا، أعرف عن مهنة الطباخين، لكني لم اسمع من قبل بمهنة اسمها تذوق الطعام.

وفي وقت لاحق، حضرت تجمعات صغيرة في واشنطن أقامها أعضاء في الاتحاد المحلي للذواقين. وبدأت ادرس، واجمع معلومات عن، هذه المهنة التي لا يرفضها أحد، أو، على الأقل، لا يرفضها الذي يحب أن يجرب مختلف أنواع الأكل والشراب، مثلي.

خلفية تاريخية:

فن التذوق قديم قدم الأكل. لكن مهنة التذوق بدأها ملوك وحكام اهتموا بالأكل الراقي، والأنيق، والشهي.

وهناك حكام خافوا من أن يسممهم أعداؤهم أو منافسوهم (أو زوجاتهم أو عشيقاتهم)، فاستأجروا ذواقة يتذوقون الطعام، ويأكلونه مسبقا. واستعمل الأكثر إنسانية الكلاب والقطط.

وزاد الاهتمام بنوعية الأكل مع تصنيع، وتعبئة، وتصدير الأطعمة. في الماضي، كان الطعام يذهب "من المزرعة إلى الصحن". لكنه صار أكثر تعقيدا.

ونشرت مجلة "فود تكنولوجي" (تكنولوجيا الطعام) أن شوربة الدجاج، مثلا، كانت، في الماضي، تعد في ثلاث مراحل: تربية، وذبح، وطبخ. لكن، في الوقت الحاضر، تشترك في المراحل أكثر من عشرين شركة من شركات: التربية، والتغذية، والتعبئة، وصناعة العلب، وطباعة المعلومات، ونقل الصناديق، والدعاية، والبيع، إلخ ...

وقالت المجلة أن شركات الطعام هي أكبر مخدم في أمريكا. ومثل إعداد شوربة الدجاج، مجرد إعداد ساندوتش "هامبيرقر" صار معقدا، وتدير كل مرحلة شركات مختلفة: رعي، وإنجاب، وتسمين، وذبح، وتقطيع، وتجميد، وتعليب، ونقل، وطبخ، وشواء، وغلي، إلخ ...

وصارت نوعية الطعام علمًا قائمًا بذاته، ويدرس في الجامعات، وينال الناس فيه شهادات ماجستير ودكتوراه. وصار الهدف ليس فقط إعداد طعام شهي، ولكن، أيضا، طعام منظره جميل، وألوانه مختلفة، ومزخرف، وموضوع في أوانٍ جميلة وأنيقة. وصار للطعام والشراب ذواقون وشماmون. وفتيات جميلات يقدمن إعلانات عن الأطعمة والمشروبات في الصحف، والتلفزيونات، واللافتات، والملصقات.

اتحاد الذواقين العالمي:

يجمع كثير من الذواقين "اتحاد الذواقين العالمي"، وله فروع في قرابة مائة دولة.

وتقول ديباجة الاتحاد: "هدفنا هو استهلاك الطعام والشراب استهلاكا مسؤولا وصحيا، مع الاستمتاع به." معنى هذا أن الاتحاد يريد التقليل من انطباعات الناس عن مهنة الذواقة بأنها ترمز لإغراء الأكل والشراب، وترمز للترف المبالغ فيه في الحياة الأمريكية.

وتحوي مجلة الاتحاد "تيسترز جورنال" مواضيع عن فن التذوق، ومؤتمراته، ونشاطات أعضائه. وقالت أن شهر فبراير هو شهر "النساء الذواقات"، وذلك في منافسات عالمية يتذوقن فيها: كولا، وعصير، وبيرة، ونبيذ، وحتى ماء (المعبأ في زجاجات). وإن هناك أهدافا وراء إشراك النساء في اختبارات التذوق:

أولا: يوجد غرام عام برؤية نساء "مثيرات" يتذوقن الأكل أو الشراب.

ثانيا: نفي نطباعات بأن النساء فقط يطبخن، والرجال فقط يأكلون.

ثالثا: أثبتت أبحاث علمية بأن تذوق المرأة أكثر دقة من تذوق الرجل.

وكتبت المجلة عن منافسات تقدم فيها ميداليات ذات مراتب مختلفة: برونزية، وفضية، وذهبية، وماسية.

وتنشر المجلة صفحات إعلانات لشركات تريد ذواقين وذواقات:

مثلا: إعلان من شركة تذوق لاختيار مجموعة "تعمل أربعة أيام كل أسبوع، من التاسعة صباحا إلى الثانية عشر صباحا. لا خبرة مطلوبة. تدريب بدون مقابل. ومرتبات مغرية."

مثلا: إعلان من إدارة الطعام والأدوية الفيدرالية الأميركية (إف دي أيه) يطلب الآتي: "مساعدو علم الطعام، وتطوير إجراء أبحاث في هذا المجال. حسب قوانين إف دي إيه. عن لون، وطعم، ورائحة مواد غذائية. وتشمل تحليلات في معامل، وباستعمال كمبيوترات، وأجهزة تكنولوجية. وفي أجواء صحية متشددة. ويفضل الذين عندهم خبرات سنتين أو ثلاث سنوات في مجال العلوم التطبيقية، وخاصة في مجال الأغذية ... والمرتبات حسب السلم الفدرالي ... "

قضايا الذواقين:

من قضايا ذواقي وذواقات الطعام والشراب:

في البرازيل: غرمت محكمة شركة "أمبيف" لصناعة البيرة خمسين ألف دولار تعويضا لهوزي باسيلا، الذي كان يعمل ذواق بيرة في المصنع. قال أن وظيفته جعلته مدمن كحول لأنه كان يشرب ("يتذوق") كل يوم، ولمدة عشر سنوات، ليترًا ونصف ليتر من البيرة. لكن، قالت الشركة إنه كان مدمنا قبل أن يعمل في الشركة. لكن، لم يقنع ذلك المحكمة.

في بريطانيا: أعلن مصنع بيرة أنه سيدفع مرتبات مغرية لنساء ليعملن ذواقات. وقال مدير المصنع: "أولا: أوضحت التجارب أن حاسة تذوق المرأة أقوى من حاسة تذوق الرجل. ثانيا: لا تحب المرأة البيرة مثل الرجل، ولهذا لن تشرب أكثر مما تريد أن تتذوق."

في اليابان: أجريت تجارب عن تذوق كبار السن للمأكولات والمشروبات. وذلك بهدف صناعة مواد تناسبهم. ووضع العلماء داخل فم كل واحد من المتطوعين ثلاثة أجهزة: جهازا لقياس قوة المضغ، وجهازا لقياس التركيبة الكيماوية للطعام، ومكرفونا لقياس حركة الفك وهو يمضغ.

في ويلز: قدمت جمعيات مزارعين رواتب مغرية لذواقة طعام فرنسيين. ونقلتهم إلى بريطانيا لتذوق لحم البقر، كجزء من دعاية لأبقارهم، بعد وباء أصاب أبقارا بريطانية، وأجبر حكومة فرنسا على وقف استيراد لحوم الأبقار من هناك.

تذوق الشكولاته:

لكن، لا يشتهر تذوق شيء مثل تذوق الشكولاته.

وكانت شركة بريطانية أعلنت مسابقة لاختيار أطفال لتذوق الشكولاته. براتب ثلاثة آلاف جنيه إسترليني كل شهر لكل واحد. وشملت الوظيفة السفر إلى دول لاختيار أفضل حبوب الشكولاته، ولتذوق الشكولاته في متاجر الشركة، بمتوسط نصف رطل كل يوم.

لم تحدد الشركة شروطا للتذوق. واختارت الأطفال حسب إجاباتهم على أسئلة مثل: من أي شجرة تستخرج الشكولاته؟ متى صنعت أول قطعة شكولاته؟ أي شعب يأكل أكثر شكولاته؟ أي حضارة قديمة استعملت الشكولاته كعملة؟

وربما لا يوجد كثير من الناس يعرفون عن مذاق الشكولاته مثل جنيفر كوين، مديرة قسم الإبداع في شركة "قودايفا" الأميركية للشكولاته. درست في كلية للشكولاته في مونتريال، في كندا. وسئلت: "كيف تتذوقين الشكولاته؟" وأجابت:"أولا: الطعم. ثانيا: الشكل اللامع والملمس الناعم. ثالثا: شم الأرنب." ما هو "شم الأرنب"؟ قالت: إن الأرنب يشم سريعا وعميقا. وان ذلك هو سر نجاحها.

وقالت: "هناك شرط أساسي للتذوق والشم، وهو الضمير الواعي. كيف تعتمد أي شركة على أي إنسان لا يكون صادقا؟ وكيف تعرف أنه لا يجامل، ولا يكذب، ولا يبالغ؟"

تذوق اللحوم:

وكل سنة، تقام مسابقة لاختيار ذواقين للحوم في شعبة علوم الأغذية في جامعة شابمان (ولاية كليفورنيا).

يجلس شخص على كرسي، في غرفة نظيفة وكأنها غرفة عمليات جراحية، بعد أن يرتدي ملابس واقية وكأنه جراح. ثم تنفتح نافذة جانبية، ويقدم له صحن فيه قطعة لحم. يشمها، ثم يلمسها بطرف صباغه، ثم يمضغها في بطء، ثم يبصقها. ويدون، مع كل خطوة، رقما على ورقة أمامه.

وقال د. فرد كومبراسو، مدير الشعبة: "نختارهم مثلما نختار اللاعبين الرياضيين. وندربهم مثلما ندرب متنافسين للألعاب الاولمبية."

وقال أريك ستاينبيرقر، خبير تذوق في نيويورك، أن معاهد الأغذية وأقسام الاقتصاد المنزلي في بعض الجامعات الأمريكية صارت تهتم بتدريس التذوق، لأسباب منها:

أولا: تطورت صناعة الطعام بسبب التطور العلمي والتكنولوجي.

ثانيا: فتحت العولمة الأبواب أمام أطعمة غريبة من دول بعيدة لا يعرفها كثير من الأمريكيين.

ثالثا: زادت موجة الثراء (في الغرب والشرق) الاهتمام بالتذوق والتأنق.

وقال خبير التذوق أن شركات ومصانع كثيرة تفضل ذواقة من خارجها خوفا من أن الذين يعملون فيها ربما يجاملون رؤساءهم، أو يبالغون في الثناء على مصنوعات الشركة.

وقال: إن رواتب الذواقة في هذه الشركات والمصانع تبدأ بثلاثة آلاف دولار في الشهر للخريج الجامعي الجديد. وتصل إلى ستة آلاف دولار للمسؤول. والى أكثر من ذلك لكبار المسئولين التنفيذيين.

وقالت آن هولنقويرث، مديرة معهد تكنولوجيا الطعام في شيكاقو: "تستعمل شركات كبرى ذواقة، من داخلها، أو من خارجها. مثل: ماكدونالد للساندوتشات، وسارا لي للفطائر، وباسكن روبنز للآيس كريم، ونيستل للشكولاته، ولبتون للشاي."

وقال خبير تذوق آخر أن التذوق لا يقتصر على شركات الطعام والشراب. وان شركات الأدوية والصيدلة، مثلا، تستخدمهم: رجالا ونساء، وكبارا وصغارا. (مثلا: لتذوق أدوية أطفال سائلة بطعم الشكولاته. أو تذوق حبوب منع الحمل بطعم الفراولة).

أنواع الذوق:

قال سيدني مينتز، أستاذ علم الأجناس في جامعة جونز هوبكنز (ولاية ماريلاند)، أنه ليس سرا أن مشروبات أمريكية (مثل "كوكا كولا"، ومأكولات أمريكية مثل "هامبيرقر") انتشرت في كل العالم، لأن "طعمها لذيذ." وقال: "نحن ربما أول شعب في التاريخ يوظف ناسا لا عمل لهم سوى أن يأكلوا ويشربوا، ثم يكتبوا آراءهم في ما أكلوا وما شربوا."

قال ذلك في كتاب: "تذوق الطعام: تذوق الحرية: رحلة إلى داخل الأكل، والقوة، والماضي."

وقال أن الذوق أربعة: حلو، ومر، وحامض، ومالح.

ومؤخرا، أضاف علماء الطعام نوعا رابعا: "أومامي"، ويعني "لذة" في اللسان، خاصة لذة اللحم والجينة (ربما بسبب الشحم والزيت).

وأكد الكتاب تفوق النساء على الرجال في القدرة على التذوق.

وأضاف بأن الأفارقة والأسيويين يتفوقون على الأوروبيين في ذلك، أيضا. وتوجد، وسط كل شعب، نسبة الربع التي لا تقدر على أن تفرز بين ذوق وذوق. ونسبة النصف متوسطة الذوق، ونسبة الربع من نوع "سيوبر تيسترز" (ذواقون عظماء).

ولم يستطع علماء الطعام، حتى الآن، تفسير ذلك.

خلايا التذوق:

بفضل تقدم العلم والتكنولوجيا، استطاع خبراء أمريكيون أن يحددوا خلايا التذوق (والشم) في الفم (والأنف)، وأعصاب نقلها إلى المخ. ومكانها داخل المخ.

وقال الخبراء: إنه توجد فوق كل لسان حلمات (نيبلز) يمكن أن ترى بالعين المجردة. لكن، لا تقدر العين المجردة على رؤية برعم (بد) في طرف كل حلمة (نيبل). هذا هو برعم التذوق. وهو الذي يقدر على أن يفرق بين الحلو، والمر، والحامض، والمالح، و"الأمامي".

في سنة 1990، لاحظت لندا بارتوشاك، طبيبة نفسية في قسم العين والأذن والحلق في قسم الجراحة في كلية الطب في جامعة ييل (ولاية كونيتيكات) أن هناك ذواقين أقوى من ذواقين. وسمتهم "سيوبر تيسترز" (ذواقون عمالقة).

وأشارت إلى مادة "فينيلوثوكاربمايد"، التي لولاها ربما لم يكن علماء الطعام قادرين على أن يكتشفوا سر الحلاوة، والمرارة، والحموضة، والملوحة.. وقالت: إنه، في سنة 1931، اكتشفت هذه المادة في معامل "دو بونت" الأمريكية. وسرها هي أنها حامضة بالنسبة لناس، ومرة بالنسبة لآخرين. ولهذا استعملت لقياس الحلاوة والمرارة.

وأضافت د. بارتوشاك، وهي الطبيبة النفسية، العامل النفسي. وقالت أنه يؤثر على التذوق. ولهذا، قالت أنها تحلم أن يأتي يوم يستطيع فيه الكمبيوتر أن يتذوق الأشياء. واستدركت بأنها لا تريد الإساءة إلى الذواقة، أو قطع أرزاقهم. ولكن لأن العامل النفسي يؤثر على كثير من تصرفات الإنسان، بما في ذلك الحكم على الطعام.

في كولدج بارك (ولاية ماريلاند) : حركة تحرير المرأة



(اقرأ: حركة تحرير الرجل)

جئت إلى جامعة ماريلاند لحضور ندوة للبروفسيرة السوداء اليسارية أنجيلا ديفز. ليس هذا الاسم غريبًا علي كتاباتي. كتبت عنها مرات ومرات، قبل أربعين سنة تقريبا، عندما كنت رئيس القسم الخارجي في صحيفة "الصحافة" السودانية. ونشرت صورة مشهورة لها، بشعرها الأسود الكثيف وكأنه كرة سوداء.

في سنة 1969، كتبت عن أمر أصدره رونالد ريقان (حاكم ولاية كليفورنيا في ذلك الوقت، ورئيس الولايات المتحدة فيما بعد) بفصلها من منصبها كأستاذة في جامعة كليفورنيا بسبب عضويتها في الحزب الشيوعي الأمريكي.

وعضويتها أيضا في حزب "بلاك بانثرز" (الفهود السوداء). الأخير كان الجناح اليساري في حركة الزنوج للحقوق المدنية. (كان الأسقف مارتن لوثر كينق يقود الجناح المعتدل).

في سنة 1970، كتبت عن ديفيز مرة أخرى، عندما عادت إلى الأضواء لأنها هربت بعد أن ورد اسمها في تحقيقات مع سود متطرفين في حزب "بلاك بانثرز" قتلوا قاضيًا فدراليًا أبيض كانوا اتهموه بالتفرقة ضد السود خلال قضايا قانونية. قالت الشرطة أن ديفز أعطت القتلة بندقيتها (كانت تحمي بها نفسها)، وهم قتلوا بها القاضي. بعد ثلاثة شهور، عثرت عليها الشرطة في نيويورك. وبعث الرئيس رتشارد نيكسون برقية تهنئة إلى إدخار هوفر، مدير مكتب التحقيق الفدرالي (إف بي آي)، قال فيها: "أهنئكم على اعتقال الإرهابية الخطيرة أنجيلا ديفز." وبعد أن حكمت عليها محكمة بالسجن لسنتين، برأتها محكمة استئناف أيدتها في أن القتلة سرقوا بندقيتها، ولم تكن هي تعرف ذلك.

في سنة 1973، كتبت عنها مرة ثالثة. كنت في تلك السنة جئت إلى أمريكا لدراسات عليا في كلية الصحافة في جامعة أنديانا. وكانت ديفز قادت وفدا من السود اليساريين (منهم: هيو نيوتون، وستوكلي كارمايكل) إلى كوبا. وهناك، والى جانب الرئيس فيدل كاسترو، شنت هجوما عنيفا على النظام الرأسمالي الأمريكي. كتبت أنا عن الزيارة في صحيفة "الصحافة" السودانية، وأيضا في صحيفة "انديانا ديلي ستيودنت"

(صحيفة طلاب الجامعة التي كانت، ولا تزال، تصدرها كلية الصحافة في جامعة أنديانا). في الحقيقة، طلب مني رئيس تحرير الصحيفة الجامعية (عادة، هو وكل المحررين طلاب في قسم الصحافة) أن أكتب عن الموضوع. ربما لأني كنت الإفريقي الوحيد في الصحيفة. طلب مني أن أسأل الطلاب السود في الجامعة عن آرائهم. كان عددهم قليلا جدا في ذلك الوقت. وقالت أغلبيتهم أنهم لا يؤيدون التطرف والعنف، وأنهم يؤيدون القس الأسود المعتدل مارتن لوثر كينق

بعد أربعين سنة:

الآن، في سنة 2012 (بعد أكثر من أربعين سنة من أول مرة كتبت فيها عن ديفز)، سمعت إنها ستلقى محاضرة في جامعة ماريلاند، وجئت إلى هنا لأراها، ولأتذكر كتاباتي عنها، وطبعا، لأستمع لآرائها.

كبرت. ولم يعد شعرها اسودا وكثيرا. ولم تعد تفتخر بشيوعيتها. وفرقت بين اضطهاد البيض للسود، واضطهاد الرجال البيض للنساء البيضاوات والسوداوات معا. ودعت إلى "الثورة الاجتماعية ضد سيطرة الرأسمالية" والى "تحالف النساء السوداوات والبيضاوات ضد سيطرة الرجل."

وقالت: "ما دام الرجل يقدر على اغتصاب المرأة، لن تكن هناك مساواة بين الرجال والنساء." وأضافت: "لن نتحرر حتى يتحرر الرجال من عقدة الجنس. يغتصبوننا، وفي نفس الوقت يتهموننا بالبرود الجنسي. يريدون أصواتنا في الانتخابات، وفي نفس الوقت يقولون: أننا لا نفهم السياسة. يجعلوننا نحمل، وفي نفس الوقت يرفضون تحمل مسؤوليتهم كآباء. وإذا قررنا الإجهاض، يتهموننا بالقتل."

خلفية تاريخية:

في القرن الثامن عشر، اشتهرت البريطانية ماري وولستنكرافت، التي كانت تعرف باسم "ماثر اوف فيمينيزم" (ام النظرية الأنثوية). وهي مؤلفة كتاب "الانتقام لظلم المرأة" الذي يعتبر، حتى اليوم، المرجع الأول للأنثويات (اللائي يردن مساواة كاملة بين الرجال والنساء). كتبت عن الصداقة الأفلاطونية بين المرأة والرجل. وأن الصداقة "هي أكثر العواطف قداسة". وإن أي زواج يجب أن تسبقه صداقة. وأن أي زوجين يجب أن يكونا صديقين قبل أن يكونا زوجين. لكن، رغم كل هذه الكتابات، صادقت رجلا، وحملت منه، وهرب منها، وولدت ولدا (اعتبر غير شرعي في ذلك الوقت).

مع نهاية القرن التاسع عشر، ظهرت الحركة الأنثوية (المساواة الكاملة) كحركة سياسية. ظهر شعار "نيو وومان" (المرأة الجديدة): قوية الشخصية، متعلمة، جريئة، منفتحة، فصيحة، وتريد الرجل مساويا لها، لا مسيطرا عليها.

ومع بداية القرن العشرين، ظهرت كلمات مثل "بوي فرند"(صديق) و"قيرل فرند" (صديقة).

ما هو معنى هاتين الكلمتين؟ معناهما هو أن العلاقة ليست جنسية فقط، لكنها علاقة صداقة أيضا. علاقة متساوية،لأن الصداقة لابد أن تكون بين متساويين. كيف يصادق القوي الضعيف؟ وكيف يصادق الرئيس المرؤوس؟ وكيف يصادق المضطهد المضطهدة؟ وفي منتصف القرن العشرين، ظهرت "فيمينيزم ريفوليوشن" (الثورة الأنثوية). لا تريد هذه صداقة متساوية (مخلوطة بالجنس)، ولكن حقوقا دستورية وقانونية متساوية. تريد مساواة في العمل، والراتب، والألعاب الرياضية، والعمل العسكري. تريد "صداقة دستورية، صداقة قانونية".

الأنثوية المتطرفة:

غير أن الحركة الانثوية وصلت مرحلة متطرفة بقيادة الأمريكية اليهودية شلومي فايرستون. هذه هي مؤلفة كتاب "جدلية الجنس: المرحلة الثانية للثورة الجنسية." هذا خليط من نظريات سيغموند فرويد (أبي الطب النفسي) وكارل ماركس (أبي الشيوعية) وسيمون دي بوفيور (أم الحركة الأنثوية في فرنسا).

كتبت فيه: "أساس عدم مساواة المرأة بالرجل هو سيطرة الرجل على المرأة بذريعة ما يسميها نواقصها البيولوجية: الحمل، والولادة، وتربية الطفل." ووصفت العملية الجنسية بأنها "غزو رجالي". ووصفت الحمل بأنه "بربري".

وقالت أن الحل هو الآتي:

أولا: نقل التلقيح من غرفة النوم إلى المختبر الطبي.

ثانيا: توزيع حبوب منع الحمل مجانا.

ثالثا: إجراء الإجهاض مجانا.

رابعا: تربية الدولة للأطفال.

خامسا: إلغاء العائلة التقليدية.

سادسا: يعيش الناس في "كوميونات اجتماعية اشتراكية"

سابعا: "ثورة نسائية شاملة لتأسيس دكتاتورية مؤقتة تنتهي بتحقيق مساواة المرأة بالرجل."

أنثوية وأنثوية متطرفة:

لكن، هذه الأمريكية اليهودية "أنثوية متطرفة". أغلبية الأنثويات الأمريكيات "معتدلات." وفي القاموس الثقافي الأمريكي، "فيمينيزم" (الأنثوية) نوع متطرف من "ليبريشنازم" (تحرير المرأة). يعنى هذا رفع ظلم الرجل عن المرأة بدون معاداة الرجل. لهذا، تتأرجح حركة تحرير المرأة بين طلب المساواة والعداء.

في الجانب الآخر، هناك حركة "تراديشناليزم" (التقليدية). ولا يمكن القول أن التقليديات يرد استعباد الرجل للمرأة. ولا يردن ضرب الرجال لهن، واغتصابهن، ومنعهن من العمل خارج البيت، والاشتراك في السياسة. هؤلاء يؤمن بأن:

أولا: توجد اختلافات طبيعية ووظيفية بين الرجل والمرأة.

ثانيا: المساواة هي في التكامل بين الوظيفتين.

ثالثا: عداء المرأة للرجل يزيد غضب الرجل عليها، ويزيد ظلمها.

جيسيكا فالنتي:

منظمة "ناو" (الاتحاد الوطني للنساء) مقرها هنا في واشنطن، وهي أكبر تجمع للأمريكيات. وهي ليست "أنثوية متطرفة"، لكنها بالتأكيد "أنثوية".

من قادتها: جيسيكا فالنتي، أستاذة في جامعة نيويورك، وكتبت كتاب "بيوريتي ميث" (خرافة النقاء). واسم الكتاب الفرعي: "كيف يؤثر تمسك المرأة الأمريكية بالعذرية على البنات صغيرات السن؟" ويبدو واضحا من اسم الكتاب أنه يدعو إلى مزيد من التحرر للمرأة (والبنت) الأمريكية.

وجاءت إلى واشنطن من نيويورك لتلقى محاضرة عن كتابها الجديد في رئاسة "ناو" القريب من مبنى الصحافة الوطني (حيث مكتبي). وساقني الفضول إلى الندوة، وأيضا لأشترى الكتاب، ولتوقع هي عليه.

في الندوة، شنت فالنتي هجوما عنيفا على الرجل الأمريكي. وقالت أنه "ربما لا يقول علنا، لكنه، في أعماقه، لا يؤيد مخلصا تطور حرية المرأة الأمريكية. يجد نفسه مضطرا لأن يفعل ذلك."

وقالت: "نشاهد في التلفزيون صورا مؤسفة عن اغتصاب النساء في دارفور (في السودان)، وعن الخفاض الفرعوني في مصر، وعن تجارة الجنس في دول شرق أوروبا. نحزن، ونفتح دفتر الشيكات، أو نفتح الإنترنت، ونرسل تبرعات إلى هذه المنظمة، أو تلك. لكن، ماذا عن وضع المرأة هنا في الولايات المتحدة؟ ماذا عن اضطهادنا، بعد مرور تسعين سنة على التعديل في الدستور الأمريكي الذي أعطانا حق التصويت وحق الترشيح."

وأضافت: "نعم، كل شيء نسبي. نعم الأميركيات أحسن حالا من الدارفوريات، والمصريات، والبلغاريات والرومانيات. لكن، هل، لأننا أحسن نسبيا، نصمت؟ ألا يجب أن نسير نحو الوضع الأمثل، بدلا عن الوضع الأحسن؟"

كريستينا سومرز:

عكس جيسيكا فالنتي، هناك كريستينا سومرز، رئيسة مركز "انديبنتدانت وومين" (نساء مستقلات). لكن، رغم الاسم، هذا مركز يجمع مثقفات محافظات يتحدثن كثيرا عن العادات والتقاليد الأميركية القديمة. استعلمت كريستينا سومرز نفس منطق جيسيكا فالنتي، لكنها وصلت إلى رأي مناقض.

قالت كريستينا سومرز: "المرأة التي تعتقد، في عمق مخها، أنها درجة ثانية بالنسبة للرجل لا يمكن تحس بالثقة، لا في الرجل ولا في نفسها. ليست هذه مشكلة واحدة. هذه مشكلتان."
وأضافت: "نعم، توجد اختلافات بين الرجل والمرأة حول معاني كثير من الكلمات والتصرفات والسلوك. لكن، يجب أن يكون هذا الاختلاف دافعا للتقارب، وليست التباعد، بين الجانبين."
هؤلاء النساء المحافظات، رغم أنهن "محافظات"، يردن من النساء والرجال التعاون، ويرين أن حركة "فيمينيزم" (الأنثوية) حركة متطرفة "تريد المستحيل"، وهو المساواة الكاملة بي الرجل والمرأة.
سوزان دوقلاس:
بين جيسيكا فالنتي (الأنثوية) وكريستينا سومرز (المحافظة)، تقف سوزان دوقلاس، أستاذة الاتصالات في جامعة ميشيقان (ولاية ميشيقن)، ومؤلفة كتاب: "أنلايتند سيكسيزم" (تفرقة مستنيرة).
تقول أن التفرقة بين النساء والرجال موجودة. لكنها لا تستحق كل هذه الإثارة من جانب الإعلام، ولا تستحق كل هذه الغضب من جانب الأنثويات (النسويات المتطرفات).

أشارت سوزان دوقلاس إلى هيلاري كلنتون، التي كانت سيدة أولى في البيت الأبيض، ثم صارت سناتورة، ثم وزيرة للخارجية. وأشارت إلى أمريكيات طرن في ماكوك الفضاء، وتسلقن قمة جبل "أفريست"، وفزن بجوائز نوبل، وفزن بجوائز الدورات الأولمبية، وأصبحت رئيسات شركات وبنوك عملاقة.

وقالت سوزان دوقلاس أن هؤلاء النسوة "برهن على ما يمكن أن تسمى مساواة بين الرجال والنساء". لكنها قالت: إن هذا لا ينفى وجود ما سمتها "تفرقة طبيعية"، إشارة إلى "اختلافات طبيعية" بين النساء والرجال.

وانتقدت الأنثويات المتطرفات لأنهن:

أولا: يردن أن يصدقن أنهن متساويات مع الرجال، وهن يعرفن أن هذا ربما ليس صحيحا.

ثانيا: ينسين أنهن أحسن حالا كثيرا من نساء في دول غربية، ناهيك عن نساء في دول العالم الثالث.

ثالثا: يعرفن أن الطبيعية خلقتهن مختلفات عن الرجل، لكنهن ينكرن ذلك.

سبب غضب الرجال:

في الندوة النسائية التي أقامتها منظمة "ناو" (منظمة المرأة الأمريكية الوطنية)، كانت هناك آراء نارية ضد الرجال. وهذا ما قالت واحدة (أنثوية متطرفة بعض الشيء): "هل تعرفون سبب غضب الرجال علينا؟ أنهم خائفون. سأقول لكم ثلاث أرقام علمية أوضحت انخفاضات في الآتي:

أولا: في نسبة الرجال بالمقارنة مع نسبة النساء.

ثانيا: في هرمون تستسترون الرجالي. ليس فقط وسط الرجال كبار السن، ولكن، أيضا، وسط الرجال في منتصف العمر.

ثالثا: في عدد الحيوانات المنوية عند الرجل.

وكررت، وسط التصفيق والتصفير: "هل تعرفون سبب غضب الرجال علينا؟"

***

وأخيرا:

بينما يستمر الجدل عن المساواة بين المرأة والرجل، يبدو أن أمريكيات، بمختلف آرائهن، يتفقن على شيء واحد: أنهن يتمتعن بحرية ربما لا تتمتع بها نساء غيرهن.

وعن هذا قالت كريستيا سومرز، رئيسة اتحاد النساء المستقلات (المحافظات): "لنحمد الله. نحن نتفوق على البريطانية والفرنسية والألمانية بأننا نتمتع بحرية أكثر من حرياتهم. في نفس الوقت، نحن نحافظ على قيم أخلاقية هي جزء من تراثنا كأمة من المهاجرين."

وقالت إنها تقصد الخلطة الاجتماعية للألوان والأديان والأوطان التي قالت إنها لا توجد في أي بلد آخر.

ساكرمنتو (ولاية كاليفورنيا) : حركة تحرير الرجل الأمريكي



(اقرأ: حركة تحرير المرأة)

في سنة 1988، جئت إلى ساكرمنتو (عاصمة ولاية كليفورنيا) لزيارة صحيفة "ساكرمنتو بي". ربما اعرف أو يعرفني الذين عملت معهم لأسبوعين قبل خمس عشرة سنة. جئت إلى الولايات المتحدة ثلاث مرات: المرة الثالثة والأخيرة سنة 1980 إلى واشنطن، حيث لا زلت مراسلا لصحف عربية في الشرق الأوسط. والمرة الثانية، سنة 1973، طالبا في قسم الدراسات العليا في كلية الصحافة في جامعة أنديانا لمدة ثلاث سنوات. والمرة الأولى، سنة 1972، لمدة ثلاثة شهور، عضوا في وفد ضم عشرين صحافيا من مختلف إنحاء العالم، وشملت هذه الزيارة الأخيرة فترة تدريب لمدة أسبوعين في صحيفة "ساكرمنتو بي" (نحلة ساكرمنتو)، التي تصدر في هذه المدينة.

لهذا، عندما عدت إلى ساكرمنتو هذه المرة، رأيت أن أزور الصحيفة، ربما اعرف أو يعرفني الذين عملت معهم فترة الأسبوعين. بعد خمس عشرة سنة، عرفت واحدا فقط، كنت

أذهب معه لتغطية مؤتمرات صحافية في المدينة. وبادرني وسألني: "هل تريد أن تذهب معي إلى مهمة صحيفة مرة أخرى؟ إلى كاتب أمريكي أصدر كتابا جديدا؟"

ذهبت معه لمقابلة وارين فاريل، الذي كان أصدر كتاب "لماذا الرجال يتصرفون مثل الرجال؟" وعرفت أن المؤلف من قادة "حركة تحرير الرجل"، وكنت قد سمعت عنها قليلا خلال دراساتي وكتاباتي عن "حركة تحرير المرأة." كنت حضرت مؤتمرات أو أجريت مقابلات صحفية مع عدد من قادة الحركة النسائية. منهن:

أولا: بيتي فريدان، مؤلفة كتاب " فيمينين ميستيك" (السحر الأنثوي).

ثانيا: قلوريا ستاينم، مؤلفة كتاب "إيفريداي ريبيليون" (تمرد كل يوم).

ثالثا: فاي ويتلتون، أول رئيسة سوداء لمنظمة "بلاند بيرنهود" (عن تحديد النسل).

حركة تحرير الرجل:

كان فاريل هو أول قائد لحركة تحرير الرجل أقابله. واصدر كتابين أثارا ضجة:

أولا: "هواي مين أكت لايك مين؟" (لماذا يتصرف الرجال مثل الرجال؟).

ثانيا: "ليبريتيد مان" (الرجل الحر).

ويمكن تلخيص الكتابين في الآتي:

أولا: ليس صحيحا شعار "وومان ليبريشن" (تحرير المرأة). الحقيقة هي أن الرجل لا يستعبد المرأة. لهذا، يجب أن يكون الشعار هو "وومان رايتز" (حقوق المرأة)، لرفع ظلم (وليس استعباد) الرجل، أو بعض الرجال، عن المرأة. وهذا شيء "لا يقدر أي رجل عاقل، ومحترم، وحر، ومنفتح العقل" على إنكاره.

ثانيا: ليس صحيحا شعار "ايكواليتي" (المساواة بين الرجل والمرأة). يختلفان اختلافات طبيعية لا تمكن المساواة فيها. يجب أن يكون الشعار هو "كومبليمنتاري" (التكامل)، لأن دور كل جانب يكمل دور الجانب الثاني.

ثالثا: من بين الاختلافات الطبيعية فهم الآخر. ليس لان مخ الرجل كبير ومخ المرأة صغير. أو لأنه ذكي وهي غبية. ولكن لأن وظيفتها الطبيعية تؤثر على تفكيرها، وعلى طريقة كلامها.

رابعا: لهذا، "يختلف تفسير الحب: يحب الرجل المرأة الجميلة وصغيرة السن، لكنها ربما لا تكون سيدة بيت ممتازة. وتحب المرأة الرجل الناجح في عمله، لكنه ربما لا يكون ناجحا كزوج وأب."

خامسا: لهذا، الإجابة على اسم الكتاب: "لماذا الرجال يتصرفون كما يتصرفون" هو أنهم يختلفون عن النساء في وظائفهم الطبيعية، وبالتالي في تصرفاتهم. وليس لأن تصرفاتهم أحسن.

خلفية تاريخية:

الاختلافات (والصراعات) بين الرجولة والأنوثة قديمة قدم الرجل والمرأة:

أولا: قبل خمسة آلاف سنة، نحت اليونانيون تماثيل الرجال والنساء، وفيها فروقات واضحة: كان "زيوس" (أبو الإله) عملاقا قويا خشنا. وكانت "أفروديت" (آلهة الحب) جميلة، وناعمة، ومثيرة.

ثانيا: قبل أربعة آلاف سنة، كتب حمورابي البابلي قوانينه، وفيها: "إذا تزوج رجل امرأة لكنه لم يمارس معها الجنس، لا تكون زوجته."

ثالثا: قبل ثلاثة آلاف سنة، عندما نزلت التوراة، جاء فيها أن النبي يعقوب نصح أبناءه: "كونوا أقوياء، كونوا رجالا."

رابعا: قبل ألف وخمسمائة سنة، عندما نزل القرآن الكريم، جاء فيه: "الرجال قوامون على النساء، بما فضل الله بعضهم على بعض"، ولم يقل أنهم أكثر تقوى من النساء.

خامسا: في العصر الحديث، اثبت الطب اختلافًا بين الرجل والمرأة في التصرفات، والجينات، والكروموسومات، والأندورجينات، والتستسترونات.

لكن، ربما إنصافا للمرأة، أثبتت الأبحاث الطبية أن الرجل يميل إلى العنف، والحرب، والقوة، والمنافسة أكثر من المراة التي تميل إلى الود، والسلام، والتعاون. في الجانب الآخر، ربما إنصافا للرجل، أثبتت الأبحاث أن المرأة تميل نحو العاطفة، والرجل يمين نحو المنطق (لا يعنى هذا أفضلية المنطق على العاطفة).

الرجولة والأنوثة:

مثلما لحركة تحرير المرأة خلفية تاريخية، لحركة تحرير الرجل خلفية تاريخية أيضا. هذه هي كلمة "ماسكيولاريزم" (الرجولة) كرد على كلمة "فيمينيزم" (الأنوثة)،

ومثلما كانت بداية الأولى في بريطانيا، أيضا كانت بداية الثانية.

بعد مائة سنة من كتاب "انتقام لظلم المرأة" لأم الحركة الأنثوية وولستنكرافت، ظهر كتاب "تزوير الأنوثة" لأبى الحركة الرجالية، أرنست باكس (توفى سنة 1926). وكان أكثر مثقف غربي في ذلك الوقت كتب عن المرأة. وأهم كتبه كتابان:

أولا: كتاب "سيطرة الرجل القانونية". وعارض فيه منح المرأة حق التصويت والترشيح في الانتخابات.

ثانيا: كتاب "تزوير الأنثوية". ومن عناوين فصوله: "حرب صليبية ضد الرجال" و "خرافة براءة الأنثى" و "أكاذيب أنثوية".

وبعد مائة سنة تقريبا من "أبى الحركة الرجالية"، هذا هو وارين فاريل، أكثر مثقف أمريكي يكتب عن المرأة (وينتقد الحركة الأنثوية أيضا).

رفع فاريل شعار: "لا للمنافسة، نعم للموازنة." وقال: "نعم، عند كل واحد منا مشكلة نفسية: يعتقد الرجل أنه قوي، وفي الحقيقة هو ضعيف. وتعتقد المرأة أنها ضعيفة، وفي الحقيقة هي قوية." و:

أولا: عارض قول المرأة أن الرجل ينظر إلى إليها نظرة جنسية فقط. وقال أن المرأة، من جانبها، تنظر إلى الرجل كقوي ومسيطر.

ثانيا: عارض قول المرأة أن الرجل يستعمل راتبه الكبير للسيطرة على المرأة. وقال أن الرجل يستخدم جزءا كبيرا من ماله على المرأة التي يحبها.

ثانيا: عارض شكوى المرأة من هجران الرجل لها. وقال أن المرأة لا تعرف خيبة أمل الرجل عندما ترفضه المرأة. (لكن، المرأة تشتكي، والرجل يخجل من أن يشتكي).

تحديث:

في سنة 2012، بعد خمس عشرة سنة منذ أن قابلت فاريل أول مرة في ساكرمنتو (ولاية كليفورنيا)، قابلته في نادي الصحافة الوطنية في واشنطن. جاء للدعاية لكتابه الجديد: "عداء البنات للأولاد في المدرسة".

خلال هذه السنوات، كان كتب كتبا أخرى، منها: "التفرقة الأنثوية ضد الرجال" و "لماذا راتب الرجل أكبر من راتب المرأة؟" و "المرأة لا تسمع ما لا يقول الرجل". بالإضافة إلى كتاب "لماذا يتصرف الرجل كما يتصرف" و "الرجل الحر."

بالإضافة إلى كتبه، عن النقاش الحاضر حول "حرب المرأة"، انتقد فاريل قادة الحزبين الجمهوري والديمقراطي، وقال: "يقدر السياسيون على أن يقولوا أي شيء للنساء لإرضائهن، وكسب أصواتهن." وانتقد السياسيين الأميركيين، وخاصة الرئيس باراك أوباما، وقال: إن أوباما "يقول أنه يؤيد حقوق المرأة، لكنه يستغلها لإعادة فوزه برئاسة الجمهورية"

وكان فاريل رفض دعوة من أوباما ليكون عضوا في "لجنة النساء والبنات" التابعة للبيت الأبيض. وبدا حملة ليؤسس البيت الأبيض "لجنة الرجال والأولاد."

ومن الذين يؤيدونه: جون قراي، مؤلف كتاب "الرجال من المريخ والنساء من الزهرة." ورأي قراي في النقاش الحالي عن "حرب النساء" هو كالآتي: "يقول ناس أن الاختلافات الجنسية طبيعية، وكل شيء يعتمد عليها. ويقول ناس أن الاختلافات الجنسية وهمية، ولابد من تحاشيها. أنا أقول: توجد اختلافات جنسية، ويمكن التعامل معها."

ماذا تريد النساء؟:

ومن الكتب الجديدة التي ظهرت عن الموضوع، كتاب هنري بولانجيز: "ماذا تريد النساء؟". مثل فاريل، قال: إن تحرير المرأة الأمريكية صار متطرفا، وتساءل عن حدود حقوق المرأة.

وأشار إلى أن هناك ولايات أمريكية وصلت حقوق المرأة فيها درجة كشف نهدها عندما ترضع طفلها. وفي ولايات أخرى، وصلت حقوق المرأة درجة أن ترقد على البلاج تحت الشمس مكشوفة النهدين. وفي كندا، وصلت حقوقها درجة المشي في الشارع مكشوفة النهدين. ليس ذلك فحسب، بل أيدتها محاكم، وقالت أن كشف النهدين ليس إثارة جنسية. ووسط تصفيق الحاضرين، علق على ذلك قائلا: "ها نحن نقول هنا، في هذا الاجتماع الرجالي، أن كشف النهدين يثير الرجال، وربما حتى بعض النساء."

وقال أن المنظمات الدولية ومنظمات المجتمع المدني مسؤولة عن كثير من الغموض في هذا الموضوع. لأنها، في جانب، تدعو لمساواة المرأة بالرجل، وفي الجانب الأخر، تعرف أن هناك اختلافات أساسية. وأشار إلى الأمثلة الآتية:

أولا: منظمة "يونيسيف"، التابعة للأمم المتحدة، قالت أن المساواة "معناها تطبيق متساو لحقوق الإنسان في الحرية، والفرص، والحماية، والرعاية. لكن، لا تشمل المساواة الوظائف البايولوجية والمعاملات العائلية والاجتماعية."

ثانيا: صندوق الأمم المتحدة للسكان قال: "عدم المساواة بين الرجال والنساء يعرقل التطور." لكن، يركز هذا الوصف على التطور الاقتصادي، على الوظيفة والراتب والإجازات. ولا يشير إلى التطور العائلي، إلى تماسك العائلة، ودور العائلة في المجتمع.

ثالثا: أسس الاتحاد الأوروبي في فيلنيوس، عاصمة ليثوانيا (على بحر البطليق) "مركز محاربة التفرقة الجندرية." ما هو الفرق بين التفرقة الجندرية والتفرقة الجنسية؟ يقول ميثاق المركز: "نريد تحقيق المساواة الجندرية، ونريد منع التفرقة التي أساسها الجنس."

وقال بولانجيز: "هذا التعريف يزيد الغموض، ويعقد المشكلة." وذلك لأن استعلاء الرجل الجندري له صلة باستعلائه الجنسي. والتفرقة في المجتمع لها صلة بالتفرقة في غرفة النوم. وتفوق الرجل على المرأة في الوظيفة والراتب والإجازات له صلة بتفوقه على المرأة في الممارسة الجنسية. وتساءل: "أليست الحقيقة هي أن الرجل هو الذي يطلب الزواج؟"

"نيتشر" أو "ناتشر":

وأيضا، من الكتب الجديدة في هذا الموضوع، كتاب بيتر هارمانيانج: "تاريخ الصراع الرجالي النسوي".

أشار فيه إلى كلمات جديدة ظهرت في هذا النقاش. مثل الكلمتين:

أولا: "نيتشر" (الطبيعة): توجد اختلافات طبيعية في تصرفات الطفل والطفلة.

ثانيا: "ناتشر" (التربية): يؤثر المجتمع على تصرفات الطفل والطفلة.

ومال الكتاب نحو التفسير الأول: الاختلافات الطبيعية.

وقال أن سبب الاختلاف في لعب الطفل والطفلة طبيعي وفطري. وليس موضوع تربية ونظريات. وقال: "يميل الطفل إلى لعب السيارات والطائرات والدبابات. لكن، تميل الطفلة إلى لعب العروسة والزوجة والأم.

ويدخل الصبي الحمام ليستحم سريعا. لكن، تستحم الفتاة لساعات وساعات، لأنها تستعمل (أو تجرب) مختلف أنواع الروائح والملابس والكريمات ودهان الشفاه، ورموش العين، وبودرة الخدين."

وأشار إلى كلمة أخرى، هي "كومبليمنتزم" (التكامل). وأساسها عبارات دينية (في التوراة، والإنجيل، والقرآن الكريم) بان الرجل والمرأة يختلفان في وظائفهما البيولوجية، وأيضا، في وظائفهما العائلية والاجتماعية. لكن، هذه الوظائف تكمل بعضها البعض. يعني هذا أن المساواة تكامل وليست منافسة.

لكن، قال هارمانيانج أن المشكلة هي اختلاف رجال الدين في تفسير هذا الموضوع:

في جانب، المتطرفون يقولون أن المرأة يجب ألا تنافس الرجل في أي مجال (هي تعمل داخل المنزل، وهو يعمل خارجه).

وفي الجانب الآخر، المعتدلون يقولون أن المرأة تقدر على منافسة الرجل خارج المنزل، وفي نفس الوقت، تقدر على التكامل داخل المنزل بان تكون زوجة وأم.

نفاق الرجال:

وأيضا، من الكتب الجديدة في الموضوع، كتاب وليام ديرشوفتس، أستاذ اللغة الانجليزية في جامعة ييل (ولاية كونيتيكات): "تعليم جين أوستن (رائدة تحرير المرأة في بريطانيا في القرن التاسع عشر). وفند في الكتاب كثيرا من آرائها، وقال: "في نهاية المطاف، الرجل رجل والمرأة امرأة."

وقال: إن الرجال ينافقون قائدات حركة تحرير المرأة عندما يتفقون معهن على المساواة.

وكتب في صحيفة "نيويورك تايمز" رأيا عنوانه: "الرجل والمرأة: هل صديقان فقط؟". كتب فيه: "هل يمكن للرجل والمرأة أن يكونا صديقين فقط؟ صديقين بريئين؟ الإجابة هي: لا."

وقال: "عبر التاريخ، لم تكن هناك صداقات بريئة بين رجل وامرأة. الرجل من المريخ، والمرأة من الزهرة. كل كوكب يدور في مدار خاص به، وأحيانا يتقابلان. وفي كل الأحوال، نظر الرجال إلى النساء ليست نظرة استعلاء، ولكن نظرة إعلاء (لأنهم قوامون عليهم)."

وأضاف: "لكن، ها هي الحركة الأنثوية:

أولا: "لا تعترف بالفروقات الأساسية بين الرجل والمرأة."

ثانيا: "تتخيل رجالا بدون رغبات جنسية."

ثالثا: "تعتقد أن النساء لا يحتاجن للرجال."

جزيرة قرينادا (البحر الكاريبي) : حب الشوكولاتة



في سنة 2007، في سلسلة رحلات عائلية سنوية في إعداد من "كروز شيب" (سفينة سياحية عملاقة فاخرة) جئنا إلى جزيرة "قرينادا"، "جزيرة الشوكولاته." خلال جولاتنا السنوية في البحر الكاريبي، لاحظت أن كل جزيرة مشهورة بشيء ما وسط السواح الأمريكيين (تقريبا ثلاثة أرباع سواح هذه السفن). مثلا:

جزيرة "بربادوس": مسقط رأس المغنية السمراء "ريحانة" والممثل الأمريكي الأسود دينزل واشنطن.

جزيرة "جمايكا": موطن والدي كولين باول، وزير خارجية أمريكا في عهد الرئيس السابق بوش الأب.

جزيرة "ترينداد": مسقط رأس كريم عبد الجبار، لاعب كرة السلة الأمريكي الذي اعتنق الإسلام.

جزيرة "سنت لوشيا": موطن ديريك والكوت، الفائز بجائزة نوبل في الأدب سنة 1992.

جزيرة "نيفيز": مسقط رأس ألكسندر هاملتون، أبى الفكر الرأسمالي الأميركي، وأول وزير للخزانة.

قبل أن ترسو السفينة السياحية العملاقة "كاريبيان برنسيس" في "جزيرة الشكولاته"، كان كل سائح أمريكي سمعته يتكلم عن الجزيرة، يتكلم عن زيارة "مزرعة الشكولاته." وكان أي أمريكي لا يصدق أن الشوكولاته يمكن أن يكون مصدرها هذه الجزيرة الصغيرة الفقيرة. وشاركتهم تقريبا في هذا الشعور. ليس تقليلا من قيمة شعب الجزيرة، ولكن بسبب إثارة أننا سنزور "مزرعة الشكولاته."

خلفية تاريخية:

حسب قاموس التراث الأمريكي، أصل كلمة "شوكولاته" هو كلمة أسبانية، وأصل الكلمة الأسبانية هو كلمة في لغة الهنود الحمر في المكسيك، بعد أن اكتشف الأسبان "الدنيا الجديدة" في نهاية القرن الخامس عشر. كانت حضارة "أزتكس" (في المكسيك) تستعمل كلمة "شكوكواتيل" المكونة من جزئين: "شوكو" (حامض) و "أوتيل" (ماء).

لكن، قال مايكل كو، مؤلف كتاب "ترو هيستوري اوف شوكوليت" (التاريخ الحقيقي للشكولاته)، أن هناك كلمة أخرى كانت تستعملها حضارة "المايا" (في المكسيك أيضا)، وهي: "كاكا أوتيل" (ماء الكاكاو). لكن، تحاشي الأسبان استعمال "كاكا" لان معناها، في اللغة الأسبانية، البراز. واستعملوا "شكوكواتيل". غير أن الكلمة تظل أصل كلمة "كاكاو" والتي تطلق على الحبة وهي على الشجرة، قبل أن تجفف، ثم تقلى، ثم تطحن، ثم تصبح جاهزة للأكل أو الشراب.

وحسب استكشافات الأسبان، وجدوا بقايا "شوكولاته" في مقابر قديمة للهنود الحمر تعود إلى القرن الرابع عشر قبل ميلاد المسيح. وارتبطت الكلمة بكلمة "شكوكيزال" (آلهة الإخصاب)، وبطقوس دينية. واستعملت الشكولاته كعملة في التبادلات التجارية. وكان الاعتقاد هو أن "الشوكولاته" تنعش وتثير، خاصة الرغبة الجنسية.

في وقت لاحق، طور الأوروبيون الشوكولاته، وخلطوها بقصب السكر (كانوا يستوردونه من جنوب آسيا)، وقلل ذلك من حموضة الشكولاته. ومع الثورة الصناعية، وفي هولندا، اخترعوا قطع الشوكولاته كما نعرفها اليوم. وفي سنة 1819، افتتح متجر "فان هوتن" للشكولاته في هولندا، ثم محلات "كيلر" في سويسرا، و "فراي" في بريطانيا، و"قيراردلي" في إيطاليا. وسمى الأخير على اسم صاحب المحل، الذي نقل، في سنة 1849، الشوكولاته إلى كليفورنيا. وحتى اليوم، تعتبر "قيراردلي" من أكبر شركات الشوكولاته الأمريكية.

مفعول جنسي؟:

بالإضافة إلى مشروب وحلويات الشوكولاته، ظهر الكيك، والكعك، و "أيس كريم."
وحسب معلومات إدارة الطعام والدواء (إف دي آي) التابعة لوزارة الزراعة الأمريكية، الشوكولاته غنية بالدهون والحلوى، وهي في هذا حبة نادرة وسط الحبوب الزراعية.

وأوضحت أبحاث أمريكية أن للشوكولاته صلة بتخفيض ضغط الدم، وهضم الطعام. وفيها مادة "أناندامايد"، نوع من المخدر. ورغم كثرة الحديث بأن الشوكولاته منشطة جنسيا، لم تثبت الأبحاث ذلك بصورة قاطعة. ويعتقد أن طعمها اللذيذ (وجزء كبير منه من السكر) وراء هذا المغزى الجنسي.

غير أن كتاب "كافيين: الأعصاب، والنشاط، والهضم، والتأثيرات النفسية"، يشير إلى مادة وجود مادة "كافيين" في الشكولاته (مثل القهوة والشاي). وأيضا، مادة "ميثيلاكسنتين." ويقول أنها تعرقل مادة "أدينوسين" التي تسبب النوم، وبالتالي، تعتبر الشوكولاته منشطة. ويمكن أن تنشط جنسيا.

ويشير الكتاب، أيضا، إلى مادة "ثيوبرومين" المنشطة، والتي كانت تستعمل لتقوية خيول السباق، لكن قوانين عالمية منعت ذلك.

النساء والشكولاته:

لماذا تحب النساء الشكولاته أكثر من الرجال؟ قدم الكتاب أكثر من سبب:

اولا: تحس المرأة، أكثر من الرجل، بالإرهاق (بسبب كثرة أعمالها الجسمانية)، وبالتوتر (بسبب انشغال عقلها بمواضيع كثيرة). وان هذا أحيانا يخفض ضغط نسبة السكر في الدم، وتقدر الشكولاته على التعويض عن ذلك.

ثانيا: تزيد الشكولاته هرمون "سيروتونين" الذي يحسن المزاج. وأثبتت الأبحاث الطبية أن مزاج المرأة كثيرا قبيل عادتها الشهرية.

لكن، قال الكتاب أن حب النساء الأكثر للشكولاته ربما ثقافي أكثر منه طبيًا. وان أبحاثا أثبتت أن نساء العالم الثالث لسن شغوفات بالشكولاته قبيل العادة الشهرية، أو في أي وقت آخر. وان الدعاية التجارية (المثيرة جنسيا أحيانا) تلعب دورا كبيرا بالنسبة للنساء الأمريكيات.

***

شكولاته "مارس":

لا تذكر الشكولاته في أمريكا ألا وتذكر شركة "مارس". ورغم وجود شركات شكولاته أخرى مثل: "غيرارلدي" و "هيرشي"، تخصصت "مارس" في بيع قطع الشكولاته، في المتاجر، وفي ماكينات "فيندنق" الأتوماتيكية. وحتى ترسلها إلى القوات الأميركية في الخارج (واخترعت شكولاته لا تسيح بسبب الحرارة لإرسالها إلى دول الشرق الأوسط والدول الأفريقية).

ومن أنواعها:

أولا: "سنكرز": قطعة الشكولاته الأكثر انتشارا في العالم. وفيها فول سوداني، وكاراميل.

ثانيا: "ميلكي واي": الثانية في الشعبية، وأكثرها شكولاته باللبن (شكولاته سمراء. توجد شكولاته سوداء، بدون لبن، وبيضاء، بدون كافيين).

ثالثا: "تويكس": خليط من شوكولاتة، وبسكويت، وكاراميل.

رابعا: "إم اند إم": حبات صغيرة، بعضها فيه حبة فول سوداني، أو فستق.

معارض:

كل سنة، تقام معارض للشكولاته، خاصة في دول أوروبية، وخاصة في دول لها صلة بتاريخ الشكولاته، مثل: سويسرا، وألمانيا، وهولندا، وبلجيكا. في ألمانيا، مثلا، حققت مبيعات الشكولاته رقما قياسيا عام 2012. والتهم كل ألماني ثلاثين كيلوجرام من الحلوى والشكولاته خلال ذلك العام. ويكلفه ذلك عشرين دولارًا تقريبا في الشهر. وصدرت 220 شركة ألمانية لإنتاج الحلوى قرابة ثلاثة ملايين طن من الحلوى والشكولاته، ودرت على ألمانيا قرابة عشرة بلايين يورو (ثلاثة عشر مليار دولار تقريبا).

ورغم التركيز على النساء، يظل الأطفال أهم الزبائن، في كل دول العالم. وتتفنن شركات الشكولاته في جذب الأطفال، بدعايات، وبإبداعات جديدة. انتجت شركة "بيسا" المكسيكية أقلام شكولاته في داخلها علكة (لبان)، وعصير (بدلا عن الحبر). وأنتجت شركة "كيجي" السويسرية صندوق موسيقى مصنوع من الشكولاته، ويطلق مختلف أنواع الموسيقى، حسب رغبة الطفل. وأنتجت شركة "هايلمان" الألمانية شكولاته للنساء من وحي مسلسل سيكس أند ذي سيتى" (الجنس والمدينة) التلفزيوني: نظارات، حقائب نسائية، أحذية، أدوات مكياج، أقلام احمر شفاه، وأمشاط، وحتى عطور.

***

عولمة الشكولاته:

ليست عولمة الشكولاته فقط في انتشارها من المكسيك، عن طريق أوروبا وأمريكا، إلى كل العالم. ولكن، أيضا في خلطها بمنتوجات عالمية.

صارت الشكولاته تخلط مع المانقو، والرمان، والزنجبيل، والعسل، والخردل، والبصل، والهامبيرقر، والبتزا، والسمك، وحتى الشطة الحارة، مثل "كايين" و "هالابينو" و "هابانيرو" (أحر شطة في العالم). والتي، يا للصدفة، أصلها في المكسيك.

يعتقد أن أغلى شكولاته هي التي أنتجتها شركة شكولاته ألمانية لرجل أعمال روسي. تتكون من الحبوب الداكنة، ومحشوة بكريمة ذات طعم مثير، ومغلفة بأوراق من الذهب (عيار 18 قيراطا)، مع قطعة من الماس، وقيمتها قرابة نصف مليون دولارز

وقال أندرياس إيبل، صانع الحلوى الذي تلقى الطلب الروسي: "فاجأني هذا الطلب. لا يحدث مثل هذا كل يوم هنا." ورفض إيبل الحديث عن أي تفاصيل عن الروسي.

لكنه قال إن الروسي اشترط أن تصنع الشوكولاتة من كاكاو بنسبة 99 في المائة، ومن نبيذ فرنسي معين فائق الجودة، ومن نوع خاص من حبوب الكاكاو التي تزرع في جزيرة فانواتو (في المحيط الهادئ).

وقال صانع الحلوى الألماني أن حشوة الشوكولاتة تكونت من كريمة بنسبة دسم ثلاثين في المائة، مع أناناس مهروس من كوستاريكا، وزعفران من إسبانيا، وشيكولاتة بيضاء من جمهورية الدومنيكان.

في «مكتبة الحكمة» ، فولز جيرج (ولاية فرجينيا) :

عرب وغريبات



(اقرأ: عرب في رويات أمريكية).

(اقرأ: الخوف من الأجانب) .

(اقرأ: عقدة النقص عند الأجنبي) .

في سنة 2009، جئت إلى مكتبة "الحكمة"، في ضاحية "فولز جيرج" (ولاية فرجينيا) من ضواحي واشنطن. رغم أن المكتبة تتكون من ثلاث غرف، كشقة في عمارة، هي ربما أكبر مكتبة عربية خاصة في الولايات المتحدة. صاحبها هو ضياء السعدواي، المهاجر من العراق. وقال أن فيها أكثر من ثلاثين ألف كتاب ومطبوعة وتسجيل.

جئت هذه المرة لشراء روايات عربية عن المجتمع الأمريكي (وبقية المجتمعات الغربية). لأني أكتب هذا الكتاب من واشنطن للقارئ العربي عن الثقافة الأمريكية، لا بأس من موضوع واحد عن روايات عربية عن الأمريكيين (وبقية الغربيين) كتبت في دول عربية.

ربما مثل كل رواية عربية عن الحياة في أمريكا (وفي الغرب)، هذه روايات عن عربي وغربيات. عن صبي القرية وشقراء الغرب. عن حنين الشرق وفردية الغرب. عن الإسلام وغير الإسلام.

ومن مكتبة "الحكمة"، اخترت خمس روايات:

الرواية الأولى: "الإرهابي 20:"

أصدرها عبد الله ثابت، أديب سعودي. وبطلها هو زاهي الجبالي، سعودي خيالي، كان زميلا للتسعة عشر عربي الذين نفذوا هجمات 11 سبتمبر سنة 2001 الانتحارية على أمريكا. لكن، لم يسافر الجبالي إلى أفغانستان، ولم يشترك في الهجوم.

جاء على لسان الجبالي:

"التسعة عشر الذين فجعوا العالم في هذا اليوم من سبتمبر، كان من المفترض أن أكون عشرينهم ، لو أني بقيت معهم ، واستجبت لأولئك الذين كانوا يريدون أن يقنعوني بالرحيل لأفغانستان ! ولكنت واحداً من الذين هدموا كل هذه الطوابق على رؤوس من بداخلها !

ولكنت واحداً من الذين مزقوا المسافرين بداخل الطائرات التي اصطدمت بالبنايات الثلاث! ولكنت طرفاً في جريمة من أكبر جرائم التاريخ بحق الإنسانية مهما كانت المسوّغات السياسية أو الدينية أو غيرها."

لم يسافر الجبالي إلى أفغانستان، أو إلى أمريكا. ولم يتحدث كثيرا عن الإرهاب والإرهابيين. ولم ينتقد كثيرا إسرائيل، أو أمريكا، أو دول المنطقة صديقة أمريكا. ولم يقل : لماذا كاد أن يصير إرهابيا.

لكنه قص قصة التناقضات بين الشرق والغرب، والتي كتب عنها صحفيون، وروائيون، وشعراء عرب زاروا الغرب، أو عاشوا فيه، أو تعرضوا لثقافته. كتب هؤلاء عن التناقضات الآتية: بين حضارة الشرق، وحضارة الغرب. بين حياة بسيطة في قرية شرقية، وحياة معقدة في مدينة غربية. بين المرأة العربية والمرأة الأمريكية (والمتأمركة).

وكأنه يؤكد، في كل صفحة، أن: "الغرب غرب، والشرق شرق، ولن يلتقيا."

ولد الجبالي في عسير، في جنوب السعودية، بغرة بيضاء في مقدمة شعره، "وعلى الفور تهامسوا: لابد أن هذه المرأة رأت جنيا أثناء الحمل .. شيب الصغار لا يأتي ألا من الخوف." وعندما كبر في عمره، فعل ما فعل غيره من أطفال عسير: "أول ما يبلغ الطفل في عسير الخامسة من عمره، فإن عليه أن يتعلم النزول إلى الحقل، والمشاركة في الحصاد، وحفظ أناشيد الزرع والحرث."

وحفظ نشيد "أربعة شلوا الجمل، والجمل ما شلهم" وغيره، لأن "حداءات العسيريين عذبة جدا." و"كان علي أن أقوم كل صباح لأصلي الفجر مع والدي، ولا تكاد أمي تلف لي رغيف خبز في محرم صغير حتى يقترب الشروق لأخرج إلى الأغنام، افتح لها باب الحظيرة، واتجه بها إلى الجبل."

ثم كبر، وذهب إلى الجامعة. لكنه، عكس كثير من الشباب السعوديين، لم يسافر إلى الغرب للدراسة في جامعاته. وليشاهد عن قرب تناقض حياته مع حياة الغربيين. "السفر الذي كان يحرمه رجال الدين تحريما كبيرا، ولا يبيحونه ألا لغرض الدراسة والعلاج."

سافر إلى دول عربية مجاورة للسعودية حيث "التقينا ببعض الفتيات الروسيات، اللواتي كن شبه عاريات، وإحداهن كانت تشير لي بفمها، وتقبل في الهواء."

ثم قابل في السعودية، عن طريق الإنترنت، فتاة عربية "عاشت حياتها كلها في أمريكا، والكويت. ولا يربطها بثقافتها سوى أهلها، الذين تأتي لزيارتهم مرة أو مرتين في السنة. تصطدم بالاختناق الذي يعيشون فيه، ثم تهرب من جديد، فهي تحمل حصانة الجنسية الأمريكية. وكثيرا ما كانت تغايرني بها، وتقول: تذكر أنني أمريكية، ويجب أن تمتثل لأوامري."

وفي النهاية، قرر أن يعود إلى عسير، ويتزوج عسيرية، بعد أن اقتنع بأن "الزواج في مجتمعنا يعني أن تخبر أهلك بموافقتك على الفكرة، لتبدأ الأخت أو الأم بالتفتيش عن المرأة، التي يعتقدون أنها ستناسبك."

كاد أن يسافر إلى أفغانستان، لأنهم "يقولون في عسيرنا بأن المحرض يشرب السم، ويقتل أخاه." لكنه لم يفعل ذلك. ولهذا، سمى نفسه "الإرهابي 20."

الرواية الثانية: "ثماني عشرة سنة":

تعالج رواية "ثماني عشر سنة" التي كتبها حميد لشهب، أديب مغربي يعيش في النمسا، نفس التناقضات، بل وتناقضات أكثر. ترك بطلها القرية، وسافر إلى الغرب (الذي لم يسافر إليه زاهي)، ولهذا فإن التناقضات أكثر، والهموم أكثر.

اسم بطل الرواية "مهموم"، وعمره "بضعة آلاف من السنين."

كان يعرف وهو في القرية أن الحضارة الغربية تفوقت على حضارة "آلاف السنين". لكن، سبب له هذا عقدة نقص، وزادت تناقضاته وهمومه. قال: إنه ولد "في بيت حقير في قرية حقيرة"، وبهرته الأفلام الغربية، وهو يعيش "أيامنا الدائخة بين نهيق الحمير، ونباح الكلاب، ونعيق البوم."

سافر إلى فرنسا منتصرا (لأنه سيحقق حلم حياته)، ومنهزما (لأنه ترك وطنه). وغنى لوطنه في القطار: "بلادي، بلادي، بلادي. يا ارض آبائي وأجدادي. يا مرتع أبنائي وأحفادي."

واستغفر الله، في القطار المسافر عبر أسبانيا إلى فرنسا، عندما قابل "أزابيلا"، فتاة أسبانية جميلة. وردد الآية: "ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم." وذلك لأن "جمالها من شأنه أن يدفع إلى ارتكاب جريمة أو خطيئة."

وتذكر "حضارة آلاف السنين". وقال لها في فخر: "رأيتك منذ سبعة قرون. حلمت بك منذ أن كنت رضيعا أمص ثدي أمي، وعيناي مغمضتان." وسألها: "كيف حالك؟" وأجابت: "لكن لم يسبق أن رأيتك".

لم تفهم هي أنه كان يفتخر بحضارة العرب في الأندلس. ولم يفهم هو إنها تعيش الحاضر، لا الماضي.

عندما وصل "مهموم" إلى فرنسا، وجد تناقضات حقيقية. وجد المدنية، والنظام، والاحترام، والحرية، والتكنولوجيا، وقطار تحت الأرض، والمسارح، والخمر المباح، والنساء "السهلات."

وجد "ماري"، فرنسية شقراء، أحبته منذ أول نظرة، وسارعت وعرضت عليه أن يذهب معها إلى شقتها. ولم يصدق، ولم يرفض.

وفي صباح اليوم التالي، "دخل شعاش الشمس الحجرة، وانعكس على لونها الأزرق الباهت. ولم يصدق أنه نام في فرنسا إلى جانب ماري الجميلة. لم تكن ترتدي أي شيء. تأملها وهي تنام هادئة. حاول أن يتلصص على ما كانت تحلم به. لاحظ أنها تبتسم من حين لأخر، وهي غارقة في بحر أحلامها. رسم قبلة علي جبينها. لمس نهدها. استيقظت. سالته: كيف نمت؟ قال: كيف أنام بجانب جنية ماردة؟ قالت: يالك من صعلوك تحسن الإطاحة بالنساء في شباكك. قال: يالك من جميلة تحسنين جلب أقسى الرجال إلى شباك قلبك."

ووضعت "ماري" إستراتيجية طويلة المدى لتحول "مهموم" إلى فرنسي. وأقنعته بأن يعيش معها في شقتها، وآنسته قريته، ووطنه، وآياته القرآنية.

انتصرت إستراتيجية "ماري" في الحرب الأولى، وبعد فترة جاء وقت الحرب الثانية. قالت: "لم يبق ألا أن تسوي وضعيتك الإدارية؟" قال: "إي وضعية هذه؟" قالت: "أنت بحاجة إلى بطاقة إقامة ليكون تواجدك هنا قانونيا."

حسب قانون الهجرة الفرنسي، كان لابد أن يعود "مهموم" إلى المغرب، ثم ليعود إلى فرنسا بطريقة قانونية. وعندما عاد إلى قريته، "لاحت الأضواء الخافتة لقريته التي كانت تستعد للنوم في هدوء وطمأنينة. وصل إلى أذنه صوت المؤذن معلنا صلاة العشاء.

كانت القطة تنام في مكانها المفضل بين الكتب. لم يصدق أفراد أسرته. قبل رأس والده، ثم رأس والدته. قالت له والدته: "حلمت أمس برجوعك. إنها ليلة عظيمة. سأذبح ديكا، وأهبه للولى الصالح سيدي عبد الجليل."

عاد "مهموم" إلى فرنسا عودة قانونية. لكن الرواية لم تنته. تريد "ماري" تريد تنفيذ بقية إستراتيجيتها. بعد الجنس الإقامة، وبعد الإقامة الجنسية، وبعد الجنسية الانصهار.

الرواية الثالثة: "مثلث الدائرة":

كان عادل العراقي مناضلا يساريا، في رواية "مثلث الدائرة" التي كتبها سعدي يوسف، أديب عراقي.

لم ينهزم عادل أمام تقاليد الشرق، مثل زاهي السعودي في عسير ، ولم ينهزم أمام تقاليد الغرب، مثل مهموم المغربي في باريس. اشترك في مظاهرات، ومؤامرات، وانقلابات عسكرية، ونال نصيبه من السجن، وكاد أن يعدم شنقا.

"غرفة المشنقة في سجن بعقوبة. نقلونا بالقطار من سجن نقرة السلمان المزدحم. استقبلنا الحراس بالشتائم والضرب. لم يفكوا أغلالنا حتى في قضاء الحاجة، ولهذا كنا نذهب إلى المرحاض اثنين اثنين. رأينا، عندما وقف القطار، زوجة سجين، تسأل عن زوجها: فلان بن فلان. أتعرفون في أي سجن؟ أليس معكم في القطار؟

رأينا، مرة واحدة، زوجة تلتقي بزوجها السجين. لم يتبادلا ألا بضع كلمات. سألته: إلى أي سجن ينقلوكم؟ لم يكد يجيبها حتى نهرها الحارس، وحتى تحرك القطار. وترك القطار على الرصيف امرأة وحيدة تشيعنا بعينين أغرقهما الدمع المنهمر بغزارة."

بعد أن خرج عادل العراقي من السجن، ترك العراق، وسافر شرقا وغربا. وحضر اجتماعات يساريين في بيروت، وعدن، ودمشق، وقبرص. واعتقل أكثر من مرة، وعذب أكثر من مرة، وكاد أن يقتل أكثر من مرة.

لكن، صاحبه خلال كل رحلاته شيئين :

الأول: ذكرى أمه. "جاتني أمي بالغداء. غداء الجمعة المتميز الذي تجهد نفسها في إعداده، إرضاء لي. لم أستطع أن أتناول غير ثلاث ملاعق. دخلت لتأخذ الصينية. قالت: "يمة. أنت لم تأكلي شيئا." أخذت الصينية وخرجت من الغرفة. ثم عادت بعد دقيقة. كانت قلقة، وسألتني: أين الزعيم الآن؟" (لابد أنها كانت تعرف اشتراكه في تنظيمات سرية وانقلابات عسكرية).

الثاني: القرآن الكريم: "أتذكر حين فتشوك، ووجدوا في جيبك مصحفا صغيرا ذا جلد من البلاستيك. قال لك السجان: الكتب ممنوعة في السجن. أجبته: هذا قرآن. قال: لكنه كتاب. وحاول أن يأخذ المصحف. لكنك تشبست به، وتوسلت إليه، كي تحتفظ به."

نقل عادل العراقي نضاله إلى باريس، حيث أسس "التجمع" فرعا. "تعقد اجتماعات الهيئة الإدارية للتجمع، عادة، في منزل صديقي بشارع ستالينغراد. إما اللقاءات واجتماعات الهيئة العامة والندوات، فكانت تتم في الكنيسة ذاتها، كنيسة القديسة ماري."

لكن، مثل مهموم المغربي، وجد عادل العراقي نفسه أمام استعلاء الفرنسيين، وإغراء الفرنسيات. لم ينهزم، عكس مهموم، أمام إغراء الفرنسيات. ربما لأنه انشغل بالنضال والتجمع والتنظيم، وربما لأن أماني اليأس، صديقته اللبنانية، لحقت به في فرنسا. كانت تحبه وتريد منه أن يتزوجها. وفاجأته مرة في حانة يشرب نبيذا مع حسناء فرنسية.

لكن، نال عادل نصيبه من استعلاء الفرنسيين. استدعاه مدير الشرطة إلى مكتبه، وقال له في عنجهية : "نحن لسنا بلهاء. نحن متأكدون من انك المسؤول الأول عن تشكيل التنظيم، وتسييره، ونشاطه. لهذا أنت مسؤول إمامنا عن تقديم المعلومات التي نطلبها."

غضب بسبب هذا اللؤم، وبسبب نظرات المدير الاستفزازية.

لكنه، وهو الأجنبي اللاجئ، خاف من التمرد على مسؤول فرنسي في فرنسا. ثم انه، على أي حال، كان يريد أن يعود إلى وطنه ليناضل ومن الداخل (لا من حانات فرنسا).

وعاد عودتين:

أولا، عاد إلى نضاله، ورفاق النضال. ومع عودته نجح الانقلاب العسكري اليساري، وشاهد "دبابة يرفرف عليها علم احمر"، ولاحظ أن "المطابع ليست سرية الآن."

ثانيا، عاد إلى أمه، وذكرياته عنها. "سألني صديقي شوان: ما إخبار أمك؟ قلت: في البصرة. كان شوان يزورنا كلما اشتهى أن يأكل وجبة كان يحبها كثيرا: الباذنجان مع اللحم."

الرواية الثالثة: "دوائر الخوف":

لم ينهزم زاهي السعودي، ولم ينتصر. وانهزم مهموم المغربي. وانتصر عادل العراقي. ماذا عن خالد السوداني؟ خالد هو بطل رواية "دوائر الخوف" التي كتبها احمد خير، أديب سوداني.

مثل غيره، ولد خالد وتربى في قرية، وانعكس تأثير الإسلام عليه: "الشيخ عبد الحافظ"، صاحب الكرامات في القرية، كان يكثر من قول "بارك الله فيك"، ويبدأ الحديث ب"الصلاة والسلام على اشرف المرسلين، ويؤم المصلين، ويلقي خطبة الجمعة، ويعلم أهل القرية أمور دينهم، ويحذرهم من عذاب اليم يوم القيامة."

كبر خالد، وترك القرية، وتعلم، وأصبح دبلوماسيا في سفارة السودان في واشنطن. وكتب خطابا عن الغربة عن الوطن إلى صديق في السودان. استشهد بقول عبد الرحمن الداخل، مؤسس دولة الأندلس: "قدر البين بيننا فافترقنا، وطوي البين عن جفوني غمضي." واستشهد، خلال حديث عن نفاق المثقفين مع الحكام في الدول العربية، بما "حدث في واقعنا العربي، حيث قال الشاعر ابن هائئ مادحا الخليفة المعز لدين الله الفاطمي:

« ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار."

في أمريكا، اكتفى "خالد" بأمريكية واحدة هي "سوزان." وعندما سألته: "هل ستتركني إلى فتاة أخرى؟"، أجاب: "لن تكن هناك أخرى في حياتي. أنت حبي الوحيد والأخير."

وفضل "خالد" السياسة على الجنس. وقضى ساعات مع "سوزان" يتحدثان عن مشكلة فلسطين، وفساد الحكام العرب، وغزو العراق، والاختلافات الثقافية بين أمريكا والسودان. لم يتناقشا في الجنس أو يمارساه كثيرا. وفي معظم الحالات كانت "سوزان" هي التي تبادر، وتقول: "دعنا نقوم إلى الفراش."

ترك "خالد" أمريكا، بعد أن واجه، في جانب، ضغوط الأمريكية لتتزوجه، وواجه، في الجانب الآخر، ضغوط أخته ليتزوج سودانية (أخت رجل كان يريد أن يتزوج الأخت). ورغم أن "خالد" قتل في حادث انفجار، يبدو أنه ما كان سيتزوج الأمريكية بعد أن انتقدته أخته، وقالت له أن "بلاد الخواجات حولتك إلى خواجة."

الرواية الخامسة: "موسم الهجرة إلى الشمال":

هل كان خالد السوداني سيعود إلى وطنه والى أمه، مثل زاهي السعودي، وعادل العراقي؟ أو هل كان سيقتل الأمريكية، ثم يقتل نفسه، مثلما فعل مصطفى، في رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" التي كتبها الطيب صالح، الأديب السوداني؟

عاشر مصطفى، خلال سنة واحدة فقط، خمس بريطانيات، وقال لهن: "جئتكم غازيا"، وأوهم كل واحدة بأنه سيتزوجها، وانتحل اسما مختلفا مع كل واحدة، وتسبب في انتحار اثنتين، وقتل ثالثة (زوجته جين موريس).

قالت إزابيلا سيمور البريطانية لصديقها مصطفي، في لحظات نشوة ورعشة: "اقتلني أيها الغول الإفريقي. احرقني في نار معبدك أيها الإله الأسود. دعني أتلوى في طقوس صلواتك العربيدة المهيجة."

غريبة! قالت ماري الفرنسية لمهموم المغربي نفس الشيء تقريبا. قالت له: "أنا بين ذراعيك. لاعب نهداي. مص شفتاي. غص في بحر عيوني. أنا كومة ثلج. أدفئ برودة روحي. أنا قطعة حديد في مصنع غربي. اتركني أنصهر في فرن قلبك الدافئ. أنا حقلك المعشوشب. ابذر ما يحلو لك فيه.

واشنطن بوست جهاد صامت أمام البيت الأبيض

“The Washington Post”
WHY I HOLD A JIHAD AT THE WHITE HOUSE
By Mohammad Ali Salih

(EDITED) … During the last year of George W. Bush administration, on weekends, silently and alone, I started standing in front of the White House holding a huge banner that asks, on one side, "What is Terrorism?" and, on the other side, "What is Islam?"
Since 1980, I have been a Washington, DC, full-time correspondent for major Arabic publications in the Middle East, and have been grateful to this most free and most moral country in the history of mankind. But since Sept. 11, 2001, I have become sad and sometimes angry because of what I had come to believe were Bush's subtle wars on Muslims, in the name of the “War on Terrorism.”
Because I couldn’t express this opinion in the American media, I started this silent and lonely campaign. I am not the stereotypical demonstrator; I don’t shout slogans, argue, marsh, fast, camp outside the White House, chain myself to its fence, or even wear jeans and T-shirts. Believing that my conduct is part of my message, I dress in dark suits, and only briefly answer quick questions …
In small print at the bottom of my banner, I wrote: "To improve Muslim’s image America. And to improve America’s image in the Muslim World. Will be here until I die!"

This plan has disrupted my wife's plan for us to retire in Florida; I told her that if I become self-employed and winter becomes too cold for me to stand in front of the White House, we will take off to Florida. Another part of my plan is to use a wheelchair when I became older or won't be able to stand. I actually envision myself dying in front of the White House holding my banner …
All over the world, most Muslims have opposed U.S. invasion and occupation of two Muslim countries (Afghanistan and Iraq); bombardment of two Muslim countries (Pakistan and Somalia); threats to bombard two Muslim countries (Syria and Iran) and the recent secret bombardment of a Muslim country (Yemen). Also, killing, arresting, torturing, chasing, harassing, insulting and humiliating Muslims all over the world …
I believe Bush's and Obama's basic problem with the Muslims is the two's inability to understand -- or perhaps their denial -- that the Koran, clearly and repeatedly, calls upon Muslims to stand up against injustice, particularly if inflicted upon them by non-Muslims, and particularly if in the form of a blatant military occupation. The Koran, clearly and repeatedly, asks Muslims to sacrifice their time, money, family and -- ultimately -- life to end injustice …
Probably my faith is not strong enough to make me sacrifice against injustice with my money (I barely make ends meet); with my family (I want them to be near me); or with my life (I don't think I have enough left). But, yes, with my time; that was why I declared a peaceful, silent and lonely jihad in front of the White House …
Meantime, I am indebted to the great American liberty for allowing me, a Muslim, an Arab, an African and a "foreigner" to raise my banner in front of the White House – protected by its cops.
Actually, as I try to improve the Muslims' image in America, I am also trying to improve America's image in the Muslim world …

Mohammad Ali Salih has been, since 1980, Washington full-time Correspondent for major Arabic Publications in the Middle East.
His e-mail address is: contact@mohammadalisalih.com

"في الأسبوع الماضي، في محكمة في باكستان، وقف الشباب المسلمون الأمريكيون الخمسة الذين كانوا اعتقلوا هناك بتهمة الإرهاب. قالوا للقاضي إنهم ليسوا إرهابيين. ولا ينتمون إلى منظمة "القاعدة". ولا يريدون إيذاء الباكستانيين. وكانوا في طريقهم إلى أفغانستان، ليجاهدوا ضد القوات الغربية هناك. قال واحد منهم: "لسنا إرهابيين. نحن جهاديون. وليس الجهاد إرهابا".

هزني هذا الخبر من باكستان . وهزني دفاع هؤلاء الشباب عن الجهاد. وجعلني أقرر العودة إلى جهادي الخاص: أمام البيت الأبيض.

قبل أكثر من سنة، وخلال الشهور الأخيرة للرئيس السابق بوش، وفي عطلة نهاية الأسبوع، بدأت مظاهرة صامتة، وفردية، أمام البيت الأبيض.

في الحقيقة، ظللت أعيش واعمل في واشنطن منذ سنة 1980، في وظيفة صحافي، مراسلا لصحف عربية في الشرق الأوسط. لكن، منذ هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، أحسست بالحزن، والتوتر، والغضب. وذلك لأني اقتنعت أن ما تسمى "الحرب ضد الإرهاب" التي أعلنها الرئيس بوش لم تكن غير حرب ضمنية وغير مباشرة ضد المسلمين.

كتبت ذلك في آراء أرسلتها إلى صحف أميركية. لكنها لم تنشرها. لهذا، قررت أن أبدا حملة فردية وصامته أمام البيت الأبيض.

لكن، عندما دخل البيت الأبيض الرئيس أوباما، توقفت. وذلك لأني توسمت فيه خيرا. كان وعد بأنه سيوقف سياسات بوش العسكرية والعدوانية. وسيوقف النقاش الصاخب والفارغ وسط السياسيين في واشنطن. وسيعيد إلى الأمريكيين الطمأنينة.

وأيضا، في بداية الصيف الماضي، ذهب إلى مصر، وخاطب العالم الإسلامي، وقال أنه يحترم المسلمين ويريد معهم علاقات سلمية. وانه سيضغط على إسرائيل لوقف بناء مستوطنات جديدة في الضفة الغربية.

لكن، بعد سنة تقريبا من دخول أوباما البيت الأبيض، اقتنعت بأن لا فائدة منه. وانه مثل بقية السياسيين الذين يقدمون الوعود ليفوزوا في الانتخابات. وبعد أن يفوزوا، يخططون ليفوزوا مرة أخرى.

ولهذا، اقتنعت بأن أوباما لا يملك الشجاعة ليؤسس علاقات سلمية مع المسلمين. وليوقف الظلم الأمريكي الواقع على المسلمين باسم ما تسمى "الحرب ضد الإرهاب."

ولهذا، عدت لاقف أمام البيت الأبيض.

لست متظاهرا مثل بقية المتظاهرين. لا أهتف، ولا أصرخ، ولا أناقش، ولا أمشى يمينا ويسارا، ولا ألبس "جينز" و"تي شيرت"، ولا أصوم عن طعام أو شراب، ولا ارقد، ولا أنصب خيمة، ولا أعتكف، ولا أقيد نفسي بسور البيت الأبيض.

لأني أؤمن بأن مظهري وسلوكي جزء من رسالتي، ارتدي بدلة أنيقة غامقة اللون. واحمل لافتة أنيقة مطبوعة. وأرفض النقاش والجدل، غير إجابات قصيرة وهادئة لمن يسألني سؤالا سريعا.

أحمل لافتة كبيرة عليها سؤالان: في جانب سؤال: "وات أز تيروريزم؟" (ما هو الإرهاب؟). وفي الجانب ألآخر سؤال: "وات إذ إسلام؟" (ما هو الإسلام؟).

فضلت ألا أكتب رأيي. وألا أعارض هذا، وألا أؤيد هذا. ولكن، اسأل الأميركيين سؤالين أساسيين عن هذه المشاكل الكبيرة بينهم وبين المسلمين. وأحاول أن أثير نقاشا في أميركا (وفي العالم) لأني اقتنعت:

أولا: لن تنتهي هذه الحروب والغزوات والغارات إذا لم يفهم الأميركيون معنى كلمة "الإرهاب"، ومعنى كلمة "الإسلام".

ثانيا: رغم نفاق السياسيين، يظل الشعب الأمريكي متحضرا، وعقلانيا، ويحترم الرأي الآخر. ويمكن إقناعه على المدى البعيد.

في اللافتة وبخط صغير تحت السؤالين، هذه العبارات: "يريد الرئيس أوباما أن يحسن صورة أمريكا في العالم الإسلامي. وأريد أنا أن أحسن صورة الإسلام والمسلمين في أميركا. وأنا سأكون هنا حتى أموت!"

منذ السنة الماضية، خططت بأنني إذا وجدت اهتماما من الإعلام الأمريكي، وتبرعات كافية عن طريق موقعي في الإنترنت، سأستقيل من عملي الصحافي. وأتفرغ للوقوف أمام البيت الأبيض كل يوم، بدلا عن عطلة نهاية الأسبوع.

لكن، كان هذا سيعرقل خطط زوجتي بأن نتقاعد في ولاية فلوريدا الدافئة. لهذا، قلت لها أنني، إذا صرت رئيس نفسي، أقدر على أن انظم وقتي مثلما أريد. وإذا اشتد برد الشتاء، ولم اقدر على الوقوف أمام البيت الأبيض، نذهب إلى فلوريدا.

وأيضا، خططت بأنني، عندما أكبر أكثر في العمر، وربما لا أقدر على المشي، سأستعمل كرسيا بعجلات. وأيضا، خططت لأن أموت أمام البيت الأبيض وأنا أحمل لافتتي.

بالإضافة إلى قناعاتي الشخصية، لاحظت غضب المسلمين حول العالم على أمريكا، لأنها:

أولا: تحتل دولتين مسلمتين (أفغانستان والعراق).

ثانيا: تضرب دولتين مسلمتين (الصومال وباكستان).

ثالثا: تهدد بضرب دولتين مسلمتين (سوريا وإيران).

رابعا: الآن، تهدد بالتدخل في دولة مسلمة (اليمن).

وأنا لست متفائلا بأن الرئيس أوباما سيقدر على وقف هذا الظلم. لأنه لا يعرف (أو يعرف ولا يعترف) بأن القرآن الكريم، مرات كثيرة، وبعبارات واضحة، يدعو المسلمين ليقفوا ضد الظلم. خاصة إذا كان من غير المسلمين. وخاصة إذا كان في صورة احتلال عسكري صارخ، كما هو الآن.

أعود إلى موضوع الشباب المسلمين الأمريكيين الخمسة في باكستان. وأقول أنني لا أريد أن أدخل في نقاش إذا كانوا "مجاهدين" أو "إرهابيين". وإذا سيموتون "شهداء" أو "خونة". هذه أشياء بين كل واحد وربه.

لكنى اتفق معهم بأن الجهاد ليس إرهابا.

ولهذا، تسال لافتتي: "ما هو الإرهاب؟"أيضا، تسأل لافتتي: "ما هو الإسلام؟" وذلك لأن الأمريكيين لا يعرفون الإسلام. ولا يعرفون أن القرآن الكريم يدعو المسلم المؤمن ليضحي لوقف الظلم، بوقته، وبماله، وبعائلته، وبروحه.

لست مؤمنا قويا لأضحي بمالي (ولا أملك منه كثيرا). ولأضحي بعائلتي (في عمري هذا، أريد أن أكون قريبا منهم). ولأضحي بحياتي (لم يتبق فيها كثير).

لهذا، أعود لمواصلة أضعف الإيمان، وهو الوقوف أمام البيت الأبيض، صامتا، ووحيدا."

واشنطن بوست كيف تبدو أمريكا من السودان؟

بن لادن في قريتي

"The Washington Post"
HOW AMERICA LOOKS FROM SUDAN
(BIN LADEN IN MY VILLAGE)
By Mohammad Ali Salih

On Wednesday, Secretary of State Hillary Clinton complained to the Senate Foreign Relations Committee about proposed cuts in her budget, saying that more money was needed to improve the U.S. image overseas. But she didn't say at least two other things: One, even when then-President George W. Bush declared a "war of ideas" and increased the diplomatic budget, the United States wasn't able to improve its reputation, particularly in the Muslim world.
Two, the damaged reputation doesn't stem from the highly regarded American principles of freedom and justice, of the kindness of the American people, or of advances in science and technology, but from aspects of foreign policy.
Clinton should have accompanied me last year during my last visit to my village: Wadi Haj, near the town of Argo, on the Nile River in northern Sudan, south of the border with Egypt.
After 30 years in Washington and 20 years' absence, I returned to my village because my father died. While I was there, I was curious about the U.S. reputation, nine years after the Sept. 11 attacks and the beginning of the "war on terrorism." Mixed attitudes about the United States in the larger Muslim world are reflected in polling.

In 2003, a survey by Pew Research Center found that the percentage of those holding a "favorable view" of the United States was as low as 1 percent in Jordan, 13 percent in Pakistan and 15 percent in Turkey.
However, those who admired U.S. technological achievements were 59 percent in Jordan and 42 percent in Pakistan. Opinion of U.S. popular culture was mixed, but more positive than one might expect. In Lebanon, 65 percent said they liked American music, movies and television, and in African countries with significant Muslim populations, such as Senegal and Nigeria, majorities said they liked American popular culture, although majorities in Jordan and Egypt said the opposite.
Pew didn't poll in Sudan.
My village looks like one of those Afghan villages shown on TV, with mud houses, donkey carts and men in flowing garments. Sheep and goats are kept inside homes; dogs wander the streets; women cover their bodies and hair, but not their faces.
I visited my old "madrassa," or Koranic school. There I, like the Afghan and Pakistani children seen on TV, would sit with other boys on the ground and recite verses from the Koran.
Back in the village after the long absence, I tried to be "normal": Instead of suits, I wore the flowing white jalabiya; instead of dress shoes I wore footwear made from tiger skin. I ate with my hands, prayed five times a day, showered by squatting on the floor and scooping water from a bucket, and used a hole in the ground as a toilet.
Under a colorful tent set up to receive mourners, some of my nephews and their friends gathered around me, quietly asking about America: where Michael Jackson was buried (I didn't know); when my children would visit (they want to); and if I would help in securing acceptances at American universities (I would do my best).

Noticing that some of the young men had laptops, I told them about my visit to the Dell headquarters in Austin. They were excited when I told them of my question to founder Michael Dell about the future of the laptop and of his answer that it would have no battery and could be "virtual," a screen that appeared and disappeared in front of a person.
On the other hand, I didn't expect the popularity among the villagers of the Lebanese Hezbollah party, the Palestinian Hamas movement, the Taliban and al-Qaeda. Some showed me videos from the Internet on their cellphones with what appeared to be U.S. military vehicles being blown up in Iraq while insurgents shouted "Allahu Akbar" (God is the greatest), and videos of Osama bin Laden criticizing America.
One afternoon, while my family was receiving mourners under the tent, bitter black coffee was being served and some were reciting verses from the Koran, one of my brothers asked me about America. When I praised its freedom, my brother erupted. "What freedom? Freedom to kill Muslims all over the world? Freedom to side with Israel?" he shouted.
My brother's stereotype of Muslims in America after the Sept. 11 attacks was that of fearful people who could be jailed, deported or sent to concentration camps. I looked around and saw the mourners murmuring or nodding in support of my brother. I changed the subject.
The day before I left, I went to Friday prayers in a nearby town. The imam's sermon was as harsh as I remembered them being, with repeated threats of hellfire for people who disobey God. But, this time America was included for its "crimes" against Islam and Muslims.
Usually, worshippers don't comment on the sermon. This time a farmer from a nearby village asked: "Why do we pray to God to destroy America? Why don't we pray to God to guide America?"
A quiet debate followed, invoking verses from the Koran about, on one side, God's anger and, on the other, God's mercy. I, a foreigner in my own village and worried about my own reputation, just listened.

Back amid Washington's politics of fear, anger, war, confusion and stress, every now and then I remember the farmer — and pray to God to calm America. I did that on Wednesday while watching Hillary Clinton ask Congress for more money to improve the U.S. image overseas — as if the U.S. reputation were based on how much we spend.

The writer is a Washington-based correspondent for Arabic magazines and newspapers in the Middle East. His e-mail address is contact@mohammadalisalih.com.

واشنطن: محمد علي صالح

يوم الأربعاء، اشتكت وزيرة الخارجية، هيلاري كلينتون، إلى لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ من التخفيضات المقترحة في ميزانية وزارتها، وقالت أنها تحتاج إلى المزيد من الأموال لتحسين صورة الولايات المتحدة في الخارج. لكنها لم تقل شيئين هامين في هذا الموضوع:

أولا: حتى عندما أعلن الرئيس السابق جورج بوش (الابن) "حرب الأفكار"، وزاد ميزانية الدعاية للولايات المتحدة في الخارج، لم يقدر على تحسين سمعة الولايات المتحدة، وخاصة في العالم الإسلامي.

ثانيا: تضرر سمعة الولايات المتحدة في الخارج ليس بسبب المبادئ الأمريكية السامية عن الحرية والعدالة، ولا بسبب إنسانية الشعب الأميركي، ولا بسبب التقدم في مجال العلم والتكنولوجيا، ولكن بسبب جوانب السياسة الخارجية.

كان يجب على كلينتون أن ترافقي، في العام الماضي، أثناء زيارتي إلى قريتي: وادي حاج، قرب مدينة أرقو، على نهر النيل، في شمال السودان، جنوب الحدود مع مصر.

بعد 30 سنة في واشنطن، وغياب 20 عاماً، عدت إلى قريتي لأن والدي توفي.

منذ هجمات 11 سبتمبر سنة 2001، وبداية ما تسمى "الحرب ضد الإرهاب"، أجريت كثير من الاستفتاءات عن رأي الشعوب الأخرى، وخاصة الشعوب الإسلامية، في الولايات المتحدة.

في عام 2003، وجد استفتاء أجراه مركز "بيو" في واشنطن أن النسبة المئوية لأصحاب "رأي ايجابي" عن الولايات المتحدة كانت منخفضة، ووصلت إلى 1 في المائة في الأردن، 13 في المائة في باكستان و 15 في المائة في تركيا.

لكن، رغم ذلك، كانت نسب المعجبين بالإنجازات التكنولوجية في الولايات المتحدة عالية: 59 في المائة في الأردن و 42 في المائة في باكستان. وعن الثقافة الأمريكية، كانت الآراء مختلطة: في لبنان، قال 65 في المائة أنهم يحبون الموسيقى والأفلام والبرامج التلفزيونية الأمريكية. وفي البلدان الأفريقية حيث نسبة كبيرة من السكان مسلمين، مثل السنغال ونيجيريا، قالت الأغلبيات إنها تحب الثقافة الشعبية الأميركية. لكن، قالت الأغلبية في كل من مصر والأردن عكس ذلك.

لم تجرى "بيو" استطلاعا في السودان.

تبدو قريتي مثل واحدة من تلك القرى الأفغانية التي نشاهدها في التلفزيون. بيوتها من الطين، وفي شوارعها عربات تجرها بغال، والرجال يرتدون جلابيب بيضاء فضفاضة، والنساء يغطين أجسادهن وشعورهن، ولكنهن لا يغطين وجهوههن، والأغنام والماعز تعيش داخل المنازل، والكلاب على وجوهها في الشوارع.

زرت "الخلوة" (المدرسة القرآنية) القديمة، حيث كنت،مثل الأطفال الأفغان والباكستانيين الذين نراهم التلفزيون، اجلس مع صبية آخرين على الأرض، ونرتل آيات من القرآن الكريم.

وهاأنذا عدت إلى القرية بعد غياب طويل. حاولت أن أكون "طبيعيا": بدلاً من البدلة، ارتديت جلابية بيضاء فضفاضة، وبدلاً من حذاءين تقليديين، ارتديت حذاءين مصنوعين من جلد النمر. أكلت بيدي، وصليت خمس مرات في يوم، واستحممت بالجلوس القرفصاء على الأرض بينما غرفت الماء من جردل، واستعملت حفرة في الأرض كمرحاض.

تحت خيمة ملونة لاستقبال المعزين في وفاة والدي، تجمع حولي شباب العائلة وأصدقائهم، يسألون في فضول، ولكن في هدوء، عن أمريكا: أين دفن مايكل جاكسون؟ (لم أكن أعرف). متى سيزورنا أولادك؟ (يريدون زيارتكم). هل تساعدنا على القبول في جامعات أمريكية؟ (سأبذل قصارى جهدي).

لاحظت أن بعضهم يحمل كمبيوترات "لابتوب". وحكيت لهم عن زيارتي لرئاسة شركة "ديل" في أوستن (ولاية تكساس). وتابعوني في شغف عندما قلت لهم أنني سالت مايكل ديل (مؤسس ورئيس الشركة) عن كمبيوترات المستقبل. وعن إمكانية اختراع بطارية صغيرة وطويلة الأمد، ورد: "حلمي ألا تكون للكمبيوتر أي بطارية". وعندما سألته عن كيف سيكون الكمبيوتر في المستقبل، ورد: "وأنت جالس مع آخرين، تستأذنهم للاطلاع على بريدك الإلكتروني، وتسمح بيدك الهواء أمامك، فتظهر شاشة كمبيوتر، وتفتح بريدك، وتقرؤه، ثم تسمح بيدك الهواء، وتختفي الشاشة، وتعود للحديث مع الذين حولك".

من ناحية أخرى، لم أكن أتوقع شعبية بين سكان القرية لحزب الله (اللبناني)، وحركة حماس (الفلسطينية)، وحركة طالبان (الأفغانستانية)، ومنظمة القاعدة (العالمية). أطلعني إخواني على فيديوهات في تلفوناتهم الموبايل عن انفجار دبابات أمريكية في العراق على أيدي عراقيين معارضين للاحتلال الأمريكي، مع هتافات "الله اكبر"، وفيديوهات لحسن نصر الله، زعيم حزب الله، وهو يهاجم إسرائيل، وفيديوهات لأسامة بن لادن وهو يهاجم أمريكا.

في ظهر يوم من الأيام، بينما كنا نستقبل المعزين، ونقدم لهم القهوة السوداء، وكلنا نستمع لتراتيل من القرآن الكريم، سألني واحد من إخواني عن أمريكا. وعندما أشدت بحريتها، هب صائحا: "أي حرية تتحدث عنها؟ حرية قتل المسلمين في جميع أنحاء العالم؟ حرية خدمة إسرائيل؟" حاولت مناقشته في هدوء، لكنه رفع صوته أكثر.

وعندما نظرت حولي، ورأيت المشيعين يؤشرون برؤوسهم تأييدا لأخي، غيرت الموضوع.
في اليوم الذي سبق مغادرتي لقريتي، ذهبت إلى صلاة الجمعة في جامع المدينة المجاورة. نفس الجامع الذي كنت أصلي فيه قبل نصف قرن تقريبا. ونفس خطب الأمام القاسية، والمؤنبة، والمنذرة للعصاة والكفار بنار الله الموقدة يوم القيامة. لكن، هذه المرة، انضمت أمريكا إلى قائمة "الكفار".

عادة، لا يعلق المصلون على الخطبة. لكن، هذه المرة وقف مزارع من قرية مجاورة، وسال طالبا نصيحة: "لماذا ندعو الله ليدمر أمريكا؟ لماذا لا ندعو الله ليهدي أمريكا؟ ".

تلت ذلك مناقشة هادئة، في جانب ناس يعتمدون على القرآن لتأكيد عقاب الله، وفي الجانب الآخر ناس يعتمدون على القرآن لتأكيد أن الله غفور رحيم.

وهاأنذا اليوم في واشنطن، عاصمة السياسة والسياسيين، وفي أجواء من الخوف، والغضب، والحرب، والارتباك، والتوتر، والإحباط. من وقت لآخر، أتذكر ذلك المزارع، وأدعو الله ليهدي أمريكا. وفعلت ذلك يوم الأربعاء، وأنا أشاهد هيلاري كلينتون وهي تطلب من الكونجرس مزيدا من الأموال لتحسين سمعة الولايات المتحدة في الخارج، وكان هذه السمعة تعتمد على المال.

الكاتب مراسل واشنطن في لمجلات وصحف عربية في الشرق الأوسط. وعنوانه البريدي الإلكتروني هو [illegible].

واشنطن بوست والدي: يصلي أو يتآمر؟

هل والدي إرهابي؟

“The Washington Post”
PRAYING OR PLOTTING?
MY FATHER A TERRORIST?
By Mohammad Ali Salih

"May Allah guide you in whatever you do. May Allah protect you from evil. May Allah destroy your enemies."
These were the words I heard from my eightysomething father one recent morning as his frail voice came over the phone from a Sudanese village about 6,000 miles away. To each sentence I replied "Amen," and as I hung up, I felt the soothing effect of his prayer come over me at the start of another day.
But at the same time, as I readied myself for work here in the tension-filled capital of the United States I couldn't help but wonder: What if the National Security Agency were listening to my phone calls to Sudan?
My father, who is barely able to read a newspaper and never went to a modern school, learned about Islam and basic Arabic in his village khalwa (an Islamic school or madrassa). He grew up to be the village's Sharia expert and its shaman, healing patients with religious rituals and native medicine.
His everyday conversation has always been peppered with Islamic words and phrases such as " Allahu akbar " (God is great), "jihad" and "infidels." Thirty years ago, when I married an American Christian, my father objected, saying she was an infidel.

But he mellowed a few years later and now, whenever we talk on the phone, he sends his best wishes to her and our three children (he also prays for them). But he still expects that one day I will leave "Dar al-Harb" ("the land of war," i.e., the West) and return to "Dar al-Salam" ("the land of peace," i.e., Muslim countries).
My father is not an extremist, just a product of his environment, education and age. And although some say that the Sept. 11, 2001, terrorist attacks on the United States "changed everything," they did not change my father. They did not change the way he talks.
But they did lead the NSA to begin spying on overseas phone calls and e-mail messages. The agency is reportedly using computers to search for key words to pick up and track certain phone calls. Words such as bomb, explosives, jihad and infidels.
My father uses some of those words.
I need my father's prayers (all prayers, really) to calm me down while the United States, the greatest nation in history, is caught up in a state of fear. My feelings about this fear have evolved from amazement to sadness and recently to anger. Not anger at the American people so much as at President Bush, whose strategy of endless war against an unidentified enemy has frightened everyone.
But sadly, my father's words can now raise red flags in the United States. The last time I spoke to him, he said he was going to send me a long written prayer in a letter. I said that regular mail would take too long and suggested instead that he give the prayer to one of his computer-literate grandchildren to e-mail to me.
But now I worry: Can NSA computers tell the difference between a prayer and a terrorist plot?
mohammadalisalih@yahoo.com
Mohammad Ali Salih is Washington correspondent for the London-based Arabic daily Asharq Al-Awsat and other Arabic publications.

"ليوفقك الله في كل ما تفعل. ليحميك الله من الشر. ليدمر الله أعدائك".

سمعت هذه الكلمات من والدي، وهو في الثمانين من العمر، صباح يوم مؤخرا، في صوت ضعيف جاء عبر الهاتف من قريتي في السودان (وادي حاج، قرب مدينة أرقو، على نهر النيل، في شمال السودان، جنوب الحدود مع مصر) من مسافة حوالي 6000 ميل. وأجبت على كل دعاء بكلمة "آمين." وشعرت بتأثير مهدئ لدعواتي علي، وأنا أبدا يوما آخرا من أيام عملي، هنا في عاصمة الولايات المتحدة، المليئة بالتوتر.

لكني سألت نفسي: ماذا لو كانت وكالة الأمن الوطني (إن أس إيه) تتصنت لمكالماتي الهاتفية مع السودان؟

تعلم والدي، وهو الذي يجد صعوبة في قراءة صحيفة ولم يذهب إلى مدرسة حديثة، الإسلام وأساس اللغة العربية في خلوة (مدرسة إسلامية للأطفال) القرية. وتربى وصار خبيرا في الشريعة الإسلامية في القرية، ويداوي المرضي بأدعية وأدوية إسلامية.

وظل حديثه اليومي دائما تتخلله كلمات وعبارات إسلامية، مثل: "الله أكبر" و"جهاد" و "كفار". قبل ثلاثين سنة، عندما تزوجت مسيحية أمريكية، عارض، وقال إنها "كافرة".

لكن، خلال السنوات التالية، قلل معارضته. والآن، كلما نتحدث بالتلفون، يطلب منى أن أرسل لها أطيب تمنياته، والى أولادنا الثلاثة (وأيضا، يقول إنه يصلى لهم). لكنه يظل يتوقع أنه، يوما ما، سوف أترك أنا "دار الحرب"، وأعود إلى "دار السلام".

والدي ليس متطرفا. أنه يتأثر بمجتمعه، وبيئته، وتعليمه، وعمره. ورغم أن كثيرا من الأمريكيين يقولون أن الهجمات الإرهابية على الولايات المتحدة في 11 سبتمبر 2001، "غيرت كل شيء"، لم تغير والدي. ولم تغير الطريقة التي يتكلم بها. لكن، هذه الهجمات الإرهابية جعلت وكالة الأمن الوطني تبدأ في التجسس على الاتصالات التلفونية، والبريد الإلكتروني، بين الولايات المتحدة والدول الأخرى. وصارت تستعمل أجهزة الكمبيوتر تبحث عن كلمات معينة، وتلتقطها، وتسجل أرقام الذين يستعملونها. كلمات مثل: قنابل ومتفجرات، وجهاد وكفار.

والدي يستخدم بعض تلك الكلمات.

أحتاج أنا إلى دعوات والدي (وجميع الدعوات الصالحات حقاً) لتطمئنني، بين الولايات المتحدة، أعظم أمة في التاريخ، أغلقت نفسها على حالة من الخوف، والذعر، والشك. وتطورت مشاعري نحو هذا الخوف الأمريكي من دهشة، إلى حزن، إلى غضب. لست غاضبا على الشعب الأمريكي بقدر ما غاضب على الرئيس جورج بوش، الذي تسببت إستراتيجيته بإعلان حرب لا نهاية، لها ضد عدو مجهول، في خوف شمل الأمريكيين وغير الأمريكيين.

ولكن للأسف، كلمات والدي يمكن الآن أن ترفع الإعلام الحمراء في الولايات المتحدة. آخر مرة تحدثت معه، قال أنه كان على وشك إرسال دعوات طويلة. وأنا قلت له إن البريد العادي يستغرق وقتا طويلا. واقترحت عليه أن يعطي الدعوات المكتوبة إلى واحد من أحفاده الذين يعرفون العمل بالكمبيوتر ليرسلها لى إلكترونيا.

لكن، الآن أنا قلق: هل تقدر أجهزة وكالة الأمن الوطني أن تفرق بين دعاء ومؤامرة إرهابية؟

واشنطن بوست عندما وقع هجوم إرهابي على البنتاجون: لم يحدث شيء أو حدث؟

"The Washington Post"
"ATTACK" ON THE PENTAGON
Mohammad Ali Salih

I have come to dread weeks like the last one in Washington, when security measures -- and people's anxieties -- are heightened. Call it paranoia if you will, but for an Arab Muslim man like me, life in the nation's capital sometimes seems like a trial of wits, pitting my own against what I imagine the prevailing fears to be.
That realization came to me after a false alarm at the Pentagon Metro station set bells ringing in my head -- and I think there's a message for all of us in what didn't happen that day. It was Dec. 6, and I had left my office at the National Press Building early, around 11 a.m., to take the Metro home. I planned, as usual, to take the Blue Line from Metro Center through the Pentagon to Franconia-Springfield station and from there take the bus to Rolling Valley Mall in Burke, where I park. While waiting at Metro Center, I heard a muffled loudspeaker announcement alerting riders that the Pentagon Metro station was closed because of an "emergency."
After I boarded the train, there was a further announcement, saying "this train will not, repeat, will not, go to the Pentagon." The first thing that came to my mind was, "Oh no, not again!" I remembered 9/11, and I panicked.
Forgive me for my reaction. Under other circumstances, I might have asked fellow passengers for more information, but when two black riders started theorizing about a terrorist attack, I was scared that I might raise suspicions.

Since coming to the United States from Sudan more than 30 years ago, I have often felt flattered by a special friendliness from American blacks, in spite of my continued difficulty in understanding their accent and getting involved in their culture.
But since 9/11, I have sensed uneasiness among strangers, both black and white, when they surmise from my name or accent that I might be Muslim and Arab.
So I remained silent. I quickly left the train at the next station, McPherson Square, and changed to the Orange Line to go to Vienna.
I hoped to leave my worries behind on the next steps of my journey -- a bus ride from Vienna to George Mason University and a taxi on to Burke. But on the bus, I overheard three passengers -- GMU students, I guessed -- expounding theories about an "attack on the Pentagon." I heard them say that "terrorists had hijacked a Metro train" and that "terrorists exploded a chemical bomb under the Pentagon."
The clear implication was that Muslims were involved.
When the taxi arrived and the driver turned out to be a Muslim immigrant from West Africa, I eagerly asked him about what had happened at the Pentagon. He didn't know, and when I told him what I had heard, he minimized my fears, saying it was probably just a scare. He acknowledged, though, the issue of "Islamophobia," which he argued is not only a problem in the United States, but in other parts of the world as well, including Africa.
When the driver dropped me at Burke, a full three hours after I had left the office, I immediately turned on my car radio. I heard that the Pentagon Metro station had been reopened and that the whole scare was from pepper spray.
Pepper spray? That was what had shut down the station, creating the emergency -- and my panic? An Arab friend reached me on my cell phone, wondering why I had not answered earlier calls. I told him that I had not wanted to speak openly in Arabic because of the attack-on-the-Pentagon-that-turned-out-to-be-pepper-spray. We laughed and then lamented my story. He joked that I would have panicked more if I had "Middle Eastern features."

But we agreed that it was a sad reflection on the overall atmosphere of fear in America after Sept. 11, 2001. There are fears among Muslims, too: Those in America, especially those of us born overseas, are afraid of being accused of terrorism; those in Muslim countries are afraid of America’s heavy military hand.
My friend told me more soberly that he believed this situation would last "forever." As a reporter for more than 40 years who covered the Vietnam War, I am a little more optimistic. I have seen how time can heal divisions. In some sense, as I am getting older, I am becoming more American, more Arab, more African and more Muslim.
I see myself becoming closer to Christians and whites, after recognizing that this civilization, at its roots, is Christian and white and after almost 30 years of marriage to a white Christian American. I have taken our three biracial children to mosques, churches, synagogues, Hindu and Buddhist temples. I know that I can absorb differences and make them part of who I am.
My family is a living example of that.
Since 9/11, I have written scores of stories that are in some way inspired by the fear that has engulfed this, the greatest nation in the history of mankind. I have listened with a mixture of concern and amusement to messages on the Metro about watching for "suspicious bags and suspicious behaviors." Yet, I've found myself becoming uncomfortable when I've read about Metro police officers being trained to use new behavioral profiling techniques as they patrol subway stations, seeking to identify suspect riders.
Much as I appreciate the need for added security at airports, I can't help feeling singled out sometimes; during my last two plane trips I noticed "SSS" marked on my boarding passes and realized that the coding explained why I had been so elaborately searched.

All those thoughts were coursing through my mind on the day of the Pentagon incident. I learned that WTOP radio had reported the incident throughout the day, and NewsChannel 8 had shown a video of its correspondent outside the Pentagon. He had talked about "scary moments" and about a police officer wearing a gas mask and "screaming at us to drive to the opposite direction." The correspondent added that "understandably terrorist-sensitive emergency officials moved to investigate." That helped me to understand the GMU students' comments.

But I am left wondering: Does the rush to issue warnings and set in motion emergency security measures help people prepare for new attacks, or cause them to panic? I can't tell you for sure. Mine, after all, is a story of what happens when nothing happens, except for heightened security and jangled nerves. I still ask myself: Had I, an urbane, cosmopolitan, international, open-minded, 62-year-old journalist, overreacted?

Clearly I had. But only because the security systems had done so. That evening, the news reported the Pentagon evacuation had been caused not even by pepper spray, but by cleaning agents that activated a chemical sensor setting off the alarms -- in the station, in the city and in my head.

Author's e-mail: mohammadalisalih@yahoo.com
Mohammad Ali Salih is the Washington correspondent for the London-based “Asharq Alawsat.”

خلال السنوات الأخيرة في واشنطن، من وقت لآخر، تزيد الإجراءات الأمنية في العاصمة الأميركية، واشنطن، خوفا من هجوم إرهابي.

وعندما يحدث ذلك، يزيد توتر رجال الأمن، ويزيد توتر الناس، ويزيد توتري. سموها "بارانويا" (جنون الخوف من المجهول) إذا أردتم. ولكن، بالنسبة لرجل مسلم وعربي مثلي، تبدو، أحيانا، الحياة في العاصمة الأميركية وكأنها منافسة بين ذكائين: ذكائي العقلاني، وذكاء ما أتخيل من خوف.

حدث لي هذا، مؤخرا، عندما دقت أجراس الإنذار في محطة "المترو" (قطار تحت الأرض) التي تقع تحت مبنى "البنتاغون" (وزارة الدفاع) اعتقادا بأن هناك هجوما إرهابيا، مثل هجوم 11 سبتمبر .

عندما دقت أجراس الإنذار في "البنتاغون"، دقت أجراس الخوف في رأسي. واعتقد أن هناك درسا لي، ولغيري، من ما حدث ذلك اليوم.

درس من ما حدث، ودرس من ما لم يحدث.

بداية القصة:

كان الوقت الحادية عشرة صباحا، عندما تركت، مبكرا، مكتبي في مبنى الصحافة الوطنية، في طريقي إلى منزلي. نويت، كالعادة، أن أذهب إلى محطة "المترو" (قطار تحت الأرض)القريبة، واستقل "البلولاين" (الخط الازرق) الذي يذهب إلى ولاية فيرجينيا، ويمر تحت مبنى "البنتاغون" حتى آخر محطة في "سبرنغفيلد".

ومن هناك استقل حافلة إلى موقف السيارات في "رولنغ فالي"، ومن هناك استقل سيارتي إلى منزلي في ضاحية "بيرك".

سمعت، بينما كنت انتظر القطار في محطة "المترو"، صوتا من ميكرفون المحطة بأن هناك "حالة طوارئ" في محطة "البنتاغون". لم أفكر كثيرا في ذلك، وركبت القطار عندما جاء. لكن، بعد محطة أو محطتين، سمعت في ميكرفون القطار الآتي: "تحذير، تحذير: لن يقف هذا القطار في محطة "البنتاغون".

وكان أول شيء قفز إلى ذهني هو: "يا إلهي، لا تجعل هذا هجوما إرهابيا ثانيا على البتاغون."

هجوم 11 سبتمبر:

وتذكرت هجوم 11 سبتمبر على البنتاغون، وتذكرت الدمار والقتل والخوف والفوضى، واعتقدت أنني لن أقدر على أن أعود إلى منزلي. وتذكرت خوف الشعب الأميركي، بعد هجوم 11 سبتمبر من كل شيء مسلم وإسلامي. وخفت ألا يتهمني أحد لمجرد إني مسلم، وعربي، وأتكلم الإنجليزية بلكنة أجنبية.

اسمحوا لي، ربما خفت أكثر مما يجب. لكن زاد خوفي عندما سمعت رجلين أسوديين يجلسان بالقرب منى داخل القطار، ويتحدثان عن "هجوم إرهابي جديد على البنتاغون." ولهذا، قررت ألا أتحدث معهما، أو مع أي شخص آخر، خوفا من أن يلاحظوا لهجتي الأجنبية، ويعرفوا بأنني عربي ومسلم. وربما سيعتدون على خلال هذا الجو المتوتر. ربما كان يجب أن اطمئن للرجلين الأسودين.

منذ ثلاثين سنة:

منذ أن جئت إلى أميركا قبل ثلاثين سنة تقريبا، ارتحت لمبادرات الود والصداقة من الأميركيين السود. رغم أنني وجدت، ولا زلت أجد، صعوبة في فهم لكنتهم، وفي الاندماج في ثقافتهم.

لكن، بعد هجوم 11 سبتمبر، لاحظت عدم ارتياح من كثير من السود، والبيض، عندما يسمعونني أتكلم، ويعتقدون من لهجتي واسمي أنني مسلم وعربي.

داخل القطار، والإنذار يتكرر في الميكرفون، كان لابد أن أفعل شيء سريعا. وقررت أن أخرج من القطار.

وانتظرت حتى جاء قطار آخر يسير في "أورنج لاين" (الخط البرتقالي). خططت لأن ذهب إلى محطة "فينا". واستقل، من هناك، حافلة إلى جامعة "جورج ماسون". واستقل، من هناك، سيارة تاكسي إلى موقف السيارات في "رولنغ فالي"، حيث سيارتي، وأعود بها إلى بيتي.

قلت لنفسي إن ذلك سيبعدني من "الهجوم الإرهابي" على البنتاغون.

إشاعات في الحافلة:

وأنا في الحافلة، سمعت ثلاثة شبان، أعتقد أنهم طلاب في جامعة جورج مايسون، يتحدثون عن "هجوم إرهابي على البنتاغون". وتأكدت مخاوفي:

قال الأول: "هجم إرهابيون مسلمون على البنتاغون مرة أخرى."

وقال الثاني: "خطفوا قطارا تحت الأرض، وفجروه تحت البنتاغون".

وقال الثالث: "هجموا في المرة الأولي من الجو، بالطائرات. وهجموا هذه المرة من تحت الأرض".

وصممت على ألا أنطق ولا كلمة واحدة، خوفا، مرة أخرى، من أن يعرفوا إنني مسلم وعربي.

نزلت من الحافلة في محطة الجامعة، واستأجرت سيارة تاكسي. كان سائقها، لحسن حظي، مسلم من غرب إفريقيا. سألته: "هل صحيح أن هناك هجوما إرهابيا على البنتاغون؟" أجاب: "لا اعرف." وحكيت له قصتي. وقال: "هجوم أو لا هجوم، صار الأميركيون يخافون من كل له صلة بالإسلام والمسلمين. صارت عندهم "إسلاموفوبيا". صاروا يخيفون أنفسهم، ويخيفوننا. حتى الناس في إفريقيا صاروا يخافون لأن الأميركيين يخافون."

نشرة الأخبار:

أوصلني سائق التاكسي إلى موقف السيارات في "رولنغ فالي". وبمجرد دخولي سيارتي، فتحت الراديو لأتأكد مما حدث. كانت ثلاث ساعات مرت منذ أن تركت مكتبي. قالت نشرة الاخبار أن حالة الطوارئ في "البنتاغون" انتهت، وأعيد فتح المحطة. ولم يكن هناك هجوم إرهابي، وكان السبب احتراق غاز يستعمل تفريق المظاهرات، فيه شطة حارة.

شطة حارة؟

هل هذا هو سبب إعلان الطوارئ في "البنتاغون"؟ وسبب إغلاق المحطة؟ وسبب كل هذا الخوف والهلع؟

وأنا داخل السيارة، دق جرس التلفون "الموبايل"، وسألني صديق عربي عن سبب عدم الرد على اتصالاته؟ قلت له إنها وصلتني كلها، لكنى قررت أن أصمت، وإلا أتكلم، حتى لا يلاحظ إنسان لهجتي الأجنبية.

وحكيت له قصة "الهجوم الإرهابي على البنتاغون". وضحكنا. وقلت له: "كنت سأخاف أكثر لو كان ملامحي "شرق أوسطية" مثل ملامح وجهه.

ماذا حدث لأميركا؟:

واتفقنا على أن أميركا، بعد هجوم 11 سبتمبر، دخلت نفقا من الخوف لا يعلم نهايته إلا الله. وإنها سمحت لنفسها أن تخاف من عصابات إرهابية، ليس لها وطن، وليست جيشا نظاميا.

واتفقنا على أن خوف أميركا من المسلمين يطابقه خوف المسلمين من أميركا. الأميركيون يخافون متآمرين، وانتحاريين، ومتفجرين. والمسلمون يخافون دبابات، وطائرات، وصواريخ.

قال صديقي: "ليست هناك نهاية لهذا الوضع، لأنهم غربيون ولأننا شرقيون" لكني قلت له: "هذا صحيح. لكن، قليلا قليلا، سيتقابل الشرقيون والغربيون، ويتعارفون، ويتعايشون، ويتحابون، ويتزاوجون." قال: "هذا مستحيل" قلت: "مستحيل الآن. لكن ربما في جيل أولادنا، أو جيل أحفادنا."

في الحقيقة، ربما سبب تفاؤلي هو ثلاثون سنة في أميركا، جعلتني أقتنع بأن العقلانية الأميركية ستقودهم، في النهاية، إلى إنصاف العرب والمسلمين، يوما ما. وأنا شاهد على ذلك: كلما يكبر سني، وكلما تزيد إقامتي في أميركا، كلما يزيد أملي وتفاؤلي. أحس بأني أزيد إسلاما، وأزيد عروبة، وأزيد أميركية، وأزيد تفاؤلا. رغم أن هذا ربما يبدو متناقضا لبعض الناس.

لماذا؟:

لماذا؟

ربما لأني، بعد كل هذه السنوات، اقتنعت، واعترفت، بأن الحضارة الاميركية مسيحية بيضاء، ولا يقدر أن ينكر ذلك أي مسلم، وأي أسود، أي عربي.

زوجتي أميركية مسيحية بيضاء. لكننا، نربى ولدنا وبنتينا على أن ينفتحوا على كل شيء: إسلامي، ومسيحي، وعربي، وأميركي، وأسود، وأبيض.

أخذتهم إلى مساجد، وكنائس، ومعابد يهودية، وبوذية، وهندوسية.

أنا متأكد بأنني أقدر على أن أتعايش مع كل هذه الاختلافات والتناقضات. وكلما زادت، قوت إيماني، ورسخت هويتي.

منذ هجوم 11 سبتمبر، كمراسل أجنبي في واشنطن، كتبت عشرات الأخبار والتقارير عن هذا الخوف الغريب الذي يطوق الشعب الأميركي، أعظم شعب في التاريخ.

خلال كل هذه السنوات، ظللت أسمع عبارات ولافتات الإنذار والتخويف من الإرهاب والإرهابيين في كل مكان: في الحافلات، وفي القطارات، وفي المطارات.

قرأت وسمعت:

قرأت في الحافلات إعلانات: "أبلغ السائق إذا سمعت أو شاهدت شيئا مريبا." وسمعت في القطارات تعليمات مكررة: "الرجاء ملاحظة أي شيء غريب، أو تصرف غريب، وأبلغ الشرطة به."

وسافرت بالطائرات، ولاحظت علامة "إس إس إس" على بطاقة دخول الطائرة، ولم اعرف معناها، (توقفت هذه الظاهرة مؤخرا). وفتشوني تفتيشا أكثر من عادي. حتى بدأت أحس وكأني مستهدف.

مرت كل هذه الأشياء في ذهني يوم حادث "الهجوم الإرهاب على البنتاغون".

عندما وصلت إلى بيتي، فتحت التفزيون لأتأكد مما حدث. كانت القناة الثامنة تنقل رسالة من مراسلها، مباشرة على الهواء من أمام "البنتاغون". وقال: "رفع البنتاغون حالة الطوارئ. لكن، كانت هناك لحظات مخيفة ومرعبة." وقدم التلفزيون صور رجال شرطة وجنود بملابس الطوارئ، وعلى وجوههم كمامات الوقاية من الهجوم الكيماوي (أو ربما النووي). وصور نساء وأطفال يجرون يمينا وشمالا، ويبكون ويصرخون، هلعا وخوفا.

وها أنا الآن أسألكم كلكم:

"هل الإجراءات الوقائية، وإصدار إنذارات، وإغلاق محطات، يساعد الناس على الاستعداد لمواجهة الهجوم؟ أو هل يزيد خوفهم وفزعهم، ولا يعرفون كيف يتصرفون؟"

حدث، ولم يحدث:

لا اعرف الإجابة على هذا السؤال. لكني أعرف بأني قصتي هي قصة ما حدث عندما لم يحدث شيء.

لم يحدث شيء. لكن، حدث شيء.

حدث هلع وخوف ورعب. وأنا مثال على ذلك.

وها أنا الآن أسألكم كلكم: "هل بالغت في الخوف؟ هل كان يجب أن أتصرف في هدوء؟ أنا المتعلم، المتحضر، الصحافي الذي طاف كل العالم، والذي كتب عن كل شيء، والذي يزيد عمره عن ستين سنة؟"

اعترف: نعم، خفت.

ولكن، لأن الإجراءات الأمنية أخافتني.

قبل أن أنام في تلك الليلة، شاهدت آخر نشرات الأخبار. وقال المذيع: "وصلنا الآن هذا الخبر العاجل: أعلنت الشرطة أن حالة الطوارئ التي أعلنت في البنتاغون لم تكن بسبب غاز شطة حارة لمواجهة المتظاهرين. ولكن بسبب احتراق مادة صابونية لنظافة المحطة. وكان ذلك سبب أجراس الإنذار."

نعم، دق صابون النظافة أجراس الإنذار في البنتاغون. ودقها في كل واشنطن. ودقها داخل رأسي.

واشنطن بوست نيوزويك : ليلة مع مشردين في كنيسة

"Newsweek – Washington Post. com"
HOMELESS, NOT HEARTLESS
Mohammad Ali Salih

Two things worried me one recent Thursday evening as I entered the United Methodist church in Burke, a suburb in northern Virginia.
I went there to volunteer as a nightshift helper in a one-week program to shelter about fifty homeless people from the winter cold.
First, I had always avoided the homeless as I have seen their numbers gradually increasing in downtown Washington where I started working 27 years ago. I have seen them sleeping on the sidewalks, pushing their belongings in grocery carts, panhandling, shouting and cursing loudly.
Second, not being a member of the church and volunteering for the first time there, I wasn't sure how I was going to handle myself.
Nevertheless, living for all these years in Burke, I have taken my three children to mosques, churches, synagogues, Buddhist and Hindu temples. Wherever we went we were welcomed.
That's why I took it in stride when a homeless person at this Methodist church asked me, upon reading my first name on my name tag: "What is a Mohammad doing in a church?" A volunteer lady was more graceful when she commented: "I didn't know Mohammad is also a Christian name."

When I entered the church, I couldn't tell who was the volunteer and who was the homeless person because most of the homeless looked like ordinary people -- until I noticed that only the volunteers and Fairfax County officials (who coordinated the shelter program) had name tags.
I was surprised to learn that about half the homeless there had jobs, but apparently the jobs didn’t pay enough to cover their rents and other expenses.
I also was surprised to see that most of the homeless there were white. There were no children, but there were women (one pregnant); a few apparently married couples (we were not supposed to ask); two in wheelchairs; a few Latinos, and an Asian couple who looked like any other college boy and girl.
During my night shift, volunteers took turns sleeping so that at least two of us were awake at all times. The area was monitored every 30 minutes, in pairs. Bathrooms were checked all the time (illicit drug use?) and cleaned promptly (there were lots of “accidents”).
We were advised to have “a sense of humor, patience, justice, equity and compassionate.” Some of the homeless didn’t want to talk, others did.
One, noticing my curious questions, shot back: “Hey, I am a respectable and dignified man.” He added, “Have you heard of the expression ‘a paycheck away from being a homeless’? That was what happened to me.”
One loudly complained about another homeless: “He is making fun of me for being gay.”
One made a request: “My shoes smell. Could you spray them without spraying me?”
One was self-conscious and declared: “I have a job, but it is the place to sleep in that I don’t have.”
Another said: “I have been a homeless for only one month.”
A woman begged: “I need to call my children right now. I missed them.”

One said he lost his shoe laces and asked for laces.
A Latino tried to explain something in English, but no one could understand him. When another homeless Latino was asked to translate, he said he was scared by the policeman who came to the church to check.
After I helped clean the bathroom, took trash bags to the outside dump, brought sleeping bags to the large sleeping hall (usually the cafeteria), gave one person a chair to use as a night stand, helped another store his shopping cart, I sat down on a chair in one corner of the hall.
I watched as the homeless arranged their sleeping bags and laid down to sleep. Some men and women kissed each other goodnight. The Asian couple laid close to each other. The lights were dimmed and quietness prevailed.
I thought about the homeless who earlier told me about “one paycheck away from being homeless.” That's when I got scared. Could it be me?
Around midnight, I went to a small room assigned as a chapel for the homeless and the volunteers, sat on a chair for few minutes, stared at the flickering candle and tried to calm myself.
Mohammad Ali Salih is a Washington correspondent for London-based “Asharq Alawsat,” an international Arabic daily newspaper, and other Arabic publications.

يوم الأحد الماضي، ما كنت مستعدا لمشاهدة ما سأري عندما انضممت، لأول مرة، مع متطوعين من كنيسة "يونايتد ميثوديست" في ضاحية بيرك التي أسكن فيها، في مقاطعة فيرفاكس، قرب واشنطن العاصمة، لإطعام المشردين. (الذين لا منازل لهم، لأنهم لم يقدروا على دفع الإيجار، أو فقدوا منازلهم لأنهم لم يقدروا على دفع إقساط البنك).

كنت أعتقد أننا سنذهب إلى مواقف حافلات، أو حدائق عامة، أو دكاكين "سفن اليفن"، حيث يتجمع المشردون. أو حتى إلى منازل جماعية وفرتها حكومة المقاطعة للمشردين.

لكننا، في الحقيقة، ذهبنا إلى أربعة فنادق نظيفة، استأجرت حكومة المقاطعة غرفا فيها لعشرات من المشردين. تدفع الحكومة إيجارات الغرف، وترتب جمعيات مسيحية، بتنسيق مع كنائس المنطقة، ثلاث وجبات يومية للمشردين.

منعا للحرج، لم تكن هناك قوائم بأسماء المشردين. فقط أرقام غرف المشردين.

أخافني هذا لسببين:

أولا: لأن مقاطعة فيرفاكس التي أعيش فيها واحدة من أغنى المقاطعات في الولايات المتحدة (وربما في كل العالم).

ثانيا: لأن ما حدث لهؤلاء المشردين يمكن أن يحدث لي.

حسب أرقام خدمة الطوارئ المسيحية في فيرفاكس (فاسيت) التي نظمت مجموعتنا لإطعام المشردين، يوجد في المقاطعة الفا مشرد تقريبا، نصفهم تقريبا عائلات، ونصفهم تقريبا "موظفون وعمال". يعني هذا أن الذي بدون منزل أو شقة ليس بالضرورة بدون عمل، لأن الإيجارات ارتفعت كثيرا ولم تعد الرواتب تكفي للسكن والأكل والشراب والملابس والأطفال والعلاج.

كانت الساعة السادسة والنصف صباحا عندما دخلت المطبخ الملحق بالكنيسة مع بنتي، طالبة المدرسة الثانوية، ونحن نحمل أكثر من مائة بيضة. وأضفناها إلى أكثر من مائة بيضة أخرى، وأكثر من مائة فطيرة، وعشرات الأرطال من الجينة والسجك واللحوم. كنا عشرة رجال ونساء تقريبا، وطبخنا مئات من الساندوتشات. ووضعنا كل ساندوتش في لفافة من الورق، وكتبنا عليها ما فيها: "بيض وسجك" أو "بيض وجبنة" أو "بيض فقط"، إلخ ...

ثم وضعناها في حافلة الكنيسة، مع عشرات من علب عصير البرتقال والليمون، وقطع الحلوى. وقسمنا أنفسنا إلى مجموعات: مجموعة تجهز الساندوتشات، واخرى تجهز المشروبات، وثالثة تدق على الأبواب، وهكذا ...

عندما وصلنا إلى أول فندق، كان مشردون يقفون في الخارج، ينتظروننا. وخرج آخرون من غرفهم عندما شاهدوننا. وقفوا صفا بالقرب من الحافلة، وقدمنا لهم مايريدون من لساندوتشات ومشروبات وحلويات.

كانت المفاجأة الثانية بالنسبة لي هي أن المشردين عاديون في ملابسهم، وتصرفاتهم، وكلامهم.

واحد أخذ إفطاره، وشكرنا، واستقل سيارة "هوندا" وقال أنه ذاهب إلى العمل، واشتكى أن راتبه لا يسمح له بإيجار غرفة. وثاني تحدث عن الطقس، وأمطار هطلت ليلة اليوم السابق، وثالث تحدث عن مباراة رياضية في التلفزيون في الليلة السابقة.

كانوا عاديين، وكأنهم جيران لي في الضاحية التي اسكن فيها.

قال واحد: "لم اقدر على دفع إيجار الشقة التي أسكن فيها مع عائلتي." وقال امرأة يبدو عليها أنها من المكسيك، وتتكلم لغة انجليزية مكسرة: "طردونا، طردونا." وقال ثالث: "خرجنا وزوجتي وولدانا من شقتنا لأننا لم نقدر على دفع إقساط البنك، وسلمنا الشقة للبنك."

كان نصف الذين أطعمناهم ذلك الصباح بيضًا، وكان هناك عدد قليل من السود، وكثير من شعوب العالم الثالث السمر، يتكلمون الاسبانية، والعربية، والأردية، والبوشتية، ولغات أخرى لم أعرفها.

لكن، أكثر ما أثرت على كانت مناظر العائلات، النساء والأولاد والبنات يقفون في صفوف ساندوتشات الفطور. واحدة قالت أن عندها أربعة أولاد وبنات، وواحدة قالت أن عندها سبعة.

أمام فندق، جاءت امرأة يبدو أنها مكسيكية ومعها طفل يتكلم الإنجليزية ليساعدها في تحديد نوع الساندوتش الذي تريد. وأمام فندق آخر، لم نقدر على فهم امرأة تتكلم الإسبانية، وناديناً واحدة مكسيكية مثلها تعمل في نظافة الفندق، وساعدتنا على فهم ما تريد المرأة.

عندما وقفنا أمام فندق ثالث، فتح غرفة رجل يرتدي "سروال قميص"، وهو لباس شعوب باكستان وأفغانستان. نظر إلينا، ثم عاد وأغلق الباب. بعد أقل من دقيقة، خرجت من نفس الغرفة امرأة يرتدي لباسا مشابها. ومعها طفل صغير، ليساعدها على ترجمة ما تريد أن تقول.

أول ما قالت أنها لا تريد أي لحم خنزير. أعطينها ساندوتشات "بيض وجبنة". وجعلني هذا أتأكد من أنها مسلمة. وحييتها: "السلام عليكم." وردت التحية. ثم قالت للطفل كلاما بلغة اعتقد أنها أردية، ولم افهم ما قالت. سألت الطفل: "ماذا قالت لك أمك؟" قال: "قالت لي أنها لا تصدق أن مسلما يشترك مع مسيحيين في إطعام الناس."

هنا، تدخل واحد من المتطوعين معي، وسألني، في أدب جم، إذا كنت، حقيقة، مسلما. وأجبت بالإيجاب. وبعد حديث قصير وودي، اتفقنا على أن احتمال أن يصبح الشخص مشردا، أو يساعد متشردين، ليست له أي صلة بأي دين، وأي عرق، وأي لون، وأي وطن.

mohammadalisalih@yahoo.com

واشنطن بوست نيوزويك : في يوم الغفران اليهودي

"Newsweek-Washington Post"
A MUSLIM'S YOM KIPPUR
By Mohammad Ali Salih Last week, I had this conversation with Rabbi Bruce Aft of Adat Reyim of Springfield, Virginia, a Washington, DC suburb:

- Now you have attended your first Rosh Hashanah, why don't you come Friday for Yom Kippur?
- What is that?
- A day of fasting and prayers.
- No problem. I just finished Ramadan (the Muslims month of fasting); one more day shouldn't be a problem.
- When do you fast in Ramadan?
- From dawn to sunset.
- We fast from Friday sunset to Saturday sunset; we fast 25 hours.
- Oh Uh! Will there be a feast before the start?
- No, you eat at home.
- Will there be a feast at the end?
- No, just bread and orange juice, then you go home and eat.
- 25 hours fasting? No food, no water?
- Some people who take medicine drink water.
- I have to work at the office on Saturday.
- Some people don't stay at the synagogue all day; they come and go.
- OK, let me think about it.

So on Friday, I skipped lunch, returned home at about five in the afternoon, and ate like I had never eaten before; I almost emptied the refrigerator: leftover Hunan chicken, left over Italian meatballs and four or five slices of the French Laughing Cow cheese. Then I went to the synagogue.
There were many people and the service went on and on and on: a chanting prayer, a short sermon then a chanting prayer; some sitting down and some standing up; some silent and some loud; mostly in Hebrew and some in English; and every time I nearly nodded to sleep, we were asked to stand up for another prayer.
The rabbi, to excite people and simplify the occasion's message of repentance and atonement, borrowed an online parody and acted as hotline operator in Heaven. A summary: "To access your personalized account of all your known transgressions, please press 1... Once accessed, if you are mildly sorry, please press 1. If you are somewhat sorry, please press 2. If you are very sorry but will likely repeat, please press 3. If you are very sorry and will not repeat unless there are mitigating circumstances, please press 4. If you are extremely sorry and will not repeat under any circumstances, please press 5 ... Before we evaluate your request for atonement, you may increase your score by pledging tzedaka to your favorite charity. All major credit cards are accepted; please enter number and expiration date..."
When the very long service was over, a lady next to me asked whether I would be fasting, I replied yes and she said: "Tsum Kal" (Easy Fast).
On Saturday, I had to work for few hours at my office in Washington, DC, but I managed to go four times to the synagogue; it helped that I live close by.
One time, they were praying "Musaf" (special additional service) and there was a very big crowd and I was told that some Jews go to synagogues only once a year, on Yom Kippur, for "Musaf".

One time they were praying "Yizkor" (Remembrance). One time, I was surprised to see the rabbi standing in the center and acting as if he was going to vomit, with some children doing the same thing, loudly -- it was the family service, and time to tell the story of Jonah, and the rabbi reached the part when the whale vomited Jonah.
Near sunset, it was time for the last service, "Neilah" (Gate), us the last chance to repent and pray to God for forgiveness. At the end of another long service, we repeated "Adonai hu ha-Elohim" (The Lord He is God) seven times, the shofar was blown, time for bread and orange juice, and to hurry home to eat a very big meal.
My college daughter thought my fasting wasn't complete because, according to a Jewish girl she befriended in elementary school, I should have also fasted from bathing, washing, tooth-brushing, and perfumes. But she was excited to take a picture for me with a Yarmulke, the Jewish head cover. The day before at the synagogue, someone offered it to me; I thought non-Jews were not allowed to put it on their heads, but was told it was a "tradition." How about the "Tallit" (Jewish prayer shawl)? I was told it was "religious," only for Jews.
I agreed with my daughter that my Yom Kippur observance was not complete because I didn't pray all day at the synagogue. I will try to do that next year because I felt that the spiritual atmosphere should have added to the fasting and praying.
Without getting into politics, I now understand why on Yom Kippur in Israel there are no radios or TV broadcasts, airport traffic and public transportation. I also understand why some Israeli Jews called for also fasting from paying bills online. The ideal day of repentance to God should be devoted to nothing but Him.

Since 1980, Mohammad Ali Salih has been a full-time correspondent for major newspapers and magazines in the Middle East.

(مقتطفات):

في الأسبوع الماضي، جرت هذه المحادثة مع الحاخام بروس افت، معبد "ادات ريم" اليهودي، في سبرنقفبلد (ولاية فرجينا)، إحدى ضواحي واشنطن العاصمة.

- الآن وقد حضرت معنا عيد رأس السنة (راشاشانه)، لماذا لا تحضر معنا يوم الجمعة عيد الغفران (يوم كيبور)؟

- ما هو هذا؟

- يوم صوم وصلاة.

- لا توجد مشكلة. لقد انتهيت للتو من صيام رمضان، شهر كامل. لهذا، يوم واحد لا ينبغي أن يكون مشكلة.

- متى تصومون رمضان؟

- من الفجر إلى غروب الشمس.

- نحن نصوم من غروب شمس يوم الجمعة إلى غروب شمس يوم السبت. نحن نصوم 25 ساعة.

- أوه آوه! هل ستكون هناك وليمة قبل البداية؟

- لا. يمكنك أن تتناول الطعام في المنزل.

- هل ستكون هناك وليمة في النهاية؟

- لا. فقط خبز وعصير برتقال هنا في المعبد. ثم تعود إلى منزلكم وتتناول الطعام.

- 25 ساعة صيام بدون طعام وماء؟

- بعض الذين يتناولون أدوية يشربون ماء.

- لكنى أعمل في المكتب يوم السبت.

- بعض الناس لا يبقون في المعبد كل اليوم، يذهبون ويعودون.

- حسنا، اسمح لي أن أفكر في ذلك.

وهكذا، يوم الجمعة في المكتب، لم أتناول الغداء، وعدت إلى المنزل في حوالي الخامسة عصرا، وأكلت مثلما لم آكل من قبل. أفرغت الثلاجة تقريبا: أكلت بقايا دجاج هونان (صيني)، وبقايا سباقيتي إيطالي (مع كرات لحم صغيرة)، وأربعة أو خمسة من قطع جبن "البقرة الضاحكة." ثم ذهبت إلى المعبد اليهودي.

كان هناك عدد كبير من الناس. وظلت الصلاة تطول، وتطول، وتطول. صلاة أناشيد، وصلاة تراتيل. وخطبة قصيرة، وخطبة طويلة. أحيانا يجلس الناس، وأحيانا يقفون. أحيانا يصلون بأصوات عالية، وأحبانا بأصوات خافتة. أحيانا بالعبرية، وأحيانا بالإنكليزية. وفي كل مرة يغشاني النعاس وأكاد أنوم، يطلبون منا أن نقف لصلاة أخرى.

في نهاية الصلاة، وكادت الشمس أن تغيب، سألتني امرأة تجلس بالقرب مني: هل ستصوم غدا؟" قلت نعم. قالت: "تسوم كال" (صيام سهل، بالعبرية).

يوم السبت، وإن صائم، ذهبت إلى المكتب للعمل، لكنى عملت لساعات قليلة، ثم عدت إلى المنزل، وهو ليس بعيدا من المعبد اليهودي، لهذا قسمت بقية اليوم بين المعبد والمنزل.

مع اقتراب غروب الشمس، جاء وقت الصلاة الأخيرة، صلاة "نييلا" (بوابة)، آخر فرصة للتوبة. ثم رددنا: "أدوناي هو ها الوهيم"(الرب هو الله) سبع مرات. ثم نفخ في الشوفار (قرن بقرة)، علامة على مجيء وقت الماء، والطعام، وعصير البرتقال. ثم وقت أن أسرع إلى المنزل لأتناول وجبة كبيرة.

«انترناشونال هيرالد تربيون»: قنبلة في حقيبتي ؟

"International Herald Tribune"
A BOMB IN MY BRIEFCASE?
By Mohammad Ali Salih

U. S. security authorities seem to believe that any terrorist tactic used in London will be repeated here. First, it was shoes; last year it was liquids and baby formulas; and this year it is propane tanks, Muslim physicians and "Allahu Akbar." I'm not a physician. But every weekday I put on a suit, carry a briefcase and go to work. What would happen if the London police arrested someone wearing a suit and carrying a briefcase with a bomb inside it?
A day before the Fourth of July celebrations, my family went to the Baltimore International Airport to pick up my college-age daughter arriving from Germany with a German friend. Electronic signs on highways to the airport flashed: "Report Suspicious Activities." The airport was guarded. Our car was randomly stopped, and a security man quickly checked inside and signaled us to go.
The German girl took far longer than my daughter to pass through customs. She said her two hands were fingerprinted, her picture was taken and she was questioned at length about why she was visiting. "I can't believe this; the Americans are scared of everything," she said. "There is fear in Germany, but nothing like this."
On the Fourth of July, as I made plans for a customary cookout, I couldn't help but wonder about going to Home Depot to buy a propane tank. I had read that the security authorities have been contacting local businesses, asking them to report unusual sales of propane tanks, fertilizer or other materials that could be used to make crude bombs.

As our three children and their friends prepared to go to the mall for the parade and fireworks, I asked them, tongue-in-cheek, about "protruding wires, bitter odors" and other "suspicious characteristics" in their cars that the police were reported to be looking for.
When I left home, there was a debate on the car radio about an immigrant from Morocco who was arrested in Florida for saying "Allahu Akbar" (God is Great) and threatening to blow up a building while his car was playing loud Arabic music. Later, it was reported that no bomb was found and his roommate said he had had problems with a girlfriend.
I not only say "Allahu Akbar" day and night (as a quite prayer); I not only play Arabic music in my car, but I also keep Koran CD's in my car. So I checked my CD collection to make sure that the Bible CD's were also still there. There was also some Christian literature I picked up the Sunday before when, for the first time, I visited the Arabic Baptist Church near where I live in Burke, Virginia, after I received an invitation in the mail.
If someone becomes suspicious when hearing me muttering "Allahu Akbar" a little too loud, or on hearing Koranic CD's in my car, I will eagerly bring out my Bible CDs.
On the day after the Fourth of July, I asked our children and their friends about what happened at the fireworks. One said he changed his mind and didn't go - not for fear of terrorism, but because police checkpoints would have make it unbearable for him. A second said there were loud booms coming from across the mall and some people got scared and left. A third said there was a girl carrying an electronic device that flashed numbers, and some people thought it was a bomb.
These examples suggested that security measures sometimes cause more fear than they intend to thwart. Of course, the authorities should take precautions to protect people. But it just seems that these are the wrong precautions:

First, there will always be terrorists and crazy individuals who would want to kill people. Second, the security authorities can not be expected to ever declare, "There are no more security threats; let us dismantle our agencies." Third, President Bush inflames the situation every time he declares that if the terrorists in Iraq are not defeated, "they will follow us home," as he said in his Fourth of July address.
In the address, the president also warned people about the "new and unprecedented war" on terrorism. If he could only imagine the fear, stress and depression that this "war" has already inflicted on me and many other Muslims I know here America!
I have become very suspicious – with some contempt -- of American politicians, and that added to my stress. And that's why I go around silently-praying “Allahu Akbar.” And that is why I packed my car with Islamic and Christian CDs and literature after I had found refuge in mosques and churches.

Mohammad Ali Salih is Washington correspondent for the London-based “Asharq Alawsat” newspaper. You can reach him at mohammadalisalih@yahoo.com

يبدو أن المسؤولين عن الأمن في أميركا يعتقدون بأن أي هجوم إرهابي يقع في بريطانيا سيتكرر هنا:

في البداية، اعتقل البريطاني صاحب الحذاء الملغوم (وبالتالي، بدأت شرطة المطارات الأميركية تفتش أحذية كل المسافرين). وفي السنة الماضي، شكت الشرطة البريطانية في مسافرين يحملون سوائل وحليب أطفال (وبالتالي، منعت شرطة المطارات الأميركية السوائل والأدوية وحليب الأطفال). وهذه السنة، استعمل أطباء مسلمون يصيحون "الله اكبر" أنابيب غاز في سيارات لتفجير مطارات في بريطانيا.

أنا لست طبيبا. لكني، كل صباح، أرتدي بدلة وأحمل حقيبة أوراقي، واذهب إلى المكتب. ماذا سيحدث في واشنطن إذا اعتقلت الشرطة في لندن شخصا يرتدي بدلة، ويحمل حقيبة أوراق فيها متفجرات؟

قبل يوم من احتفال عيد الاستقلال الأميركي (الرابع من يوليو)، ذهبت مع عائلتي إلى مطار بولتيمور (القريب من واشنطن العاصمة)، لاستقبال بنتي، الطالبة الجامعية، التي كانت عائدة من ألمانيا، ومعها صديقة ألمانية. شاهدنا، في الطريق نحو المطار، لافتات تقول: "بلغوا الشرطة عن أي نشاطات مشبوهة." وعندما وصلنا إلى المطار، كانت الشرطة في كل مكان، وأوقف واحد سيارتنا، ونظر في داخلها سريعا، ثم سمح لنا بأن ندخل المطار.

قضت البنت الألمانية وقتا أطول من بنتي مع شرطة الجوازات. قالت أنهم صوروها، وأخذوا بصمات أصابعها، وسألوها أسئلة كثيرة عن أسباب زيارتها لأميركا. وقالت: "لا أصدق هذا. صار الأميركيون يخافون من أي شيء. نعم، هناك خوف في ألمانيا، لكنه أقل كثيرا من هنا."

يوم احتفال عيد الاستقلال، جمعت حاجيات شواء خارجي، لكنني ترددت في الذهاب إلى متجر "هوم ديبو" لشراء أنبوبة غاز. والسبب هو أن الجرائد كانت نشرت أن الشرطة اتصلت بالمتاجر والمخازن، لمراقبة الذين يشترون أنابيب غاز، أو سمادا، أو أي أشياء يمكن أن تستعمل لصناعة متفجرات أو قنابل.

ويوم الاحتفال، أيضا، استعد أولادي وأصدقاؤهم للذهاب إلى الميدان الرئيسي في واشنطن لمشاهدة الألعاب النارية. سألتهم، في تندر: "هل في السيارة مواد تثير الشبهات؟ هل تنبعث من السيارة رائحة متفجرات؟ هل فيها أسلاك وبطاريات وساعات؟" سألتهم هذه الأسئلة لأن الجرائد كانت نشرت بأن الشرطة تراقب مثل هذه السيارات خوفا من أن يكون فيها إرهابيون يريدون تفجير مكان الألعاب النارية والاحتفالات.

عندما تركت المنزل إلى مكان شراء أنابيب الغاز، سمعت في راديو السيارة نقاشا عن مسلم من المغرب اعتقل في ولاية فلوريدا لأنه كان يصرخ "الله اكبر"، وهدد بتفجير عمارة مكتبية، وكان صوت أغانٍ عربية ينبعث من راديو سيارته.

(فيما بعد، أعلنت الشرطة أن الرجل لم يكن يحمل قنبلة، وإنه كان متوترا بسبب مشكلة مع صديقته).

أنا لا اصرخ "الله اكبر". لكني أكرر "الله اكبر" في هدوء، ليلا ونهارا، طالبا الطمأنينة.

ونعم، في سيارتي أقراص اتحاد عربية. وفيها، أيضا، أقراص من القرآن الكريم. وفيها، أيضا، أقراص من الكتاب المقدس. وكتيب وأوراق من كنيسة عربية في ضاحية "بيرك" التي أسكن فيها، ذهبت إليها، لأول مرة، بعد أن تلقيت دعوة في البريد. وسلمت على مسيحيين عرب فيها، وجلست معهم، وتحدثنا في أمور الدين والدنيا.

لهذا، قلت لنفسي، في هذا الجو المخيف: إذا سمعني أي إنسان اردد "الله اكبر"، أو إذا سمع صوت أغنية عربية، أو صوت القرآن الكريم من داخل سيارتي، سأسرع واخرج أقراص الكتاب المقدس، وأخرج الكتيبات المسيحية، لأبرهن على أني لست إسلاميا متطرفا.

في اليوم التالي لاحتفال عيد الاستقلال، سألت أولادي وأصدقاءهم عما حدث. قال واحد أنه غير رأيه ولم يذهب إلى الاحتفال، ليس خوفا من الإرهابيين، ولكن لأن إجراءات الشرطة أفسدت روح الاحتفال. وقال ثانٍ أن الناس في ركن معين سمعوا صوت انفجار وظنوا أنه قنبلة، وهربوا. وقال ثالث أن بنتا كانت تحمل جهازا الكترونيا تنبعث منه أرقام إلكترونية، واعتقد بعض الناس القريبين منها أنه قنبلة، وهربوا من المكان.

توضح كل هذه الأمثلة أن الإجراءات الأمنية تسبب، أحيانا، خوفا أكثر من الخوف الذي تريد معالجته.

طبعا، لابد أن تتخذ الشرطة كل الإجراءات الأمنية المطلوبة. لكن، تبدو بعض هذه الإجراءات مبالغًا فيها:

أولا، ستكون هناك، دائما، أعمال عنف، وقتل، وإرهاب.

ثانيا، لن يأتي يوم تعلن فيه شرطة مقاومة الإرهاب أن الإرهاب انتهى، وان عليها أن تسرح نفسها.

ثالثا، يزيد الرئيس بوش خوف الناس عندما يكرر أن الإرهابيين سيأتون إلى أميركا إذا لم تهزمهم القوات الأميركية في العراق وأفغانستان.

بل تحدث في خطابه في عيد الاستقلال عن "الحرب ضد الإرهاب. حرب من نوع جديد. حرب طويلة وصعبة."

وهكذا، صار واضحا أن الرئيس بوش والسياسيين الأميركيين يخوفون الأميركيين، ثم يتعهدون بحمايتهم، لكسب أصواتهم في الانتخابات. ولهذا، زادت شكوكي في نوايا السياسيين الأميركيين. وزاد احتقاري لبعضهم. وزادت أقراص القرآن الكريم والكتاب المقدس في سيارتي، وزادت زيارتي للمساجد والكنائس بحثا عن الطمأنينة، وبحثا عن الأمن الحقيقي.

mohammadalisalih@yahoo.com

إنترناشونال هيرالد تربيون»: في مسجد وفي كنيسة

“International Herald Tribune”:
A PRAYER IN EACH CORNER
(IN A MOSQUE, IN A CHURCH)
By Mohammad Ali Salih

During a recent weekend, I attended two religious services, one at a mosque and the other at a church, and said amen to two contradictory prayers. Doing that confused me and added to my stress as these wars in Iraq and Afghanistan go on and on."

On Friday, during the weekly Juma'a gathering in a mosque in Springfield, Virginia, a suburb of Washington, I and about 300 people repeatedly said "amen" to an imam as he loudly prayed: "May Allah support the mujahideen. May Allah defeat their enemies. May Allah support Islam and the Muslims. May Allah defeat Islam's enemies."

The following Sunday, in a nearby church, I and about 500 people said "amen" to the following prayer by a minister: "Lord, protect and strengthen our soldiers in Iraq, Afghanistan and wherever they are. Guide our leaders and leaders of other nations and give them wisdom to work for peace."

An Arab friend went with me to the mosque after I convinced him that this might lessen his stress as he, too, was psychologically affected by George Bush's wars. Like many Middle Easterners, he vehemently refused to go to counseling. (At least that Friday I talked him out of buying a bottle of vodka and “drink to death” as he put it).

When the imam started his "provocative" prayers, we were squatting on the floor in the last row, with our backs to the wall. My friend got scared and whispered in my ear, "Isn't this guy afraid of the FBI?" I, half-scared and half-joking, said, "Let's get out of here."

But we didn't leave, and we noticed that the imam was clever in the way he worded his prayer. He did not mention Iraq or Afghanistan by name, and didn’t say who the “mujahideen” were. He probably didn't need to, as it was clear from the congregation's faces, accents and clothes that almost all of them were immigrants from third-world countries.
There wasn't a single white face. There wasn't a single woman either; women prayed in a separate room because a dominant conservative interpretation of the Koran claimed that their presence among men would distract men.
That was a far cry from the church, where men and women mingled. Actually there were more women than men. I sat in the back pew and in front of me sat a woman with long golden hair that became brighter when reflected by the morning sun rays that came through the high window of the church.
Those men and women, from the way they were dressed, seemed to belong to middle and upper-middle classes. They were almost all white.
The minister said a prayer "for military family members fighting in the Middle East." The service program named about 10 of them and selected one named Jonathan, and asked people to "please take time to send him cards or care packages."
The program said that "items must be able to withstand shipping and possible three weeks in transit," and mentioned "lotion, soap, deodorant, toothpaste, cookies, nut-mixes, pretzels, chewing gum, hot drink mixes, fruit roll-up. . ."
I turned to my high-school daughter, who was sitting next to me, and said, "This is your job." The following day, we went to a store and she bought some of these items, put them in a shoe box and gave me the box to take to the post office. She added a short letter to Jonathan, part of which said, "Thanks for serving our country!" and "God bless you!"

The next day, on my way to the post office, I thought of something else: I bought a package of exclusive ground coffee and put it in the box. I thought of Jonathan finding a quiet time in the midst of the turmoil in Iraq to sit down and enjoy a cup of fine coffee.
At the mosque, the imam asked for monetary donations and pointed toward a row of boxes at the entrance. Each box was labeled for a certain cause, like "Flood in Bangladesh," "Drought in Somalia" or "Earthquakes in Pakistan." There were also boxes for close-to-home causes, such as "Fix Mosque's Roof" or "Pay Mosque's Utility Bills."
There was no box for the "mujahideen" (whoever and wherever they were), no requests to send them cards, soaps or cookies (or coffee). Doing this would have been a crime - supporting terrorists - punishable by prison.
Mohammad Ali Salih is an Arab journalist based in Washington. (mohammadalisalih@yahoo.com

«إنترناشونال هيرالد تربيون»: صمت رمضان في دير صحفي ينظر للمسيحية عن قرب

"International Herald Tribune"
FASTING RAMADAN IN A MONASTERY
(ARAB JOURNALIST TAKES A LOOK AT CHRISTIANITY)
By Mohammad Ali Salih

After 9/11, as some Americans started to learn about Islam, I embarked on a long journey to practically learn about Christianity by visiting churches, participating in services, attending Sunday Bible schools and volunteering in projects like feeding the poor and sheltering the homeless.
Another reason was looking for a refuge from politicians. Always cynic about them, and after 28 years of covering them in the nation's capital, and especially after the invasion of Iraq when I realized that almost all of them (and almost all of the media), in moments of fear and revenge, supported the invasion of a far away country that didn't threaten the US, I became more cynic and disgusted.
I found the people I met in churches more trustful, welcoming and no one asked me about my religion, let alone suspected what I was doing in a church. Encourage by that, I immerse myself into Christianity, and it wasn't long before I was able to recite the Lords Prayer and almost "Amazing Grace."
As I continued my exploration, I found myself, last week, at the Holy Cross Abbey, a Catholic monastery sheltered by the Blue Ridge mountains in the Shenandoah valley in Virginia, about 60 miles west of Washington, DC.

For about 40 years, since I saw “The Sound of Music” movie for the first time, I had been fascinated by monasteries and curious about the lives of monks and nuns inside them. Ten years later while visiting Salzburg, Austria, I saw the hills that were indeed “alive with the sound of music,” as Maria (played by Julie Andrews) sang at the beginning of the film. I also visited Nonnberg Convent where Maria was a nun and later married Captain Georg von Trapp.

This monastery’s monk in charge of the guesthouse, whispering and moving slowly, showed me my simple but elegant room, one out of 15. He said they were all booked in advance, “except one room we always leave for an unexpected visitor, as part of an old European tradition of hospitality.” The rooms had no telephones, televisions, radios and keys (locked only from inside). Loud music was not allowed and cell phones were only to be used outside the building.

“Dinner” (their word for lunch) and “supper” (their word for dinner) were served promptly at 12:00 and 6:25 respectively and guests were warned in advance: “If you are arriving at 6:30, please have dinner beforehand.”

The dining hall was simple but elegant, meals were vegetarian and guests helped themselves, cleaned afterwards and set tables for the following meal. The meals’ cost was part of the room charge, but there was no room charge, only “offering” to be put in an empty envelope in each room.

I was overwhelmed by the complete silence.

From 3:00 pm Friday until 3:00 pm Sunday, I didn’t talk -- except for a secluded 30 minute meeting with a priest, whispered greetings and small talk like where is the sugar and cream for my coffee.

It was Ramadan, the Muslims fasting month, and my fasting added to the solitude and silence.

And then there were the ten daily prayers.
Five Christian (in the church) and five Muslim (in my room): “Vigils” at 3:30 am; “Fajr (dawn) at 5:00; “Lauds” at 7:00; “Zohr” (afternoon) at 1:00 pm; “Midday” at 2:00; “Asr” (evening) at 4:00; “Vespers” at 5:30; “Maghrib” (sunset) at 6:55; “Compline” at 7:30; and Isha’a (night) at 8:30.
There were some awkward moments. Like when I, alone, at four o’clock in the morning, entered the guesthouse kitchen to prepare and eat “sahoor,” the last meal before the start of fasting. And when dinner was served exactly at 6:25, thirty minutes before sunset. But the monk in charge of the guesthouse gladly left a meal for me to eat after sunset. (Every afternoon, nuns came to the guesthouse kitchen, prepared dinner and left).
During the Sunday service I was sprinkled with the holy water as I chanted “Cleanse us Lord from all our sins, wash us, and we shall be clean as new snow.” I declared: “We believe in one God, the Father, the Almighty, maker of heaven and earth, of all that is seen and unseen.”
I was going to try the Communion (bread and wine that symbolize Jesus’ body and blood), but the hymns book sternly excluded non-Catholics, let alone Muslims.
Father Stephen, a senior monk, and I talked – very quietly -- for thirty minutes and I started by calling for help: “I am running away from Washington politicians!” He calmly answered: “That is why we are here.” We talked about hypocrisy and lying, about the influence of money in politics, about Jesus message of peace, love and compassion for the less fortunate.
We lamented about the current atmosphere of fear, violence and war, and he said, “I too get scared when I read the newspaper in the morning. But there is nothing we can do here except to pray.” When we stood up to say goodbye, he promised, “I will put your name on the bulletin board and ask the monks to pray for you.”

Mohammad Ali Salih is an Arab journalist based in Washington.
mohammadalisalih@yahoo.com

بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001 على أميركا، بدأ بعض الأميركيين في دراسة الإسلام والمسلمين، وبدأت أنا في دراسة المسيحية والمسيحيين. لكن، كانت دراستي عملية وليست نظرية. لم اكتفِ بقراءة كتب، ولكني ذهبت إلى كنائس، واشتركت في صلوات، وجلست في فصول الإنجيل يوم الأحد، وتطوعت في مشاريع مثل إطعام الفقراء، وإيواء المتشردين في الشوارع.

وكان هناك سبب آخر، وهو هروبي من السياسيين. ظللت كل حياتي الصحافية، ورغم كل كتاباتي عنهم، أشك في سخرية في نواياهم. ومنذ 28 سنة، منذ أن بدأت اعمل صحافيا في واشنطن، شملت شكوكي وسخريتي السياسيين الأميركيين. وخاصة منذ أربع سنوات، بعد غزو العراق الظالم، الذي أيده ربما كل السياسيين الأميركيين (وربما كل الإعلام الأميركي). وزاد ذلك سخريتي وشكوكي، بل وجعلني أحس بالقرف والغثيان.

لكني وجدت الأميركيين في الكنائس طيبين، وودودين، ومرحبين. لم يسألني واحد عن ديني، ناهيك عن أن يشك في وجودي في كنيسة. وشجعني هذا أكثر.

وخلال فترة قصيرة، استطعت أن أحفظ واردد معهم بصوت عال "صلاة الرب" (مطلعها: "يا أبانا الذي في السماء، مقدس اسمك، تأتي مملكتك، وتدوم إرادتك في الأرض، مثلما في السماء"). وكدت أن أحفظ نشيد "إميزنغ غريس" (الرحمة الإلهية الرائعة). (من كلماته: "عندما يقف قلبي ويزول جسدي، يظل معى فرح وسلام. وعندما تنتهي الأرض، يظل الله ربي.")

"هولي كروس":

وبينما أنا أستمر في استكشاف المسيحية، وجدت نفسي، في الأسبوع الماضي، في دير "هولي كروس" (الصليب المقدس) الكاثوليكي الذي يقع على مسافة 60 ميلا غرب واشنطن العاصمة، في وادي نهر "شناندوا" الجميل، ووسط جبال "بلو ريدج" الخضراء العملاقة. منذ أربعين سنة تقريبا، عندما شاهدت أول مرة فيلم "صوت الموسيقى"، بهرتني الحياة داخل الدير، ووددت أن أعرف كيف يعيش الرهبان والراهبات داخله.

وبعد ذلك بعشر سنوات، عندما زرت النمسا، وذهبت إلى مدينة سالزبيرج، حيث صورت مناظر فيلم "صوت الموسيقى"، رأيت الجبال الخضراء العملاقة، حقيقة، "تغني على صوت الموسيقى"، كما غنت الراهبة "ماريا" (التي مثلت دورها الممثلة جولي اندروز). وزرت دير "نونبيرغ" حيث كانت "ماريا" راهبة، وحيث تزوجها الكابتن جورج فون تراب، بطل الفيلم.

عندما وصلت إلى هذا الدير على نهر "شناندوا"، قرب واشنطن العاصمة، استقبلني راهب يشرف على فندق صغير ملحق بالدير. كان الراهب هادئا، ويتكلم في همس، ويتحرك في بطء. قادني إلى غرفتي البسيطة والأنيقة في نفس الوقت. واحدة من خمس عشرة غرفة، قال الراهب أنها حجزت كلها غير غرفة واحدة. وقال: "نترك دائما غرفة واحدة خالية، لنأوي ضيفا غريبا يأتي من حيث لا ندري. هذه عادة أوروبية قديمة منذ القرون الوسطى."

هدوء شامل:

يعم الهدوء كل مكان. ولا توجد في الغرف تلفونات، وتلفزيونات، وراديوهات، ومفاتيح (تقفل الأبواب من الداخل فقط). وشددت لافتة عند مدخل غرفة الطعام على أن الغداء يقدم في منتصف النهار تماما. ويقدم العشاء في السادسة وخمسة وعشرين دقيقة مساء تماما. وحذرت اللافتة: "إذا ستحضر في السادسة والنصف مساء، الرجاء تناول العشاء قبل حضورك."

غرفة الطعام، مثل غرف الفندق الصغير، بسيطة وأنيقة في نفس الوقت. والطعام نباتي. ويخدم الضيوف أنفسهم. ويغسلون الأواني بعد أن يأكلوا. وينظفون المكان. ويعدونه للوجبة التالية. وتكاليف الطعام جزء من تكاليف الغرفة، لكن، ليس للغرفة تكاليف محددة، بل "تبرع" يضعه الضيف في ظرف خال في كل غرفة عندما تنتهي إقامته.

أهم شيء لاحظته وأحسسته هو الصمت الكامل.

منذ الثالثة بعد ظهر يوم الجمعة، عندما وصلت إلى الدير، وحتى الثالثة بعد ظهر يوم الأحد، عندما تركته، لم أتكلم، ولم أسمع شخصا يتكلم. غير نصف ساعة في حديث هادئ مع القس الذي يشرف على الدير، وغير تحية الضيوف في همس، وغير طلب شاي أو قهوة أو لبن أو سكر في غرفة الطعام في همس.

شهر رمضان:

صادفت زيارتي شهر رمضان، وزاد صيامي إحساس الهدوء، والوحدة، والتأمل.

هذا بالإضافة إلى عشر صلوات كل يوم: خمسة مسيحية (في الكنيسة داخل الدير)، وخمسة إسلامية (في غرفتي): الثالثة والنصف صباحا: مسيحية. الخامسة صباحا: فجر. السابعة: مسيحية. بعد منتصف النهار: ظهر. الواحدة: مسيحية. الرابعة: عصر. الخامسة والنصف: مسيحية. السابعة: مغرب. السابعة والنصف: مسيحية. الثامنة والنصف: عشاء.

لكن، كانت هناك لحظات حرجة.

مثل عندما أدخل، في الرابعة صباحا، المطبخ المحلق بغرفة الطعام لأجهز وآكل السحور وحيدا. ومثل عندما يقدم العشاء في السادسة وخمسة وعشرين دقيقة تماما، لكن الشمس لا تغيب إلا بعد ذلك بنصف ساعة. لكن، كان الراهب المسؤول عن المكان كريما ومتفهما. وحرص على أن يترك لي طعاما آكله بعد غروب الشمس. وقال إنه ابلغ الراهبات بذلك (يسكن في جزء آخر من الدير، ويأتين كل ظهر لإعداد العشاء، ثم يعدن).

خلال صلاة يوم الأحد في الكنيسة، وقفت أنشد معهم، بينما كان قسيسا يرشنا بماء مقدس، وتملأ المكان رائحة عطر طيب مقدس. وأنشدت معهم: "يا الهي، نظفنا من ذنوبنا. يإلهي، اغسلنا. يا إلهي، إجعلنا مثل بياض الجليد الجديد." وأعلنت معهم: "أؤمن بالله الواحد، وبالأب، وبالعالي، وبالمتعالي، وبخالق السموات والأرض، وبخالق كل ما نرى وما لا نرى."

كنت أريد أن أجرب، لأول مرة، القربان المقدس، لكنى قرأت في كتاب الصلوات أنه ممنوع حتى للمسيحي غير الكاثوليكي، ناهيك عن المسلم.

نصف ساعة:

في اليوم الثالث والأخير، جلست لنصف ساعة في حديث هامس مع القسيس المشرف على الدير، الأب ستيفن. اشتكيت له، واستنجدت به: "أنا هارب من واشنطن، ومن سياسييها، ومن ألاعيبهم، ومن أكاذيبهم، ومن نفاقهم." ورد في هدوء: "لهذا نحن هنا." وتحدثنا في شبه همس عن السياسة والسياسيين، وعن المناورات، والمساومات، وشراء الضمائر والذمم. وتحدثنا عن رسالة المسيح التي تدعو إلى الحب، والسلام، والعطف على الأقل حظا في الدنيا.

وحزنا معا على ما آل إليه العالم من حروب، وعنف، وخوف. وقال: "حتى أنا، أخاف أحيانا عندما اقرأ صحف الصباح. لكن، نحن هنا في الدير لا نقدر على أن نفعل شيئا سوى أن نصلي."

وعندما انتهت المقابلة، ووقفنا لنودع بعضنا، وضع يده على كتفي وقال في هدوء: "سأضع اسمك على لوحة في الدير، واطلب من الرهبان والراهبات أن يدعوا لك."

يو إس إيه توداي»: أوباما وابني

"USA TODAY"
OBAMA AND MY SON:
WISDOM ON A POST-RACIAL WORLD
By Mohammad Ali Salih

I wasn't ready for my son's harsh words when our family went out for dinner last week. We were talking about the elections and, specifically, the competition between Senators Hillary Clinton and Barack Obama for the Democratic nomination.
I asked my son, a twenty-something Democrat and Obama supporter: "Why do you favor Obama?" With his mother and two sisters listening, he offered the usual arguments about "change," "unity" and that Obama didn't vote for the Iraq war. Unconvinced, I asked: "Aren't you supporting Obama because he is bi-racial like you?" His angry response: "I knew you were going to ask about race. ... And I understand that, because of your age (I am in my 60s) and your background (an immigrant from Sudan). But, Dad, you need to wake up to the new thinking about race in America." He added, "It is not about being racial; it is not about being bi-racial; it is about being post-racial."
I twice repeated the question. My wife, a white Southern conservative Republican, intervened: "Don't you understand what your son has told you? Why do you want him to think the way you think?"
My college daughter, in few words, agreed with her brother, but the high-school one didn't want to talk about race or politics, but about "Cloverfield," "Hannah Montana" and other new movies.

I have always wanted my children to be proud of their mixed race. Since they were young, I’ve read them books about bi-racials, told them to write “bi-racial” whenever they filled out forms and paid special attention to the other bi-racial kids they hung out with.
But, before teaching them about their identities, I had to find mine. When I came to Washington, D.C., in 1980, I was ambivalent about the racial divisions in America. After I became a U.S. citizen 10 years later, I started searching for my identity. I didn’t want to be part of the “white guilt - black victimization” syndrome. It took me 10 more painful years to realize that the color of my skin is not part of my identity. And that faith (Islam) is the core of my identity. Then my culture (Arabic) and my citizenship (American).
Yet I didn’t think about the contradiction that, although I had “liberated” myself from having race as part of my identity, I wanted my children to belong not only to one race but to two — until my son’s lecture. His message is now clear: not only that race doesn’t matter, but mixed race also doesn’t matter. And the new “post-race” thinking could be equivalent to “no race.”
A country without racial divisions. What a concept.
Mohammad Ali Salih has been a correspondent in Washington, D.C., for major Arabic newspapers and magazines in the Middle East.
mohammadalisalih@yahoo.com

ما كنت مستعدا لكلمات ابني القاسية، عندما ذهبت عائلتي إلى مطعم للعشاء في الأسبوع الماضي. كنا نتحدث عن الانتخابات، وخاصة المنافسة بين السناتور باراك أوباما، والسناتورة هيلاري كلنتون للفوز بالترشيح لرئاسة الجمهورية باسم الحزب الديمقراطي.
سألت ابني، وهو في العشرينات من عمره، ويؤيد أوباما،عن سبب ذلك. قال، بينما والدته وشقيقتاه يستمعان، أن أوباما يتحدث عن "التغيير" و "الوحدة". وعن روح جديدة في المجتمع الأمريكي. وأنه لم يؤيد حرب العراق.
لم أقتنع، وسألته: "أليس السبب هو انك، مثل أوباما، مختلط عرقيا (نصف أسود، ونصف أبيض)؟" لم يعجبه سؤالي، وقال في غضب: "أعرف أنك ستسألني عن الأعراق. وأنا أفهم ذلك. بسبب عمرك (أنا في الستينات). وبسبب خلفيتك (أنا مهاجر من السودان)".
وأضاف: "يا والدي. يجب أن تستيقظ، وتلاحظ التغييرات الجديدة في الجيل الجديد في المجتمع الأميركي. وخاصة عن الأعراق. لم يعد الحديث عن العرق هاما. ولا عن العرق المختلط. ولكن عن ما بعد العرق."
لم أقتنع، ولم أفهم. وهنا تدخلت زوجتي، جمهورية محافظة بيضاء من ولايات الجنوب، وسألتني في غضب: "ألا تفهم ما يقول ابنك؟ لماذا تريد منه أن يفكر كما تفكر أنت؟"
وافقت بنتي، التي تدرس في الجامعة، على كلام شقيقها، ولكن في كلمات قليلة. لكن، رفضت بنتي التي تدرس في الثانوية الحديث عن السياسة والعرق، وفضلت الحديث عن الأفلام الجديدة مثل: "كلوفرفيلد" و "هانا مونتانا".

كنت دائما أريد من ولدي وبنتيي أن يكونوا فخورين بعرقهما المختلط: نصف أسود، ونصف أبيض. (حتى لا يتوهوا في تعقيدات المجتمع الأمريكي. وحتى لا يصيروا ضحايا التقسيمات العرقية. وحتى لا يصيبهما أذى من هنا أو من هناك).

ولهذا، منذ أن كانوا صغارا، قرأت لهم كتبا عن آخرين مثلهم، نصفهم أسود، ونصفهم أبيض. ونصحتهم أن يشيروا إلى عرقهم المختلط عندما يملؤون خانات الأعراق (في أوراق المدارس، والجامعات، والتأشيرات، والجوازات). وأن يصادقوا أمثالهم (ليحسوا أنهم ليسوا الوحيدين المختلطين عرقيا).

لكن، قبل أن أعلمهم هوياتهم، كان على أن أعلم نفسي هويتي.

في سنة 1980، عندما جئت إلى واشنطن أول مرة، لم اهتم بالتقسيمات العرقية بين البيض والسود في المجتمع الأميركي. ولكن، بعد عشر سنوات، عندما صرت مواطنا أميركيا، بدأت البحث عن هويتي في المجتمع الجديد الذي انتميت له. ومنذ البداية، قررت ألا أكون طرفا في التقسيمات التاريخية بين البيض والسود. ولا في الاتهامات المتبادلة بين الجانبين. ولا في شكوى السود من ظلم البيض، وشكوى البيض من اتهامات السود. ولا في عقدة الاستعلاء وسط البيض، وعقدة النقص وسط السود.

ومرت عشر سنوات أخرى قاسية، حتى تأكد لي الآتي:

أولا: ليس لوني أساس هويتي.

ثانيا: توجد هويتي في عقلي، لا في وجهي.

ثالثا: أحدد أنا هويتي، ولا يحددها الآخرون.

لهذا، تأكد لي أن أساس هويتي العقلية هو إيماني (بالإسلام). ثم ثقافتي (العربية)، وجنسيتي (الأمريكية).

ولكن، عندما تأكدت لي هذه الحقائق، نسيت التناقض الذي كنت أعيش فيه بالنسبة لولدي وبنتيي. وهو إنني "حررت" هويتي من عرق واحد أسود، بينما كنت أريد منهم أن يبنوا هوياتهم على عرقين: أسود وأبيض.

حتى الأسبوع الماضي خلال العشاء. عندما قال لي ابني إنني اهتم بالأعراق والألوان أكثر مما يجب. وان تفكير الجيل الجديد في أمريكا هو عدم اعتبار العرق شيئا أساسيا. وبالتالي، عدم اعتبار العرق المختلط شيئا أساسيا. وبالتالي، لا يجب الاهتمام به كثيرا.

وهكذا، تعلمت درسا هاما، وتاريخيا، من غضب ابني. وهو أن التفكير الجديد عن المستقبل في أميركا هو عن ما بعد العرق. وربما، في المستقبل الذي بعده، عن غياب العرق.

دولة بدون تقسيمات عرقية؟ ما أجمل هذا المفهوم!

mohammadalisalah@yahoo.com

«واشنطن تايمز»:

التجسس على تليفونات المسلمين

"The Washington Times":
MUSLIMS EYE AMERICA
(SPYING ON TELEPHONES)
Mohammad Ali Salih

I have 12 brothers and sisters, more than 30 cousins, about 50 nieces and nephews and many friends scattered in seven Muslim countries. There are also tens of readers who respond to my writings, in Arabic and English, in print and on the Internet, from my post in Washington as a foreign correspondent for a major Arabic-language Middle Eastern newspaper.

If the National Security Agency (NSA), using its new powers to monitor overseas communications without any approval from a judge, will electronically look into my communications for catch words like "Allahu Akbar (God in Greatest)," and "Kafir (infidel)," it will find them.

If the NSA is looking for certain names of terrorists, their supporters, helpers and financiers among my family members, it will not find them.

If the NSA is looking for Muslims who are very critical of U.S. policies towards Muslims, especially in the aftermath of September 11, may Allah help all of us.

Now that telephones have reached Wadi Haj, my village, located near Argo, on the Nile River in northern Sudan, I talk with my brothers and relatives who didn't move to the city or emigrate from the country. Last week, I talked to a farmer brother when he just returned home at sunset after a day on his farm, carrying milk from his cows and fresh vegetables (and a cell phone). Not really involved in politics, he joked about my living a scary life in the United States, begged me to return "home," and cursed "Bush and the rest of the 'Kafirs' who are killing Muslims all over the world."

Another brother talked about the village's "madrassa" (the Arabic word is "khalwa," which literally means a place of solitude.) He said some Arab businessmen from the Gulf helped rebuild the madrassa, after it was destroyed by a flood a few years earlier. I joked that "hopefully, they are not one of those who promote terrorism by building 'madrassas' in Muslim countries."
A sister, also on her cell phone, sang an apparently popular local song about Secretary of State Condoleezza Rice that goes like this: "Rice, the best of all prides. If my father agrees, I will marry you. And I'll keep you at home."

Then there was my father, a religious man in his mid-80s who can barely hear me from 6,000 miles away (when I talk to him, I sit in my car and close the window so I can shout as loud as I can). At the end of each telephone call, I usually ask for his prayers and blessings, and I can recite by heart his favorite prayer: "May Allah guide you. May Allah protect you from evil. May Allah defeat your enemies."
A relative who seems to follow the details of events in the United States discussed the NSA's interception of overseas calls and joked about the NSA listening to him. I had to deny his accusations that the United States has become a "police state" (his words).
My relatives and friends are not exceptional. In next-door Egypt (a U.S. "ally"), according to a recent poll by WorldPublicOpinion.org covering four Muslim countries, 92 percent of the public believed that the United States intends to "weaken and divide" Muslims. Ninety-one percent supported "attacking U.S. forces in Iraq." Another recent poll by Gallup, conducted in 10 Muslim countries, found that an "overwhelming majority... strongly doubted the U.S. is trying to establish democracy in the Middle East." And an earlier poll by CNN found that people in nine Muslim countries called the United States "ruthless and arrogant," with most describing themselves as "resentful" of this.

But, in spite of its faults, I believe America is God's heaven on earth. Never before in the history of mankind has a nation been so free, strong, advanced, diverse, proud and built on faith. According to many polls, most Muslims, like others, would love to come to America. That includes my relatives and friends; the young among them usually ask me "to find a way" for them to come to study.
But no one made me feel more proud of being an American than my 6-year-old nephew when I asked him last week my usual question to the young nephews and nieces: "What present do you want from America?" I expected the usual answer, like a Mickey Mouse or a Texan hat, but he said, without any hesitation: "The Statue of Liberty."

Surprised, I joked about being inside it and climbing all way up to the crown. I apologized for not being able to send it to him because it was so huge. But I promised to send him a miniature (probably one of those with thermometers inside).
Of course, the NSA is not interested in phone calls like this one about the Statue of Liberty, but maybe it appreciates them.

Mohammad Ali Salih has been a full-time Washington correspondent for major Arabic magazines and newspapers in the Middle East since 1980. E-mail: mohammadalisalih@yahoo.com

----

عندي اثنا عشر أخا وأختًا. وأكثر من ثلاثين ابن وبنت عم وعمه، وابن وبنت خال وخالة. وحوالي خمسين ابن وبنت أخ وأخت. وعدد من الأصدقاء يعيشون في سبع دول مسلمة. وهناك عشرات من القراء الذين يردون على كتاباتي باللغتين العربية والإنجليزية، في صحف أو في الإنترنت، بحكم عملي في واشنطن كمراسل لصحيفة عربية شرق أوسطية كبيرة.

مؤخرا، أصدر الكونغرس (ووقع الرئيس بوش) على قانون التجسس على الاتصالات التلفونية (ورسائل الانترنت) الخارجية بدون اذن من قاضٍ. كان القانون السابق يشترط على وكالة الأمن القومي (إن اس إيه) الحصول على إذن من قاضٍ. لكن يبدو أن التجسس على المسلمين لا يستحق ذلك.

لهذا:

-- إذا بحثت كمبيوترات وكالة الأمن القومي عن كلمات معينة، مثل "الله أكبر" و "كافر" في اتصالاتي، ستجدها.

-- إذا بحثت عن أسماء إرهابيين، أو مؤيديهم، أو مموليهم وسط أقربائي، لن تجدها.

-- إذا بحثت عن كل مسلم ينتقد السياسة الأميركية نحو المسلمين، ليكن الله في عوننا جميعا.

الآن، بعد أن وصلت التلفونات الموبايل إلى قريتي (قرية "وادي حاج"، قرب أرقو، في شمال السودان، على نهر النيل)، أقدر على الاتصال بإخواني وأخواتي الذين بقوا هناك، ولم ينتقلوا إلى المدينة، ولم يهاجروا إلى خارج السودان.

تحدثت، مؤخرا، مع أخي الذي يملك مزرعة فيها خضروات وأغنام، ويعود في نهاية كل يوم يحمل خضروات وألبانًا طازجة. لا يعرف كثيرا في السياسة، لكنه تهكم على بأني أعيش في جو خوف بسبب الحملة الأميركية على المسلمين. وسألني: "لماذا لا تعود إلى وطنك؟" وانتقد "بوش والكفار الذين يقتلون المسلمين هنا وهناك."

وقال أخ آخر: أن خلوة القرية (خلوة الشيخ محمد شيخ منور) التي كان الفيضان دمرها قبل سنوات، عادت من جديد بفضل تبرعات من أثرياء في الخليج. وأنا علقت متندرا: "آمل ألا يكونوا من الذين ينشرون الإرهاب". (هذه إشارة إلى اتهامات أميركية بأن أثرياء في الخليج ينشرون الإرهاب ببناء المساجد والخلاوي).

وغنت اختي في التلفون أغنية شعبية رائجة عن كونداليزا رايس، وزيرة الخارجية. وبدايتها: "يا رايس. يا ست العرايس. أكان أبوي وافق. أعرسك في ام ضوا بان. واحفر ليك حفرة دخان. وأعلمك شغل النسوان."

وهناك والدي، في منتصف الثمانينات من العمر، يأتيني صوته الخافت من مسافة ستة آلاف ميل. (لا يكاد يسمعني، فاضطر لأن أغلق أبواب ونوافذ سيارتي لأصرخ بأعلى صوتي). وكل مرة، في نهاية الحديث معه، أطلب منه أن يدعو لي. ويستجيب ويكرر دعاءه المفضل: "اللهم وفقك فيما تريد. اللهم أحفظك من الأشرار. اللهم اهزم أعداءك."

وهناك قريب يتابع تفاصيل الأخبار في أميركا، وعلق على قرار تجسس وكالة الأمن القومي بدون الحصول على إذن من قاضٍ. وتندر بأن الوكالة ربما تستمع إلى كلامه. وأنا اضطررت لأن أدافع عن أميركا، وأقول أنها ليست "دولة بوليسية"، كما وصفها هو.

لكن، ليس أقربائي وأصدقائي الوحيدين الذين ينتقدون أميركا.

في مصر المجاورة، وهي "حليفة" أميركا، أوضح استفتاء أجرته، في الأسبوع الماضي، مؤسسة "ويرلد ببليك اوبنيون" الأميركية، وشمل أربع دول إسلامية، أن نسبة 92 في المائة من المصريين يرون أن أميركا تريد "إضعاف المسلمين وتقسيمهم." وان نسبة91 في المائة يؤيدون "ضرب قوات الاحتلال الأميركية في العراق."

وأوضح استفتاء أجرته مؤسسة "غالوب" الأميركية في عشر دول إسلامية أن "أغلبية ساحقة تشك شكا قويا في أن أميركا تريد، حقيقة، نشر الديمقراطية في الشرق الأوسط."

وأوضح استفتاء أجراه، قبل ذلك، تلفزيون "سي أن ان" الأميركي أن أغلبية الناس في تسعة دول مسلمة ترى أميركا "قاسية ومستبدة"، وأنهم "يرفضون في غضب" ذلك.

لكن، رغم أخطاء أميركا، تظل جنة الله في الأرض. لم يحدث عبر التاريخ أن قامت دولة فيها مثل هذه الحرية، والقوة، والتطور، والتنوع، والتعدد، والإبداع، والفخر، والاعتماد على إيمان قوي. وقالت استفتاءات أجريت في دول مسلمة كثيرة أن الأغلبية تقدر مبادئ الحرية الأميركية، وتريد زيارة أميركا أو العيش فيها. ويشمل هذه أقربائي وأصدقائي.

لكن، لم يجعلني قريب فخورا بأني أميركي مثل ابن أخي الذي يبلغ عمره ست سنوات، والذي تحدثت معه في الأسبوع الماضي. سألته، كما أسأل غيره في مثل عمره: "أي هدية تريد من أميركا؟" اعتقدت بأنه سيقول: "ميكي ماوس" أو "قبعة تكساسية عملاقة".

لكنه قال، بدون تردد: "تمثال الحرية." استغربت وتأثرت، ولم ادري ماذا أقول. ثم تندرت بأني زرت، قبل سنوات، تمثال الحرية في نيويورك. ودخلت إلى داخله، وصعدت إلى قمته. وأنه تمثال عملاق لا أقدر على أن أرسله له. لكنى وعدته بإرسال تمثال صغير.

طبعا، لا تهتم وكالة الأمن القومي بمثل هذا الحديث التلفوني عن تمثال الحرية. ولكن الأمل إنها تقدره.

mohammadalisalih@yahoo.com

«فلادلفيا أنكوايارار»: مسلم ، ثم عربي ، ثم أمريكي

"The Philadelphia Enquirer"
MUSLIM, ARAB, THEN AMERICAN
By Mohammad Ali Salih

Mr. Salih is a Washington correspondent for the London-based "Asharq Alawsat," an international Arabic newspaper.

The Pew Research Center's first-ever, nationwide survey of Muslim Americans, released last week, found them largely assimilated, happy with their lives, and moderate with respect to many of the issues that have divided Muslims and Westerners around the world. They did say, however, that since 9/11, they found it more difficult to be a Muslim in the United States and that the government has singled out Muslims for increased surveillance.

Interestingly, the survey found that almost half of the respondents considered themselves Muslim first and Americans second.

Last year, in Mecca and Main Street: Muslim Life in America After 9/11, author Geneive Abdo declared, "The real story of American Muslims is one of accelerating alienation from the mainstream of U.S. life, with Muslims in this country choosing their Islamic identity over their American one."

So, is there a contradiction between being an American and a Muslim?

Not for me. I am Muslim first, Arab second and American third. My relation to God is the core of my identity. It supersedes my relations to countries and peoples and is separate from my citizenship.

Before I became a U.S. Citizen, pledged allegiance to its constitution, and carried its passport, I was a citizen of Sudan, obeyed its rules, and carried its passport. If, in the future,

I became a citizen of, say, China, followed its rules, and carried its passport, I still believe my relation to God would be paramount.
I am Arab because Arabic is my native tongue, the core of my culture. I think, talk, write (and dream) mostly in Arabic. I have a foreign accent (and get tired of people asking me where I came from, to repeat what I say, and praising me for speaking "good" English).
I know I am not "mainstream" American. I don't know how many innings are in baseball, never played golf, don't understand most Chris Rock jokes, and can't follow New Yorker-type fast talkers. Perhaps it would be different if I had been born in America, or had come (and spoken English) at a young age. On the other hand, aren't there Chinese and Latinos who came, became citizens of, lived in and died in America while speaking mostly their native languages? Does that make them less American?
My love for America started long before I came here, by reading, writing, thinking and dreaming about America- in Arabic. My religion was never an obstacle and actually was an incentive. I dreamed of worshiping God in America the way I wanted, with no restrictions from oppressive Islamic governments, medieval sharia scholars, and the people around me.
But, like love that develops into marriage, I had to come to America and become a citizen to be a full American. And, like pledging to a marriage, "I pledge allegiance to the flag of the United States of America, and to the Republic for which it stands, one nation under God." That's when I said to myself: "God is paramount here, too."
Previous Pew polls showed t
hat 42 percent of Christians identify with their religion before their country. Among white evangelicals, 62 percent identified themselves as Christians first. That doesn't make them less American.
I never thought I was so close to the evangelicals. Maybe I could say that I am evangelical first, Arab second and American third.

Contact Mohammad Ali Salih at mohammadalisalih@yahoo.com.

مؤخرا، اصدر مركز "بيو" للاستفتاءات في واشنطن نتائج اول استفتاء من نوعه وسط المسلمين في أميريكان. ووجد أن أغلبيتهم اندمجوا في المجتمع الأميركي، وسعداء في حياتهم، ومعتدلين في آرائهم في المواضيع التي فرقت بين المسلمين والغربيين. لكن، قال هؤلاء المسلمون انه، منذ هجوم 11 سبتمبر، صاروا يواجهون مشاكل أكثر. وان الحكومة الأميركية تركز عليهم في المراقبة.

وقال نصفهم تقريبا أنهم يعتبرون أنفسهم مسلمين أولا، وأميركيين ثانيا.

لكن، قبل شهور قليلة، صدر كتاب قال: "القصة الحقيقية للمسلمين في أمريكا هي قصة ناس يبتعدون عن المجتمع الأميركي. أنهم يختارون هويتهم الإسلامية فوق هويتهم الأمريكية." كتبت الكتاب جنيف عبدو (أمريكية لبنانية مسيحية)، واسمه: "مكة والشارع الرئيسي: حياة المسلمين في أمريكا بعد هجوم 11 سبتمبر."

وأنا اسأل: هل هناك تناقض بين أن أكون أمريكيا، وان أكون مسلما؟

أنا مسلم أولا، وعربي ثانيا، وأمريكي ثالثا.

أنا أؤمن بأن علاقتي بالله هي أساس هويتي. وتعلو فوق علاقاتي بالدول وبالناس. وليست لها صلة بجنسيتي.

قبل أن أصير مواطنا أمريكيا، وأؤدي قسم الولاء للدستور الأميركي، وأحمل جواز السفر الأمريكي، كنت مواطنا سودانيا، أطيع قوانين السودان، وأحمل جواز السفر السوداني.

وفي المستقبل، إذا، مثلا، هاجرت إلى الصين، وصرت مواطنا صينيا، وأطيع قوانين الصين، واحمل جواز السفر الصيني، سيظل ولائي لله هو الأعلى.

أنا عربي لأن اللغة العربية هي لغة أمي، وهي أساس ثقافتي. أفكر، وأتكلم، واكتب (وأحلم) في كثير من الأحيان باللغة العربية. أتكلم الإنجليزية بلكنة عربية. وطبعا يلاحظ الأمريكيون أنني أجنبي. ولهذا، يسألوني: من أين جئت. ويطلبون منى أن اكرر كلامي الذي لا يفهمونه. ويثنون علي بأن لغتى الانجليزية "جيدة". لكنهم يكررون ذلك منذ سنوات وسنوات، حتى سئمت منه.

اعترف بأني لست مثل الأمريكي المولود في أمريكا. لا اعرف كم ضربة في لعبة "البيسبول". ولا اعرف لعبة الغولف. ولا أفهم نكات الفكاهي التلفزيوني كريس روك. ولا أقدر على متابعة الذين يتكلمون اللغة الإنجليزية سريعا، مثل سكان مدينة نيويورك.

واعترف بان ثقافتي ليست ثقافة أميركية "أصلية". كانت ستكون كذلك إذا كنت ولدت هنا، أو إذا كنت جئت إلى هنا وأنا صغير، وتعلمت اللغة الإنجليزية في سن مبكرة.

لكن، ألا يوجد في أمريكا مهاجرون من الصين ومن المكسيك، جاءوا إلى أمريكا، وصاروا مواطنين أمريكيين، وعاشوا، وماتوا في أمريكا، بدون أن يقدروا على أن يتكلموا اللغة الانجليزية؟ هل يعني هذا أنهم ليسوا أمريكيين؟

أمريكا، بالنسبة لي حلم وحب. حلم تحقق عندما جئت إلى هنا. وحب تحول إلى زواج عندما نلت الجنسية الأمريكية، وأعلنت ولائي. بدأ حبي لأميركا منذ سنوات طويلة قبل مجيء إلى هنا. كنت أقرأ عنها، وأكتب عنها، وأفكر فيها، واحلم بها، وباللغة العربية. نعم، لم تكن اللغة العربية حاجزا، لأن الحلم والحب لا يفرقان بين اللغات.

ونفس الشيء بالنسبة للإسلام. لم يكن أبدا عائقا. بل، بالعكس، كان دافعا. كنت احلم بأن أقدر على أن أعبد الله في أمريكا بالطريقة التي أريدها. بدون قوانين حكومات إسلامية ظالمة. وبدون فتاوي رجال دين يفكرون بعقول القرون الوسطى. وبدون مراقبة ومساءلة الناس حولي.

مثل الحب الذي يتحول إلى زواج، كان لابد أن آتي إلى أمريكا لأكون أمريكا حقيقيا. ومثل قسم عقد الزواج، أقسمت الآتي: "اقسم بالولاء لعلم الولايات المتحدة، وللجمهورية التي يمثلها، شعب واحد تحت الله." عندما أكملت القسم، قلت لنفسي: "الحمد لله. الله موجود هنا أيضا. والله يعلو فوق كل شيء هنا أيضا."

وأخيرا، أوضحت استفتاءات سابقة أجراها نفس مركز "بيو" أن 42 في المائة من المسيحيين في أمريكا يؤمنون بأن ولاءهم لله أعلى من ولائهم لأمريكا. وارتفعت النسبة إلى 62 في المائة وسط المسيحيين المتدينين البيض. هل هؤلاء أقل أمريكية من غيرهم؟ أليس الولاء لله اعلي من الولاء للدول، والحكومات، والحكام؟

ما كنت أبدا أتوقع أن اتفق مع المسيحيين المتدينين في أي شيء. لكنى اتفق معهم في هذه النقطة. ولهذا أقدر على أن أقول، مثلا، إنني مسيحي متدين أولا، وعربي ثانيا، وأمريكي ثالثا.

«كونيكشان»: في عيد رأس السنة اليهودي

"The Connection"

A MUSLIM'S JEWISH PASSOVER
(ROSH HASHANAH)
By Mohammad Ali Salih

Except for a casual mention of Israeli settlements in occupied Palestinian lands and the tensions they recently caused in US-Israeli relations, my Passover Seder last week was very spiritual – another adventure for this Muslim.

After 9/11, as some Americans started to learn more about Islam, I embarked on a journey to learn about Christianity and Judaism.

When I came to America several years ago at the age of 31 years, I didn't know any Jews. Even now, I don't know one well. And until this Passover my attitude towards Jews was clouded by Israel's expansionist policy in the Middle East.

A black man, with a foreign accent, a Muslim name and Arabic my native tongue, I was a little nervous when I attended Passover celebrations at Adat Reyim Synagogue near where I live in Burke, Virginia.

One of the synagogue's members asked what a "Mohammad" was doing in a synagogue. Another, upon discovering I emigrated from Sudan, didn't miss the chance to ask about "Arabs killing Africans" in Darfur. And a third seemed dismayed when everyone stood up and sang "Hatikva", Israel's national anthem, and I just stood up.

But after the anthem, I was warmly welcomed. Rabbi Bruce Aft was the first to ask me to "feel at home." I then joined the prayers and felt at ease. On the wall of the synagogue, I saw a Hebrew sign that another member translated to me as "Know Before Whom You Stand."

The dinner offered certainly wasn’t of my usual type. I ate parsley twigs after dipping them in salty water; half of a hard-boiled egg after pouring salty water on it; hot mashed horseradish; bitter apple sauce; and fish balls. I dipped my index finger in the wine ten times, put a drop of it on my plate and licked my finger ten times.

From across the dining table, an elderly man asked: "Mohammad, do you know why the Jews have survived all these centuries?" He answered himself: "Because of these details. They help us to remember our traditions."

Matzo – a cracker-like unleavened bread – was everywhere: matzo crackers, matzo-ball soup, baked matzo, boiled matzo, fried matzo, sautéed vegetables with matzo, and so on.

Rabbi Aft, standing in the middle of the room, then read "Haggadah", the story of the Jews' Exodus from Egypt and explained each ritual: the matzo symbolised the unleavened bread that the Jews hurriedly cooked before leaving; the salty water represented their tears when oppressed in Egypt; and the ten drops of wine the suffering of the Egyptians during the ten plagues.

Most of the prayers were in Hebrew, which I don’t understand, but there were other songs in English, such as "Take Us Out Of Egypt" (sung to the tune of "Take Me Out To The Ball Game") and "There Is No Seder Like Our Seder" (sung to the tune of "There Is No Business Like Show Business").

I could have partaken in another Passover ritual had I known about it in advance: the fasting by first-born sons on Passover, symbolising the plague that hit the first-born sons before the Exodus.

Some Sunni Muslims also fast for a related reason. A few months ago while talking on the phone with my sister in Sudan, she mentioned that she was fasting for the day. I wondered why because Ramadan, the month of daily fasting for Muslims, was over. Indeed, it was for Ashura, a day of mourning for many Muslims marking the death of Hussein, grandson of the prophet Muhammad, but also an annual day of voluntary fasting for some Sunni Muslims. This fasting is undertaken partly in commemoration of Jews' and Muslims' shared prophet Moses, who fasted on this day to thank God for delivering his people from the Pharaoh of Egypt.

At Adat Reyim, it was time for the fourth and last cup of wine and a final round of prayers, this time to thank God: "Praised be He and praised be His name."

Before leaving, my tablemates mentioned that I was welcome again for other Jewish celebrations, like Yom Kippur, which they said was a day of fasting. Since I didn't fast on Ashura this past year, maybe I should take them up on the offer and fast on Yom Kippur.

---

* Mohammad Ali Salih is a full-time correspondent for major Arabic-language newspapers and magazines in the Middle East. This article was written for the Common Ground News Service (CGNews).

ما عدا إشارة عابرة إلى المستوطنات اليهودية في القدس، والتي مؤخرا سببت مشكلة في العلاقات بين أمريكا وإسرائيل، كان عشاء "باسوفار" (عيد الفصح عن اليهود) في الأسبوع الماضي تجربة روحية كبيرة. وكانت "مغامرة" أخرى لهذا المسلم.

بعد هجوم 11 سبتمبر سنة 2001، بدا بعض الأمريكيين يدرسون الإسلام. وبدأت أنا أدرس المسيحية واليهودية. وأيضا، أديان مهاجرين من دول العالم الثالث، مثل البوذية والهندوسية والتاوية. غير أن علاقتي مع اليهود واليهوديين لها صفة خاصة.

حتى وصل عمرى إلى ما بعد الثلاثين سنة (عندما جئت إلى أمريكا أول مرة)، لم أكن اعرف أي يهودي. وحتى اليوم، لا اعرف أي يهودي معرفة قوية. وحتى اليوم، تتأثر نظرتي نحو اليهود بسياسة إسرائيل التوسعية في الشرق الأوسط.

لهذا، في الأسبوع الماضي كنت مترددا وخائفا عندما حضرت عشاء "باسوفار" اليهودي في داخل معبد "ادات رييم" بالقرب من منزلى في بيرك (في ولاية فرجينيا، من ضواحي واشنطن العاصمة).

دعاني بروس أفت، حاخام المعبد. قبل عشرين سنة تقريبا، قابلته أول مرة عندما زرت المعبد مع أولادي، ليعرفوا الطقوس اليهودية، كجزء من زيارات لاماكن عبادة غير إسلامية قريبة من منزلنا (مثل كنائس ومعابد بوذية وهندوسية). كان هدفي هو أن يعرفوا الأديان الأخرى في هذا البلد العظيم الذي تتوفر فيه حرية الأديان مثلما لا تتوفر في أي بلد آخر.

في الأسبوع الماضي، كنت مترددا وخائفا عندما ذهبت إلى المعبد لعشاء "باسوفار". وأعتقد أن بعض اليهود هناك كانوا، أيضا، مترددين أو خائفين. رجل أسود اللون، ويتكلم بلكنة أجنبية، واسمه اسم إسلامي، والعربية لغته الأصلية، وحيدا وسط يهود بيض، يمارسون طقوسا مختلفة، ويأكلون أكلا مختلفا، ويصلون بلغة مختلفة (العبرية).

واحد سألني: "اسمك محمد. ماذا تفعل في معبد يهودي؟" وثاني، عندما عرف أنني من السودان، سارع وسألني سؤالا تعودت عليه خلال السنوات القليلة الماضية: "هل صحيح أن العرب يقتلون الأفارقة في دارفور؟" وثالث تململ عندما وقف الجميع، وأنشدوا "هاتكيفا" (السلام الجمهوري الإسرائيلي)، بينما وقفت أنا صامتا، ولم أنشد معهم.

لكن، قل خوفي وترددي عندما رحب به بروس أفت، حاخام المعبد. وعندما شاهدت كتابة باللغة العبرية على حائط المعبد، ترجموها لى بأنها تقول: "أمام من تقف؟ أنك تقف أمام الله." وعندما جلست حول مائدة وسط يهود ويهوديات، ورحبوا بي. وعندما قالوا أن خمسة كؤوس من النبيذ ستقدم إلى الحاضرين خلال العشاء.

لكن، لم يكن العشاء عاديا. كان غريبا. أكلت اوراق بقدونس أخضر بعد أن غمستها في ماء فيه ملح. ونصف بيضة مسلوقة بعد أن صببت عليها ماء فيه ملح. و"جرجار" (فجل حار). وتفاح حامض. وكفتة من لحم السمك. وعشر مرات، غمست إصبعي السبابة في كأس نبيذ، وصببت نقطة على صحن أمامي، ثم لحست إصبعي. عشر مرات. وأكلت خمسة أنواع من"ماتزو" (خبز يهودي مجفف): في شوربة، ومع خضروات، ومطبوخ، ومقلي، ومحمر.

بينما استمر العشاء في بطء، وقف الحاخام في وسط المعبد، وبدا سلسلة صلوات طويلة ومتكررة. وبين كل صلاة وأخرى كان يشرح معنى "باسوفار"، عيد الفصح عند اليهود، وهو يرمز إلى عبور النبي موسي وأتباعه البحر، هروبا من فرعون مصر. قرأ الحاخام "هاقادا" (قصة موسى مع فرعون مصر، ثم الخروج من مصر). ومع كل نوع من الطعام أكله الحاضرون، شرح معناه:

قال إن "ماتزو" ترمز إلى الخبز المجفف الذي أخده اليهود معهم عندما خرجوا من مصر. وان الماء الذي به ملح يرمز إلى دموع اليهود عندما كان فرعون مصر يعذبهم. وان عشر نقاط من النبيذ ترمز إلى الكوارث العشر التي حلت بمصر في ذلك الوقت. وهكذا.

كانت أغلبية الصلوات باللغة العبرية التي لا أعرف كلمة واحدة فيها. لكنهم انشدوا أناشيد باللغة الإنجليزية في ألحان أغاني أمريكية شعبية.

لو كنت أعرف مسبقا، ما كنت سأرفض ممارسة عادة يهودية أخرى، وهي أن يصوم في ذلك اليوم الولد الأكبر سنا في العائلة. وذلك لأني الأكبر سنا وسط إخواني وأخواتي. وتعود هذه العادة إلى أن طاعونا كان يصيب الولد الأكبر في عائلات اليهود قبل خروجهم من مصر. لكنى لو صمت، كنت سأصوم لسبب آخر.

كنت تحدثت بالتلفون مع واحدة من أخواتي في السودان. وقالت لي أنها كانت صائمة في ذلك اليوم. استغربت، لأن شهر رمضان كان انتهى من وقت بعيد. أنبتني، وقالت: "ذهبت إلى أمريكا، ونسيت عادات قريتنا. نسيت صيام يوم عاشوراء."

نعم، يحتفل المسلمون بيوم "عاشوراء"، ويصوم بعضهم فيه، في ذكري خروج النبي موسى من مصر.

مع نهاية عشاء المعبد اليهودي، صلينا صلاة أخيرة، ودعونا: "بارو هو يوفاره شمو" (الحمد لله. والحمد لاسمه). وعندما ودعت اليهود واليهوديات الذين جلست معهم حول مائدة دائرية كبيرة، دعوني لأعود للمعبد لاحتفالات أخرى. قالوا: تعال في "يوم كيبور" (يوم الغفران). أنه يوم صوم.

قلت: ما دمت لم أصم يوم "عاشوراء" ربم سأصوم "يوم كيبور".

«نيويورك تايمز»: وطني الثاني قسم وطني الأول

"The New York Times"/"IHT"
MY COUNTRY DIVIDED
By Mohammad Ali Salih

The mostly Christian and animist southern Sudan voted almost unanimously last month to secede from the mostly Muslim and Arab north.

Am I, a Northern Arab Muslim, supposed to celebrate, although I have been called by some southerners an oppressor, a colonialist and a slave-trader? True, my grandfather had slaves from the south, but was that my fault?

More than half a century ago, I saw the first southern Sudanese, when he visited my village, Wadi Haj (population 100), near the town of Argo, on the Nile River in Northern Sudan, south of the borders with Egypt.

An educational administrator, he was visiting the town’s schools, and was making courtesy calls to the village elders when we, young boys, curiously followed him from one house to the other.

We were curious for several reasons. First, although we were all black, we were surprised by how very black he was. A teacher at our school who had taught in the south told us, "All of them look like this." The teacher showed us a gun that the government had given him when he was there to protect himself from threatening southerners.

Second, in a region that was 100 percent Muslim, non-Muslim visitors were a rarity. The southerner, who was respected and welcomed as a guest and as a government official, visited during Ramadan, the Muslim fasting month, and news quickly spread that "aljanoobi alkafir" (the infidel southerner) was eating during the day; some said "alabid alkafir" (the infidel slave).

Thirty years ago, during my last visit to my village before I immigrated to America, my father told me a family secret that I didn't know: My grandfather, an Arab Bedouin chief who died before I was born, had a few slaves from the South. He freed them just before he died, and their children and grandchildren lived in a nearby village.
The following day, my father and I, riding on donkeys, visited their descendents. We were warmly welcomed and talked cordially about different subjects, but there was never a hint about slavery. After we left, my father advised me: "Befriend them; don't talk about the past; open a new page; don't call them 'abids'; and when you come back from America, bring them presents."
During my years in America, I had my share of being called the n-word (the equivalent of "abid"). But thanks to my father, I tried to stand on higher moral ground. I also realized that people all over the world and throughout history have been insulting each other. And since I had come to believe that the color of my skin doesn't have anything to do with my identity (and that the core of my identity is my faith), I felt that I had "liberated" myself from this "curse."
Throughout the years, I have had arguments with some black Americans about what I believe is their preoccupation with slavery, the color of their skin and the n-word. Many replied that I didn't understand because, as one of them said, "Your grandparents were not slaves and your parents were not discriminated against in Alabama or Mississippi."
For many years, I didn't follow the details of events in Sudan. But when I learned that the U.S.-sponsored peace agreement in 2005 had ended the war between the north and the south and called for a referendum on the partition of the country, I interviewed about a dozen leading personalities from southern Sudan. I wasn't ready for the surprises.

The first — was it really a surprise? — was how little I knew about my "brothers." The second was that most of them wanted separation. The third surprise was their preoccupation with slavery, the color of their skin and the "abid" word.
I told them of my debates with black Americans. I argued that in America blacks are both northerners and southerners. I argued that the blacks in America suffered more under the whites than the southern Sudanese under the northerners, but they didn’t call for a separate country, that at present there was a black president.
Now, these are my questions about the U.S. role in Sudan’s partition:
First, why did the United States, as it has moved from slavery to reconciliation without breaking-up, not pressure all Sudanese leaders to keep their country united?
Second, why did the United States neglect the part of the 2005 peace agreement that says: "The Parties shall work toward …making the unity of Sudan attractive"?
Third, why did the United States not seek higher moral ground so that Sudan could be an example of religious coexistence and a bridge between the Muslim world and Africa?
A few months ago, Time magazine had a cover story with the question, "Is America Islamophobic?" It mentioned that more than half of Americans had a negative attitude toward Islam and Muslims and that almost half of them said that Muslims believed in ideas contrary to basic American ideals of freedom and justice. The magazine said Islamophobia influenced domestic and foreign U.S. policies.
I believe that my adopted country’s role in partitioning my native country was driven by Islamophobia. This makes me sad and angry.

Mohammad Ali Salih is a correspondent in Washington for Arabic newspapers and magazines in the Middle East.

في بداية الشهر، صوت جنوب السودان، وأغلبيته وثنيون ومسيحيون، بما يشبه الإجماع للانفصال عن الشمال الذي أغلبيته مسلمون وعرب. هل احتفل، أنا الشمالي المسلم العربي، رغم أن جنوبيين وصفوني بأني استعماري وظالم وتاجر رقيق؟ صحيح، كان عند جدي عبيد من الجنوب، لكن، هل كان هذا ذنبي؟

قبل أكثر من نصف قرن، شاهدت أول جنوبي، عندما زار قريتي وادي حاج، قرب مدينة ارقو، على نهر النيل، في شمال السودان، جنوب الحدود مع مصر. كان مفتش تعليم، وجاء لتفتيش مدارس أرقو. وفي يوم من الأيام، جاء إلى القرية لزيارة كبار رجالها. وكنا، مجموعة من الصبيان، نتبعه من منزل إلى منزل في فضول.

كان هناك أكثر من سبب للفضول:

أولا: رغم أن لوننا اسود، استغربنا لأن لون الجنوبي كان أسود قاتما جدا. وسألنا مدرسا في المدرسة كان مدرسا في الجنوب. وأشار إلى حذائه الأسود اللامع، وقال: "كلهم في مثل هذا السواد." وأيضا، أخرج المدرس بندقية قال أن الحكومة صرفتها له عندما كان في الجنوب، ليحمي نفسه ضد أي جنوبي معتدي.

ثانيا: في منطقة لا يوجد فيه غير المسلمين، كانت زيارة غير مسلم شيئا نادرا. رحب الناس في المنطقة بالجنوبي لأنه ضيف، ولأنه موظف حكومي. وصادفت زيارته شهر رمضان، شهر الصوم عند المسلمين. لكن، لسوء حظه، انتشر خبر بأنه يأكل أثناء النهار. لهذا، وصفه الناس بأنه "الجنوبي الكافر"، ووصفه آخرون بأنه "العبد الكافر".

ومرت الأيام والسنوات. وقبل ثلاثين سنة تقريبا، زرت القرية لآخر مرة قبل أن أهاجر إلى الولايات المتحدة. وكشف لي والدي سرا عائليا ما كنت أعرفه. وهو أن جدي شيخ العرب (محمد علي ود إدريس الكباشي) الذي توفي قبل ولادتي، كان عنده رقيق من الجنوب. وأنه عتقهم قبيل وفاته. وان أولادهم وأحفادهم يعيشون بالقرب من القرية.

في اليوم التالي، ذهبت مع والدي إلى منزلهم. واستقبلونا أحسن استقبال. وتحدثنا في مواضيع كثيرة، إلا الماضي، وإلا تجارة الرقيق. وعندما خرجنا، نصحني والدي النصائح الآتية: "كن صديقا لهم. لا تتحدث عن الماضي. افتح صفحة جديدة. لا تقل لهم عبيد. وعندما تعود من أمريكا، أحضر لهم هدايا من هناك."

ومرت الأيام والسنوات. وخلال سنواتي في أمريكا، ويا للهول، لقيت نصيبي من شتيمة "نيقر" (عبد). لكن:

أولا: شكرا لوالدي الذي علمني أن ارتفع وأسمو عن الشتائم وسفاسف الأمور.

ثانيا: عرفت أن الناس يشتمون بعضهم البعض في كل مكان وكل زمان.

ثالثا: اقتنعت بأن لوني لا صله له بهويتي. وأن أساس هويتي هو الإيمان (إيماني بنفسي، وإيماني بالله). وشعرت أن هذه القناعة "حررتني" من "لعنة" اللون.

خلال سنواتي في أمريكا، ناقشت مع أمريكيين سود، وكتبت في مطبوعاتهم، عن رأيي بأن عندهم عقدة نقص لأنهم يتحدثون كثيرا عن الماضي، وعن تجارة الرقيق، وعن لونهم، وعن شتيمة "نيقر". وقال لي بعضهم إنني لا أفهم وضعهم وظروفهم. وكما جاء على لسان واحد منهم: "لم يكن جدودك رقيقا، ولم يعش والداك في أيام التفرقة العنصرية في ولاية مسيسبي وولاية الاباما."

ومرت الأيام والسنوات، وما كنت أتابع أخبار السودان بكل تفاصيلها. حتى عرفت أن اتفاقية السلام لسنة 2005، التي أشرفت الحكومة الأمريكية عليها، أوقفت الحرب بين الشمال والجنوب. ووضعت جدولا لاستفتاء في جنوب السودان لتحديد إذا كان الجنوب يريد الوحدة أو الانفصال. وفجأة خفت من أن السودان سينقسم. وأن هذا سيكون طامة كبرى. وأجريت مقابلات صحافية مع أكثر من عشرة من القادة الجنوبيين. وفوجئت بما عرفت:

اولا: فوجئت – وهل هي حقيقة مفاجأة انني لا اعرف كثيرا عن "اخواني" الجنوبيين.

ثانيا: فوجئت بان أغلبيتهم تريد الانفصال.

ثالثا: فوجئت بأنهم يركزون على الماضي، وعلى تجارة الرقيق، وعلى سواد لونهم، وعلى شتيمة "عبد".

وقلت في نفسي: وكأننا يا بدر لا رحنا ولا جينا. هذه نفس عقدة النقص التي لاحظتها عند الأمريكيين السود. وقلت لإخواني الجنوبيين السودانيين إننا، شماليين وجنوبيين، كلنا سود في أمريكا. وقلت لهم عن مناقشاتي مع الأمريكيين السود.

لكن، لم يطلب الأمريكيون السود الانفصال. رغم أن معاملة البيض لهم كانت أسوأ من معاملة الشماليين في السودان للجنوبيين. ولم تتقسم الولايات المتحدة حتى خلال الحرب الأهلية هناك (قبل مائة وخمسين سنة تقريبا). وتعاون البيض والسود في أمريكا لإزالة آثار الماضي. وها هي أمريكا يحكمها رئيس أسود: باراك أوباما.

وسألتهم: لماذا لا يكون السودانيون مثل الأمريكيين في هذا الموضوع؟ لكنهم استمروا يكررون نفس المسلسل عن تجارة الرقيق وكلمة "عبد".

الآن، عندي بعض الأسئلة عن دور الحكومة الأمريكية، في تقسيم السودان:

اولا: لماذا، مثلما تحولت أمريكا من تجارة الرقيق إلى المساواة بين البيض والسود، لم تريد أن يحدث نفس الشيء للسودان؟ لماذا، مثلما حافظت على وحدتها، لم ترد أن تحافظ على وحدة السودان؟

ثانيا: لماذا أهملت الحكومة الأمريكية الفقرة الهامة في اتفاقية السلام لسنة 2005 التي تقول: "على الأطراف أن تعمل من أجل أن تكون الوحدة في السودان جذابة"؟ لماذا لم تضغط على الشماليين والجنوبيين، وهي تعرف أنها كانت تقدر على ذلك؟

ثالثا: لماذا لم تسلك الحكومة الأمريكية مسلكا أخلاقيا. وتجعل من السودان مثالا للتعايش بين الأعراق والأديان. وتجعل منه، حقيقة، حلقة وصل بين العالم الإسلامي وإفريقيا؟

قبل شهور، نشرت مجلة "تايم" الأمريكية موضوع غلاف تحت السؤال الأتي: "إز أمريكا اسلاموفوبيك؟" (هل تخاف أمريكا من الإسلام؟). وقالت المجلة أن نصف الأمريكيين ينظرون نظرة سلبية للإسلام والمسلمين. وإنهم يرون أن الإسلام ليست فيه المبادئ الأمريكية عن الحرية والعدل.

وقالت المجلة أن هذه "الإسلاموفوبيا" أثرت على السياسة الأمريكية في الداخل والخارج. (وصار هذا واضحا في هذه الحروب التي أعلنتها أمريكا ضد المسلمين باسم مكافحة الإرهاب، في العراق وأفغانستان وباكستان والصومال. وفي قتل المسلمين، واعتقالهم، وتعذيبهم، والتحقيق معهم، والتجسس عليهم، والشك فيهم، في كل العالم تقريبا).

أخيرا، أنا أقول بأن دور وطني الثاني (أمريكا) في تقسيم وطني الأول (السودان) سببه هذا الخوف من الإسلام، ومعاداته، والشك فيه. وأنا أقول بأن هذا سيجعلني حزينا وغاضبا إلى أن يتوفاني الله، أو إلى أن يتوحد السودان مرة أخرى، بطريقة أو أخرى.

\------

contact@MohammadAliSalih.com

«لم تنشر بعد»: جنازتي

(Sent Out, Not Published Yet)
MY FUNERAL
By Mohammad Ali Salih

Last week, Rabbi Bruce Aft, of Adat Reyim synagogue, near where I live in Burke, VA, a suburb of Washington, DC, was receptive when I asked him whether, when I die, my casket could be brought to the synagogue for prayers.

He told me an ancient story about Nathan the Wise who had a ring that made him pious, and when his three children fought over who was going to inherit it, he secretly made two identical rings and gave one to each of the sons and told them that the more pious of them would be the owner of the real ring. The Rabbi's point was that it was up to Jews, Christians and Muslims to prove which religion is closer to God.

I went home and added the synagogue to a list of other nearby places that I would like to have my casket taken to for prayers.

I am becoming older (in my late sixties) and my three children are pressuring me to have a funeral plan.

Recently, during a family dinner, I wasn't ready for an argument between my twenty-something son and my college daughter about who would inherit, when I die, our house. I made a joke about the house already secretly sold -- and changed the subject. My wife, their mother, didn't say a word, and my high school daughter had already said she didn't want to talk about death and left the dinner table.

That was when my son declared that he was scared of two things when I die: how to handle the funeral arrangements and how to "take care of the family."

He was correct about, at least, the first one, because I just wrote a complex funeral plan.

When my children were young, and as part of my efforts to teach them to think freely in this most free society in the history of mankind, I took them to different religious places near our home for almost thirty years: Accotink Unitarian Universalist church, United Methodist church, Adat Reyim synagogue and Mustafa Islamic center.
Few times I also took them to nearby: Gurdwara Sahib Sikh temple, Durga Hindu temple, Ekoji Buddhist temple, Nativity Catholic church and St. Mark Coptic Arabic church.
It will be enough logistic nightmares to carry a casket in and out of four places. Otherwise, I would have added the last five.
But the message is the same: (1) to have my children take me, for the first and last time, to religious places that I took them to. (2) to register a Sudanese Muslim immigrant's appreciation for freedom of religion in America.
These places, and Fairfax Memorial Park burial grounds, are within five miles from each other.
I would like not to follow the Muslim practice of burying the dead as soon as possible. Instead, select a day, preferable Saturday, plan a schedule, send advance notices to the above worship places and gather people from different faiths to "celebrate." Hopefully, an inexpensive and simple casket will make it easy to carry in and out. (Also a simple white sheet wrap; no suit, no viewing, thank you).
If there will be a Muslim who will not want to enter a synagogue, a Jew who will not want to enter a church or a Hindu who will not want to enter a mosque, they can wait outside.
At the open-minded Unitarian church, I would like to have people sing what was my children's favorite hymn, "All the Colors," which apparently appealed to their half-black-half-white racial mix. (For the sake of more diversity, how about the hymn's Spanish version too?) Also, "Alhamdulilah," a Muslim hymn adopted by this welcoming church.

At the Methodist church, I would like to have people sing my favorite Christian hymn: "Amazing Grace" and repeat "When this flesh and heart shall fail. And mortal life shall cease. I shall possess, within the veil, a life of joy and peace."
At the Jewish temple, this is my favorite, using transliteration: "Eyn keylo-heynu. Mi heylo-heynu. Nodeh leylo-heynu. Baruh Eloheynu. Ata hu Eloheynu" (There is none like our God. Who is like our God? Let us thank our God. Let us praise our God. You are our God). And repeat what I found easy: "Adonai Eloheynu. Adonai Ehad" (The Lord is our God. The Lord is One).
At Mustafa Islamic center, verses from the Koran that reflect peace and tolerance, like: "Those who believe in the Koran, and those who are Jews, and Christians, and Sabaeans, and whoever believes in God and the Last Day and does righteous deeds, their reward is with their Lord, and no fear shall come upon them, neither shall they grieve."
Last, burial.
I always wondered why religion tends to determine where people are buried since it does not determine where they are born. Second, once one is dead, what difference it makes? Third, mixed burial implies religious tolerance and the ultimate sign of equality. There is an example in the American Cemetery in Normandy, in France, where soldiers who were killed during World War 2 are buried. Among the thousands of white crosses, neatly arranged on an extended green pastor, there are few graves of Jewish soldiers with the Star of David on each.
A recent example is At Arlington National Cemetery where soldiers killed during the wars declared by President Bush are being buried. I believe these wars are wrong: they are disproportional reactions to 9/11 exaggerated anger and exaggerated fear. They have no specific end, no specific battlefield and no specific enemy, but a subtle animosity towards Muslims.

However, last week when I visited the Cemetery, I saw a sliver-lining at the edge of the dark clouds: few Islamic Crescent symbols among the many Crosses. The irony is that the military, who are conducting these wars (not the politicians who declared them), are burying Muslims, equally and respectively, next to Christians. Long after I die, this will remain a sign of respect between Muslims and Christians.
At Fairfax Memorial Park burial grounds, I would like to have this engraved in a huge marble tombstone: "SYMBOLS OF RELIGIOUS PLACES, IN FAIRFAX COUNTY, HE TOOK HIS CHILDREN TO, TO PROMOTE UNDERSTANDING." Below, the symbols engraved.

مؤخرا، ذهبت إلى بروس أفت، حاخام معبد "إدات ريحيم"، بالقرب من منزلي في ضاحية بيرك (ولاية فرجينيا) من ضواحي العاصمة واشنطن. وسألته: "هل في الإمكان إحضار جنازتي، فور وفاتي، إلى المعبد للصلاة عليها قبل دفنها؟"

رحب، وحكي لي قصة من التوراة عن "ناثان الحكيم". قال أن "ناثان" كان يملك خاتما كان سر حكمته، وتقربه إلى الله. وقبيل وفاته، أحس بأن أبناءه الثلاثة سيتعاركون حول من سيرث الخاتم بعد وفاته. وسرا، صنع خاتمين اثنين يشبهان خاتمه. وأعطي خاتما لكل واحد من أولاده، وقال لهم إن الذي سيرث خاتمه الحقيقي سيكون أكثرهم حكمة، وتقربا إلى الله.

قصد الحاخام أفت من هذه القصة أن يقول أن المنافسة مستمرة بين أتباع الأديان السماوية الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلام) ليبرهنوا على أي الأديان أكثر تقربا إلى الله.

خرجت من المعبد اليهودي، وعدت إلى منزلي، ووضعت اسم المعبد في قائمة الأماكن الدينية التي أريد أن ينقل إليها جثماني قبيل دفنه.

كبرت في السن (في الستينات). وبدأ ولدي وبنتاي الاثنتان يكثرون من الأسئلة عن وفاتي، وعن وصيتي، وعما سيرثون. ومؤخرا، خلال غداء عائلي في المنزل، تجادل الثلاثة حول من سيرث المنزل. وتندرت أنا وقلت لهم أن زوجتي وأنا سنرهن البيت للبنك، ونحصل على مزيد من القروض، ونتجول حول العالم. وبعد وفاتنا سيرثون ديونا تزيد عن قيمة المنزل. ضحكوا، لكن قال ابني أنه سيتحدث بصراحة. قال إنه يخاف من شيئين عند وفاتي:

اولا: مراسيم تشييع الجثمان والدفن.

ثانيا: مسئولية رعاية والدته وشقيقتيه.

لا اعرف عن الرعاية، لكنى أعرف أن تشييع جثماني ودفنه لن يكن سهلا. وسبب ذلك هو أنني كتبت وصية معقدة، وأتمنى أن يقدروا على تنفيذها.

عندما كان الثلاثة صغارا، وكجزء من محاولاتي لتربيتهم تربية منفتحة وحرة في هذه الدولة الأكثر دول العالم حرية في تاريخ الإنسانية، أخذتهم، بالإضافة إلى مراكز إسلامية ومساجد، إلى أماكن العبادة الآتية، وكلها تقع قريبا من منزلنا: كنيسة "إكوتينك" التوحيدية، كنيسة "ميثوديست" المعتدلة، معبد "إدات ريحيم" اليهودي، مركز "مصطفى" الإسلامي، معبد "صاحب " السيخي، معبد "دورقا" الهندوسي، معهد "أكيجو" البوذي، كنيسة "نيتيفيتي" الكاثوليكية، وكنيسة "سنت مرقص" القبطية.

لهذا، قلت للاولادي إنني أريد منهم، عند وفاتي، أن يأخذوا جثماني إلى هذه الأماكن للصلاة عليها. وعندما لاحظت الدهشة على وجوههم، واستغربوا وسألوا: "ننقل تابوتك إلى ومن عشرة أماكن؟"، قلت فقط الأربع الأوائل.

لماذا؟

أولا: أريد منهم، لأول وآخر مرة، أن يأخذوني إلى أماكن العبادة التي أخذتهم إليها.

ثانيا: أريد أن أسجل امتناني لحرية الأديان في هذا البلد الحر العظيم.

لا أريدهم أن يتبعوا التقاليد الإسلامية، ويدفونني سريعا، أو قبل غروب الشمس. أريدهم أن يجددوا يوما، وينسقوا مع هذه الأماكن، ويدعوا الناس من مختلف الأديان، لتكون الجنازة مثل "احتفال".

وأريد تابوتا بسيطا ورخيصا. قماشا أبيض يلف حولى، وليس بدلة أنيقة داخل تابوت مفتوح ليشاهدني الناس (كما يفعل الغربيون).

وإذا رفض مسلم أن يدخل معبدا يهوديا، أو رفض يهودي أن يدخل كنيسة، أو رفض هندوسي أن يدخل مسجدا، ليقفوا في الخارج حتى يخرج بقية الناس.

في كنيسة "أكوتينك" التوحيدية (تؤمن بوحدانية الله)، اريد من الحاضرين أن ينشدوا نشيد "أوول ذا كالارز" (كل الألوان)، عن التسامح والتعايش بين كل ألوان البشر. كان نشيد أولادي المفضل. ربما لأنهم نصف بيض ونصف سود. وأيضا، نشيد "الحمد لله" وهو بالانجليزية، وليس أكثر من تكرار الكلمتين، ويصور مدى انفتاح هذه الكنيسة.

وفي كنيسة "ميثوديست"، أريد من الحاضرين أن ينشدوا نشيدي المسيحي المفضل: "أميزينق قريس" (أيتها الروعة الإلهية). وان يكرروا هذا المقطع: "عندما يزول هذا القلب وهذا الجسد. وعندما تتوقف هذه الحياة الفانية. تبقى معي حياة الفرح والسلام الأبدية."

وفي المعبد اليهودي، أريد من الحاضرين أن ينشدوا بالإنجليزية أو بالعبرية: "إن كيلوهينو. مي هيلو هينو. نودي ليلو هينو. بارو الاوهينو. اتا هو الاوهينو" (ليس هناك مثيل لله. من مثل الله؟ لنشكر الله. لنحمد الله. انت الهنا).

واريدهم أن يكرروا تريد هذا المقطع القصير الذي وجدته سهلا، لأني لا اعرف كلمة عبرية: "إدوناي الوهينو. ادوناي ايحاد" (الرب هو إلهي. الرب واحد).

وفي مركز "مصطفى" الإسلامي، أريد من الحاضرين أن يقرؤوا آيات من القرآن عن التسامح بين الأديان.

ماذا عن دفن الجثمان؟

دائما أستغرب: إذا كان دين شخص لا يقدر، عمليا، على تحديد مكان ميلاده، لماذا يحدد مكان دفنه؟ لماذا يريد شخص أن يدفن مع الذين يؤمنون بدينه؟

أولا: لا يوجد فرق مادام الشخص ميتا.

ثانيا: يرمز الدفن المختلط للتسامح الديني.

ثالثا: يتساوى الناس وهم مدفونون تحت الأرض.

في المقبرة الأمريكية في نورماندي، في فرنسا، حيث يدفن الجنود الذين قتلوا خلال الحرب العالمية الثانية، صفوف وصفوف من الصلبان، لكن، هنا وهناك، توجد نجمة داؤود على مقبرة كل جندي يهودي.

مؤخرا، زرت المقبرة الوطنية الأمريكية في ارلنقتون (عبر نهر "بوتوماك" من واشنطن). وتجولت وسط مقابر الجنود الذين قتلوا بسبب ما تسمى "الحرب ضد الإرهاب" التي أعلنها الرئيس السابق بوش الابن. في البداية، اعتقدت أنها رد معقول على هجوم 11 سبتمبر سنة 2001. لكن، بعد أن استمرت سنوات وسنوات، وشملت غزو العراق، وانتقلت إلى أماكن كثيرة في العالم، وصارت حربا بدون نهاية، وصلت إلى قناعة أن بوش قصد أن تكون حربا غير مباشرة ضد المسلمين (إن لم تكن ضد الإسلام). وشجعه مسيحيون متطرفون ويهود متطرفون، وأنصارهم في الكونقرس.

على أي حال، عندما تجولت في مقابر "أرلنقتون"، شاهدت وسط الموتي بارقة أمل. شاهدت وسط آلاف الصلبان مقابر على كل واحد هلال. واستغربت وتأملت:

في جانب، بوش وأعضاء الكونقرس الذين أعلنوا الحرب ضد الإرهاب لا يشتركون في الحرب، ولا يعرفون معنى الحرب الحقيقي. ولا يعيدون القتلى إلى أمريكا، ولا يدفنوهم. (ربما إذا فعلوا ذلك كانوا سيفرقون ضد القتلى المسلمين). وفي الجانب الآخر، العسكريون الذين يحاربون، ويعرفون المعنى الحقيقي للحرب، يعيدون قتلاهم، ويدفنوهم في مساواة واحترام وتسامح (مسلمين ويهودا ومسيحيين، وغيرهم).

لهذا، أريد أنا أن أرمز لهذه المساواة والاحترام والتسامح بأن اطلب أن توضع على قبرى لوحة من الرخام، منقوش فيها هلال وصليب ونجمة داؤود، وعجلة البوذيين، ووردة الهندوس. وان تنقش العبارة الآتية بعد الاسم: "هذه علامات الأماكن الدينية في مقاطعة فيرفاكس التى اخذ إليها أولاده، ليشجع التسامح والتفاهم بين الأديان."

محتويات الكتاب

بطاقة فهرسة........ 2
المقدمة........ 3
في بتسبيرج (ولاية بنسلفانيا) : أعمدة الثقافة الأمريكية........ 8
في ناشيونال مول (الميدان الوطني) ، واشنطن: التعري : فن أو جنس؟ 20
عند قبر جون وينثروب (ولاية ماساجوستس): دولة مسيحية........ 34
عند قبر جون أوسولوفان (ولاية نيوجيرسي): «ديفاين ديستني» (القدر المقدس) 43
شارلوتفيل (ولاية فرجينيا) : أبو الفكر الليبرالي........ 53
في جزيرة نيفيس (البحر الكاريبي) : أبو الفكر المحافظ 64
في حي قرينتش (نيويورك) : أبو الاشتراكيين 75
في معهد أيان راند (ولاية كاليفورنيا) :أم الفكر الأناني........ 89
عند قبر أبراهام لنكولن ، سبرنقفيلد (ولاية الينوي) : الحزب الجمهوري يميل نحو اليمين 100
في كلية هارتفورد اللاهوتية (ولاية كونيتيكات) : مسلمات أمريكيات 113
سياتل (ولاية واشنطن) : مستقبل الزواج........ 126
في قلادبروك (ولاية أيوا) : أغرب المتاحف 134
في مبنى الشعر الأمريكي (شيكاغو) : مهرجان الشعر........ 142
في شركة (ديل) ، دالاس (ولاية تكساس) : الإنترنت ومصير اللغة........ 154
في هوليوود (ولاية كاليفورنيا) : فن وتجارة........ 164
في نادي الصحافة الوطني ، واشنطن: أسرار السياسيين........ 175
داخل البيت الأبيض (واشنطن) :العشاء الرسمي 186
في سينما (ماليبو) ، هوليوود (ولاية كاليفورنيا) : الشقراوات........ 195
في جامعة جورجتاون (واشنطن العاصمة) : روايات مهاجرين أجانب........ 207

في معبد (أدات ريم) في بيرك (ولاية فرجينيا) : اليهود.. 220
أمام تمثال لنكولن (واشنطن العاصمة): مسلسلات حرب الإرهاب 233
في مكاتب صحيفة (واشنطن بوست) : تغطية حرب العراق.. 242
في متحف الرقيق في ملووكي (ولاية ويسكونسون) : تجارة الرقيق) 252
في جامعة (ويلسيان) ، (ولاية كونيتيكات) : إسلاموفوبيا 263
في قصر (بلتمور) ، أشفيل (ولاية نورث كارولينا) : رأسماليون أوائل 273
في جامعة كولومبيا (نيويورك) : إدوارد سعيد المناضل.. 285
سينما (ريف) فيرفاكس (ولاية فرجينيا) : أمركة جيمس بوند... 296
في المحكمة العليا (واشنطن) : حرية الإساءة 307
في سولت ليك سيتي (ولاية يوتا) : تعدد الزوجات.. 320
في صحيفة (واشنطن بوست) : حدود حرية الصحافة 332
في شركة (أميركا أون لاين) في دالاس (ولاية فرجينيا) : الكمبيوتر 342
في متحف الجنس (نيويورك) : جنس أو معرفة؟.. 355
في قاعدة «كامب لاجون» (ولاية نورث كارولينا) : قصائد عن حرب العراق 365
المحكمة الفيدرالية (واشنطن العاصمة) : الفردية.. 378
في مطبعة الشيكات الحكومية في فورت ويرث (ولاية تكساس) : رواتب ودخول وثروات............. 389
في مدرسة «ليك برادوك» الثانوية ، بيرك (ولاية فرجينيا) : أولاد وبنات...................................... 401
في مستوطنة شيروكي (ولاية نورث كارولينا) : الهنود الحمر 412
في معهد نياريست (واشطن) : عملاء أمريكا... 423
في مدرسة البروتوكول (واشنطن العاصمة) : البروتوكول والإتيكيت 434
في استوديو تليفزيون «فوكس» (نيويورك) : تليفزيون «فوكس» اليميني 449
ليتل روك (ولاية أركنسا) : فضائح السياسيين الجنسية 463
في متحف العسكريات الأمريكيات هوبويل (ولاية فرجينيا) : قتل العراقيين والعراقيات............. 474

في متحف الأغاني الجاز في شيكاغو : أغاني الزنوج.. 485
أمام نصب جبران خليل جبران (واشنطن) : جبران خليل جبران.. 498
هياتزفيل (ولاية ماريلاند) : عيد الموتى 510
في شارلوتفيل (ولاية فرجينيا) : الاستعلاء الأمريكي 519
في جامعة جونز هوبكنز (ولاية ماريلاند): فؤاد عجمي ، المهرول 527
دير «هولي كروس» (ولاية فرجينيا) : الهدوء... 538
في «مول أوف أكيركا» بلومنقتون (ولاية منيسوتا) : شوبنق (التسوق) 548
في منزل ديفيد أغناتيوس (واشنطن) :كاتب عمود.. 559
في مسرح «أستوديو» (واشنطن العاصمة) : مسرحيات حرب الإرهاب 570
مبنى الأمم المتحدة (نيويورك) : سيطرة أمريكا على الأمم المتحدة 583
مقابر فيتسبيرج (ولاية بنسلفانيا) : فصاحة السياسيين 596
سينما «ريف» فيرفاكس (ولاية فرجينيا) : أمركة لورانس العرب 608
جامعة أنديانا (ولاية أنديانا) :ديلان المغني الثائر... 619
في جامعة واشنطن لي (ولاية فرجينيا) : الدين والسياسة 629
فريدوم سكوير (واشنطن) : الصفوة الحاكمة 638
كنيسة أوكوتنيك ، بيرك (ولاية فرجينيا) : تأبين الموتى 648
الجامعة الكاثولوكية (واشنطن) : الصدمة الحضارية 658
مطار ريقان (واشنطن العاصمة) :أمن المطارات... 672
متحف «هيرشهوم» (واشنطن) :.. 683
في ساوث بورت (ولاية كونيتيكات) :أبو الحلم الأمريكي 701
في مصنع العملة (واشنطن) : الدولار 711
في ديزني (ولاية فلوريدا) : الفار الذي غزا العالم... 721
في هيوستن (ولاية تكساس) : الروايات الرومانسية ، وحب الأمريكيات لها.............................. 735

مركز «ديوك أند ديوك» (ولاية كاليفورنيا) : الحداثة وما بعد الحداثة 747
في شارع «برودواي» شارع المسارح (نيويورك) : أولاد وبنات المهاجرين العرب............................. 758
في مطبعة جامعة أنديانا : النشر الإلكتروني... 768
جاينا تاون» (مدينة الصين) ، واشنطن : الصين تغزو أمريكا؟ أو أمريكا تغزو الصين 778
أمام البيت الأبيض : «دورن» تصيد المسلمين من السماء.. 790
موقع «أمازون» : كتب الرؤساء ، وكتب عنهم.. 800
في «وول ستريت» (شارع المال في نيويورك) : ثقافة المال.. 816
في سانتا في (ولاية نيومكسيكو) :جاسوسات حسناوات.. 825
جامعة هاوارد (واشنطن) : لماذا يحب البيض أغاني السود؟ 838
في جامعة هارفارد : صرع الحضارات.. 848
في جامعة جورج مايسون (ولاية فرجينيا) : تعذيب المسلمين في قوانتانامو 859
في متجر «بيست باي» في فيرفاكس (ولاية فرجينيا) : الحروب الإلكترونية 866
مركز «جمعية اللغويات الأميريكية» (واشنطن العاصمة) : أوكي... 877
في كولدج بارك (ولاية ماريلاند) : نضال العراقيين ضد الاحتلال الأمريكي...................................... 888
في مكتبة «بوكز أند بروز» (واشنطن العاصة) : عقدة اللون وسط السود 900
جامعة لويولا (شيكاغو) : السيطرة على العاطفة.. 911
في الرابطة القلمية العربية (نيويورك) : الريحاني ، وأبو ماضي، وميخائيل نعيمة............................... 922
صحيفة «الصحافة» (الخرطوم) : الأمريكي القبيح 932
في أمهيرست (ولاية ماساجوستس) : عرب في الروايات الرومانسية... 941
في مهرجان «قرامي» السنوي : أشهر الأغاني.. 958
في شارع «برودواي» (نيويورك) : مهرجان الأفلام المخيفة 971
جزيرة باربادوس (البحر الكاريبي) : تبييض بشرة النساء... 980

دير ليك (ولاية بنسلفانيا) : مايكل جاكسون الأسود الأبيض.. 995
داخل البيت الأبيض (واشنطن) : أخطاء واعتذارات السياسيين 1006
داخل صحيفة «واشنطن بوست» : حوار مع رئيس التحرير : الصحافة والحكومة 1021
جامعة أنديانا (ولاية أنديانا) : الزنجية 1036
تليفزيون «إم تي في» (نيويورك) : هل يفسد الأخلاق؟.. 1052
في مقابر بلومنقتون (ولاية أنديانا) : طقوس الكفن والدفن.. 1065
هيوستن (ولاية تكساس) : الخوف من الأجانب.. 1078
كنيسة «سنت بول» : بوتوماك (ولاية ماريلاند): عقدة النقص عند الأجنبي.................................. 1088
في القاعة الوطنية للفنون (واشنطن) : الإحباط 1098
فندق «مايفلاور» (واشنطن العاصمة) : ذواقو الطعام والشراب 1112
في كولدج بارك (ولاية ماريلاند) : حركة تحرير المرأة... 1122
ساكرمنتو (ولاية كاليفورنيا) : حركة تحرير الرجل الأمريكي.. 1133
جزيرة قرينادا (البحر الكاريبي) : حب الشوكولاتة 1144
في «مكتبة الحكمة» ، فولز جيرج (ولاية فرجينيا) : عرب وغربيات 1152
واشنطن بوست جهاد صامت أمام البيت الأبيض 1165
واشنطن بوست كيف تبدو أمريكا من السودان؟ بن لادن في قريتي 1172
واشنطن بوست والدي: يصلي أو يتآمر؟ هل والدي إرهابي؟... 1180
واشنطن بوست عندما وقع هجوم إرهابي على البنتاجون: لم يحدث شيء أو حدث؟................. 1185
واشنطن بوست نيوزويك : ليلة مع مشردين في كنيسة 1198
واشنطن بوست نيوزويك : في يوم الغفران اليهودي... 1205
«انترناشونال هيرالد تربيون»: قنبلة في حقيبتي ؟... 1211
إنترناشونال هيرالد تربيون»: في مسجد وفي كنيسة 1218
«إنترناشونال هيرالد تربيون»: صمت رمضان في ديرصحفي ينظرللمسيحية عن قرب................. 1221

يو إس إيه توداي»: أوباما وابني 1229
«واشنطن تايمز»: التجسس على تليفونات المسلمين 1234
«فلادلفيا أنكوايارار»:مسلم ، ثم عربي ، ثم أمريكي 1241
«كونيكشان»: في عيد رأس السنة اليهودي 1246
«نيويورك تايمز»: وطني الثاني قسم وطني الأول 1253
«لم تنشر بعد»: جنازتي 1261
محتويات الكتاب 1270